مجلة الأزهر

٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٦٢

المجلد الثالث والخمسون ـ القسم الثاني

السنة ١٤٠١هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

٢٢٤٧٤ / ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

سلاما على وطن السلام ٠ سلاما على الارض المقدسة ، سلاما على القدس ٠ مهبط الانبياء ، وملتقى الرسالات ، ومسرى رسولنا العظيم محمد – صلى الله عليه وسلم – ٠

سلاما على قبلتنا الأولى ، من الأزهر الشريف الذى اهتزت جنباته يوم احتل المسجد الاقصى سنة ١٩٦٧ م ولم يسكت علماؤه لحظة عن مطالبة الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا أن تهب لتخليص القدس وكان أسبق من الجميع فى المطالبة بالجهاد المقدس من خلال مؤتمراته التى عقدها مجمع البحوث الاسلامية كل عام وكانت القضية الاولى فيها هى قضية : القدس وتخليص المسجد الأقصى ٠

وفى هذا العدد يرى القارىء « ملفا » كاملا لاهتمام الأزهر بالقضية التى نرجو أن يعمل المسلمون أمة واحدة متكاتفة فى سبيل تخليصها بكل الوسائل المتاحة ٠

التحرير

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

العنوان : إدارة الأزهر بالقاهرة

تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

رئيس التحرير

د . عبد ... بيومى

سورة الإسراء

المسجد الأقصى الذى باركنا حوله

الجزء السابع – السنة الثالثة والخمسون رجب ١٤٠١ هـ – مايو ١٩٨١ م

الرئيس محمد أنور السادات
يكرم علماء الأزهر

فى حفل كبير ضم اكثر من خمسة آلاف من شباب الازهر طلابه واساتذته اجتمعوا فى قاعة محمدعبده يوم الاثنين ٢٤ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ حيث استقبلت جامعة الازهر السيد الرئيس محمد أنور السادات ليفتتح سيادته « مؤتمر مشكلات الشباب فى العالم الاسلامى » الذى عقده مركز الدراسات والبحوث السكانية بجامعة الازهر فى الفترة من ٢٤ — ٢٧ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ (٣/٣٠ — ١٩٨١/٤/٢ م) وقد حضر الحفل فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر ، والدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس الوزراء ، والدكتور مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطنى للشئون الخارجية ، والمهندس سيد مرعى رئيس هيئة مستشارى رئيس الجمهورية ، والدكتور صوفى أبو طالب ، والدكتور صبحى عبد الحكيم ونواب رئيس الوزراء والوزراء والدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر .

وقد استقبل الرئيس السادات استقبالا باهرا لدى وصوله الى قاعة محمد عبده التى دوت بالهتافات والتكبير والتصفيق الحار تأييدا له وترحيبا به .

وقد القى سيادة الرئيس كلمة فى الحفل اشاد فيها بدور الازهر وحمايته للاسلام على طول الف سنة كاملة ، كما أشاد بأثره فى النهضة الاوربية وتأثيره فى جامعات العالم .

الرئيس يقول :
دافع الأزهر عن الإسلام ألف سنة كاملة .

الرئيس يشيد بتأثير الأزهر فى جامعات العالم .
وتأثيره فى النهضة الأوربية .

الرئيس يهدى إسم الإمام محمد عبده أعلى وسام
لرؤساء الدول وقلادة الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار .

قال السيد الرئيس :
فضيلة الامام الاكبر
علماءنا الاجلاء

أبنائى وبناتى شباب الأزهر :
أعد نفسى لكى أتحدث اليكم وانما جئت لاشاركم هذا الحفل حتى نستطيع أن نتمم كما اتفقت مع فضيلة الامام الأكبر أن يكون احتفالنا الأكبر بالعيد الالفى للأزهر • لعلى أرجىء كلمتى الى هذا اليوم المشهود بعد أن سمعتمونى وسمعنى العالم كله أقول لهم : لقد دافع الأزهر عن الاسلام كل الهجمات الشرسه من الاستعمار ومن كل المفسدين دافع الأزهر عبر ألف سنه كاملة عن الاسلام •

من أجل هذا لابد أن يكون احتفالنا بالعيد الألفى مساويا لما للأزهر من مكانة ليس فقط فى أمة الاسلام وانما كما سمعتمونى أتحدث الى البرلمان الاوربى وقد بدأوا يستقون فى أوربا علوم عصر النهضة من هنا من الأزهر والجامعات الاندليسية ولعل • ما يملؤنا فخرا أن كرسى الاستاذية الذى أخذت به كل جامعات العالم منشؤة كرسى علماؤنا الافاضل فى الأزهر هنا • وعلى ذلك فالى لقاء يوم أن نحتفل بالعيد الالفى

للأزهر • ولكننى قبل أن أتـرك مكانى هذا لابـد لى أن أصـحح بعض ما أحسه ولعلكم تعلمون أننا فى جامعة الشعوب الاسـلامية والعربية سنبدأ فى اصـدار أو فى اكمال ما بدأه الامام محمد عبـده والامام جمال الدين الافغانى ونحن اليوم نبدأ هذا التكريم ولا يجب أبدا أن ننساه باسم شـعب مصر وباسم المؤمنين فى كل العـالم الاسلامى أهدى لاسـم الامام الشيخ محمد عبده قلادة النيـل وهى أعلى وسام لرؤساء الـدول تهديه الدول •

وأستأذنكم أيضا أن نكرم اماما جليلا وصديقا عزيزا ومسلما أبيـا متفتحا هو فضـيلة الامام الأكبر أهدى اليه قلادة الجمهورية •

بقى مـدير جامعتكم ولقـد أحسست وسعدت لعاطفتكم نحوه فنحن نبنى مجتمع العائلة • ولقد كان باسمكم جميعا يا من أكرمتموه وكرمتموه أهدى اليـه وسـام الجمهـورية من الطبقـة الاولى وأهدى اليه سنتين أخريين •

أبنائى وبناتى من كل قلبى أعبر لكم بكل الحب عن شكرى لهـذه المشاعر : وأطلب منـكم أبنـائى وبناتى أن نتجه الى اقامة البنـاء الجديد على العلم والايمان كمـا اخترنا أطلب منكم أن نبنى الانسان المصرى الجـديد بكل قيم هـذه الارض التى علمتها لنا شريعتنـا السمحاء •

وفقكم الله والسـلام عليكم عليكم ورحمة الله وبركاته •

طهرتم مجتمعنا من خبراء الشر والمفسدين

كما ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة رحب فيها بالرئيس وأشاد بدور سيادته في تطهير المجتمع من « خبراء الشر » والمفسدين في الأرض وما حققه سيادته من استقرار للمجتمع.

قال فضيلة الامام الأكبر :

حمدا لله تعالى ، وشكرا لأنعمه ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد النبى الكريم ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين٠

السيد الرئيس : محمد أنور السادات

فى هذا اليوم العظيم ، الذى تفتحون به المؤتمر الاسلامى بجامعة الازهر الشريف ، لمناقشة موضوع :

« مشكلات الشباب فى العالم الاسلامى »

وفى رحاب الازهر الشريف ، ذلك المعهد العريق ، يستقبلكم اليوم : ــ أساتذة ، وطلابا ، وعلماء ، وعاملين ــ فخورا بكم ، مشيدا بفضلكم وعملكم له ولمصر ، وللامة الاسلامية جمعاء ٠

فمرحبا بكم ، فى هذا الرحاب الطاهر ، والحصن المنيع للاسلام والمسلمين ، على أرض مصر ، كنانة الله فى أرضه ٠

لقد أنفق الازهر من عمره ألف عام أو تزيد ، عاكفا على تراث الاسلام ، وفقه الدين ــ أمانة وحفظا ــ يعلم الناس ما أنزل اليهم من ربهم ، على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ــ عقيدة وشريعة ، وأدبا وقيما ، وأخلاقا وسلوكا ٠

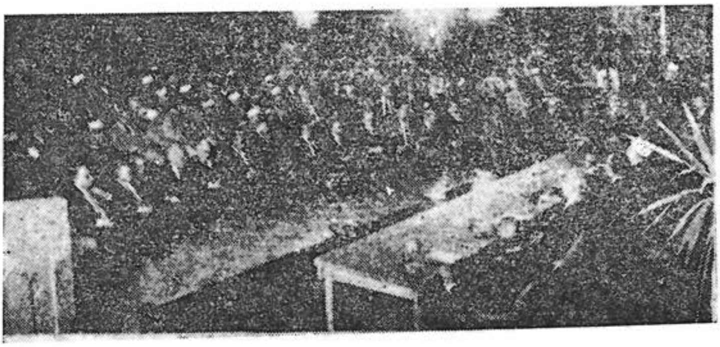

ولقد مر بالازهر دهر طويل ، رأى فيه تقلب الايام ، وتعاقب الليل والنهار ، ثم جاء عهدكم البهيج ، ففتح الله له أبواب الخير ، ومهد لـه سبيل الامل ، فبسط جناحيه آمنا ، واستأنف طريق التجديد ، والبنـاء والاصلاح ، دءوبا مثابرا .

اشادة الرئيس بالازهر :

ولقد أشدتم بالازهر ــ يا سيادة الرئيس ــ فى كل مكان ، وفى كل مناسبة ، وعرفتم به آفاق العالم : (غربية وشرقية) وذكرتم جهوده فى العمل الاسلامى ، واسهامه فى الثقافة العالميـة ، واغترزتم به ثمرة من عطاء مصر ، ومكرمة من مكارم الامة الاسلامية .

وان الازهر ــ يا سيادة الرئيس ــ ليعتز بكم كذلك ، ويذكر فضل الله علينا وعلى الناس ، بعملكم لبلدنا ولأمتنـا ، وبتـوفيق الله لكم ، ومعونته اياكم ، وتسديده لخطاكم .

أصلحتم يا سيادة الرئيس مسار المجتمع :

لقد أصلحتم ــ يا سيادة الرئيس ــ مسار مجتمعنا ، وسـلكتم به طريقا جديداً ، هو طريق الخـير والامان ، وطـهرتموه من خبراء الشر وأعداء الدين ، ودرأتم عنه قوى رهيبة ، تحمـل معهـا مبادىء الكفر

وأسباب التدمير ، فلولا توفيق الله لهذا العمل العظيم لأصـبحت مصر بلدا جريحا تنتهك حرماته مثل تلك البقاع من العالم التى ابتـلاها الله ببلاء أولئك الظالمين ، وأصابها بافسادهم وتخريبهم كأفغانستان الجريحة وغيرها من البقاع ٠

أمنتم الناس :

لقد أمنتم الناس يا سيادة الرئيس ، وأذهبتم عنهم سلطان الخوف والفزع ، ووضـعتم عنهم اصرهم ، وأغلالا غلت بها أيديهم وعقولهم ، وفتحتم لهم أبواب الحرية ، ومسالك الحياة الكريمـة ، وداويتم جراح الماضى فى كل قرية ، وفى كل بيت ، وغرستم غراس المحبـة والتراحم ، ونفيتم البغضاء والكراهية بين طبقات الناس فى هذا البلد ، وأعدتم روح الاخاء والوحدة والتسامح الى ربوعها ٠

لقد حاربتم باسم الله ، وسالمتم باسم الله ٠٠٠ حاربتم حين كانت الحرب عزما ، وسالمتم حين كان السلم حكمة وحزما ٠

نصركم الله فى الحرب والسلم :

ولقد نصركم الله فى الحرب والسلم معـا ، فأعدتم لمصر أمنهـا ، وسلامها ، وفتحتم آفاق البناء لعهد الرخاء ، ورفعتم لواء الريادة للامة الاسلامية الى مناهج الخير والسلام ، وأفاء الله عليكم كلمـة التقوى وكنتم أحق بها وأهلها ، فحقق لكم ولامتكم الأمان النفسى والأمـان المادى والأمان فى العاقبة ، ان شاء الله ٠

لقد أعلنتم على أعلى منبر ، وعـلى مسـمع من العالم : أنا رئيس مسلم لأمة اسلامية ، وأنا رئيس مصرى لأمة مصرية ٠

خط واحد ، وعمل واضح ، وهدف متكامل ، ينتظم بـه الصـف ، وتجتمع به الامة ، وتغلق به منافذ الفتن ٠

رفضتم الالحاد :

ولقد رفضتم أن يكون للالحـــاد شأن فى بلدنا ، فيبث الشر وينفث السموم ، ويهدم قواعد الدين القويمة ، ويزرع الفساد ويغرى الناشئة بالتمرد والانحراف ٠

ولقد قلتموها كلمة صريحة : لا مكان للمحـــد فى وســـائل الاعلام ، ولا تنكر للدين أو الأخلاق فى بلدنا ، وجعلتم هدفكم أن تستقر النفوس على الايمان بالله ، وأن تشيع الفضيلة والأخلاق الكريمة بين الناس ، وأن تقوم نهضتنا على دعائم الايمان والعلم ٠

اخترتم منهج الشريعة :

واخترتم منهج الشريعة الاسلامية أساســا للتقنين ، ورفضـــتم ما يعارضها من المناهج ، وجعلتهم مبادئها السمحة ، وحكمها القويم حجر الأساس لتشكيل القوانين التى تضبط حياة المجتمع ، وتصحح أوضاعه ، وتنظم أموره ٠

الرئيس فى البرلمان الاوربى :

اننا لا نزال نذكر ــ يا سيادة الرئيس ــ ذلك اليوم العظيم الذى وقفتم فيه على منبر البرلمان الاوربى ، تخاطب نواب الغرب جميعـــا ، معتزا بدينك ووطنك وبالازهر الشريف ، حين قلت : « ان بلادنا مهـــد الديانات وموطن الحضارة ، ومنارة العلم منذ القدم » ٠

ولقد كانت الجامعات الاسلامية فى أوربا وفى الشرق مراكز الحرية الفكرية والمنهل الذى تقصده أوربا للمعرفة ، وكان اسهام مصر ــ موطن الازهر الشريف ــ فى هذا العمل كبيرا لا يمكن انكاره ٠

ليس هذا فحسب يا سيادة الرئيس ، بل دفعكم ايمانكم بالله الى ايضاح الصورة الحقيقية للاسلام وأنه دين التسامح لا التعصب ، دين الحب لا الكراهية والحقد ، وأنه يشكل كيانا متكاملا يقوم على النظام ، فلا يعرف الفوضى ، وأن مبادئه تقوم على الرحمة والعدل ، وأنهـــا أولا ــ وقبل كل شىء ــ تجسيد لكرامة الانسان وحريته ٠

فكنتم أول رئيس مسلم يقف فى مجمع الغرب ليقول لهم : « هــذا هو الاسلام » ٠

ويجهر بينهم أننا أمة متسامحة ، ذات دين سمح ، تستعد للتعاون مع أرباب القيم والديانات السامية ، محافظين عــلى ديننــا ومنهجنــا ومبادئنــا ٠

وضعتم أساس جامعة الشعوب الاسلامية :

ولقد وضعتم ــ يا سيادة الرئيس ــ أســاس جامعة الشــعوب الاسلامية ، فأحييتم أملا ، وبعثتم رجاء كنا نرتجيه لهذه الامة ٠

وطلبتم أن تكون هذه الجامعة سبيلا لتحقيق أهدافكم الاســلامية العامة ، وهى توثيق أواصر الاخاء والترابط بين الشعوب الاســلامية ، وبناء أمن مشترك ، وتعاون سياسى واقتصادى واجتماعى بينها ، وانشاء برلمان اسلامى عربى ، وسوق اسلامية عربية مشــتركة ، وأن تجعــل الجامعة قضية « بيت المقدس » فى مقدمة القضايا الاســلامية والوطنية التى تعمل لها ٠

هذه أهدافكم الاسلامية العامة تفتحون لها سبيل العمل ٠

وأنتم وقد حملتم أهدافكم السامية فى ضميركم تعملون لها فى أناة الحكماء ، وصبر الهداة ، وثقة المؤمنين ٠

ولقد ثارت الأنواء أحيانا ، وأطبق الضباب ، وأختفى المنار ، وفقد الناس سبيل الرأى ، وران اليأس ثقيلا على النفوس ٠

وكنتم بفضــل الله على أملكم فى رحمتــه ، ومعرفتكم بالطريق ، وحكمتكم فى الريادة ، وسدادكم فى الرأى ، وثقتكم بنصر الله ٠

من أجل هذا ــ وأكثر من هذا ــ يعتز الازهر بكم ، ويرى فضــل الله علينا وعلى الامة الاسلامية بتوفيقكم ٠

وان من واجبنا ــ وفاء وتقديرا ــ أن يعــرف أبنــاؤنا الشــباب

ما قدمتم لأمتنا ، وما أجراه الله من خير وسلام على أيديكم وفى عهدكم للازهر الشريف ، وما نأمله للغد ولما بعد الغد من ريادتكم المباركة ٠

ان عنايتكم بدراسة موضوع اليوم : « مشكلات الشباب فى العالم الاسلامى » لأكبر دليل على حرصكم على أبنائنـــا الشـــباب ، وعنايتكم بسلامة مسيرته ، وشرف غايته ٠

السيد الرئيس : ان الازهر ـــ منذ كان ـــ أمين على أحكام الدين وسط فى الرأى سمح ميسر للناس فى فتواه ، حرى بثقتكم وثقة المسلمين فى أمانته واعتـــداله ٠

ثقـــة وتأييـــد :

وانه ليثق فى رجل مصر العظيم محمد أنور السادات ، ويؤيـــده ، ويناصره ، ويضع يده فى يده ، عهدا مباركا من الله ، وميثاقا لـــه عـــلى طريق الخير والامان ٠

حفظكم الله ورعاكم وأيدكم بنصره ومدده العظيم ، انه نعم المولى ونعم النصير ٠

رسالة الأزهر هى رسالة العلم والإيمان الذى حملتم رايته يا سيادة الرئيس

كما ألقى فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الأزهر كلمة فى هذه المناسبة نوه فيها بدور الأزهر على مر السنين .

نحمد الله سبحانه وتعالى ونصلى ونسلم على خير أنبيائه ورسله وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته .

السيد القائد المؤمن الرئيس محمد أنور السادات حفظه الله .

حضرات السادة الاجلاء . منذ أربعة عشر قرنا كاملة انتصب فى سماء المدينة المنورة منبر الرسول صلى الله عليه وسلم فتضاءلت أمام جلالته عروش الأكاسرة والقياصرة وولد تاريخ جديد حافل وانبثق . مجد عظيم شامخ واشرقت الارضى بنور العلم والايمان وانسابت كلمة الحق بين الامم تحيى موات الانفس والأرواح والقلوب . ومنذ عشرة قرون كاملة انتصب فى سماء القاهرة منبر الأزهر الشريف فكان ولا يزال بحمد الله الكعبة السامية للاسلام والمنارة العالية للعلم والدين يتلقى النور من منبعة كما يتلقى القمر ضوءه من الشمس ، ويستقى الهدى من مصدره كما يستقى الغيث الهدور ماءه من البحر . وغدا منذ قرون عشرة منبر العلم والفلسفة والدين والموئل للعلوم الاسلامية والعربية كلها يدرسها ويحفظها ويلابس جوانبها رائدا سباقا ويسمو مع المعلومات ويتعمق معها ويسجل آثاره العلمية بطونا وشروحا وحواش وتقارير ويتركها للاجيال تقرأ فيها جهود العلماء والعاملين المخلصين . يا سيادة الرئيس : هذا شباب الأزهر بين يديك وهو شباب والله يرجى منه الخير الكثير الوطن والدين انهم

شباب غضية عن الشر أعينهم ٠ ثقيلة عن الباطل أرجلهم تواقه الى الخير نفوسهم وهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلـــوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ٠

ورسالة الأزهر : هى رسالة العلم والايمان الذى حملتهم رايتـــه ووليتهم قيادته وزعامته ولن تتم الدعوة الاسلامية فيما أعتقد الا بهذا الشباب الصالح لأنه سيتخرج منهم وفعـــلا يتخرج منهم الآن الطبيب الداعية والمهندس الداعية والتجارى الداعية والعلماء الدعاة يتألقـــون نجوما هادية يضيئون للنفس طريق الحق ويهدون بالتى هى أقوم والذين يرجى منهم الخير وتعقد عليهم الآمال ٠

يا سيادة الرئيس : ادفعهم الى الامان بعونك وتأييدك بعد عون الله وتأييدة ٠ ادفعهم الى الامام بيدك القوية الامينة ٠

وأرجوا يا سيادة الرئيس أن تأذن لى بتواضع واستحياء أن أعرض عليك فى كلمة موجزة بعض الآمال التى تجيش فى نفوس أبنائنا الطلاب ٠

انهم يريدون ضم مستشفى الجلاء الى جامعة الأزهر ٠ وهذا فيما أعتقد طلب عادل لانهم فى الواقع قد ضاقت عليهم المستشفيات بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ولم يجدوا ملجأ بعد الله الا أنت ٠

نريد يا سيادة الرئيس وهم يريدون دعما لاسكان الطـــلاب دون الطالبات لأن اسكان الطالبات قد حله بفضل من اللـــه الســـيد الدكتـــور فؤاد محيى الدين وبهذه المناسبة نقدم له الشكر الجزيل على شـــعوره النبيل فالطلاب فى اسكانهم يحتاجون الى دعم يتمم لهم الاستقرار ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأزهر وجامعته يرحبان بك ويؤيدانك

وكان الدكتور عبد اللطيف خليفة نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون الطـــلاب قد قدم الحفل بكلمة قال فيهـــا :

سيادة الرئيس المــؤمن محمد أنور السادات :

اهلا بك فى الأزهر الشريف وفى جامعته العريقة ومرحبـــا •• فقد شرفت الأزهر وجامعتــــه بزيارتكم •• شرف الله قدرك •• وكـــرمت بهذه الزيارة آهل العلم وخـــدامه •• ورفعت من شأنهم رفع اللـــه من شأنك •

ان الأزهر وجامعته يا ســـيادة الرئيس يعيشان اليــوم فى عيـــد وبهجـــة وفرح •• يرحبـــان بك ويؤيدانك لانك اقمت نظام حكمك على أسس من العلم والايمان •• يرحبـــان بك ويؤيدانك لانك تبنى حساباتك فيما تتخذ من قرار على أساس من القيمة المؤكدة لمبادىء الحق والشرف والمروءة والخير •• ولقـــد أذهلت العالم كله وبهـــرته قادة وحكاما وشعوبا لأنهم الفوا فى عصر المادة ان يتخذ القرار عـــلى أساس من عائده بالفـــائدة ربحـــا أو خسارة •• أما انت فعائد قرارك قيمة انسانية تقوم على اعلاء قيم الحق والشرف والمروءة •• ولقـــد بدأ الناس يلتفتـــون الى مصر من خلالك •• الأزهر وجامعته يرحبان بك ويؤيدانك لانك حين وليت أمر مصر كانت على شفا جرف يوشك أن يهوى بها الى الهاوية والى قرار ســـحيق فأخذت بيدها يا ســـيادة

الرئيس فى مودة بالغة وحب يخالط شغاف قلبك ومضيت بها من نصر الى نصر يؤيدك اللـه ويرعاك •• وكانت قمته نصر رمضان •• نصر من عند الله الذى يقول سبحانه وتعالى •• وكان حقا علينا نصر المؤمنين •

اعادة القيم الفاضلة :

الأزهر وجامعته يرحبان بك ويؤيدانك لانك تعيد الى مجتمعنا قيمه الفاضلة وأعراقه الشريفة •• ولانك تصر فى ايمان على تنمية مجتمعنا فى مجالاته المتعددة حبا لمصر وايثارا لها •• الأزهر وجامعته يرحبان بك ويؤيدانك لانهما يحيطان فى ظل حكمك الراشد بالرعاية الطيبة والعناية الكريمة •• وان من حولك رجالا مخلصين من حقهم علينا أن نشيد بمعاونتهم الأزهر وجامعته •• وأن نذكرهم بالخير عندك فمن لا يشكر الناس ويذكر صنائعهم لا يشكر الله ••

وفى مقدمة هؤلاء الرجال نائب رئيس الوزراء الدكتور فؤاد محيى الدين الذى يدبر للأزهر كل مطالبه ويستجيب لآماله المهندس ونائب رئيس الوزراء المهندس عثمان أحمد عثمان الذى يؤثر الأزهر وجامعته بكثير من العون الصادق والجهد المخلص الكريم •• ونائب رئيس الوزراء اللواء النبوى اسماعيل الذى يسهر مع رجاله المخلصين على أمن الجامعة واستقرارها •• ونائب رئيس الوزراء الأستاذ الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد الذى لا يضن على جامعة الأزهر بما تحتاجه من مال دعما لمطالبها التى تلقى منه كل عناية وتقدير •• والسيد وزير الاعلام ووزير شئون الرئاسة السيد الأستاذ منصور حسن الذى يفيض قلبه بمشاعر الحب والتقدير والتأييد للأزهر وجامعته والذين يعاونون الجامعة من رجالك لا أحصيهم عددا •• فلهم جميعا شكرنا ولهم مع

شكرنا الجـزاء الاوفى من اللـــه سبحانه وتعالى •• وشباب الجامعة وشـــباب مصر هو أملنا لمســـتقبل وطننا وتتجه نشاطات الجامعة فى مستوياتها المتخصصـــة لمواجهـــة مشكلاتهمن خلال رؤية اسلامية •• والأستاذ الدكتور فؤاد الحفناوى مدير المركز الدولى الاســـلامى للبحوث والدراسات السكانية مثل نابض بالوفاء لمصر فى تفان وصدق •• اسمحوا لى يا سيادة الرئيس أقدمه ليقول كلمة المركز الـــدولى الاسلامى والبحوث السكانية ••

جَلسَات المُؤتَمرْ

وقد تتابعت جلسات المؤتمر بعد ذلك فى مبنى جامعة الشعوب الاسلامية بالقاهـــــرة **ففى اليوم الثانى :** الثـــلاثاء ٢٥ من جمـــادى الاولى ١٤٠١ هـ (٨١/٣/٣١) **كانت الجلسة الأولى : عن الحياة الدينية والشباب .**

وكان رئيس الجلسة فضيلة الامام الاكبر الدكتور/محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر .

وكان رئيس الجلسة المشارك هو الدكتور / سيد نوفل أما مقرر الجلسة فكان الدكتور / محمد سعيد عبد ربه .

وقد تحدث فى هذه الجلسة ..

ـــ فضيلة الامام الاكبر الشيخ / محمـــد عبد الرحمن بيصار عن « القـــيم الدينية والحيـــــاة الحـــديثة »

ـــ و فضيلة الاستاذ الشيخ / جاد الحق على جاد الحق عن « دلالة الاجتهـــاد ـــ تطبيقاته وحدوده وعلاقتـــــه بحاجات الشـــــباب »

و ـــ فضيلة الاستاذ الشيخ / احمد حسن **الباقورى** عن « التعلـــــيم الـــــدينى » « الخبرات السابقة **والابحاث** الحديثة »

و ـــ فضـــيلة الاستاذ الدكتور / محمـــد ابراهيم الجيوشى عن « دور الشباب فى نشر الدعوة الاسلامية فى العالم العربى »

و ـــ فضـــيلة الاستاذ الدكتور / بـــدوى عبد اللطيف عن « جهـــاد الشباب فى فجـــر الاســـلام مثل يحتذى بـــه »

ـــ **أما الجلسة الثانية :** فى نفس اليوم فقد كانت عن

« قضـــايا الفكـــر »

ـــ **وكان رئيس الجلسة :** السيد الوزير المهندس / عثمان احمدعثمان
وشارك فى رئاسة الجلسة : المهندس / مشهور احمد مشهور

— **وقد كان مقرر هذه الجلسة :** الاستاذ الدكتور / عبد اللطيف خليف
— **وقد تحدث فيها :**

— السيد الوزير الدكتور / عبد الحميد حسن عن « رعاية الشباب فى مصر »
— والاستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل عن « الدلالة المصرية لرسالة العلامة محمد اقبال للشباب المسلم »
— والاستاذ الدكتور / محمد الاحمدى أبو النور عن « الضغوط الفكرية ومشاكل الشباب المسلم »
— والاستاذ الدكتور / عبد الرحيم عمران عن « اسهام الاسلام فى تقدم العلم والتكنولوجيا »
— والاستاذ / جابر حمزه عن « رؤية اسلامية فى العلم والقيم الخلقية »

أما الجلسة الثالثة : فقد كانت

« المشكلات الاجتماعية والاقتصادية »

وقد عقدت مساء من الساعة ٧ — ٩
ورأس الجلسة : السيد المهندس / سيد مرعى

وشارك فى رئاستها : فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود
— **وكان مقرر هذه الجلسة :** هو الاستاذ الدكتور / صلاح نامق

وقد تحدث فيها :

— الاستاذ الدكتور / احمد عبادة سرحان عن « انتقال الثروات العلمية الى خارج العالم الاسلامى »
— و الاستاذ الدكتور / محمد العيسوى عن « القوى العامة والعمل فى الدول الاسلامية »
— والاستاذ الدكتور / جلزار بانو عن « الترابط الاجتماعى والاقتصادى للمراة المسلمة فى المجتمع الاسلامى » — تجربة باكستانية —
والاستاذ الدكتور / محمد على محمد عن « الشباب والتنمية الاجتماعية والاقتصادية »
— والاستاذ الدكتور / عادل بلبل عن « الشباب حديث الزواج » — دخله ومسئولياته —

أما اليوم الثالث الاربعاء ٢٦ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ .
الاربعاء ١ من ابريل سنة ١٩٨١ م .
فقد عقدت الجلسة الرابعة بعنوان

« مشكلات التعليم والتكنولوجيا »

ورأسها الاستاذ الدكتور / محمد عبد القادر حاتم .
وشارك فى رئاستها : ــ الاستاذ الدكتور / أحمد فتحى الزيات .
وكان مقرر الجلسة : الاستاذ الدكتور / محمد سيف الدين .

وكان المتحدثون فى هذه الجلسة : ــ
ــ السيدة الاستاذة الدكتورة / نعمات فؤاد عن « أزمة الشباب »
ــ السيدةالاستاذة الدكتورة / زينب راشد عن « دور الازهر فى تعليم الفتيات »
ــ السيدالاستاذالدكتور / محمدسيفالدين عن « حاجات الشباب ومطالبها من النظم التعليمية »
ــ السيد الاستاذ الدكتور / عمر حسن كاسول عن « الشباب الافريقى والتحدى الثقافى »

أما الجلسة الخامسة : ــ فقد كانت عن .

« المشكلات الثقافية والنفسية »

ــ **وراس الجلسة : ــ السيد الوزير الدكتور** / زكريا البرى وزير الاوقاف .
ــ **وشارك فى رئاستها : ــ** فضيلة الشيخ / عبد الله كريم وكيل وزارة لشئون **المعاهد**
ــ **اما مقرر الجلسة : ــ** فقد كان فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان .
وكان المتحدثون هم : ــ

الاستاذ الدكتور / سليمان حزين عن « الاتجاهات الثقافية بين الشباب فى المجتمعات الاسلامية » .
والاستاذ الدكتور / حسان حتحوت عن « مشكلات المراهق المسلم »
والاستاذ الدكتور / نفزات يلشينتاين عن «تطلعات الشباب التركى»
والاستاذ الدكتور / سالم نجم عن « حاجة الشباب الى ثقافة اسلامية »
والدكتور / محمد الشيخ عن « القيم وعلاقتها بالتوافق النفسى » لدى طلبة جامعة الازهر .

أما الجلسة السادسة فقد عقدت لبحث : —

« المشكلات الصحية »

وكان رئيس الجلسة : السيد الوزير الاستاذ الدكتور / ممدوح جبر .
وكان رئيسها المشارك : الاستاذ الدكتور / المهدى بن عبود .
ومقررها : الاستاذة الدكتورة / سميحة الباجورى .

وتحدث كل من : —

— الاستاذ الدكتور / أحمد فتحى الزيات عن « فروق النموبين الفتى والفتاة وآثارها »

والاستاذ الدكتور / فوزى جاد الله عن « ادراك أهمية الصحة لدى الشباب المسلم » حقائق مصرية .

والاستاذ الدكتور / محمد شعلان عن « مكونات الشخصية عند الشباب »

والاستاذة الدكتوره / خيرية عمران عن « الحمل فى سن ما قبل العشرين »

اما اليوم الرابع : — الخميس ٢٧ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ .
٢ من أبريل سنة ١٩٨١ م .

فقد عقدت الجلسة السابعة : — على شكل مائدة مستديرة اشترك فيها .

فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار

— فضيلة الاستاذ الدكتور / عبدالمنعم النمر — فضيلة الاستاذ الدكتور / عوض الله حجازى

— الاستاذ الدكتور / محمد حسن فايد — الاستاذ الدكتور / سيد نوفل

— فضيلة الاستاذ الدكتور / ابراهيم نجا — الاستاذ الدكتور / عبده سلام

— فضيلة الاستاذ الدكتور / ابراهيم الدسوقى — الدكتور / عبد الفتاح شوقى .

— الاستاذ الدكتور / سهير القلماوى — فضيلة الاستاذ الدكتور / عبد الرحمن النجار .

وقد اشترك فيها أيضا : —

— سفير الصومال
— سفير أندونسيا
— سفير باكستان
— سفير أفغانستان
— سفير عمان
— سفير السودان
— سفير تركيا

حديث الشهر

الإسراء والمعراج ومنهج الكمال البشرى

كانت معجزة الاسراء والمعراج ملهمة للكتاب والباحثين عبر التاريخ ، مثيرة لتأملاتهم العقلية ، ومشاعرهم الوجدانية فكتبت فيها الكتب ، وسودت الصحائف ، بحيث يخيل للمتأمل فى هذه المعجزة الكبرى ، انه لن يجد بعد ما كتب موقعا لخاطرة ، او سبيلا الى فكرة .

ومع ذلك، لا يجد الانسان مناصـــــا من الرغم فى التأمل امام عظمة المعجزة ، ونتائجها الجليلة ، ودروسها التى يمكن ان تســتفاد منها فى كل العصور ومختلف الأحداث .

★ ★ ★

ولقد عجبت حين اخذت اتأمل ما وقع لرســــول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الرائعة من الاسراء به فى لحظة من مكة الى الشــــام ، والعروج به فى لحظة من الشام من بيت المقدس الى الملأ الأعلى وســــدرة المنتهى مرورا بالسموات السبع واختراقا خاطفا لكل عوالم الأملاك .

وعجبت أكثر للذين شغلوا عن منهج الكمال البشرى الذى تضــــمنه الاسراء والمعراج بالجدل حول تحديد الاسراء والمعراج بأى شىء كان بالجسد او بالـــروح .

بقلم ... رئيس التحرير

ولقد قرأت ذلك التراث الضخم ، الذى تضمن أدلة الفريقين وغضب الذين قالوا بالجسد على الذين قالوا بالروح ، واخذوا بظاهر قول السيدة عائشة رضى الله عنها : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه » مع ان الأمر كله لا يحتمل هذا الخلاف مادامت المعجزة ذاتها ثابتة ثبوتا قطعيا لا شبهة فيه .

ولا يقلل القول باسراء الروح ومعراجها من جلال الحدث ، فان روحا بشرية يحصل لها من المشاهدات الأرضية ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تصل الى الملأ الاعلى وسدرة المنتهى لهى روح متفردة بهذا الشرف الذى لا تطيقه روح اخرى ولا تصل اليه .

فقد نقل ابن اسحق فى سيرته أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما حدث الناس بما وقع له من الاسراء الى بيت المقدس .

عجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قط ؟

قال : آية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وانا موجه الى الشام ، ثم اقبلت حتى اذا كنت بضحنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان .

وآية ذلك ان عيرهم الان تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل اورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء .

قالت (أم هانىء) فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم اول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الاناء فأخبروهم انهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد انفرنا فى الوادى الذى ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى اذا اخذناه (١) ..

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ٤٤ جـ ٢ طبعة دار احياء التراث العربى . بيروت .

كما ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم وصف لقريش المسجد الأقصى جميع جهاته وأبوابه ونوافذه ولم يثبت أن زاره من قبل قط .

عن جابر بن الله رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه (١) ..

واذا كانت هذه المشاهدات فى الارض فقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام تخطى السموات وصعد الى مستوى سمع يه صريف الأقلام والتقى بالانبياء ووصف بعضهم ولم يثبت أنه قرأ أوصافهم فى كتاب من قبل .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به « رأيت موسى واذا رجل ضرب (نحيف) رجل (طويل) كأنه من رجال شنوءة (قبيلة من قحطان) ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة (متوسط الطول) أحمر كأنما خرج من ديماس ، وانه اشبه ولد ابراهيم » (٢) .

فاذا كانت كل هذه المشاهدات الصادقة فى عالم الأرض والسماء قد وقعت للروح فأى روح تلك ؟

وقد اشار الامام الفخر الرازى الى تفرد روح النبى صلى الله عليه وسلم بذلك مما لا يقدح فى كونه معجزة له فقال :

« فان قالوا فالاسراء بالروح ليس بأمر مخالف للعادة فلا يليق به أن يقال (**سبحان الذى أسرى بعبده**) .

قلنا : هذا ايضا بعيد ، لأنه لا يبعد أن يقال : انه حصل لروحه من انواع المكاشفات والمشاهدات ما لم يحصل لغيره البتة فلا جرم كان هذا الكلام لائقا به » (٣) .

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب حديث الاسراء . راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث ١٠٩ .

(٢) متفق عليه واللفظ للبخارى اخرجه فى كتاب الانبياء باب قوله تعالى وهل أتاك حديث موسى . راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث ١٠٦ .

(٣) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى جـ ٢٠ ص ١٥١ الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ القاهرة .

فليكن الاسراء والمعراج به كان بالروح أو بالجسد أو بهما معا فلا يقلل أى منهما من عظمة الواقعة وأثرها فى الاسلام .

وصدق ابن اسحق حين قال :

« وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يقول تنام عيناى وقلبى يقظان والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أى حال كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق .

على أن الاسراء بالروح سواء كان معه الجسد أو لم يكن انما يفتح صفحة جديدة فى تاريخ السمو الانسانى الى الكمال ويثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الروح الانسانى يستطيع أن يرقى الى أعلى الدرجات اذا وصل الى درجة من الصفاء أو التصفية والمجاهدة بحيث ترق الروح ويرق الحس ويعلو على دركات المادة وشهواتها التى تسفل بالمخلوق البشرى .

وليس الطريق الى الكمال بعيدا عن متناول الأرواح البشرية فقد تضمن المعراج المنهج الذى يوصل الانسان الى الكمال المنشود حين بدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرائى المجسدة التى تحولت فيها الاعمال الى صور من الجزاء فى عالم الملأ الأعلى فاذا بهذه الصور ترسم طريق الحياة المثلى والكمال الانسانى لمن يريد هذه الحياة وذلك الكمال .

واساس السمو الانسانى انما يقوم على أساس من الايمان بالله لانه يطهر الروح والجسد ويبدو من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه : خيرا ويسر به ، ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه اف ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا ابوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب واذا مرت به روح الكافر منهم انف منها وكرهها وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث (١) .

ذلك أن الكافر قد يستطيع اغفال الحقيقة ويطوى قلبه على دخل

---

(١) ابن هشام جـ ٢ ص ٤٦ .

لا يبدو على صـــورته فى الدنيا شىء لكن فى عالم الحقيقة عالم الآخرة حيث تبدو الاشياء على حقيقتها « **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** » حينئذ ينكشف خبث الروح الكافرة وتنجلى طهارة الروح المؤمنة .

وفى منهج الاسلام ان الذى يضاعف من خبث الروح الكافرة عدم قبول اى عمل صالح يمكن ان ينير النفس لان اساس قبول الاعمال هو الايمان وبدونه تذهب حســـنات الكافر هباء ، يقول تعالى « **والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** » (١) .

وتمضى قصة المعراج على درجات المنهج الى السمو الاخلاقى اذ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرائيه بعد ذلك .. بعد الاســـاس الذى يقوم على الايمان فيخبر عليه الصلاة والسلام عن الذين يظلمون الناس فى حقوقهم المالية أو فى حقوقهم الاجتماعية فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل (٢) فى أيديهم قطع من نار كالأفهـــار (٣) يقذفونها فى افواههم فتخرج من ادبارهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما » .

وذلك الذى رآه الرسول صلى الله عليه وسلم تصوير مجسد لما ذكره الله تعالى فى قوله ســـبحانه : « **ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » (٤) .

وانما كان جزاء من يأكل اموال اليتامى ظلما على هذه الصـــورة لان العدوان على مال اليتيم فى حقيقة أمره عدوان مادى واخلاقى .

فهو عدوان مادى لانه اعتداء على مال الغير بغير حق .

وهو عدوان اخلاقى لان الغير الذى اكل منه المال ظلما لا يســـتطيع الدفاع عن نفسه لانه ضعيف بل لا يدرك ابعاد العدوان الذى وقع عليه لانه دون الرشد فهو اعتداء على ضعيف قاصر لم يدرك بعد ما له من حقوق ولم يبلغ بعد السن الذى تمكنه من الانتقام لنفسه والقصاص ممن أخذ حقه .

---

(١) سورة النور الآية ٣٩ .
(٢) شفاه كشفاه الابل .
(٣) الافهار جمع فهر وهو حجر على مقدار ملء الكف .
(٤) سورة النساء الآية ١٠ .

والمنهج الاسلامى هنا يؤكد طابعه العام من رعاية الضعيف وتهذيب القوى وذلك ارقى ما يمكن ان يصل اليه الكمال الخلقى فى الانسان اذ ينتصر على نفسه وأطماعه ويهذب غرائزه وينصف الضعفاء من نفســـه ويرعاهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ومن رعاية أموال الضعاف واليتامى يمضى المنهج الاســـلامى الذى تضمنه المعراج بعد ذلك الى رعاية حقوق الاموال بشكل عام وصـــيانتها من الربا الذى هو أفدح أنواع الظلم للنفس وللناس .

ويخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صورة المرابين بأنه رآهم ليلة المعراج ببطون لم ير مثلها قط وقد القى بهم فى طريق آل فرعون الذين هم أشد الناس عذابا يوم القيامة يعرضون على النار غدوا وعشيا فيمرون كالابل الهائمة يطأون ذوى البطون الهائلة من أكلة الربا ولا يقدر هؤلاء على التحول عن طريق آل فرعون .

« قال عليه الصلاة والسلام » ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط ، بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار ، يطأونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .

وما استحق المرابون هذا العقاب الهائل الا لأنهم داسوا على حقوق غيرهم وأكلوا اموالهم ، فامتلأت بهذه الأموال بطونهم فأعجزتهم وأقعدتهم ــ دون أن يشعروا ــ عن أنصاف الناس وتطهير أنفسهم .

والاسلام الذى حرم الكسب الحرام عامة وجعله ســحتا وجعل كل جسد ينبت منه طعمة للنار كما قال صلى الله عليه وسلم « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فقد شدد النكير على الربا خاصة لأنه كسب حرام من ناحية وظلم للغير من ناحية أخرى ولانه فيه شـــبهة قد يتعلل بها بعض الطامعين فى اموال الناس من ناحية ثالثة ولذلك يقول الله ســـبحانه :
« الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون »(١) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

وامتلاء البطون بأموال الربا كما يبدو من ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المعراج ليس امتلاء عافية وصـــــحة وانما تتجلى حقيقة هذا الامتلاء فى الآخرة بأنه عذاب يقعد صاحبه عن الحركة ويعجزه عن النجـــاة والتحـــــول عن طريق آل فرعون ، فكما يطأ المرابون حقوق الناس الذين اســـتغلوا حاجتهم فى الدنيا فانهم بهذا يصـــيرون موطئا تحت اقدام اهون الناس على الله وأحقرهم فى الآخرة وأكثرهم عذابا وهم آل فرعون .

ثم يمضى استعراض المنهج برسول الله صلى الله عليه وسلم بعـــد صيانة الاموال الى صيانة الأعراض فيرى عليه الصلاة والسلام صورة الزناة الذين يتركون حليلاتهم الى غيرهن من المحرمات عليهم يزين لهم الشـــيطان ما حرم الله على ما أحل .

قال : « ثم رأيت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيب الى جانبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن » .

ولم يأخذ الزنا هذه الصورة القبيحة الا لأنه فى الواقع انحطاط بشرى ، وعندما يهوى الانســـــان فيه انما يهوى فى الحقيقة بعد تحطم كل القلاع الانسانية فى قلبه وينهار كل اثر للمروءة وكل اختصاص للانسان عن الحيوان لان الحدود الانســـــانية هى التى تجعل الرجل يختص بحليلة فاذا ما حطم الزانى هذه الحدود الانسانية وتجاوزها فان معنى ذلك انه خرج على كل ضـــــابط .

ولما كان الايمان هو سياج الانسانية فقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى خروج الزانى عن حدود الايمان فى حالته تلك . قال عليه الصـــلاة والسلام « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » لان ذرة ايمان واحدة فى القلب كفيلة بأن تمنعه وتقيه من الســــقوط فى هذا الانحطاط البهيمى الذى لا يفرق فيه بين الغث والسمين .

ذلك أن ذرة الايمان تستتبع قدرا من الخوف من الله والشعور بمراقبته وعمل الحساب للقائه ومن ثم يســـــتتبع الخوف من الله كل اخلاق الشرف والمناعة من السقوط .

وليس ذلك خاصا بالرجال وحدهم وانما للنســـــاء اللائى يحدن عن المنهج عقوبة تزيد على ما يعاقب به الرجال .

قال عليه الصلاة والسلام « ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجـــــال من ليس من أولادهم » .

وهكذا تضمن منهج الكمال الخلقى كما صور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج :

١ ـــ رعاية حق الله بتأكيد الايمان به وابراز صورة المؤمنين .

٢ ـــ رعاية حقوق الناس التى تتعلق بالمال ، بصيانة اموال الضعفاء والبعد عن الظلم والاستغلال واكل الربا .

٣ ـــ رعاية حقوق الناس التى تتعلق بصيانة الكرامة والعرض وحفظ الأنســـاب والحرمات .

وباطلالة واحدة على سورة الاسراء فى القرآن الكريم نســـتطيع ان ندرك ارتباط حادث الاسراء والمعراج بهذا المنهج الاخلاقى والاجتماعى اذ نرى فى هذه السورة افتتاحها بآية واحدة عن الحادث الجلل وهى الآية الأولى **« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المســجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنــا انه هو الســـميع البصــــير »** ولا يرد عن ذكر الاسراء والمعراج بعد ذلك الا آية واحدة فى وسط السورة تقريبا يقول الله فيها ســـبحانه : **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للنـــاس » (١) .**

وتفيض السورة الكريمة بعد ذلك فى الحديث عن القيم والتأكيد على الوصايا الخلقية والاجتماعية التى من شانها تطهير المجتمع وتزكية الاخلاق وتحقيق الكمال الانسانى من :

- النهى عن الظلم وشجب ظلم بنى اسرائيل خاصة .
- تأكيد ان القرآن هو المصدر الوحيد للحياة الفاضلة « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »
- تحديد المسئولية والجزاء .
- رعاية الوالدين وذوى القربى والمساكين وابناء السبيل .
- القصد فى الانفاق .
- **النهى عن قتل الاولاد خشية الفقر** والنهى عن القتل كله .
- النهى عن الزنا واكل مال اليتيم .
- **التأكيد على الوفاء بالعهود والمكاييل والموازين .**

---

(١) الآية ٦٠ من السورة .

● الامر بالتواضع والنهى عن الاستكبار فى الأرض .

● التأكيد الشديد على توحيد الله سبحانه واثبات هذا التوحيد بكل وسيلة وتصوير حال المشركين بأنهم لا ينتفعون بحواسهم لانهم لا يرون بها حقيقة الايمان بالله الواحد واقامة البراهين على أن الذين يتخذون الشركاء مع الله لا ينفعونهم بشىء وبيان أن الشرك ينافى كرامة الانسان الذى فضله الله على كثير من خلقه فاذا به يذل نفسه لغير الله .

● بيان طريقة لتربية النفس من الخلو الى الله بالليـــل بعبـــادة وذكر وعدم الاغترار بالنعمة .

● بيان ان المنهج الذى رسمه الله هو الذى يربى الروح لان الروح من أمر الله وهو خالقها فلا يستطيع أحد ان يرسم لها طريق التزكية الا هو ســـــبحانه .

● عظمة القرآن وانه معجزة لا يســـتطيع أحد أن يأتى بمثلها ومنه يستمد المنهج الصحيح ، وانه اذا كان رســـــول الله بشرا فذلك هو المناسب لاصلاح البشر .

● تأكيد قدرة الله سبحانه مع تأكيد حرية الانســـــان « **قـل آمنوا به أو لا تؤمنوا** » وان الذين اوتو العلم هم الذين يختارون جانب الايمان والتوحيد **« ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »** (١) .

هكذا كانت مناسبة الاسراء والمعراج :

١ — مناسبة للبرهان على أن الروح الانسانى يمكن ان يسمو ويصل الى آفاق بعيدة من الكمال البشرى .

٢ — ان هذا الكمال البشرى له منهج تبدى فى مرائى المعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى سورة الاسراء التى سجلت الحادث الجلل وما أحاط به .

لتكون هذه المعجزة الباهرة مصدرا من مصادر البناء الانسانى وزادا ينهل منه طلاب الخير والمثل الأعلى منهجهم الصحيح الى الكمال .

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠٨ ، ١٠٩ .

دراسة قرآنية

بين يدى الإسراء والمعراج

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

كان الاسراء والمعراج ثمرة طيبة مباركة لجهاد شاق مرير وكان — كذلك — حصادا مبرورا لسعى دائب مشكور ، وقد بدأ هذا الجهاد الشاق والسعى الدائب منذ بدأت الدعوة الاسلامية بين صخور مكة وأحجارها الصم • ووسط الظلمات المتكاثفة التى كانت تخيم على أرجاء الجزيرة العربية فتطغى على القلوب وتحجبها عن الحق وتعمى عليها مسالك الخير والنجاة •• ذلك بأن قريشا قد رأت فى هذه الدعوة الخطر الداهم الذى يهدد كيانها المادى والأدبى اذ كانت الكعبة مركز عبادة الأصنام ، وكانت مجمع العرب ومورد ثروتهم • وكان زعماء قريش يستمدون مجدهم وفخارهم وعظمتهم على سائر الناس من صلتهم بالبيت الحرام وقيامهم على حراسة الأصنام • كما كانوا يعتبرون ذلك العمل على حراسة الأصنام مورد رزق وينبوع ثروة بما يأخذونه من نذور وقرابين ، وما يديرونه من تجارة فى مواسم الحج الى هذه الأصنام وكان قيام الدعوة الاسلامية معناه ضياع حتمى لسلطانهم الأدبى والمادى ، ولذا عظم الأمر عليهم واشتد فصممت قريش على أن تقف من محمد صلوات الله وسلامه عليه موقف الحزم والصرامة بل موقف القسوة البالغة والعنف الشديد وأن تعمل على قتل الدعوة الاسلامية باضطهاد الرسول ومن يؤيد دعوته ويسير فى طريقه • وقد أفاضت كتب السيرة فى سرد المساءات التى

تلقيها الرسول منهم • ونضرب لذلك بعض الأمثلة عسى أن يكون فيها عبرة وتبصرة • وعسى أن تكون درسا عمليا يعلم الناس كيف يكون الصبر على البأساء والضراء • وكيف تكون التضحية المخلصة من أجل المبدأ والعقيدة » •

فمن ذلك مايرويه البخاري فى صحيحه حيث قال : « بينما كان النبى يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق الرسول صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » •

ومن ذلك ما روى فى كتب السيرة أن طارقا المحاربى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق يقول : « أيها الناس ، قولوا لا اله الا الله تفلحوا » ورجل يسير وراءه يرميه بالحجارة حتى أدمى عقبه ويقول : لا تطيعوا محمدا فانه كذاب فقلت من هذا ؟ قالوا : محمد وعمه أبو لهب ، وكذلك ما فعلته زوج أبى لهب وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان فكثيرا ما كانت ترمى الشوك فى طريقه وتلقى بالقاذورات النجسة أمام بيته • ولم تترك عملا فيه ايذاء للرسول صلى الله عليه وسلم الا وفعلته حتى باءت وزوجها بالويل والثبور واللعنة وسوء المصير ، وسجل الله ذلك بقوله عن أبى لهب : «سيصلى نارا ذات لهب » وبقوله عن زوجته «وامرأته حمالة الحطب • فى جيدها حبل من مسد » أى أنها تعذب فى جهنم وفى عنقها حبل تجر به فى النار • امعانا فى النكال والصغار •

الى غير ذلك من ألوان الأذى والعنت الذى لم يقتصر على الرسول وحده بل تعداه الى كل من آمن به واستجاب لدعوته ولكنهم لم يهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ولم يضعفوا أو يستكينوا بل كانوا مثلا عليا فى التضحية والفداء •

« وأمام هذا العزم والتصميم من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الأبرار فكرت قريش

فى سلاح رهيب تقاوم به هذا الشر الذى يتفاقم خطره وهو سـلاح المقاطعة الاقتصادية فاتفقت على أن تقاطع بنى هاشم وبنى المطلب وهم عشيرة الرسول الذين كانوا يحمونه من عدوان قـريش — مقاطعة تامة فلا يتزوجون من نسائهم ، ولا يبيعون لهم شيئا ، ولا يشترون منهم ولا يقبلون منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وسـجلوا هذه القرارات فى صحيفة ختمت بأختام وعلقت فى جوف الكعبة تأكيـدا لاحترامها فيكون الخروج عليها أو عدم الوفاء بما فيها بمثابة الخروج على العقائد الموروثة .

وازاء هـذه المقاطعة الجائرة الغاشمة انتقل بنو هاشم وبنـوا المطلب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شعب كان يطلـق عليه شعب أبى طالب بظاهر مكـة يعانون الحرمان ألوانا حتى لقـد بلغ من سوء حالهم أن أكلوا أوراق الأشجار ونبشوا صخور الجبـال بأظافرهم بحثا عن الجلود والعظام ليطحنوها كالدقيق ويجعلـوها كالطعام ، وقد استمرت هـذه المقاطعة المروعة ثلاثة أعوام متتابعة لقى فيها محمـد وأصحابه من المتاعب والآلام ما ينوء بالابطال .

« ثم فوجىء محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد خروجه مع أهله من الشعب بفاجعتين كبـيرتين وكارثتين طامتين وهما موت عمـه أبى طالب . وموت زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها ولقد حزن الرسول عليهما حزنا شديدا لمـا كان لهما من أثر بالـغ فى نصرة الاسلام والدفاع عنه ضد أعدائه ، فأبو طالب وان كان قد مات مشركا ولكنه كافح وجاهد فى مؤازرة محمد صلى الله عليه وسلم فى أحـرج الظروف وأعنف الأزمات حتى قال الرسول عنه : « والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » وأما خديجة رضى الله عنها فحسبنا ما قاله الرسول عنهـا فى مواجهة نسائه الأخريات : « لقـد آمنت بى اذ كفر الناس .وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى اللـه

ولدها اذ حرمنى أولاد النسـاء »
« فلا عجب اذ سمى هذا العام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عام الحزن لكثرة ما أصاب الرسول فيه من الهموم والأحزان » •

« وكان ذلك من أهم الاسباب التى جعلت الرسول يخـرج الى الطائف لعله يجد من قبيلة ثقيف — وهى أهم قبائل العرب بعد قريش — من ينصره ويؤازره ، ولكن — وياللأسف — لم يجد منهـم الا الجحـود والاعراض والسـخرية والاستهزاء حتى لقد أغـروا به سفهاءهم وعبيدهم يسـبونه ويصيحون وراءه ويقـذفونه بالحجارة حتى ابتعد عن الطائـف ولجأ الىحديقة مملوكةلعتبة وشيبة ابنى ربيعة فاحتمى بها وجلس فى ظل شجرة من أشجارها وقد أجهده التعب ودميت عقبه وضاق صدره واشتد به الكرب والبلاء ، ثم لجأ الى الله بهذا الدعاء الخالد : «اللهم اليك أشكو ضعف قوتىوقلة حيلتى وهوانى على الناس • يا أرحـم الراحمين • أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أو الى عدو ملكته أمرى ؟ ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى • أعوذ بنور وجهك الـذى أشرقت له الظلمات وصلح عليـه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سـخطك لك العتبى (الرضـا) حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك » •

وقد رجع الرسول بعد ذلك الى مكة فوجد قريشا تقف له بالمرصاد لكى تمنعه من الدخول • فاستجار بالمطعم بن عدى فأجاره المطعـم وتسلح هو وبنوه لحمايتهحتى دخل مكة وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله فى حراسة المطعـم وأولاده ليعـود الى الكفـاح من جـديد وليستأنف تبليغ الدعوة فىهذا الجو العاصف الملىء بالأخطار والمخاوف وبين هـذه العواصـف العتيقـة والأخطار المخيفة التى كانت تحيط بمحمد صلى الله عليه وسلم تمتـد يد الرحمن بالرحمة والخير والحنان وتحتضن العناية الالهية محمـدا صلى الله عليه وسلم لترتفع به الى أسمى مكان ، ويقع حادث الاسراء والمعراج تكريما من الله لنبيـه ، ليكون فى ذلك عوض أى عـوض

عما لحقه من أذى المشركين وعنتهم وما أصابه من آلام ومتاعب فى طريقه الشاقة الى غايته الكريمة **« ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » (١)** ولقد وقع الاسراء والمعراج فى السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية وفى الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب كما هو المشهور ، وثبت الاسراء بصريح القرآن حيث يقول الله تعالى : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير »(٢)** وثبت الاسراء والمعراج معا بالأحاديث النبوية الصحيحة التى لا يتطرق اليها الضعف والوهن ، ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، الى أن قال : ثم عرج بى الى السماء الدنيا ثم الى السماء الثانية ، وهكذا حتى قال : ثم عرج بى الى السماء السابعة ، ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فأوحى الله الى ما أوحى •

« وهكذا كان الاسراء والمعراج رحلة مباركة فى ملكوت السماوات والأرض رأى فيها الرسول مارأى من آيات ربه الكبرى • وهيأ الله له بهذا الحادث العظيم مالم يتيسر لأحد من العالمين » •

« وبعد فهذه لمحات خاطفة للأحداث التى مرت بالرسول صلى الله عليه وسلم بين يدى الاسراء والمعراج • وهى ــ بلا ريب ــ آية صادقة على أن النجاح هو الثمرة المرجوة أبدا من الجهاد والكفاح وأن طريق الجهاد شاق طويل محفوف بالمتاعب ، ولكن نهايته نصر من الله وفضل كبير • وصدق الله العظيم : **« فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا »** •

أ ــ د محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الأزهر

---

(١) سورة النساء آية ٧٠ •

(٢) سورة الاسراء آية ١ •

حول الإسراء والمعراج

للأستاذ / السيد حسن قرون

لا جدال فى أن الاسراء والمعراج حدثا ونزل فى شأنهما قرآن كريم ، وأسلافنا جعلوا منكر الاسراء كافرا ، لانه ينكر نصا واضحا وهو أول سورة الاسراء ، قال تعالى : ((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)) • ولم يسمو منكر المعراج بالكفر ، لان النص لم يكن صريحا ، يعنون بذلك الآيات التى جاءت بسورة ((النجم)) •

وهناك أحاديث شريفة أوردها الراوة ، وهى تتفق فى الحدث وتختلف فى طرق الرواية وتفصيل الاحداث ومعلوم أن رواية السنة تأخرت تدوينا عن زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدء القرن الثانى الهجرى حين أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بكتابة السنة ، فشمر الرواة عن سواعدهم وأخذوا يجمعونها ، ويضربون آباط الابل فى الرحلة لاجلها ، وتأخر الرواة عن كتابة السنة أدى الى تضارب الاقوال وتعدد الرواية ، وكلما تقدم الزمن كثرت الرواية وكثر التفسير والجمع بين الروايات كما يفعل صاحب السيرة الحلبية ، فهو يورد الروايات ويجهد نفسه فى التوفيق بينها • وتراهم يختلفون متسائلين هل الاسراء والمعراج حدثا فى ليلة واحدة أو أن كلا منهما حدث فى وقت غير وقت الآخر ؟ ولما كان البخارى قد جعل عنوانين أحدهما للاسراء والآخر للمعراج

أخذ دارسو البخارى يدافعون عن صنيعه وأنه لم يقصد أن يكـــون المعراج قد حدث وحده، بل ليوضح ما جرى فى كل منهما الى آخــــر ما قالوه •

ويكاد المؤرخون يجمعون عـــلى أن الاسراء كان قبل الهجرة بعام واحد أو ثمانية عشر شهرا عـــلى أكبر تقدير ، وتبقى معنا مشـــكلة سورة النجــــم • فمتى نزلت تلك السورة ؟ ومعلوم أنها خاصـــــة بالمعراج ، وبالمعراج فرضــــــت الصلوات الخمس • والدليل على أن سورة النجم نزلت قبل التاريخ الذى عينوه للاسراء وهو عام أو أكثر قليلا كما قدمنا أن محمــــد ابن سعد فى الطبقات الكبــــرى يروى عن أحداث الهجــرة الاولى للحبشة فيؤرخ لها راويا عن (محمد ابن عمر) قولـــــــه : « فكانـــوا (المهاجرون) خرجــوا فى رجب سنة خمس (من المبعث) فأقاموا فى (الحبشة) شعبان وشهر رمضان ، وكانت السجدة فى شهر رمضان ، وقدموا فى شوال سنة خمس » •

والسجدة التى عناها هى ما قال عنها : رأى رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم كفا عنه فجلس خاليا فتمنى فقال : ليته لا ينزل عـــلى شىء ينفرهم عنى ، وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه ، فجلس يوما فى ناد ، فقرأ عليهم « **والنجم اذا هوى** » حتى بلغ « **أفرأ يتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى** » ألقى الشيطان كلمتين على لسانه : «تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى » فتكلم رسول الله بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها وسجد وسجد القوم جميعا •• فلما أمسى جاءه جبريل فعرض عليه السورة ، فقال جبريل جئتك بهاتين الكلمتين؟ فقال رسول الله : قلت على الله مالم يقل ، فأوحى الله اليه :

« **وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا** » الى قوله : « **ثم لا تجد لك علينا نصيرا** » (١) فشت

---

(١) الآيات ٧٣ ــ ٧٥ من سورة الاسراء •

تلك السجدة فى الناس حتى بلغت أرض الحبشة ، فعاد المهاجـرون فوجدوا العداوة أشد وأقسى •

ومع ايمانى بأن الرسول لم يقل « تلك الغـرانيق العـلا ، وان شفاعتهن لترتجى » الا أنى آخذ بالتأريخ لسورة النجم وأنها نزلت سنة خمس من بعثة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، وقبـل أن يقع الحصـار عـلى بنى هاشـم والمطلب وقبـل الهجـرة الثانيـة للحبشة ، وحكاية الغرانيق نفاها الامام محمد عبـده ، وتابعـه فى نفيها الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) وتعيين نزول سورة النجم بأنها نزلت سنة خمس من المبعث يعطينا نورا يوضـح فرض الصلوات الخمس فالصلاة وهى الركن الثـانى من أركان الاسـلام الخمسـة والتى أمر الرسول بأدائها بعد نزول الوحى عليه (١) بغار حراء لا يتصـور أن تبقى مدة أحد عشر عاما أو تزيد دون فرض الصـلوات الخمس ، وهم يقولون بتأخير نزول سورة الفاتحة ومعلوم لنا أن لا صـلاة بدون الفاتحة ، فينبغى لنا أن نراجع السيرة جيدا والتأريخ لنـزول السور حتى نقف على أرض صلبة كما يقولون • ومن ثم يستقيم لنا القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسرى به ليـلا الى المسجد الاقصى ببيت المقـدس صلى بالانبياء والرسل وتعـرف على ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويستقيم لنا ما جـرى فى المعراج من مشاهد ، وسؤال كل سماء •• فاستفتح جبريل فقالوا : من أنت ؟ قال جبريل •• قالوا : ومن معك ؟ قال محمد • قالـوا : وقد بعث اليه • قال : نعـم •• ففتحوا • ولا يكون هـذا الا فى المعراج وهو سـابق للاسراء ، اذ لو كان صلى بهم ثم عرج اليهـم لما قالوا بعث اليـه ، ولا داعى لتأويل بعث اليه بمعنى أرسـل اليه ليتلقى من ربه ما يتلقى •

والذى يهمنا فى قصـة الاسراء والمعراج أنهما حدثا ، وأنهمـا من تكريم الله رسوله محمدا وبيان

---

(١) أوحى اليه يوم الاثنين وصلى يوم الثلاثاء •

فضله على سائر الانبياء والرسل وأنهما من سبيل المعجزة وان كان الرسول اكتفى بمعجزة القرآن ، وكفى بها دليلا على نبوته ورسالته ان أسلافنا من رواة الحديث وكتاب السيرة والمؤرخين لم يقصروا ، وقد اجتهدوا فجمعوا لنا ما سمعوا وعلينا نحن أن ننظر فيما تركوه لنا بعين الفاحص المتثبت لنصل الى الحقيقة أو ما يقاربها ، لقد بحث الاسلاف حتى بلغوا فى الدرس والمساءلة الى الموازنة بين فضائل ليلة الاسراء وليلة القدر والعشر الاوائل من ذى الحجة أيها أفضل؟

وينقل ابن قيم الجوزية عن أستاذه ابن تيمية الاجابة عن هذا السؤال ، وقد أفاض فى الجواب ، وخلص الى أن ليلة الاسراء فى حق رسول الله أفضل من ليلة القدر ، وليلة القدر أفضل من ليلة الاسراء بالنسبة للامة الاسلامية . أذكر ذلك لابين المعاناة فى سبيل الوقوف على فضائل الايام التى فضلها الله تكريما لعبده ورسوله .

على أن كتب التراث وفى مقدمتها البخارى لم يدققوا فى الرواية فى شأن الاسراء والمعراج كما ينبغى فالبخارى وفضله لا ينكر حين تحدث عن الاسراء أوجز ، وحين تعرض للمعراج أطنب ، وخلط بين الأمرين فى رواية المعراج وروى شق صدر رسول الله قبل اسرائه وكثير من العلماء ينفى أن يكون شق صدره وهو كبير ، وجعلوا شق صدره فى طفولته حين كان مسترضعا فى بنى سعد بن بكر ، ومن العلماء المحدثين من ينفى شق صدره ومنهم الشيخ عبد الجليل عيسى كذلك يروى البخارى أن النيل والفرات ينبعان من الجنة . ويورد البخارى فى حديثه عن المعراج كلمة صدرت من موسى عليه السلام لا تصدر من رسول . قيل له وقد تجاوزه النبى — صلوات الله عليه — ما يبكيك ؟ قال : « أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى » ولا داعى لتحسين الكلام بأنه سبق فى الزمان فمحمد صلى الله عليه وسلم كان فى الخمسين من عمره حسب تقديرهم حين الاسراء والمعراج ،

وليس بين الانبياء تحاسد ولا عداء فهم اخوة مهمتهم تخصيص الله بالعبادة وهدايتهم للناس ، بل انهم يبشرون بمن يأتى بعدهم لحمل الرسالة وأداء الامانة ... وموقف موسى من حب التخفيف عن أمة الاسلام فى شأن الصلاة — ان أخذنا بما روى — ينفى أن يقول عن الرسول غلام ، ومن هذا القبيل لا أتقبل ما تقوله كتب التراث نقلا عن منكرى رسالته من قريش انه يتيم أبى طالب أو ما شاكل ذلك ، والقرآن نقل ما قالوه ، ولم يجىء فيه وصف بالغلام أو اليتيم من أقوال الكفار .

على أن ابن هشام فى السيرة النبوية قارب ولم يشتط فى حديثه عن الاسراء والمعراج ، لانه يروى عن ابن اسحق وابن اسحق توفى سنة ١٥١ هـ وعاصر الامام مالكا وكان بينهما ما بين المتعاصرين من التنافس،وله المام برواية الحديث فهو يقدم على غيره فى الرواية ممن تأخر عنه .. وقد روى أحاديث تخص الاسراء وأحاديث تخص المعراج فى عبارة عربية تنبض بالاداء العربى البعيد عن الصناعة أو التكلف . واقرأ معى ما رواه عن موسى .. يقول الرسول : ثم أصعدنى الى السماء السادسة ، فاذا فيها رجل آدم[1] طويل أقنى [2] كأنه من رجال شنوءة فقلت له : من هذا يا جبريل .قال: هذا أخوك موسى بن عمران ..

قال ابن اسحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى أن جبريل لم يصعد به الى سماء من السموات الا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث اليه ؟ فيقول نعم ، فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى الى السماء السابعة ، ثم انتهى الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم ..

قال رسول الله : فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ،

---

(١) آدم : أسود .
(٢) أقنى : مرتفع قصبة الانف .

ونعم الصاحب كان لكم • سألنى كمفرض عليكمن الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم ، فقال : ان الصلاة ثقيلة وان أمتك ضـــعيفة فارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك ، فرجعت فسألت ربـــى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشرا ، ثـــم انصرفت فمررت على موسى • فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فســــألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضــــع عنى عشرا ، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثـــل ذلك ، فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشرا ، ثم لم يزل يقول لى مثـــل ذلك كلما رجعت اليه ، قال فارجع فاســـأل ربك حتى انتهيت الى أن وضع ذلك عنى الا خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت الى موسى فقال لى مثل ذلك فقلت : قد راجعت ربى وسألته حتى استحيت منه ، فما أنا بفاعل • فمن أداهـــا منكم ايمانا بهن واحتســـابا لهن كان له أجر خمسين صلاة •• وهذا هو المنتظر من الانبيـــاء والمرسلين والذين يجعلون من موقف موسى صفة بنى اسرائيل واهمون فـــأين شئون الروح والعبادة من شئون المادة والتجارة ؟

ان الاسراء الى بيت المقـــدس كان من حكمة الله تعــــالى لربط بيوته بعضها ببعض ، وان كـــانت الكعبة لقدمها وأنها أول بيت وضع للناس هى الام الا أن بيوت الله قوامها الايمان وتوحيد الله ،وبما أن أمةالاسلام هىجامعةالرسالات وجهها الله بالاسراء الى الهيمنـــة على الاماكن المقدسة ، وقد قـــام الصحابة رضواء الله عليهم بمـــا يجب نحو بيت المقدس ، وســـار على نهجهم المسلمون فى جميـــــع العصور ، لم يفرطوا فى المســـجد الاقصى ولا فى بيت المقدس ، وقد تصدوا للصليبيين على مدى قرنين من الزمان حتى أجلوهم وطهروا بيت المقدس من دعـــــاة الصليب والاستعمار وانك حين تقرأ تاريخ الحروب الصليبية ترى بطـــولة مؤمنة سجلها القلم بمداد من نور وأدب الحروب الصليبية أدب دام متدثر برداء أخضر من أكســــية الجنة •• اقرأ معى مايقوله الشاعر

الجوينى حين فتح صـلاح الدين بيت المقدس تجد علامة على ما أقول قال :

جند السماء لهذا الملك أعـوان
من شك فيه فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما تحكيه فى زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان ؟
هذى الفتوح فتوح الانبياء وما
لها سوى الشكر بالافعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده
صيدا وما ضعفوا يوما ولا هانوا
تسعون عاما بلاد الله تصرخ والا
سـلام أنصاره صـم وعميان
للناصر ادخرت هذى الفتوح وما
سمت لها همم الاملاك مذ كانوا
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد
تنزلت فيـه آيات وقـرآن

وها نحن أولاء الآن فى موقف شبيه بموقف المسلمين من الصليبيين فمتى نعيد المسـجد الأقصى الى دار الاسلام ؟ انه مسرى رسـول الله ، وثالث مساجد المسلمين التى تشد اليها الرحال، وتراث الصحابة وذكرى صلاح الدين • والمسلمون فى جميع الأقطار الاسـلامية مطالبون بعودة المسـجد الاقصى اليهم ويومئذ يفرح المؤمنون •

السيد حسن قرون

المَادَة المَعجَميَّة

معناها وتطور بعض ألفاظها الإسلامية

للدكتور / أمين فاخر

لم تذكر المعاجم العربية معنى محددا لكلمة (المادة) ولكنها ذكرت فى تفسيرها معنى عاما لا يبين بوضوح ما نفهمه منها الآن • فقد ذكر الجوهرى فى الصحاح والفيروز أبادى فى القاموس المحيط وغيرهما أن المادة هى الزيادة المتصلة كما ذكر ابن فارس فى معجمه مقاييس اللغة فى (مد) أن من معانى (الميم والدال) : اتصال شىء بشىء فى ازدياد •

ولكنا حين نتأمل كلام علماء اللغة قديما وحديثا نجد أنهم قد يعنون بالمادة تلك الحروف الاصلية التى تتكون منها الالفاظ الدالة على المعانى •

وربما يمكن الجمع بين ما قاله أصحاب المعاجم فى معنى المادة • وبين ما استعملت فيه هذه الكلمة لدى علماء اللغة وغيرهم بأن يقال ان المادة عبارة عن سلسلة متصلة من الحروف الاصلية ــ فلا يوجد بينها حروف زائدة ــ ولذلك يسميها بعضهم تركيبا أو بناء أو أصلا أو جذرا ، فالحروف الثلاثة (ع ل م) مثلا يتكون منها صيغ كثيرة ، منها : علم وعالم ومعلوم وعلم ويعلم وأعلم وتعلم يتعلم الخ • وقد ذكر علماء اللغة أن هذه الصيغ المتفرعة من المادة الاصلية قد يؤخذ بعضها من بعض بشرط الاتفاق فى المعنى وفى ترتيب الحروف الاصلية بغض النظر عما يتخللها من زوائد ، وذلك ما سموه بالاشتقاق الصغير أو الاشتقاق

العام الـــذى هـــو أكثر أنـــواع الاشتقاق ورودا فى العربية •

ويفيد كلام السيوطى ـــ حكاية عن بعض علماء اللغة ـــ أن أصـــل هذه الصيغ جميعا هو المصدر لانه يدل على الحدث وحده ، أما بقية الصيغ فتدل عادة على معنى زائد عن هذا الاصل ـــ ســـواء تساوت معه فى عـــدد الحروف أم اختلفت عنه فى الزيادة أو النقصان ـــ وقد أورد مثالا لذلك هو « ضرب » فانه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلهـــا أكثر دلالة وأكثر حروفا ، وضرب المـــاضى مســـاو حروفا ، وأكثر دلالة ، وكلهـــا مشتركة فى (ض ر ب) وفى هيئة تركيبها »[١]

وفى الحق أن اعتبـــار المصـــدر أصل المشتقات كما يذهب الى ذلك البصريون أو اعتبار الفعـــل هـــو الاصـــل كمـــا يـــذهب الى ذلك الكوفيون انما هـــو رجـــوع الى توضيح معنى الاشتقاق عند علماء الصرف الذين يقصرون الاشتقاق على الانواع السبعة المعروفة التى هى (اسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة باســـم الفـــاعل واســـم التفضيل وأســـماء الزمان والمكان والآلة) •

اما علماء اللغة فانهم يوسعون دائرة الاشتقاق حيث يعتبرون من المشتقات كل صـــيغة أخـــذت من غـــيرها بشرط الاتفـــاق فى المعنى والحروف ، والذى يجمع كل هذه الصيغ المتفقة فى الحروف وترتيبها والمتفقة كذلك فى المعنى أو المتقاربة فيه ، أو البعيدة فيه أحيانا انمـــا هو تلك الحـــروف الاصـــلية التى تسمى بالمادة •

ومن هنا يمكن القول بأن المادة أو هـــذه الحروف الاصـــلية هى الاصل الذى يؤخذ منه أو تشـــتق منه كل الالفاظ المتفرعة منها بشرط أن تكون محتفظـــة بنفس الترتيب لهذه الحروف • ولعل هذا يوضح ما نســـب الى بعض كبـــار علماء اللغة القـــدامى من ان الكلام كله

(١) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٣٤٧ •

فقــد ذكر السيوطى فى المزهر أن الآراء فى ذلك ثلاثة :

١ ــ « فقال سيبويه والخليل وطائفــة : بعض الكلم مشــتق وبعضه غير مشتق » .

٢ ــ وقالت طائفة من المتأخرين اللغــويين : كل الكلم مشــتق ، ونسب ذلك الى سيبويه والزجاج.

٣ ــ وقالت طائفة من النظار : الكلم كله أصل » (١) .

وعــلى الرغــم من تضــعيف السيوطى ــ أو من حكى عنــه ــ لهذا الرأى حين ذكر أن « الرأى الاوسط تخليط لا يعد قولا ، لانه لو كان كل منهما فرعا للآخر لدار أو تسلسل ، وكلاهمــا محال ، بل يلزم الدور عينا ، لانه يثبت لكل منهما أنه فرع وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل ، ضرورة أن المشتق كله راجع اليه أيضا .. » (٢) .

نقول عــلى الرغم من ذلك فان أصحاب هــذا الرأى القــائل بأن الكلام كله مشتق كانوا ــ حتما ــ يقصــدون من ذلك أن الحــروف الاصلية التى هى المادة أصل لكل ألفاظ اللغة ، فلم يكن ليخفى عليهم أن اشتقاق كل الالفاظ بعضها من بعض يؤدى الى شىء محال هــو الدور أو التسلسل .

ومن اللغويين المحدثين أيضا من ذهب الى هــذا المذهب مؤكدا أن الحروف الاصلية للمادة فى المعاجم هى التى تربط بين الالفاظ المأخوذة من هذا الاصل وأنه « اذا صــح لنا أن نوجد رابطة بين الكلمــات فينبغى لنا أن لا نجعل واحدة منها أصلا للاخرى وانمــا نعــود الى صنيــــع المعجميين بالربط بيــن الكلمات بأصول المادة ، فنجعــل هذا الربط بالاصول الثلاثة أصل الاشتقاق ، فالمصدر مشتق منها ، كذلك » (٣) .

ويبدو أن هؤلاء لا يشــترطون للاشتقاق حينئــذ الاتفــاق بين المأخوذ والمأخوذ منــه فى المعنى ،

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٣٤٨ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ــ د. تمام حسان ص ١٦٩ .

وانما يرون أنه مطلق الاخذ ، أى أخذ كلمة من حروف متشابهة معها فى اللفظ فقط فلا نستطيع على رأيهم « أن ننسب الى الاصول الثلاثة أى معنى معجمى .. وانما نجعل لهذه الاصول معنى وظيفيا هو ما تؤديه من دور تلخيص العلاقة بين المفردات » (١) .

ولكن يبقى أمامنا هذا السؤال: هل يمكن أن نسمى بالمادة كل أصل من هذه الاصول مع ما تفرع منه من كلمات ؟

والاجابة على هذا التساؤل ـ فى الواقع ـ ليست بالامر السهل ، فلقد قامت دراسات لغوية من جانب بعض المحدثين حول بعض المعاجم العربية حاولوا فيها تحديد معنى المادة اللغوية ،وقابلوا فى ذلك بعض الصعوبات ، ذلك أنه مثلا قد شاع بين الباحثين من علماء اللغة « أن الصحاح قد اشتمل على أربعين ألف مادة ، زانها الحسن والصحة والبيان ، وأن صاحب القاموس توسع فجمع فيه ستين ألف مادة ، ولسان العرب اشتمل على ثمانين ألف مادة » (٢) .

فاذا أردنا تطبيق هذه الاعداد على ما وجد فى هذه المعاجم من حروف أصلية كالاصل (ع ل م) مثلا دون ما تفرع منه من ألفاظ ، فان المواد الموجودة فى هذه المعاجم لا يمكن أن تصل الى ربع هذا العدد أو خمسه ، ففى دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح وجد أن الجوهرى قد أورد فى معجمه جذورا عددها ٥٦٣٩ جذرا فقط (٣) وليس أربعين ألفا كما هو شائع .

واذا أردنا تطبيق هذه الاعداد على الاصل مع ما يتفرع منه مثل: علم ، يعلم ، اعلم ، عالم ، معلوم عليم ، عالمان ، عالمون ، متعلم ، اعلمى ، اعلما ، اعلموا .. الخ . فذلك قد يصل بعدد المواد الى أضعاف ما ذكر من هذه الاعداد .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مقدمة تاج العروس ص ٢٣ .

(٣) أنظر مثلا : دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر) للدكتور على حلمى موسى ص ١٩ .

ويوضح ما تقدم قول أحمد فارس الشدياق فى دراسته للقاموس المحيط : « ان قول المحشى وغيره ان القاموس جمع ستين ألف مادة فيه نظر ، لانهم ان أرادوا بالمواد مثل : كأب ، وكبيب ، وكتب ، وكثب ، فهذا المقدار أى الستين ألفا كثيرة ، فانى تتبعت القاموس من أول حرف الهمزة الى آخر الظاء ،وهو نصف حجمه تقريبا ، فلم أجد سوى خمسة آلاف وأربعمائة واحدى وخمسين مادة من جملتها المواد الزائدة على الصحاح ولا شك أن الباقى أقل ، وذلك لطول المواد فيه ، فربما ملأت المادة الواحدة منها صفحتين ، وان أرادوا المادة وما يشتق منها فذلك فوق العدد فربما أناف على المليون » (١) .

ومن هنا حاول بعض الدارسين تحديد معنى المادة تحديدا أكثر دقة ، وخلاصة ما توصل اليه فى ذلك (٢) أن الجذر ليس وحده المادة ، كما أن الالفاظ المتفرعة منه ليست كلها مواد ، وانما قديحتوى الجذر على عدة أصول تتفرع منها كلمات بالتجريد أو بالزيادة ، ويمكن أن يطلق على كل أصل من هذه الاصول المتفرعة من الجذر أنه مادة .

وما قيل فى الصحاح والقاموس يمكن أن يقال فى « لسان العرب » حيث أن تحديد ما فيه من المواد بثمانين ألفا فيه نظر .

وتتفق المعاجم العربية جميعها فى أنها تتخذ الحروف الاصلية أساسا لما تفرع منها من ألفاظ ، ولذلك فحين نكشف عن معنى كلمة فى أى معجم منها لابد من ملاحظة أمرين :

الاول : تجريد الكلمة من الزوائد فكلمة (استكبر) مثلا يبحث عنها فيما وضع تحت الحروف (ك ب ر)

والثانى : ارجاع الحروف المبدلة الى أصلها ، فكلمة (قال)

---

(١) الجاسوس على القاموس ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٢) انظر : دراسات فى القاموس المحيط — د . محمد مصطفى رضوان ص ٨٦ .

مثلا يبحث عنها فى (ق و ل) لان الالف أصلها واو ، وهكذا .

ولكن المعاجم العربية تختلف بعد ذلك فى ترتيب هذه الاصول وأبوابها وفصولها ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله تعددت المعاجم حيث قسمت فيما بعد الى أنواع ثلاثة :

فالنوع الاول سار فى ترتيب المواد حسب التقليبات فى حروف هذا الاصل وهذه التقليبات قد تكون على حسب مخارج الحروف حيث يبدأ بالابعد مخرجا وهـ حروف الحلق ، وتنتهى بالاقرب مخرجا وهى حروف الشفة ، وتسمى بالتقليبات الصوتية وقد أخذ بهذا الترتيب الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) فى معجمه العين ،وتبعه فى ذلك أبو على القالى (ت٣٥٦هـ) فى معجمه « البارع » ، والازهرى (٣٧٠ هـ) فى تهذيب اللغة ، والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) فى المحيط ، وابن سيدة (٤٥٨ هـ) فى المحكم ، وقد تكون التقليبات حسب الترتيب الابجدى الشائع الآن ، وقد أخذ بهذه الطريقة ابن دريد (٣٢١ هـ) فى معجمه الجمهرة .

ويمكن أن نمثل لذلك بالجذر (ع ر ف) فانه يأتى فى باب العين عند من اتبع نظام التقليبات الصوتية لان العين فيه أبعد الحروف مخرجا ، ويأتى مع هذا الجذر (ع ف ر) ، (ر ع ف) ، (ر ف ع) ، (ف ع ر) ، (ف ر ع) ويشرح المستعمل من الجذور وينبه على المهمل منها .

ولكن هذه الجذور كلها تأتى فى معجم الجمهرة المتبع طريقة التقليبات الابجدية فى باب الراء لانها أقرب الحروف من الناحية الابجدية المعروفة .

وأما النوعان الثانى والثالث من المعاجم فقد سار أصحابها فىتنظيم المواد حسب الترتيب الابجدى العادى الا أن أحدهما رتب فيه المواد على الحرف الاخير من الكلمة فجعل بابا وجعل الاول فصلا وهذا الترتيب هو المعروف بنظام القافية أو مدرسة القافية ، وأخذ به الجوهرى (٣٩٨ هـ) فى

معجمه الصحاح وتبعه فى ذلك ابن منظور (ت ٧١١ هـ) فى لسان العرب ، والفيروز أبادى (٨١٧ هـ) فى القاموس المحيط .

ورتبت المواد فى النوع الآخر حسب الحرف الاول ثم الثانى والثالث وسمى بعض الباحثين هذا النظام بمدرسة الابجدية العادية. وقد اتبع هذا النظام ابن فارس (٣٩٥ هـ) فى معجميه : مقاييس اللغة ، ومجمل اللغة ، مع اختلاف يسير فى ترتيب حروف المادة ، ولكن أكثر الباحثين يعدون الزمخشرى (٥٣٨ هـ) فى أساس البلاغة أول من اتبع هذا النظام باحكام ، وقد تبعه فى هذا كثير من أصحاب المعاجم ، وظل هذا الترتيب متبعا فى المعاجم الحديثة لما يمتاز به من السهولة واليسر .

فهذا الأختلاف فى ترتيب المواد ــ كما أشرنا ــ هو الذى قسم معاجمنا العربية الى الانواع الثلاثة السابقة ، وان كان كل معجم منها له ميزة تميزه عما عداه ولكل واحد من أصحابها هدف خاص يرمى اليه من تأليف معجمه .

أما ترتيب المشتقات المتفرعةمن أصل المادة فيكاد أصحاب المعاجم جميعا يتفقون على عدم التزامهم فى ذلك بنظام معين يتبعونه فى شرح هذه المشتقات وترتيبها ، فلم يلتزموا مثلا بتقديم الافعال على الاسماء ، أو تقديم بعض أنواع كل من الاسم والفعل على بعضها الآخر وغير ذلك .

وربما يحسب بعض الباحثين عدم ترتيب المشتقات فى المادة عيبا يمكن أن يؤخذ على معاجمنا العربية ، ولذلك رأينا اللجنة التى قامت بوضع معجم جديد هو المعجم الوسيط قد حرصت على تلافى ذلك ، حيث سارت على خطة موضوعة فى ترتيب هذه المشتقات فى المادة الواحدة(١) ، فلاحظت تقديم الافعال على الاسماء ، والمجرد من الافعال على المزيد ، والمعنى الحسى على المعنى العقلى

---

(١) انظر فى ذلك مقدمة المعجم الوسيط ص ١٤ .

والحقيقى على المجازى ، والفعل اللازم على المتعدى ، ورتبت الافعال المجردة أو المزيدة على نحو معين •

كما رأينا من المحدثين وخاصة المستشرقين من أخذ على معاجمنا العربية أنها لم تتجه فى شرح الالفاظ الى بيان تاريخها ، ولذلك فكر بعضهم فى وضع معجم عربى حديث يبين هذه النواحى التى قصر فيها الاقدمون ويراعى فيه ما لاحظه الاوربيون فى معاجمهم •

وكان من أبرز هؤلاء المستشرق الالمانى (بروفيسير فيشر ت ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩م) الذى عنى كثيرا بدراسة المعاجم ولهجات الشعوب المختلفة ، وقد دعا الى وضع هذا المعجم العربى الحديث فى تقرير قدمه الى المجمع اللغوى بمصر ، وكان عضوا فيه ، وبين فى تقريره عيوب المعاجم العربية القديمة التى كان من أهمها أنها قد أهملت النواحى التاريخية للكلمة كما لم تبين كيف استعلمت الكلمة فى بادىء الامر ولا كيف تطورت فى استعمالها لدى الشعراء أو الكتاب وخاصة فى عصور الاحتجاج •

وقد بدأ هو بالفعل فى وضع هذا المعجم الذى رتبه على المصادر وعكف على اعداده أربعين عاما ، ثم قدم أصوله الى المجمع اللغوى الذى أقر طبعه ، وقد عرف هذا المعجم باسمه (معجم فيشر) •

هل يمكن وضع معجم جديد ؟

والحقيقة أننا لا ننكر أن هذا المستشرق الالمانى قد أجهد نفسه فى وضع هذا المعجم اللغوى العربى ، ولكننا مع هذا نرى أنه لا يمكن لاحد من المحدثين أن يضع معجما فى العربية أفضل مما وضعه المتقدمون من علمائنا العرب القدامى ، وليست هذه دعوة الى الجمود أو الرجعية أو التعصب ، ولكنها قد تكون دعوة الى المحافظة على لغتنا العربية الفصحى لغة القرآن الكريم التى ينبغى أن تظل كما هى وكما نطقها العرب الفصحاء ، وأن لا يلحقها من

التغير والتطور ما لحق اللغات الاخرى على الرغم من أن هذا التطور قد يكون أمرا طبيعيا فى اللغات .

ونحن كذلك لا ننكر على المحدثين أن يضعوا معجما عربيا حديثا يعتمد على معاجمنا العربية القديمة فى مادته وفيما يحتويه من ألفاظ ومعان كما وضع المعجم الكبير والمعجم الوسيط وكذلك تلك المعجمات التى وضعت لاختصار بعض المعاجم القديمة أو تنظيم موادها وترتيبها ترتيبا سهلا كما فى مختار الصحاح ونحوه ، ولكن الذى ننكره أن نضع تاريخا أو تطورا لبعض ألفاظ العربية الفصحى قد لا نكون على بينة منه .

وما ينادى به المستشرق فيشر وغيره من وجود نقص أو مآخذ فى معاجمنا العربية القديمة يكاد ينحصر فى نظرى — فى ثلاثة أمور هى :

١ — أنها خلت من ذكر تاريخ الالفاظ .

٢ — أنها خلت من بيان التطور اللغوى الذى أصاب كثيرا من الالفاظ فى استعمالها ودلالتها .

٣ — أنها لم تذكر المعنى العام الذى يجمع معانى المادة اللغوية، وكذلك لم تذكر ما بين الالفاظ المتفرعة من هذه المادة من علاقات وأواصر .

أما الامر الاول فان البحث فى تاريخ الالفاظ أو الاتجاه التاريخى فى دراسة اللغة بصفة عامة وفى وضع المعاجم بصفة خاصة قد يؤدى أحيانا الى الخلط والاضطراب ، وهذا ما ذهب اليه بعض المحدثين من علماء الغرب أنفسهم أمثال اللغوى السويسرى (فرناند دى سوسير) الذى يعتبره بعضهم زعيم المدرسة اللغوية الحديثة حيث يقرر هذا اللغوى — كما يذكر بعض الباحثين[1] — أن العوامل

---

(١) د . عبد الرحمن أيوب فى كتابه : اللغة والتطور انظر ص ٦٠

التاريخية فى الحكم على اللغة الواقعية قد يجر الى كثير من الخطأ ، وأن التسلسل التاريخى للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذى يواجه وضعا لغويا ثابتا ، وأن مذهب اللغويين القدامى « كان سليما فى حد ذاته ، حيث كانوا يهدفون دائما الى تحرى واقع اللغة ، ولا يغرقون فى الجرى وراء الخيال الذى يطمح بهم الى محاولةتصور الاصل الذى كانت عليه ، ومن ثم فقد كانوا أكثر واقعية من أصحاب المدرسة المقارنة » التى هى أساس الدراسة التاريخية .

هذا بالاضافة الى أن دراسة تاريخ الالفاظ — فى العربية خاصة — أمر صعب ذلك أن الباحثين لم يستقروا بعد على معرفة شىء محقق عن طفولتها الاولى ، وما ورد الينا من شعر رصين ونثر قوى انما ينبىء عن لغة بلغت غاية الكمال ، ولا يكشف شيئا عن طفولتها وكيف تطورت(١)

التطور فى الالفاظ :

وأما عن التطور فى الالفاظ ،فان لغتنا العربية — رغم حدوث تطور فى كثير من ألفاظها — تختلف عن كثير من اللغات فى هذا الامر ، وذلك بسبب حرص المتكلمين بها وكذلك الدارسين لها على بقائها ثابتة لا تتغير ، فقد جاءت دراسة اللغة لتخدم القرآن الكريم ، ولو أن أصحاب المعاجم اتجهوا هذا الاتجاه فدرسوا فى معاجمهم الالفاظ بعد تطورها لكان شأنهم فى هذا كمن يدرس اللهجات العامية التى أصبحت تمثل لهجة أو لهجات بعيدة كل البعد عن اللهجات العربية الفصيحة وعن اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم فى حين ينبغى أن تكون هذه الدراسة بعيدة عن معاجمنا العربية .

واذا كانت بعض المعاجم العربية قد أهملت ذلك التطور

---

(١) أنظر فى ذلك : اللهجات العربية د٠ ابراهيم نجا ، ص ٦٢ .

الموجود فى معانى بعض الالفاظ لعدم الوقوف على معرفة أصلها ونشأتها وتطورها فاقتصرت على ذكر المعنى الاصلى الذى قد يكون هو المعنى الموضوع له اللفظ فان معظم هذه المعاجم ان لم يكن جميعها قد عنى بذكر المعانى الجديدة التى أحدثها الاسلام ، فمعروف أن الاسلام كان له أثر كبير فى اللغة فقد أمات بعض الالفاظ وأبدل بها ألفاظا أخرى ، كما استحدث ألفاظا وتراكيب جديدة اقتضتها تعاليمه ، كمانقلت بعض الالفاظ من معانيها الوضعية المعروفة لدى فصحائهم منذ نشأتهم الى معان جديدة اقتضتها أيضا تعاليم الاسلام ، ولذلك وجدنا كثيرا من هذه المعاجم يعنى فى مواده اللغوية بهذا التطور اللغوى الكبير .

كما نبه الى هذا التطور الذى أحدثه الاسلام فى الالفاظومعانيها كثير من علماء اللغة فى بحوثهم فى فقه اللغة ، وقد نقلوا ذلك أحيانا من كتب المعاجم .

فيذكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) مثلا فى كتابه المزهر بابا سماه (معرفة الالفاظ الاسلامية)يحكى فيه أقوال علماء اللغة فى أثر الاسلام فى بعض الالفاظ سواء من ناحية الترك والازالة أو النقل لبعض الالفاظ من المعنى الوضعى الى معنى جديد استحدثه الاسلام ومن هؤلاء العلماء الذين حكى عنهم السيوطى : ابن فارس فى كتابه الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ومعجمه : المجمل فى اللغة ، وابن برهان فى كتابه الاصول والتاج السبكى وابندريد والجوهرى فى الصحاح والثعالبى فىفقه اللغة والتبريزى وابنخالويه وغيرهم .

دكتور / أمين فاخر

قضية القدس

تقدم مجلة الأزهر فى هذا العدد ملفا كاملا يحتوى على :

* القدس فى القرآن والسنة ٠

* القدس فى التاريخ ٠

* مواقف الأزهر فى العمل لهذه القضية حتى يتبين للقارىء دور الأزهر فى هذه القضية الاسلامية التى تهم أكثر من ألف مليون مسلم كما تهم كل انسان باحث عن الحرية والكرامة فى هذا العصر ٠

بيت المقدس
فى القرآن والسنة

للأستاذ / عبد المعز عبد الحميد الجزار

غلب على مدينة القدس بعد الفتح الاسلامى اسم : بيت المقدس ، أى : المكان المطهر من الذنوب ، واشتقاقه من القدس وهى الطهارة والبركة ،ومعنى بيت المقدس : المكان الذى يتطهر فيه من الذنوب ، ويقال : المرتفع المنزه عن الشرك .

والبيت المقدس : أى المطهر ، وتطهيره واخلاؤه من الأصنام .

وبيت القدس – بضم القاف والدال ثم تسكين الدال .

بيت المقدس فى القرآن :

وبيت المقدس بقعة من بقاع الجنة ، هو قبلة المسلمين الأولى ، وسيد البقاع ، ومهبط الرسالات ، وثالث الحرمين ، ومحل الرحمة ، وموطن البركة ، وحذوه باب من السماء ، يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلى فيه ، وهو أرض المحشر والمنشر ، واليه أسرى بسيد البشر – صلوات الله وسلامه عليه – ، ومنه عرج به الى السموات العلى ، الى سدرة المنتهى . قال الله تعالى : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** .

أى تنزيها لله تبارك وتعالى عما لا يليق به وهو الذى سير عبده محمدا – صلى الله عليه وسلم – من مكة الى مسجد بيت المقدس

الذى بارك الله حوله فكـان مقر الأنبياء المصطفين الأخيار ، وكان قبلتهم ، ومهبط الملائكة والوحى ، وفيه يحشر الناس يوم القيـامة وهذه فضيلة لبيت المقدس ولو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكفت لانـه اذا بـورك حـوله ، فالبركة فيه مضـاعفة ، ومع ذلك نجد كثيرا من الآيات التى ذكرهـا الله فى فضل هذا البيت فيقول عز وجل اخبارا عن نبيه موسى عليـه السلام : **« واذ قال موسى لقومه ادخلوا الأرض المقدسة ... »** أى المطهرة . وروى فى قوله تعـالى **« ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعـالمين)** قـال هى الأرض المقدسة بارك اللـه فيهـا للعـالمين . وقـال تعـالى : **« أن الأرض يرثها عبادى الصالحون »** قيل فى أحد الأقوال أنهـا الأرض المقدسة ترثها أمة محمـد صـلى الله عليه وسلم . وقال تعـالى : **« وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين »** قال ابن عبـاس هى بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب وقال تعالى : **« واسـتمع يـوم ينـاد المنـاد مـن مكان قريب »** المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينادى من صـخرة بيت المقـدس بالحشر .

وسمى بالأقصى لبعد المسـافة بينه وبين المسجد الحرام ، وقيل : كان أبعد مسجد عن أهل مكـة فى الأرض يعظم للزيارة ، وقيـل : لبعده عن الأقـذار والخبـائث ، ولكثرة سلام الملائكـة فيـه وعن عطاء الخراسـانى قـال : بيت المقدس بنته الأنبيـاء ، وعمرتـه الأنبياء ، والله ما فيه موضع شبر الا وقد سجد فيه نبى .

فى السنة المطهرة :

واذا كانت هذه مكانة القدس فى القرآن فان السنة المطهرة تشـيد بمكانتها بمثل ذلك .

روى الامام أحمد رضى اللـه عنه فى مسنده من حـديث أمـامة قال: : قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم « لا تزال طائفـة من أمتى على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ،

ولا ما أصابهم من اللأ واء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا يارسول الله وأين هم ؟

قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس .

وقد كلم الله موسى فى أرض بيت المقدس ، وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام فى أرضه ، ورد الله على سليمان ملكه فيه ، وبشر الله زكريا بيحيى فى بيت المقدس ، وأوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا أن يدفنا بأرض بيت المقدس ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : النجاء النجاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن . قال يارسول الله فان لم أدرك بيت المقدس ؟

قال « فابذل واحرز دينك وفى لفظ آخر « فابذل مالك واحرز دينك » .

والصخرة فى المسجد الأقصى كالحجر الأسود فى المسجد الحرام ، اذ هى سيدة الصخور وعن وهب بن منبه رضى الله عنه يقول : قال رب العزة جل وعلا لصخرة بيت المقدس لأضعن عليك عرشى ، ولأحشرن عليك خلقى » .

وعن أم عبد الله ابنة خالد بن سعدان عن أبيها : لا تقوم الساعة حتى تزف الكعبة الى الصخرة ، فيتعلق بها جميع من حجها واعتمرها ، فاذا رأتها الصخرة قالت : مرحبا بالزائرة والمزورة .

فيها فرضت الصلاة :

وفى سماء القدس فرض الله الصلوات الخمس على نبيه صلوات الله وسلامه عليه ومن هنا علت مكانته ، وعظمت قدسيته وأولاه المسلمون عنايتهم وبذلوا أرواحهم ودماءهم فى سبيل الحفاظ على صبغتها الاسلامية ، وأبقوها وديعة فى أعناق المسلمين من أهل هذا الزمان .

عبد المعز الجزار

القدس فى التاريخ

للأستاذ / حمدى الليثى

أنشأ الكنعانيون وهم عرب فى الألف الرابعة ق • م • مدينة أسموها « يورد سالم » أو « يورو شالم » — أى منشأة الاله سالم أو شالم — وظل هذا الاسم شائعا ، منذ ذلك العهد الى يومنا هذا مع شىء من التغيير — علاوة على الأسماء الأخرى التى ظهرت فى بعض المراحل التاريخية•

ومن « يورد سالم » هذه جاء الاسم الغربى etusalew المستعمل فى اليونان واللاتينية والألمانية والفرنسية والانجليزية وما اليها هذا الاسم أيضا جاءت «أورشليم» الواردة فى الكتاب المقدس •

استولى العبرانيون على المدينة فى القرن العاشر ق • م على يد الملك داود الذى اتخذها عاصمة ملكه ووحد الأسباط وعزم على بناء الهيكل ولكنه توفى فبناها ابنه سليمان ونقل اليه تابوت العهد وصار الهيكل بيتا مقدسا يذكر فيه اسم الله •

وانحرف العبرانيون عن الصراط المستقيم فعبدو الأوثان وتنكروا لرسالة الله الواحد الأحد وارتكبوا الفواحش وظلموا وتكبروا وقتلوا الأنبياء بغير حق فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وسلط عليهم أعداءهم •

فقضى الأشوريون سنة ٧٢١ ق • م على مملكة اسرائيل وقضى البابليون سنة ٥٨٥ ق • م على مملكة يهوذا ودمروا الهيكل وسبوهم وعانى اليهود فى السبى ما عانوا •

ثم أحسن اليهم الفرس وأعادوا

من أراد منهم الى بيت المقـــدس سنة ٥٣٨ ق ٠ م ولكنهم لم يتعظوا بما حل بهم ولم يصغوا الى أنبيائهم فضربهم الرومان سنة ٧٠ ب ٠ م على يد الامبراطور (تيطــوس) الذى دمر المدينة وأحرق الهيكــل ومرة ســـنة ١٣٥ ب ٠ م على يد الامبراطور (حدريانوس) الذى محا المدينة محوا تاما وغير اسمها الى : ايليا كابيتولينا ــ أى اليـــا العظمى ــ وشتت سكانها ٠

وحين تنصر الرومان فى القـــرن الرابع الميلادى اشـــتدت الوطأة عليهم بسبب غدرهم بالسيد المسيح وحرمت المدينة عليهم وصار مكان الهيكل قمامة تجمع فيها القاذورات من المدينـــة ومن خارجهـــا وفتح المسلمون المدينة فى السنة السابعة عشرة للهجــرة ــ ٦٣٦ م وبدأت صفحة جديدة لم يعــرف اليهــود أجمل منها ولا أكرم ٠

أزال الخليفة «خليفة المسلمين» عمر بن الخطـــاب رضى الله عنـــه بيده ما تراكم على الصـــخرة من قاذورات « وجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبنى اسرائيل فبسط رداءه وجعل يكنس ذلك الذبل وجعــل المســـلمون يكنسون معه الذبل ومضى نحـــو محراب داود فصـــلى فيه ثم قرأ سورة ص وســـجد (١) وتتبـــع المسلمون مساجد الأنبياء واحـــدا واحدا ابتداء من ابراهيم الى آخر من دفن منهم فى فلســـطين وبيت المقدس فأعادوا بناءها وحافظــوا على قدسيتها وطهروها تطهيرا ٠

وبدأ اليهود بعد الفتح الاسلامى يعـــودون الى المدينـــة للزيارة ثم للعمل والسكن والعبـــادة بعد أن حرموا من ذلك حرمانا تاما زمـــن الرومـــان : وثنيـــين كـــانوا أو مسيحيين وأســـند الى أفـــراد منهم : خدمة المسجد الأقصى وعمل « القنـــاديل والأقـــداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية ــ جـــاريا عليهم وعلى أولادهم أبدا ما تناسلوا من عهد عبـــد الملك بن مروان (٢) وبعد طردهم من أسبانيا

(١) مجير الدين الحنبلى ، الانس الجليل ، القاهرة ١٣٨٣ هـ ج ١ ص ١٥٣ ، ٢٢٧ ٠

(٢) المصدر السابق ١٤٩ ، ٢٥٠ ٠

سنة ١٤٢٩ م ذهب عدد كبير منهم الى الشرق العربى وفى خـلال سنوات قليلة أنضم الى يهود القدس ١٣٠ أسرة من أسبانيا حتى بلغ عددهم فيها ١٥٠٠ شخص واستمر تدفقهم على المدينة وصار عددهم سنة ١٥٢٢ م ١٣٠٠٠ أسرة (١) قامت ببيت المقدس أثناء الحكم الاسلامى حضارة رومانية فذة وتلاصقت المساجد والكنائس والمعابد وارتفع اسم الله عاليا واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور • ولم يخل الحال من أوقات ضيق عانى منها جميع السكان ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد وأراد اليهود فى هذه المرحلة السمحة أن يحرفوا اسم المدينة الكنعانى القديم فأطلقوا عليها اسم «يرو شالايم» بدل «يرو شالم» باضافة لاحقة عبرية كى تصبح عبرية النطق ولكن جميع الشواهد الأثرية والتاريخية واللغوية تثبت أن الاسم كنعانى قديم وأن التحريف طارىء •

وغلب على المدينة بعد الفتح الاسلامى اسم (بيت المقدس) أو « البيت المقدس » وهو دليل صدق على أن من استعمله أراد لهذه المدينة أن تكون مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى يؤمها المؤمنون جميعا للعبادة والطهارة •

ويؤخذ من ذلك أيها القارىء الكريم أن الحكم الاسلامى دام ١٣ قرنا تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء على أجزاء من فلسطين وعلى بيت المقدس وهذه أطول مدة فى تاريخ المدينة المقدسة ذاقت فيها حلاوة الاستقرار •

مزاعم مردود عليها : —

يزعم الاسرائيليون اليوم أن بيت المقدس لهم بمثابة الرأس للجسم ، ونحن نسأل أين بيت المقدس هذه التى يتحدثون عنها ؟ انها أور شليم التاريخية التى هدمها الرومان مرتين وأزالوا اسمها من الوجود وهى التى تنبأ السيد المسيح بخرابها حين قال لها

(٣) دائرة المعارف اليهودية ، لندن ١٩٠٤ ج ٧ ص ١٣٣ .

« يا أور شليم يا قاتلة الانبيــاء وراجمة المرسلين اليها هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » وحين قال لأحد تلاميذه .

« انتظر هذه الأبنية العظيمــة لا يترك حجر على حجر لا ينقضه» بل أن نبيهم سليمان تنبأ لها بهذا المصير حين قال لهم : « فانى أقطع اسرائيــل عن وجــه الأرض التى أعطيتهم ايــاها والبيت . الــذى **قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ».**

ان أورشليم هذهاندثرت بسببهم هم ثم جاء المسلمون وفتحوا على كنائسها ومعابدها وفى أثناء الحكم الاسلامى وحــده شرع اليهــود يعودون اليها ويقيمون فيها المعابد والمعاهد وفق الشروط التى وضعها الاسلام لأهل الذمة ثم ان المسلمين فى أثنــاء الاثنى عشر قــرنا التى حكموا فيها فلسطين اتخذوا بيت المقدس عاصمة لهم وتملكوا أرضها بالطرق الشرعية وأوقفــوا أكثرها على الخير والبر والعبـــادة ولم تهدم المدينــة ولم تحرق طــوال حمكهم كما فعل اليهــود اليــوم بالمسجد الأقصى ثم ان المســلمين بنوا المساجد والمــدارس والزوايا والتكايا والبيوت بأموالهم وظــلوا **فيها مرابطين صــابرين واختلطت** دماؤهم وعظامهم بتربتها .

فبأى حق — بعد هــذا يدعى الاسرائيليون اليــوم أنها مدينتهم المقدسة ؟

اذا كان بحق التاريخ ، فالتاريخ يحكم بأن مدينتهم اندثرت كليــة منذ ثمانية عشر قرنا .

واذا كان بحق البناء فالتــاريخ يحكم أن المسلمين هم الذين بنــوا وعمروا .

واذا كان بحكم الملكية فالتاريخ يحكم أن المســلمين هم المتلكون مدة اثنى عشر قرنا .

مواقف الأزهر المشرفة

قرارات وتوصيات المؤتمرات المتتابعة التى عقدها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية الذى انعقد بالقاهرة فى سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م وقد أوصى المؤتمر بالآتى

ـ بأن يولى المسلمون جميعا قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربى الاسلامى المغتصب تحريرا كاملا .

ـ أن تتولى الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى كل بلد اسلامى متابعة القضية الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها وانشاء مراكز اسلامية فى القدس .

ـ أن تنفذ الحكومات العربية جميعا قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصا وروحا وأن تساندها الدول الاسلامية فى ذلك مساندة كاملة .

قرارات وتوصيات المؤتمر
الثالث لمجمع البحوث الاسلامية
الذى انعقد فى سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م فهى :

يوصى المؤتمر : ـ

* تنبيه المسلمين فى جميع أقطار الأرض الى أن العمل الجدى

الدائم على انقاذ فلسطين من أيدى الصهيونيين الباغين الغاصبين هو فرض فى عنق كل مسلم ومسلمة ـ وأن الحرم الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى مقدس وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته ٠

قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع

لمجمع البحوث الاسلامية

الذى انعقد سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م فكانت كالآتى :

* يدعو المؤتمر الى انشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطينى ورعاية أسر المجاهدين والشهداء والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بلد اسلامى وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فان الانفاق فى سبيل الله من البر الذى أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التى نص القرآن الكريم عليه ٠

*يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا الى تعبئة القوى الروحية وتعميق القيم الاسلامية فى المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والقوات المسلحة وفى كل وسائل النشر والاعلام وبحثهم على التمسك بتعاليم الاسلام وآدابه وحشد القوى فى جميع المرافق والمصانع والمزارع استعدادا لمواجهة احتمالات الموقف ٠

* ان المؤتمر يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الاسلامية من جهود حميدة فى سبيل الهدف المشترك يوصى بالمزيد من هذه الجهود وبالتنسيق بينهما ليقف المسلمون صفا واحدا فى مواجهة الموقف الحاسم ٠

* يدعو المؤتمر الى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية

لتوثيق عرى المودة والتآخى والتعاون الفعـال بين البـلاد الاسـلامية تمهيداً لقيام الجامعة الاسلامية المنشودة .

* يوصى المؤتمر بالتعـاون الاقتصـادى بين الـدول العربيـة والاسلامية الى أقصى الحدود والعمل على تنسيقه بما يحقق التكـامل بين الدول الاسلامية والعربية .

* يهيب المؤتمر بالمسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الدينى فى تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلـة والحفـاظ على قداسته وعروبته فهو أول القبلتين وثالث الحـرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ومثوى الشهداء من صحابته .

* يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصـادرة من علمـاء المسـلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمـادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ (الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧ م) والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكـا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته .

أما المؤتمر الخامس الذى انعقد سـنة ١٣٨٩ هـ (سنة ١٩٧٠ م) فقد كان من مقرراته :

* يقرر المؤتمر أن اقدام اسرائيل على احراق المسـجد الأقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى وقمـة الاعتـداء على مشاعر المسلمين حيثما كانوا .

* يؤكد المؤتمر قراره فى العام الماضى بتأييد الفتـوى الدينيـة الصادرة من علماء المسلمين ومفتيهم وقضاتهم فى الضفة الغربية للأردن

بتاريخ ١٧ من جمادى الأول سنة ١٣٨٧ هـ (٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧ م) التى تنص على أن المسجد الأقصى المبارك بمفهومه وتحديده الاسلامى **يشمل المسجد الاقصى المعروف الآن،ومسجد الصخرة المشرفة والساحات** المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب وأن العدوان على أى جزء من ذلك كله هو انتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته وأن الحرم الابراهيمى المبارك فى الخليل مسجد اسلامى مقدس وأن كل اعتداء على أى جزء منه انتهاك لحرمته وقدسيته .

* يقرر المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الاسلامية والدفاع عنها يجب عليهم كذلك المحافظة على **مقدسات المسيحيين فى فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها** عملا بحكم العهدة العمرية وتعاليم الشريعة الاسلامية .

أما المؤتمر السادس الذى انعقد سنة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) فقد أكد على أن :

* المسجد الأقصى المبارك وسائر المقدسات الاسلامية ملك **المسلمين جميعا لا يملك أحد التصرف فيها والانتقاص من قدسيتها ، كما أن المقدسات المسيحية من واجب المسلمين حمايتهاوتأمين زيارتها لكل المسيحيين فى العالم عملا بالعهدة العمرية وأحكام الشريعة الاسلامية .**

* وأكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين **وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن الحرم**

الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى وكل اعتداء على أى جــزء منــه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته •

✻ وقد استنكر المؤتمر استمرار اسرائيل فى تغيير معالم القدس والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضــارية ويطــالب الأمم المتحــدة بتنفيــذ قراراتها المتعلقــة بذلك وردع اسرائيل عن المضى فى جرائمها •

✻ وقد أدان المؤتمر موقف اسرائيل المتمادى فى اهدارها لحقوق الانسان فى المناطق المحتلة بوسائل التعذيب الوحشية وهــدم المنــازل وطرد المواطنين واغتصاب الأراضى والمبانى واقامت المستوطنات لاسكان اليهود الغرباء باحلالهم محل الأهالى العرب الأصليين ويعلن أن هــذا أفظع صورة من صور التمييز العنصرى •

قرارات وتوصيات المؤتمر السابع للأزهر بشــأن القــدس : ــ

بتوفيق من الله تعالى وبهدى من دينه القويم قــد اجتمع المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية تحت راية الاسلام وفى رحاب الأزهر فى فترته الاولى التى بدأت من أول شعبان ســنة ١٣٩٢ هـ التاســع من سبتمبر سنة ١٩٧٢ م حتى السادس من شعبان سنة ١٣٩٢ هـ الرابــع عشر من سبتمبر سنة ١٩٧٢ م ممثلا لنحو أربعين قطرا ومجمعا اسلاميا فى القارات الثلاث آسيا ، وافريقيا وأوربا ، وقد اجتمع الأعضــاء مع اخوتهم أعضاء المجمع الممثلين للبلاد الاسلامية واستمعوا الى البحوث التى ألقيت والى الدراسات التى قدمها الأعضــاء من أحوال المسلمين فى بعض البلاد ويعلن المؤتمر :

تأكيد ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد بالأنفس

والأموال أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين لا يجـــوز أن يتخلف عنه من ينتسب الى هذا الدين القويم •

وأن هذا الواجب لا ينتهى الا بعد تحرير الأرض والقدس الشريف والمسجد الأقصى وجميع الأراضى الاســـلامية العربيـــة التى احتلتها اسرائيل •

وأوصى المؤتمر جميع الحكومات الأخرى والشعوب والمؤسسات والهيئات العربية والاسلامية أن تقـــدم المعـــونة الفعـــالة على جميع المستويات التى تتطلبها ضراوة المعركة كما يوصى الحكومات الاســـلامية بمد يد العون المادى والمعنوى للعمل الفدائى •

كذلك يقرر المؤتمر أنه لا يصح ولا يقبل بحـــال من الأحـــوال أى حل أو تسوية لا يعيد القدس الى سيادتها العربية والاسلامية ولا يعيد كذلك الأراضى العربية المحتلة ولا يعيد سائر الحقوق العربية والاسلامية الى أصحابها : ـــ

وفى مؤتمرنا هذا نتوجه الى أصحاب السلطة الشرعية فى البـــلاد الاسلامية والعربية بحق ما لهم من ولاية وبحق مالنا من نصيحة يأمرنا بها الاسلام أن يوحدوا كلمتهم ويعـــدوا عدتهم ويجمعـــوا قـــواهم ومواردهم لمجابهة العدو وأن يستعملوا حقوقهم ضد مصـــالح المؤيدين لاسرائيل فى بلادنا وأن يستخدموا ما منح الله بلادهم من أسباب القوة الرادعة للدول المؤيدة لاسرائيل استخداما يؤكد أملنـــا فيهم ويحقـــق مصلحة أوطاننا المهددة ويبرهن للمعتـــدى ومناصريه أن دمـــاء المسلمين والعرب لن تذهب هدرا •

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

قرارات توصيات المـــؤتمر الثامن
والذى عقد فى القاهرة ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م

● يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه من توصيات وقرارات فى دوراته السابقة بخصوص تحرير الارض العربية التى اغتصـــــبتها اسرائيل فى فلسطين ، وسوريا ، والاردن ، ولبنان ، ومصر ويؤكد دعوته للجهاد من أجل تحريرها ، ويقرر ضرورة عودة الفلسطينيين الى ديارهم ، واقامة دولتهم بارادتهم الحرة المستقلة .

● ويعلن المؤتمر أن لاهل فلسطين الذين أخرجوا منها الحق كل الحق فى أن يعودوا اليها ، وأن يقيموا مع سائر الفلسطينيين دولتهم المستقلة التى يريدونها ، على أرض وطنهم فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التى تعبر عن ارادتهم الحرة .

بيان للمسلمين

ولقد تتابعت الحروب وباقى أثر حرب حتى بلغ عددها أربع حروب كبيرة غير الاشتباكات المتعددة خاصة حرب الاستنزاف التى استمرت قرابة عامين كاملين ٦٨ ا ١٩٦٩ دون أن تحل مشكلة فلسطين والقدس .

وأخيرا رأت زعامة مصر أن أسلوب الحرب فى ظل الظروف العالمية الراهنة لن يقدم شيئا لفلسطين فاختارت أن تجرب أسلوبا آخر فى تناول المشكلة فقام الرئيس محمد أنور السادات بمبادرته المعروفة سنة ١٩٧٧ بزيارة القدس والاجتماع بأهلها والقاء خطاب فى الكنيست الاسرائيلى يطالب فيه برد الحقوق الى أهلها واستعادة مدينة القدس وسائر الاراضى العربية المحتلة كاملة دون تفريط فى أى شبر خاصة القدس ورغم ان هذا هو هدف كل مسلم الا ان الامة الاسلامية اختلفت بها الآراء حول هذا الاسلوب الجديد .

ولما رأى الازهر أن وحدة الامة الاسلامية قيمة كبرى وانها هى الطريق الى استرداد القدس وسائر الاراضى العربية خاصة ان قيادة مصر تعمل فى الوقت نفسه بكل الاساليب المتاحة على تحقيق أمل المسلمين الذى لم يحدث فيه أى تفريط حتى الآن والحمد لله وكان ينبغى على المسلمين جميعا أن يرجعوا الى كتاب الله لالتماس الحكم الشرعى فى المعاهدة المصرية الاسرائيلية فى ضوء الكتاب والسنة وفى رفق واناه

وهدوء وموضوعية تحقيقا لقول الله تعالى « فان تنازعتهم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » •

لذلك اجتمع علماء الأزهر يمثلون هيئاته العديدة وأصدروا بيانهم التالى :

نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد عاش الازهر أكثر من ألف عام حافظا لتراث الاسلام موضحا لأحكام الشريعة فى كل ما يشغل المسلمين حافظا لأحكام الدين ومفاهيم الاسلام رعاية لحق الله فى النصيحة وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم •

وكان الازهر ولا يزال حريصا على وحدة الامة الاسلامية وتوثيق روابط الاخوة بين أبنائها داعيا الى الوفاق والى رأب الصدع اذا المت المحن •

ضارعا الى الله تالى أن يحفظ على الامة الاسلامية وحدتها وسلامتها وأن يقوم قادة الامة بالعمل على جمع الكلمة وحفظ روابط الاخوة بين المسلمين •

واليوم ـ وقد اشتبهت الامور فى أذهان بعض الناس عن جهل بحكم الشرع أو عن رأى قابل للمراجعة ـ فقد رأى الازهر أنه قد آن الاوان لاعلان رأى الاسلام فى محنة لا شك أن الله تعالى سينجى المسلمين من آثارها بتوفيقهم بقبول حكم الله فيها وما وجه فيها رسوله الكريم منذ عهد الرسالة •

ان الازهر ممثلا فى جميع هيئاته (مجمـــع البحوث الأســلامية)
(جامعة الازهر ، المجلس الاعلى للازهر ، لجنة الفتوى ، الادارة العامة للدعوة والارشاد ، المعاهد الازهرية) .

يتقدم اليوم الى العالم الاسلامى ببيان للحكم الشرعى فيما تردده بعض الجهات بخصوص المعاهد المصرية الاسرائيلية ان مصر بلد اسلامى وهى ثغر من ثغور المسلمين ، ومن واجب ولى أمرها أن يســهر عــلى حمايتها ، فاذا رأى أن مصلحة المسلمين فى موادعة الاعــداء ومهادنتهم جاز ذلك .

لان أمر الحرب ، وأمر الصلح وتقدير المصلحة فيهما مفوض اليــه فهو أعلم بشئون رعيته ، وأقدر على تبين مواطن القوة والضعف تجــاه عدوه فى حدود ما أمر الله تعالى ورسوله الكريم .

ان لقيام المعاهدات بين المسلمين وأعدائهم نظاما أقره الاســلام منذ عهد النبوة بشروط واضحة .

والقرآن الكريم أمرنا بالصلح مع العدو اذا رأى الامام مصــلحة المسلمين فى ذلك بصريح قوله تعالى (وان جنحوا للســلم فاجنح لهــا وتوكل على الله) سورة الانفال آية ٦١ .

وجمهور أئمة المسلمين على أن هذه الآية مخصصـــة لآيات القتال وليست منســوخة بها فقتال العدو واجب لحماية المسلمين الا اذا جنح للسلم وكان للمسلمين مصلحة فى ذلك .

واستدل الائمة الاربعة على جواز الصلح مع العدو متى كان فيــه مصلحة للمسلمين بصلح الحديبية الذى صالح فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وهو على رأس جيش قوى مظفر يستطيع أن يفرض به رأيه .

صالح الكفار على الشروط المعروفة لهــذا الصــلح ، والتى عارض

فيها فى بادىء الامر كثير من المسلمين ، حتى أقنعهم الرسول بصـــواب الصلح وحتميته شرعا •

كذلك عرض الرسول عليه الصلاة والسلام على غطفان أن يتركوا قتاله فى غزوة الاحزاب وأن ينفصلوا عن تحزبهم مع المشركين عـــلى أن يكون لهم ثلث ثمار المدينة •

ويرى علماء الأزهر أن المعاهدة المصرية الاسرائيلية تقوم فى حدود الحكم الاسلامى فهى قائمة من موضع القوة بعد خوض معركة الجهـــاد والنصر الذى أحرزته مصر فى العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ •

كما كان صلح الحديبية من موضع القوة فى جيش الرســـول عليـــه الصلاة والسلام ••

ذلك الى أن ما تحققه هذه المعاهدة هو خير لا شـــك فيه للمسلمين برد الاراضى الاسلامية الى أهلها ، بعضها عاجل طبقا لنظام متفق عليه وبعضها آجل طبقا لشروط كذلك •

ثم ان هذه المعاهدة قد دعت من لهم مصـــلحة من المســـلمين الى المشاركة فى هذا الصلح وأن يتقـــدموا لينالوا نصـــيبهم من مســـئولية المفاوضة للحصول على ما لهم من الاراضى •

ومن أهم شروط هذا الصلح الاحتفاظ بحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم ، وهو أمر لم تعترف به قوة من القوى العالمية ، منذ عهد النكبة الفلسطينية حتى حققته مصر فى جميع المجالات الدولية •

كما أن هذه المعاهدة وملحقاتها الرسمية لا تنطوى على تفريط مصر فى عروبة القدس واســـلاميته بل انهـــا تمســـكت بذلك باســـم ملايين المسلمين •

وبعد هذا البيان عن الحقيقة الشرعية وحكم الله فيها يتجـــه علماء

الازهر الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ على الامة الاسلامية وحدتهــا وأن يدرأ عنها شر أعدائها • وأن ينجيها من الفتن ما ظهر منها وما بطن •

ثم يتجهون بعد ذلك الى حكام المسلمين وعلمائهم وشـــعوبهم : أن يرعوا الله • وحقه عليهم وأن يعتصموا بحبله المتين ، وصراطه المستقيم فيتوخوا فى أقوالهم وأعمالهم جمع كلمة المسلمين ، والحفاظ على تعاليم الاسلام وكيانه وأحكامه أمام جميع التحديات •

ونذكرهم جميعا بالنداء الالهى (ولا تتــازعوا فتفشــلوا وتذهب ريحكم ••) وقوله تعالى (ومن يعتصــم بالله فقــد هــدى الى صراط مستقيم ••)

فى التشريع الإسلامى

نحو نظام اقتصادى إسلامى

للدكتور / احمد عبد العزيز النجار

١ ـ جـذور علم الاقتصـاد :

طلعت علينا المكتبة الاسلامية فى الآونة الاخيرة بعديد من البحـوث التى تناولت قضـية النظـام الاقتصادى فى الاسـلام ، وبعض هذه البحوث يمثل فى الحقيقـة محاولات رائدة ومقدامة ولكنهـا على كل الاحوال لم تضع أيدينـا عـلى ما تقول به عناوين هـذه البحوث .

وكل هؤلاء معذورون فالـذى يكتب عن النظرية فى الاقتصـاد الشرقى أو الغربى انما يقـدم ما يمكن أن نقول عنه أنه معالجـة وصفية لشىء قائم أستند فى الاصل الى تجارب ومشاهدات ثم هـو يجرى تحليله أو تفسيره على هذه المعالجة الوصفية فيسـتطيع فى النهاية أن يصل الى نتائج محـددة معقولة أو غير مقبولة أما المـوقف بالنسبة للمفكر الاسـلامى الذى يعالج قضايا الاقتصاد فى الاسلام فهو على خلاف ذلك ، فهـو يكتب عن الشىء المـأمول أو عن الشىء الذى نفتقده ونسعى للوصول اليه وبخاصة وأن ظروفنا التاريخيـة لم تتح لنا التجربة المتحررة الامينة الصادقة الخاضعة للشريعة ، ومن ثم فانه لم تتوافر لدينا الممارسـة والمشاهدة التى بنوا هم عليهـا نظرياتهم التى بشروا بها بيننا .. فموقف الذين يكتبون عن النظرية الشرقية أو الغربية هو مـوقف الملاحظ بينما موقف المفكر المسلم من هذه القضية هو أقرب ما يكون

الى موقف المكتشف وللاكتشـاف مجاهله وعقباته ومحاذيره .

ويعتبر علم الاقتصاد كغيره من العلوم التى انشقت حديثا مستقلة بنفسهـا منفردة بذاتها متميزة عن غيرها فى مناهج البحث ووسـائل الدراسة وطرائق القياس . ويعنى هذا أن علم الاقتصاد كان قبـلا كغيره من العلوم مختلطا بعديد من المعارف التى كان يعالجها العـالم أو المفكر ويتلقاها الدارسون ... واننا نجد لهذا العلم قبل استقلاله اشارات ومعالجات ربما وردت فى الدراسات التى كانت تتصـدى للفلسفة أو تتصدى لعلم التـاريخ على الوجه الذى تراه فى مقـدمة ابن خلدون مثلا . ونجد فى كتابات بعض الاقدمين اشارات وأحاديث متفرقة عن بعض القضـايا التى أصبحت تشكل حاليا جزءا من ذلك العلم بعد أن استقل ببنائه النظرى نجد فى بحوث هؤلاء معالجات هنا وهناك عن أحوال المعيشـة أو عن المقايضة أو عن الحرف .. غـير أن هذه المعالجات ما كانت لتشـكل بحوثا مستقلة نسـتطيع بتجميع بعضها الى بعض أن نصل الى بناء فرع من العلـوم له وحـدته واستقلاله .. على أن الذى ينبغى أن نقرره منذ الآن أن كل هـذه المتفرقات انما كان يتم تقديمهـا أو معالجتها داخل اطـار مذهبى خاص .

ومع موجـة المـد الاسلامى واتساع رقعته ومع الظـروف التاريخية التى صاحبت ذلك والتى نعرفها جميعا بدأ الغرب الافـادة من ثمرات جهود المفكرين المسلمين وعكف على المعارف التى قدمهـا هؤلاء المفكرون بـاحثين ومحللين ومجمعين وصـاحب هذه المرحلة ذلك التمزق والتدهور أو فلنقـل التجمد الذى أحاط بمفكرى الاسلام فخلت الحلبة للغرب ليتولى الصدارة فى مجالات البحث ومناهجه .

وتشعبت أسباب الحياة وزادتها مبتكرات المدنية الحـديثة تعقيدا وصعوبة واكتشفت الوسـائل التى سهلت المواصلات والاتصـالات ويسرتها وصاحب ذلك كلـه بروز صور وأشكال جديدة من العلاقات وقاد ذلك كله فى النهاية الى ضرورة

التخصص العام ثـــم التخصص الجزئى •• وتمايزت العلوم بعضها عن البعض الآخر فأصـبح الطب علما مستقلا والفلك علمـا مستقلا والاجتماع علما مستقلا والبحوث المتصلة بالنفس علما مستقلا وقـد كانت هذه جميعها فروعـا للفلسفة من قبل • كما أصبحت الرياضيات علما مستقلا والاحصاء علما مستقلا والاقتصاد كذلك علما مستقلا •

ولا ينبغى أن نفهم ان استقلال علم عن غيره من العلـوم يعنى انعزاله واقامة حدود وسدود بينه وبين غيره من العلـوم فذلك مالا يمكن القول به لأن كل علـم يتأثر بغيره ويؤثر فيـه بل وأكثر من ذلك فان جميع العلوم تخضـع فى مناهجها وطرائق بحثها بل وفى نتائجها الأصل فكرى ينطلق منـه الباحث •• ونحن عندما نقـول بالاستقلال انما نعنى وجود بنـاء متميز وواضح للعلم ووجود منهاج له وطريقة تجعل له خصائصه التى تميزه عن غيره •

ويرجع تاريخ علم الاقتصاد ــ كما وضعه الغرب كعلم متميز ــ الى منتصف القرن الثـامن عشر الميلادى تقريبا •• وبدأت مدارسه بظهور آدم سمث فى انجلترا ومما قد تجدر الاشارة اليه أن هـذه المرحلة التاريخية كانت هى بـداية ظهور المصانع وتغيير هيكل الانتاج من الزراعة والحرف اليـدوية الى الصناعة • ومعلوم أن هذا الانتقال أو التغيير واكبه بالضرورة تغييرات واسعـة فى نظام العـلاقات فى المجتمع •

وعلى مدى القـرنين الماضيين احتكر الغرب مجالات الدراسة فى العلوم التىأقاموا أبنيتها ومنها علم الاقتصاد ، وحتى الفـكر المقابل للمدرسة الغربية فى الاقتصاد انما يعتبر فى الواقع منشقا عنـه أو رد فعل لبعض آثاره وسنرى فيما بعد أن أصولا وملامح عديدة تجمع بين الفكرين وان غالى أحدهما فى تأكيده على الفردية وغالى الاخر فى تأكيده على الجماعية ، ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن كلا الفكرين الغـربى والشرقى انما كان متأثرا أساسـا بالظروف الموضوعية والخلفيـة التاريخية والاخلاقية للارض التى

نشأت عليها هذه الافكار وليس أدل على ذلك من أننا نستطيع على سبيل المثال أن نضع أيدينا دائما على فكرة كفكرة الصراع لدى معطيات كلا الفكرين •• وتقودنا هذه الحقيقة الى أن نعى منذ البداية أن جميع مفاهيم كلا المدرستين الغربية والشرقية ينبغى أن نقيمها وننظر اليها دائما لا على أنها حقائق مطلقة ولكن على أنها مفاهيم وآراء متأثرة بنوازع بشرية فى حدود ظروف خاصة وأنها بالاضافة الى ذلك نسبية وأنها انعكاس وتعبير عن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التى عاصرتها •

ونستطيع أن نجد لدى المدرسة الغربية بالذات فروعا مدرسية متعددة ولكن هذا التعدد نجده دائما اما نتيجة لعملية تطوير فكرة من الافكار فى ضوء التجربة والتطبيق واما نتيجة رؤيا أيدلوجية معينة ينطلق منها الباحث •• ولكن الامر الذى لا خلاف حوله هو أن هذه المدارس على تعددها والاختلافات الشكلية بينها تصدر عن أصل واحد •

وقد نستطيع أن نشير بايجاز شديد ونحن نعرض هذا المدخل الى أن ذلك الاصل يؤكد تأكيدا على الفصل بين النشاط الاقتصادى والأخلاق، فعالم الاقتصاد لا يعنيه أن يكون النشاط الاقتصادى أخلاقيا أو غير أخلاقى •• حراما أم حلالا عدلا أم ظلما •• وانما يعنيه أن يحقق منفعته فحسب •• هذا لدى المدرسة الغربية وهو كذلك لدى المدرسة الشرقية فهى وان رفعت شعارات للعدالة الا أن العدالة عندها لا ترتبط بقيم مطلقة ولا تستمد من أصل روحى وانما ترتبط عند البحث والتدقيق بفكرة الصراع وترتبط بانكار الجانب الروحى انكارا تاما ولا نجدها فى النهاية تتعامل الا مع حيوان اقتصادى •

بعبارة أخرى فاننا اذا غضضنا النظر عن الخلافات التى تتصل بنتائج أو شواهد علمية أو جزئيات فى ظاهرة مابين مدرسة وأخرى الا أننا نستطيع فى النهاية أن نصنف هذه المدارس الى مجموعتين تمثلان

نتائج وحصيلة نشاطهم الفكرى .

الاولى : تنحو منحى ماديا لا ينكر الجانب الروحى أو الجانب الاخلاقى ولكنه يؤكد فى معالجاته على الفصل بين الجانب المادى والجانب الأخلاقى .. لا يتعرض للجانب الاخير ولا يضعه فى اعتباره .

الثانية : تنظر الى العامل الاقتصادى فحسب بصفته المحرك الحقيقى لموكب البشرية فى كل الميادين وتنطلق فى فكرها من مرتكز محورى مؤداه أن الوضع الاقتصادى لكل مجتمع هو الذى يحدد أوضاعه الاجتماعية والسياسية بل وعقيدته الدينية وبعبارة أخرى فانهم يبدءون من فكرة أن الانتاج ووسائل الانتاج هى القوة الكبرى التى تصنع للناس تاريخهم وتطورهم ومسيرتهم المحتومة وفق تقدير هذه المدرسة .

٢ ــ الاقتصاد علم حار العلماء فى تعريفه :

بعد أن تحدثنا فى مقالنا السابق عن جذور علم الاقتصاد .. نتحدث اليوم عن ماهية الاقتصاد .

ولقد تعددت تعريفات علم الاقتصاد بدرجة تجعل من الصعب أن يقوم أحد بحصرها فى مدخل كهذا .. وسنكتفى بأن نورد أكثر هذه التعريفات انتشارا حتى نستطيع أن نلتقط ولو بشكل عام الاتجاهات الفكرية التى تقف وراء هذه التعريفات ، والفلسفات التى ترتكز عليها .

يقول البعض أن علم الاقتصاد هو علم دراسة الانشطة التى تسبب وجود تبادل بين الافراد سواء استخدمت النقود فى هذا التبادل أم لم تستخدم .

ويقول آخرون أن علم الاقتصاد هو العلم الذى يدرس كيف يختار الانسان استعمال الوسائل النادرة لانتاج سلع مختلفة وتوزيعها على أعضاء المجتمع لاستهلاكها .

ويقول فريق أنه علم دراسة الناس فى حياتهم المادية وكيف يكسبون وينعمون فى الحياة ...
وفريق يقول أن علم الاقتصاد هو ذلك الفرع من المعرفة التى تتصل بالثروة أو هو ذلك العلم الذى

يختص بدراسة الوسائل التى يمكن لأمة بواسطتها أن تغتنى .

ويقولون : أن الاقتصاد هـــو ذلك العلم الذى يدرس الانســان فى أعماله التجارية اليومية وأنــه يتناول ذلك الجزءمن حياة الانسان الذى يتصل بكيفية حصوله عــلى الدخل .. وكيفية استخدامه لهذا الدخل .

ويقولون انـــه علم دراســة المبادىء العامة لادارة الموارد سواء كانت للفرد أم لــــرب الاسرة أم للمشروع أم للدولة .. وتتنـــاول كيفية معالجة الفاقد لها .

ويقولون : أنه هو العلم الــذى يبحث محاولة اشـــباع الحاجات المادية أى هو العلم الذى يبحث فى الوسائل المتاحة للحصول على أكبر حصيلة ممكنة أو حصيلة معينة بأقل وسيلة ممكنة .

ويقولون : أنه هو العلم الــذى يدرس الرفاهية الاقتصادية لشعب من الشعوب أو أمة من الامم .

وواضح من كل هــذه التعاريف أن جميع الذين قالوا بها يتكلمــون عن شىء يكاد يكون واحدا ولكنهم لا يتفقون على المعطيات الاساسية لهذا الشىء .

وهذا بالفعل ما أدركــه أحدهم وهو روبنز فطفق يقول :

« كلنا نتكلم عن الشىء نفسه ، ولكننا لم ننته بعد الى ما هو ذلك الشىء الذى نتكلم عنه » .

وأعطى روبنز تعريفا أتيح لــه انتشار واسع حتى اعتبره بعضهم مغنيا عن التعريفات السابقة وهذا التعريف هو « علم الاقتصاد هــو ذلك العلم الذى يدرس الســلوك الانسانى كعلاقة بين أهداف وبين وسائل نادرة ذات اســـتعمالات بديلة » .

وأبرز مافى تعريف روبنز أنـــه يعتبر الاختيار صفة مميزة للسلوك الاقتصادى غير أنه قد عيب عــلى هذا التعريف أنه وان كان الاختيار عنصرا متأصلا فى السلوك الانسانى بوجه عام وأنه يجوز دائما تفســير السلوك الانسانى علىأساس التعبير عنه فى صورة سلالم تفضيل الا أن

تعريف روبنز لم يبين لنـــا أية تفصيلات أو قرارات تدخل فى نطاق علم الاقتصاد ومن ثم عدل بعضهم تعريف روبنز لعلم الاقتصـــاد الى الصورة التالية :

علم الاقتصـــــاد هو العلـــم الاجتماعى الذى يدرس الكيفيـــة التى يحاول بها الافراد تطبيـــق الندرة على حاجاتهم والطريقةالتى تتفاعل بها هذه المحاولات بعضهـــا مع بعض عن طريق التبادل •

ولسنا بحاجة الى أن نشير مرة أخرى الى العلـــة التى تقف وراء تلك الخلافات الشكلية أو اللفظيـــة التى نجدها بين تعريف وآخـــــر فبالرغم من وحدة القاعــــدة التى ينطلق منها الباحثون والمفـــكرون الا أن زاوية الرؤيا تختلف كما قلنا من باحث الى آخر •

وعلى العموم فانه يمكن اجمـــال هذه المحاولات جميعا فى تعريفعام أورده بعضهم حيث يقول « علـــم الاقتصاد هو ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية الذى يتوافر علىدراسة سلوك الافراد فى محاولاتهم لتوزيع الموارد النادرة ذات الاســـتعمالات البديلة بين الاهداف المتعددةوكيفية بذل هذه المحاولة عن طريق اجراء عمليات المبادلة فى السوق » •

فاذا ما انتقلنا الى المدرســـة الاخرى وجدنا أنها لا تقدم لنـــا تعريفا محـــددا منفصلا وانمـــا تعرض الاقتصاد من خلال مفهـــوم الفكر الماركسى اللينينى •• وهـــذا الفكر يتركب عندهم من أجزاءثلاثة هى الفلســـفة والاقتصـــــاد والاشتراكية العلميـــة ، ويحتـــل الاقتصاد الجزء الرئيسى من هـــذه الاجزاء الثلاثة وذلك استنادا الى أن المعطيات الاساسية للفـــكر الماركسى تنحصر فىذلك التأكيد على العلاقة بين الوضع الاقتصـــادى وبين الحياة الفكرية للانسان بشتى أشكالها ومناحيها والقوى المنتجـــة عند هذه المدرسة هى التى تحدد كل المضمون التاريخى لحياة الانســـان فالفكر مهما اتخذ من أشكال عليـــا ومهما ابتعد فى مجاله الاجتمـــاعى عن القوة الاساسية فلا يعدو عند

التحليل أن يكون ــ بشـــكل أو بآخر ــ نتاجا للعامل الاقتصادى • وهم يؤكدون فى كتاباتهم دائما على أنه « ينبغى البحث عن منبع الافكار الاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية فى الاقتصـــاد قبـــل كل شىء »

ومن خلال ذلك تحدد بحثهم عن السبب الاصيل لنشـــوء الدين فى الوضع الاقتصادى للمجتمــع •• وعندهم أن الواقع السيىء الــذى تعيشه الطبقة المضطهدة تفجــر فى ذهنها الافكار الدينية لتستمد منها السلوى والعزاء •

وان كنا لسنا فى هذا الجزء من الحديث بصدد كشف الــزيف عن هذه الدعاوى وتوضيح بطلانهـــا الا أننا نكتفى بأن نتســـاءل : اذا كـــان الـــدين هو أيديولوجيـــة المضـــطهدين النابعة من واقعهم السيىء وظروفهم الاقتصادية كما يزعمون • فكيف نفسر اذن وجود العقيدة الدينية منفصلة عن الواقع السيىء وظـروف الاضـــطهاد الاقتصادى ؟! وكيف أمكن لغـــير المضطهدين أن يتقبلوا من الطبقـــة المضطهـــدة أيدلوجيتها التى نبعت من واقعها الاقتصادى ؟

وهل يمكن أن تنكر هذه المدرسة وجود العقيدة الدينية عند أشخاص ليسوا من الطبقـــة المطحـــونة والمضطهدة اقتصاديا ؟ •• وهـــل ينكرون عمق العقيدة وتغلغلهـــا فى نفوس بعضهم الى درجـــة تدفعهم الى التضحية بأنفسهم فى سبيلها ؟

واذا كانت هنالك حتمية تاريخية كما يقولون ، واذا كان التـــاريخ محكوما بالعامل الاقتصادى وأنـــه يسير وفقا لقوانين طبيعية فلمـــاذا اذن يبذل أصحاب هذه المدرســـة جهودهم فى سبيل استثـــارة أكبر عدد ممكن لشن الثورات الفاصلة ؟ ولماذا لا يدعون قوانين التـــاريخ تعمل فتقوم عنهم بهذه المهمـــــة الشاقة ؟

وهل يستطيعون من واقع التجربة أن ينكروا أن لكل انسان دوافـــع أخـــرى لا تمت الى الناحيـــة الاقتصادية بصلة بل قد يضحى فى سبيلها بمصالحه الاقتصادية وبحياته كلها فى بعض الاحايين ؟

٣ — النشاط الاقتصــــادى بين المادية الغربية والعقيدة الاسلامية

ان المادية تسيطر على المدرســة العربية بقســميها الرأسماليــة والشيوعية •

فالرأسمالية تحترم فى الفــــرد السعيد الحظ أنانيته فتؤمن لــــه حرية الاستغلال والنشاط فى مختلف الميادين ، وبينما توفر هذه المدرسة لأولئك المحظوظين اشباع دوافعهم الذاتية وتنمى نزعاتهم الفردية تتجه المدرسة الشيوعية الى غــيرهم من الافراد الذين لم تتهيأ لهــم تلك الفرص فتركز دعوتها على أساس اثارة دوافع الأنانية فيهم والتأكيد على ضرورة اشباعها •

وتسعى بمختلف الاســاليب الى تنمية هذه الدوافع بوصفها القــوة التى يستخدمها التاريخ فى تطوير نفسه وحتى تتمكن من تفجيرهـــا ثوريــا •• وتصــــرخ فى آذان أولئك الذين تتصل بهم أن الآخرين يسرقون جهودكم وثروتكم •

فالمدرستان تركزان عــلى شىء واحد : هو الدوافع المادية البحتــة فكلتاهما تتبنى اشباع هذه الدوافع وتنميتها وانما اختلافهما ينحصر فى الحقيقة فى أن وقود الاولى يركز على الفرد بينما يركز وقود الثانية على طبقة معينة •

ونضيف الى ما تقدم ملاحظــة ينبغى أن نؤكد عليها كنقطة مفتاحية لمنهاجنا الاسلامى الــذى نريد أن نشق الطريق اليه •• هذه الملاحظة مؤداها أن كلتــــا المدرستين التى سلفت الاشارة اليهما انمــا هى فى الواقع نتاج أخلاقية خاصة ومزاج معين وأرضية معينة وتاريخ معين •

ننتقل بعد ذلك الى نقطة التأزم الحقيقى التى يواجهها المفكر المسلم عنــــدما يريد أن يبنى نظــريته الاسلامية أو أن يكتشفها من خلال تراث الفكر الاسلامى •

ان المسلمين عندما فتحو أعينهم على التقدم الغربى الهائل وقرروا أن يلحق عالمهم ذلك العالم الــذى سبقهم •• فتحوا أعينهم مبهورين وانخدعوا منذ البداية عندما وجدوا العالم ينقسم الى دول متقـــدمة اقتصاديا ودول متخلفة اقتصاديــا وصورت لهم الامور على أن مشكلة

العالم الاســـــلامى هى التخلف الاقتصادى عن مستوى البـــلاد المتقدمة التى أتاح لهــا تقدمهــا الاقتصادى الزعامة المادية للعالم وأصلحت هــذه البلاد المتقــدمة المســلم عنــدما لقنتــه أن الاسلوب الوحيد للتغلب عــلى المشكلة هو اتخاذ حياة انسان هذه البلاد المتقدمة تجربة رائدة وقائدة وترسم خطوات هذه التجربة لبناء اقتصاد كامل شامل قــادر على الارتفاع ببلاده المتخلفةالىمستوى الشعوب الحديثة المتقدمة •

وعاد الينا مبعوثونا ينقلــون ويترجمون فى ولاء ســلبى مبهور وضيقوا على أنفسهم مجال الاجتهاد بمقتضى مسلمات ضمنية يمكننا أن نحصرها فى :

١ ــ ان الفكر الاقتصادى قــد بات محددا فيما بشر به الشرق أو الغرب من مناهج وأن ذلك هــو نهاية الطريق •

٢ ــ أن الوسيلة المثلى لتنميــة المجتمعات الاسلامية واللحاقبركب التقدم المادى لا تتأتى الا من خلال نقل الوسائل والادوات أو الاجهزة التى استخدمت على أرض هــذا المنهج أو ذاك ، وأن مجرد التفكير فى رفض هذه الوسيلة واستبدالها بوسائل أخرى يعتبر بمثــابة تخلف ورجعية وجمود •

وكانت هذه هى نقطة التأزمالتى بدأ منها تعثر الفكر الاقتصــادى الاسلامى حيث اصطدم بصعوبات نشأت من طبيعة موقفه من الاشياء لا من طبيعة الاشياء ذاتها •

فالمسلمة الاولى تجعلــه يضطر الى الاختيار ما بين المدرستين التى أشرنا اليهما •

فاذا ما اختار احداهما فانه يجد نفسهمهما كانتميوله أمام مشكلات فنية أو مذهبية أو على الاقــل أخلاقية لا يجد لها حلا الا عــلى حساب مبادئه الاصيلة •

ويكفى هنا مثل واحد فلــو أن المسلم اختار المدرسة الغربية مثلا فانه لن يصطدم فى هذا الاتجــاه بلا أخلاقية الرأسمالية فحسب بل سيصطدم أيضا ببعض شروطهــا الفنية • فالرأسمالية تنظر الى المال كوسيلة لدفع عجلة الاقتصاد مجردا من وظيفته الاجتماعية واذا بهــا

تلجأ الى طرق تكوين رأس المــال انى البنوك والشركات النامية فتعهد اليها بمهمة الاتجاه بالنقود عــلى أساس الربا فى عمليتى التجميـــع والتمويل وعندئذ نجد المسلم الذى يختار هذا الاتجـــــاه يغوص فى محاولات تخليص الرأسماليــة من الربا لانه محرم فى شريعة الاسلام واذا تورط فى ذلك يصبح مثله كمثل من يسعى لتخليص روح من جسد ثم يتوقع أن تستمر الحياة فى ذلك الجسد الخالى من الروح •

وهكذا نصل الى مربط الفــرس كما يقولون ، فالمفكر الاقتصــادى المســـلم اذا ما أراد أن ينقب عن المنهج الاقتصادى فى الاسلام أو أن يكتشف نظـــرية الاســـلام الاقتصادية فان نقطة البداية يتحتم أن تكون عدم الانطلاق من مسلمة غربية وانما ينبغى أن تكون نقطـــة انطلاقه من دائرة العقيـــدة وهى القاعدة المركزية فى التفكير الاسلامى التى تحدد نظرة المسلم الرئيســية الى الكون بصورة عامة ، ومن دائرة المعطيات الاسلامية التى تعــكس وجهة نظر الاسلام فى تفســـير الاشياء على ضوء النظرة العــامة التى توضحها العقيدة وتحددها ••

ولا نعنى بقولنا أن المفكر المسلم يتحتم عليه ألا ينطلق فى اجتهــاده من مسلمة غربية أننا نهدر الخبرات العلمية المتراكمة فذلك أبعد ما يكون عن تفكير الاسلام الذى ننطلــق جميعا منه •

فالاسلام لا يحارب الانتفــاع بتجـــارب وخبرات الآخرين بل ويحض على التماس هذه الخبرات والتعرف عليها وان القرآن الكريم ليزخر بالآيات الدالة على طلب العلم والترغيب فيه وتحصيله •• ولــكن الذى نعنيه هو أن يتسلح المســلم أولا بالرصيد العقائدى الذى يوفر له الادوات والمعايير التى يستطيع بها أن يناقش وأن يمحص وأن يقيم ما يتلقاه أو ينظر فيه فان وافــق ذلك العقيدة ومفاهيمها فلا بأس من قبوله أما اذا خرج أو انحرف عنها فقد تحتم رفضه •

دكتور / أحمد عبد العزيز النجـــار

الإعلام في رسالات السماء

للأستاذ : محمد كمال الدين

يتفق علماء الاعـلام فى العصر الحديث على تعريف الاعلام بـأنه الاخبار أو الانباء أو التبليغ بخبر أو نبأ أو حدث من الاحداث لم يكن الناس يعرفونه من قبـــل ، أو مختصرا أو مشوها ، ودور المعلم أو المبلغ أو المنبىء هو تثبيت هذا الخبر أو النبأ وتأكيده واذاعته أو نشره واعلام الناس بصورة كاملة ومقنعة ، وقد يصدقوه أو يكذبوه ، وحينئذ ما يكون على الرســول الا البلاغ ، والهداية والارشاد ، **« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين»** (سورة النمل الآية ٩٢) .

ولقــد نزلت الاديان السماوية من عند الله بلاغا للناس ، ودعوة الى الحق والى طريق مستقيم ، ورسالة ترسم خطة الحياة الصالحة الطيبة **« فهل على الرسل الا البلاغ المبين ؟ »** (سورة النحل الآية ٣٥) **« وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله »** (سورة النساء الآية ٦٤) ، وذلك لان المبلغ أو المنبىء انما يوحى اليه بأمر ربه ، كما أن الرسالة هى أيضا وحى من عند الله ، **« وما أرسـلنا من قبـلك الا رجالا نوحى اليهم »** (ســورة يوسف الآية ١٠٩) **« ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات »** (سورة الروم الآية ٤٧) وهذه الآية الكريمة تبين لنا أن أى رسول هو من قومه ، أى واحدامن قومه يعرفهم ويعرفونه يتكلـم لغتهم ، ويعمل عملهم ، ويعـرف أحوالهم ويسلك سلوكهم ، ولكـن

بفارق أنه معروف عنه الصـــــلاح والامانة والشرف والخلق القويم ، وهذه الصفات تيسر له سبل التبليغ وتجعله فى مكانة التصديق والايمان برسالته ، وأهلا للثقة فى أقـــواله وأفعاله ، وسلوكه •

فالاديان فى حد ذاتها اعـــلان ، وقد احتوت مبادئها على كل أسس الاعلام قديمه وحديثه، واستخدمت فى دعوتها وسائل تبليغ تتفق مـــع بيئتها وعصرها وتقاليد مجتمعهـــا وظروفه الحضارية ، هكـــذا كانت رسالات الانبياء والرسل منذ عهد آدم عليه السلام، والى عهد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الانبياء والمرسلين ،وغاية الرسالات السماوية الى يوم الدين •

كان آدم أول نبى مرسل ، وفى حديث لابى ذر الغفــــــارى عن الرسول محمد صلى الله عليـــــه وسلم : قلت يا رسول الله أنبيـــا كان مرسلا ؟ (يعنى سيدنا آدم) قال : نعم ، وقال القرطبى : كان آدم رســــولا الى ولده ، وكانوا أربعين ولدا فى عشرين بطنا ، فى كل بطـــن ذكر وأنثى ، وتوالدوا حتى كثروا » وقال ابن قتيبة انه أنزل على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وأول كتاب سماوى أنزل عليه كان فى احدى وعشرين ورقة • (انظر كتاب : الانبياء والرســـل للدكتـــور محمـــد وصـــــفى) ، وظل آدم عليه السلام يدعو الى رســـالة التوحيد والايمان قـــرابة قرون ثمانية اذ مكث على الارض ألف سنة الا سبعين عاما ، ولاشك أن نسله على هذا المـــدى الزمنى الطويل قد تكاثر وانتشر ، وتباينت آراؤه ونظراته واعتقاداته فى قوى الطبيعة وظواهرها ،وظهرت نوازع النفوس من حب وكراهية ، وخير وشر ، وعدل وظلم ، الامر الذى استدعى أن تتنزل على آدم رسالـــة التوحيد والايمان بالله الواحد ، خالق كل هذه الظواهر الطبيعية ، من شمس وقمر ، وليل ونهـــار ، وصخور وجبال ، ورياح وصواعق ، وبرد وحر ، وماء وشجر •• الخ • وتعتبر رسالة آدم أول تبليـــغ اعلامى من الله عز وجل الى قـــوم

آدم ، أول قوم عمروا الارض واتخذوا فيها المأوى وطرق العيش، **وفى هذا البلاغ الالهى أمر الله** البشر باتباع رسالة الحق ، وكرم هذا البشر فأمر الملائكة بالسجود له . فما يدل على تكريم الانسان ، وأن الخير مراد له منذ الازل والى الابد ، وأنه أحق المخلوقات بالتكريم والتوجيه والارشاد ، وأوجبها لطاعة الله واتباع هديه ، وبفضل هذه الرسالة السماوية الأولى عرف الناس أن هناك حياة وموتا ونشورا وأن فى الآخر نعيما مقيما أو عذابا أليما ، وأن هناك ثوابا وعقابا ، **« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »** (سورة الاعراف الآيتان ٣٥ ، ٣٦) .

ثم جاء شيث ، ولد آدم ، أو هبة الله ، وهذا معنى الاسم ، بعد ذلك، وعاش تسعمائة عام واثنى عشر عاما ، وحفظ نسله ومعاصروه الاحاديث والعقائد عن أسلافهم الى زمن طوفان نوح عليه السلام ، وقد وجد شيث فى عهد آدم ، ويروى أبوذر رضى الله عنه فى حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعهد اليه آدم وعلمه ساعات الليل والنهار ، وعلمه عبادات تلك الساعات،ويذكر ابن قتيبة أن شيثا كان أجل ولد آدم ، وأفضلهم ، وأشبههم بآدم ، وأحبهم اليه ، وكان وصى أبيه وولى عهده ، وهو الذى ولد البشر كلهم ، واليه تنتهى أنساب الناس ، وهو الذى بنى الكعبة بالطين والحجارة (كتاب الرسل والانبياء ص ٣٤) .

وتمضى حقبة من الدهر ، بل أحقاب تقدر بثلاثين قرنا ،تعاقبت على البشرية فيها من سلالة شيث أنبياء آخرون مثل (أنوش وعاش تسعمائة عام وخمسة أعوام) ، و (قينان : وعاش تسعمائة عام وعشرة أعوام) ، و (ومهللئيل : وعاش ثمانمائة عام وخمسة وتسعين عاما) ، و (يارد : وعاش

تسعمائة عام وثلاث سنين) ، حتى جاء ادريس عليه السلام ، وقد ذكره الله عز وجل فى قرآنه الكريم **« واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا »** (سورة مريم الآية ٥٦) ، وسمى ادريس لكثرة ما كان يدرسه من كتب الله ، وقد أنزلت عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، وأول من خاط الثياب وألبسها ، واستجاب لدعوته ألف انسان من نسله ونسل من سبقه أو عاصره ، أما رسالته فهى امتداد أيضا لرسالات من سبقه من رسل وأنبياء وتقوم أساسا على توحيد الله ، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين ، ومعانى العذاب والثواب والتوبة ، وقد قص على قومه قصص الاولين ، وأهمها معصية آدم لربه وتوبته عليه ، وقتل قابيل لاخيه هابيل ، وقد عاش سيدنا ادريس ثلاثمائة وخمسة وستين عاما • (انظر كتاب الرسل والانبياء ص ٣٨ — ٤٠) •

وتستمر القرون فى تعاقبها ، وتمضى منها ثمانية عشر قرنا أخرى ، حتى يجىء نوح عليه السلام ، فيعيش الف عام الا خمسين عاما ، ويحدث الطوفان الشهير فى عهده وهو ابن ستمائة عام ، ليبدأ بعده عهد جديد على البشر والبشرية ، أما رسالته السماوية ، فقد أخبر بها الله عز وجل فى كتابه الكريم حين قال : **« لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ، ما لكم من اله غيره ، انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم »** (سورة الأعراف الآية ٥٩) •

وقد ظل نوح يدعو قومه مائة وعشرين عاما قبل الطوفان ، وأوحى اليه وعمره أربعمائة وثمانين عاما ، وظل بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاما أخرى يدعو الى توحيد الله والتعريف به ، وترك عبادة التماثيل والاوثان والاصنام ، وأخذ يعدد لقومه نعم الله عليهم ، وهى دليل وجوده وقدرته ووحدانيته ، فلما كذبه بعض قومه ، أرسل الله لهم الطوفان **« فنجيناه ومن معه فى الفلك ، وجعلناهم خلائف ، وأغرقنا**

الذين كذبوا بآياتنا » (ســـــورة يونس الآية ٧٣) .

وبعد ذلك جاءت رسالة ســـيدنا هود فى قوم عاد « **والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفتـــرون** (سورة هود الآية ٥٠) ، وهكـــذا قامت رسالته ـــ كرســـــالات من ســــبقه ـــ على أسس التوحيـــد والتقوى والطاعة ، فلما كذبه بعض قومه أرسل الله عليهم « **ريحـــا صرصرا فى يوم نحس مســـتمر ، تنزع الناس كأنهم اعجاز نخـــــل منقعر »** (سورة القمر الآية ١٩ ، ٢٠) ، وكان قوم عاد يعبدون ثلاثة أصنام هى صدا وصخورا وهرا ، وكان سكنهم فى الاحقاف بين عمان وحضر موت ، بأرض تطل عـــــلى البحر يقال لها الشحر ، وفى خيام لها أعمدة ضخمة ، وهم أول من عبد الاصنام بعد طوفان نوح ، (كتاب الرسل والانبياء ص ٦٤) .

ثم تعاقبت رسالات الســـماء ، فكان نبى الله صالح فى قوم ثمود ، وكان ابراهيم ، وكان صديقا نبيا ، ثم كان لوط ، معاصرا لســــيدنا ابراهيم ، وابن أخيــــه فى نفس الوقت ، وقد هاجر معه الى الشام ، فنزل ابراهيم أرض فلسطين ونزل لـــوط أرض الاردن ، ثم كـــان من بعدهما اسماعيل واسحق ، ابنـــــا ابراهيم عليه السلام ، ثم جاء من بعدهما يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام . ثم الاسباط الاثنا عشر ، وهم الانبياء من ولد يعقوب ، وقد ولد كل منهم أمة من الناس ، فسموا اسباطا ، كل سبط فى قوم يشبهون القبيلة فى نظام حياتهم .

وبعد الاسباط جاء نبى اللـــه أيوب عليه السلام ، وهو من نسل اسحق ويعقوب ، وكانت أمه ابنة لوط ، وعاش فى قومه مائة وأربعين سنة ، رأى فيها أربعة أجيـــال من نسله ، ومن الانبياء الذين جـــاءوا بعد أيوب نذكر : ذا الكفــــــل ، وشعيبا ـــ الذى أرسل فى قـــــوم مدين « **والى مدين أخاهم شـــعيبا قال يا يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيـــــال والميزان ، انى اراكم بخـــير وانى أخاف عليهم عذاب يـــوم محيط »** (سورة هــــود الآية ٨٤) ، وكان

جزاؤه من بعض سفهاء قومه التكذيب والتسفيه ، فكان أمر الله فيهم « **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين** » . (سورة هود الآية ٩٤) .

لقد تضمنت تلك الرسالات السماوية السابقة خصائص الاعلام فى أقوامها وسايرت تفكيرهم وأحوالهم الاجتماعية ، وكانت معجزات الرسل أو الرسول نفسها تتفق مع الاعمال وأطرف الصناعات التى برع فيها القوم أو برزوا ، كما كان الجزاء من جنس العمل ، وقد يتساءل متسائل : اذا كانت الرسالات تتفق مع أحوال الاقوام وتبسط لهم أمورها ، وتراعى ظروفهم الفكرية والاجتماعية والحضارية ،فلماذا كان المكذبون بها أكثر عددا ونفيرا من المؤمنين بها ؟ والرد على ذلك بسيط اذا عرفنا ان كل رسالة سبقت الاسلام كانت موجهة الى قوم بذاتهم ، وتقتصر على فئة من الناس هم قوم الرسول أو دوو قرباه ، ولم يكن من اليسير أن تسيطر قلة على كثرة ، فاذا عرفنا أن الأقوام المتجاورة كانت تؤثر فى بعضها البعض ، وأن الفروق الزمنية بين رسالة وأخرى كانت تمنع وصولها الى أكثر من قوم ، واذا عرفنا أيضا أن وساوس النفس ونزعات الشيطان كانت فى أخصب مراحلها، وأن تراث الاقوام وعباداتهم السابقة كانت تنتشر بينهم انتشار النار فى الهشيم ،وأن التقاليد الموروثة كانت راسخة وقوية فيهم ، اذا عرفنا ذلك ، كان من اليسير أن نرد على ذلك السؤال وكان أمل البشرية بعد كل رسالة أن ينشر الناجون الرسالة ولكن قلتهم كانت أضعف من أن يزيد بها عدد المؤمنين ، وهكذا كانت سنة الله فى الخلق « **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** » (سورة يوسف الآية ١٠٦) .

ولكن النصر فى النهاية يكون لعباد الله المؤمنين « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد** » (سورة غافر الآية ٥١) .

محمد كمال الدين

أعلام الإسلام

من أئمة المحدثين

الإمام مسلم

للدكتور / الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

هو الامام أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيرى النيسابورى .

ولد بنيسابور (أحسن مدن خراسان) وأجمعها للخير « جمع الحاكم تاريخ علمائها فى ثمانية مجلدات » وكان مولده سنة مائتين وست من الهجرة فى عصر كان للحديث مجده ، وللسنة سلطانها . وكان العلماء الأفذاذ فى كل قطر من أقطار الاسلام لهم فيه نشاط سابق ، لكن بلاد ما وراء النهر كانت أنشط الاقطار ، وأكثرها تدفقا بالحيوية والنشاط فيما يتصل بالحديث .

شخصيته : اتسمت شخصية الامام مسلم بالبحث العلمى الجاد ، ولم تتح له ظروف عصره أن يظهر بما ظهر به البخارى من الجاذبية العلمية العنيفة ، والبروز الحاد ولكنه مع ذلك استطاع أن يلفت الأنظار اليه بشدة حينما أظهر صحيحه الذى أصبح صنو صحيح البخارى ، وأصبح به ثانى اثنين فى جمع الصحيح من الحديث .

وكان تام القامة ، أبيض الرأس واللحية ، يرخى طرف عمامته بين كتفيه بعد أن استمر به السن فى دراسة الحديث .

وكان له ضياع ينفق منها على مطالبه الشخصية والعلمية . **وبدأ حياته « بزازا » الى جانب طلبه للحديث ، وكان أبوه الحجاج من المشيخة ، فورث عنه طلب العلم والاتجاه الى دراسة الحديث .**

تكوينه العلمى ورحلاته :

كان فيض العلم فيما يتصل بالحديث وفنونه ينهل منه كل طالب ، فالتمس الامام مسلم تحصيل ما يمكن تحصيله ، وجد واجتهد فى طلب العلم ، ورحل فى سبيل ذلك الى كثير من الامصار والاقطار ، فضم الى علم بلده علوم البلاد الاخرى حتى أصبح من حملة التراث الاسلامى بكل ألوانه وصوره •

فرحل الى العراق ، وسمع بها من كثيرين منهم : أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن مسلمة •

والى الحجاز ، وسمع بها من كثيرين ، منهم : سعيد بن منصور ، وأبو مصعب الزهرى •

والى « الرى » وسمع بها محمد ابن مهران الجمال ، وأبا عساده وآخرين •

والى مصر وسمع بها ، عمرو بن سوار ، وحرملة بن يحيى ، وآخرين •

وسمع بخراسان يحيى بن يحيى واسحق بن راهويه وآخرين •

وسمع من كثيرين من أساطين المحدثين ، وكبار رجال السنة •

وجالس الامام البخارى ، واستفاد منه ، حتى لقد قال الدار قطنى :

« لولا البخارى لما ذهب مسلم ولا جاء » •

وقال الخطيب : « انما قفا مسلم طريق البخارى ، ونظر فى علمه فحذا حذوه •

ولما ورد البخارى نيسابور آخر مرة لازمه مسلم ، وأدام الاختلاف اليه •

وبقدر ما حصل من العلم ، واستفاد من العلماء بقدر ما بذل من العلم وأفاد ، فقد روى عنه أبو عيسى الترمذى حديثا واحدا ، وروى عنه يحيى بن صاعد ، ومحمد بن مخلد ، وأبو عمرو الخفاف ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وغيرهم •

(مؤلفاته)

تنوعت مجالات البحث عند الامام مسلم ، وشملت من فنون

الحديث أبدعهــا وكلهــا تدل على ما كان لدى الامام مسلم من تمكن ودراية وفهم ، ومن هذه المؤلفات •

١ ــ أوهام المحدثين •
٢ ــ طبقات التابعين •
٣ ــ الأسماء والكنى •
٤ ــ السؤالات عند أحمد بن حنبــل •
٥ ــ العلل •
٦ ــ المخضرمين (نقــل عنــه السيوطى فى الحديث عن التابعين فى كتاب تدريب الراوى) •
٧ ــ الوحدان •
٨ ــ مشايخ الثورى •
٩ ــ مشايخ مالك •
١٠ ــ مشايخ شعبة •

وغــير ذلك من المؤلفات الكثيرة التى لم يبق فيها الا ذكراها الطيبة العطرة والتى نتنســـــمها فى أثره الشامخ الخالد صحيح مسلم •

صحيح الامام مسلم :

والأثر الهام البــاقى من تراث الامام مســلم هو صحيحه الذى طبقت شهرته الآفاق ، وسار ذكره فى الأمصار ، استغرق تأليفه خمس عشرة سنة وجمع فيه أربعة الآف حديث من غير المكرر ، انتقدها من ثلاثمائة ألف حديث مســـــموعة ، والمكـــــرر أكثر من ثمانية آلاف أو اثنى عشر ألف سند وطريق الى الاحاديث المسندة فيه •

قال أحمد بن سلمه : « كتبت مع مسلم فى تأليفه لصــحيحه خمس عشرة ســنة ، وهو اثنا عشر ألف حديث » وقد امتاز صحيح مسلم بخصــــــائص ومزايا جعلت بعض العلماء يقـــدمه على صـــــحيح البخارى •

أول هذه المزايا ، هى خلوصه للحديث دون غيره ، فليســت فيه استنتاجات فقهية أو أصــــــولية أو تفريعات علمية فى أى مجــال ، بل جعل لكل حديث موضعا يليق به جمع فيه طرقه التى ارتضــــاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعـــددة ، وألفاظه المختلفــة ، فيســــــهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ، ويحصــــل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه •

وثانى هذه المزايا : أن مســلما

صنف كتابه فى بلده بحضور أصوله فى حياة كثير من مشـايخه ، فكان يتحرى فى الالفـاظ ، ويتحرى فى السياق ولا يتصدى لما تصدى له البخارى من اسـتنباط الأحكام ليبوب عليها •

وثالث هذه المزايا : أنه رسـم خطة بحثه فى أول صحيحه ، وذكر فيهـا سبب جمعـه الصـحيح ، وأقسام الأخبار ، والمنهج الحقيقى فى تقدير الرواة ورأيه فى الحديث المعنعن . وبهذا كان صـحيحه عبـارة عن منهج وتطبيـق لهـذا المنهج ، وهو مسـتوى من المستويات الرفيعة فى أى مؤلف من المؤلفات •

ذكـر مسـلم فى مقـدمة صحيحه ، أنه سئل أن يلخص مؤلفا فى جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) فى سنن الدين وأحكامه ، وما كان منها فى الثـواب والعقاب ، والترغيب والترهيب ، وغير ذلك من صـنوف الاشـياء بالاسانيد التى نقلت بها وتداولها أهـل العلم فيما بينهم بلا تكرار ، لان ضبط القليل المتقن أيسر من معالجة الكثير عنـد من يحتاج الى أن يميز له غيره الحديث (غير المتخصص) •

ولأن القصد الى الصحيح القليل أولى من زيادة السـقيم وبين أن استجابته لذلك ستعود فائدتها عليه قبل كل شىء لان القليل الصـحيح خير من الكثير السـقيم واذا كان العلماء المتخصصون يهجمون على الكثرة الغامـرة من الاحـاديث المختلطة من الصـحيح والضعيف والموضوع يميزون منها ما يصـح مما لا يصـح ، وما يصـلح مما لا يصلح ، فان العوام لا نفع لهم فى هذا الكثير ، ولا فائدة لهم منه ، بل ان هذه الكثرة كثيرا ما تنحرف بهم الى الاخذ بما لا يصلح الاخذ به ، والعمل بما ينبغى عدم العمـل به •

فصحيح مسلم برز الى الوجود نتيجـة باعثين : باعث الطالب المباشر من أحـد المعاصرين أو من فئة معينة منهم ، ولا شك أن طالب الشىء انمـا يطلبـه غالبا ممن يستطيع القيام به ، وفى ذلك ما يدل على مكانة الامام مسلم •

وباعث الطلب غير المباشر : طلب الحالة الحاضرة التى كان عليها الحديث قبل جمع الصحيحين من اختلاط الصحيح بالسقيم ، والقوى بالضعيف ، وقصور الاستفادة من الاحاديث على الخاصة دون العامة ٠

ومسلك الامام مسلم فى صحيحه طريق التيقيظ والتحوط ، وقسم الاخبار المسندة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى ثلاثة أقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار الا لضرورة تقتضى تكرير الحديث كزيادة معنى فى الطريق الآخر ، أو كشف علة فى اسناد بمقارنته بغيره من الاسانيد ٠

القسم الأول :

ما نقله الثقات المتقنون الذين بلغوا أقصى درجات القوة فى الرواية كابن عوف ، وأيوب السختيانى ، مع الحسن وابن سيرين ٠

القسم الثانى :

ما يقع فى اسناده من ليس موصوفا بالحفظ والاتقان ، لكنه صادق متعاط للعلم مستور أى فى الدرجة الوسطى من رجال الحديث (كعوف بن أبى جميلة ، وأشعث الحمرانى مع الحسن وابن سيرين) ٠

القسم الثالث :

ما رواه متهمون بالكذب أو الوضع أو الغفلة أو سوء الحفظ أو ما الى ذلك من عيوب الرواة عند أكثر المحدثين أو عند كل المحدثين ، وهذا القسم قد تركه مسلم ، ولم يعرض عليه ، ولم يدخل شيئا منه فى صحيحه كمحمد بن سعيد المصلوب ، وغياث بن ابراهيم وغيرهم ممن اتهم بتوليد الاخبار ووضع الحديث ٠

أهم شروح صحيح مسلم :

١ ــ المعلم بفوائد كتاب مسلم ، للامام أبى عبد الله محمد ابن على المازنى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية ٠

٢ ــ اكمال المعلم فى شرح صحيح مسلم للامام القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى

المتوفى سـنة ٥٤٤ ﻫ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية •

٣ ــ شرح الامام محيى الدين ابن شرف النووى الشـافعى ، المتوفى سنة ٦٧٦ ﻫ وسماه المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج وهناك شروح للزواوى المتـوفى سنة ٧٤٤ ﻫ والسنوسى سنة ٨٩٥ ﻫ والشيخ زكريا الانصـارى المتوفى سـنة ٩٢٦ ﻫ ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ ﻫ وعلى القارىء الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤ ﻫ ، ومن الشروح التى لم تتم كتاب فتح الملهم البشير العثمانى الدينويندى ، وقد طبـع منه ثلاثة أجزاء كبار قبل وفاته •

وفاته :

وتوفى رحمه الله عشية الاحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سـنة ٢٦١ ﻫ احدى وستين ومائتين • ودفن بنيسـابور ، وقد حكوا فى سبب وفاته أنه أجهـد نفسـه فى البحث عن حديث بين الكتب والدفاتر ، وغفل عن نفسه ، فكان يتناول تمرا بجانبه فمرض من كثرة الاجهاد وعسر الهضم ، وتوفى بسبب ذلك •

رحم الله مسـلما رجلا أخلص للعلم فوفقه الله فيه ، وأبلغه درجة من الدرجات العالية التى لا يصل اليها الا المخلصون **(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)** •

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

غزالى القرن الرابع عشر

للدكتور / عبد الفتاح بركة

قل فى بلاد الاســــلام من لم يسمع باسم حجة الاسلام الامام أبى حامد الغزالى وباســم كتابه الشهير « احياء علوم الدين » •

وندر بين الباحثين فى الاسلام من لم تستلفت نظره هذه الشخصية الشامخة بكثرة انتاجهــا ، وتنوع معارفها ، وعمق تأثيرها فى تيـــار الثقافة الاسلامية وما تأثر بها من ثقافات أخرى •

ولقد ذاع هذا الاسم ، وانتشر هذا العلم ، ولايزال محتفظا بقدرته على الذيوع والانتشار ، لما يمتلك من طاقة وحيوية فياضة ، ولما عالج من مسائل ومشاكل عامة ومتجددة، ولما فيه من بساطة ووضـــوح ، وحسم ويقين •

ومن أهم القضايا التى واجهها الامام الغزالى وعالجها فى عــزم وحسم قضية الدين والعقل وقــد برزت هذه القضية فى أتم صورة فى ميدانين هما ميدان علم الكلام ، وميدان الفلسفة •

ولم يكن لمثل هذه القضـــية أن تحتاج الى مواجهة والى علاج ، لو أنها ظلت فى حدودهـــا التى يقتضيها العقل نفسه ، ويرســـم لها قواعدها وغاياتها ووسائلها ، ولكن العصر الذى نبغ فيه الغزالى كان قد شهد انحرافا هائلا فى طريقة استعمال العقل تحت حماية مظلــة دينية ، وكان من تحت هذه المظلة

---

* ما بين الاقواس منقول ببعض تصرف من كتاب الامـــام الاكبــر عبد الحليم محمود : التوحيد الخالص •

الدينية يعمل على تقويض دعائم الايمان وقواعد الدين نفسه .

هذه المظلـــة الدينية التى كان العقل البشرى يحتمى وراءها هى دعوة الاســلام على لســان كتابه ورسوله الى تحرير العقل والاعتماد عليه ، ونبذ التقليد وترك الجمود ، حتى يمكن للعقل أن يميز بين الحق والباطل ، ويمكن للانسان اعتمادا على عقله أن يلتزم بالحق وأن يهجر الباطل .

وقد وضع الاسلام على لســان كتابه ورســـوله أمام الانســان الحقائق الالهية والــــدينية التى لا يستطيع بعقله أن يتوصل اليها على استقلاله ، وطلب منه أن يعتبر ليهتدى بها فى عقائده وأخلاقـــه وتشريعاته ، حتى تستقر حياته فى الدنيا على قواعد من الحــــق ، ومبادىء من العدل ، وأسس مــن الخير .

ودعوة الاسلام الى اســتعمال العقل صريحة واضحة لا تحتمــل شكا ولا تأويلا ولاتزال هذه الدعوة قائمة تميز الاسلام كـــدين الهى صحيح عن كثير غيره من الاديان .

ولقد فهم المسلمون الاوائل هذه الدعوة ، واستجابوا لها ، وعرفوا قواعدها فلزموا حدودها ، وظــل الامر على ذلك حتى تســـللت بين أفكار المسلمين وبين عنــــاصر ثقافتهم عوامل غريبة تعتمد عــلى ترجمة تراث اليونان فيمــا وراء الطبيعة وفى مجال الاخلاق .

وبدأ بعض المســلمين يفهمون دعوة الاسلام الى استعمال العقل والاعتداد به بطريقة تجــاوز بــه حده ، وتجشمه التطلع الى أفــق أعلى من مستواه ، فبدأ التفلسف وظهرت الفلسفة ، وبدأت مســائل العالم الغيبى مما تسميه الفلسفة ما وراء الطبيعة وفوقهـــا تعالج بالعقل فى ميدان الفلسفة ، بعد أن حددها الوحى وبينها الدين ، وعندما كانت نفس المسلم العادى تختلج بشىء من الريب والتشكك تجاه هذا الاتجاه العقلى الجـــديد ، كانت الفلسفة تتذرع بذريعة من الدين نفسه من حيث حثه على العقـــل وعلى استعماله ، وعلى تحريره من ربقة التقليـــد والجمود ، وكانت الفلسفة تدعى تلك الدعوى البديهية ،

أن الحق لا يناقض الحق ، ثم ان العقل بما يتوصل به الى الحـــق يكون ظهيرا لما أتى به الوحى من الحق • وأنه حين يظهـر شيء من الخلاف أو الاختلاف بين مقولـة الوحى ، ونتائج العقل ، فلابد أن يكون هنا مجال للتوفيق بينهمـــا بطريقة تزيد الحق وضوحا ويقينا •

ومثل هذه الاقاويل ، وان بدأ عليها سمة من القبول تخول العقل سلطات أكبر من طاقاته ، وتزج به فى ميدان أوسع من قــدراته ، ثم توائم بين سلطانه وسلطان الدين نفسه ، ثم ترفع بعد ذلك سلطانه فوق سلطان الدين نفسه لتجعـــل منه حكما فى كل ما أتى به الدين من أخبار عن عالم الغيب ، ومن قواعد للاخلاق ، ومن قوانين للتشريعات •

ولو كانت طاقات العقل وقدراته تخول له هذا السلطان ، وتمكنه من التجول فى ســـاحة الغيب ، ومن الثبات فى ميــدان التشريع ، ومن التبصر فى مجال الاخلاق ، لما ظلت الانسانية فى فترات انقطاع الوحى والرسالات تتشوف الى أنوارها ، وتستشرف الى هدايتها ، ولما كان الوحى حين يستجيب لها يستجيب بذلك فى غير ترديد ولا تشـــكيك ، ولا حسم •

ولكن الدين حسم كل هـــــذه الابواب ، ومهدها أمام العقـــل ليتفهمها ، ويستهدى بها لا لــكى تكون مجالا للقبــول أو الرد ، أو محلا للزيادة والنقص ، أو لمساومة العقل فيها ترديدا وتشكيكا ، وذلك لان العقل ــ بكل مافيه من قوى وطاقات ــ معزول عن التحكم فى هذه الســاحات ، أو الســـير فى مسالكها بغير هاد ولا دليل •

ولاشك أن للعقل مجالاته التى يستطيع أن ينشط فيها وهو آمــن مطمئن أنه يحقق فيها أفضل النتائج بعد أن يضع أقدامه على أســـاس من الدين فيمـــــا يتعلق بالغيب والشريعة والاخلاق ، هذه المجالات هى المجالات الحسية والمادية ، أو هى مجالات الطبيعة بكل ما فيهـــا وهى مجالات تختلف عن مجــالات ما وراء الطبيعة من حيث أن العقل اذا أخطأ فيها أمكن له بمعـــاودة البحث والنظر أن يصحح أخطاءه وأن يقوم ــ من جديد ــ مساره •

ولذلك نجد الدين يترك هـذا المجال للعقل بغير تحديد، ولاتقييد، بل ينبهه ويحثه ، ويحفزه ويستفزه للاستفادة بكل طاقاته فى هـذا المجال .

ولكن الفلاسفة ، ــ والعقلانيين على وجه العموم ــ لم يقبلوا هذا التحديد الدقيق واتسعت أمامهـم دائرة العقل فظنوا أنها بغير حدود ولا قيود ، وظنوا أن الدين نفسه يظاهرهم ويؤيـدهم على ذلك فتوسعوا ما شاءت لهم أوهامهـم حتى طرقوا بعقولهم أبواب الغيب يريدون أن يكتنهوا أغـواره ، ويعبـروا أسراره ، فتخبطوا ، واختلفوا وتفرقوا .

واستمرار هـذا التخبط ، والاختلاف ، والتفرق باسم الدين تنكث غزله وتوهى أركانه وتنقض بنيانه .

لذلك انتهض الامام الغـزالى لمقاومة هذا الاتجاه العقلانى الذى تمثل فى عصره فى مظاهر مختلفـة كان من أبرزها : الفلسفة .

« وحمل الامام الغزالى عـلى الأساس الذى تقوم عليه الفلسفة وهو « العقل » حملة عنيفـة وهجم عليه هجوما قويا » فى كثير من تآليفه وتصانيفه ، وخـرج على العالم كله بهذا التراث الخالد « تهافت الفلاسفة » الذى سـوف يظل الى الابد فيصلاً فى بيان قصور العقل ومحدوديته وعدم قدرته على تجاوز تلك الساحات المنيعـة ، والعتبات الرفيعة التى اختصت بها الأديان الصحيحة .

ولم يكن الامام الغزالى بدعـا فيما أتى به ، ولم يخرج فيـه بشىء جديد لم يكن فى الاسلام من قبل ، أو لم يكن علماء الاسـلام على وعى كامل به ، ولكن أصـالته وابداعه تظهر فى قدرته عـلى استخدام العقل نفسـه فى بيان حدوده ومداه ، وعلى مناقشـة الفلاسفة بمنهجهم وأسلوبهـم ، وعلى وضع هذه القضية وضعـا منهجيا منظما مستقلا فى مواجهـة ظروف جديدة على العالم الاسلامى كادت تزيف عليه ثقافته ، وتفسـد عليه فكره ، وتفتنه فى دينه وايمانه، ولو أردنا أن نعبر عن هذه الظروف ببعض عبارات العصر لقلنا أنهـا

غزو فكرى وثقافى ، أو معركة بين الاصالة والتغريب أو ما شاكل من هذه المصطلحات الجديدة .

« لقد كان كتابه » « تهافت الفلاسفة » محاولة موفقة كل التوفيق ، جريئة كل الجرأة ،طريفة كل الطرافة ، وما كان المقصد الاول ، والهدف الأساسى لهجومه هدم الآراء فى نفسها ، فبعضها صحيح موافق للدين ، ومع ذلك فقد هدم الامام الغزالى المنهج العقلى الذى استندت اليه هذه الآراء .. انه لم يلتزم فى هذا الكتاب الا تكدير مذهبهم والتغبير فى وجه أدلتهم بما يبين تهافتهم ، ويقول : أنا لا أدخل فى الاعتراض عليهم الا دخول مطالب مفكر ، لا دخول مدع مثبت ، فأبطل عليهم ما اعتقدوه ، مقطوعا بالزامات مختلفة .

« وما من شك فى أن حملة الامام الغزالى انما كانت موجهة أولا وبالذات الى العقل ، والقضية المتنازع عليها هى : قضية استطاعة العقل الوصول الى المعرفة اليقينية فى عالم « ما وراء الطبيعة » ، الامام الغزالى ينكر ، ويثبت انكاره بالاخفاق المتتابع للفلاسفة ويثبته أيضا بهدم العقل لكل ما بناه العقل نفسه فى هذا الميدان .

« والتعارض اذن بين الامام الغزالى والفلاسفة انما هو تعارض كلى ، ولذلك فان المحاولات الكثيرة المتعددة لتصحيح آراء الفلاسفة أو لتصحيح بعضها ، ونقد الامام الغزالى فى حملته على هذا الرأى أو ذاك ، والانتصار لوجهة النظر الفلسفية فى هذه أو تلك ، ان ذلك كله غير مجد فى القضية التى أثارها الامام الغزالى ، وهى محاولات جهل القائلون بها موضوع النزاع على حقيقته أو تجاهلوه .

« ومن هنا كانت محاولة ابن رشد — وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة — تصويب آراء الفلاسفة فى كتابه « تهافت التهافت » عملا غير مفيد فى حسم النزاع » .

واذا صح أن التاريخ يعيد نفسه فاننا سوف نجد كثيرا من التشابه بين هذه الحقبة التى نعيش فيها وتلك الحقبة التى عاش فيها الامام الغزالى .

فلقد ورثنا تركة مثقلة من ركام الثقافة الغربية بتأثير الاستعمار الذى جثم على صدورنا ردحا من الزمن ، ورثناها تحت مظلة الدين وحمايته ، من حيث أن الدين لا يتعارض مع العقل ، ولا مع اعماله وتحريره من ربقة التقاليد ، ومن حيث أن الدين يحفز العقل ويستنهضه ليجول فى ميدان العلوم قدر وسعه وطاقته ، خاصة وقد شعر العالم الاسلامى حين ابتلى ببلاء الاستعمار أنه قد تخلف كثيرا فى ميدان العلم ومحيط الثقافة ،وأن هذا التخلف هو الذى هيأه للوقوع فريسة فى أيدى أعدائه ، فأصبح وقد ازداد اقتناعه — بالاضافة الى ما فى دينه من دوافع وحوافز — بضرورة العمل على معالجة هذا الداء ، وتلافى هذا النقص .

ولقد كان من الممكن أن يكتفى فى مجال العقيدة والشريعة والاخلاق بما فى تراثه الاسلامى العريق ، وأن يلتمس علاج نقصه وتلافى أسباب تخلفه فى النواحى العلمية المادية التى كان مقصرا فيها كل التقصير ، ولكن الخطأ الذى وقع فيه الفلاسفة من أسلافه فحسبوا أن مظلة الاسلام تبيح للعقل أن يتجاوز حدوده فيبحث من جديد فى الاسس والقواعد التى فرغ الدين من بيانها وتحديدها مساعدة للعقل فى ميدان لا يستطيع أن يستقل بالبحث فيه ، هذا الخطأ الذى وقع فيه الفلاسفة من أسلافهم كان هو الخطأ عينه الذى وقع فيه بعض رواد الفكر فى هذا العصر بوعى منهم أو بغير وعى ، وكان من نتائج ذلك أن تابعنا الحضارة الغربية فى أخطائها الفكرية والثقافية بل حتى فى أوهامها وخيالاتها العقلانية .

ولقد نلتمس لأصحاب هذه الحضارة بعض العذر فى اتجاهها العقلانى ، حيث نشأت هذه الحضارة ونمت بعد فترة « كانت الكنيسة فيها مسيطرة على العالم الاوربى سيطرة تامة : ما كان هناك شىء يفعل ، أو شىء ينتهى فيه الامر ، ولا شىء يقام أو يهدم ، وما كان انسان يقدم على أمر ، وما كان انسان يحجم عن أمر الا باستئذان الكنيسة ، وباستئذان

رجال الدين ، ولكن الكنيسة ورجال الدين تعسفوا فى استعمال سلطتهم، حتى لقد أنشأوا محاكم التفتيش » •

وشهرة محاكم التفتيش مستفيضة ، كتب عنها الكثيرون من أهلها ومن غير أهلها فصوروا بشاعتها وقسوتها ، فكانت أبشع صورة وأسوأ مظهر ، كتب عنها الكاثوليك كما كتب البروتستانت ، وكتب الانجليز كما كتب الفرنسيون ، وكتب المسيحيون كما كتب غيرهم ، وقد وضح مما كتبوا أن الانفجار الانسانى ضد الدين قد كان له هناك ما يبرره من هذا الكبت العنيف الذى كان يغمر أوربا فى هذا العصر •

« وأخذ قادة الحضارة — مبتدئين من هذا الاتجاه الانسانى — يقررون أن الانسان له كيانه ومكانته ، له شخصيته وذاتيته ، له حدوده وتقديراته ، له كرامته التى يجب أن يتمتع بها ، وأن يحتل من أجلها المكانة التى تليق به •

ومن هنا كانت كلمة الانسانية التى تطلق كرمز مميز على هذه الحضارة •

« ولكن حينما بدءوا يتحدثون عن الانسان فى ثورة عواطفهم القوية ، وفى غمرة نفورهم الشديد من رجال الدين ، كانت كلمة الانسانية توحى — عند قادتهم — بانفصال الانسانية عن الالهية ، أو انفصال الانسانية عن الكنيسة ، أو انفصال الانسان عن الدين ، أو بالتعبير الحديث انفصال الدين عن الدولة » •

« وتلفت ممثلوا هذه الحضارة يلتمسون الأصول والقواعد التى يمكنهم أن يقيموا عليها نظمهم البشرية ، وتساءلوا : ماذا يمكن أن يحل محل الدين ؟

« ان الدين نظام اجتماعى وتشريعى وأخلاقى ، فاذا أردنا أن نتخلص من هذه النظم لأنها نظم دينية يقوم عليها رجال الكنيسة ورجال محاكم التفتيش ، فما هى المصادر والمنابع التى نستقى منها اذا أردنا أن يسود الاطمئنان فى المجتمع ؟

« أما المصادر فما كان يمكن —

خارج نطاق الدين ــ الا أن تكون فى مصدرين •

١ ــ العقل فى ناحية مــا وراء الطبيعة •

٢ ــ الضــــمير فى ناحيــــة الاخلاق » •

ومن الواضح أن مثل هـــذه المبررات لم يكن لها وجـــــود فى المجتمعات الاسلامية حتى تلجـــأ لتلك المصادر البشرية بعيدا عــن عصمة الوحى فى الامور التى تتعلق بالغيب والتشريع والاخلاق ، ولكن التوسع فى فهم وظيفة العقل وفى حث الاسلام على استعمـــاله فى مجاله وفى ميدانه جعل رواد الفكر فى هذا العصر بوحى من شعورهم الخاص ، وبتشجيع من رجـــال الاستعمار ، وبطريقة أو أخرى من طرق الايحاء النفسى ، يتجهون الى تقليد العقل من مقاليد الحكـــم والبحث ما لا قبل له من ناحية ، وما صرفه عن التركيز والابـــداع فيما كان ينبغى عليـــه من ناحيـــة أخرى •

وهكذا أمكن تحت وطـــأة الاستعمار من جانب ، وفى غفـــوة الشعور والوعى الدينى من جانب ، أن يعزل الدين عن مجال التشريع، وأن ينصب العقل فى مجـــال التفلسف، وسرت الينا تلك الدعاوى والقضايا الفلسفية والاجتماعيــة التى سيطرت على الحضارة الغربية بوجهها المادى الاصم ، وبأسسها وقواعدها ومبادئها التى لا يهديهـا دين ، ولايعصمها وحى •

وقد ترتب على ذلك أن تعـــددت المـــــذاهب واختلفت الآراء ، وتعارضت الأفــكار وتضـــاربت الاتجــاهات ، وازدادت الأمـــة الاسلامية وهنا على وهن، وتفجرت جراحها الداخلية بأعنف وأقسى مما تفجرت به جراحها الخارجيـــة ، وأصبحنا فاذا بنا نجد من بيننـــا من يدعو الى بدعة الوجـــودية ، واللا معقول ، والعبث ، ومن يدعو الى الشيوعية أو الاشـــــتراكية العلمية ، أو الرأسمالية الغــربية ، ومن ينـــادى بالديموقـــراطية اشتراكية أو رأسمالية ومن ينعــق بالقومية والوطنية ، والانســانية بمفاهيمها العنصرية والمذهبية •

ووراء هذا الركام الذى حطبناه فى ليل الهزيمة من حصاد العقلانية

المفتونة ، وخلف هذا الغثاء الذى أفرزناه فى غشية الوعى من كبرياء العقلانية الواهمة ، كانت حقائق الدين الجلية الناصعة ، وكان هتاف الوحى المعصوم النقى القوى ينتظر رجلا كالامام الغزالى ليصيح بالعقل تلك الصيحة المجلجلة أن يكفكف من غلوائه ، وأن يلزم الحدود التى تهيأ لها بفطرته ، وأن يلتمس هداية الدين وارشاده فيما يمكن له أن يتلقاه عن الدين فى باب الغيب والاخلاق والتشريع، وليؤذن بين المسلمين بذلك الاذان المدوى أن حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، وأن عودوا الى رشدكم ، وثوبوا الى دينكم ، وأعملوا عقولكم فى اتباع هذا الدين •

هذا هو غزالى القرن الرابع عشر ! انه أستاذنا الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود •

انه من الصعب أن يجد الانسان نفسه فى متاهة ذات مسالك متشعبة ومتضاربة ثم يجرد من نفسه انسانا يتسامى ليشرف بنظره طائر على هذه المتاهة فيعرف أسرارها ويحيط بعثراتها وعقباتها ، ويرسم لمن معه سبيل النجاة والخلاص منها •

وانه لمن العسير على من وقع فى حمأة من الطين الرخو الذى يبتلع ما يلقى فيه أن يسكن فى التماس الحيلة للنجاة حتى يتبين لقدمه موقعها الصلب من بين هذا المستنقع •

واذا كان التيار جارفا يستسلم له الجميع ، ويعتبرون الحصافة فى الاستسلام له ، فمن المتعذر أن تجد من بينهم من ينظر للعواقب ويدبر فى نجاة نفسه ونجاة قومه من عاقبة هذا التيار المدمر •

لقد كان غزالى القرن الرابع عشر الامام عبد الحليم محمود — رحمه الله — هو الذى استطاع أن يتسامى بنفسه بعيدا عن هذه الحمأة ، نجيا من هذه المتاهة ، مشرفا من أفقه الرفيع على منبع التيار ومصبه ، فلم تستغرق فكره تلك القضايا العابثة ، ولم تستحوذ عليه تلك المشاكل المفتعلة ، ولم تلهه تلك الاقاويل والمذاهب المصطنعة ، وانما ظل محتفظا بنقاء فطرته ، وصفاء فكرته ، وسهل عليه لذلك أن يتبين ما فى هذا الركام الفكرى من

زيف يأخذ صورة الاصالة ، وعبث يسلك مسلك الجد ، وكان مقياسه الذى لا يخطىء فى افراز هـــذه القضايا ، ومعرفة ما تســتحقه من قدر وقيمة ، هو العقل نفسه ، حين حدد له حدوده الفطرية ، وقدراته وطاقاتــه الحقيقيــة ، ووظائفــه ومهماته الاصــلية وكل قضــية لا تدخل فى نطاق الدائرة التى يسرى عليها سلطان العقل ، فهى قضــية مزيفة عرضت على غير أهلها ، وفى غير محلها •

ولذلك يكون من العبث أن يصرف الانسان جهده الفكرى والعقلى فى معظم القضايا الفكرية التى يموج بها محيطنا الثقــافى ، وهى بــذلك انفاق للجهد والوقت فى غير طائل فوق أنها تضليل ومضيعة للانسان•

ولقد كانت هذه الحقيقة ملازمة لامامنا لاتفارقه فى وقت من أوقاته، ولا فى حال من أحواله ، كان يدندن بها فى محاضراته ، ويتغنى بها فى ندواته ، ويلفت اليهــا الانظــار فى مساجلاته ، وكانت محور تآليفه ومصنفاته •

ولقد كان يعلم يقينــا أن هــذه الحقيقة هى الاصل الذى ينبغى الركون اليه ، والاعتماد عليــــه فى تزييف تلك المــذاهب البشرية ، والآراء العقلانية التى ابتدعتهـــا الكبرياء الانسانية فى مواجهـــة الرحمة الالهية ، ومن هنا اختلف منهجه فى مناقشة تلك المذاهب عن مناهج الآخرين ، أو لعله كان لـــه ــ دونهم ــ منهجه فى مناقشة هذه المذاهب ، انـــه يعمــد مباشرة الى الاســـــاس الذى يتباهـــون به ويفتخرون فيهــدمه فى بســـــاطة واقتدار •

لقد وجدنا من يناقش الوجودية والشــيوعية والالحادية والمــادية وغير ذلك من هـــذه الاســـماء والمبتدعات ، ولاشــك أن الباحثين المسلمين قد أبلوا فى مناقشة كـــل هذه الآراء البلاء الحسن الجميـــل ولكن الذى يمكن أن يلاحــظ أنه ما من مناقشة الا ويصـــح أن تعقبهــا مناقشـــــة ، وما مــن جدل الا ويمكن أن يتولد عنه جدل، ومادام العقل هو الفيصل ، وهـــو الحكم، فالعقل قسمة بين الاطراف، والقضية بذلك معكوسة أو مقلوبة ،

لانها تجعل الدين وقضيته رهن فوز العقل فى طرف من هذه الاطراف وما هكذا تؤخذ قضية الدين ٠

ان مبادىء الدين وقواعد الاسلام لا تحتاج من العقل الى حماية أو دفاع ، وانما تحتاج الى تسليم واقتناع ، ولا تحتكم الى العقل ليحكم لها بالصدق والصواب ، وانما تحكم العقل وتوجهه الى الصدق والصواب ٠

ولقد أثبت العقل عجزه عن الحكم الصحيح فى مسائل أقل اشكالا من تلك التى اختص بها الدين ، أثبته من خلال اختلاف الفلاسفة وعباقرة المفكرين ، وهو بلاشك أكثر عجزا فى الميادين التى اختص بها الدين ، والتى أتى فيها بالحسم واليقين ٠

لا يصح اذن أن يكون الدين بقضاياه ــ غيبية وتشريعية وأخلاقية ــ موضع بحث عقلى للحكم بالصدق والصواب والصلاحية وان كان يجب أن تكون موضع بحث عقلى للفهم والاستيعاب والاتباع ٠

« والاسلام بهذا المعنى هو دين العقل ٠ انه هاد للعقل ومرشد له فى جميع الامور التى لو ترك العقل وشأنه فيها ضل السبيل ، وعجز عن الوصول الى الحقيقة وهذه الامور هى :

(أ) العقائد ٠ (ب) المبادىء الأخلاقية اجمالا وتفصيلا ٠

(جـ) التشريع فى قواعده العامة ، وفى بعض تفصيلاته التى تبقى مع الزمن وهو مبادىء يفهمها العقل فى سهولة ويسر ٠

وهو لا يتناقض مع العقل ٠

وهو ملجأ للعقل فى كل ما ينبنى عليه ٠

أما الطبيعة والكون من سمائه وأرضه ، ومن جباله وبحاره ، ومن كواكبه وشموسه وأقماره ، أما المادة والطاقة ، أما أعماق البحار وآفاق السماء وأجواز الفضاء ٠٠ ان كل ذلك قد تركه للانسان يدرسه فى مصنعه ومعمله ، ويستخدمه بأدواته وآلاته ، وقد حثه على أن يجول فى ذلك ما استطاع اليه سبيلا ، حتى يكتشف سنن الله الكونية ، ونواميسه

الطبيعية ، ويرى صنع الله الذى أتقن كل شىء ، ولم يحجر الدين على الانسان فى هذا المجال ، اللهم الا الواجب الذى ينبغى أن يكون شعاره دائما : وهو أن يكون هدفه من كل ذلك الخير » .

الاسلام اذن هو دين العقل بكل هذه المعانى فاذا تجاوزها الى الغيبيات نفيا أو اثباتا قيل له : لا . ليس هذا من شأن العقل ، واذا تجاوزها الى الاخلاقيات قيل له : لا . ليس هذا من شأن العقل ، للعلاقة الوثيقة بينها وبين الغيبيات ، وهكذا بالنسبة للتشريعات .

واذا تم وضع هذا الاساس لم يعد هنالك مجال لتجدد الجدل واحتدام النقاش وتولد البحث ، ولاستقام المنهج واتضحت الغاية .

واذا كان ذلك صالحا لبيانه فى مواجهة كل ثقافة وكل فكر ، فان المقصود به أولا وبالذات هو أمتنا الاسلامية حتى تستفيق من غمرة هذه التيارات الوافدة التى أخذت الفكر من أقطاره ، واذا كانت الحضارة الغربية قد وجدت لها مبررا فى هذا العضام الفكرى والثقافى عن الدين فالأمة الاسلامية ينبغى أن تبرأ من هذا الداء لانها لا تزال تمتلك بين يديها الوحى المعصوم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وانه ليكفينا نحن أمة الاسلام أن ننظر الى نتائج هذا العقل الانسانى فى محيط الحضارة الغربية بعيدا عن ميدان المادة والطبيعة لكى نحمد الله على جزيل نعمته علينا بهذا الدين الذى جاءنا بالقول الفصل والحكم اليقين ، ذلك أن مانراه فى محيط الحضارة الغربية يعطينا صورة واضحة عن الاضطراب الفكرى ، والتناقض المذهبى ، والبلبلة المستمرة بين عدة أطراف متطرفة ، يحاولون أن يضفوا عليها ثوب الحقيقة بادعاء فكرة التطور مرة ، وبادعاء فكرة التناقض أخرى ، وما ذلك الابسبب الاحتكام الى العقل فى أمور ليست من شأنه ، ولاتدخل فى محيط سلطانه ، وعندئذ لايكون الحكم هو العقل ، وانما هو الهوى .

يقول الشيخ الجليل أبو سليمان

المنطقى :

« ان منازل الناس متفاوتة فى العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيه أ هـ » .

« ومعنى ذلك أن هذا الذى يروق لشخص عقليا ، ربما لا يروق لغيره عقليا ، ويجب من أجل ذلك أن لا يتدخل العقل فى الدين ، والا لاختلف الناس باختلاف عقولهم ، وادعى كل أن ما هو عليه انما هو الحق ، وما عليه غيره هو الباطل ، ونتج عن ذلك اتباع كل هواه .

ولقد كانت هذه الفكرة من الوضوح لدى غزالى القرن الرابع عشر امامنا عبد الحليم محمود رحمه الله ، بحيث قاس بمقياسها تاريخا طويلا ، انه تاريخ البشرية منذ كان لها تاريخ ، فلقد بدأت قضية الاحتكام الى العقل فى المسائل الالهية عند ابليس الذى كان يوما ما يدعى بطاووس العباد، « لكثرة عبادته وتفانيه فى العبادة لكنه لما سمع الامر الالهى بالسجود لم يسجد ، لقد أبى ، واستكبر ، وهذا الكبرياء كما تمثل فى مخالفة الأمر الالهى ، تمثل فى المحاولة التى أراد هذا المتمرد أن يبرر بها موقفه ، مستنجدا بمنطقه وعقله قائلا « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ، ولم يكن هذا الا منطق الهوى ، ومنطق الكبرياء » .

والأمر الالهى لا يقابل اذن بتحكيم العقل ، وانما ينبغى أن يقابل باستسلام العقل .

ولقد سرت هذه الابليسية بين البشر ، عرف ذلك من تاريخ فلاسفة اليونان خاصة عند كبيرهم أرسطو الذى كان قوة خارقة وعبقرية هائلة : ذكاء وبحثا ومعرفة ، لكنه استعمل كل ماله من عبقرية فى النزول بالانسانية الى درك الحيرة والنقص والشك .

ومنذ أن وجد الانسان ، وجد معه روح من أمر الله وهو الوحى يرشده ويهديه ويبين له المبادىء ويوضح القواعد ، فى المسائل التى لا يصل تفكيره البشرى الى حل فيها ، وهى مسائل ما وراء الطبيعة، ومسائل السلوك الصحيح ،تشريعا كان ذلك أو أخلاقا .

وجاء عهد على اليونان حرمت

فيه من هذا الروح ، فأقام الانسان من نفسه رسولا ومشرعا بغير اذن من السماء ، وكانت نتائج هـــذه النزعة أن اختلف كل فيلسوف عـــن سابقه حتى وصل الأمر الى أرسطو الذى أراد أن يعصم الذهن عـــن الانحراف والخطأ فاخترع المنطق آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر ، ومع ذلك فقد اعتـــرف تلاميذه بأن هذه الآلة لم تعصـــم حتى مخترعها عن الخطأ ، وعجزوا هم عن أن يدافعوا عن أخطـــاء أستاذهم .

« واستمر تيار الانحراف الذى قاد أرسطو الانسانية فيه ســـائرا يتخطى القرون قرنا بعد قرن ، حتى وصل الى الجو الاسلامى فى عهـــد العباسيين ، وأخذ المســـــلمون يختلفون بعد اتفاقهم ، ويتفرقون بعد تجمعهم » .

فاذا انتقلنا الى العصر الحديث فاننا نجده يحدثنا عن خلفـــاء ابليس قائلا :

« وخلفـــــاء ابليس هم أولا وبالذات : الملاحدة » .

« انهم على نسق التعبـــــير الجارى : ابليسيون أكثـــــر من ابليس نفسه ، ذلك أن ابليس لـــم ينكر وجود الله ، ولم ينكر بعثـــا ولا رسالة ، ولكن هؤلاء أنكروا كل ذلك » .

« والالحاد درجـــات ، وأخس درجات الملحدين لاشك انما هـــى درجة هؤلاء الذين اعتقدوا ـــ على حد تعبير الغزالى ـــ « أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيـــــوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا » .

« وان من أحـــــدث اختراعات ابليس فى هذا الزمن الحاضر انما هو المذهب المسمى بالوجـــودية ، وهو مذهب يدعو كل انســـان لأن يحقق وجوده حسبما يرى وتبعـــا لما يريد ، غير متقيد بعـــــرف ولا عادات ولا تقاليد ولا ديـــــن .. وأحسن تشبيه للوجودى هـــــــو ما قاله أحد كبار الكتاب الغربيين :

ان الوجودى مثله كمثل الكلب الذى يجرى دائما حول نفســـــه ليمسك بذنبه ، فلا هو يدرك ذنبه، ولا هو يكف عن الجرى ، وهى لعبة

يلعبها الكلاب حينما يجدون الفراغ فيلهون بما لا نتيجة له •

« خلفاء ابليس ثانياهم : طائفة الفلاسفة العقليين الالهيين » •

ويخرج غزالى القرن الرابع عشر الامــام عبد الحليم محمــود من جولته التاريخية بهــذا المقياس ليبدى لنا هذه الملاحظة مع تبريرها العلمى :

« والظاهرة الملاحظــة فى كل الأوساط على مر التاريخ أنه كلمــا كان الــدين يقينيا ثابتا ، وكلمــا كان الدين قويا مسيطرا قل النزوع الى الفلسفة ، وقل البحث العقلى فى مجالات الغيب » •

« أما السبب فى ذلك فهو مــن الوضوح بحيث لايحتاج الى بحث عميق ، وذلك أن موضوع الفلسفة هو نفسه — على التقــريب — موضوع الدين ، فالدين يجيب فى اختصار أو فى استفاضة عن أسئلة الفلسفة ولكن فى صورة حاســمة عازمة لاتعرف التردد ولا الشك »•

وهو يرى أن كل فلسفة تطــرق هذه الميادين معتمدة على العقــل وحده انما هى كالفلسفة اليونانية فلســفة وثنية ، حتى حين تثبت وجود الله ، انها وثنية بالمبدأ الذى تقوم عليه وهو مبدأ تاليه العقــل البشرى •

وهو فى نهاية ذلك كله ، أو مــن خلال ذلك كلــه يهيب بالامــة الاسلامية أن تنبذ كل هذه التيارات الوافدة فى هذه المجــالات التى اختص بها الدين لوفاء الاســلام بها فى حسم وعزم ويقيــن ، وأن ينهضوا للأخذ بكافة أسباب النهضة العلمية فى ميادين الطبيعة • فذلك مما يحثهم عليه ديــن العقــل : الاســلام •

وهذه الصيحة المدوية التى ظل الامام عبد الحليم محمود رحمــه الله يجأر بها فى مختلف بــلاد الاسلام وبكل ألوان البلاغ لــم تكن شيئا جــديدا أو بدعا فى الاسلام أو لم يكن علماء الاسلام على وعى كامل به ، ولكن أصــالته وابداعه تظهر فى قــدرته على التخلص من أسر هذه المتاهة التى أحاطت بالمســلمين ، واستمساكه بصفاء بصيرته ، ونقاء عقيــدته ، وطهارة فطرته حتي أبصر مالــم

يبصره الآخرون ، ووضح أمامه النهج الذى حاول أن يطمسه المزيفون ، وتظهر فى قدرته على مواجهة كل هذه التيارات فى وقت تحكمت فيه وأحاطت بمختلف نوافذ الفكر والرؤية والاستبصار ، وأن هذه النظرة العميقة لم تفارقه ، ولم تتأخر عن نشاطه العلمى ، وانما واكبته واستمرت منذ بدأ نشاطه العلمى الى آخر رمق من حياته ، فجعل منها قضيته الأولى ، وشغله الشاغل رعاية لدينه ، ورعاية لأمته ، ورعاية لوطنه ، ورعاية لمعهده ، ورعاية لعلمه .

ولقد ظلت هذه القضية تتبلور وتتبلور فى منهج متكامل يسميه : منهج الاتباع وهو يوجد متفرقا فى ثنايا كتبه وتصنيفاته ، ولكنه قد ركزه فى كتاب هام من كتبه هو « التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل » الذى قال فى مقدمته :

وما أظن أنى فرحت فى يوم من الأيام بظهور كتاب لى بمقدار ما فرحت حين ظهر هذا الكتاب فى طبعته الأولى .

وذلك أنه يعبر عن منهجى الخاص فى حياتى الفكرية : منهج الاتباع .

رحم الله غزالى القرن الرابع عشر : الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود .

أ . د عبد الفتاح عبد الله بركة

في ذكراه
الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود

للأستاذ / محمد شلبي

أرسل الرئيس السادات برقية تعزية الى أسرة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود يوم وفاته جاء فيها (وانى لأذكر بكل تقدير واجلال لفقيد مصر والأمة العربية والاسلامية جهاده فى سبيل خدمة الاسلام •

فما وهن ضد ظلم ، بل كان قويا جريئا مدافعا عن الايمان والمثل العليا ، ويذكر الأجيال بماضى الأمة العربية والاسلامية المجيد وحاضرها المشرق فى ظل ايمان قوى ، ونهج سليم ، وضرب مثلا قويا فى الصبر والتضحية •

وقال الرئيس فى برقية أخرى بعث بها الى الازهر : (وانى اذ أعتز بما أدى من أمانة ، وبما حمل من رسالة ، وبما قدم من علم وجهد فى سبيل رفعة وطنه وأمته العربية والاسلامية ، لأدعو الله العلى القدير أن يسكن فقيدنا الراحل فسيح جناته ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء ، وانا لله وانا اليه راجعون •

* ولد الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود يوم ١٠ مايو سنة ١٩١٠ فى قرية بناحية بلبيس سماها قرية « السلام » بمحافظة الشرقية •

* حفظ القرآن فى القرية التى نشأ بها •

* التحق بالأزهر الى أن أتم الدراسة به ، ونال الشهادة العالمية عام ١٩٣٢ •

* سافر الى فرنسا عام ١٩٣٢ على نفقته الخاصة ، وأخذ فى

الدراسة بجامعة السربون ، حيث درس فيهـا عـلم النفس وعـلم الاجتمـاع ، وتاريخ الأديان ، وحصل فى كل مادة من هذه المواد شهادة عليا من الجامعة واستكمل دراسة الليسانس .

* عام ١٩٣٧ ألحق بالبعثـة الأزهرية فدرس الدكتوراه وكانت فى موضوع التصوف الاسـلامى « أسـتاذ السائرين المحاسبى » ونوقشت عام ١٩٤٠ مناقشة علنية ونال درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى .

* عاد الى مصر وعين مدرسـا لعلم النفس بكلية اللغة العربية .

* عام ١٩٥١ نقـل أسـتاذا للفلسفة بكلية أصول الدين .

* عام ١٩٦٤ عين عميدا لكلية أصول الدين .

* عام ١٩٦٤ عين عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

* ١٩٦٨ عين أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية .

* وعام ١٩٦٩ مثل الأزهر فى مهرجان الامام الغزالى الذى عقد بدمشق .

* عين وكيلا للازهـر عـام ١٩٧٠ .

* عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧١ .

* عين شيخا للازهـر عـام ١٩٧٣ .

* سافر الى تونس أسـتاذا زائرا لجامعة الزيتونة ثلاث مرات استغرقت كل منها ثلاثة شهور .

* سافر الى ليبيا أستاذا زائرا للجامعة الاسـلامية ثلاث مـرات أيضا استغرقت كل منها شهرا .

* سافر الى الفلبين أسـتاذا زائرا لجامعة (مينداناوا) .

* سافر الى أندونيسيا أستاذا زائرا لجامعة (جاكارتا) .

* سافر الى باكستان أستاذا زائرا لجامعة (كابول) .

* سافر الى السودان أستاذا زائرا لجامعة (الخرطوم) .

* سافر الى ماليزيا أسـتاذا زائرا للمركز الاسـلامى لالقـاء محاضرات دينية .

* سافر الى الكويت بدعوة من حكومتها لالقاء محاضرات دينية فى شهر رمضان المعظم .

* سافر الى العراق بدعوة من حكومتها لتنظيم وزارة الاوقاف العراقية • ودراسة المؤسسات الدينية ووضع تقرير لاصلاحها ، ومكث هناك شهرا •

* سافر الى دولة الامارات العربية لافتتاح الموسم الثقافى لعام ١٩٧٤ لالقاء محاضرات دينية وذلك بدعوة من حكومتها •

* سافر الى ماليزيا بدعوة من حكومتها عام ١٩٧٤ لحضور اشهار اسلام عدد كبير من المواطنين الماليزيين يبلغ تعدادهم ٤٠٠٠ أربعة آلاف مواطن •

* حضر المهرجان التعليمى لندوة العلماء فى الهند عام ١٩٧٥ وكان من أهم المهرجانات الاسلامية فى شبه القارة الهندية •

* زار الولايات المتحدة الامريكية فى نوفمبر ١٩٧٧ بدعوة من المراكز الثقافية الاسلامية فى واشنطن •

* صدر قرار جمهورى خاص فى ٢٤ أبريل ١٩٧٧ بتجديد خدمة الامام الاكبر شيخا للازهر ٣ سنوات تبدأ من مايو ١٩٧٧ •

* كان أول قرار أصدره بعد تجديد خدمته انشاء ادارة القرآن الكريم بالمحافظات •

* توفى الى رحمة الله تعالى صباح الثلاثاء ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ • (وانا لله وانا اليه راجعون) •

مؤلفاته : تشمل عشر مجالات فى احياء المفاهيم الاسلامية :

١ ــ القرآن والنبى
٢ ــ الاسلام والايمان •
٣ ــ العبادة
٤ ــ الاسلام والعقل •

قضية التصوف :

م ٥ ــ المنقذ من الضلال •
٦ ــ المدرسة الشاذلية •

مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

٧ ــ دلائل النبوة •
٨ ــ الرسول صلى الله عليه وسلم •
٩ ــ السنة الشريفة •

١٠ ــ الحج المبرور •
١١ ــ فى رحـــاب الأنبيـــاء والرسل •

فى العبادات والذكر :

١٢ ــ الحـــج الى بيت اللـــه الحـــرام •
١٣ ــ الجهاد والنصر •
١٤ ــ جهادنا المقدس •
١٥ القرآن فى شهر رمضان •
١٦ ــ فاذكرونى أذكركم •
١٧ ــ يـــارب •

فى قضايا الفلسفة :

١٨ ــ التفكير الفلسفى فى الاسلام
١٩ ــ فلسفة ابن طفيل •
٢٠ ــ الفلسفة والحقيقة •

موقف الاسلام من الشيوعية :

٢١ ــ الاسلام والشيوعية •
٢٢ ــ فتاوى فى الشيوعية •
٢٣ ــ أبو ذر الغفارى والشيوعية
٢٤ ــ منهج الاصلاح الاسلامى

كتب مترجمة :

٢٥ ــ الفلسفة اليونانية •
٢٦ ــ الأخلاق فى الفلســـفة الحديثة •
٢٧ ــ المشكلة الاخـــــلاقية والفلسفة •
٢٨ ــ وازن الأرواح •
٢٩ ــ المسيحية نشأتها وتطورها
٣٠ ــ محمد رسول الله صـــلى الله عليه وسلم •

كتب مختلفة :

٣١ ــ أجزاء فى التفسير •
٣٢ ــ فتـــاوى فى الاخـــــلاق والمعاملات •
٣٣ ــ أوربا والاسلام •
٣٤ ــ الحمد لله هذه حياتى •
٣٥ ــ أبحـــــاث ومقـــــالات ومحاضرات وأحـــاديث فى عـــدة مجلدات •

أعلام الفكر الاسلامى :

٣٦ ــ أحمد البدوى •
٣٧ ــ سفيان الثورى •
٣٨ ــ شمس الدين الحفنى •
٣٩ ــ عبد الله بن المبارك •
٤٠ ــ الحارث المحاسبى •
٤١ ــ ابراهيم بن أدهم •
٤٢ ــ أبو العباس المرسى •
٤٣ ــ على زين العابدين •
٤٤ ــ أبو مدين الغوث •
٤٥ ــ سعيد بن المسيب •
٤٦ ــ أبو بكر الشبلى •
٤٧ ــ أبو الحسن الشاذلى •

٤٨ ــ أبو اليزيد البسطامى •
٤٩ ــ الفضيل بن العياض •
٥٠ ــ بشر الحافى •
٥١ ــ ذوالنون المصرى •
٥٢ ــ الليث بن سعد •
٥٣ ــ السهل بن عبد الله •
٥٤ ــ عبد السلام بن بشيش •

تحقيقات فى التراث :

٥٥ ــ الرعاية لحقوق الله •
٥٦ ــ اللمع •
٥٧ ــ الفلسفة الهندية •
٥٨ ــ التعرف على مذهب أهل التصــوف •
٥٩ ــ الرسالة القشيرية •
٦٠ ــ الطريق الى الله أو كتاب• الصــدق •
٦١ ــ عوارف المعارف •
٦٢ ــ غيث المواهب العليه •
٦٣ ــ حكم ابن عطاء الله •
٦٤ ــ لطائف المنن •

وفى مقال نشر فى عــدد سبتمبر من مجلة « البنوك الاســلامية » بعنــوان (البنــوك الاســلامية ودورها فى المجتمــع قال الامــام الأكبر :

(ان الامة الاسلامية فى حاجة اليوم الى تدارك الكثير مما فاتها وهى فى حاجة الى أســلوب سريع فى التنمية ، والى منهاج صــالح للاســتثمار • ولا نقــاش فى أن البنيان الاقتصــادى يعتمــد على الانسان والموارد فى أقطار الأرض جميعها ، لكنه يختلف من أمة الى أمة ، ومن زمن الى زمن •

ان من أســباب الاســـتقلال الاقتصــادى أن تقـــوم بنوك اسلامية تتولى حراسة الاقتصاد ، وتوجيه العمــل وريادة الطــريق للثروات الاســلامية الى أفضــل وجوه الاستثمار •

والمشكل الذى يواجــه هــذه البنوك أن النظام السائد اليــوم هو النظام الربوى ، وهو نظــام يرفضه الاســلام ، يرفضــه من أساسه لأنه وليد المادية ، ولانــه نتاج الاضــطراب فى العــلاقات البشرية ، ولأنه وسيلة اســتغلال القوى للضعيف ، ولأنه أداة من أدوات الاحتكار الدولى العالمى • وهذه الذاتيــات فى الربا تجعلــه مرفوضــا ومحرما فى الدين لأنه مناقض للغايات التى يستهدفها ،

فانما يستهدف الدين اقامة علاقات روحية رحيمة عادلة متكاملة بين الناس .

ولذا فانه من الواجب على البنوك الاسلامية الجديدة أن تضع لمعاملاتها نظاما يتفق والاحكام الشرعية ويلائم طبيعة هذه الامة ، ويطمئن اليه المسلمون ، فيجمعوا لهذه البنوك مدخراتهم المطروحة فى البنوك غير الاسلامية أو الربوية .

لقد دعونا الله أن يبارك الدعوة الى انشاء البنوك الاسلامية ، وأن يأخذ بأيدى أصحابها الى طريق السداد فاذا نجحت البنوك الاسلامية فى وضع نظامها جميعه على أساس من الحلال الطيب كان وجودها خيرا للاسلام وعزة للمسلمين .

حضرات السادة :

من هذا المنطق يمكننا أن نقول كما جاء فى كتاب (الخمينى والدولة الاسلامية) للاستاذ محمد جواد مغنية (ان الدولة الاسلامية لا تعنى سيطرة الشيوخ على الحكم ، واحتكارهم لسلطان السياسة ، وانما تعنى أن الشريعة الاسلامية هى الاطار والمعيار لقوانين الدولة وتصرفاتها ، فكل ما يتفق وهذه الشريعة يجب تنفيذه ، ولا يسوغ الطعن فيه ، وما ثبت تعارضه معها يحكم ببطلانه والغاء آثاره .

والخلاصة أن الشرط الأساسى فى الدولة الاسلامية هو الاخلاص والكفاءة والعدل والامانة . أما هدف الحكومة الاسلامية ومثلها الأعلى فهو احقاق الحق ، وازهاق الباطل ، هو أن يأمنها ويثق بها كل محق وبرىء ويهابها كل مجرم ومبطل سواء أكانت الفئة الحاكمة من الشيوخ وأهل العمائم أم من الشباب المهتدى الصالح والطامح لكل ما هو خير وعدل .

وقال العالم الكبير والمصلح الشهير « أبو الكلام ازاد » : نحن لم نتعلم السياسة الا بالدين ، فالدين هو الذى خلق السياسة ، فكيف نفرق بينه وبينها ؟

لا شىء أدعى للخزى والمهانة من أن ينحنى المسلمون أمام

أفكارهم السياسية ، فالاســـلام لا يسمح لهم أن يكونوا ذيولا فى أفكارهم بل عليهم أن يدعوا غيرهم الى مشاركتهم فيمـا يؤمنـــون ويفكرون ، ولو أنهـم خفضـوا رؤوسهم لله وحده لخفض العالم رأســه أمامهم ، لقـد أوضـح الاسلام للمسلمين طريق الخلاص، فلماذا يسـتعيرون الطـريق من غيرهم ؟ •

متى بدأت الدولة الاسلامية ؟

لا شك ان رسول الله صلى الله عليــه وسلم هـو المؤسس الأول للدولة الاســـلامية ، ولكن أين نشأت هذه الدولة ؟

يقول المؤلف : (حين استجابت المدينة المنورة لدعوة الاســلام ، وجد النبى صلى الله عليه وسلم الشعب الاسلامى يسـتقر عليــه آمنا ، فهـاجر الى المدينـة هـو والصـحابة وأنشـأ أول دولـة اسلامية •

وبمجرد قيام هذه الدولة ، وقبل أن تمتد وتتسع أرجاؤها ، وضـع النبى صلى الله عليه وسلم مخططا يبين أهدافهـا والغاية منها ، وقد جاء فيه : « انما المؤمنون اخوة ، فالرابط الأساسى بين المسلمين هو الـدين وليس اللغـة أو الأرض أو الجنس أو أى شىء آخر •

فالدولة الاســلامية الأولى فى المدينـة المنـورة قـامت بتنظيم الدفاع ، وحمـاية الأمن ، ونشر العلم والعدل ، وعقد المعاهدات ، وفصل الخصومات ، أما الحريـة فهى مكفولة لكل الناس ، وبخاصة حرية الأديان •

لقد أسس الرسول صلوات الله وسلامه عليه دولة السلام والمحبة، والرحمة والانسانية ، وانتشـلت مـلايين المعـذبين فى الأرض من رعايـا الامبراطوريـة الرومانية المسيحية والامبراطورية الفارسية المجوسية ، ورحب الكثيرون منهم بالاسلام والمسلمين ليتحـرروا من ظلم القادة وطغيانهم ، وينعموا فى ظل العدل والرحمـة ، فالشريعـة الاسلاميةليست عبادة وكفى ، بل عقيدة وعبادة وقوانين لشـــتى جوانب الحياة •

وفى العـــدد ١٥٦ من مجلـة الجديد الصادر فى أول يوليو سنة

١٩٧٨ ، كتب المغفور له الامـام الاكبر مقـالا عنـوانه « أسس النهضة الاسـلامية » الى أين نتجه ؟ ماهو الطـريق ؟ كيف نبنى أمتنا ؟ كيف ننهض بوطننـا ؟ وفى خاتمة الموضوع يقول :

يتلخص فى النهـاية الحـديث الذى أريده ، انه من أجل نهضـة الأمم الاسلامية يجب أن نأخـذ بالعلم المادى الى أقصى ما يمكن أن نأخذ به فى هذا الجانب المادى .

أما الجانب الآخـر : الروحى والاجتماعى ، فاننا نأخذ بما رسمه الله سبحانه وتعالى فى الاخلاق ، وما رسمه الله سبحانه وتعالى فى العقائد ، ونأخذ بما رسمه اللـه تعالى فى نظام المجتمع .

لا يتأتى مطلقا لأمة مسلمة أن تحيد عنه والا تخلت عن رسالتها ، وأعـود فأكرر ما قلتـه ان المبرر الوحيد لوجود الامة الاسـلامية انما هو هـذه الرسـالة ، هـذه الرسالة التى كلفت بهـا ، فـاذا تخلت عنها ، فانها تصبح ولارسالة لها . ومع كل ذلك فاننـا متفائلون باذن الله .

واننا نرى على مر الزمن نوعا من البعث الاسلامى ، هذا البعث الاسلامى يقوى اذا تكاثف هؤلاء الـذين يدعـون الى النهضـة الاسلامية الحقيقية ، اذا تكاتفوا وتعاونوا ، وأصبحت تربط بينهم وبين بعضهم الصلات الوثيقـة ، فان هذا البعث الاسلامى يقـوى باذن اللـه ، وكفى بربك هاديـا ونصيرا .

* عـام ١٩٧٧ أمـر بطبـع مصحف للازهر الشريف مضـبوطا بالشـكل لأول مـرة فى تاريخ جمهورية مصر العربية وقـد تم طبع ٥٠ ألف نسخة منه .

وفى عام ١٩٧٨ وهو العام الذى توفى فيه صدرت الطبعة الثـانية منه ، وقد تم طبع ٢٠٠ ألف نسخة وهى طبعة متقنة وزعتعلى نطاق واسع فى جميع أنحـاء الأمـة الاسلامية بثمن زهيد ، وذلك أولا من أجل تعميم الانتفاع بكتاب الله مصدر الهداية للامة الاسـلامية ومنبع قوتها ، وثانيا من أجل سد الطريق أمام التزييف .

* الموسوعة الاسـلامية : ان

الامة الاسلامية على سعتها تهتم كل الاهتمام بالموسوعة التى ألفها المستشرقون وهى موسوعة لاحظ الكثيرون أنها مليئة بالأخطاء ، ومليئة بالتشويه لوجه الحضارة ، الاسلامية ، ومن الخير أن يكتب الاسلاميون تاريخهم العلمى والحضارى من جديد •

* اخراج التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، وقد صدر منه حتى الآن ١٦ جزءا ، ويشترك فى هذا العمل أكثر من ثلاثين عالما من خيرة علماء الامة •

* شجع وتبنى اذاعة القرآن الكريم منذ بدء انشائها وكذلك برنامج « نور على نور » فى التليفزيون •

* دعا الى الحجاب بين الفتيات المسلمات فانتشرت هذه الظاهرة الاسلامية انتشارا ملموسا •

* الاستمرار فى فتح المعاهد الازهرية التى كانت ٦٠ معهدا فأصبحت ما يقرب الألف ما بين ابتدائى واعدادى وثانوى •

* المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية فالاسلام دين ودولة •

* مشروع الدستور الاسلامى (وقد سبق ذكره وشرحه) •

* تعميم معاهد القراءات فى جميع محافظات الجمهورية باعتبارها تسد حاجة مصر والعالم الاسلامى من القراء •

* تدعيم المناطق التعليمية الازهرية ، وانشاء الادارة العامة لشئون القرآن الكريم •

* رصد مكافآت تشجيعية لطلبة معاهد المعلمين الازهرية •

* كليات للدعوة الاسلامية فى طنطا والمنوفية والقاهرة •

* التوسع فى انشاء فروع للجامعة الازهرية فى أسيوط وطنطا والمنصورة والزقازيق والمنوفية وسوهاج •

* اصدار اللائحة التنفيذية للازهر التى تعطل اصدارها ١٢ عاما •

قالوا عن الامام عبد الحليم محمود

••• وعلى الصعيد الاسلامى فقد صدر فى الهند عقب وفاته عدد ديسمبر ١٩٧٨ من مجلة « البعث

الاسلامى » وهـو يضـم سـت مقالات عن الامـام الاكبر هى : وداعا شـيخ الازهر ـ شـيخ الازهـر فى ذمـة اللـه وذمـة التاريخ ـ كلمة عزاء ـ فضـيلة الامام الاكبر فى ذمة الله ـ للشيخ عبـد الحليم محمـود ـ شـيخ الازهر فى ذمة) الله .

قال الاسـتاذ سعيد الاعظمى النووى :

« لولا شـيخ الازهر لم يقض على الشيوعية فى مصر ، هو الذى أعلن الحرب ضدها ، وهو الـذى أفتى بمحاربة كل فكر شـيوعى ، وشـن الحـرب على أوكـار الشيوعيين ، وتم على يديه اجلاء هذه اللعنة من أرض الاسـلام والمسلمين » .

وقال أيضا : وفعلا قام شـيخ الازهر بجلائل الاعمال .

وأجل من كل شىء فيما أرى هو صموده فى وجه الظلم والطغيان ، ورفضـه بيع الضـمير رغم كل ترغيب من الجاه والمنصـب ، وكل ترهيب من الحديد والنـار ، انه ثبت على عقيدته وايمانه كالجبـل الراسى ، وألح عـلى الحفاظ على مكانته عند الله وعند الناس ، فلم يوجل ولم يفـرق ، ولم يلن ولم يساوم ، وثبت على جادة الحق غير مبال بالمصير . ولما ساق الله اليه الوزارة قام أول ما قـام باعـادة اعتبـار الازهر ومكانتـه الى النفوس ، وأزال جميع العـوائق والعراقيل التى وضعت فى طريقه، وفتح باب الأزهر على مصراعيـه للوافدين منطلاب العلم والدين.

فعـاد الازهر من جـديد الى مكانة القيادة التعليمية والتربوية فى العالم الاسـلامى ، وعلق بـه الناس آمالا بعـد أن كانوا قـد قطعوا عنه الرجـاء ، ورأوا أنـه نهض لاداء رسالته بعـد كبـوة دامت به سنين طوالا .

ثم قال :

« كان أمة فى ذاته ، فاذا جلس فى مكان تحـول ذلك المكـان الى مسجد ومدرسة ، يطلب من الناس أن ـ يتبرعوا فى سبيل الله لانشاء المسـاجد والمـدارس والمعـاهد فيلبون نداءه ، حتى وجد فى كـل مدينة من مدن مصر معاهد الازهر

ومدارس الأزهر،ومساجد للصلاة.

وكان الناس يؤمونه من الجهات البعيدة ليستفيدوا منه العلم والدين والربانية .

وعن موقفه من القضايا العالمية والقضية الفلسطينية قال الاستاذ سعيد الأعظمى الندوى :

(وباطلاعه الواسع على مايوجد فى العالم اليوم من مؤامرات ومخططات لهم الاسلام ، كان يحرص على أن يحضر المؤتمرات والمناسبات ، فيرفع صوته ضد هذه الدسائس الخطيرة ، وقد وفق الى ذلك ، وكان له رأى حصيف فى السياسة ، ومواقفه من قضية فلسطين معلومة محمودة ، وكان يرى أنه لاسلام الا باعادة حقوق الفلسطينين اليهم) .

وقال الاستاذ محمد زكى عبد القادر :

(لم يتوقف عن الدعوة الى الدين سواء بالتأليف أو الكتابة أو الرد على المعترضين والزائفين ، أو الاشتراك فى الاذاعة والندوات والخطابة فى المساجد فى جموع المصليين .

وهكذا جعل من منصب شيخ الازهر منارا للهداية ، والعمل الدائب ، والنزول الى الجماهير ، والدعوة الى الدين الصحيح .

وقد ساعده أفقه الفسيح ، وعلمه الغزير ، ومزجه بين الثقافتين الشرقية والغربية على أن يضطلع بهذا الواجب أتمما يكون الاضطلاع تأثيرا فى الناس . وجذبا لهم الى طريق الهداية والنور) .

وقال الاستاذ حافظ محمود :

(كان الامام عظيم العقيدة الى الدرجة التى جعلته يتحول بمنصب شيخ الازهر الى داعية من دعاة الله فما كان يوم يمردون أن نسمع للشيخ خطابا أو محاضرة أو نقرأ له كتابا أو مقالا فى الدعوة الى دين الله ، وقد أنشأ دراسة اعلامية فى الازهر ، وكان هو خير مثال لهذا الجانب الاعلامى .

لقد تخطى نشاطه الاعلامى فى سبيل الله صحف القاهرة الى كثير من العواصم العربية .

كنت تشعر وهو يخطب أن الكلمات ينطق بها قلبه قبل لسانه.

« البقية صفحة ١٢٧٠ »

الشيخ أحمد الشرباصي

رَجل مَضى ومثل مُستمر

للدكتور / محمد محمد أبوموسى

كم شيعت هذه الأمة فى تاريخها العامر الحافل من رجـــال . وكم دمعت عينها الجليلة على شــيوخ هم أجل من الملوك جلالة .

والآن حين تذكر واحـــــدا من رجالها تبكى دمعـــة أحر ، ويعتصر قلبها حزن أوجـــــع ، وذلك لان ينابيعهـــا التى كانت تمدها بهؤلاء النجباء قد فقدت نبعا ، وان الحياة العلمية والادبية التى كانت تنضج هذه المواهب قد انهدم منها ركن .

وليت شـــعرى ماذا يكون حال الأمـــة حين يقضى الله فى البقيـــة الباقية من أمثـــال هؤلاء الرجـــال قضـــاءه ؟ وكيف نرى ســـــاحات الوطنيـــة والفكـــر والادب بعـــد هؤلاء .

أى حياة ستكون ؟

تأمل ما يجرى فى معاهد العلم على مدهذه الأمة العربيةالاسلامية ترى شيئا واحدا هو انطماس كثير من معانى الجد ، وذهاب كثير من روح الاخلاص،وخفوت تلكالوقدة المقدسة التى كان يشـــــعلها فى مدارسنا رجال مخلصون ينضجون بها عقول ناشئة الأمة ، ويفجرون بها كوامن طاقات أبنائها .

أصبحت اكثر دور العلم سواء من تخريج أفواج عـــــديدة ممن لاحظ لهم من العلم النافع والمعرفة البصيرة .

ولا ريب أن هذه المعانى تجرى فى نفوسنا كلما ودعنا واحدا من علمائنا ورجالنا الذين تبقى أماكنهم خالية بيننا . وأنه من الخيانة لهذه الأمة أن نحتجن هذا فى صدورنا ،

ونحن وغيرنا نــراه رأى العين ، وقد أفضى الشـــيخ أحمــد الى ربه ، وصدره يجيش بما يراه فى دور العلم ، خاصـــة فى الازهر الذى كان يعيش همه الشريف •

وكان رحمه الله شــديد الولاء لأصــــول ثلاثة تتلاحم وتتداخل وتنتهى الى أصـــل واحــد هى اســلامه ، وعروبته ، وأزهريته ، وكان كثيرا ما يقول بلسانه وقلمه انى لعربى مســلم أزهرى ، وكان اسلامه لا يصحح فقهه الا عروبة قلبه ولسانه ، ولا يهديه الســبيل الى محض عروبة القلب واللســان الا تراث الازهـــر وحلقـــات شيوخه •

وكان رحمــــه الله يعتقــد أن حصـــــاة الازهر وسر قوته أنه لا يترخص فى الزام بنيــه بحفظ القــرآن واجــراء الاختبــارات الشفوية لكل طلابه فى حفظ الكتاب كله ، وكان الطالب يتخـــرج من الازهر وقد امتحن فى القرآن كله أربع عشرة مرة • والذين دخلــوا الازهر وهم لا يحســـنون قراءة القرآن قراءة مفصــــلة مرتلة هم الذين قضت بهم خـــدمته وكسرت بهم حصــاته التى استعصت على الضــغن الاســود التى أضمرته أحقاب طوال عانتها هـــذه الأمة وعاناها معها الازهر •

ويرى الشـــيخ رحمه الله أن ضـــياع هذا العزيز الغالى من الازهر يعنى ضــــياع بهاء مصر واطفاء نورها لانها عرفت بالقرآن والازهر قال فى ذلك :

« من الحقــائق التى يجب أن تستقر فى أذهاننا وتســـيطر على ادراكنا أن أعظم مفخرة لبلادنا هى أنها دار القــرآن ، وأنها بعـــزة القرآن تساوى كل شىء ، **وانهــا دون القرآن لا تســاوى شيئا ••**

وشـــهرة مصر القرآن بين العالمين هى أن أبناءها يحفظون القــرآن العظيم ويتلونه عن ظهـــر قلب ، ويتطلــــع اليهم أبنـــاء البلاد الاســـلامية الاخرى فيعجبون لهم كيف يســــتطيع هؤلاء الاذكياء الموفقون من أهل مصر العظيمة أن يرتلوا القرآن حفظا بهذا الاسلوب الكريم •• وكان الشرط الأســاسى لقبول الطالب فى المعاهــد الدينية

الازهرية أن يكون حافظا للقـرآن كله وأن يمتحن فيه بلا تسـاهل ولا تسيب » كتاب توجيه الرسول ص ١٧٦ ، ١٧٧ •

تأمل قوله : « بلا تسـاهل ولا تسيب » ، كان اصطلاح الامة فى تربية رجالها وعلمائها البـداية بحفظ القرآن تفتق به ألسـنتهم ، وتتهيأ به قلوبهم ، ثم تدور حوله جمـلة من المعـارف الشرعيـة واللسانية ، ثم ينالون من أصناف العلوم الطبيعيـة والحكميـة والفلسـفية ما ينالون ، والمهم أنه لا يكون فيها عالم بارع فى فرع من فروع المعرفة التى برعوا فيهـا كعلوم التعـدين ، والصـيدلة ، والطبيعة والطب ، والبيطـرة ، والكيمياء وهو يجهـل القـرآن والاستمداد منه ، والاستشهاد به ، وكذلك كان قوادهـا ، ووزراؤهـا وولاتها •

وقد تعددت بحوث شيخنا رحمه الله وتنوع تراثه ، ودار حـول أصلين أساسيين ارتبط قلمه بهما منذ البداية ، هما الكتاب والسنة ، ويرى أن ذلك من فضل الله عليه وأنهما بابا الارشاد ، والاسعاد ، وسببا النجاح والفلاح ، وينبوعا البيان والادب (كتاب توجيـه الرسول ص ١٠) •

وقد بدأ نبعه يتدفق منذ بواكير عمره ، وقد ألحق قائمة مفصـلة بمؤلفاته بكتاب توجيه الرسـول الذى نشره فى سـنة ١٩٧٤ وقد بلغت كتبه آنذاك سـبعة وسبعين كتابا بدأت رحلتها سنة ١٩٣٦ بنشر كتاب (حركة الكشف) •

وقد خاض فى هذه الكتب ميادين الادب والتاريخ والدين والسياسة ولا ريب أن له فوق ذلك فيضـا زاخرا من المقالات ، وفيضا عامرا من المحاضرات التى شـارك فيها فى الملتقيـات الفكرية والادبية فى العواصم الاسلامية العديدة ، هذا الى جانب طوفان من الاحـاديث التى ألقاها فى أرجـاء مصر وفى مختلف أنديتها ، والتى شارك فيها فى قضـايا المجتمـع والـدين والسـياسة ، وكان كما قال هو فى وصفه لعطاء شـكيب أرسـلان « كالغيث الهاطل المدرار فى كتاباته حتى تصعب ملاحقته ، ومتابعته »

وقد استطاع رحمه الله أن يلاحق ويتابع ما كتبه الأمير ، ودرس ، ومحص ، ونقد ، وغربل ، وأخذ ، وترك ، وليت شـــعرى هل يتهيأ لشـــيخنا ديدبان دؤوب يلاحق ويتابع ما درته ســحائبه ، ويعكف عليها يدرســـها ويفليها ويغربلها ويقول ما لها وما عليها ؟

عاش رحمه الله حياته كلهـــا طالب علم فقد طرق باب كلية اللغة العربية طالبا فى دراســاتها العليا بعد ما تخرج منها بعشرين ســنة وذكر ذلك وهو يعرض مقدمة بحثه الذى أجازه به العلماء ، وأذكر أنه ارتجل هذه المقدمة وكان موضوع البحث هو الشيخ رشيد رضـــا وذكر أبوابه وفصـــوله ومقدماته ونتائجه بطلاقة وتتدفق وكأنه كان يقــرأ من كتاب ، وكانت ليلته من الليالى التى يرى فيهــا الطــالب مناكبا لاستاذه بل ومزاحما ركبنا له فى علمه وفقهه •

وكان ضمن المجمـــوعة الأولى التى دخلت معهد الدراســـات العربية حين فتح أبوابه سنة ١٩٥٣ وقال « ولم أجد أى غضاضة فى أن أكون صـــــباحا مدرسا بالازهر الشريف وأن أكون بعد الظهر طالبا فى المعهد » « ص ٩ كتاب شـــكيب أرسلان » •

وكان شيوخ المعهد يعرفون علمه وقدره ، ويخاطبونه خطاب الزميل والصـــديق وهو يخاطبهم خطاب التلميذ •

وقد شـــــهدوا له بالاكتمال والتفوق ، ووجهوا طلاب العلم الى اتخـــاذه مثـــلا فى الصبر والتروى والاســتنباط وفى ســـلامة اللغة وصـــــحة البيان وجزالته ، قال الاســـتاذ محمد خلف الله وكان عضو لجنة مناقشـــــته فى درجة التخصص وذلك فى مســـاء الثلاثاء ١٢ من شـــعبان سنة ١٣٨٢ هـ قال وكان وكيـــلا لجامعـــة عين شمس « أشكر لفضيلة الزميل أبى «مى» الاســـتاذ الشرباصى هذا العرض الجميل لرسالته وأرجو أن يتخـــذ منه طلبة العلم نموذجا لما ينبغى أن يكون عليه تلخيص الرســـــائل العلمية ، ولما ينبغى أن يكون عليه البيان العربى القوى السمح وليس

هـــــذا بكثير على الشـــــيخ الشرباصى » •

ثم قال عن الرسالة « والرسالة التى نناقشها رسالة مكتملة النمـو تحققت فيها صفات الرســـائل العلمية الكاملة من سلامة القصد ، وسلامة المنهج ، وسلامة البناء وقد توفرت لصاحبها أدوات النجاح من تمرس بالبحث والمناقشـة ، وفهم واع لمرحلة النهضــــة وأحداثها الســــياسية ، وتياراتها الثقافية والروحية ، توافرت لصاحبها هذه الادوات جميعها ، ولو أردنا دليلا غير هذه الرســـالة لكان لنا أن نتمسه فى كتب أخرجها صـاحب الرســـالة تقارب عدد الماضى من سنى حياته المديدة ان شاء الله » •

وقد ذكر الاســـتاذ الدكتور اســـحاق موسى الحسينى وكان مشرفا على بحثه أن هذه الرسالة هى الأولى فى موضـــوعها فى هذا المعهد ، ويعتقد أنها كذلك فى سائر الكليـات والبلدان ، ثم ذكـر أنه يثنى عليه ثناء لا حـــد له لأمور ثلاثة :

أولها : أنـه جلـس مجلـس الطالب بعد ما استحصد واحتنك ، وأنه فى هذا ماض على سنة السلف الصالح الذين رأوا أن طلب العلم من المهد الى اللحد •

وثانيها : تقبله رحمه الله للنقد وايراد النظر واسـتيعابه لما يرد عليه من هــذا واذعانه للحق حين يدركه •

وثالثها : استقصــــاء المادة العلمية فى موضوعه وأنه لم يترك ناحية يظللها أى غيم الا جــلاها ، (ينظـر مقـدمة كتـاب شـكيب أرســـلان) •

وكان الشـــيخ رحمه الله كلفا بمدرســة الامام وقد أخرج عنها كتابا فى سنة ١٩٧١ بعد ما كتب عن أعلامها دراسات مستفيضة ، وقد أخرج عن شكيب أرســلان كتابين غير رسالة الماجســتير التى نشرها فى جزئين •

ورجال هذه المرحلة ــ ســواء منهم من ينتمى الى الامــام ومن لم ينتم اليه ــ فى حاجـــــة الى دراسات جديدة فى ضوء ما انكشف من الحقائق التاريخية والسياسية

مما يوجب مراجعة الاحكام على كل من ســـطعوا فى ميادين السياسة والادب والاجتماع والاصلاح •

والمهم فى سياقنا هو أن الشيخ رحمــــه الله كان دؤوبا لا ينى فى طلب العلم وأنه أفاض بغزارة فى شتى الميادين ، حتى أنـــه كتب فى الفقه كتابا من خمسة أجزاء استمد مادته من مطـــولات كتب الفقه والتفسير والحديث وقد اســتنبط منهــا الحلول الفقهيــة لما يجــده المسلمون من أقضـــية وحاجات ، وهذه احدى مزايا فقه الشــيخ ، ونرى أن هذا الكتاب يضـــعه بين أهل الفتيا من الفقهاء •

وكان كغيره من علمــاء الازهر الذين ارتبطت عنـــدهم علـــوم التفســـير والفقه والادب واللغة والأخبار حتى صارت كلا متكاملا ، فلا سبيل الى درس الفقه لمن لم يغمس يديه فى علوم اللغة والحديث والتاريخ ، وهذه سنة السلف فقد رأينا فقهاء يطلبون علم الفقـــه فى كتاب سيبويه وآخرين يتلمســـون التفسير فى كتاب المغنى لابن هشام النحوى ، ورأينا الشافعى أديبــا غلب عليه الفقه فعرف به ، وذكـــر بعض اللغـــويين أنه يحتج بـــه فى اللغة ، وناهيك عن مرتبة الاحتجاج عند هؤلاء الاعــــلام ، كما عرفنا القاضى عـــلى بن عبـــد العزيز الجرجانى فقيها غلب عليـــه الادب فعرف به ، وحســـبه أنه قاض ، ولا يلى مرتبة القضاء الا من عرف كيف يستنبط الاحكام الفقهية من النصــــوص الشرعية ، ولا يكون كـــذلك الا من بـــرع فى الفقــــه والأصول والقياس •

وهذه الطريقة فى تخريج العلماء والتى سلكها شيوخنا رحمهم الله يســـلك الازهر الآن فى تخريج علمائه غير طريقهــــا فتقطعت فى دروسه الوشائج بين هذه العلوم ، فصار درس الادب لا نحو فيه ، فضلا عن أن يمازجه علم بالمصطلح والرواية ودراسة الأسانيد وصار للكلام قسم غير قسم التفســـير ، وللفقه قسم غير قسم الأصــــول وللبـــلاغة قسم غير قسم الادب ، وهذا مجاراة لما يجرى عند غيرنا ، وقد أغفلنا أن الترابط بين العلوم اللســــانية والشرعية فى تراث

المســـــلمين شىء فريد ليس له ما يشابهه فى تراث الأمم ، التى لم ينزل بلسانها شرع من الله العزيز الحكيم •

وكان منبر المركز العام للشبان المســلمين من المجالات التى أفرغ فيها الشيخ كثيرا من عطائه ، وكان يرتاد هذا المنبر العــديد من أهل العلم من علمــاء الامة عربا وغير عرب ، وقد أتيح لنا من خـــلاله أن نســـمع ونرى الكثير من المفكرين الذين كنا نعـــــرفهم ولا نراهم ، وكان الشيخ رحمه الله يبدو قويا ركينا بين هؤلاء الأفذاذ ، يقـــدم ويعقب بتدفق وذكاء وفطنة ، وكأنه محيط بالموضـــوع احاطة المحاضر أو هو يستعلى أحيانا •

وكان لهـــذا المنبر وهج لامع ، ولكنه لم يضف الى الشيخ شـــيئا فقد ظهر ساطعا وهو طالب فى معهد الزقازيق •

والذين يتعرضـــون لتاريخ من اتصـــــلت حبالهم بالحـــــاكمين فى العالم العـــربى ، لابد لهم أن يترووا كثيرا فى تقـــويم المـــواقف والحكم عليها ، وأن يعتبروا ما كان عليه حال الأمة ، وطرائق تصريف أمورها وسياستها ، ثم ما انبعث فى نفوس هؤلاء الرجـــال من أمل مع بدايات النصف الثانى من هـــــذا القرن أغراهم بالمساندة والتأييد ، فلما كان من الامر ما كان ، فمنهم من نصح ومنهم من ســـكت والله أعلم بالسرائر •

والمهم أننا تعـــــودنا أن نرمى بالحصى فى وجه كل من اتصــــــل بالحاكمين من العلماء وهذا خطـــأ فان تاريخ الرجال يحدثنـــــــا أن انعلماء كانوا ينهضـــــون بواجب النصـــح لله ولرسوله ، وابـــداء الرأى ، وأن الحــــــاكمين كانوا يســـتمدون ســـلطانهم من العلماء والفقهاء ، لانهم أهل الحل والعقد ، وليس لهم فى ذلك الا شرع اللـــه ووجهه ، ويحسن بنا أن نســـتمع الآن الى الشـــيخ رحمه الله وهو يحدثنا فى قضـــــية بيت المقدس وفلسطين •

فقد تعرض الشيخ الى دعوى حقوق اليهود فى فلسطين وقبل أن يدحض أكاذيب يهود مستمدا من الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح

اقتبس من كتابين غربيين أحدهما كتاب « فلســطين والغزو التترى الجديد » لباحثة أمريكية وقد جاء فيه « العملات النقدية التى ترقى فى القدم الى ما قبل الوف السنين فى فلسطين قد اكتشفت ، والقبور التى خلفها الذين عاشــوا فى عصر موسى وقبــل عصر مـوسى فى فلســطين أيضا قــد فتحت ، واكتشـــفت محتوياتها جميعا ، فلم يعثر فى جميـــع هذا الــذى اكتشـــف على دليــل واحد أو اشــارة بسيطة تخبرنا عن وجود ما يسمى بأمة يهودية فى تلك الأيام مطلقا فان كل ما يتعلق بهذه الامة المـــزعومة غـير موجـــود فى فلسطين » .

والثانى فى كتاب « مركز المدنية القديمة » للأستاذ دونت قال « لم يعثر على كتابة قديمـة واحدة فى فلسطين من شــأنها أن تدل على وجود مملكة عبرية ، ولقد فشلت جميع الآثار التى اكتشفت فى القدس وعجزت عن تقديم أثر واحد يدل على سليمان وداود » .

« ان اليهود بحاجة الى الدليل الذى يؤيد وجودهم بين قوميــات آسيا الغربية القديمة ، والاغريق فى أيامهم الأولى لم يشيروا بكلمة واحــدة الى اليهـــود فلو كانت فلســطين وطنا لهم فى تلك الايام لكان هؤلاء اليونان القــدامى على اتصـــال بهم ، ان هــو ميروس لا يعرف عنهم شـــيئا مطلقا » (كتاب يسألونك جـ ١ ص ٥٧٢) .

ولما أرجفت الصـهيونية بالقول بأن العرب افتعلوا قداســـة بيت المقدس وأدخلوا ذلك على الاسلام لما ظهر الصراع بين العرب واليهود وذلك لينضم المسلمون اليهم فى هذا الصراع كتب الشـــيخ عن الكتب التى ألفت فى بيت المقــدس قبــل نشــوب هذا الصراع بمئات من الســـنين ، وذكر من ذلك كتاب « فضــائل القــدس » للامام ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ،وكتاب « الأنس فى فضائل القدس » لابن هبة الله الشــافعى وهو من رجال القرن الســابع الهجرى ، وكتاب « مثير الغرام بفضــائل القــدس والشــام » لابن سرور المقــدسى المتوفى سنة ٧٦٥ وكتاب « الانس

الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجبر الدين الحنبلى القاضى المتوفى سنة ٩٢٧ وكتاب « الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر المتوفى سنة ٩٤٨ وكتاب « فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ وغير ذلك من الكتب (ينظر كتاب يسألونك جـ ١ ص ٥٧٤ ، ٥٧٥) .

وقد خاطب الشيخ أمته بقوله :

« القدس وما حولها من أرض فلسطين هى أرض من صميم وطن المؤمنين فلا يجوز لهم بحال من الأحوال أن يتهاونوا فى أمرها أو يستخفوا بمكانتها ، أو يتركوها لدخيل يعتدى عليها أو يستبد بأمرها ، فدون ذلك يجب أن تزهق الأرواح ، وتفنى الأشباح »

ويذكر ما رواه أبو هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لاتزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق ، وعلى أبواب بيت المقدس ، وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق الى أن تقوم الساعة » .

ويعلق على هذا بقوله « ما أعمق الاشارة التى ينطوى عليها هذا الحديث والتى تحث على صدق الجهاد ومداومة النضال من أجل هذه المقدسات » (ينظر كتاب توجيه الرسول ص ٢٨٤ ، ٢٨٦) .

وكان الشيخ رحمه الله صادق القرب والود لكل من يظن به خيرا من طلاب العلم وكان ذا فراسة بارعة فى التعرف عليهم ، وذا قدرة فائقة فى استنهاض العزائم وبعث الكوامن ، وكان لبيانه الصحيح الجزل العذب ولرنة لغته أثر بالغ فى نفوس طلابه ، وأشهد أنى ما سمعت لسانه يدور بالعامية لا فى درس ولا فى محاورة ولا فى أوقات فراغ .

وكان يرى أننا اذا دخلنا كلية اللغة العربية فلا يجوز لنا أن تدور ألسنتنا بغير العربية الصحيحة ولا يجوز أن يسمع فيها كلام من طالب أو أستاذ الا أن يكون صحيح الاعراب وذا رونق .

وقد صنع بيديه الكثير ممن يعرفهم الناس ، وكان لا يعنيه أن يعرف هؤلاء فضله أو ينكروه

شأنه فى ذلك شأن الاستاذ الـــذى يعرف بحق أستاذيته وأنـــه لابد أن يترفع على أخطاء التلاميذ وكان يهتم بأهل العلـــم من طـــلاب الدراسات العليا اهتماما خاصا • ويقرنهم بموضوعات بحوثهم فهذا أخـــو « الطيبى » وذلك أخـــو « الخليل » وهذا « جار اللـــه » وكان يستمع الى مناقشتهمباهتمام ويراجع ما يكتبون ويشـــعر كل واحـــد منهم أنه انتفع بما قرأ له وكان لهذا أثره الحميـــد فى نفوس الطـــلاب وكان ذلك منه لكل طالب يظن أنه عنده شيئا سواء كان من الدارسين فى قســـمه أو لم يكن ، وســـــواء كان ممن يشرف على بحوثهم أو لم يكن •

وكان للطلاب العرب عند الشيخ **منزلة خاصة الوافدين من الأقطار الاسلامية** حيث كان يمنحهم جميعا قربا أكثر ، وودا أشمل •

جعـــل الله ذلك كله فى موازينه وضـــاعف له أجره ، وحط عنه بكل كلمة كتبها وألحقه بالصـــالحين ، وألحقنا بهم غير مخذولين ، وصلى الله على ســـيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم باحســـان •

د• محمد محمد أبو موسى

بقية مقال الامام الراحل عبد الحليم محمود

لقد كتب الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود قصة حيـــاته تحت عنوان « الحمد لله هـــذه حياتى » فالحمد لله هو آخر دعاء أهل الجنة •• **(دعـــواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمـــد لله رب العالمين)** •

وكانت آخر كلمة نطق بهـــا (لا اله الا الله ـــ الله حـــق) ، وظل يرددها يوما كاملا قبـــل وفاته ، وبعد ـــ فقد كانت هـــذه جولة فىفكر الامام الاكبر الدكتور عبدالحليم محمود ودوره فى بناء الدولة الاسلامية الحديثة ، رأيت أن أسجلها فى ذكـــرى مولده ، اعترافا بفضله ، ووفاء لحقـــه ، وتقديرا لفكره وأدبه ، فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء •

محمـــد شـــلبى

طرائف.. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

القرآن

سراج لا تطفأ مصابيحه ، وشهاب لا يخبو زنده ونور لا يتغير ذكاؤه ، من قرأه وتبعه دله : على المكارم ، وصده عن المحارم ، وشفع له يوم القيامة .

خمس تضمن خمسًا

الصلاة تضمن : الرزق .

والصدقة تضمن : العافية .

والظلم يضمن : الهلاك .

والزكاة تضمن : البركة .

والزنا يضمن : الفقر .

حَقـًّـا

قال الشاعر :

أرى حللا تصـــان على أناس
وأخلاقا تداس فلا تصـــــان
يقولون الزمان بـــه فســـاد
وهم فسدوا وما فسد الزمان

وصيـَّــة

قال بعض الحكماء لولده : يابنى عليـــك بطلب العلم وجمـــع المال ، فان الناس طائفتان : خاصة تكرمك بالعلم ، وعامة تكرمك للمـــال ٠

كلمات من نور

من ادعى الوطنية وهو يفرق الصفوف فهو : خائن ٠
ومن ادعى الاصلاح وهو يتقرب الى الظالمين فهو : فاجر ٠
ومن ادعى العلم وهو يمالىء الفاسدين فهو : تاجر ٠
ومن ادعى الحكمة وهو منحرف فهو : سفيه ٠

ثلاثية الكمال

الصبر فى الدين ، والصبر عند النوائب ، وحسن التـــدبير فى المعيشة .

إعتذار

كتب المنصور العباسى الى جعفر الصادق يقول : لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟ فأجابه قائلا : ليس لنا فى الدنيـــا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجـــوك له ، ولا أنت فى نعمـــة فنهنئك بها ، ولا فى نقمة فنعزيك فيها . فكتب اليه المنصـــور : تصحبنا لتنصحنا .

فكتب الصادق اليه قائلا : من يطلب الدنيا لا ينصحك .. ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

متى ينهزم الموت ؟

الموت قائد منتصر أحيانا ، ومنهزم أحيانا أخرى . فهو ينتصر على الاجسام البائدة ، وينكسر أمام الارواح الخالدة .

أظلم الناس

قال الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ :

أظلم الناس لنفســه : لئيم اذا ارتفع جفــا أقاربه ، وأنكر معارفه واستخف بمن فوقه ، وتكبر على ذوى فضل ٠

ثلاثة أنوار

قال ابن عطاء : يحتاج قائل كلمة التوحيد الى ثلاثة أنوار :
نور الهداية ، ونور الكفاية ، ونور العناية ٠
فمن من الله عليه بنور الهداية فهو معصوم من الشرك ٠
ومن من عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر ٠
ومن من عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة٠

دعاء

يارب : لقد أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنــا الجنة ونحن نسألك ٠

من حضارة الاسلام

عروبة القدس وإسلاميتها

للدكتور محمد محمد خليفة

مدينة القدس :

مشت رحلة الزمن الطويلة على هذه المدينة فخلعت عليها أسماء حفظت الحوافظ بعضها حيث تشبث بتلك الأسماء بعض وارثى من سكنوها ، وتنوسى بعضها حيث لم يجد ممن عاشوا فيها وارثا يذكرها .

وكانت بلاد الشام منذ الغابر البعيد متنفسا لكثير من العرب الذين ضاقت نفوسهم بأجواء جزيرتهم وجدبها ، فاتخذوا من الشام مهجرا يستروحون أنسامه وينعمون بخصوبته ، ويذكر ذلك الغابر البعيد (اليبوسيين) وهم قوم من العرب نزلوا الشام وابتنوا أول مدينة لهم أطلقوا عليها (يبوس) وهذا أول اسم عرف لهذه المدينة وان كان قد نسيه الزمن ، وهنالك عاش مع اليبوسيين والكنعانيون وهم من العرب المهاجرين كذلك وقد سموا المدينة (يوروشالم) ومنه كان اسم (أورشليم) الذى عاش وتشبث به اليهود بعد .

وحين حكمها الرومان غيروا اسم المدينة الى (ايلياء) بيت الله ، ثم أرجعوا لها اسمها القديم أورشليم .

ولما فتحها المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه سموها : بيت المقدس أو البيت المقدس أو القدس

ليجعلوا من اسمها وصفا يشير الى تقديسـها وطهرها ولتعيش على الوجود حرما ثالثا للاسـلام تهفو اليه قلوب المـلايين فى مختلف الأحقاب من أقطـار الأرض حين يرونه موئلا لكثرة من أنبيـاء الله ورسله ومهبطا لوحى الله ، وأن فيه وفيما حوله كانت رسـالات دعت الى الله وأن فيه وفيما حولت خرت الى الله الجباه .

مكانة بيت المقدس :

قبل الاسـلام :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : البيت المقدس بنته الانبياء وسكنته الانبياء ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبى أو قام فيه ملك .

كانت مدينة (بيت المقدس) محط رحال ابراهيم خليـل الله عليـه السلام (وقيل أنه دفن بها) .

وفيها عاش يعقوب بن اسـحاق ابن ابراهيم وهو أول من بنى فيها المسجد الأقصى بعد أن بنى جـده ابراهيم وعمه اسـماعيل البيت الحـرام بمكـة بأربعين عاما أو ثلاثين ، فكان ثانى مسجد وضع للنـاس « **ان أول بيت وضـع للناس للذى ببكة مباركا وهـدى للعالمين** ، فيه **آيات بينات مقـام ابراهيم** » .

واتخذها داود عليه السـلام عاصـمة ملكه بعد أن نقل حاضرة ذلك الملك من (حبرون) الخليـل الى أورشليم وبنى فيها بيتا للعبادة سمى محـراب داود ، كما كانت عاصمة ملك ابنه سـليمان عليه السـلام وقد جدد سليمان بناء المسـجد الأقصى .

وفى القدس دعت امرأة عمران ربها وكانت عاقرا لا تلد : اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولـدا أن أتصدق به على بيت المقدس ليكون من سدنته فلما حملت قالت : (**رب انى نذرت لك مافى بطنى محـررا فتقبل منى انك أنت السـميع العليم**) ثم وضعت فكان الوليد : مريم (**فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلمبما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطانالرجيم**) فعاشت مريم فى

بيت المقــدس وفيه كفلهــا زكريا (زوج خالتها) حتى شبت فقامت بخدمة بيت المقدس وخدمة مسجد آخر عند جبل صهيون .

وفى القــدس دعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية طيبة **(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء)** .

وفيــه نادته الملائكة وبشرتــه بيحيى **(فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصــدقا بكلمــة مــن الله وســيدا وحصــورا ونبيـــا من الصالحين)** .

وفى تلك المدينة أو فى بيت لحم (على بعد أميال منها) ولد عيسى عليه السلام .

وفيها تكلم عيسى فى مهده **(قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجلعنى مباركا أينمــا كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيــا)** فأخبر وهو فى طفولته أنه عبد الله وبشر بنبــوته وأصــول رسالته وبهــذا برأ أمه مما اتهمت بــه مما قالوه : **(يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيــا)** وآمن المؤمنون ممن سمعوه يتكلم فى المهد أو نقل اليهم الثقاة كلامه : أنــه نفخة من روح الله ، وأن خلقه كخلق آدم **(أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** .

وفى القــدس كانت دعوته وكان حواريوه ، وفيها دعا ربه أن ينزل المائدة :

(قال عيسى ابن مريم اللهــم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) .

ومن صخرة بيت المقدس ينادى المنادى يوم القيامة وهو اسرافيل: أيتها العظام الباليــة والاوصـــال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفــرقة : ان اللـــه يـــأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء **(واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج)** فمن هنالك **(ينفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد)** .

بعد الاسلام :

للقــدس فى الاســلام مكانة تضــاهى مكانة مدينة رســول الله صلى الله عليه وسلم لانها :

١ ــ مسرى الرحلة العظيمــة المباركة :

فالى المســـجد الاقصى ببيت المقدس أسرى بعبــد الله محمــد صلى الله عليه وسلم من مكة من المسجد الحرام (**ســبحان الذى أسرى بعبــده ليلا من المســجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا**) .

وكان اسراء الله بعبده جســدا وروحا يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس ، وســبحان الله أن تعجز قدرته عن حمل عبــده وعن طى الارض أمــام موكبــه ليبلغ المسجد الاقصى فى ساعة من ليــل ليريه آيات قدرته الناطقة بجلاله.

ومن المسجد الاقصى أعرج به فى رفقة جبريل عليه السلام الى العلا حيث أراه الآية الكبرى وفرضــت عليه وعلى أمته الصلاة التى جعلها الله عماد الدين وركنه الركين .

واذا كانت عقــول البشر قــد صــنعت ســفن الفضــاء وأنزلت الانسان على سطح القمر وراحت الى المريخ تكتشف عوالمــه فهــل يعجز رب البشر عن حمل عبــده محمد صلى الله عليــه وسلم الى ما وراء الســموات الســبع ليرى ســدرة المنتهى ويــرى آيات الله ويرى جبريل فى صــورته الملائكية حيث كان منه قاب قوسين أو أدنى (**وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض انــه كان عليما قديرا**) ٤٤ ــ فاطر .

٢ ــ أولى القبلتين :

كان بيت المقدس القبلة الاولى التى ولى رسول الله صــلى الله عليه وسلم والمســلمون وجوههم اليها بأمر الله بعــد أن فرضــت الصلاة فصلوا الى بيت المقــدس وهم فى مكة وهم فى المدينة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وهــو يصلى بمكة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فكأنه كان يصلى الى قبلتين : بيت المقدس والقبلة التى يرجو أن تكون ، فلمــا هاجر الى

المدينة لم يجد بدا أن يولى وجهه نحو بيت المقدس .

واختلف فى المدة التى صلى فيها الرسول الى بيت المقدس وهو فى مكة والمدينة فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل سبعة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر شهرا ، ثم تحولت القبلة الى الكعبة الى البيت الذى بناه ابراهيم واسماعيل الى أول بيت وضع للناس .

(وقال السفهاء : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب) .

ولما طال تقلب وجه النبى صلى الله عليه وسلم فى السماء ينتظر أمر الله بتحويل القبلة حول الله القبلة الى الكعبة التى يرضاها نبيه **(قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .**

ونسخ الله قبلة المسلمين الاولى وتوجههم الى بيت المقدس وجعل الكعبة قبلتهم الثانية ، لانها سرة الارض ومركز دائرتها لتلتقى وجوه المسلمين على اختلاف أقطارهم حول بيته الحرام اشعارا بضرورة وحدتهم وتجمعهم والتفافهم حول منافع دنياهم وأخراهم .

٣ ــ فيها المسجد الاقصى :

وفيه صلى النبى عليه الصلاة والسلام أول صلاة صلاها بعد عودته من رحلة المعراج .

وقد حفلت السنة النبوية بالكثير مما يدل على مكانة المسجد الاقصى وعلى فضل الصلاة فيه :

روى الشيخان عن أبى ذر قال: قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الارض أول : قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ، قال : المسجد الاقصى .

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى .

وروى ابن ماجه عن ميمونة

كذلك قالت : قلت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس قال : أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيـــه فان صلاة فيـــه كألف صـــلاة فى غيره) .

وروى ابن ماجـــه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل فى المســـجد الاقصى بخمســـين ألف صـــلاة ، وصـــلاة فى مســـجدى بخمسين ألف صـــلاة وصـــلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة). ويطلق المسجد الاقصى على المسجد والساحة المقدســـة كلها وهى تبلغ أربعة وثلاثين فدانا .

وقد شاء الله أن يجمـــع معابد الاديان السماوية فى بقعة واحـــدة من الارض المقدسة فاجتمع المسجد الاقصى وكنيســـة القيامة وحائط المبكى ، واجتماعها يدل عـــلى أن بيت المقدس ملتقى أديان السماء: الموسوية والمسيحية والاسلام .

عناية المسلمين ببيت المقدس :

لم تنم عنايـــة المســـلمين ببيت المقدس فى تاريخها الطـــويل فرأى خلفاؤهم وملوكهم فى ظلالها الارض المباركة المقدسة فقد انتشلها عمر ابن الخطـــاب رضى الله عنـــه من أيدى الرومان الذين دمروها أكثر من مرة وفيها بويع معاوية بالخلافة بعد أن اجتمعت له كلمة المسلمين بتنـــازل الحسن بن على له عن خلافة المسلمين حقنا للدماء .

وفيها شيد عبد الملك بن مروان الاموى قبة الصخرة فوق الصخرة المقدسة وأنفق فى ذلك خراج مصر لسبع سنوات .

وفيها جدد الوليد بن عبد الملك بناء المسجد الاقصى أو مســـجد عمر .

وفيها شـــيد أثرياء المسلمين ، على اختلاف أقطارهم وجنسياتهم الكثير من المساجد والمدارس التى درست فيها علوم الدين واللغـــة وأوقفوا على الكثير من بيوت الله هنالك الاوقاف والاموال فى مختلف عهود التاريخ ونجاها صلاح الدين من الصليبية الغازية التى أتت على الكثير من التراث الاسلامى فيهـــا وفى غيرها ، واليها توافد المسلمون

فى مختلف العصور من آفاق الأرض لزيارة تلك الارض المقدسة حيث رأوها الحرم الثالث •

ومنها أحب الكثير من المسلمين الاحرام بالحج والعمرة طالبا لمغفرة الله ورضوانه حينما رق أسماعهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه •

رحلة التاريخ السياسى :

انها لرحلة طويلة تلك التى مر بها بيت المقدس منذ الماضى البعيد حكمته خلالها أمم اختلفت جنسياتها ولغاتها وأديانها وموقفها منه ومن سكانه من حيث التقدير أو الاستهانة وهذه بعض الامم والجنسيات التى حكمت بيت المقدس •

قبل الفتح الاسلامى :

ان أول من عرفهم التاريخ ممن حكموا بيت المقدس هم البيوسيون الذين هاجروا من جزيرة العرب قبل الميلاد بثلاثين قرنا فاستوطنوا هذه المنطقة وشيدوا فيها عاصمتهم وخلعوا عليها من اسمهم اسما لها حيث سموها بيوس •

ثم خلفهم الكنعانيون فى حكمها وهم من العرب المهاجرين من جزيرة العرب كذلك وأطلقوا عليها اسم يوروشالم ثم خلفهم العبرانيون الذين ملكو الشام وعلى رأسهم داود عليه السلام فاتخذ تلك المدينة قاعدة لملكه ، وخلفه سليمان عليه السلام فى ذلك الملك ثم تقاسم ابناه الملك فانقسم ملك سليمان الى دولتين : يهوذا وعاصمتها أورشليم واسرائيل وعاصمتها شليم (نابلس) •

ثم غزا الاشوريون مملكة اسرائيل وقضوا عليها كما غزا البابليون مملكة يهوذا ودمروا الكثير من آثارها •

ثم ضم الفرس تلك المنطقة من العالم الى ملكهم وأحسنوا الى العبرانيين فسمحوا لهم بالعودة اليها بعد أن طردوا منها •

ثم غزا الرومان تلك البلاد

ودمروا المدينة وأحلوا محلها مدينة جديدة سموها (ايلياء) بيت الله ولما تنصر الرومان طردوا اليهود من المدينة لغدرهم بالمسيح عليه السلام .

وبقيت المدينة تحت حكم الرومان حتى فتحها المسلمون .

بعد الفتح الاسلامى :

لقد نصر الله الجيش الاسلامى على الرومان فى بلاد الشام وتقدم الى ايلياء (بيت المقدس) فتحصن أهلها بأسوارها وحاصرهم المسلمون أربعة أشهر ثم طلب سكان بيت المقدس الصلح على أن يوقع عقد الامان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واستجاب عمر ، وخرج من المدينة الى الشام على ظهر بعيره تتقاذفه الوديان والصحارى وليس معه غير غلام يتولى شئونه حتى بلغ القدس ووقع وثيقة الامان ونصها كما جاء فى تاريخ الطبرى :

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها اللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن كان بها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله

وذمـــة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية ٠

ووقـــع هـــذا العقـــد : عمـــر ابن الخطاب ، وشهد عليه : خالد ابن الوليـــد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعـــاوية ابن أبى سفيان ٠

وكان هذا العهد الامان كله لاهل بيت المقدس حين رأوا فى ظلالـــه حياة الامن ولمسوا عـــلى اختلاف أديانهم سماحة الاسلام ٠

وعاش أهل بيت المقـــدس مـــع المسلمين حياة دعة واســـتقرار فى عهد بنى أمية والعباسيين ٠

ثم نشـــبت الحروب الصـــليبية واضطربت هذه المنطقة من العالم، واســـتهدفت حمـــلات الصليبيين الاستيلاء على بيت المقدس وقـــد أريق فى تلك الحروب الكثـــير من دماء العرب مســـلمين ومسيحيين دفاعا عن الارض المقدسة ٠

ثم هيأ الله لنصرة القدس القائد المظفر صـــلاح الدين فجاهد حتى حقق الله له النصر الذى وعـــده من عباده فأعاد الحرم الثالث الى أهلـــه ليعيـــش فيـــه المســـلمون والمسيحيون اخوة ٠

وعاشوا اخوة متحابين فى ظـــل الحـــكم الايـــوبى والمملـــوكى والعثمانى ٠

ثم غـــزا الارض المقدســـة البريطانيون ابان الحرب العالميـــة الاولى سنة ١٩١٧ ثم جلوا عنهـــا وسلموها لليهود سنة ١٩٤٧ ٠

وتحرك العرب لاسترجاعها سنة ١٩٤٨ ونشبت بينهم وبين اليهود حروب لا يعلم الا الله متى تنتهى ليعـــود الســـلام الى الارض المقدســـة ٠

وأخيرا :

تلك هى القـــدس العربيـــة الاسلامية التى قاست فى التاريخ ما لا يطاق ، وقد عاشت فى ظـــل ألوية الاسلام ثلاثة عشر قرنا من الزمان أفاضت سماحة الاســـلام خلالها على ساكنيها وزائريها أنبل ما عرفته الانســـانية من ســـماحة عـــاش فى كرمهـــا المســـلمون والمسيحيون واليهود اخوة تربطهم على اختلاف أديانهم قداسة الارض

والصلوات التى تزخر بها المساجد والكنائس والبيع ، والمؤمنون منهم جميعا يذكرون أن تراب القدس مس جباه الانبياء من العبرانيين والعرب ، وأن من أرجائها انطلق الى رب السماء دعاؤهم ، وأن دعوة أديانهم جميعا حداها حين سارت على الارض المقدسة الحب الذى سما بالانسانية عن حبائل الانانية وشباك الاهواء ، وقد ربطت بينهم فى ظل الاسلام روابط البر والتعاطف ومن ثم عاشوا حياة الامن • وان حماقة المتعصبين من اليهود لدعوى أحقيتهم بملكية القدس وغيرها من أرض الشام لانها كانت مملوكة لداود وسليمان ويهوذا واسرائيل ساقتهم الى الاسراف فى التشبث بأحلام سرابية ينكرها عليهم منطق الحق والتاريخ •

فبيت المقدس بلد عربى من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثين قرنا وملك داود وسليمان له لم يتجاوز سبعين عاما ، ومملكة يهوذا قامت حينا ثم قضى عليهم البابليون ، وأجلى الرومان خلال حكمهم كل اليهود عنها •

ثم تجلت عليهم سماحة الاسلام فى السماح لهم بالعودة لا ليملكوا أو يسيطروا •

وحينما طرد الاسبان اليهود من أسبانيا فتحت القدس لهم أبوابها واستقبلت منهم آلاف الاسر ليقيموا مع المسلمين والمسيحيين بين رحاب الارض المقدسة •

فاذا مد اليوم اليهم العرب من المسلمين والمسيحيين أيديهم حبا فى حقن الدم الذى لطخ قداسة تلك الارض أكثر من ثلاثين عاما فليس ذلك عن ضعف أو خوف ولكن العرب من مركز القوة ينادون بالسلام لتعيش القدس كما كانت ملتقى الاديان السماوية تظللها ألوية الامان والسلام ولعل حكام اسرائيل يستجيبون الى صوت السلام ويؤمنون بحقيقة عروبة القدس فالأحلام والأوهام سينتصر عليهما وان طال الزمن السلام ،،،

دكتور : محمد محمد خليفة

حول الإسراء والمعراج

رؤية جديدة

للأستاذ / على عبد العظيم

خلقنا الله مقيدين بحدود الزمان والمكان فلا نستطيع أن نعيش الا عصرا واحدا محدودا بتاريخ معين فلا يمكن أن نحيا مع قدماء المصريين والعصر الحديث معا ولا يمكن أن نعيش فى أمريكا الجنوبية وفى مصر معا فى وقت واحد .. ولكننا نستطيع أن نتخلص من حدود الزمان والمكان أثناء الأحلام فنجمع بين الشرق والغرب والقديم والحديث معا فى وقت واحد ، فقد نرى آباءنا وأجدادنا بعد أن فارقوا الحياة وانقطعت صلاتهم بالحياة الدنيا وقد ننتقل الى أقصى الشرق أو أقصى الغرب فى ثوان معدودات دون أن نبارح مكاننا — والفرق بيننا — معشر البشر — وبين الانبياء أن احلامهم وحى يوحى وليست أضغاث أحلام فحينما رأى ابراهيم — أبو الانبياء — أنه يذبح ابنه اسماعيل فى المنام بادر بتنفيذ هذه الرؤيا فى اليقظة لانها وحى يوحى بالنسبة اليه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « تنام عيناى وقلبى يقظان » ومعنى ذلك أن روحه النقية الصافية تتصل بالسماء وتتلقى الوحى عن الله سبحانه وهو فى سبات عميق ولا ينسى فى يقظته ما تلقاه فى منامه — وفى حديث الاسراء والمعراج يقول الامام البخارى (١)

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ورواه مسلم أيضا .

عن شريك بن عبد الله « سـمعت أنس بن مالك يقول : ليـلة أسرى برسـول الله صلى الله عليه وسلم جـاءه ثلاثة نفـر وهو نائم فى المسـجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسـطهم هو خـيرهم وقال آخرهم خـذوا خيرهم ، فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى » •

ـ فيما يرى قلبه وتنام عينـه ولا ينام قلبه ـ وكذلك الانبيـاء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ـ فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمـزم فتـولاه جبريل منهم فشـق ما بين نحره الى لبته حتى فرع من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب محشو ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده ـ يعنى عروق حلقه ، ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا ••• الى أن يقـول ••• فاسـتيقظ وهو بالمسـجد الحرام » ويؤيد هذه الرواية قوله تعالى **« وما جعلنـا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس »** والرؤيا فى التعبير القـرآنى هى الحلم الذى يشاهده الانسـان أثناء رقاده كما قال يوسـف عليه السـلام **« يا أبت هـذا تأويل رؤياى من قبـل قد جعلها ربى حقا »** حيث قال فى أول قصته لابيه **« يا أبت انى رأيت أحـد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »** •

والفرق بين أحـلامنا وأحـلام الانبيـاء أنها عندهم وحى يوحى كما ذكرنا ومن هنا نسـتطيع أن نقول اذ حـدود الزمان والمكان قد تلاشت فى هذه الليلة بالنسبة الى النبى صـلى الله عليه وسـلم ـ أما الزمان فقد انطوى بالنسـبة اليه حيث انتقل من مكة الى بيت المقـدس فى لحظـات معـدودات كما انطوت الحدود الزمانية عنده فـرأى آدم وابراهيم وادريس وموسى وعيسى عليـه وعليهم الصـلاة والسـلام ورأى مشاهد عديدة من الدار الآخرة فرأى أهل الجنـة وهم يتنعمون فيها ورأى أهل النار وهم يعذبون فيها ، روى

أبو هريرة من حـديث طويل (١) « ••• فسار النبى صلى الله عليه وسلم ، وسار جبريل معه فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبى صـلى الله عليه وسـلم يا جبريل ما هـذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف « وما انفقو من شىء فهو يخلفه وهو خـير الرازقين » • ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال ما هـؤلاء يا جبريل ؟ قال هـؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والنعم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال هـؤلاء الـذين لا يؤدون صـدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نىء فى قـدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال هـذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح • قال ثم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شىء الا خرقته قال ما هـذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل اقوام من امتك يقعـدون على الطـريق فيقطعونها ثم تلا قوله تعـالى « ولا تقعدون بكل صراط توعدون وتصدون عن سـبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا » ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات

---

(١) رواه ابن جرير والبيهقى وابن أبى حاتم •

الناس لا يقدر على أدائهـــا وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألســنتهم وشــفاههم بمقاريض من حــديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتــر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هــؤلاء خطبــاء الفتنــة ، ثم أتى عــلى حجــر صــغير يخــرج منــه ثور عظيم فجعــل الثور يريد أن يرجـــع من حيث خرج فلا يســـتطيع فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذا الرجل يتكلم بالعظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مســـك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة ؟ وما هــذا المســك ؟ وما هذا الصــوت ؟ قال هذا صــوت الجنة تقول : يا رب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت غرفى واســـتبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلئى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وأكؤسى وعســـلى ومائى ولبنى وخمرى فائتنى بما وعــدتنى فقال لك كل مســـلم ومســلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى وبرســـلى وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن ســـألنى أعطيته ومن اقرضنى جزيتــه ومن توكل عــلى كفيتـــه انى أنا الله لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت الجنة قد رضيت ، ثم أتى على واد فسمع صــوتا منكرا ووجد ريحا خبيثـــة فقال : ما هــذه الريح يا جبريل ؟ وما هذا الصوت ؟ فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت ســلاسلى وأغــلالى وســـعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى وقد بعد قعرى واشـــتد حرى فائتنى بما وعـــدتنى (١) ، قال لك كــل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبــار لا يؤمن

---

(١) هذا مأخوذ من قوله تعالى :
« اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا » .
وقوله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » .

بيـــوم الحســـــاب قالت قـــد رضيت ••• » •

أما طى المكان فقــد طــوى الله لنبيه المسافة بين مكة وبيت المقدس فقطعها فى لحظات معــدودات على حين تقطعها القوافل فى شـــــهر أو أزيد وطـــــوى الله له ما بين الارض والســموات العلا فقطعهن فى أقــل من ليــلة واحـــــدة • وجاوزهن الى ســــــدرة المنتهى ورأى من عجائب الكائنات ما لم يره من قبله أو من بعــده أحــد ، ولم يشـــهد ولن يشـــهد ــ له الوجود مثيلا من قبل أو من بعد فقد كشف الله عن بصره وبصيرته معا وأمده بمدد من عنــده فرأى رأى العيان وهو فى حالة ليس بالنائم فيهـــا ولا اليقظــان ما لم تره قط عينان حيث تلاشى أمامه الزمان والمكان فرأى معالم الماضى السحيق وأبصر مشاهد المستقبل البعيد وشاهد فى صورة مجسمة ما كان يوحى اليه به فى صورة معنوية ولمس الحقــائق الروحيـــــة لمس العيان ــ وما راء كمن سمع ــ وقد ذهب ابن اسحق ــ وهو أقدم كتاب السيرة النبوية وأشـــــهرهم الى ان المعراج كان رؤيا من الله صـــادقة ــ ورؤيا الانبياء حق لا ينكر ، وروى بسنده عن الاخنس عن معاوية الصحابى وكاتب الوحى أنه كان اذا ســئل عن المعراج قال انه رؤيا من الله صادقة ولعله يســتند فى هذا الى قوله تعالى **« وما جعلنـــا الرؤيا التى أرينـــاك الا فتنـــة للناس »** ويقول ابن اســحق عن بعض آل أبى بكر أن السيدة عائشـــة رضى الله عنها كانت تقول : « ما فقــد جسد رســول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه » قال ابن اســــحق « فلم ينكر ذلك من قولها » ونحن نعلم انهـا عنـــد المعراج لم تكن زوجة للرســــول صلى الله عليه وسلم فقد تزوجها بعد ذلك ولكن لعلها ســــمعت منه ما أبدته من رأى وأنه انكشف أمامه حجاب بعد حجاب وزال ستار بعد ســـتار هــذا ما يتعلق بالمعراج أما ما يتعلق بالاسراء فقد أسرى به صلى الله عليه وســلم بالروح والجسد معا يقظة لا مناما ، ويقول ابن كثير « أن التســـبيح فى قوله

تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا» انما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شىء ولم يكن مستعظما وما بادرت كفار قريش الى تكذيبه وما ارتدت جماعة من المسلمين ، وأيضا فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد .. وقال تعالى «وما زاغ البصر وما طغى» والبصر من آلات الذات لا الروح ، وهو أيضا حمل على البراق (١) . وانما يكون هذا للبدن لا للروح انها لا تحتاج فى حركتها الى مركب تركب عليه والله أعلم » .

ومما يؤيد رأى ابن كثير ما رواه شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك قال : « صليت صلاة العتمة بمكة فأتانى جبريل عليه السلام بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب على فوازها بأذنها ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخل فأنزلنى فقال : صل فصليت ثم ركبت فقال تدرى أين صليت ؟ قلت الله أعلم قال : صليت بيثرب ، صليت بطيبة ، فانطلقت بنا تهوى يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال تدرى أين صيلت ؟ قلت الله أعلم قال صليت بمدين عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت الله أعلم قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ، ثم انطلق بى حيث دخلنا المدينة من بابها اليمانى فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيثشاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى

---

(١) لعل اسمها مشتق من البرق لسرعتها ، ولعلها طاقة جسمها الله فى صورة مادية ليأنس اليها الرسول صلى الله عليه وسلم تثبيتا لفؤاده .

فأتيت باناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل أرسل الى بهما جميعا فعدلت بينهما ثم هدانى الله عــز وجــل فأخذت اللبن فشربت حتى عرقت به جبينى وبين يدى شــيخ متكىء فقال أخذ صــاحبك الفطرة انه ليهـــــدى •• ثم انصرف بى فمررنا بعير لقـــــريش بمكان كذا أو كذا قد أضــلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فســــلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابى قبل الصــبح بمكة فأتانى أبو بكــر رضى الله عنــه فقــال يا رسول الله أين كنت الليلة » ؟ فقد التمستك فى منامك فقلت علمت أننى أتيت بيت المقدس الليلة فقال يا رسول الله انه مسيرة شـــــهر فصـــــفه لى ففتح لى صراط كأنى أنظر اليه لا يســــألنى عن شىء الا أنبأته به فقال أبو بكر أشـــهد أنك لرســول الله وقال المشركون انظروا الى ابن أبى كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليـــلة قلت فمن آية ما أقــول لكم أنى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعــــه لهم فلان وان مســـيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقــدمهم جمل آدم عليه مسح أســـــود وغوارتان ســـوداوان ــ فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظــرون حين كان قريبــا من نصف النهار حتى أقبلت البعير يقــــدمهم ذلك الجمل الذى وصــفه رســول الله صــلى الله عليه وســـلم » رواه البيهقى من طريقين أحــدهما عن الترمذى ثم قال ان اســــــناده صحيح •

وليس عجيبا أن يتم هذا بمثل هذه السرعة المذهلة فان المركبــات الفضائية ــ وهى من صنع البشر ــ تطوف حول الكرة الارضية فى ساعة ونصف الســاعة ، وقد أنبأنا الله ســـبحانه أن الذى عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس من سبأ الى بيت المقدس فى طرفة عين وهى ضعف المســـــافة بين مكة وبيت المقــدس وتبارك الخــلاق العظيم القادر على ما تقــره وما لا تقــره العقول انما أمره اذا أراد شــيئا أن يقول له كن فيكون •

على عبد العظيم

الإسراء والمعراج
بالجسد والروح معًا

بقلم الدكتور / محمد محمد الشرقاوى

كل ما جرت به حوادث وأحداث الاسراء والمعراج يدل بما لا يدع مجالا للشك أن للجسد والروح معا دورهما الأساسى والرئيسى فى تحقق وصدق ما جاءت به أخبار الكتاب المقطوع بصدقها ، وأنباء السنة التى هى أصح وأوفى مانطق به اللسان العربى بعد كتاب الله تعالى .

.. واذا عرفنا أن حادثى الاسراء والمعراج معجزة المعجزات بعد كتاب الله تعالى ، وآية الآيات على قدرة الخالق جل وعلا ، ورفعة الرسول صلى الله عليه وسلم .. أدركنا الى أى مدى نتجنى على مفاهيم الدين الخالص .. حين نسلكها فى عداد العادات الجارية ، والماجريات المعهودة .. فنتلمس لها فى عالم الأسباب والمسببات مكانا ، أو نتخذ لها فى محراب العلم والعلماء مجلسا ، أو نفسر لها فى محيط المعقول مظهرا ومخبرا .. اننا بذلك ننسى أو نتناسى أننا فى مواجهة حقيقة دينية عليا .. يسمو على الأفكار استيعاب مضامينها ، ويعز على العقول المحدودة الادراك والمواهب منال كنهها ، وترتيب مساراتها .. لأنها فوق ذلك كله .. من حيث أنها العلامة الوحيدة المميزة للنبى من الدعى ، وكما يقول علماء التوحيد ان المعجزة للرسول بمنزلة قول الله تعالى : (صدق عبدى فيما يبلغ عني) ، ولقد تهاوت الفلسفة،

وتهافت الفلاسفة تحت معول الامام الغزالى رحمه الله تعالى . فقد أبطل الغزالى مذهبهم المادى الذى كان يرصد عالم الغيب من خلال المعقولات .. حتى اذا استغلق عليهم ادراك ما وراء الطبيعة بالعقل المجرد كفروا بعالم الروح ، وصدوا عنه .. فحاجهم الغزالى بسلاح الجدل المنطقى الذى دانوا به .. حتى حجهم ، وخاصمهم بالدليل البرهانى حتى خصمهم ، وكشف لهم حقيقة غابت عنهم : وهى أن عالم الغيب فوق مدارك العقل .. لأن العقل يدور فى فلك المحسات .. فهو لا يفكر ولا يتخيل ، ولا يتوهم الا ضمن تلك الدائرة المحددة .. على حين أن ما وراء الطبيعة خارج عن تلك الدائرة ، ومخالف لها فى المضمون والشكل ، والجوهر والعرض ، وأنه فوق مداركنا القاصرة ، وحواسنا المادية .. ومثل ذلك نقول فى ظاهرة المعجزات التى يصدق الله بها أنبياءه ورسله حين يتحدى بها البشر على مستوى الأزل والأبد .. ليقوم الدليل القاطع والبرهان الساطع على أحقية الدعوة التى يدعون بها الى الله ، وسلامة المنهج الذى يسنونه للانسانية ، ونستطيع أن ندلك على واقعية الجسد والروح فى معجزة الاسراء والمعراج على النحو التالى :

١ — فى التعبير القرآنى الكريم عن حادث الاسراء بمن والى فى قوله تعالى : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجدالحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** الاسراء /١ دليل على الجسمية .. لأن من لابتداء الغاية فى أكثر مدلولاتها اللغوية .. والى لانتهائها — ولا غاية ذات بداية ونهاية الا للأجساد والماديات .. لأن الأرواح لا تحدها الأزمنة ولا الأمكنة بدليل ما نراه فى المنام من سريان الروح حيث شاءت بلا حدود ولا قيود وفى تفسير الكشاف جـ ١ : ٥٤٠ : (ان الله

تعالى أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة .. ذلك لأن التنكير فى الليل بقوله ليلا قد دل على معنى البعضية) ففى قطع هذه المسافة الشاسعة فى تلك الفترة الوجيزة يكمن سر الاعجاز والمعجزة الذى تم للرسول صلى الله عليه وسلم على البراق بصحبة جبريل وميكائيل عليهما السلام كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة ، وبدون الاستعانة بعلم ولا توسيط آلات أو معدات أو وسائل للنقل السريع ، والتحرك الخاطف .. ولو كان الأمر حركة بالروح فى المنام لما استوجب هذا التنويه العظيم ، بهذا الأمر الخارق للعادات ، المعجز للبشر .. لأن سريان الروح لا اعجاز فيه ولا اختصاص به .

٢ ــ حينما امتحن أبو بكر رضى الله عنه بالخبر ــ كما فى السيرة الحلبية جـ١/٣٧٨ ــ وجاءه رجال من المشركين ، فقالوا له : هل لك الى صاحبك .. يزعم أنه أسرى به الليلة من بيت المقدس..أو قال : ذلك ؟ .. قالوا : نعم .. قال : لئن قال ذلك لقد صدق .. قالوا تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ .. قال : نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك .. أصدقه فى خبر السماء فى غدوة وروحة)أى : أنى لأصدقه فيما يخبرنى به من أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار .. فهذا أبعد مما تعجبون منه .. لأن مابين السماء والأرض أفسح مدى مما بين مكة والشام ، وأبعد أمدا من الأربعين ليلة التى تفصل بينهما فى السفر اليهما مصعدا مرة .. ونازلا مرة أخرى .. ومن خلال هذا الحوار تبدو معالم الجسدية والحركة الجسمية وهى محور الاستغراب ، ودعامة العجب العجاب وليس الروح وحده .. لأن العقل لا يستبعد ذلك فى الروح المجرد ..وانما يستبعده حين يخرج عن دائرة الامكان الوجودى ، والعادة المتبعة ، وحديث الصديق أبى بكر

يستند الى قياس كيان بكيـــان •• وكل من الكيانين لا يتأتى به القياس الا اذا استند الى الروح والجسد سويا •• فخبر السماء الذى يتردد به جبريل عليه السلامبين الحـــين والحين فيما بين السماوات العـــلا والأرض •• انما يتضمن انتقـــال الروح والجسد الذى فطره اللهعليه •• أيا كان كنهه ، وكيفما كـــانت طبيعته ، ولا يتصور الايمـــان فى ذلك بالروح المجرد من هيكلها •• بعد أن ثبت بالحديث الصحيح أن جبريل كان يتمثل للرسول صـــلى الله عليه وسلم رجـــلا ســـويا فى صورة دحيـــة الكلبى ــ كمـــا فى السيرة النبوية للزينى ــ ج ١ : ١٦٥ ــ فقد كان دحية بن خليفـــة الكلبى جميـــلا وسيما •• قال فى فتح البارى : (والحق أن تمثـــل الملك رجلا ليس معناه أن ذاتـــه انقلبت الى ذات رجل بل معناه : أنه ظهر بتلك الصورة تأنيســـا لمن يخاطبه ، والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى ، بل يخفى على الرائى فقط) •

وســـواء انتقـــل جبريل عليه السلام فى جسمه الأصلى فى الملأ الأعلى •• أو فى صورته البشريـــة فى الملأ الأدنى •• فان هناك جسدا وروحا يتعانقان فى الحركـــة •• ومن أجلهما صح قياس الصـــديق فى نظره أولا •• ثم فى افحـــام خصومه ثانيا •• وحتميـــة هـــذا القياس وقضيته : أن المقيس وهو حركة الرسول صلى اللـــه عليـــه وسلم من المســـجد الحـــرام الى المسجد الأقصى ليلا فى ســـاعة أو بعض ساعة انمـــا كان جســـدا وروحا •• حتى يستقيم القياس ، ويصح الجدل ، وتقوم الحجـــة ، وتتم المعجزة •• ومن هنا ســـمى أبو بكر : الصديق •

٣ ــ أن مـــا روى عن عائشـــة رضى الله عنها وهى الصديقة بنت الصديق بأن جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفقد •• والقول بأنها ترى أن عروجه صلى اللـــه عليه وسلم كان بالـــروح فقط •• ونسب مثلهالى معاوية رضى اللـــه عنه •• انمـــا هو مخـــالف لأكثر

الأقاويل المعتمدة (الكشاف جـ ١ : ٥٤٠) ذلك : لأن قولها : (والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم) انما كان تعبيرا صادقا منها رضى الله عنها فى فترة ما بعد دخوله صلى الله عليه وسلم عليها، وبنائه بها فى المدينة فى السنة الثانية للهجرة •• وهذا صحيح •• لأن الاسراء والمعراج لم يكونا بالمدينة •• وانما كانا فى مكة قبل الهجرة بسنة واحدة على الراجح •• أى قبل بنائه صلى الله عليه وسلم بعائشة •• والمعروف تاريخيا أنها فى ذلك الوقت كانت فى نحو الثامنة من عمرها •• ويبعد كثيرا أن فتاة فى مثل هذه السن تقضى بعض وقتها مع لداتها فى اللعب واللهو •• تدرك ادراكا تاما حادث الاسراء والمعراج على نحو ما أدركه أبوها وأمثاله من جلة الصحابة وأكابرهم الذين شهدوا الواقعتين حدثا وخبرا ، وحوارا وتصديقا •• بل ان حديث عائشة رضى الله عنها يؤكد عدم وقوع الاسراء والمعراج فى المدينة ولا يدل على أكثر من ذلك •

٤ ــ حين التقى الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الأنبياء والمرسلين فى السماوات وسلم عليهم وسلموا عليه ورحبوا به •• جرى بين بعضهم وبينه حوار ، ووقع تصوير وتشبيه لما رأى فى بعضهم من ملامح ، ومن ذلك قوله فى وصف ابراهيم عليه السلام : (فوالله انه لأشبه الناس بى خلقا وخلقا) وفى رواية : (لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه) ، يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فضجوا وأعظموا ذلك ، وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا ، حتى قال المطعم بن عدى : ان أمرك قبل اليوم كان أمما ــ أى يسيرا ــ غير قولك اليوم ، وأنا أشهد أنك كاذب •• نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ، ومنحدرا شهرا •• أتزعم أنك آتيته فى ليلة واحدة ؟ •• واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا

الذى تقول قط ،ورد عليه أبوبكر : يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك•• جبهته وكذبته •• أنا أشهد أنـــه صادق ، وقد شارك الصـــديق فى تصديقه كل من ثبت على الاسلام، ولم تزل به قدمه ، وكقوله عليه الصلاة والسلام فى وصف موسى عليه السلام : ضخم آدم طـــويل كأنه من رجال شنوءة ـــ وهى طائفة من اليمن يعرفون بالطول ، وقوله فى عيسى عليه الســـلام : فـــوق الربعة ودون الطويل تعلوه حمرة ، كأنما يتحادر من لحيته الجمـــان)

ومن ذلك الحوار الذى دار بينـــه وبين موسى عليه السلام بشـــأن طلب التخفيف فى أعداد الصـــلاة حتى صـــارت خمســـا فى الفعـــل وخمسين فى الأجر كما استفاضت بذلك كتب السيرة ، والأحـــاديث المشهورة •• كل هذا بما فيـــه من تعجب العاجبين ، وكفر الكافرين ، وتصديق المصدقين يعطينا صورة صادقة عن وقائع الاسراء والمعراج من خلال جسد الرسول وروحـــه معا •• أما الروح وحدها فلا يتأتى منها حوار ولا توصيف ولايستبعد منها صعود ولا نزول ولا تشريق•

٥ ـــ فى تعبير القـــرآن الكريم بكلمة (عبـــده) فى أول ســـورة الاسراء اشارة واضحة الى طبيعة المسرى به ، وأنه مجموع الجسد والروح •• اذ أن كلمة العبد لابد وأن يتوافر فى مدلولها ذات مكونة منهما مع زيادة وصف العبودية •• التى لا تتمثل الا فى جسد خاضع وروح مؤمن ، ولا يقـــال للروح وحده عبد الله كما لا يقال للجسد وحده ذلك •• لفقدان أهم شروط العبودية وهى التسليم الظاهرى والانقياد الجسدى مع الايمـــان القلبى ، والتصـــديق الجـــازم المطابق للواقـــع عن دليـــل ، ومن تسليم الظاهر وتصـــديق الباطن يكون العبـــد موســـوما بوصـــف العبودية ، وتصح نسبته الى ربه فى مقـــام التعظيم للمعبـــود ، والامتنان على العبد •

دكتور / محمد محمد الشرقاوى

رحلة عبر خط الوحى

للدكتور / السيد رزق الطويل

لن أتحـــــدث عـــن الاسراء والمعراج بمثل ما ألف المتحـــدثون أن يتناولوه عنهما فى شـــهر رجب من كل عام ، ولن أفيض فيما أفاض فيه الكاتبون قديمـــا وحديثـــا من جدل عنيف حول الآيتين العظيمتين من حيث الزمان والمكان والكيفية ، ولكنى سألقى الضوء على جوانب هامة أهملت منهما مـــع أنهـــا أولى بالوقوف والنظر ، وأحق بالاعتبار والتفكر ، وفى الوقوف عندهاينجلى تفســـير بعض الامور ، أو بعض الآيات من الكتـــاب العـــزيز التى نركب متن الشطط فى تفســـيرها ، أو نتجه بهـــا الى غـــير الوجهـــة الصـــحيحة التى يجب أن تتجـــه اليهـــا .

لقد شغل تفكير المسلمين ، وما يزال مشغولا بتحرير هذه القضايا والفصل فيها واصـــدار كل طرف حكمه على الطـــرف الآخر الـــذى يخالفه الرأى فى واحدة منها .

متى كانت الاسراء والمعـــراج ؟ ومن أين بدأ الاسراء ؟ وهل وقـــع الحـــدثان فى ليلة واحـــدة ، أو فى مناسبتين مختلفتين ؟ وهـــل كانا بالروح والجســـد جميعـــا أو كانا بالروح فقط ؟ أو كان الاسراء بهما والمعراج رؤيا منام ؟

ولأننا لا نريد أن نسرف عـــلى أنفسنا وعلى الناس فى بعث خلاف قديم عرفه المجتمع المســـلم منـــذ عصر الصحابة الأبرار حينمـــا كان بعضهم يرى رأيا فيهما ، وبعضهم يرى رأيا آخر مع أنهم حديثو عهد بزمن الآيتين ، ومن غير أن يثـــير

الخلاف شقاقا فى المجتمع الكريم أو فرقة باغية فيه .

ولذا ننتهى الى حقيقة نقررها ، ولا نخال أحدا يختلف عليها وهى أن الاسراء حقيقة لا ريب فيها ، وكذا المعراج ، وأنهما عند أهل القصد والاعتدال حدثتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من الأنحاء .

وأمر آخر هو أن المعنى بالآيتين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستنقاذه من هموم غالبة،وأحزان ضارية تتمثل فى صلف الباغين ، وشراسة المشركين ، وفقد النصراء الصادقين حتى خيل اليه فى موقف أنه وحده يحس بضعفه ، وقلة حيلته وهوانه على الناس فضرع الى الله ، شأنه فى كل ما يحز به من أمور .. فكانت الآيتان هما الوسيلة لاستخلاص النفس القوية من عواصف الهم والالم والحزن. نلمس هذا من قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) ويقول تعالى فى سورة النجم على رأى من يفسر آياتها الاولى بأنها متصلة بموضوع المعراج : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

ونتيجة لهذا تجددت نفس الداعية العظيم ، وأحرزت الدعوة نجاحا بعد نجاح حتى كانت الهجرة التى قامت بعدها للدعوة الدولة منطلقة بخطى ثابتة راسخة نحو النصر القريب والفتح العظيم .

وبقى علينا أن نعيش فى جو هذه الرحلة المباركة من مبدئها الى منتهاها ونتساءل عن الحكمة وراء المبتدأ والمنتهى ؟ وماذا وراء الخط المستقيم الذى قطعته رحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلب بلاد الحجاز الى المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله .

لقد بدأت الرحلة من مكة ، ومن مسجدها الحرام ، أول بنية فى هذا البلد الامين ، رفع قواعده ابراهيم وابنه اسماعيل ، فكان بهذا أول بيت وضع للناس ، كما قال تعالى: (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه

آيات بينات مقام ابراهيم • ومن دخله كان آمنا) واتخذت الرحلة خطا مستقيما اجتاز سلسلة جبال الحجاز منتهيا الى آخرها حيث سهول الشام ، وبيت المقدس الذى بارك الله حوله ، اذ بارك على من كان فيه من رسل وأنبياء ، كما بارك فى أرضه التى قدمت الخصب وبذلت الماء والثمر •

ولقد عاش فى بيت المقدس جمع من النبيين الكرام أفنوا حياتهم فى العلم والتعليم والدعوة الى الله تعالى •

وهذه الرحلة عبر هذا الخط المستقيم مرت بكل منازل الواحى، وطوفت بمهابطه الكريمة ، فمن حيث بدأت نزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى مسارها طوفت بمنازله على صالح وشعيب ولوط ، وبجانب الطور حيث نودى موسى عليه السلام ، ومن حيث انتهت نزل الوحى على زكريا ويحيى وعيسى وغير ممن سبقوهم من أنبياء بنى اسرائيل كداود وسليمان •

وهذا يعنى الترابط الوثيق بين رسالات الرسل التى جاءت هادية للبشر مرتبطة بهذا الخط الجغرافى من هذا الجزء المقدس والحيوى من العالم ، ليكون على مدى الزمان مصدر نور وهداية ، ومنطلق بر ورعاية ، فمن حوله تكامل بناء الرسالة السماوية أو قل تكامل بناء دين الله وهو الاسلام ، الذى أرسل الله به رسله جميعا عليهم السلام بدءا من نوح حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان آخر لبنة فى البناء العظيم •

يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأكمله وزينه الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فقال الناس ما أجمل هذا البيت وما أحسنه !! لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين •

كما تشير الرحلة الى الارتباط الوثيق بين الرسول الجد ابراهيم والرسول الحفيد محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانت رسالته ، بل وأمته التى أرسل فيها كلاهما ثمرة دعوة ابراهيم عليه السلام

الذى قال وهو يبنى البيت الحرام، ومعه ابنه اسماعيل : (**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم**) ، سورة البقرة .

وقد شهد بهذا الارتباط قوله تعالى فى الآية الاخيرة من سورة الحج : (**وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا**) .

كما يبدو فى أمر الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام أن يسير على منهج ابراهيم ، وهدى ملته السمحة فيقول تعالى فى سورة النحل : (**ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين**) .

ويؤكده الصلاة الابراهيميةالتى تربط بين محمد وابراهيم فى صيغة واحدة للصلاة نقول فيها : (اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) .

ومعنى آخر .. هو أن الرحلة عبر خط الوحى تعنى أن يعيش النبى عليه الصلاة والسلام فى هذه اللحظات العابرة جهاد اخوانه النبيين ، وصبرهم الجميل ، وانتصار الله لهم ليزداد يقينا على يقين ، وثقة على ثقة من أن نصر الله له ــ برغم الاحزان والعقبات آت لا شك فيه .

ان خط الوحى هذا هو خط الهداية الالهية على اختلاف فترات التاريخ .

ومن هنا عندما يقسم الله تبارك وتعالى على تقويم الخلقة الانسانية وانتكاسها بالكفر وسموها بالايمان شمل القسم الالهى منازل الوحى كلها فقال تعالى : (**والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين . لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين . الا**

الذين آمنـوا وعملوا الصـالحات فلهم أجر غير ممنون)

فالتين والزيتـون فى الآية يراد بهما بيت المقدس ، وللوحى الالهى فيه منازل شتى •

وطور سينين حيث نودى موسى ونزل عليه الوحى لاول مرة وهـو يمر بجانب الطور عائدا من مدين الى مصر • واخبار الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بهذا الحادث الدقيق جعله القرآن الكريم حجة على أن القرآن من عند الله وليس من صـناعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول تعالى فىسورة القصص : **(وما كنت بجـانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين)** ثم يقول بعد هذا **(وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك)** •

والبلد الامين مكة المكرمة التى نزل فيها آخر وحى الهى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم •

وكأن الله تعالى يقسـم بمنازل وحيه على تكريم الانسان ، وتقويم خلقه ، وأن الانسان بمعصية ربه ينتـكس الى أسـفل سـافلين ، وبالايمان والعمل الصالح يستعيد سموه ويسترد كرامته • فما أسمى هذه الرحلة المباركة مسيرة وغاية ، وبدءا ونهاية !! وما أعظم حكمتهـا وما أبلغ موعظتهـا ومـا أكـرم أهدافهـا !! وما أحوجنـا الى أن نعيش هذه المعانى القـوية نابذين وراء كل خلاف يحـل العـرى ، ويوهن العزم عسى أن يفيـد لخط الوحى وحـدته وترابطه ، وقوته وتوثقه بعد أن تقلص من نهايته ، وأخـذ الاضـطراب يسـرع الى بدايته •

ان المسـلمين فى أمس الحاجة الى اسراء جديد ، يستردون فيـه ما اغتصب ، ويسترجعون ما سلب ويعيـدون العـزم القـوى لمن استضعف ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل •

د• السيد رزق الطويل

المسجد الأقصى ومكانته فى الإسلام

الدكتور / أحمد عمر هاشم

للمسجد الاقصى مكانته العالية فى الاسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى رسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » سورة الاسراء (١).

وتأتى مكانة المسجد الاقصى بعد الحرمين الشريفين : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، ولزيارة هذه المساجد وشد الرحال اليها فضل عظيم ، ومثوبة كريمة من أجلها كان شد الرحال الى تلك المساجد مستحبا ، روى فى الصحيحين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى** » .

وميز الله تعالى العبادة فيه ، وضاعف ثوابها ، فجعل الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فى غيره ، عن أبى الدرواء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى الف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة » رواه البزار باسناد حسن .

وللمسجد الأقصى تاريخه القديم الذى يمتد عهود طويلة ، بل ان بناءه كان بعد بناء البيت الحرام ، عن أبى ذر رضى الله عنه

أنه قال : قلت يا رسول اللـــــه أى مسجد وضع فى الارض أولا ؟ قال: المسجد الحرام قال : قلت : ثم أى؟ قال : المسجدالاقصى ، قال : قلت: كم بينهما قال : « أربعون ســـنة » رواه الشيخان والنسائى .

واذا عرفنا قدم المسجد الاقصى ومكانته ، فان هناك سؤالا كثـــيرا ما يتردد على ألسنة الباحثين وهو من أول من بنى المسجد الاقصى ؟ وللاجابة على هذا السؤال ، نورد هنا بعض الآراء العلمية التى قال بها العلماء والباحثون :

فمن ذلك : القول بأن الذى بنى المسجد الاقصى هو أبو الانبيـــــاء وأبو البشر آدم عليه السلام .

ومن العلماء من يرى أن سام بن نوح هو الذى كان أول بان له . ومنهم من قال : أول من بنـــاه وأرى موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام .

ومن هذه الآراء العلمية يتضح لنا أن بناء داود وسليمان عليهمـــا السلام انما كان تجـــديدا للبيت وليس تأسيسا له .

وأرى أن تلك الآراء السابقـــة لا تنافى بينها ، ويمكن الجمع بينهـــا فمن المحتمل أن تكون الملائكة قـــد بنت المســـجد الاقصى ، وأن آدم عليه السلام قد جدده ثم ســـــام ابن نوح ثم يعقـــــوب ثم داود وسليمان عليهم السلام .

* ومما ورد فى فضـــائل بيت المقدس ومكانته قول عبد اللـــــه ابن عمر رضى الله عنهمــــا « بيت المقدس بنته الانبياء وعمـــــرته ، وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه بنى أو قام عليه ملك » . وفى أرض بيت المقدس كلم اللـــه تعالى موسى عليه السلام ، وفيه تاب الله على داود وسليمان عليه الســـلام ورد الله على سليمان ملكه وبشر زكريا بيحيى وولد عيسى وتكلم فى المهد فى بيت المقدس ، وأنزلت عليه المائدة فى بيت المقدس ورفعه اللـــه الى السماء من بيت المقـــــدس ، وهاجر اليه ابراهيـــم عليـــــه الســـــلام .

* ومن الصحابة الذين دخلوا بيت المقدس: أبو عبيدة بن الجراح،

ومعاذ بن جبل ، وبلال بن رباح ، ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى مرة واحدة عندما أمره عمر بالأذان بعد فتح بيت المقدس ، وخالد بن الوليد ، وأبو ذر الغفارى ، وأبو الدرداء ، وعبادة بن الصامت وهو أول من ولى قضاء فلسطين سكن ببيت المقدس ودفن بها وقيل بالرملة • وسليمان الفارسى ودفن بالمدائن ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الله ابن سلام ، وسعد بن أبى وقاص ، وممن شهد فتح بيت المقدس أبو هريرة وعوف ابن مالك بن عوف الاشجعى •

وهكذا نرى أن فى هذه البقعة المباركة عددا كبيرا من الانبياء والصحابة وكون المسجد الاقصى قبلة لهم •• كل ذلك يمثل البركة الدينية التى أحاطت به، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الاشجار والانهار وطيب الارض وهذا هو المراد بقول الله تعالى : « الذى باركنا حوله » •

* وللمسجد الاقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا ، وله ذكريات عزيزة وغالية ، على الاسلام والمسلمين ، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحى ، ومنتهى رحلة الاسراء ، وبداية رحلة المعراج ، وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رحلته الى المسجد الاقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين بالبقعة •

ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام وهى « بيت لحم » فصلى بها ركعتين ، ثم وصل الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فجمع من الانبياء والرسل فصلى بهم جميعا ، ثم عرج به الى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى •

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلة « الاسراء » وأخبر قومه كان منهم من صدق ومنهم من كذب ، وذهب بعضهم الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخبروه ، فما كان جوابه الا أن قال لهم : والله لئن كان قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك؟ قال : انى أصدقه على أبعد من ذلك

أصدقه على خبر السماء . وقـــد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم يسألون الرسول صلى اللـــه عليه وسلم فى تعنت عن بيت المقدس ، ومنهم من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الاسئلة سيوقعون الرســول صلى الله عليه وسلم فى حـــرج ، ولكنه وهو المؤيد من قبل ربه قـــد وصف لهم بيت المقدس وصـــفا كاملا ، فى غاية الدقة وأخبرهـــم عن آياته ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : فجعلت أخبرهم عـــن آيـــاته فالتبس على بعض الشىء فجلى الله لى بيت المقـــدس ثم جعلت أنظر اليه دون دار عقيـــل وأنعته لهم ، فقالوا : أمـــا النعت فقد أصاب .

وكان أبو بكر كلما وصف لهـــم الرسول صلى الله عليه وسلم وصفا يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن غيرهـــم وعن أعمالها وعن دقائق الملابســـات ووصفها أكمل وصف ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمـــل أورق عليه غرارتان محيطتان . ومع وضوح الادلة ، فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة ، فقد طمس الله عـــلى أبصارهم وبصائرهم « **ومـــن لـــم يجعل الله له نورا فما له من نور** » .

وفى رحلة الاسراء والمعـــراج فرض الله ســـبحانه وتعـــالى « الصلاة » وهى الصلة القوية بين العبد وربه ، وكانت القبلة آنذاك هى صخرة بيت المقدس ، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وســـلم باستقبالها ، وكان يصلى ــ بمكة ــ بين الركنين فتكون الكعبة بين يديه وهو يستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول صلى اللـــــه عليه وسلم الى المدينة ، تعذر عليه أن يجمع بينهما ، وعندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه الى بيت المقدس ، واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهرا . وكان الرسول صلى اللـــه عليه وسلم يدعو ربه ، ويبتهل اليه أن تكون وجهته الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم عليه السلام ، فأجيب الى ذلك وأمر بالتوجه الى البيت الحرام ، فخطب الناس ، وأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاهـــا

صلاة العصر • وفى هذا يقول الله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهــــــك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فــولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمــون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » •

وروى البخارى ــ بسنده ــ عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى الى بيت المقدس ستة عشر شــهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صــلى أول صلاة صلاها صــلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهــــل المسجد وهم راكعون،فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذين قد ماتوا على القبلة قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله :

« وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم » •

وكلما تعاودنا ذكــرى الاسراء والمعراج تثور فى القلوب المؤمنــة صيحات الحق والجهاد والفداء من أجل استرداد بيت المقدس •

ولا يمكن أن تتفجر طاقــــات الجهاد بالنفس والمال ، الا بالوحدة الاسلامية الشاملة التى يتجمع فيها المســـــلمون تحت راية القرآن منطلقين بعقيدة اسلامية صحيحة، تشق طريقها الى القلوب عـــلى هدى ونور ، وعلى أساس العقيدة الصحيحة ، تنطلق الطاقات المؤمنة، بكل ما وسعها الجهاد وبكل ماتملكه دفاعا عن العقيـــدة وعن الأرض والعرض ، مستبسلة فى جهادهـــا ومضحية بكل غال ونفيس ، وقائمة على حدود الله ، ناصرة لدينـــه محققة للايمان الحق فى حياتها •• وعلى أساس هذا الايمان وهـــذا النصر لدين الله يتحقق نصر اللـــه تعالى لنا •

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » •

د / أحمد عمر هاشـــم

الإسراء والمعراج وغزو الفضاء

للأستاذ / محمد أحمد بدوى

تعاود ذكرى الاسراء والمعراج فى السنين الأخيرة وسط انتصارات علمية رائعة فيما يسمى بغزو الفضاء • وآخر هذه الانتصارات نزول الانسان على سطح القمر ، ودوران سفن الفضاء حوله وعودتها بتحكم مقتدر فى الصعود والهبوط ، وانزال أعلام الدولتين العظميين على سطح الزهرة ، ودوران سفن الفضاء حول زحل والمشترى ، كما تعاود هذه الذكرى ومهبط الاسراء ومصعد المعراج لم يتقرر لهما الى الآن مصير يرضاه المسلم •

ان المرء ـ مهما حاول بعض المفكرين ابعاد القرآن عن التعرض للمسائل العلمية ـ لا يستطيع أن يطرد عن ذهنه ما تستدعيه أخبار ما يسمى بغزو الفضاء من التفكير فى الاسراء والمعراج ، كما لا يستطيع ذلك فيما تستدعيه ذكراهما من التفكير فى غزو الفضاء ، وفى تعليق مصير موقعهما الى الآن •

تداع للمعانى متبادل وغير ارادى بين ما يسمى بغزو الفضاء، وبين الاسراء والمعراج ، وقد وجه الاسلام الى تداع آخر علمى بين النظر فى السماء والأرض ، وبين التفكير فى عظمة الكون وعظمة خالقه ، وذلك بالندب الى قراءة الآيات : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب •• » حين ينظر المرء الى السماء من الليل وبالتوجيه الى التفكير فى خلق السموات والأرض حين قراءة هذه الآيات ، وشدد النبى (ص) فى ذلك اذ يقول : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها •

والتفكير فى الآيات الكونية الذى

وجه اليه الكتاب والسنة انما هو ارضاء واشباع منهجي ومقصود للتطلع النفسى للتفسير والمعرفة المغروس فى نفوس البشر •

على أن جماعة من المفكرين المسلمين يرون — مع علمهم بآلية التداعى بين المعانى المتشابهة وغرزيته ، ومع علمهم بفطرية الدافع الى التفكير للتفسير، وعلمهم بتوجيه القرآن الكريم الى التداعى المتبادل بين الآيات القرآنية والآيات الكونية — هذه الجماعة ترى استبعاد تعريض القرآن الكريم للمسائل العلمية لابتغاء اثبات الموافقة بينهما لخدمة الايمان ، أو لابتغاء اثبات المخالفة بينهما لخدمة الجهل • يريد هؤلاء أن يجعلوا التفكير للتفسير بعيدا تماما عن أى محاولة للربط بين القرآن الكريم والقوانين العلمية ، ويرون أن القرآن لم يتعرض للمسائل العلمية صياغة لقوانينها أو وصفا لظواهرها وحتى اشارة اليها • ومن هؤلاء العقاد رحمه الله والدكتورة بنت الشاطىء أطال الله فى عمرها ، والاعتذار عنهما وعن غيرهما قائم • فالعقاد مثلا لو طال به الأجل ، والتفت الى هذه الناحية الخصبة ، لأخرج للناس شيئا كبيرا فى هذا الموضوع • لكنه لم يتوفر له الوقت من زحمة الاهتمامات • أما الدكتورة بنت الشاطىء فمشغولة بالتفسير البيانى للقرآن ، وتخرج لنا فى هذا عملا جليلا •

وأهم حجج المبعدين للصلة بين القرآن والعلم أن القوانين العلمية قابلة للتغيير ، وبعضهم يستبطن الخشية على القرآن من العلم •

ويمر الكلام على هذا التغير فى صياغات الفروض والنظريات بالمبالغات الصحفية ، وكأنه تغير فى القوانين العلمية الثابتة •

ويستبطن بعض هؤلاء المبعدين الخشية على القرآن من العلم ، وقد يحيك فى نفوسهم ، ويبعث فيها الحيرة ما يتعارض من القرآن فى الظاهر مع بعض الفروض والنظريات العلمية التى لم تتبلر فى قوانين • وبعضهم يستبطن الخشية على العلم من القرآن ، اذ يضيقون — ولهم الحق — بمن يستند الى

ذلك التعارض الظاهرى فى انكـار العلم والزراية به ، والدعوة ضـده مما يتسم بالســذاجة والجهل وانعدام المسئولية •

ان مقابلة آيات القرآن بالفروض والنظـريات العلمية التى تتعرض دائما للتغيير فى صـياغاتها أو فى اسقاط بعضها وابقاء الآخر فى مجال البحث والدراسة هو من المغالطات المقصودة أحيانا ، ويساق هـذا التعارض مساق الدليل الملزم لنـا بترك ربط القــرآن بالعلم • ان القوانين العلمية لا تتغـير بحيث تسقط نهائيا ، وانما تتغير صياغاتها باضافات تزيد من تحـديدها ، أو باختزالات تنقص من عدد المفردات التى تشملها •

ومما يحتجون به أيضـا الخوف من اغراق بعض المفكرين فى اخضاع الصياغات العلمية للصــياغات القرآنية ، وتكلف التشـابه أو الذاتية بين الصياغتين فى كثير من المسائل ، هذا الاغراق الذى يغرى به فرط الحماس الذى تثيره دقـة القرآن الكريم فى صياغة كثير مـن القوانين الاجتماعية والاخلاقيـة صياغات علمية دقيقـة •

ويوجد على طرف التناقض مع المبعدين — باطلاق — فـريق من المفكرين لا يخشون الربط بين آيات الكتاب الحكيم والعلم ، ومنهـم أستاذنا الأستاذ الشـيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله وقراءة تفسيره للقرآن المسمى الجواهر ممتعـة وتفتح آفاقا واسـعة يجب أن يرتادها المسـلمون • والمفكرون الذين لا يخشون الربط بين القرآن والعلم كثرة لا تحصى ، فقد كتبوا فى العلاقة بين القـرآن والطب ، وبينه وبين علم النفس ، وبينـه وبين الفلك ، ومما يتسـع له القول أشد اتساع العلاقة بين القـرآن والعلوم الاجتماعية • وقد توسع فى هذا الاستاذ عبد الرزاق نوفل والدكتور جمال الدين الفنـدى والدكتور محمد أحمد الغمـراوى والدكتور عبد العزيز اسماعيل أطال الله فى عمره الأحياء منهم ورحـم المتوفين •

ولست هنا بصدد محاكمـة بين الفريقين عن الموقف العام لكل منهما من علمية القرآن الكـريم ، لكنى

سأشـــير الى مـــا يخص الاسراء والمعراج من آراء كل منهما •

ان الخطأ ليس فى القول بعلمية القرآن ، ولكن الخطأ فى تجنب المنهج السليم الذى لا يعرض القـــرآن لأى تأثر بتغير صياغات القـــوانين والفروض والنظـــريات العلمية • ومتى اتبع هذا المنهج ، انفتح باب من الدراسات الاسلامية المتعـــة مما يضع الأساس السليم لانطلاقة علمية اسلامية تأخرت بغير مبـــرر حقيقى ، وتأخـــــرنا عن الامم بتأخرها •

والمنهج ذو شطرين أحدهما هو ملاحظة الفرق الدقيق بين النظريات والفروض الدائمة التغـــير وبين القوانين العلمية الثابتة • والشطر الثانى من المنهج قد لمسه ابن القيم ــ لله دره ــ فى كتـــابه اعـــلام الموقعين ، واننى أصـــوغه الآن بالآتى :

(اننـــا نقول : أن اتفـــاق آية قرآنية مع صيغة علمية أو فرض علمى أو نظرية علمية ، أو اشـــارة اليها ، أو عدم تعارض معها ، أو اتســـاع لمضمونها انما هو بحسب ما يبدو لنا ، وما نفهمه بمستوانا العلمى الذى بلغناه الآن فى فهـــم العلم وفى فهم القرآن ، ولا ندعى بله أن نجزم ــ بأن ما نفهمه هـــو آخر كلمة فى العلم ، وآخر كلمة فى تحديد مراد الله تعالى من قرآنه • فاذا تغيرت صيغة لقانون أو فرض أو نظرية علمية ، ربطنا بين واحـــد منها وبين آية قرآنية ، وأظهـــر التغير تعارضا كان الخطأ فى فهمنا للعلم أو فى فهمنا للقرآن ، ويظـــل العلم والقرآن بمنآى عن التخطئة)

وقد كان تنكب هذا المنهج أو عدم الاهتداء اليه وهو الأغلب بسبب التعصب للآراء من أقوى الأسباب فى تفرق المسلمين من أقدم العصور للآن • وقد آن لنا أن نتخلص من هذه الورطة باصطناع المنهج الجديد فى التفسير والفقه والعقائد لتعويض الزمن الذى ضاع من أيـــدينا فى الاختلاف والتفرق •

ان كل فريق من الفرقاء الأقدمين كان يجزم بأن ما يبدو له ، ومـــــا يفهمـــــه من الآيات القــــرآنية والاحاديث النبوية هومراد الشارع على الحقيقة • ومن ثم فان مـــن

المنطق أن يكون معارضه : اما ضالا فى أحسن الاحوال ، واما كافرا زنديقا حلال الدم •

ان الفريق المبعد للقرآن عن العلم يريد أن يفسر الاسراء والمعراج بعيدا عن استصحاب أى معلومات عما أتى به العلم من حقائق لا سيما ما يتعلق منها بما يسمى غزو الفضاء • ولا أدرى ان كان هذا الفريق — اذ يرفض ما يمكن أن يقال عن هذا الموضوع فى عصر العلم — يقبل كل ما أمكن أن يقال عنه فى عصور الجهل والخرافة •

أى أغلال يريدون أن يكبلوا بها الفكر الاسلامى من الانطلاق العلمى من مواقف وفروض اسلامية يكمل ويسند ، ويغنى الانطلاق العلمى من المواقف والفروض المستخدمة الآن •

أما الفريق الثانى أو جزء منه فيحاول عقد مقارنة ساذجة بين الاسراء والمعراج ، وبين ما يسمى بغزو الفضاء ، وتحت ضغط شديد من اغراء المشابهة الظاهرة بين صعود النبى (ص) الى السماء وبين صعود سفن الفضاء الى القمر أو الكواكب • ولهؤلاء نقول : أين القمر ؟ بل وأين أبعد كواكب المجموعة الشمسية من ذلك الكون الواسع ؟ وأى فضاء ذلك الذى يتكلمون عن غزوه ؟ وما هو ذلك الغزو ؟ من المنتصر ومن هو المهزوم ؟

يحاول البشر فى أواخر القرن العشرين أن يبعدوا عن الارض ، وأن يخرجوا من قبضة جاذبيتها بما آتاهم الله من نعمة العلم بقوانينه الكونية ، فكان لهم ما أرادوا ، وحققوا انجازات باهرة • لكن الخالق جل شأنه أغزى نبيه محمدا (ص) فضاء كونه الأعلى غزوا حقيقيا لا يقاس به ما يزعم البشر أنه غزو للفضاء ، وعرج به الى السموات بطريقة لا — ولن — يتمكن البشر من الاطلاع على أسرارها فى أبعد مدى يمكن تخيله الآن •

ولا يعنى ذلك بأى حال التقليل بسذاجة وحمق من القدرة البشرية الفائقة اذا قيست اليوم بما كانت عليه بالأمس ، أو اذا قيس ما يمتلكه منها فريق من البشر فى

أوروبا وأمريكا بما يمتلكه فريق آخر نحن منه لمزيد الأسى والحسرات .

ان رحــلات زوند وســـيوز وكوزموس ومارينر وأبولو والرحالة (فوايجر) لعمل عظيم بكل المقاييس بالنسبة لما كانت عليه قدرة البشر الى عهد قريب . أما رحلة النبى (ص) الى الســماء فهى معجــزة لا يتطلع الى عشر معشارها أوسع الخيالات العلمية جموحا . والعلم الحديث لم يقــدم الى الآن أى طريقة لتخيل صــعود النبى (ص) الى السماء .

ان تفكير المســلم ليهــدف من ضمن ما يهـــدف اليه فى عمليات التداعى الى معرفة : هل التشابه بين الاسراء والمعراج وبين صعود سفن الفضاء تشابه ظاهـــرى أم حقيقى بامكان تصور الأمرين على الســـواء ؟؟

ويغرينا بالقول أنه تشابه حقيقى انسياقنا الى تصيد ما يبدو أنه يؤيد وجهات نظرنا من أحـــداث العلم الجديدة . فلما جاءت محـــاولات غزو الفضاء ، تلقفناها لنستدل بها على صدق واقعة الاسراء والمعراج، وهو استدلال فى غير مطلبه ، لان واقعة الاسراء والمعــراج لم تكن لتنتظر قرابة الالف والخمسائة عام لوقوع ما يصدقها . فالواقعة ثابتة بطرق لا يرقى اليها الشك ، ولاتبعد عن المناهج المعتمـــدة حـــديثا للاستدلال .

كما يدفعنا من جهة أخرى القول بأن التشابه بين الاسراء والمعراج تشابه ظاهرى حقائق علمية لا يمكن اغفالها . وتجدر الاشارة هنا — دون التفصيل — الى أن الاسراء يمكن تخليه فى ضوء الحقائق العلمية المتاحة . أما المعراج فالأمر جــد مختلف .

لما جاء الاسلام أطلق تصـــور الناس عن الزمان والمكان من قيوده الى أوسع مدى يمكن أن يبلغه العقل البشرى بل الخيال البشرى فى ذلك العصر ، وفى عصـــور تالية حتى عصرنا عصر الصواريخ والاقمــار الصناعية ، وقدم الاسلام التمهيد الضرورى للتصور الحديث للزمان والمكان . ولقد كان فرعون يطلب صرحا يبلغ به أسباب السماء ليطلع الي اله موسي مما يدل علي مدي

اتساع التصــور البشرى فى ذلك الوقت لاتساع الكون •

وقال القرآن الكريم فى اتساع المكان : **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)** ، وقال القرآن الكريم فى اتساع الزمان : **(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** وقال فى اتساعهما معا : **(تعــرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقــداره خمسين ألف سنة)** ولعل المبعدين للقرآن عن العلم كانوا يريدون أن يقول الله سبحانه : خمســين ألف سنة نورية ليعترفوا بوجود علاقة متبادلة بين القرآن والعلم •

لقد وضع الاسلام البشر فى أول الطريق لتقريب اتســـاع الزمان والمكان الى تصورهم وأوصل العقل البشرى الى المرحلة الســـــابقة مباشرة، والممهدة التمهيد الضرورى للمراحل الحالية والتالية فى تصوره للزمان والمكان ، وجاء الفلك الحديث فوجد العقل البشرى قد خطى أولى الخطوات فخطأ به خطوات أخرى واســــعات •

وان اتساع الكـــون الذى كان الاسلام أول من وجه النظر اليــه أصبح الآن فوق التصور وفـــوق التخيل ، بحيث أن تسمية رحــلات الفضاء أمر أبعد ما يكون عن الدقة العلمية •

وبغير لجــوء الى الأرقام التى تصف اتساع الكون ، والتى تصيب بالدوار أعتى عقول جبابرة الفلك ، يمكننا أن نقول : ان رحـــــلات الانسان فى الفضاء لن تبلـــغ فى المدى القصير ولا فى المدى الطويل ــ بحســب ما أتيح الى الآن من الحقائق العلمية ــ الا قدرا ضئيلا جدا من أبعاد الكون ، ولن تبلـغ رحلاته المقبلة ــ تبعا لأوســـع الخيــــالات العلمية جموحا ــ الا قدرا لا يذكر من المســـافات التى وصلت الرياضـــة الفلكية الى حســابها •

ان غزاة الفضاء الشـــــجعان والمخططين لهم ليس عندهم مــن الحقائق العلمية الى الآن ما يمــد أملهم الى ارتياد أجرام أبعد مــن الشمس وبناتها (الكـــــواكب) وأحفادها (الاقمار) • أما باقى النجوم وشمسنا واحدة منها وهى أقربها الينا فهى من البعد عنـــا

بحيث أن الصواريخ (حتى بسرعة ٢٠٠٠٠ ميل فى الساعة) تعتبر وسيلة بدائية جداً وغير عملية على الاطلاق لارتياد أفلاكها واذا كان التمثيل يقرب المعنى فان المشى بسرعة السلحفاة وسيلة متقدمة جدا للدوران حول الأرض اذا قيست بوسيلة الصواريخ لغزاة الفضاء حتى اذا سارت — ولن تسير — بسرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية) .

ان أقرب الاجرام السماوية الى الأرض هى أفراد أسرة الشمس وأقرب أجرامها هو القمر والوصول اليه يستغرق ١٢ ساعة تقريبا اذا سار الصاروخ فى خط مستقيم وبسرعة منتظمة ، والصواريخ لا تصعد فى الفضاء ، ولا فى خط مستقيم ولا بسرعة منتظمة . ويلى القمر فى البعد عن الأرض الزهرة أثناء توسطها بين الأرض والشمس ، وبعدها عن الأرض يبلغ ٢٦ مليون ميل يقطعها الصاروخ فى خط مستقيم وبسرعة منتظمة فى ٥٤ يوما تصل فى الواقع العملى الى ما يزيد عن الأربعة أشهر ، وأبعد اخوة الارض عنا الكوكب بلوتو الذى يصل اليه الصاروخ بالشرطين السابقين (٢٠٠٠٠ ميل فى خط مستقيم) فى احدى وعشرين سنة وربع سنة ، ويصل اليه ضوء الارض المنعكس عنها من الشمس أو يصل الى الأرض ضوؤه المنعكس عنه من الشمس فى خمس ساعات ونصف ساعة تقريبا .

وقد ضرب لنا العلامة الدكتور أحمد زكى مثلا لأبعاد أسرة الشمس فيما بينها ، فقال : (اذا كانت الشمس قرصا قطره أزيد من ثلاثة أرباع المتر ، فان عطارد يكون عدسة على بعد ٣٦ مترا من هذا القرص ، وتكون الزهرة حبة فول على بعد ٦٧ مترا ، وتكون الارض حبة فول أكبر قليلا من الزهرة على بعد ٩٣ مترا ، ويكون المريخ كسمسمة تبعد عن القرص ١٤٢ مترا حتى نصل الى بلوتو حيث نجده حبة فول على بعد ٣٦٧٠ مترا) .

وبالرغم من هذه الأبعاد الشاسعة ، فان أفراد أسرة

الشمس تبدو متلاصقة بمقـــارنة أبعادها فيما بينها بأبعاد النجـوم بعضها عن بعض وعن المجمـــوعة الشمسية ، ولعل تلاصق أفـــراد المجموعة الشمسية هو نتيجـــــة لشعورها بالوحدة القاسية بيـــن مجموعات النجوم ، فان أقــــرب مؤنس لهذه الأسرة المنعزلة من غير أفرادها هو (ألف قنطورس) وهو شمس كشمسنا وهو أحد أفـــراد نجوم كوكبة قنطورس التى ترى فى الســــماء من القاهرة جنـوبا فى منتصف أشهر الصيف • وبعـد هذا النجم عن الشمس أربع سنين ضوئية وثلث سنة تقريبا ، ويقول الدكتـــور أحمد ذكى : (اذا كانت الشمس نقطة حبر على هذه الورقة فان ألف قنطورس نقطة أخرى تقع منه على بعد أربعة أميال) •

ان حساب زمن الوصول الى (ألف قنطورس) من أى فرد من أفراد أسرة الشمس بسرعة الصـواريخ لهو أمر بالغ السخف • ولو فكرنا فى حساب وصول الســـلحفاة الى القمر لكان حسابنا هذا أقل سخفا من التفكير فى زمن وصول الصاروخ الى ألف قنطورس لانه سيصل اليه فى مائة واثنين وأربعين ألف سنة •

ونظرا للاتســـاع الهـائل للكون الذى لم يمكن تحديده الى الآن ، فان المسافات بين اجرامه لا تحسب بالأميال ولا بملايينها لاســـتحالة ذلك عمليا ، ويستعاض عن ملايين الاميال بالزمن الذى يقطعه أسرع شىء عرف الى الآن وهو الضـوء (١٨٦٠٠٠ ميل أو ٣٠٠٠٠٠ ك • م فى الثانية) ولذلك فان ألــــف قنطورس اذا انطفأ فجأة لاستمر آخر شعاع صدر منه مدة أربـع سنين وثلث سنة لينعى الينا هــذا الجار القريب مما يجعلنا نهز أكتافنا قائلين : يرحمه الله ، ولو أننا كنا لا نستمتع برؤيته الا فى أمســيات قليل من أشهر الصيف فى القاهــرة فوق الافق الجنوبى •

ومن النجوم ما يصل الينا ضوؤه فى عشرات السنين ، ومنها ما يصل فى مئاتها ، ومنها ما يصل فى آلافها ومنه ما يصل فى ملايينها ، ولا أزيد حرصا على اتزان القارىء •

ان السفن التى دارت حول زحل وحتى التى اتخذت مدارا حـــول

الشمس لم تقطع من مســـافات الكون الا نسبة مماثلة لما يقطعــه المتحرك بمقدار سنتيمتر واحد فى طريقه من الأرض الى الشمس •

ان غزو الفضاء وراء المجموعــة الشمسية المتلاصقة يتحقـــق فى ظروف خاصة مستحيلة عمليا مثل أن يصعد فى الفضاء جماعات كبيرة من العلماء ، وفى سفن كبيرة تسمح بتزاوجهم ، وتسلسل الاجيـــال فيهم ، ويكون مـــن نصيب الجيـــل المكمل للالف بعد جيل بدء الرحلة الوصول الى كوكب من كواكب (ألف قنطورس) ان كان له كواكب لأنه ملتهب والقرب منه فوق حد محدود يكفى لاحتراق أى مادة نعرفها على الأرض وتحويلها الى بخار • وقــد يتيسر هذا المشروع لو أخـــذنا الارض نفسها كسفينة فضاء •

ومن أحلام الروائييـــن ــ لا العلماء ــ أن يرســـل الانسان أو غيره كطرد لاسلكى من كوكب حول احدى الشموس الى كوكب لشمس أخرى بأن يوضع فى جهاز ارسال لاســـلكى ليفتته الى بروتونات والكترونات بل الى جســـيمات منهما ، ثم يستقبله جهاز يجمع هذه الجسيمات مرة ثانية على الهيئــة التى وضع بها فى جهاز الارســـال وياويل هذا الطرد اذا لم تنضبط له المحطتان • ان تفرقه اذن لـــن ينتهى الى اجتماع •

واذا نجح البشر فى صـــــنع الجهازين ، واذا نجحوا فى وضـــع جهاز الاستقبال فى محط الوصول بطريقة السفر الجماعى بعد آلاف الأجيال ، فان الموجات المرسلة من جهاز الارسال قـــد تحتاج بسرعة الضوء الى ملايين السنين للوصول بالطرد الى محط الاستقبال ، وهنا يستيقظ الحالم مذعورا ليقـــول (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**) •

هذا والاسراء والمعراج رحلتان متمايزتان ، لم يتح لنا التمييـــز الدقيــــق بينهما الا فى العصر الحديث ، وبفضل العلم الحـديث الذى حقق للبشرية كثـــيرا من المعجزات ، فرحلة الاسراء رحلـــة أرضـــية جوية وبتعبير (حربى) رحـــلة من الأرض للأرض • أما رحلة المعراج فرحلة ســـماوية

بكل معنى لكلمة سماوية •

واذا كانت سرعة الصواريخ قد قربت لنا تخيل كيف سارت رحلة الاسراء من مكة الى بيت المقدس فان سرعات هذه الصواريخ وحتى سرعة الضوء لن تساعد أبدا على تخيل رحلة المعراج •

ويبقى على المسلمين المتكلمين فى علمية القرآن بمنهج وبغير منهج ألا يحملوا الاسراء والمعراج عبء الاستفادة من العلم الحديث الا بالقدر الذى أشرت اليه من رحلة الاسراء •

واذا تداعت معانى السفر بين الأجرام السماوية حين يذكر الاسراء والمعراج ، أو تداعت معانى الاسراء والمعراج حين يذكر السفر بين الأجرام السماوية ، تداعيا آليا أو بتوجيه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فان أقوى أنواع هذا التداعى وأكثرها الحاحا على ذهن المسلم لهو وجود مهبط الاسراء ومصعد المعراج فى غير الوضع الذى يرضاه الله ويرضاه المسلمون •

ان ما أصاب المسلمين باحتلال الصهيونيين لبيت المقدس لهو من الفداحة بحيث نجد أنفسنا منساقين من التمزق الى وصفه بالتأقيت ، والى قياس هذا الاحتلال على احتلال الصليبيين له فى القرن السادس والسابع الهجريين ذلك الاحتلال الذى انزاح حين توحد العرب • وذلك الوصف وهذا القياس لا يرجعان عندنا الى خدر غيبى بل هما نابعان من تصميم على تصحيح هذا الوضع بجد لا يعرف الهزل ، وعمل لا يعتريه الملل بالعلم والأخلاق •

واذا كانت مؤتمرات القمة وغيرها من المؤتمرات الاسلامية تتمخض عن مواقف متخاذلة فرضتها عوامل لا حصر لها ، فان هذه المواقف قد وضعت المسلمين بوضوح أمام عوامل تفرقهم وتخلفهم ، ودلت على نقط الضعف التى يجب أن يلتمس لها العلاج ، فضلا عن أنها بينت للذين يعلقون على التجمع الاسلامى آمالا عراضا أنهم مطالبون بالارتفاع الى مستوى العصر ودقة التحديات

وخفائها •

وان التعلل بأن اللــه لا يرضى لبيت المقدس أن يظل الى الأبد فى أيدى الصهيونيين وتحميل آيـات الاسراء ما لا تحتمل من الاتكاليـة الخرقاء ، لهو صيغة أخرى لقول قوم موسى : **(اذهب أنت وربـك فقاتلا انا هاهنا قاعدون)** انه لـن يظهر أبدا أمام العالم المتمدن مـن غير المسلمين ما اذا كان ربنا راضيا عن ذلك الاحتلال أو غير راض الا اذا غيرنا بأيدينا وعقولنا وأخلاقنا وعلمنا هذا الوضع لتصدق كلمـة الله : **(وان عدتم عدنا)** •

وان حتمية أن يغلب مائة مليون عربى المليونين من الصهيونيين فى معركة الحياة يجب ألا نرجعها الى كونهم مائة مليون فى العدد ، فـان فى ذلك مدا آليا فى حبال الاستعداد وتمهيـدا ذهنيـا للتكاسل ، ولكن يجب أن يكون لكونهم مائة مليون يعملون كل امكاناتهم المتاحة بكفاءة الرجال ، ويحصلون من الامكانات الأخرى بوعى بالزمن ، وبأبعـاد المعركة ، وبسرعة العصر ومتغيراته وموازين قواه •

لقد كان تضييق تصور وسائل النصر ، وحصرها فى الاسـتعداد العسكرى ، والكثرة العددية هـو سـمة الاسـتعداد السـابق على (٥ يونية ١٩٦٧) •

ان من الدروس المستفادة بعـد ذلك ألا نقصر استعدادنا عـلى اثنين الناحيتين فحسب ، بل لابد من أن ننجح فى معركة السلم كمـا نجحنا فى حرب رمضان سنة ١٣٩٣ بالعلم والخلق والنظام وبذل الجهد فى الانتاج ومحاربة الانحـلال والتخلف والثقة فى القادة ممـا تقع مسئوليته فى المقام الأول على الشعب نفسه •

بقيت فى هذه الدراسة كلمة • ان ذكر الاسراء فى مطلع الآيات التى تحكى أكبر مرتين أفسد فيهمـا اليهود فى العالم ليشبه أن يكـون اشارة الى أن احتلال القـدس سيكون أشد مظاهر الافسـاد ، وأقوى دواعى عود الله عليهم بما يستحقون • ولا أعنى بهذا الا أن يكون ذلك بأيدينا وأخلاقنا وعلمنا فى حرب حضارية لا عسكرية •

محمد أحمد بدوى

بحوث عالمية

جائزة الملك فيصل العالمية
ودور فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فيها

للأستاذ / موسى محمد على

الحديث عن جائزة الملك فيصل العالمية والدور الذى أداه فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر يتطلب الاشارة الى هذه الجائزة، ودورها وأهميتها.

والذى يمعن النظر فى نظام هيئة الجائزة، يدرك لأول وهلة اهتمام رجالها البالغ وشعورهم الكريم نحو فضيلته، كما يتضح من خلال تقديرهم العميق له، وحفاوتهم الكريمة به ففضيلته العضو الاساسى فى هيئة الجائزة لان فضيلة شيخ الاسلام والامام الروحى لملايين المسلمين العديدة

وهو شيخ الأزهر ذلك المعهد العتيد الذى يتبوأ المكانة الاعلى فى العالم كلــه •

والاشارة التى نخص بها هيئة جائزة الملك فيصل العالمية ، أن هذه الجائزة :

منذ فجر شــبابه حتى ســـاعة استشهاده ، ومتابعة لسيرته الطيبة فى اعــلاء كلمة الحق ، والذود عن حمى الدين ، والدفاع عن قضــايا الاســلام والمســلمين فى جميــع أقطارهم وأمصارهم ، والمطالبــة

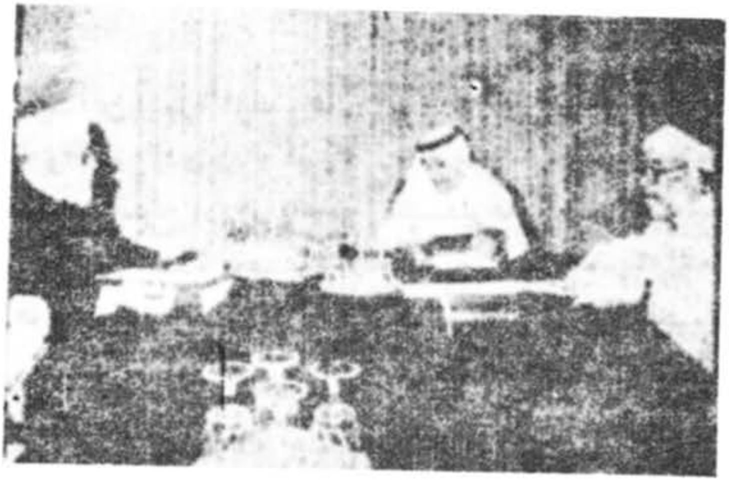

لها أهداف ، ولها فروع هنا :

أما أهداف هيئة الجائزة :

لماذا قامت الجائزة ؟

تأصــيلا للمبادىء والقيم التى ناضل فى سبيلها الراحل المغفور له، الملك فيصـــل بن عبــد العــزيز آل سعود رحمه الله تعالى ، وتأسيا بكفاحه الدائب ، وعمله المتواصل ،

بحقوقهم والسعى لرفع شــأنهم ، وتحقيق الألفة والتضــامن فيمــا بينهم ، وجمعهم على ما فيه نفعهم وسعادتهم •

أهــداف الجائزة :

فقد قامت مؤسسة الملك فيصل الخيرية برصد هذه الجائزة تحقيقا للأهداف الآتية :

١ ــ العمل على خدمة الاسلام

والمسلمين فى المجالات الفكرية والعلمية والعملية .

٢ — تحقيق النفع العام للمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة للمشاركة فيها .

٣ — الاسهام بالجهد والمال فى تقدم البشرية ، واثراء الفكر الانسانى .

٤ — تأصيل المثل الكريمة ، والقيم الاسلامية النبيلة فى الحياة الاجتماعية وابرازها للعالم .

وأما فروع الجائزة ، فتتكون من :

١ — جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام .

ولها لجنة الاختيار تشكل من أكبر الشخصيات الاسلامية ، على النحو التالى :

*** صاحب الفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر .**

*** صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل . رئيس مجلس أمناء مؤسسة فيصل الخيرية .**

*** صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز رئيس اللجنة العليا للدعوة الاسلامية .**

*** صاحب الفضيلة أمين عام المؤتمر الاسلامى .**

*** صاحب الفضيلة أمين عام رابطة العالم الاسلامى .**

وذلك لاستعراض أسماء المرشحين ، ودراسة أعمالهم واختيار الفائز من بينهم .

ويعد مؤهلا لتسلم جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام ، كل من قام بخدمة للاسلام والمسلمين ، وبجهد بارز يتعدى ما هو عادى ، وواجب وينتج عنه فائدة ملحوظة للمسلمين .

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المنظمات والاتحادات الاسلامية فى جميع أنحاء العالم .

٢ — جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية .

ولجنة الاختيار فيها تشكل من مندوب عن كل من المؤسسات والهيئات الاسلامية ، للنظر فى الترشيحات ودراسة أعمال المرشحين واختيار الفائز من بينهم ، على أن تشمل المجالات التى تمنح

فيها هـذه الجائزة جميع العلوم الاسلامية ، ويعد مؤهلا لتسلم هذه الجائزة كل من قام بدراسه او بحث ينتج عنه نفع عام واضح للمسلمين ، وذلك وفقا لتقدير هيئه الاختيار وحدها •

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العالمية كالجامعات، ومراكز البحوث والمجامع اللغوية ونحوها •

٣ — جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى •

ولجنة الاختيار فيها تشكل من تسعة أشخاص ، بشرط أن يكونوا مؤهلين تأهيلا عاليا ولهم نشاط بارز فى مجال اللغة العربية وآدابها والأبحاث المتعلقة بها ، وذلك للنظر فى الترشيحات ودراسة أعمال المرشحين واختيار الفائز من بينهم •

على أن تشمل المجالات التى تمنح فيها هذه الجائزة جميع فروع الأدب العربى ، ويعد مؤهلا لتسلم هذه الجائزة كل من قام بعمل مبدع وأصيل فى المجال الذى يتقرر فيه منح الجائزة ، وينتج عن عمله هذا خدمة واضحة ، واثراء للغة العربية ، وادابها بصفتها لغة القرآن الكريم •

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العلمية العالمية كالجامعات ، ومراكز البحوث والمجامع اللغوية ونحوها •

وقد تفضل فضيلة الامام الاكبر ، فاستجاب اثر مجيء الدعوة اليه ، انصافا للعلم ، وتقديرا لجهد أهل الفضل ، وتم بعون الله وتوفيقه السفر الى مدينة الرياض ، وقد أسعدنا حقا ما قوبلنا من حسن استقبال يليق بمقام فضيلة الامام الأكبر ، واستقر بنا المقام فى أهدأ مكان ، على حسن استعداد وأكمل نظام •

واستهلت هيئة الجائزة عملها بجلسة الافتتاح برئاسة فضيلة الامام ، وتوالت الجلسات على نظام جلستين فى اليوم تبدأ احداهما فى تمام الساعة التاسعة صباحا وتنتهى فى الساعة الثانية ظهرا ، ثم تبدأ الثانية فى تمام

الساعة السادسة مســاء ، على أن تنتهى فى تمام الســاعة الثــامنة والنصف ليلا •

وقد استمرت هذه الاجتماعات لمدة ثلاثة أيام ، حتى انتهت بصدور قرارات الفوز بالجائزة •

وقد قامت هيئة الجائزة بتنظيم حفل تكريم لفضيلة الامام الأكبر ولمن معه من بقية الأعضاء ، وهذا الحفل كان على أحســن صــورة وأعظم تكريم •

موقفان جليلان :

وفى نهاية الحفل حدث موقفان فى غاية العظمة والطرافة : الموقف الأول موقف رئيس هيئة الجائزة فقد تقدم سموه الى فضيلة الامام الأكبر بخطاب شكر دقيق اللفظ ، جم المعنى ومرفق به شيك يحمــل مبلغا غير عادى كمكافأة لفضيلته ، تقديرا له على ما بذله من جهــد ، وهذا شىء من تقاليد هذه الجائزة•

الموقفالثانى : موقف فضــيلة الامام الأكبر ، فما أن قدم لفضيلته هذا الشيك حتى تناول قلمه وخط على ظهر الشيك : « يعاد الى هيئة الجــائزة تبرعــا منى ، تقــديرا لشــعورها ، ومســاهمة فى أداء واجبها ونشر رســـالتها ، وما أن سلم الشيك الى هيئة الجائزة حتى رأينا على وجــوه الجميع ملامح الشكر والثناء والتقدير •

فشــكر الله لفضــيلة الامــام الأكبر صنيعه ، وجــزاه الله عن مروءته خير ما يجزى المحسنين من عباده • كما جزى الله هيئة الجائزة على تقديرها للرجال كل خير •

وقد كانت مناســبة طيبــة اذ استقبل فضــيلة الامــام الأكبر فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ، ومعه بعض علمــاء الرياض ، الى فضيلة الامام الأكبر بمقر اقامته ، أتوا اليــه ليرحبــوا بفضــيلته ، ويتدارســوا معه مادعت حــاجة الدعــوة الاســـلامية اليــه ، والحمد لله ، فقد كان اللقاء طيبــا للغــاية •

كما كانت فرصة طيبة أبدى فيها المسئولون عن الجائزة والعلماء فى

السعودية تقديرهم البالغ لفضيلة الامام الأكبر فالتفوا حوله ورافقوه حتى أقلعت الطـائرة الى مدينـة جدة ، وعلى نفس المسـتوى كان الانتظار والابتهاج بقدوم فضيلته الى مطار جدة ، حتى انتهى بنـا المقام بأحد الفنادق الفاخرة ، ولم يمض بنـا الا وقت الراحـة حتى استقلنا ركب الانتظار وتوجهنا فى رفقة الامام الأكبر الى بيت اللـه الحرام فى موكب مهيب ، وأدينـا العمرة على أكمل وجه ، من طواف حول الكعبـة المشرفة ، فى تدبـر وخشوع ، وتضرع وابتهال بالدعاء لفاطر الأرض والسـماء ، ولمس للحجر الأسعد ، وارتشاف من ماء زمزم الذى هو شفاء لما شرب له ، وركوع وسـجود بمقام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسـلام ، وسعى بين الصفا والمروة تطبيقـا لشعائر الله سبحانه .

ثم رجعنا الى مقام الاقامة بجدة حتى أصبح الصباح .

ورتبت الأمور لفضـيلته ، وتم السفر بالطائرة الى المدينة المنورة، على ساكنها أفضـل الصـلاة والسلام ، وخصص لفضيلة الامام الأكبر ونحن برفقته ، مكان خاص بالروضة الشريفة ، لأداء فريضـة الجمعة والحمد لله رب العالمين .

وما أن انتهت صلاة الجمعة فى الحرم النبوى الا وقد هيىء المكان الهادىء الجميل لفضيلة الامـام للاقامة بالمدينة المنورة لمدة أربعـة أيام ، ويعجز الواصف أن يقول فى وصف هذه الأيام شيئا .

من متعة الجوار بسـيد الخلق ساعات وساعات ، بل يوم وأيام ، وجمع كبيرمن أبناء الامام وتلاميذه من علمـاء الأزهر الذين يقيمون بالمدينة أتوا اليه أفواجا وأفواجا .

وقد قام فضـيلة الامام الأكبر بزيارة للجامعة الاسـلامية بدعوة رسمية ، تغمرها بسـمة حقيقيـة وأخوة علمية صادقة ، فقد استقبل الامام بالجامعة اسـتقبال حفاوة وتكريم من مديرها ونائب رئيسها ، ووكيلها وأساتذتها والحمد لله .

كما التقى فضيلته بسـمو أمير

المدينة المنورة الأمير عبد المحسن ابن عبد العــزيز ، بــدار الامارة بالمدينة وقــد اســتقبل فضــيلته اســتقبالا حارا مليئا بمشـــاعر التقدير والمودة الصادقة الصافية ، وتبادلا الحوار عن حال الاســلام وشأن المسلمين ، واختتما الحديث بالتضرع الى الله العلى القــدير ، أن يحفظ الأمة الاســـلامية وأن يرزقها الأمن والسلام والاطمئنان.

وبعد هذا التطواف الموفق الذى قــام به فضــيلة الامام الأكبر ، رجعنا الى أرض الوطن بقلــوب خاشعة لله سبحانه ، وأكف ضارعة اليه تعالى ، أن يجمع شمل هــذه الأمة ، خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، وأن يوحد كلمتها ، وأن يعيدها الى حسن ســيرتها ، وأن يوفق قادتها وحكامها وروادها، لما فيه عزها وسعادتها :

« واعتصموا بحبل الله جميعــا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة اللــه عليكم اذ كنتم أعــداء فألف بــين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخــوانا وكنتم على شــفا حفرة من النــار فأنقذكم منها » .

« ومن يعتصم بالله فقد هــدى الى صراط مستقيم » ..

موسى محمد على

القدس

رؤى من هناك

للأستاذ / حامد الجوجري

عـــاودتني من رؤاك الخـــــالدات
يا ابنـــة الفردوس أغلى الذكريـــات
عشـــت فيهـــا بين أفراحي ودمعـــي
بين مـــــاض من حكـــــاياك وآت
في رحـــاب القـــدس يسري خاطري
وخيـــــالي هائمــــا في ســـبحاتي
ليلـــة الاســــــراء والنـــــور على
جبهـــة الأفـــق ســنى اللمحــــات
ورســـــــول اللــــــه في موكبـــــه
دفقة الضـــوء على درب الحيـــــاة
أمـــل الدنيـــــا لواديـــك ســـــري
خفقـــــة تحيي قلـــوب الكائنـــــات
فتســـــاميت ســــــماء وثـــــرى
وتبـــاهيت بقـــــدس الخطـــوات
ذاك من أيـــــامك الغـــــــر التـــي
غمرت بالخـــير أعطـــاف الحيـــــاة

***

يا رحـــابا طــاف قلبــى حولهــا
مهجــة ظمــآى لعــذب القطــرات
خطـــر الفــاروق فيهــا فاتحـــا
عـــادلا عز مثيــلا فى الغـــزاة
لم يـــزده النصـــر الا رحمـــة
ذاك نصر الحــــق لا نصر البغـــاة
أمن الخـــائف من ســـطو العدا
وحمى المقهــور من بطش العتـــاة
تعجب الدنيــا لســـاق خصـــمه
من معين العــدل أحلى الرشـــفات

***

يا صـــلاح الــدين مــازالت على
أفقى أصـــداء تلك البشـــريات
المنـــارات التـــى عطرتهـــــا
بأذان النصــر عــذب النغمـــات
لم يزل يســـكر روحى شـــدوها
وطيــوف من رؤاها الســـاحرات
ظـــل رايـــاتك مـــازال عــلى
هــامتى تاجــا عزيز اللمحـــات
صــوت أســـيافك مــازال على
مســمعى دعوة حــق وحيـــاة

***

قبلتــى الأولى ومســرى المصطفى
وثــرى عيسى وأولــى صـــلواتى

لا تراعــى من ظــــلام حـل فى
ســـاحك الحر ثقيـل الظلمـــات
ان يكن أغفــى الرعـــاة موهنــا
فتهـــادتك ذئـــاب الفلـــوات
فغـدا تختـــال رايـــاتى عـلى
أفقك الحـر وتحيـــا أمنيـــاتى
فى غـد يغمـر فجــرى بألســـنا
ليـلك المـوثق بـين الظلمـــات
قســــما بالمجـد يدعـــونى عـلى
كتف الـــوادى وخلف الربـــوات
قســـما بالنــور فى عينيــك يـــا
فتنـــة الخلـد وأم الصــــبوات
لنعـــودن ســـلاما وهـــــدى
لنعـــودن حيـــاة للحيـــاة
رايــة الســـلم التــى أحملهـــا
هى أقــوى من دقــاق مرهفـــات
نركب الســلم فــان ضـل بنـــا
فالى عزم وبأس وثبــات وثبـــات

**

حامد الجوجرى

صلاح الدين الأيوبي

شخصية في سطور

بقلم سعيد عبد الحي

✻ ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢هـ سنة ١١٣٧م بقلعة تكريت وكان والده واليا عليها وقد تنقل الى الموصل وبعلبك مع والده حين عين واليا عليهما .

✻ كان صلاح الدين حسن العقيدة كثير الذكر لله وكان خاشع القلب غزير الدمعة اذا سمع القرآن وكان شديد الرغبة فى سماع الحديث كثير التعظيم لشعائر الدين وكان عادلا . رءوفا رحيما . ناصرا . للضعيف على القوى .

✻ كان صلاح الدين كريما اذ أنه ملك ما ملك ومات ولم يوجد فى خزانته سوى سبعة وأربعين درهما من الفضة وجرام واحد من الذهب .. يعطى فى وقت الضيق كما يعطى فى وقت السعة .. وكان من عظماء الشجعان .. قوى النفس .. شديد البأس .. عظيم الثبات لا يهوله أمر .

✻ قدم صلاح الدين الى مصر سنة ٥٥٩ هـ مصاحبا لعمه أسد الدين شيركوه وذلك عندما وقع خلاف بين الوزير شاور والوزير ضرغام وأدى ذلك الخلاف الى أن يستعين ضرغام بالصليبيين ويستعين شاور بالسلطان نور الدين فجاء صلاح الدين مع عمه أسد الدين لنصرة الوزير شاور وذلك بأمر من السلطان نور الدين .

✻ تولى صلاح الدين الوزارة فى مصر سنة ٥٦٤ سنة هـ وذلك بعد وفاة عمه أسد الدين فعندما توفى

عمه أرسل الخليفة الفاطمى (العاضد) الى صلاح الدين ليخلع عليه خلع الوزارة وتوليه الأمر بعد عمه • وبعد ذلك سقطت الدولة الفاطمة وكذلك توفى السلطان نور الدين فى شوال سنة ٥٦٩ هـ فاستقل صلاح الدين بحكم مصر وأعلن نفسه سلطانا على البلاد •

* دخل صلاح الدين فى معارك عديدة مع الصليبيين ومنها معركة حطين التى انتصر فيها ومهدت له فتح بيت المقدس فبعد هذه الواقعة انتهز صلاح الدين فرصة ضعف العدو وتخاذله لينقض عليه فاستولى على قاعدة طبرية ، عكا ، يافا ، الناصرية ، صقورية •

* وفى رجب سنة ٥٨٣ هـ سنة ١١٨٧ م تحركت جيوش صلاح الدين الى مدينة القدس لتخليصها من يد الصليبيين •

* عندما رأى الافرنج تفوق المسلمين طلبوا الأمان والجلاء عن القدس ولكن صلاح الدين رفض وقال : لا أفعل الا كما فعلتم بأهل هذا البلد حين ملكتموه من المسلمين •

* ولكن الافرنج سعوا مرة أخرى فى طلب الأمان والجلاء فجمع صلاح الدين قومه واستشارهم فأشاروا عليه بايقاف الحرب والاتفاق مع القوم على الجلاء وتم ذلك •

* وتسلم صلاح الدين مدينة القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ (يوم الاسراء والمعراج) وكان ذلك يوما مشهودا •

* واستطاع صلاح الدين أن يوحد المسلمين تحت راية واحدة وفتح بيت المقدس •

* وقد توفى صلاح الدين فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ٤ مارس سنة ١١٩٣ م رحمه الله ونفعنا بسيرته •

سعيد عبد الحى

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

القدس فى عهد عمر بن الخطاب :

كتب الأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد مقالا تحت هذا العنوان بمجلة الدعوة القاهرية فى العدد التاسع والأربعين (١) قال فيه :

تولى عمر الخلافة وجيوش الاسلام على حدود الشام . فحمل جنوده لواء التوحيد يبشرون بالدين الاسلامى . فتحقق على أيدى أبطاله ــ خالد ابن الوليد ، أبى عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص ، يزيد بن أبى سفيان ــ فتح الشام . وتخلصت بلاد العرب بذلك من ظلم الروم . لتعود من جديد جزءا من الدولة العربية الاسلامية التى يتولى الفاروق شئونها .

تخفف أهل الشام من أثقال الحكم الغابر . ليصبحوا اخوة متحابين ، وللرهبان فى أديرتهم حرية العبادة ، وحرية الاقامة . ماداموا يلتزمون بحدود الاسلام.

خضعت الشام للعرب المسلمين ــ فنعمت فى رحابهم بالرحمة الشاملة ، والأخوة والعدل ــ الا فلسطين التى دخلها بختنصر مخربا ، كما دخلها الرومان مضطهدين أهلها . انها هى وقدسها فى شوق حارق تنتظر سنا الاسلام ونوره ليشع عليها ،

---

(١) رجب سنة ١٤٠٠ هـ .

وتتلهف الى مقـــدم جيش عمر الجرار ليفك أسرها •

وبعد فتح دمشق كتب أبو عبيدة ابن الجراح الى عمر أمير المؤمنين يستشـــيره فى التـــوجه الى فتح قيسارية أو الى بيت المقـــدس • فأمره بالمسير الى بيت المقدس • ونزل الجنـــود المســلمون بيت المقدس فى فصل الشتاء فحاصروها أربعة أشهر •• حتى شاء الله أن يفتحها عليهم فجاء عمر وصـــالح أهلها وكتب عهده لهم •

وكـــان سرور أهـــل ايليـــاء (القدس) بهذا الصـــلح عظيمـــا فأسرعوا يحيون عمر •

***

القدس والعهدة العمرية :

تحت هذا العنـــوان كتبت مجلة الوعى الاسلامى تقول : (١)

كان لمدينة القدس أسماء كثيرة فى التاريخ • أقدمهـــا (يبوس) نسبة الى (اليبوسين) بناة القدس • وهم بطن من بطـــون العـــرب الأوائل • نشـــأوا فى الجـــزيرة العربية واستوطنوا هــذه الديار

***

سنة ٣٠٠ ق‌م •

وكان اســمها عنــدما فتحهـــا المسلمون (ايلياء) أو ايليا ومعناه بيت الله •• وقد ورد هذا الاسم فى وثيقة الأمان التى أعطاها عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه لسكان المدينة ونصها :

« بسم اللـــه الرحمن الرحيم : هـــذا ما أعطى عبـــد اللـــه أمـــير المؤمنين أهـــل ايليا من الأمـــان • أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، ســقيمها وبريئها ، وســـائر ملتهـــا • أن لا تسكن كنائســـهم ولا تهـــدم ولا ينقص منهـــا ولا من خيرها ، ولا من صـــليبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ، ولا يســـكن ايليا معهم أحد من اليهود • وعلى أهل ايليا ان يعطوا كما يعطى أهل المـــدائن ، وعليهم أن يخرجـــوا الروم واللصوص • ومن خـــرج

---

(١) الوعى الاسلامى ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ

منها فانه آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية . ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض .

فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية أو من شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله . فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله ، وذمة رسوله وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص .

وقد سمى هذا الكتاب (العهدة العمرية) .

واذا تأملنا هذه العبارة « وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله والمؤمنين» وجدناها ارتباطا رائعا بالعقيدةالاسلامية ، والتزاما قويا بمضامينها وأحكامها .

وتسمية المدينة بالقدس كانت معروفة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه . وأما تسميتها ايليا فى العهدة العمرية فلا ينافى ذلك . وقد يكون فى ذكره تطييب لخاطر أهل البلد خاصة وهو اسم غير مستنكر .

***

المسلمون والجهاد المقدس

كتب الأستاذ عبد المنعم قنديل تحت هذا العنوان مقالا بجريدة الأخبار بتاريخ ٣٠/٣/١٩٨١ م قال فيه :

أما آن للمسلمين أن يرفعوا راية الجهاد ويسارعوا الى نجدة الشعب الأفغانى المسلم الجريح ..؟ انه يخوض الآن معركة شرسة ضارية ضد دولة ملحدة ، لا دين يردعها ، ولا خلق يزعها ، ولا ضمير يخزها ، ولا انسانية تحرك نوازع الرحمة ..دولة تفخر بذبح الأطفال ، وتباهى بقتل النساء ، وتعنى لمرأى المدابح ، وتبتسم لمنظر الخراب .

ونجدة المسلم حين يقع عليه العدوان أحد المبادىء الاسلامية الكبرى . ان أفغانستان كلها تطالب باعلاء كلمة الله فى أرض هبت عليها أعاصير الالحاد بما يحمل من نسف وقهر وعنف واضطهاد .. بكل ما فيه من ظلم وظلمات .

وهذه كلمة وردت فى جريدة العروة الوثقى ، فيها تذكرة للمسلمين بما يجب أن يكونوا عليه :

« ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أن يقنطوا من رحمة الله فى اعادة مجدهم مع كثرة عددهم . ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضيم . ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم .. » .

واذا كان قدر الشعب الأفغانى المسلم أنه ابتلى بهذه المحنة القاسية . فان من حقه علينا أن نضمد جراحه .

اننا الآن أمام طريقين :

اما أن نسلك سبيل المؤمنين النتر شرقا وفى جبهة الصليبيين

ونبدأ مرحلة الجهاد المقدس مع اخوة لنا .. ولا نبخل بنفس أو مال فى هذه السبيل . واما أن نتربص حتى يأتى الله بأمره .. !!

***

الصراع بين الحق والباطل ..

كتب فضيلة الشيخ محمد الغزالى مقالا تحت هذا العنوان بمجلة منار الاسلام التى تصدر فى (أبى ظبى) عدد جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ قال فيه : دخل المسلمون فى تاريخهم الطويل فى معارك شتى . ويلاحظ أن هذه المعارك كانت تسودها ظاهرة متشابهة . هى أن المسلمين كانوا يحاربون فى جبهتين باستمرار .

ففى عهد النبوة : كان القتال مع المشركين وفى الوقت نفسه مع أهل الكتاب وفى عهد الخلافة الراشدة كان القتال مع المجوس الوثنيين ، وكان مع الرومان النصارى .

وفى الحروب الصليبية اشتبك المسلمون فى جبهتين أيضا . فى جبهة

القادمين من أوربا غربا •

وفى عصرنا هذا نجد المسلمين أيضا يحاربون فى جبهتين ، جبهة الاستعمار الصليبى والصهيونى ، وجبهة الشيوعية الزاحفة التى تريد أن تطوى أعلام الدين فى كل قطر ، ومع ذلك فان المسلمين الذين توزعت جهودهم على جبهتين استطاعوا أن ينتصروا •

ويمكن أن يقال ان الأمة الاسلامية ظلت ألف سنة وهى أمة أولى فى العالم • قد تكون دول أخرى شاركتها فى هذه الآولية فى القرون الأخيرة — القرون العشرة الأخيرة — لكن تفردت بأولية نحو ستة أو سبعة قرون •

كانت الأمم الأخرى تشعر بأن المسلمين متفوقون أدبيا وعسكريا وخلقيا ، وكانت شهادة الاعداءأن الأسلحة الاسلامية أقوى وأن المشرفين عليها أذكى وأن أهداف المدافع أبعد •

ان الأمة الاسلامية كانت فعلا أمة منتصرة ، وان أعداءها لم يهدأوا خلال القرون العشرة الأولى فى التاريخ الهجرى ، لم يهدأوا يوما الا لأن المسلمين استطاعوا أن يظلوا أقوياء ، وأن يبقوا فى الطليعة • وأن تكون قافلتهم دائما سباقة تحتل المقدمة •

فاذا كان المسلمون قديما قد انتصروا فهم انتصروا بجدارة • واذا كان المسلمون الآن قد تأخروا فلأنهم يجب أن يتأخروا • فان المقدمات لابد أن تجيىء بنتائجها •

عاطف زهران

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س : مواطن سعودي يسأل : هل يجوز انتاج نموذج مجسم للكعبة المشرفة (أرفق النموذج) بقصد تداوله في العالم الاسلامي ؟

ج : بناء على سؤالكم الخاص بمشروعكم بانتاج نموذج مجسم للكعبة المشرفة على النحو الموضح بالصورة المرفقة نفيد : أن كل عمل يدعو لنشر الاسلام ويحببه الى قلوب الناس هو من باب العمل الصالح •

ولما كان هذا المشروع يجذب الأبصار والبصائر معا الى الكعبة المشرفة قبلة الاسلام ، ولما كان من شأنه أن يحبب الناس فى هذا المكان المقدس الذى يعتبر رمزا لتجمع المسلمين باتجاههم اليه خمس مرات فى صلواتهم فى اليوم والليلة ، ولما كان من شأنه أن يدخل السرور على قلوب المؤمنين الصادقين ، وأنه لا ضرر من ورائه على الاطلاق •

من أجل ذلك نرى أنه لا مانع شرعا من عمل هذا النموذج للكعبه المشرفة ونشره بين الناس •

س : ما حكم مصافحة الرجل المرأة الأجنبية ؟

ج : يحرم على الرجل مصافحة المرأة الأجنبية ، والرسول صلى الله عليه وسلم ــ وهو المعصوم ــ لم يصافح « حين بايع النساء » واحدة منهن كما جاء فى الأحاديث الصحيحة •

كما جاء النهى عن لمس المـرأة الاجنبية ..

س : أريد أن أنقـل والـدتى المتوفاة من مقبرتها ، لأن المقبرة مهددة بالسـقوط نتيجـة الميـاه الموجودة بداخلها كمـا أن المقبرة طلعت فى التنظيم ولكن أخـواتى يمانعن بحجـة أنها لو خرجت من هذه المقبرة ودخلت مقبرة أخـرى سوف يعاد حسابها .. فما الحكم ؟

ج : لا مانع من نقل والدتك من هـذه المقبـرة مادامت مهـددة بالسقوط وبداخلها مياه لأن هـذه الأشياء تعتبر ضرورة ، وحيث أن المقبرة طلعت فى التنظيم فى شارع فلكم أن تنقلوها .

أما أنها سوف يعاد حسابها اذا طلعت من هـذه المقبرة الى مقبرة أخرى فهذا شىء ليس له أساس فى الشرع .

س : حكم على طفل غـير بالغ بعقوبة الأحداث لأنه قتـل والده فهل يرث ؟

ج : القتل المـانع للارث هـو القتل الصادر من المكلف ـــ فأمـا الصادر من غير المكلف فانه لا يمنع من الميراث . وبهذا قال الأئمة .. الا أن الشافعى رضى الله عنه قال: ان القتل مانع من الميراث مطلقـا سواء كان القـاتل مكلفا أو غـير مكلف وذلك على الصحيح عنده .

والمفروض أن يتحرى عن بلوغ الطفل بالاحتلام وقت الحادث .

س : تصرف وزارة الاسـكان معونة للمساجد التى تقام بالجهود الذاتية . ويقال ان هذه المعونة من حصيلة الميسر فما الحكم ؟

ج : المتحصـــل مـن الميسر للحكومة قد اختلط بالحلال ،واذا اختلط الحلال بالحرام أصبح من باب الشبهة ، والشـبهة من باب المباح لا من باب الحرام ، اذ أن الحرام ما تيقنت حرمته .

وعليه فيجوز انفـاق ما اختلط فيه الحلال بالحـرام فى مصـالح المسلمين العامة .

س : يعمـل بعض العمـال فى شركة انشائية بالكويت ، وحينمـا

يحين وقت الصـــلاة فمراقب عام الشركة يمنعهم من الصـــــلاة فى وقتها ، معتمدا على أن هذا يعطل العمل . فما الحكم ؟

ج : الصلاة تجب على ســـبيل التراخى لا على ســـبيل الفـــور ، فاذا أمكن أداؤها فى وقت راحـــة العمل فى وسط الوقت أو قبل آخره جاز الاستمرار فى العمل مع تأخير الصلاة . وان لم يمكن أداؤها فى الراحة لاستمرار العمل حتى يدخل وقت الفريضة التـــالية وجب أداء الفريضة مع العمل .

الا اذا خيف الفصل من العمـــل الذى يتوقف عليه رزقه فيجمـــع بين الفريضتين (الظهـــر والعصر معا ، والمغرب والعشاء معـــا) فى وقت أحدهما تقديما أو تأخيرا .

والله أعلم ..

عبد الحميد شاهين

هكذا يكتب القراء

إعداد عبدالعزيز احمد جبرة

((العمل عبادة))

تحت هذا العنوان كتب القارىء أحمد خضير (شركة مضارب رشيد) يقول :

ان العمل هو القيمة الاولى والقيمة العليا فى الحياة • وأعظم مميزات الاسلام أنه دين الحياة • بكل معانيها وكل مقتضياتها •

فهو يدعو الى العمل ، ويحث على الكفاح ، ويذم التواكل والخمول والكسل •• كانت هذه الظاهرة العظيمة ــ ظاهرة الكد والكفاح والعمل والدأب المتواصل والسعى الجاد ــ هى سلوك الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام • وما بعث الله نبيا ولا رسولا الا وكان عاملا يأكل من عرقه وكده •

وقد رعى سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الغنم فى صباه• وعمل بالتجارة فى شبابه بين اليمن والشام •

وفى ذلك يقول الله سبحانه :

((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)) •

ونرى من الانبياء من عمل خياطا ، ومن عمل نجارا ، ومن عمل بالتجارة وغيرها من أعمال • جعلت الانبياء وهم صفوة الخلق يضربون المثل العليا فى الجد والكدح • ليتأسى بهم من تبعهم •

ولذا ــ ومن هذا المنطلق ــ حث الاسلام على العرق • ومدح

من يكدون فى أعمالهم « من أمسى كالا • أمسى مغفورا له » ويمدح النبى صلى الله عليه وسلم يدا خشنة من أثر العمل • فيقول :
«هذه يد يحبها الله ورسوله» •

« الله أكبر »

كتب القارىء : عبد التواب صابر محمد يقول : ـ

يهتف المسلم (الله أكبر) اذا واجهته الشدة • أو تسلط عليه جبار • فيشعر بالعزة لانه موصول بالله • فتهون الشدة ولا يبالى بقوة بشرية متسلطة لانه على يقين كامل بما ينطق (الله أكبر) هو شعار العزة بالله • وشعار المساواة ، وشعار الحرية التى لا تخشى الا الله • كما أنها شعار لتهذيب النفوس ، وحفظها من الغرور •

والصلاة هى رأس العبادات فى الاسلام • ينادى بها المؤذن خمس مرات كل يوم • ويردد بين ثنايا ندائه هذا الشعار • فيدوى صوته فى كل مكان • ويستجيب له المؤمنون • ويسرعون الى الصلاة التى تبدأ بالتكبير • وفى خلالها وبين أركانها وسننها لا يفتأ المؤمن يذكر (الله أكبر) فتعمر أوقات المسلمين ليلا ونهارا بذكر الله وتكبيره • وتمجيده وتعظيمه • فيزداد المؤمن ايمانا بالكبير المتعال •

ثم يزداد بالصلاة اتصالا بالقوى العزيز • ولا ينفرد المؤذن بالتكبير بل ان المسلمين جميعا اذا سمعوا المؤذن ينادى يرددون النداء والتكبير معه • استجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » •

واذا أردنا أن نشعر دائما بقوة نستمدها من الله • فلنكثر من تكبيره سبحانه • قال تعالى :

« وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك • ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا »

« من خصائص الاسلام »

كتب القارىء : محمــد محمــود منصور (الوحدة المحلية بميت بره) يقول :

جاء الاسلام للناس عامة ٠لانه اعتبر الناس جميعا وحدة واحدة تؤلف بينهم طبيعة واحدة ٠ ويوحد بينهم مصير واحد ٠

فنشــأة الانســان من طين ٠ والمنتهى المحتوم هو الموت ٠ ومن هنا كان الدين هــدى وموعظــة للمتقين ٠ وهو أيضــا بدســتوره السماوى بيان للناس « **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** »٠

وتلك هى صــــفة العالميــة فى الاسلام التى جــاءت لتخــاطب الناس جميعا دون نظر الى أمة أو لون أو قوم أو جنس ٠

ومن هنــا كانت آيات القــرآن الكريم تخــاطب البشرية عامة ٠ وتدعوها الى التعرف على الخالق ســبحانه ٠ من خــلال التفكر فى مخلوقاته عز وجل ٠ موضــحة لهم أن التميز اذا قام فانما يقوم على التقوى والعمــل الصالح ٠ قال تعالى : « **يا أيهــا الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقــاكم ٠ ان الله عليم خبير** » ٠

وأرسى الرســول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك القاعدة فقال : « **لا فضــل لعربى على أعجمى** ٠ ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى» فالتقوى هى أساس التفاضــل ٠ ولا شىء غير التقوى ٠

لقــد جعل الاســلام من بلال عظيما من عظماء الاسلام ٠ كمــا جعل من سلمان الفارس من أكرم الفتيان ٠ وسيدا مكرما يتمنى كل مسلم منزلته لمــا أولاه النبى من حب واجلال ٠ يوم رفعه الى مرتبة النســب الشريف « سلمان منا آل البيت » ٠

عبد العزيز أحمد

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

القاهـرة ..

ـــ تقرر انشـاء معهد عال للدراسـات الصـوفية لتخريج مبعوثين صـوفيين على درجة كبيرة من العلم والالمام بالاداب الصوفية لتوضيح المسار الصحيح الذى يسـير عليه كل مسـلم فى طريق الحق والهدى .

ـــ قرر عبد اللطيف لقمـة أحـد الذين اشتروا محـلات « جروبى » منع تقديم الخمور أو بيعها ، ومنع تقديم لحم الخنزير فى محلات جروبى أو فروعها .

ـــ صرح فضـيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر بأن تجربة الزام طالبات الجامعـة الأزهـرية بارتداء الـزى المحتشم الذى يتناسب مع تعاليم الدين الاسـلامى قد نجحت . وقال ان نسبة الالتزام بين الطالبات تعدت ٩٠ ٪ .

ـــ نظرا للنشاط المتزايد والنجاح الكبير الذى احرزه بنك مصر فرع الحسين للمعاملات الاسـلامية قرر البنك فتح خمسـة فروع بالاسـكندرية والزقازيق والمحلة الكبرى ودمنهور والمنيا وهذا يدل على نجاح المعاملات الاسلامية .

السـعودية ••

ـــ تستعد وكالة وزارة الحج والأوقاف لاقامة المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وذلك خلال شـهر جمادى الثانية فى قاعة التضامن الاسلامى بمكة المكرمة •

ـــ اعلنت منظمة الطيران الاسلامى بجـده أن شركات الطيران العربية والاسلامية قد وافقت على الاقتراح الذى ينص على تخفيض أجور السفر للشباب المسلم بمعدل ٥٠ ٪ للتنقل بين الدول العربية والاسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجرى •

السـودان ••

ـــ عقـد فى الخرطوم خـلال أبريل المؤتمر العالمى للدعـوة الاسـلامية بهدف التوصل الى فكر اسلامى مشترك ومتطور لمواجهة التحديات المعاصرة ووضع الأسس الصـحيحة لاستراتيجية موحدة للدعوة الاسـلامية •

سلطنة عمان ••

ـــ يزور سلطنة عمان وفد من المركز الاسـلامى فى منطقة توليدو بولاية اوهايو الامريكية •• وسـوف يبحث الوفد تعاون الدول الاسلامية مع المركز الاسلامى فى توليدو •

أبو ظبى ••

ـــ يفتتح فى أواخر ابريل ١٩٨١ م المعرض الدولى الأول للكتاب الاسلامى الذى تقيمه دولة الامارات العربية المتحدة •

المغـرب ••

ـــ تم فى الرباط افتتاح معرض للخرائط الاسـلامية الذى

تنظمه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ويحتوى المعرض على جملة من الخرائط التاريخية للعالم ولبعض المناطق كما رسمها مؤرخون مسلمون مثل البيرونى والادريسى .

— من المقرر ان تعقد خلال شهر ابريل بمدينة الرباط بالمملكة المغربية ندوة للتشريع الاسلامى تنظمها المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى ، وستتضمن الندوة بحوثا حول التدابير الوقائية فى التشريع الاسلامى وأساليب تطبيقها .

الكويت ..

— طالب المجتمعون فى المؤتمر الأول للطب الاسلامى بالكويت باقامة جامعة طب اسلامية تعنى بتدريس العلوم الطبية الاسلامية للاستفادة من الخبرات الاسلامية فى البلاد الاسلامية .

الولايات المتحدة الامريكية ..

— عقد المركز الاسلامى بواشنطن اجتماعا حضره جميع السفراء فى العاصمة الامريكية لبحث النشاطات التى تقوم بها الجاليات الاسلامية واعادة تنظيم شئون المركز الاسلامى .

— قام اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا بشراء ارض مساحتها نصف مليون متر مربع وذلك لاقامة المنشئات الاسلامية عليها لتكون منطلقا للدعوة الاسلامية . وتجميعا للطاقات العاملة لنشر الهداية القرآنية ، وخلال أشهر قليلة سيوضع حجر الاساس للجزء الأول من هذا المشروع الاسلامى فى القارة الامريكية .

البرازيل ..

— على طريق الهداية والرشاد الى الدين الاسلامى تم اشهار

اســـلام سيدتين برازيلتين · وقد لاحظ المراقبون زيادة الداخلين فى الاسلام دين الفطرة ·

فرنســا ··

ــ يعقد فى شهر اكتوبر القادم مؤتمر اسلامى لمسلمين فرنسا من أجل احياء الدعوة الاســـلامية فى أوربا وكان مسلمو فرنســـا قد عقدوا اجتماعا تمهيديا ، قرروا فيه انشـــاء مجلس أعلى للشـــئون الاسلامية فى فرنسا ·

ــ تم وضع حجر الاســـاس للمســـجد الحادى عشر فى مدينة « مانت » التى تبعد ٥٠ كيلو مترا غربى باريس ·

موريشس ··

ــ دخل بعض الشباب فى موريشس فى الدين الاســـلامى عن اقتنـــاع ·

جبهة مورو ··

ــ بدأ المســـلمون فى مورو يواجهون التحديات التى تعمل على ابادتهم ·

ــ اصدرت لجنة الشئون الخارجية بجبهة مورو الوطنية بيانا عن سير المعارك الدائرة فى بلاد المورو جنوب الفلبين ·

ارتيريا ··

ــ توصلت فصائل الثورة الاريترية الأربعة الى اتفاق بشـــأن توحيـــد المقاومة ، واعطاء حـــرية التحرك لكافة التنظيمـــات داخل الســـــاحة ·

أخبار الأزهر

إعداد / الشافعي عبد الراضي

القبول بالثانوى الأزهرى لحملة الاعدادية الأزهرية فقط

تقرر قصر القبول بالمعاهد الثانوية الأزهرية على الحاصلين على الاعدادية من المعاهد الأزهرية . صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الله كريم وكيل الوزارة لشئون المعاهد الأزهرية ، وقال فضيلته : ان هذه المعاهد لن تقبل ابتداء من العام الدراسى القادم الحاصلين على الاعدادية العامة .

زيارات الى الأزهر

استقبل السيد الأستاذ عبد الحليم حلمى محمود وكيل الوزارة لشئون مكتب شيخ الأزهر والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بمكتبه وفد معهد الدراسات الدبلوماسية برئاسة الاستاذ الدكتور برونوايتين أستاذ البحوث فى مركز بحوث ودراسات مجتمعات البحر المتوسط والذى يهتم بموضوعات من بينها الدراسات الاسلامية .

قرارات فضيلة الامام الأكبر

أصدر فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر قرارا بندب فضيلة الأستاذ عبد الحليم حلمى وكيل الوزارة لشئون مكتب شيخ الأزهر أمينا عاما للمجلس الأعلى للأزهر بالاضافة الى عمله .

زيارات فضيلة الامام الأكبر :

زار فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شـيخ الأزهر ظهر يوم الاثنين الموافق ٨١/٤/٦ المحلة الكبرى بدعوة من السيد الوزير أحمد القصبى محافظ الغربية والسيد عبده الشناوى رئيس مجلس المدينة لافتتاح المجمع الاسـلامى الكبير الذى يضـم معهدا أزهـريا للفتيات بلغت تكاليف انشائه ١٤٠ ألف جنيه ومسجدا على أحدث طـراز اسـلامى •

كما زار فضيلته فى اليوم التالى ٨١/٤/٧ محافظة المنوفية بدعوة من السيد الوزير محمود محروس أبو حسين محافظ المنوفية لحضور الاحتفال السنوى الكبير لمسابقة القرآن الكريم والدين الذى يقيمه مجمع أنور أحمد الاسلامى بسبك الضحاك •

شيخ الأزهر وعلماؤه يشكرون رئيس الجمهورية :

توجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصـار شيخ الأزهر وبصحبته فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس الجامعة وأصحاب الفضيلة وكيل الأزهر وأمين عام المجلس الأعلى للأزهر وأمين عام مجمع البحوث الاسلامية ووكيل الوزارة لشئون مكتب فضيلة الامام الأكبر ونواب رئيس الجامعة وعمداء الكليات ووكلائها ونخبة من علمـاء الأزهر الى القصر الجمهـورى بعـابدين لشكر السـيد الرئيس محمد أنور السادات على زيارته جامعة الأزهر وتكريمه العلماء •

الشافعى عبد الراضى

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
• **الرئيس محمد أنور السادات يكرم علماء الأزهر**	١١٣٨
• **طهرتم مجتمعنا من خبراء الشر والمفسدين** فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر	١١٤١
• **رسالة الأزهر** فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار	١١٤٧
• **الأزهر وجامعته يرحبان بك** الدكتور عبد اللطيف خليفة	١١٤٩
• **جلسات المؤتمر**	١١٥٢
• **حديث الشهر** للدكتور عبد المعطى بيومى	١١٥٦
دراسات قرآنية	
• **بين يدى الاسراء والمعراج** للدكتور محمد الطيب النجار	١١٦٦
• **حول الاسراء والمعراج** للأستاذ / السيد حسن قرون	١١٧١
• **المادة المعجمية** للدكتور أمين فاخر	١١٧٨
• **قصة القدس**	١١٨٩
• **بيت المقدس** للأستاذ / عبد المعز عبد الحميد الجزار	١١٩٠
• **القدس فى التاريخ** للأستاذ / حمدى الليثى	١١٩٣
• **مواقف الأزهر المشرفة**	١١٩٧
• **بيان للمسلمين**	١٢٠٤

الموضوع | صفحة

فى التشريع الاسلامى

- **نحو نظام اقتصادى اسلامى**
  للدكتور / أحمد عبد العزيز النجار ١٢١٠
- **الاعلام فى رسالات السماء**
  للأستاذ / محمد كمال الدين ١٢٢١

أعلام الاسلام

- **من أئمة المحدثين الامام مسلم**
  للدكتور الحسينى هاشم ١٢٢٨
- **غزالى القرن الرابع عشر**
  للدكتور / عبد الفتاح بركة ١٢٣٤
- **الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود**
  للأستاذ محمد شلبى ١٢٥٠
- **الشيخ احمد الشرباصى**
  للدكتور / محمد محمد ابو موسى ١٢٦١
- **طرائف ومواقف**
  اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٢٧١

من حضارة الاسلام

- **عروبة القدس واسلاميتها**
  للدكتور / محمد محمد خليفة ١٢٧٦
- **حول الاسراء والمعراج**
  للأستاذ / على عبد العظيم ١٢٨٦
- **الاسراء والمعراج بالجسد والروح معا**
  بقلم الدكتور / محمد محمد الشرقاوى ١٢٩٣
- **رحلة عبر خط الوحى**
  للدكتور / السيد رزق الطويل ١٢٩٩
- **المسجد الأقصى ومكانته فى الاسلام**
  للدكتور / احمد عمر هاشم ١٣٠٤

الموضوع | صفحة

- **الاسراء والمعراج وغزو الفضاء**
  للأســتاذ / محمد أحمد بدوى ١٣٠٩
- **جوائز عالمية**
  للأســتاذ / موسى محمد على ١٣٢١
- **القدس رؤى من هناك**
  للأســـتاذ / حامد الجوجرى ١٣٢٨
- **صلاح الدين الأيوبى شخصية فى سطور**
  بقلم سعيد عبد الحى ١٣٣١
- **قالت الصحف**
  اعــداد عاطف زهران ١٣٣٣
- **الفتـــاوى**
  اعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين ١٣٣٨
- **هكذا يكتب القراء**
  اعداد عبــد العزيز أحمد جبرة ١٣٤١
- **أخبار العالم الاسلامى**
  اعداد أحمد عبد الرحيم الســـايح ١٣٤٤
- **أخبار الأزهر**
  اعداد / الشافعى عبد الراضى ١٣٤٨

طبعت بمؤسسة روزاليوسف

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

○ ◯ ○

العنوان : إدارة الأزهر

بالقاهرة

تليفون ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● ● ● ● ●

رئيس التحرير

د . عبد المعطى محمد بيومى

صورة الغلاف

مدخل قاعة الامام محمد عبده

بالأزهر الشريف

الجزء الثامن السنة الثالثة والخمسون ـ شعبان سنة ١٤٠١ هـ

يونية سنة ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

اجتمع البعض فى جلسة تصوروا خلالها أنهم يملكون توجيه الكون والحياة وراحوا يتحدثون فى أمور كثيرة صورها لهم الخيال والعقل الجمعى .

وتحدثوا عن الأزهر فيما تحدثوا ولا يملك أحد منهم شيئا من الاحصائيات أو الدراسة العلمية التى تمكنه من النقد السليم والكلام الرصين .

وبعض هؤلاء كانت تحكمه بعض الخبايا النفسية وان أحدهم لو أعطاه الازهر درجة الدكتوراه التى يدعيها لتغير حديثه ولكانت نفسه هدأ مما هى عليه ولكان تفكيره أقرب الى المعقولية والاتزان وكنا نفكر فى مجلة الازهر أن نعرض جهود الأزهر فى خدمة الدين والعلم لكن رأينا أن نستقر فى النهاية على الاكتفاء بما أبداه السيد الرئيس السادات فى الشهر الماضى من تقدير للازهر وتكريم لعلمائه وأعتراف نعتز به بما يؤديه لمصر والعالم الاسلامى .

ثم الاكتفاء بما ننشره هنا من تقرير عن رحلة فضيلة الامام الاكبر لتفقد أحوال المسلمين فى شرق آسيا أداء لرسالة الأزهر الى العالم الاسلامى .

وكفى بهذين ردا على ما اعتملت به صدور هؤلاء والله يشفى .

« التحرير »

المؤتمر الصحفى

الذى عقده فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بمناسبة عودته

من الزيارة التى قام بها الى جنوب شرق آسيا

عقد فضيلة الأمام الاكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار مؤتمرا صحفيا فى يوم الاثنين ١٤ رجب ١٤٠١ (١٩٨١/٥/١٨) عقب عودته من الزيارة التى قام بها الى دول جنوب شرق آسـيا وهى : (باكستان ــ أندونيسيا ــ ماليزيا) بدعوة من رؤساء حكوماتها ٠ وقــد حضر المؤتمر عدد كبــير من الصحفيين المصريين والعــرب والمراســلين الأجانب ومندوبين عن المجلات التى تصدر بالقاهرة كمــا حضر المؤتمر مندوبون عن اذاعة جمهورية مصر العربية والتليفزيون العربى ٠

وقد بدأ المؤتمر فضيلة الدكتور / محمد السعدى فرهود وكيــل الأزهر بكلمة رحب فيها بالحاضرين ونوه بأهمية هــذه الزيارة ثم قدم فضيلة الامام الاكبر فقال فضــيلته كنت أود أن يكون لقــائى بكم عقب حضورى الى مطار القاهرة ولكن تأخير موعد الطائرة هو الذى تسبب فى تأجيل لقائى بكم ٠

فضيلته يعلن أن الاتصال المباشر

أقوى طريق للتفاهم وتبادل الآراء والأفكار

ثم تحدث فضيلته بايجاز عن أهداف رحلته وقال أنها تشــتمل على أربعــة أهــداف :

أولا : أوضح أنه حمل رسائل شفوية من رؤساء هذه الدول تعبر عن الود والاخاء والتعاون بين هذه الدول ومصر والأزهر وأنه سينقل هذه الرسائل الى الرئيس السادات ٠

ثانيا : استطلاع أحوال المسلمين فى قارة آسـيا وما يحتاجون اليه من دعم علمى ومادى من الأزهر ٠ وذلـك ٠

ثالثا : لتحقيق التلاحم المباشر مع شعوب هـذه الدول للتعرف على واقع حيـاتهم ليتمكن الأزهر من معرفة أحوال المسلمين فى هذه الدول ٠

رابعا : التعرف على ما يتعرض له المسلمين فى هذه القارة من تيـارات معاصرة وتحـديات من أعـداء الاسلام وذلك لمواجهتها علىمستوى فكرى وعلمى.

وقد تحدث فضيلة الامام الأكبر بعد ذلك عن أهم أحداث (زيارته الى باكستان : وفى باكستان قال أنه غادر القاهرة الى باكستان يـوم ٢١ مايو حيث استقبل استقبالا رسميا وشعبيا وكان رأس المسـتقبلين الرئيس الباكستانى ضياء الحق وقد مكث فضيلة الامام الأكبر والوفـد المرافق ثمانية أيام فى (اسلام آباد) وعقد كثيرا من الاجتماعات • وكان حريصا على الالتقاء بالأخوة المسلمين • والتعرف على مشـاكلهم لذلك كانت البرامج مكثفة •

وقبل مغادرة باكستان رغب فضيلة الامام على زيارة المجـاهدين الأفغان المقيمين فى باكستان •

وقد اجتمع بهم فضيلته فى مقر سفارة مصر بباكستان حيث تعرف على منهج كفاحهم وكيفية تعاون الأزهر معهم •

وبعد ذلك غادر باكستان الى أندونيسيا :

وعن أندونيسيا :

تحدث عن الاستقبال الرائـع الذى قـوبل به من قبـل الرئيس الأندونيسى (سوكارتو) وكذلك الاسـتقبال الرائع من الصـحافة الأندونيسـية •

وقد استمرت الزيارة فى أندونيسيا سبعة أيام زار خلالها مختلف المؤسسات الاسلامية هناك •

وعن ماليزيا :

تحدث عن الاستقبال الرائع الحار من قبل المسئوليين الماليزيين •

وفى اليوم التالى لزيارة فضيلة الامام لماليزيا عقدت الجـامعة الماليزية مؤتمرا كبيرا حيث منحت فضيلته شهادة الدكتوراه الفخرية ٠

ثم تحدث عن اجتماعه بملك ماليزيا وقال ان ملك ماليزيا تحدث عن موقف الاسلام والمسلمين فى ماليزيا وشرح أحوال المسلمين فى الولايات الماليزية الأخرى ٠

فضيلة الإمام الأكبر يؤدى دور الأزهر كاملاً ويرعى حاجات المسلمين فى شرق آسـيا

وقد أشاد فضيلة الامام بدور خريجى الأزهر فى الولايات الماليزية وقابل عـددا كبيرا منهم من بينهم السيد / وان مختار (رئيس وزراء ترنجان) وهـو من أحد تلاميذ فضيلة الامام فى كلية أصـول الدين جامعة الأزهر حينما كان أستاذا بها ٠

كما زار فضيلته (دار مؤسسة الطباعة العربية الخاصة) ٠
وقال انها تكلفت ١١ مليون دولار وخصصت لمعرفة التراث العربى الاسلامى عن طريق اللغة العربية ٠

كذلك اجتمع فضيلة الامام بكثير من المسئولين فى هذه الولاية وكلهم من خريجى الأزهر وفى مناصب مرموقة ٠

وقد اجتمع فضيلته مع مجلس الوزراء الماليزى حيث تحـدثوا عن موضوع (التنمية والاسلام) :

ثم تحدث فضيلة الامام عن مفهوم التنميـة فى الاسلام وأوضح لهم جيدا أن الاسلام لم يكن هو المعرقل للتنميةكما يدعى البعض منأعداء الاسلام٠ أشاد فضيلة الامام بالجمعيـات الخيرية والاسلامية فى ماليزيا ٠ وقال أن الجمعيات الخيرية فى ماليزيـا تقوم بمشروعات استثمارية قوية بجـانب النشاط الذى تقوم به ٠ كذلك جمعية الزكاة والادخار وهناك جمعية ترعى الحجاج ٠ وكلهم يسيرون على النهـج الاسلامى الصحيح ٠

وبعد أن انتهى فضيلته من هذا العرض لرحلته تحدث عن انطباعاته لهذه الزيارة فقال :

الحمد لله قد تبين لنا أن الاسلام فى آسيا بخير وأن اخواننا على وعى كامل بمبادىء الاسلام وقواعده ٠ وهم يعلقون آمالهم على الأزهر بما يحتاجون من منح دراسية ومدرسـين وكذلك مبادلة الوفود بيننـا وبينهم للتعرف على احوالهم ٠

وبعد أن أنهى حديثه عن الرحلة استمعفضيلته الى عدد من الأسئلة التى وجهها له بعض الصحفيين والمراسلين الأجانب :

سؤال الأستاذ / محمود مهدى الأهرام

س : أرغب فى أن أتعرف على انطباعكم عن ما وقع لبابا روما ؟

وقد أجاب فضيلة الامام الأكبر حقيقة كنت فى ماليزيا فى ذلك الوقت وقد علمت بهذا النبأ الأليم وقد أسفت لوقوع هذا الحادث وعلى الأخص أنه أسند الى شخص مسلم فالاسلام لا يعرف الاعتداء ولا الارهاب • وقد حرم كما نعلم جميعا الاعتداء على أى نفس بشرية • وقد دعا فضيلة الامام للبابا يوحنا بالشفاء العاجل والصحة والعافية •

ثم سأل السيد / محمد رفيق خان باكستان) •

س : ما هى انطباعاتك عن تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان ؟

وما رأيكم فى انشاء الجامعة الاسلامية فى اسلام آباد ؟

فقال فضيلته بالنسبة لتطبيق الشريعة الاسلامية هناك جانبان :

الأول : هو مسئولية المسلم نفسه • مادام كل فرد يطبق الاسلام على حيلته الخاصة والعامة فكل شيىء يسير مطابقا للدين الاسلامى •

والثانى : هو مسئولية الحكام• أى أن دور الحكومة فى ذلك له أثر كبير من ناحية الجانب التنظيمى •

وبالنسبة لانشاء الجامعة الاسلامية فى اسلام آباد :

فالأزهر على أتم الاستعداد لمساعدة الجامعة وقد تم البحث فى شأنها • وعلى الأزهر مسئولية كبيرة فى انجاحها ولابد أولا من توفير هيئة التدريس قبل انشاء هذه الجامعة •

فضيلة الإمام الأكبر يكشف أبعاد التحديات الفكرية التى يواجهها المسلمون فى باكستان وماليزيا وأندونيسيا

وعن مجلة الدعوة سأل الشيخ / صالح العشماوى •

س : ما رأى فضيلتكم فى التيارات المعادية للاسلام فى الدول التى قمتم بزيارتها ؟

البقية ص ١٣٦٦

فى فلسفة الحضارة

((نحن نعيش اليوم فى ظل انهيار الحضارة ، وهذا الوضـــع ليس نتيجة الحرب ، انما الحرب مجرد مظهر من مظاهره)) ٠

ذلك ما قاله ((البرت اشفيتسر)) فى أول كلمة من كتابه ((فلســـفة الحضـــارة)) (١) ٠

وهو يتفق تماما مع ما قرره من قبل الفيلسوف البريطانى ((برتراند راسل)) فى قوله الصريح الحاسم ((انتهت حضارة الرجل الأبيض)) ٠

وما قاله الفيلسوفان حقا ليس راجعا الى الحروب التى اشـــتعلت فى هذا القرن الذى شـــهد حربين عالميتين فى ســـنتى ١٩١٤ ، ١٩٤٥ م وحروبا أخرى صغيرة فى انحاء متفرقة من الأرض مازال بعضها مستعرا حتى الآن لأن الحروب والأزمات الاجتماعية والسياسـية على النطاقات

---

(١) ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى طبـــع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ٠

المحلية والدولية ، كانت نتيجة لانهيار الحضارة ولم تكن سببا لهذا الانهيار .

ودليل ذلك من فلاسفة الغرب أنفسهم أن كثيرا من هؤلاء الفلاسفة توقعوا منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هذه النهاية وهذا الانهيار وحذروا كثيرا أبناء جلدتهم ، والعالم كله من الانسياق وراء الحضارة الغربية والانبهار بها .

ففى سنة ١٩٠٣ م التقى الامام محمد عبده بالفيلسوف الانجليزى « هربرت سبنسر » فقال له ذلك الفيلسوف : « ان الانجليز يرجعون القهقرى فى الأخلاق والفضيلة فهم الآن دون ما كانوا عليه منذ عشرين سنة .

قال الاستاذ الامام محمد عبده : وفيم هذه القهقرى ؟

قال الفيلسوف : يرجعون القهقرى فى الأخلاق والفضيلة وسببه تقدم الأفكار المادية التى افسدت أخلاق اللاتين من قبلنا ،ثم سرت الينا عدواها فهى تفسد أخلاق قومنا وهكذا سائر شعوب أوربة .

قال الأستاذ الامام : الرجاء فى حكمة أمثالكم من الحكماء واجتهادهم أن ينصروا الحق والفضيلة على الأفكار المادية .

قال الفيلسوف : انه لا أمل فى ذلك ، لأن هذا التيار لا بد أن يأخذ مده الى غاية حده فى أوربا ، ان الحق عند أهل أوربا الآن للقوة » (١)

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٦٨ .

واذا كان السبب فى انهيار الحضارة عند هذا الفيلسوف هو كما صرح به سيطرة الأفكار المادية وزحزحتها للحق والفضيلة فان فيلسوفا آخر هو الدكتور « الكسيس كاريل » يقول : « ان الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت من غير أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلميــة وشــهوات الناس وأهوائهم ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشــئت بجهودنا فانها غير صالحة لحجمنا وشكلنا .

ان الحضارة آخذة فى الانهيار ، لأن علوم الجماد قادتنا الى بلاد ليست لنا ، فقبلنا هداياها جميعا من غير تمييز ولا تبصر (١) .

لكن « اشفيتشر » صاحب كتاب فلسفة الحضارة لا يرجع انهيــار الحضارة لسلطان الأفكار المادية أو الجهل بحقيقة الانسان بل يرجعــه الى غرور العقل الانسانى الذى زاد عن حده وتقدم ليضع المثل الاخلاقية والقيم الروحية من تلقاء نفسه ، وبدا للانسانية ان هذه المثل التى وضعها العقل كافية لاستقرار الحضارة الانسانية وازدهارها لكنــه سرعــان ما اصطدمت هذه المثل والقيم العقلية بالحقائق الواقعية فلم تثبت هذه المثل أمام الواقع واخذت تختفى شيئا فشيئا حتى انعدمت نهائيا .

يقول : « لكن ماهى المقدماتالتى أفضت الى ضــياع القــوة من القوى الباطنة للحضارة ؟

ان عصر اصحاب الكشف والمذهب العقلى قد وضع مثلا اخلاقية تستند الى العقل ، وتتعلق بنماء الانسان الفرد الى الرجولة الحقة وبمكانتها فى المجتمع ، وبالمشاكل المادية والروحية الناشئة عن المجتمع ، وبالعلاقات القائمة بين الأمم المختلفة وما يتطلب ذلك من قيام انسانية ينبغى لها أن تتحد فى سعيها الى الأهداف الروحية والاخلاقية العليا .

---

(١) الانسان ذلك المجهول ص ٢٧ أنظر سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » .

وهذه المثل بدأت فى الفلسفة وفى التفكير العام بالاتصال بالواقع وتغيير البيئة العامة وفى خلال الاجيال الثلاثة أو الأربعة الماضية حدث من التقدم فى الأفكار التى تقوم عليها الحضارة وفى تحقيقاتها المادية ما جعل الناس يعتقدون ان عصر الحضارة الحقيقية قد اشرق فجره على العالم وأن التطور سيمضى قدما من غير توقف ٠

لكن فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر بدأ هذا التفاهم والتعاون المتبادل بين المثل الاخلاقية والحقيقة الواقعية يتداعى وفى خلال العقود القليلة التالية اختفى شيئا فشيئا حتى انعدم نهائيا ٠

لقد افلست الحضارة دون مقاومة ودون شكوى ، وتخلفت أفكارها ، وكأنها بلغت من الاعياء ما جعلها لا تستطيع السير معها » (١)٠

واذا كان لنا أن نمضى مع هذا الفيلسوف فى تحليله لسبب انهيار الحضارة وفشل المثل العقلية وعدم تلائمها مع الحقائق الواقعية فانه يرد ذلك الى عجز الفلاسفة وفشل الفلسفة فى ابتكار نظرية أخلاقية للكون فى الوقت الذى كانت فيه العلوم الطبيعية تنمو وتزداد قوة ٠

« ان المهمة الكبرى للفلسفة هى أن تكون دليلا للعقل العام وحارسا ، وكان من واجبها فى ظروف هذا العصر ان تعترف للدنيا بأن المثل الأخلاقية لم تعد تسندها أية نظرية عامة فى الكون » ٠

وهو يقصد النظرية الأخلاقية ٠

ولقد كان بودنا أن نستقرىء المزيد من تحليلات الفلاسفة الغربيين لأسباب انهيار الحضارة الغربية من سيطرة الأفكار المادية كما يقول سبنسر والجهل بحقيقة الانسان كما يقول « كاريل » أو انعدام النظرية الأخلاقية وعجز الفلسفة عن أداء مهمتها لابتكار وتوطيد هذه النظرية والأسباب التى أدت الى هذا العجز ذاته كما يقول « شفيتسر » لولا

---

(١) فلسفة الحضارة ص ١٢ ، ١٣

أننا نرى ان هذه الاسباب الثلاثة كافية لتبرير انهيار أى حضارة كما انها أسباب أساسية يرجع اليها كل ما عداها من الاسباب

وهنا عدة أمور يجب أن نقف عندها بالفحص والتقويم ٠

١ ـ ان جهل الفلاسفة الأوربيين الذين وصفوا المنهج للحضـارة الغربية جهلوا حقيقة الانسان فـأدى بهم ذلك الى التخبط فى وضـع المنهج السليم لحياة الانسان ٠

ومن صور هذا التخبط الذى قامت عليه الحضارة الأوربية اعطـاء السلطان للفكر المادى دون ان يجد الجـانب العـاطفى والروحـى فى الانسـان غذاءه الكافى فأجدبت القلوب وجفت الأرواح ولم يغن مـلء البطون عن أصحابها شيئا فاستبد القلق بالانسان الغربى وسـاد الملل واقفرت النفوس من أى أمل فى حياة آخرة ممكنة ٠

ومن صور التخبط فى الحضارة الغربية فصل الدين عن الدولة مما أدى الى عزل النظم السياسية والاجتماعية عن مصدر الأخلاق العـادلة والقيم المقدسة التى جاء بهـا الدين ولم ينفع ظن فلاسـفة الغرب أن الأخلاق الحديثة التى اخترعتها العقول يمكن أن تغنى عن الأخلاق الدينية وبذلك انعدم الأساس الخلقى الذى تبنى عليه الحضـارات وتستمد منه الوان النشاط الانسانى المادى والروحى قيمتها الحقيقية فهذا النشاط خير لأنه يرضى المعبود الذى هو المثل الأعلى وذلك النشاط شر لأنه يغضب المعبود ورضا المعبود هدف وغاية ، وغضبه نقص وعار وبذلك يكون للحياة معنى لأن لها هدفا وغاية ٠

وبمقدار قوة الشعور بالأساس الخلقى الذى نسميه العقيدة وبمقدار صحتها فى ذاتها يكون تماسك الحضـارة وثباتها فكلمـا كان الأسـاس الخلقى قويا أو ضعيفا تكون الحضارة ٠

فالحضـارة الأغريقية عندما تنكرت لاله أرسطو وانتكست الى السوفطائية ((الشكاك واللاأدرية)) وسـادت فيها مذاهب الابيقـورية

المادية فقدت روحها وتحلل تماسكها والحضارة المصرية القديمة ما وصلت الى ما وصلت اليه فى كافة العلوم والفنون والتقدم الاجتماعى الـذى تدل عليه المعابد وأوراق البردى وتشهد له الاهرام وسائر الآثار الابفضل تلك النظرية الاخلاقية التى استمدت من عقيدة التوحيد رغم ما شاب هذه العقيدة من تصورات لكنها كانت كافية الى حد ما لقيادة الحضـارة فلما ازداد اختلاط هذه العقيدة بالوثنية لم تلبث أن بادت مع ما باد من حضارات فقدت روحها ٠

وكذلك الأمة الفارسية عندما انحدرت الى اللذة المـادية « مذهب مزدك » إنهار تماسكها الاخلاقى فانهار عرشها الى الأبد ٠

بل ان الدولة العثمانية التى فتحت الفتوح وسادت العالم فترة من الزمن ما انهارت وتفتت سلطانها الابعد ان سيطرت الأفكار المادية وانعدم الأساس الاخلاقى الدينى من نفوس كثير من قادتها الذين « اجترحوا أثم الخيانة وكانوا يعدون أنفسهم من ارباب الأفكار الجديدة وأبناء العصر الجديد ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليـلة ورضوا بالدنية واستناموا الى الخسة ونسـفوا بيت الشرف العثمـانى وجلبوا المذلة على شعوبهم » (١) ٠

وفى ضوء هذا التحليل لاهمية الاساس الخلقى فى البناء الحضارى فاننا لا نجد فى عالم اليوم حضارة تقوم على هذا الاساس وتعنى به مثل ما تقوم حضارة الاسلام ٠

ذلك أن هذه الحضارة تقوم عقيدتها الاساسية فى اللـه والـكون والانسان على أساس فكرة وجود الله ووحدانيته وكماله وعلمه وقدرته وتربط الوجود الانسانى فى حياته الدنيا على أساس استخلاف الانسان فى الأرض من قبل الله وفى حياته الآخرة الآتية لا ريب فيها على أساس

---

(١) الشيخ جمال الدين الافغاني ٠ « رسالة الرد علي الدهريين » ٠

الحساب العادل الذى يعقبه الجزاء على مثقال الذرة من الخير أو الشر ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ٠

وعسى ان تكون لنا عودة فى حديث الشهر القادم الى هذا الاجمال لنعطيه مزيدا من التفصيل والتوكيد لبيان قيمـة الاسـاس الخلقى فى الحضارة الاسلامية وتفصيل نظرة هذه الحضارة الى الانسان والـكون واللـــه ٠

بقية المؤتمر الصحفى ص ١٣٥٤

وما هى انطباعاتكم تجاه الفكر الشيوعى هناك ؟

(جـ) لاشك أن هناك بعض التيارات المعادية للاسلام وذلك بوجود مجموعة من الديانات الأخــرى كالبوذيه والمسـيحية وبعض العنــاصر الشيوعية ولكن مما يطمئننا هو أن اخواننا المسلمين هناك على وعى كامل بمبادىء الاسلام وقوانينه ٠ وأن معظم المسئولين فى هــذه الدول من خريجى الأزهر متمسكون بمبادىء الاسلام ويعملون بكل جهد على نشر التراث الاسلامى الذى تعلموه فى الأزهر الى أنحاء البلاد ٠

واختتم المؤتمر بكلمــة شــــكر من فضـيلة الامام الأكبر الى كل الحاضرين حيث أثنى عليهم جميعا وقال كنت أود أن يكون هــذا المؤتمر عند نزولى الى أرض مطار القاهرة ولكن تأخير موعد الطــائرة تسبب فى تأجيل لقائى بكم ٠

أكرر شكرى لكم ٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

التحــرير

دراسات قرآنية

جمع القرآن الكريم
والأحرف السبعة التي نزل عليها

للدكتور / محمد أحمد يوسف القاسم

لقد أرسل الله تعالى سـيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسـلين بالهـدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وأنزل معه الكتـاب المبين ، ليكون شـاهدا ومبشرا ونـذيرا ، وهـاديا الى صراط المستقيم ، من عمـل به أجر ومن أعرض عنه دخل تحت الوعيـد الشديد « **يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشـفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** » .. والقرآن الكريم فيه السـعادة الكاملة والنعمـة العظمى لمن التزم بأوامـره ووقف عند حـدوده ونواهيه ، واقتفى آثار السـلف الصالح ، هؤلاء الذين بينوا للناس علـومه ، ووقفوا حيـاتهم على الغوص وراء اسـتخراج درره وكنوزه ، وعلموها الناس ودونوها فى كتبهم لينتفع بها الأجيال بعـد الأجيال .

لقد خص الله جل شـأنه هذه الأمة المحمدية بهذا الكتاب الكريم ولم يكل حفظـه اليهم ، فقد تكفل سبحانه بحفظه « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » وذلك رفع لأعظم معجزات سيد المرسلين صلوات الله وسـلامه عليه ، فان الله تعالى تحدى به العرب جميعا بل الانس والجن ، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثل أقصر سـورة منه ، ولم يزل هذا التحدى الى يومنـا هذا والى قيام السـاعة ، هذا مع وفـرة الملحـدين والطـاعنين والقاصدين النيل منه ، وما حصلوا غرضـهم ولن يكون أبدا ولو كان

بعضهم لبعض ظهيرا ، فأى دلالة على صـــدقه صلى الله عليه وسلم وعلى حفظ القرآن أعظم من هذا ؟

ولما تكفل الله بحفظـــه خص به من شاء من عباده ، الذين هم أهل الله وأصفياؤه « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » وكان الاعتمــــاد فى نقـــــله على حفظ الصدور ، وليس على نقله بواسطة المصاحف والكتب ، وتلك خصيصة من خصـــائص هذا الكتاب الكريم لهذه الأمة الاسلامية • روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان ربى قال لى : قم فى قـــريش فأنـــذرهم ، فقلت له : يارب اذن يثلغوا رأسى حتى يدعوه خبزة ، فقال انى مبتليك ومبتلى بك ومنزل عليك كتابا لا يغســــله الماء تقرأه نائما ويقظان ، فابعث جندا أبعث مثلهم ، وقاتل بمن أطاعـــــك من عصاك ، وأنفق ينفق عليك » وجاء صــــفة أمتـــه « **أناجيـــلهم فى صـــدورهم** » وذلك بخلاف أهل الكتـــاب الذين لا يحفظــــونه ، ولا يقرءونه الا نظرا لا عـــن ظهر قلب ، على ما هو عليه أهل القرآن الكـــريم •

ولقد خص الله من اصـــطفاهم بحفظـــه بالأمانة فى الاداء الى من بعدهم ، حســـبما تلقوه من النبى عليه الصلاة والسلام ، لم يهملوا منه حركة ولا ســــكونا ولا اثباتا ولا حـــــــذفا ، حتى انه لما كتبت المصاحف فى عهد عثمان رضى الله عنه جردت من النقط والشـــــكل ، لتحتمل ما صـــــح نقله عن النبى صــــلى الله عليه وســـلم من واقع الاحرف السبعة التى كان يقرأ بها فى عهده ، ولما أرسلت المصاحف الى الأمصـــار التى فتحها المسلمون ، قـــرأ أهـــــل كل مصر بما هو فى مصحفهم حسبما أقرأهم الصحابة الذين تلقوه عن النبى صـــلى الله عليه وسلم ، ثم ان هؤلاء أقرءوا من بعــــدهم من التابعين ، ولكن القراء بعد ذلك تفرقوا وخلف من بعدهم خلف تصدوا للاقراء ، حتى خاف أئمة المســـلمين أن ينصب الأمر الى غير أهله ويلتبس الحـــق بالباطل ، فجمعـــوا الحـــــروف والقراءات وميزوا بين الصـــحيح وغيره ، ووضـــــعوا كل ذلك تحت

ضوابط وقواعد عامة ، وقالوا : كل قراءة صح سندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافقت اللغة العربية ولو من أحد الوجوه ، ووافقت الرسم العثمانى ولو احتمالا ، فهى القراءة الصحيحة دون ما عداها •

كان هذا ايجازا لما سنتلوه باذن الله وحوله ، من تفصيل يتضح معه هذه القضايا : كيف جمع القرآن الكريم ؟ وهل حقيقة ما يقال ان عثمان رضى الله عنه ضيع بعض الحروف التى نزل عليها القرآن ؟ وما هى تلك الأحرف ؟ وهل هى عين القراءات السبع أو غيرها ؟ وهل المصاحف المتداولة الآن فى الاقطار الاسلامية تختلف عن الرسم العثمانى ؟ وهل يوجد بين بعضها البعض مخالفة من هذه الناحية ؟ الى غير ذلك من القضايا التى يقتضيها تفصيل الموضوع — فأقول وبالله التوفيق :

جمع القرآن الكريم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يطلق جمع القرآن ويراد منه الحفظ فى الصدر أو الكتابة فى المصحف ثم كتابته فى مصحف واحد ، وقد توافر للقرآن الجمع بطريقى الحفظ والكتابة معا ، منذ أول عهده الى الآن ، وسيبقى كذلك تحقيقا للوعد الكريم **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** •

١ — كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على حفظ القرآن واستظهاره فور سماع الالفاظ من جبريل عليه السلام ، وكان يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه بالوحى قبل أن ينتهى منه جبريل ، خوف تفلته واستعجالا لحفظه ، فأنزل الله تعالى : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه »** جاء ذلك فى صحيح البخارى — فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع فاذا انطلق قرأه النبى كما قرأه جبريل •

وكان عليه الصلاة والسلام يبلغه صحابته ، وكانوا يتسابقون فى أخذه من فمه الشريف مباشرة ، واشتهر منهم الكثير فى هذا ، وكيف لا يكونون كذلك والقرآن سبب عز

الدنيا وسعادة الآخرة ، روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وحفظه الالوف من الصحابة واهتموا به على مدى السنين الاولى من صدر الاسلام .. ولان القرآن مصدر التشريع الأول عندهم ، ولم تكن هناك وسيلة لتسجيله متوفرة ، فكانوا يرجعون فيه الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأيضا فان القرآن حاز من الخصائص البلاغية والمزايا البيانية ، ما صادف هوى فى نفوسهم ، فكانوا يجدون فى قراءته وترديده المتعة النفسية والروحية .

وجاء فى الروايات الصحيحة ذكر الكثير منهم ممن حفظ القرآن أو بعضه فى حال حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أو تصدوا لتعليمه ونشره بين الامة ، يدلنا على ذلك أن من استشهد منهم فى بئر معونة سبعون رجلا كان يقال لهم القراء، وفى يوم اليمامة قريبمن خمسمائة وأما ما جاء فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم مات ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبو زيد ، وفى رواية ذكر أبى بن كعب بدل أبى الدرداء فان المراد أنه لم يجمعه على جميع الاوجه التى نزل بها القرآن غير هؤلاء ، وهم الذين تصدوا لتعليمه بعده صلى الله عليه وسلم ، لا يشترط أن يحفظه من أوله الى آخره جميع الصحابة ، بل يكفىأن يحفظ مجموعه الجم الغفير ،بمعنى أنه يكفى أن يحفظه الكل على سبيل التوزيع .

يقول النووى فى شرحه على صحيح مسلم « لو ثبت أنه لم يجمعه الا الاربعة لم يقدح فى تواتره ، فان أجزاءه حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون يحصل التواتر ببعضهم ، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه ، بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك ، ولم يخالف فى هذا مسلم ولا ملحد » وقال غيره : بل ان عدة الجامعين من الكثرة بحيث لا يحصيهم الا رب العباد ...

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد حفظه من لا يحصى ، وتلقاه التابعون عن الصحابة ، وعنهم من بعدهم عصرا بعد عصر ، الى أن وصل الينا وسيصل الى من بعدنا كعهد النبى صلى الله عليه وسلم به ، وذلك تحقيق لوعد الله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

٢ ــ وأما عن كتابة القرآن : فانه عليه الصلاة والسلام كان كلما نزل عليه شىء منه ، بادر بتبليغه الى أصحابه ، وكان يملى على الكتاب ما ينزل عليه من القرآن ، ولقد كتب كله فى حضرته بأمر منه وبرعايته . وكانوا يكتبونه حسبما ينزل ، حتى اذا تمت آيات السورة وضعوها على الترتيب الذى وقفهم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا تمت عدة سور وضعوها على حسب الذى علموه من الرسول كذلك ، وقد تم القرآن وكتب كله بين يديه عليه الصلاة والسلام ، وان كانوا يكتبون لانفسهم خاصة فى بعض الاحيان ، ولكن الكثرة الكاثرة كانت تعتمد على الحفظ على عادتهم فى حفظ أشعارهم وأنسابهم وأيامهم ، لانتشار الامية فيهم . روى الامام أحمد والترمذى والحاكم . وقال صحيح على شرط الشيخين . عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع » الحديث . يقول الامام البغوى : ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات .اذن فكتابة القرآن موجودة فى العصر الاول ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقا فى الجلود وغيرها من أكتاف البعير والشاء وأطراف الجريد والحجارة الرقاق والخشب الذى يوضع على ظهر البعير ، والذى فعله الصديق أبو بكر كان بمثابة جمع الاوراق وضمها بعضها الى بعض بين دفتين حتى لا يضيع منها شىء .

وقد كتب له صلى الله عليه

وسلم جمع كثــير • وكان ألزمهم للنبى صـــلى الله عليه وســلم زيد بن ثــابت وعـــلى بن أبى طالب ، كان النبى يملى عليهم أو يقرأ وهم يسمعون ويكتبون •

والباعث على الكتابة فى عهــد النبى صــلى الله عليه وســلم :

الاحتياط فى ضبط ألفاظه وصيانته من التغيير أو التحريف ، وهــذا يتحقق بالحفظ والكتــابة معــا ، فاجتماعهما معـــا أعظم لحفظــه وصيانته،وزيادة توثق له بالمحافظة عليه من طريقين • ثم انه لما جمع القرآن فى عهــد الخليفـــة الاول ظهرت له فائدة جليلة ، هى أنه كان لدى الصحابة مصــدران اعتمدوا عليهما فى الجمــع : همـــا الحفظ والكتابة ،وفيهما من التثبت وزيادة التحرى ما لا يوجد فى أحدهماعلى الانفراد ، اذ أنه لما انتقـــل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ألهم الله الخليفة أبا بكر رضى الله عنه جمع القرآن ، فكان جمعه كما أنزله الله سبحانه على رســوله ، من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل حرف بحرف آخر •

جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه :

حدثت فى أيام أبى بكر حروب طاحنة ، من أشهرها موقعة اليمامة التى استشهد فيها كثير من حفظة القـــرآن ، فخشى عمر رضى الله عنه أن يضـــيع بعض القرآن اذا مات من يحفظه فى المواقع الحربية المستقبلة ، ولا يبعد مع هــذا أن يفقد شىء من القطع المتنوعة التى كتبت بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقـــد يكون ما كتب منها لا يحفظــه الا من استشهد ، وبذلك يضـــيع شىء من القرآن • ومن هنا ألهم الله عمر بن الخطاب فذهب الى خليفة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وكان بينهمـــا ما رواه البخارى وغيره عن زيـــد ابن ثابت قال « أرسل الى أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر ابن الخطاب عنـــده ، قال أبو بكر رضى الله عنـــه : ان عمر أتـــانى فقال ان القتل قد اســتحر ــ أى اشتد ــ يوم اليمامة بقراء القرآن

وانى أخشى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللحاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى ، لم أجدها مع أحد غيره « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم** » حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه » .

واستمرت الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ، لانها كانت وصية عمر من أولاده على أوقافه وتركته ، ثم أرسل اليها عثمان فأبت أن تدفعها اليه ، حتى عاهدها ليردنها اليها ، فبعثت بها اليه فنسخها عثمان فى هذه المصاحف ، ثم ردها اليها ، فلم تزل عندها حياتها حتى أرسل مروان بن الحكم — وكان واليا على المدينة حينئذ — وطلبها من أخيها عبد الله بن عمر ، وأحرقها .

هذا .. وقد كان فعل أبى بكر رضى الله عنه من باب النصيحة لكتاب الله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، واذا تأمل المنصف فى فعله هذا وجد فيه الخير الذى عم الامة كلها ، وأيقن أنه من مناقبه العظيمة مدى الدهر . وقد اختار لهذا العمل الجليل رجلا توفرت فيه شروط تؤهله للقيام به على أحسن

وجه ، فهو شاب نشط لمـــا يطلب منه من العمل المضنى المحتاج الى الجلد والصـــبر ، وهو عاقل أوعى لعمله فلا يقع فيه خلل ، وهو غير متهم تطمئن النفس الى عمله ،وقد كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ، والخبـــرة والممارسة أدعى لاخراج عمل غاية فى الاتقان •

وكان رضى اللـــه عنـــه يكتب ما أجمع الجميع على روايته ،مما كتببين يدىرسول اللهعليهالصلام والســـلام ، لا من مجرد الحفظ ، ولذلك قال : لم أجد آخر ســـورة التـــوبة الا مع أبى خزيمة ، وكان يطلب التثبت ممن كتبها أو شـــاهد كتابتها عن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، وليس المراد لم أجـــدها محفوظة ، لانها كانت مـــع جمـــع يحصل بهم التواتر ، ولقد اتبـــع أدق طريقة عرفت فى البحث العلمى حيث أخـــذ المروى من طريقين : طريق الحفظ ، وطريق الكتابة •

ثم انه يقول « حتى وجـــدت » فانها لو لم تكن معروفة عنـــدهم لم يفتقـــدوها ، وكيف يفتقـــدون ما لا يعرفون ؟ والحافظ قد يحتاط فيطلب مصحفا آخر فيكتب منه ، أو يستوثق من حافظ آخر ثم يثبته على ما عنده • وقد أجمع الصحابة رضى الله عنهم عـــلى كتابتهـــا فى المصـــحف ، ولا يمكن أن يكـــون مستندهم رواية واحد فقط ، فان الدواعى تـــوفرت عـــلى نقلـــه ، لاختصاصه بمزايا تحمل على ذلك، هى اعجازه والتعبد بتلاوته وكونه أصل الشريعة الاسلامية •

ويمكننا أن نستخلص من هـــذا العرض ، فوائد الجمـــع البكرى وهى :

١ ــ جمع القطع التى كتب فيها القرآن قبل ، حتى لا يضيع شىء منها أو تتآكل ، وتجديد كتابتها فى صحف مجتمعة تصـــلح للاحتفاظ بها دائمـــا • وانما لم يكن ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وســـلم لأن النســـــخ كان يرد على بعض القـــرآن ، فلو جمـــع ثم رفعت التـــلاوة لأدى ذلك الى الاختلاف واختـــلاط الدين ، وبخاصـــة أن أدوات الكتابة لم تكن متوفرة لهم، اذ الذى ينســـخ لابـــد أن يمحى

ويحل محله ما نسخه ، والا لوبقى لأدى الى الالتباس والاختلاط وعدم معرفة الناسخ من المنسوخ، وتغيير الكتابة من وقت لآخر فيه مشقة وعناء .

٢ ــ اتصال السند الكتابى بالأخذ مما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، كاتصال السند المتواتر فى الرواية والتلقى عن الشيوخ ، فتكون كتابة القرآن فى عهد أبى بكر بمثابة الطبقة الثانية ، وكتابته فى عهد عثمان بمثابة الطبقة الثالثة ، وهكذا فيما يلى ذلك من العصور جيلا بعد جيل .

جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه :

فى عهد عثمان رضى الله عنه اختلف الداعى لجمع القرآن الكريم فقد خيف اختلاف الامة الاسلامية فى نص من نصوص القرآن جاء فى حرف من الحروف التى نزل عليها، وبالتالى الشك فى هذا النص وترك شىء منه أو الزيادة فيه أو تقديمه أو تأخيره عن موضعه ، ثم تفكيك وحدة الامة من جراء هذا .

لقد كثرت الفتوحات الاسلامية ودخل كثير من الاقطار العربية وغير العربية ، فى دين الاسلام ، وتولى عثمان والفتوحات على أشدها ، واختلط الناس بعضهم ببعض ، وفيهم من يخفى عليه الكثير من الحقائق ــ لا سيما الذين نشأوا فى بلاد غير عربية ــ وكان كثير من الصحابة قد تفرقوا فيما فتحوا من تلك الاقطار ، وصار أهل كل مصر يقرءون على قراءة من نزل بينهم من الصحابة، وأكثر هؤلاء لا يعرفون أن القرآن نزل على سبعة أحرف تخفيفا على المسلمين ، فصار أهل كل مصر يخطىء قراءة غيرهم من الامصار الاخرى .

فدعت الحالة الى نشر مصحف يكون مرجعا فى كل الاقطار الاسلامية ، وكان ذلك بمحضر جمهور الصحابة ورضاهم ، فطلب الخليفة الصحف البكرية من السيدة حفصة ، وأحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكتبوا سبعة

مصاحف : المصحف الامام فى المدينة وأرسل بستة مصاحف الى مكة والشام واليمن والبحرين والكوفة والبصرة ، وهذا غير مصحف عثمان نفسه المسمى بالامام . والعلماء وان اختلفوا فى عدد المصاحف ما بين خمسةوأربعة وسبعة ، الا أننا نقول : ان عثمان قد أرسل بنسخة من المصحف الى كل قطر فتحه المسلمون ، لان الغرض من كتابته هو القضاء على الفتنة ، وهذا لا يتحقق الا بارسال مصحف الى كل قطر ، وقد جاء فى حديث أنس « وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا » وكلمة « أفق » تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف الى جميع الاقطار لا الى بعضها دون البعض الآخر.

وكتبت المصاحف العثمانية من غير تبديل ولا تغيير لما كانت عليه الصحف البكرية ، والفرق الذى يذكرونه فى هذا المقام هو أن الخليفة الاول جمع القرآن بين دفتين ، من غير ملاحظة ترتيب السور ، وان كانوا يحفظون ترتيبها ويعطون به فى قراءاتهم وصلواتهم ، وأما الخليفة الثالث فقد قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، بل يكتب على حسب الترتيب الذى علموه من رسول الله عليه الصلاة والسلام . وبعث عثمان مع المصاحف من يقرىء جمهور المسلمين : فممن كان بالمدينة من هؤلاء المقرئين (زيد بن ثابت وابن المسيب وعروة وسالم وعمر ابن عبد العزيز وسليمان بن يسار وأخوه عطاء ومعاذ القارىء .. وغيرهم) .

وممن كان بمكة (عبدالله ابن السائب وعبيد بن عمير وعطاء ابن أبى رباح وطاووس ومجاهد وعكرمة وابن أبى مليكة) وممن كان بالكوفة (أبو عبد الرحمن السلمى وعلقمة والاسود ومسروق وعمرو بن شرحبيل وزر بن حبيش وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وعبيد بن فضلة) وغيرهم .

وممن كان بالبصرة (أبو العالية ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر

والحسن وابن سـيرين وقتـادة وعامر بن عبـد القيس وأبو رجاء وجابر بن زيد) وغيرهم •

وممن كان بالشام (المغيرة بن أبى شهاب المخزومى وخليـد بن سـعيد صـاحب أبى الـدرداء) وغيرهما • وقرأ أهل كل مصر بما كان فى مصحفهـم عـلى هـؤلاء المقرئين •

ولنذكر الآن حـديث البخارى الذى يصور اختـلاف المسلمين فى القراءة ، ممـا دعا الخليفـة الى جمعهـم عـلى حرف واحـد من الاحرف التى نزل عليها القرآن ، مخافة الفتنة وتفريق وحدة الامة الاسلامية •

عن أنس بن مالك « أن حذيفة ابن اليمان وقدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهـل العـراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسـل عثمان الى حفصـة أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها من المصاحف ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيـد ابن ثابت وعبـد الله بن الزبـير وسعيد بن العاص وعبـد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمـان للرهط القرشـيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيـد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسـان قريش فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف فى المصـاحف رد عثمان الصحف الى حفصـة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، قال ابن شهاب : وأخبرنى خارجة ابن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسـمع رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقرأ بها ، فالتمسـناها فوجدناها مـع خزيمة بن ثابت الانصـارى « **مـن المؤمنين رجـال صـدقوا ما عاهدوا الله عليه** » ، فألحقناها فى سورتها فى المصحف •

وفى رواية ابن أبى داود « عن

أبى قلابة قال : لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءةالرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، قال أيوب : لا أعلمه الا قال : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال : أنتم عندى تختلفون فيه فتلحنون ،فمن نأى عنى من الامصار أشد اختلافا وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس اماما » الخ.

ويذكر ابن حجر أن حذيفة لما رأى الاختلاف بين أهل الكوفة والبصرة ، ثم أهل العراق والشام ــ كما جاء فى احدى روايات ابن أبى داود ــ اشتد خوفه فركب الى عثمان ، وصادف أن عثمان أيضا وقع له مثل ذلك ، فتحقق عنده ما ظنه من ذلك . على أن انكار الواحد منهم قراءة الآخر كان فى غير المتواتر وما نسخت تلاوته ، ولم يعلم القارىء بذلك ، وعلمه المنكر عليه ، وذلك مثل ما جاء فى الشواذ « وأتمو الحج والعمرة للبيت » بدل « لله » . ومثل قراءة « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى» بدل « وما خلق الذكر والانثى ». ومثل « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » بزيادة « فى مواسم الحج » الى غير ذلك من الامثلة .

ومن حديث البخارى نعلم أن الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين كل ما تحققوا أنه قرآن منزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، بلا زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ، وأن سعيهم كان فى جمعه فى مكان واحد على حرف واحد هو حرف قريش ،وكان شهود العرضة الاخيرة فيهم زيد ابن ثابت ، ولذلك اعتمده أبو بكر ثم عثمان فى جمع القرآن الكريم فى المرتين .

وقد قيض الله تعالى الخليفة الثالث باجماع من الصحابة ، للقضاء على تلك الفتنة ، وقام بكتابة المصحف ، وكان يشرف بنفسه على هذا الامر الجلل ،يدلنا على ذلك اختلافهم فى كتابة « التابوت » هل هو بالهاء أو

بالتاء ؟ فتحاكموا اليه فأمرهم أن يكتبوه بلغــة قريش ، وأخرج ابن أبى داود أن عثمان « جمع اثنى عشر رجلا من قريش والانصار ، فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وأرســل الى الربعة التى فى بيت عمر فيها القرآن فكان يتعاهدهم. قال محمد : فحدثنى كثير بن أفلح أنه كان يكتب لهم » وصحح ابن كثير اســناده . قال ابن حجر : وكأن هذا الامر أســند لزيد ومن معه من الرهط القرشــيين أولا ، فلما احتاجوا الى من يســاعد فى الكتابة بحسب الحاجة الى عــدد المصاحف التى أرسلت الى الآفاق أضافوا اليهم من يعاونهم .

وقد اقتصر على وجه واحــد ، عــلى اختيار وقــع بينــه وبين الصحابة وبمشورتهم ، فقد أخرج ابن أبى داود باســناد صحيح أن الامام عليــا قال « لا تقولوا فى عثمان الا خيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف الا عن ملأ منا ، قال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : ان قراءتى خير من قراءتك ، وهــذا يكاد أن يكون كفرا ، قلنا : فمــا ترى ؟ قال : أرى أن نجمع الناس عــلى مصحف واحــد ، فلا تكون فرقة ولا اختــلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت » .

فالقرآن نزل أولا بلغة قريش ، ولمــا كثر العــرب الذين دخلــوا الاسلام بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وســلم للمدينة المنورة ، دعا ربه أن يسهل عليهم وأن يرفع عنهم المشــقة فى قراءة القــرآن الكريم — روى مسلم عن أبى بن كعب « أن النبى صلى الله عليــه وسلم كان عند أضاة بنى غفار — موضع بالمدينــة — قال : فأتــاه جبريل عليه السلام فقال : ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرتــه ، وان أمتى لا تطيــق ذلك » . وفيه « ان الله يأمرك أن تقرأ أمتــك القرآن عــلى ســبعة أحرف ، فأيما حــرف قرءوا عليه فقد أصابوا » . وفى رواية عنــده أيضا عن أبى « فرددت اليــه أن هون على أمتى » الحديث .

ثم لما زالت الصعوبة واســتقر

الامر وحدثت الخلافات بين القراء جرد عثمان لغة قريش التى عليها نزل القرآن أولا ، من تلك اللغات، روى البخارى عن عمر بن الخطاب مرفوعا « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه» وينقل ابن حجر عن أبى شامة أن القرآن نزل أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الالفاظ والاعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغة الى لغة أخرى ، للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ، ولطلب تسهيل فهم المراد » .

ثم يقول : « وتتمة ذلك أن يقال ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى أن كل واحد يغير الكلمة بمرادفها من لغته ، بل المراعى فى ذلك السماع من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويشير الى ذلك قول كل من عمر وهشام فى حديث آخر يشير الى اختلاف قراءتهما فى بعض السور « أقرأنى النبى صلى الله عليه وسلم » اهـ بتصرف .

وهذا الاقتصار من عثمان يصدق — كما هو الظاهر — على مواطن الاختلاف فقط ، بجانب كونه استبعد كل القراءات التى يصدق عليها أنها مما نسخ تلاوته، وأبقى على ما هو مستقر فى العرضة الثانية فى العام الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتى حضرها زيد بن ثابت ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى الجمع الاول ، وولاه عثمان كتابة المصاحف .

روى البخارى وغيره عن أبى هريرة قال « كان يعرض — أى جبريل عليه السلام — على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرا ، فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض » .

ويجب أن نعلم أن المعارضة لم يكن الغرض منها نسخ شىء من القرآن ، فان النسخ مرتبط

بالمصلحة التى تدعو اليه ، وهى فى جميع أوقات السنة ولا تختص برمضان وحده ، ولكن الغرض منها تثبيت وتقرير ما بقى من القرآن بعد النسخ ، زيادة فى الاحتياط .

وأما عن الطريقة التى اتبعت فى كتابة المصحف : فقد كانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، فاذا كانت صورة اللفظ خطأ تحتمل القراءتين أو القراءات المتعددة ، كتبوه فى جميع المصاحف بصورة واحدة، مثل لفظ « ننشزها » بضم النون وفتحها وضم الشين وكسرها مع الراء والزاى ، ولذا تعددت القراءات فى هذا الحرف .. الى غير ذلك من الامثلة .

أما اذا كانت القراءتان لا يحتملهما رسم المصحف ، فانهم يكتبون احدى القراءتين فى بعض المصاحف ، والاخرى فى البعض الآخر ، ويقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم الذى وصل اليهم ، مع تلقى ما فيه عن القراء المقيمين بينهم حسبما تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

مثال هذا : قول الله تعالى فى سورة التوبة « تجرى تحتها الانهار » فالمكيون يثبتون حرف الجر فيها ، وغيرهم يقرأها بدون حرف الجر ولا يثبتونها فى مصاحفهم .

اذن فهذه القراءات التى يقرأ بها اليوم وصحت روايتها عن الائمة جزء من الاحرف السبعة التى نزل عليها القرآن ، ومعنى قول أنس فى حديث البخارى « وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » ما يخالف مجموعها ولا يوافق واحدا منها ، ثم ان القراءة بجميع الاحرف لم تكن واجبة على الامة ، وانما كان مرخصا لهم أن يقرءوا على أى وجه من الوجوه ، بدليل حديث مسلم عن أبى « فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » .

والخلاصة : أن القرآن الكريم معجز ، ومتعبد بتلاوته ، ولا يكون كذلك الا بدوام حفظه بعيدا عن أيدى المغرضين والملحدين ، وصدق الله العظيم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

د / محمد أحمد يوسف القاسم

تصوير المأساة فى القصص القرآنى

بقلم الأستاذة / سنية قراعة

القرآن العظيم .. كلام الله هو نبعى الذى أغترف منه ، وأرتوى من قدس تدفقه الجارف فكلمات الله الحق لا تنفد ، وفيضها لا ينقطع : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » صدق الله العظيم .

والقصص عامة ، مادة محببة الى كل نفس ، شهية الى كل قلب، نهواها جميعا على تباين أعمارنا ومختلف ثقافاتنا واتجاهاتنا الذهنية ، فهى غذاء روحى وتسلية وجدانية فيها التسرية والترويح وفيها العبر، وفيها الحكمة والموعظة الحسنة وفيها فوق هذا تصوير صادق للعصر الذى نروى له ونحكى عنه .

وقصص كتاب الله الاعظم .. قصص القرآن الكريم .. قصص الخليقة منذ أراد الله لأرضه هذه أن تكون وأن يعمرها الانسان الذى جعله فيها خليفته ، ووكل اليه أمرها ، وجعل تعميرها أمانة فى عنقه، ورسالة كبرى عليه أداؤها باخلاص فى حدود العرف الطيب ، والسجايا الكريمة والطاعة والامتثال وعدم الخروج على الحدود .

كيف اذا بقصص القرآن وهى مرآة العصور التى تبدو على صفحتها الخالدة النورانية الدائمة الاشراق صور الاحداث الجسام

التى شهدتها الدنيا وعاشها البشر جميعا منذ خليقة آدم .

من عند خليقة آدم اذا أو قبل خليقة آدم بالذات تبدأ قصة الوجود الانسانى .. بل تبدأ أحداث الدراما الصاخبة الاولى على مسرح هذا الكون بأحداثها العنيفة وتسلسل حوادثها الرتيبة التى بدأت بالمصارحة بالخلف الآدمى وقدجمع الله القادر المنفرد فى ملكه ملائكته الاطهار وصارحهم بأنه جاعل فى الارض خليفة .

من هنا .. تبدأ « الدراما البشرية » .. بل التراجيديا الفاجعة الاولى . وهى تراجيديا التمرد الاول ، والعصيان ، والخروج على طاعة القادر الخلاق العظيم ، ساعة جمع الله الملائكة وكان بينهم شيطان اسمه ابليس .

وقد أسبق الاحداث فى تسلسل بحثى حين أتعرض للحياة فى السماء قبل دراما الخليفة ومأساة العصيان فلهذه الحوادث مجالها وزمنها ولكنى أقول ان القادر العظيم أمر ملائكته بالسجود لآدم

ولم يكن الامر بالسجود دعوة الى عبادة آدم أو اقرار بالخضوع له ، بل كان الامر بالسجود للقدرة التى خلقت آدم من طين من حمأ مسنون دبت فيه الحياة وأعطى العقل والحكمة والقدرة على التصرف فى الامور .

وسجد الملائكة كلهم الا ابليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه . ومن هنا ، وعند نقطة التمرد تبدأ الاحداث المثيرة ، الجدل والاخذ والعطاء .. ثم التوسل بالابقاء على الشر حتى يوم معلوم لاختبار معدن الانسان وعلى أى منهاج سوف يسير وهل يشكر ويحمد فيطيع أم يتمرد ويعصى ويكون من الكافرين .

وسارت « الدراما » سيرتها وطرد ابليس من جنة الله ، ومن رحمته ورضوانه لينتظر كما وعده الله .

وبقى آدم فى الجنة سيدا ، خليفة ، مطلقا يعرف كل شىء .. ويتحكم فى كل شىء ويسخر لارادته وأمره كل شىء ثم .. بدأ

الاحساس بالوحـــدة والشـــعور بالقلق يعتوران المخلـــوق الاول ، وقد وجد نفسه وحيدا ليس معـــه غير ظله فأحس وحشة ورهبة لعله ارتقى بالروح والضراعـــة خـــلال لحظاتهما الى الله خالقه وموجـــده أن يؤنس وحدته •

لقد رأى من قبل أرتال الملائكة وشهد الكثير من مخلوقات اللـــه ، ولم يجد غيره وحيدا ، فى موكب هذه المخلوقات ، ومن هنا واعتمادا على مكانته التى أحسها ، وثقة منه بأنه قريب وأثير عند الله ، طمـــع فى أن يكون له رفيـــق بل رتل من الاشياء هو الآخر فسأل الله ربـــه أن يؤنس وحدته بـــذلك الســـمير الذى يتمناه ويرجوه ليبعد عنـــه سأم الوحدة ويشاركه نعمة الوجود والتفرد فى ســـلطان الكون وخلافة الارض •

وعند ضراعة آدم وتوسله الاول الى الذات القادرة حدث التحـــول الثانى فى دراما الخليقة الانسانية دون تمهيد حدثى ، أو افتعال فنى أو مقـــدمات ارشـــادية الى قرب ظهور الحدث نفســـه أكثر من أن آدم أخذته سنة من الكرى داعبت عينيه فتمت معجزة الوجـــود ولم يكد الخليفة الاول على أرض الله يستيقظ من اغفاءته •• حتى وجد الى جانبه اليفته المؤنسة المسامرة وشريكته فى خلافته وحكمه •

وهكذا ظهرت حواء على مسرح الوجود وآدم لا يدرى انها انمـــا كانت بضعة منه • تكمله ويكملها ، وفى تآلفهمـــا الاســـتكمال الاول لحبكة دراما الخليقـــة وتزويـــدها بعنصر الفعالية وديناميكية الحركة والقدرة عليها بل •• والقدرة على العمل ، وأداء الوظيفـــة المحترمة لهذا الوجود على مسرح الكون •

وظهرت حواء •• النصف الحلو النـــاعم المتمم لخشـــــونة آدم ، المروض لضراوته ، الباعث له على الهـــدوء والارتيـــاح •• ظهـــرت تسبقها أو تصحب ظهورها بوادر وشـــارات ومميزات لم يكن للكون بها عهد من قبل •• الحنـــان •• والرحمة •• والتعاطف •• والحب والالفة •• والايناس •• والوداد

وراحة القلب •• واستقرار الوجدان •

ومع ظهور حواء بدأت الحركة النشطة فى دراما الوجود الازلية ، ولم يكد الخليفة الاول سيد الكون وقتها يرى سميرته الى جانبه حتى نفض عن كاهله تراب التكاسل ، وأسرع يقبل على العمل بروح جديد ، وقلب شغوب ، لاحساسه التام بأنه لم يعد مسئولا عن نفسه فحسب بل عن حواء قبلا منه ، وعن راحتها وارضائها •

ومرت الاحداث فى رتابة مستحبة ومع مرورها بدأ آدم يرى حواء بعينى الرجل المحب الودود وراح فى اعجاب يتطلع اليها وكلما زاد من تطلعه ، كانت تتكشف له فيها صفات ومزايا كانت تزيده تقربا منها وتوددا اليها ، ومن هنا كان خفوق القلب ، وتناجى المشاعر واستجابة العواطف وتمازجها •

تلك هى القصة •• بل هذه كانت ولا شك فاتحة « دراما » الوجود التى ارتفع عنها الستار فى مسرح ذلك العالم الكبير وقد بدأت الظروف تعد للاحداث والقدر يربط بأصابعه غير المنظورة شخوص الدراما بعضهم بالبعض الآخر •

ارتفع الستار فى المسرح الكبير بأكثر من ضجة وانفعال ومقدمات •

ارتفع الستار ، وقد أعد القدر الحكيم كل شىء •• وبدأت المسرحية الكبرى فى تتابعها وأحداثها فى نظام موضوعة حدوده مرسومة معالمه ولكن دون اجبار للابطال على الارتباط بفعال معينة، أو مفروضة ••• بل ترك لهم حرية العمل بايحاء من العقل وبعد النظرة والنظر الى الغد، والى العمل نفسه وتقدير نتائجه وما سوف يترتب على هذه النتائج من أحداث •

كانت الحدود قد رسمت والاوامر قد اعطيت ، ثم أصبح للابطال بعدها حرية التنقل و « الحركة ، والاحتكاك ، والارتباط » ثم التعامل حسبما يرون مع الالتزام الجاد بحدود الدراما وعدم الخروج على النص المقرر المقدر فلا افتراء ولا ارتجال

ولا تطاول ، ولا اساءة لتفهم معنى حرية العمل واساءة استعمالها .

وبـــدأت شخوص الـــدراما .. تتحرك وهى تشعر بجمالية الحركة وسعادة العمل ، وجلال الاحساس بالمقدرة .

بدأت شخوص المسرحية تتحرك وقد تكامل اعداد الشخوص الاولى البطـــــل والبطلـــة .. أو المحب وشريكته الحبيبة ثم الحاقد الناقم الحسود . الذى تشـــقيه ســـعادة الغير ويكره أن يرى الســـــعادة والوئام تسود وتغمر الاجـــواء . وتنعكس صورها فى قلب البطلين .

ظهـــر آدم ذلك المخلوق الاول الذى استخلفه الله عـــلى أرضـــه وعالمه الجديب الصـــامت ، ليملأه بالحركة والحياة .. وظهرت الى جانبه شريكته وأنيســـته حواء .. ومن قبل حواء ظهر اللعين ابليس الشيطان الحاقـــد الرجيم الـــذى توسل الى القادر أن يبقيه الى يوم البعث العظيم حتى يريه حقيقـــة معدن هذا الذى قضى بتكريمـــه ، واعلاء شأنه وتفضيله عليه .

وابليس الشيطان الرجيم اذا ، له عنـــد آدم ثأر خـــالد ، فهـــو لا يبغضه فحسب ، بل يكرس حياته للايقاع به ولكن .

ولكن آدم أصبحت له شريكة هى حواء .. وهى وان لم يكن بينهـــا وبين ابليس ثأر ولا توعـــد قديم فهى من آدم .. هى بضعة منه .. فكراهيتـــه لآدم والحـــالة هـــذه تنسحب عليها ولا شك ، وهو هنـــا وأمام هذا الازدواج الجديد ليس أمام عدو واحد هو آدم وحـــده ، بل أمام عدوين لدودين همـــا آدم وحواء .

وهكـــذا كان ظهـــور ابليس فى دراما الوجود البشرى هو الظهور العملى للحدث الحركى والدينامو المحرك لا لمســـيرة الاحـــداث بل لتحريكها حسب مقتضيات ظروف اللعين ونظرته ، فهو هنا بمثـــابة المخرج الذى فرض نفسه وظهـــر ليفسد نظـــام الاخـــراج الكونى المقرر لدراما الوجود .

كان النظـــام المقـــرر حســـب التخطيط الاول « للدراما » الخالدة

أن تسير وفق حدود الطاعة والشريعة .. ولعل المخرج الشرير وجد بنظرته الاجرامية اللعينة ان مسير احداث الدراما على ذلك النمط الرتيب المقرر المحدد بالطاعة وثوابها والامتثال وشرائحه فيه ما يبعث على السأم ويجعل من الحياة نفسها والدراما الخالدة له شخوص « الدراما » أنفسهم فى البداية فلابد وأن يضيقوا به ويتمردوا على رتابته .

ومن هنا .. ومع ظهور ابليس وتصديه ليلعب دور المخرج الذى فرض نفسه على أحداث الدراما وأصر على الجنوح بها وفق رياح حقده ، وأهوائه .. من هنا ، بدأت الدراما تتشكل بشكل جديد وتأخذ صورة حركية مفتعلة فيها اثارة وفيها صراع ثم فيها بعد ذلك نهاية أو وقفة اجبارية أمام نهاية فرضت فرضا على أحداث الدراما وان لم يكن لها موضع من قبل .

ان خلق آدم .. ومن صلصال من طين تطؤه الاقدام .. ثم تمييزه بعد ذلك على ملائكة الله المخلوقة من النور .. ثم على ابليس الجنى المخلوق من النار .. أقول ان خلق آدم ثم ظهوره دراميا مع احداث الوجود يعتبر فترة تمهيد واعداد للمأساة وللاحداث الدرامية المتتابعة بعدها فى سباق قصة هذا الوجود ، ذلك لان الله الذى يسأل ولا يسأل ، ويفعل ما يريد وما يشاء قد ميز آدم على ملائكة السماء الاطهار العابدين المسبحين بحمده . المطيعين له ، فجعلهم يسجدون لآية القدرة فيه والابداع فى خلقه أصلا وفعلا وان ظن اللعين ابليس أن السجود انما كان لشخص آدم نفسه ، فكرة أن يكون معبودا ، وأن يكون له عابدا ومن هنا كان التمرد الخطير والخروج البغيض على قانون الطاعة والعصيان المقوت لأمر الله القادر ، الصبور الذى أبى بجوده واحساناته وبره بمخلوقاته جمعاء الا أن يعطى اللعين العاصى فرصة للتوبة ، أو فرصة أخرى للحياة فى أحداث .. دراما التمرد والخروج ليجرى آيات مقدرته وأسلحة تطاوله ثم يرى الى أى

مدى سوف تصل به . وهل تـراه يستطيع المضى قدما . أم أن الضنى والكلال سوف يعتورانه . فينـدم ويعود ذليلا مقهورا طالبا المغفرة والعفـو ، حيث لن يكون هنـاك مجال للمغفرة والعفو والسماح .

وتمرد الشيطان الرجيم ابليس فى السـياق الـدرامى لاحـداث ومشاهد الدراما هو الحدث الحركى المعبر فى افصاح واضح عن حقيقة النفس الحاقـدة ، والوجـدان السقيم ، والقلب الاسـود المليء بالسخائم المفعم بحمـولات الشر التى كانت فى حقيقتهـا شخوص غامضـة فى درامـا جانيـة ، من درامات الشعور الحاقد والاحساس البغيض . كانت أحداثها تصطرع فوق خشبة مسرح خفى معبرة عن الهـواجس الشـيطانية والقلـق المصيرى ، والتطلعـات الجامحـة والتمرد على الناموس حتى لقـد تمنت فى تطلعهـا الانطـلاقى أن تتملك ما لم يكن من حقها أن تتملكه وأرادت الاستئثار بما لم يقـدر لهـا من رزق وأعطيـات ومنـح رحمانية ، لتشبع حاسة الرغبة فى التعالى والتفرد والتحكم الكامنـة فى ظلمات ضميرها متصورة بهـذا انها تستطيع أن تنفرد دون غيرها بكل اعـزاز وتبجيـل وتكـريم واعظام .

واللعين المتطلع فى تلهف نفسـه على الاستئثار بهذه المزايا ، انما كان يتصور أنه افضـل من آدم ، وأعلا قدرا وأطهر خلقا ، اذ خلق من نار فى حين خلق غريمه من طين لازب حمـأ مسنون مع أنه بشىء من الروية واعمال العقل فى حدود شرائع الطاعة والخضـوع يعرف أن مصير النار التى يباهى بهـا ويفاخر ويتعالى — انما سـيكون الى « رماد » ابن النار غير نـاتج من نتاجات أو نواتج الطين .

وتصـطرع دراما الوجـود ، وتتصاعد احداثها حتى تبلغ قمـة الصراع بين الخـير والشر .. والطاعة والخضـوع .. ويفلح الرجيم بدهائه وأسـلوبه المقيت الخادع فى العبث بالبطلين غريميه فتكون الزلة ، وتكون المعصـية الثانية فى دراما الوجـود ويكون الجـزاء .

ان ناموس الوجود يقضى بأن الشر مهما تعاظم ومهما استطاع ان يحقق من ظفر وانتصارات فان الدائرة حتما سوف تدور عليه وتحيط به فتضيق حتى ليعجز عن الحركة ، ويستشعر العجز والضعف والتهاوى والخذلان ويعرف ان ظلمه الذى امتد وارفا وظنه ظليلا لم يكن غير وهم لا وجود له ، وانه جاء الوقت لينحسر ويتقلص ويتراجع وتضيق دائرته تلك التى كانت شديدة الاتساع وانه قد جاءت الساعة المحتومة .. ساعة النهاية المقررة التى يجب ان يختفى فيها وأن يزول كما تختفى الاخيله من ذهن حالم الاشباح من خيال مذعور ملأ بالأمل قلبه مطلع نور الصباح وبهذا وتمشيا مع فرضية قانون الوجود . وحتمية هزيمة الشر واندحار قواه تعلو راية الخير ، ويتعاظم أمره وتكون الفرحة الشاملة والسعادة والهدوء والاستقرار .

اذا .. وعند معصية آدم وحواء ، واقدامهما على طاعة الحقود اللعين الذى أذلهما ، فتم له بذلك النصر الوقتى فى بدايه معركة الوجود .. وعند هذه المعصية نجد أنفسنا أمام وقفة تفرضها حرفية الدراما وتحديث احداثها . ثم تصاعد شدة الاحداث حتى تبلغ الذروة ، او حتى يحدث ما نسميه أو ما قد اصطلحنا على تسميته فنيا باسم الاثارة والتساؤل وأيضا .. التلهف والتشويق وربط المشاهد بالحادث نفسه برباط الفضول والرغبة العارمة فى معرفة ما سوف تجىء به الوقائع أو تفرضه حركية الاحداث وتفاعل الصراع الذى تعودنا ان نراه وقد تشتد عند الهزيمة غير المتوقعة .

فعند حدث المعصية الثانية فى تاريخ الوجود .. معصية آدم وحواء بتحريض من الشيطان لهما وانتصاره عليهما .. ثم حدث خروجهما بعد ذلك من الجنة مطرودين . تماما كما خرج الشيطان من قبلهما مذموما مدحورا .. عند حدث هذه المعصية تنتهى أو يسدل الستار

على القسم الأول من « دراما » الوجود الخليقى كلها •

ونحن حين نقول « تنتهى » لا نقصد نهاية محتمة ، بل نهاية هى العرف الدرامى لتسلسل الحادث •• استراحة قليلة يفسح فيها المجال للفكر كى يتخيل ويتصور ويستعد فى تلهف وشوق للاندماج مع بقية الاحداث القادمة المتممة للدراما التى انتهت فنيا لتبدأ من جديد وفى صورة أكثر اثارة وتشوقا فتخرج من نطاق الى نطاق ، ومن حيز محدود الى أكثر من حيز غير محدود ، وعلى أكثر من مسرح فسيح متعدد الديكورات متعدد الشخوص متعدد الفرص والمناسبات والظروف •

ومن هنا •• وعند معصية آدم وحواء واسدال الستار على القسم الاول من دراما الوجود الخليقى يبدأ القسم الثانى وهو القسم الحركى السائر للزمن وتطوراته وتصاعد الاحداث وتعدد وحداتها الزمنية والمكانية •

والى اللقاء فى عددنا القادم بمشيئة الله ••

سنية قرأعة

النقد العربي القديم والمنهجية

رد على مقال الدكتور عبد القادر القط

للدكتور / محمد ابو موسى

لاريب أن دراسة الشعر والأدب تحتاج الى معارف كثيرة لابد أن تتوفر عند الدارس ، ومن أهمها المعرفة بأسرار اللغة وطرائقها فى الابانة عن أسرار النفوس وخوافى الضمائر ، والعربية غنية فى هذا الباب فى نظامها وطرائق سبكها وصوغها للمعانى ،ثم هى غنية من حيث الدراسات الجادة التى استهدفت كشف هذه القدرات البارعة ، وبيان ما تنطوى عليه من لطيف الحس ، وسرى المخرج ، وعجيب التركيب والترتيب كما يقول الاستاذ الرافعى رحمه الله .

وهذا باب واسع ، ودقائقه ولطائفه غلبت عقول أهل العلم فأنصرفوا نحو هذا اللسان يسبرون أغواره ، ويستخرجون حكمته ، فى افراده وجمعه ، واشتقاقه وجموده ، ومجرده ، ومزيده ، واعرابه وبنائه ، وكيف صارت الكلمات رهفة حساسة ينبعث منها نقيض معناها اذا اهتزت فى فم قائلها اهتزازة خفيفة لا يفطن اليها كثير من الناس .

وقد كان الشعراء والأدباء يأخذون من هذه الأبواب حظوظا موفورة ، ويلزمون حلقات أهل العلم فى النحو واللغة والتصريف والاشتقاق ، ويحيطون بالنادر والقليل ، ويحفظون الشاذ والمسموع ، ويعلمون المقيس والمطرد .

فهذا أبو نواس الشاعر الذى

عرف بما عـرف به يقـول عنـه ابن الانبارى « اختـلف الى ابى زيد الانصارى ، وكتب عنه العريب وحفـظ عن أبى عبيـدة معمـر ابن المثنى ايام الناس ، ونظر فى نحو سيبويه قال عمرو بن بحـر الجاحظ ما رأيت رجلا أعلم باللغة من أبى نواس » (١) .

ويقول عنه الاستاذ محمد بهجة الأثرى « ظل رئى الشعر يراوده ولا يزايل خياله ، وشعر بطاقتـه الشعرية ، وأراد أن يكون شـيئا ذا خطر ، فأقبل على حلقات العلم والأدب فى مسجد البصرة ، ليأخذ منها زاده » ، ويذكر أن يعقـوب الحضرمى امام القراء رمى اليـه بخاتمه وقال له أذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وأنه قـرأ الفقـه فأتقن الأحـكام والفتيـا ، وروى الحديث عن كبار ثقـاته ، ورواه عنه جماعة ، عـد منهم ابن عساكر الجاحظ والامام محمد بن أدريس الشـافعى ثم اسـتدرك الاستاذ بقـوله « لكنـه ورد فى رواية عن الامام الشافعى انه قال لولا مجـون أبى نواس لاخـذت عنـه » (٢) .

وقالوا اجتمع أبو الطيب هـو وأبو على الفارس فقال له أبو على كم جاء من الجمع على وزن فعلى ــ بكسر الفاء وسـكون العين ــ فقال المتنبى حجلى وظربى جمع حجل ــ بفتحتين وظربان ــ بفتح فكسر ــ قال أبو على فسهرت تلك الليلة التمس لهما ثالثا فلم أجد ، « والحجل طائر كالقطا لحمه معتدل، وكانوا يستشفون بكبـده ومرارته ــ والظربان دويبة منتنة الريح »

وأخبار مناقشـة الشـعراء للغويين والنحاة فى علم العربيـة أخبار مستفيضـة وكثـير مـن الدارسين يصرفون هذه الأخبـار الى أنها نبذ من الشعراء لقوانين اللغة والنحو ، وهذا خطأ ، وانما

---

(١) نزهة الألبا فى طبقات الأدباء ص ٦٥ .

(٢) مقدمة تفسير أوجوزه ابى نواس لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثرى مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

هو اعتقاد الشعراء أن ما حصلوه من أسرار اللغــة ، وفطنــوا له بالسماع والمدراسة أوسع وأعمق مما حصـــله النحاة واللغويون ، وهكذا كانت مهارشات المتنبى لابن خالويه وغيره ومن قبله الفرزدق للحضرمى وغيره ، ومراجعة هــذه الأخبــار صريحة فى الدلالة عــلى ما نقول وهذه واحدة •

حكى ابن الانبــارى أن المتنبى لما أنشد سيف الدولة ابن حمدان قوله فى مطلــع بعض قصـــائده « وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه » كان هنـــاك ابن خالويه فقـــال له يا أبا الطيب انما يقال شــــجاه توهمه فعلا ماضــيا ، فقـــال أبو الطيب اسكت ، فما وصل الأمــر اليك ، قلت انما قصد أبو الطيب بقوله أشجاه أكثر شجا لا الفعل الماضى »(١) •

واذا كان الشعراء على هذا الحد من فهم العربية وأسرارها فلابد أن يكون النقاد الذين ينهضون بدراسة شــــعرهم ، وتحليله ، وكشف غوامضه ومكنون أسراره من أهــل البصر والفقه باللغــة ودقائقهــا ، ولابد ان يكــون قد اتيح لهم من صحة الطبع ومواتاته ما يهيئهم الى الفطنة لخوافى الشعر ودقيق رمزه وبعيد وحيه ، وهكـــذا كان أهل الرأى منهم •

وهؤلاء الذين توفرت لهم المعرفة الواســعة والعميقة بالشـــعر ، وما يتصل به وتوفر لهم الطبـــع المعين هم من عيون علماء الأمة ، وقد كان يتطفل على بابهم هــذا كثير من الأدعيـــاء ولكن هؤلاء المتطفلين سقطوا وذهبوا كالفقاقيع التى تشغل فراغا كثيرا فى حياة كل جيــل ثم يذهب أثرها بذهابهــا وتصير نسيا منسيا • وبقيت آراء أهل الرأى معالم راشدة لطــلاب أسرار الشــعر والبيان ، ولا ريب أنهم متفــاوتون فيما بينهم تفاوتا شديدا ، وقد نبه العلماء الى أن مراتب العلماء فى بعض العــلوم تتدانى ، وتتقارب أقاصى أطرافها،

---

(١) نزهة الالبا ص ٢٢٣ .

وفى بعض العلوم تتباعد تباعدا شديدا « ويقع فيها الاستباق والتناضل ويعظم فيها التفاوت والتفاضل » وذلك راجع الى ما فيها « من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر،ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار » (١) وهكذا كانت طبقات أهل العلم بالشعر .

**

وقد كتب الاستاذ الدكتور عبد القادر القط مقالا فى مجلة الفصول العدد الثالث موضوعه النقد العربى القديم والمنهجية ، شغل ثمانى عشرة صفحة ، صنف فيها النقد العربى القديم من حيث العناية بالدراسة النظرية والدراسة التطبيقية ومن حيث النزوع الى التقنين البلاغى أو رحابة النظرة القدية ، وعرض بعض الملاحظات العامة التى تستوعب التراث النقدى بكل هذه الاتجاهات ، ثم تناول بالدراسة والتحليل جهود الآمدى فى الموازنة ، وعلى بن عبد العزيز الجرجانى فى الوساطة مثالين للنقد التطبيقى ، ثم تناول قدامة فى نقد الشعر وابن طباطبا فى عيار الشعر وعبد القاهر فى دلائل الاعجاز ، والقرطاجنى فى منهاج البلغاء .

ولايمكن لمقال أو كتاب أو باحث واحد أن ينهض بدراسة جهود هؤلاء النقاد ، وأن يكشف أصول مذاهبهم فى تناول الشعر ومن الغريب أن يتعرض الدكتور القط فى مقال لتراث الأمة من هذا الجانب مع سعته وعمقه ، وقد أنكر على غيره ان يكتب كتابا موضوعه «ما هو الأدب» وقال انه عنوان كبير لا يمكن الاجابة عليه اجابة شافية فى مثل هذا الكتاب (٢) .

والغرابة ان يضيق كتاب بتعريف الأدب ويتسع مقال لشرح مناهج النقاد فى اطوار مختلفة ، واحقاب متباعدة ، واجيال من الشعراء

---

(١) مقدمة الكتاب .

(٢) قضايا ومواقف للدكتور عبد القادر القط ص ٧٧ .

والعلماء والرجال مارت بهم الأيام والأحـداث مورانا أرهق التاريخ !

وكان المفيد أن يقف قلم الدكتور عبـد القادر على فكرة صـغيرة خـافية وأن يسـتخرج منها دقائقها وأن يلفت من خلالها الى حقائق تفتح طريقـا للنظـر امام طلاب العلم •

وقـد بـدأ المقـال بجملة من التجاوزات لا نستطيع أن نقف عند كل واحدة منها

وحسبنا ان نلم ببعضها •

ذكر الاسـتاذ أن كتب الطبقات ليست فى الحقيقة تراثـا نقديـا ، وانما هى تراجم يعرض المؤلف فى مقدمتهـا بعض القضـايا النقدية عرضا موجزا كطبقات الشـعراء لابن سـلام الجمحى والشـعر والشعراء لابن قتيبة » •

ولهذا التصور لم يقف الاستاذ عند هذه الكتب ولم يدخلهـا فى حسـابه فانصرف وصرف عنهـا ، والواقع أن هذه الكتب مشـحونة بآراء فى مبانى الشـعر ومعانيـه ومراجع المزية فيـه ولا تجد فيهـا شاعرا الا وفى طى الكلام عنه كلام فى شعره وطبعه ونقده وقد يكون هذا رأى المؤلف أو روايـة رواها أهل الأدبثم هويقبلها أو يرفضها وهذا كله مما يحتاج فقهه عند أهل العلم الى صبر ومدارسة وحسبنا هنا أن نشير الى ما ذكره الأستاذ محمود شاكر حين تأمل صنيع ابن سلام فى تأليف طبقات الشـعراء وأنه أقامه على أساس التشـابه فى الشعر غير ناظر الى مراتب الزمن، وأن هذا أجود فى تاريـخ الشـعر وتاريخ نقده من تقسيم المحـدثين ثم هو ــ « دليل على حسن بصر ابن سلام بالنقد وجودة معرفتـه بالشعر ، ودليل على أنه نهج لكتابه نهجا يحتاج الى دراسـة دقيقـة متقنة يرجع فيها الى طريقته التى سلكها فى وضع كل أربعة فى طبقـة وزعمه أنهم « متكافئون معتدلون » وهذا أمر يتطلب افاضة ليس هذا مكانها » ثم يقول الاستاذ مؤكدا أن فى طى كتاب ابن سـلام أصـولا يجب أن يتوفر أهل العـلم عـلى استخلاصها وتجليتها وفقهها ، وأنه « سيبقى أمر كتاب طبقات فحول الشعراء بعـد ذلك محتـاجا الى

دراسة وتفصيل ، وتتبع ، وتفلية ، وفقه لأصول ابن سلام فى النظر ، ولأسسه التى بنى عليها نقده فى الشعر ، وهو خليق بأن تبذل فى دراسته الأعوام ، لأنه أقدم كتاب وصل الينا من كتب قدماء ونقاد الأدب والشعر بل لعله طليعة كتب النقد فى الأدب العربى ، وهو حقيق بهذه المنزلة من التقديم والاجلال » (١)

**

ثم ذكر الأستاذ عبد القادر القط أن أغلب النقاد لم يشغفوا بالأدب شغفا معروفا متصلا، أو يتخصصوا فى دراسته ونقده ، فقد كان معظمهم من الفقهاء والمحدثين والقضاة واللغويين »

وهذا كلام لا ينهض مع ما هو مشهور عنهم من أن العلم أى نوع منه لا يؤتيك بعضه حتى تؤتيه كلك ، وأنه عصى عليك ومتأب ونافر حتى تنصرف اليه وتصدق من كدك واخلاصك ، ثم لابد مع هذا أن تكون قد رزقت طبعا مهيئا للعلم الذى تروم ، وهذا الطبع مهم لأنك تنفذ به الى اسرار العلم ، وتتذوق مسائله ، وتصبح من أصحاب الشأن فيه ، وهذا كلام مشهور جدا . ومن المستحسن أن تقتبسه من الا مدى قال « لأن العلم أى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه ، والاكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه ، ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ، ويتسهل عليه ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرىء انما يتيسر له ما فى طبعه » (٢) .

أما وجوب التوفر على دراسة الشعر والنظر فيه ،والتمرس على معرفة خوافيه ، فذلك أيضا مشهور من كلامهم ، وقد رفضوا تطفل غير أهل العلم بالشعر على بابه ، ورأوا فى زمانهم ما نرى فى زماننا ، رأوا هذا الوهم الذى ركب كثيرا من النفوس فظنوا

---

(١) مقدمة طبقات فحول الشعراء ص ٦٥ ، ٦٩ .

(٢) الموازنة ص ٣٧٨ .

أن كل من فهم الشـعر ، على وجه ما يصير من أهل الحكومة فيـه ، وأنكروا هذا وحرصوا على أن يظل أهل القضاء فى الشعر هم نقـدته الذين مارسـوه وخبروه ، ومهروا فى معرفة بصيره .

قال الآمدى « ان العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل أحد ، وأن يتعاطاه من ليس من أهله » ثم بين أنه من الخطأ أن تظن أنك « متى تعرضت له وأمررت قريحتك عليه نفـذت منـه ، وكشـفت لك عن معانيه ، وهيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا » .

ويذكر عبد القاهر أن معرفـة بلاغة الشـعر لا يكتفى فيهـا بالقول المجمل ، ولابد من تفصيل الدقائق ، وتحصيل الخصـائص ، وعدها واحدة واحدة ، وتسميتهـا شيئا شـيئا وهـذا محتـاج الى « صبر على التأمل ، ومواظبة على التـدبر ، والى همـة تأبى لك أن تقنـع الا بالتمـام ، وأن تربـع الا بعـد بلـوغ الغـاية ، ومتى جشمت ذلك ، وأبيت الا أن تكون هنـا لك فقـد أممت الى غـرض كريم » (١) .

وهناك صـعوبة أخرى لابـد لطالب علم أسرار الشعر والأدب أن يتجشمها وهى فوق تحصـيل خصائص الشعر وطول النظر فيه ، — دراسة تجربة النقـاد قبلـه ، واكتسابها ، وتحصيلها تحصـيلا مستنيرا واعيا ، ومرجع الصعوبة فى استيعاب هذه التجربة أنك اذا قرأت مقالتهم وجدت جلها أو كلها لا رمزا ووحيا وكناية ، وتعريضا ، وايحـاء الى الغـرض من وجـه لا يفطن له الا من غلغل الفـكر ، وأدق النظر ، ومن يرجع من طبعه الى المعية يقوى معها على الغامض ويصل بها الى الخفى » (٢) .

وغريب أن تقرأ للأستاذ الدكتور القط أن الانشغال بالحديث واللغة والفقـه انصراف عن الأدب لأن هذه العلوم الثـلاثة من صـميم

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٧ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٨٥ .

دراسة الأدب ، فالحديث كلام من أو فى جوامع الكلم صلوات اللـه وسلامه عليه ، وهو افصح العرب بيد أنه من قريش وطول النظر فى كلامه صلى الله عليه وسلم ارهاف للنفس ، وترقيق للسان ، وتثقيف للطبع ، وهذا كله معين على ذوق الكلمة فى الشعر والأدب •

أما النحو فهو علم العربية الذى لا يستقيم فهمها والتعـرف علـى أسرارها فى غيبته ، وقـد رأينـا الشعراء يجلسون الى شـيوخ النحو ، ويستكملون البراعة فيه ، كما فعـل أبو نـواس والمتنبى وغيرهم ، ولا يجوز لدارس شعر هؤلاء ان يجهل ما علموه من أسرار بناء الكلام ، الا اذا تكلمـوا فى الشـعر عن التشكيل ، واللوحة واللون والحركة وما يشـبه ذلك مما يقوله نقادنا ، وهو كلام غير نافق عند أهل العلم •

أما الفقـه فانه التقاط النقاط لأغمض وأدق دلالات الكلام المبين والذى يقوله الفقهاء فى وجـوه اسـتمداد الأحكام من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فيه فطنة لخفايا معانى الكلام تفوق فى كثير منها فطنة أهل الشـعر لما يوحى به •

ولعل هذا هو الذى دفع بأبى نواس وغيره من الشـعراء الى حضور مجالس الفقهاء والأخـذ عنهم ، وقد قدمنا ما ذكره الاستاذ محمد بهجـة الأثرى من أن أبـا نواس لما أحس بطاقته الشـعرية درس الفقه والأحكام وأتقن الفتيا مع القراءات والحـديث والأخبار والشعر ، كل ذلك عند أبى نواس قادر على أن يفتـق لسـانه بحر الكلام ، واذا كان الشعراء يطلبون علم الفقه لصقل مواهبهم فالنقاد أولى بذلك لأن الناقد عليه ــ فيما عليـه ــ أن يحيط بمـا أضـمره الشاعر من كـلامه من تجـاربه ومعارفه •

ثم يقول الاستاذ « وكذلك لم يعرف نقدنا القديم النظرة الكليـة الشاملة بل ظل فى أغلبـه نظرات جزئية منثورة فى ثنايا كتبه » •

وقد تكرر هذا المعنى كثـيرا فى المقال وهو معنى يتكرر عنـد كثير من الـدارسين ، ويشـيع بينهم

شيوع الصواب ، واذا نقر عنه انكشف عن خطأ كما يقول شيوخنا، فالآمدى والجرجانى وقدامة ومن قبلهم ابن سلام وغيرهم كانوا يصدرون فيما يكتبون حول الشعر عن أسس وأصول اعتبروها فى تحديدهم مراتب الكلام ، وفى قبوله ورده ، وواجبنا هو البحث عن هذه الأصول العامة ، والتعرف عليها ، على حد ما ذكر استاذنا الاستاذ محمود شاكر •

ثم ان الأمدى وغيره يذكرون أصولا عامة ومختلفة عند المتذوقين للشعر ، ويشرحون مذاهب متباينة فى استحسان الكلام وبيان مراجع المزية فيه ، ويتخيرون من بين هذه المنازع وجها يحتشدون له ، ومنزعا يتجهون اليه ، وهذا شائع جدا فى كلامهم ، وقد ذكر الامدى فى صدر كتابه مذهب من يميلون الى شعر البحترى ، وشرح هذا المذهب وأبان عن أصوله ، وكذلك من يميلون الى شعر أبى تمام ، ولهذا لا يصح عندنا ما ذهب اليه الاستاذ من أن الآمدى « لم يستطع أن يقدم صورة واضحة لمفهومه الجديد وسماته الفنية » وكيف يصح هذا وقد ذكر الآمدى حجج القائلين بتفضيل أبى تمام ، وهى فى جوهرها شرح لمذهب أبى تمام ، ودفاع عنه ، وذكر أيضا حجج الطاعنين على شعره ، وهى فى حقيقتها تحليل لما يرد على هذا المذهب ، وكشف لمواضع الغميزة فيه ، وهكذا كان الحوار بين الفريقين حوارا يهدف الى شرح وتحليل ومناقشة الطريقين بصورة محتشدة وجادة•

ثم اذا كان المراد بالنظرة الشاملة ما يشمل القصيدة فقد تجاوز القدماء فى شمولهم القصيدة الى ديوان الشاعر كله ، والذى نراه من المفاضلة بين الشعراء وتنزيلهم فى منازلهم ليس الا صريح ذلك •

ومسألة النظرة الكلية ، والنظرة العامة ، وفقدان النظرية ، وسمات التجديد ومفهوم الجديد ، وروح العصر وما شابه ذلك كلمات شاعت فى الحياة الفكرية منذ طه حسين وأمين الخولى • وقد الح الشيخان على هذه الكلمات حتي لاطت

بعقول تلاميذهم الذين أصبحوا أساتذة كبارا وهذه الألفاظ ناشبة فى أفواههم فشاعت وشاع مايتصل بها ، كالظاهرة والرؤية الجديدة ، وغيرها مما يراه الناس دليل المعاصرة ، وصار قسمة بين العلوم فهناك نظرية العامل ، وظاهرة الاعراب ، ونظرية النظم ورؤية جديدة فى الشعر القديم أو فى النحو ، وصار ناشئة العلماء يفتحون أفواههمحين يفتحونهاعلى كلمة التجديد والنظرة الكلية ، وتخلف النظرة الجزئية ، ومثل هذا مما هو أشبه بعبث الصبيان الذى تبددت بسببه طاقات أهل العلم •

وذكر الاستاذ أن الآمدى لم يهتد الى مصطلحات محددة المفهوم ، واضحة الدلالة كقوله مثلا فان كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى اشعر عندك ضرورة ، وان كنت تميل الى الصفة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوى على ما سوى ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة وقد تستطيع أن تستشف ما وراء تلك العبارات « الانطباعية » من احساس عام بطبيعة شعر هذين الشاعرين لكن الناقد فى دراسته التطبيقية لم يهتم ببيان مافى شعر البحترى من صحة السبك ، وحلاوة اللفظة ، وكثرة الماء والرونق عن طريق التفسير والتحليل فيقترب بمفهومها عند القارىء من معنى المصطلح ، ويزيل ما يلفها من غموض فى حديثه النظرى » •

وقبل أن أذكر ما أردته من ذكر هذا النص أنبه الى شىء يتعلق بمسألة النظرة الكلية التى ذكر الاستاذ أنها مفتقدة فى النقد القديم ، وقلنا ان الاستشهاد لها من كلام الآمدى كالتكلف لشيوعها فيه ، وها نحن نراها واضحة من هذا النص الذى اقتبسه الاستاذ وذلك من جهتين •

الجهة الأولى ما تراه من وصف الأصول الفنية العامة التى جرى عليها شعر البحترى ، وكذلك

شعر أبى تمام ، وأن لكل منهما مذهبا فى الشعر ، وهذه خصائصه العامة وقد ورد تحليل مزيد منها ومن غيرها فى ثنايا الكتاب ، وقد أدرك الاستاذ ذلك فى النص الذى بين يديه ، وقال « قد تستطيع أن تستشف .. الى آخره ولكنه وجد أن هذا سينقض ما قاله أولا من فقدان النظرة الكلية لأن من أحس بطبيعة شعر الشاعر فقد استشرف الى الاحاطة الكلية فاستدرك الاستاذ بقوله « لكن الناقد فى دراسته التطبيقية لم يهتم .. الى آخره .

الجهة الثانية ما نراه من تحديد الخطوط العامة للأسس النقدية عند من يستجيدون شعر البحترى، وكذلك من يستجيدون شعر أبى تمام .

أما ما أريد أن أعقب به على هذا النص فهو قوله « ولكن الناقد فى دراسته التطبيقية لم يهتم ببيان باقى شعر البحترى من صحة السبك .. الى آخره وهذا صريح فى أنه لولا غموض هذه المصطلحات لكان الآمدى من أصحاب النظرة الكلية عند الكاتب الفاضل .

والذى عندنا أن صحة السبك وحسن العبارة ، وحلاوة اللفظ ، وكثرة الرونق ، وما شابه ذلك مما كان يجرى على السنة النقاد لم يكن غامضا عندهم وانما كان واضحا ومحدد الدلالة تحديدا بينا . ودليلنا على ذلك أن عبارات أغمض منها كان يقضى بها أهل الرأى فى خلافات الشعراء فتقع عند المتخاصمين بينة مقنعة ، وتروى كتب الأدب أن الزبرقان ابن بدر ، والمخبل السعدى ،وعبده ابن الطبيب ، وعمرو بن الاهتم ، تذاكروا فى الشعر وادعى كل منهم أسبقيته فيه ، وتحاكموا ، فقال الحكم أما عمرو فشعره برود يمانية تطوى وتنشر، وأما الزبرقان فكأنه رجل أتى جزورا قد نحر فأخذ من أطايبها وخلطه بغيره ، وأما المخبل السعدى فشعره شهب من الله يلقيها على من يشاء من عباده ، وأما عبدة فشعره كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منه شىء » .

لا ريب أن هـــذه العبارات التى قضى بها الحكم فى هذه الخصومة أغمض من صحة السبك وحســـن العبـــارة وحـــلاوة اللفظ وكثـــرة الرونق ، ولا ريب أيضا أنهـــا لو كانت غير مفهومة عند من حكمـــوه ما نطق بها ، لأن الحاكم فى أمـــر لابد أن يكون حكمه مفهوما وكلامه محددا ، وما كان له أن يتكلم بين هؤلاء وهم وجوه تميم وأهل الرأى فيهم بكلام غير مفهوم . ثم انـــه قيل عن شعر عمرو بن الأهتم يعد هذا « الحلل المنشرة » وذلك قاطع فى اصابة الحكم واستيعاب البيئة لمضمونه .

والفرق فى الغموض بين هـــذا وكلام الآمـــدى هـــو الفـــرق فى الزمن ، والتغـــيرات الأدبيـــة فى البيئات . وهذا الكلام أســـبق بكلام الآمـــدى بقـــرون أربعـــة الا قليلا ، وعمرو بن الأهتم هـــو الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سماع شـــعره ان من الشعر حكما وان من البيان سحرا ، وكان قد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد قومه .

وكتب الطبقات مشحونة بهـــذا ومثله ، وقـــد أبان العـــالم الثبت الاستاذ محمود شاكر كثيرا من هذا المعجم فى دراسته لكتاب طبقـــات فحول الشعراء .

وعصر الآمدى من العصـــــور التى لا تزال فى نفوس أهله بقية من طبع ، ولا يزال كثـــير من أهل البادية على السنن الخالص .

وفى القرن الخامس الهجرى كان التحول واسعا ظاهرا ، ووهن مافى طباع الناس مما يعينهم على فهم مثل هذه الأوصاف ، فاتجه أهـــل العلم الى شرحهـــا وتحليلهـــــا وتحديدها تحـــديدا علميـــا بينا ، وكان من أبرز من تنبهوا الى هذا ، وعنوا به واحتشـــدوا له الامـــام عبد القاهر ، وكتابه دلائل الاعجاز مشـــــحون بشرح هـــذا المعجم النقدى ، وتحديد مرادهم باللفظة القلقة ، واللفظة المتمكنة (ص ٣٢) وشرف اللفظ ، وتزايـــد المعـــانى (٤٣) وجودة الســـبك وصـــحة الطبـــع (٢٨٦) وجـــزالة اللفظ (٢٨٥) وأمثال هذا كثـــير وهـــو بـــاب من أبـــواب العلم يجب أن

يفرغ له من يتتبع تطوره بحــذق وبصر لأن تطور هذه المصطلحات قياس دقيق لقيـــاس الســليقة اللغوية ، وما طرأ عليها فى العصور المتعاقبــة حتى القرن الخــامس الذى انضبط آمرها فيــه ضبطــا علميا محددا .

ومع أن عبد القاهر كان شديد الحرص على بيان المراد ، ووضع اليد عليه رأينا الخالفين من بعــده أحسوا أن بعض ما كان واضــحا فى زمان الشيخ صار فى زمــانهم ملبســا بعض اللبس فتنــاولوا بعض مصــطلحات عبد القـــاهر بالتحليل والشرح ليقربوهــا الى أهل زمانهم ، وهذا واضح فيمــا صـــنعه الخطيب القــزوينى فى مصطلحات عبد القاهر الأساســية كالنظم ، وقد جهد عبد القاهر فى بيانه حتى لم يدع فيه منزعا ولكن الخطيب فى القرن السابع أعــاد صياغة شرح هذا المفهوم فى ضوء ما سبقه من تحليلات أهل العــلم لفكر عبد القاهر . وهذا التعاقب يوجب علينا تدرجــا فى المتابعــة والدراســـة ، فلأجــل أن نفهم عبد القاهر فهما صحيحا لابد أن نفهم الخطيب القزوينى أولا لأنه يضع فى أيدينــا ما يعين على فهم مصطلحات عبد القاهر ، ولأجل أن نفهم الآمدى فهما لا يلتبس لابــد أن نقرأ عبد القــاهر لأنــه هــو الآخر يضع فى أيدينا ما يعين على فهم مصطلحات الآمدى ، وقل مثل ذلك فى النحو والتصريف ، فالذى يبدأ فى النحو بقــراءة ســـيبويه لا يفهمه ولو استظهر الكتاب وانما عليه أن يبدأ بمثل ابن هشام ثم يترقى وهكذا .

**

ثم أوجز الاستاذ بعض ماجاء فى كتاب الآمدى مستدركا عليه فى أكثر المواضــع ، وقــد حــدد الخصائص الفنية التى خالف بهــا شعر أبى تمام النهــج المألوف فى الشعر ، وهى كما ذكر ســـمات ثلاثة اسراف الشاعر فى استخدام البديع ، وايغــاله فى الصـــور المجازية ، وغموضــــه فى بعض شعره .

وهذه السمات أو الخصــائص التى ذكرها الاستاذ لم تكن هــى

وحدها التى عول الأمدى عليها فى بيان طبيعــه شــعر أبى تمــام ، وتحديد مذهبه ، وانما كان يكتشف من عناصر شعره التى امتاز بهــا وتوحد الشىء الكثير ، وهذا أجل وادق من تلك السمات العــامة ، من ذلك تتبع الخواطر والمشــاعر والأحوال النفســـية التى تثيرها الأشياء فى نفس أبى تمام ، أو قل طريقة احساسه بالأشياء وحركــة وجدانه تجاهها ، وهذا مهم جدا • فالوقو فعلى الأطلال له شــئونه الشائعة ، وألوان مشاعره المألوفة، وكان أبو تمام كغيره فى كثير من مواقفه على الطلل ، ثم تراه ينفرد وتتنزعه نفسه نزوعا يغــاير فيــه غيره ، وسواء وافقته على هذا أم خالفته فحسب الرجل أنه رصــد حسه رصدا أمينا ، وأفرغ طبعــه فى شعره •

من هــذا قــوله فى مطلعــه المشهور :

من ســـجايا الطلول الا تجيبــا
فصــواب من مقلة أن تصســوبا
ما سألنها واجعل بكال جــوابا
تجد الشوق ســـائلا ومجيبــا

قوله « تجد الشــوق ســائلا ومجيبا » خلاصــة الــذى قبله ، فالشوق سائل لأنه هــو الــذى دفعك للسؤال ، والشــوق مجيب لأن الطلــــول من ســـجاياها الا تجيب ، والجواب هنا صــوب المقل ، وهذا الصــــوب أهمــاه الشوق ، وهكذا تجد حركة ذهنية تسلك مسالك غير مألوفة فى مثــل هذا الموقف • والمألوف مــا كــان مثل قول البحترى :

وقفنا على ذات النخيلــة ما نبرت
سواكب قد كانت بها العين تبخــل
على دارس الآيات عاف تعــاقبت
عليه صبا ما تستفيق وشمـــأل
فلم يدر رسم الدار كيف يجيبنــا
ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل

البحترى بكى ، ووصف ، ولم يسأل من فرط البكا ، والرســم لا يدرى كيف يجيب •• هذا هــو مذهب الناس كما يقول الآمدى ، وقد علق على قول أبى تمام بقوله « وهذه فلسفة حســنة ، ومذهب من مذاهب أبى تمام ليس عــلى

مذهب الشعراء ولا طريقتهم» (١)٠
الامدى ادن يسبر تسعر ابى تمام ويحدل نسيجه وما يجرى فيه من حركات النفس وخواطر القلب ويشير الى ما خرج من تلك الهواجس والخواطر عن مألوف الناس ، وحسبه أن ينبه الى هذا وليس مطالبا بان يشرح ويحلل على طريقة عصرنا لان منطق الناس فى الشعر فى هذا العصر كان لحا تخفى اشارته •

**

ثم ألمع الاستاذ الى قصة أبى تمام مع أبى سعيد الضرير ، وأبى العميثل الذين كانا على خزانة الادب لعبد الله بن طاهر ، ودفع اليهما أبو تمام قصيدته :

هن عوادى يوسف وصواحبه
فعزما فقدما أدرك النأى طالبه

فضماها الى أشعار الناس ، فلما تصفحا الاشعار ، ووقفا على هذا الابتداء نبذا القصيدة فى الشعر المنبوذ ، وعاتبهما أبو تمام فى أبيات ، ولما لقيهما قالا له لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال ولم لا تفهمان ما يقال ؟ •• وقال الأستاذ « وقد كان من الممكن أن يكون جواب أبى تمام مفتاحا لقضية القديم والجديد ، ومنطلقا للامدى لكى يناقشها مناقشة موضوعية شاملة » •

وجواب أبى تمام هذا ذكره كثير من كتابنا فى سياق الدفاع عن الشعر المجهول الذى يقوله الناس فى زماننا ، وهم يريدون بذلك ايقاع اللوم على الذين لا يفهمون هذا الشعر بدل أن يكون اللوم موجها الى الشعر نفسه ، وأنه خرج على ما ألفه الناس ، بل ضيع على هذا الجيل أمتع ما تمتعت به الاجيال وهو ما كان يسمعه كل جيل من أنغام بنيه من الشعراء الذين كانوا يصوغون آماله وآلامه لحونا شجية تنعطف نحوها أفئدتهم ويتناشدونها فى غدوهم ورواحهم •

ودع هذه فليست مما نحن فيه والمهم أننا نرى خلاف ما يراه

---

(١) الموازنة جـ ١ ص ٤٩٩ ٠

الأستاذ ، وأنه لا يمكن للآمدى ان يجعل جواب أبى تمام هذا منطلقا لدراسة الجديد لأن الذى يراه الآمدى وسجله فى كتابه هو أن فى الشطر الأول من البيت ثلاثة الفاظ متوالية رديئه — هن عوادى يوسف — الاول أنه ابتدأ بالكناية عن النساء أى ذكر ضميرهن ولم يجر لهن ذكر ، والثانى أن كلمة عوادى ومعناها صوارف ليست لفظة قائمة بنفسها أى لايبين معناها الا بمفعول يتعلق به الصرف ، الثالث أنه نون يوسف وهو لا ينون ثم لم يكتف الشاعر بهذا وانما الحق بهذا الشطر شطرا لا يشاكله فى معناه فاسترذل الكلام وتشارد :

قال الآمدى بعد ما بين هذا وذكر جواب أبى تمام « فاستحسن هذا الجواب من أبى تمام ، والرجلان ماعابا الا معيبا ، وما أنكرا الا منكرا وكانا من أعلم الناس بالشعر وكلام العرب •

وظاهر أن الآمدى لم يستحسن جواب أبى تمام لأنه قال « فاستحسن هذا الجواب » ببناء فعل « استحسن » للمجهول ثم عقب بما ترى مستعملا أسلوب القصر الذى يفيد انهما لم يتحيفا أى تحيف حينما عابا البيت ، وأن عيبهم ليس الا لشىء يعاب • ثم أنه كرر هذا المعنى والصياغة فى الجمله الثانية مستخدما الأنكار بدل العيب ، فقضى على البيت بأنه ليس معيبا فقط وانما هو منكر أيضا ثم اردف ذلك ببيان قدر الرجلين ومنزلتهما فى العلم بالشعر وكلام العرب فأكد ذلك كله رأى الآمدى فى هذا البيت ، وأن أبا تمام كان يغالط مغالطة ظاهرة حين تلاعب بهذا الجواب • فكيف يغالط نفسه ويجعل هذا الجواب العابث مفتاحا لقضية القديم والجديد ، وهو لا يرى الا عيبا ومنكرا ومغالطة ؟

**

أشرنا الى سعة الموضوع وأنها لم تيسر مراجعة مادة البحث وأحكامه مراجعة دقيقة ونقد الشعر مما شغلت به الأمة فى جاهليتها واسلامها ، ولم يشغلها عنه شىء فكيف يلم به باحث فضلا عن أن يضمره فى مقال ، ومهما كانت

صلة الأستاذ بهذا التراث قوية وقديمة فلا مفر من مراجعة المادة التى يعالجها قلمه أوان كتابتها .. ولا ريب أنه كان يكتفى فى نظره الى متن الكتاب بالنظر الخاطف السريع ، وأنه كان يعتمد أحيانا على ما جاء فى الفهرس فحسب .

ذكر الأستاذ فى مآخذه على الآمدى أنه أسرف فى مناقشات جزئية فأنفق ثمانى صفحات فى بيان خطأ استخدام أبى تمام لفظ « الايم » بمعنى الثيب على حين يرى اللغويون أنها هى التى لا زوج لها بكرا كانت تيبا أو ثيبا .. ولعل الاستاذ نظر فى صفحة ١٤٧ فوجدها بدأت بما أخذ على أبى تمام فى قوله :

وصنيعة لله ثيب أهديتها
وهى الكعاب لعائذ بك مصرم
حلت محل البكر من معطى وقد
زفت من المعطى زفاف الأيم

وهذا الخطأ رقم ٦ . وينتهى الكلام عنه فى صفحة ١٥٥ ، عند الخطأ رقم ٧ وهو قوله :

السود للقربى ولكن عرفه
للأبعد الأوطان دون الأقرب

وهو البيت الذى ذكره الأستاذ بعد هذا مباشرة ، وهذه هى الصفحات الثمانية التى ذكر الاستاذ أن الآمدى أنفقها فى مناقشة خطأ استخدام أبى تمام كلمة أيم . وقد وقع فى ظن الاستاذ الفاضل أن هذين البيتين ليس فيهما الا كلمة — أيم — لأن القول فيها شائع .

ولم يتكلم الآمدى فى خطأ استعمال كلمة أيم الا فى أقل من نصف صفحة روى فيها كلام من خطا أبا تمام فى استعمالها ثم قال — وهذا الذى ذكروه من غلطة فى الأيم هو كما ذكروه — ثم أخذ يوجه استخدام أبى تمام كلمة كعاب كسحاب بمعنى البكر، واحتشد لتصويب ذلك ، واستشهد له ، ودفع عن أبى تمام أن يكون أخطأ فيه .

ثم ذكر الأيم بعد ذلك فى كلام موجز دفع فيه أن يكون ما ذكره فى تصويب استعمال الكعاب فى البكر صالحا لأن يصوب به استعمال الايم فى الثيب ، وذكر هذا فى ثمانية سطور ، ثم انصرف

الى مناقشة ما قاله النقاد فى قول ابى تمام :

وليست بالعوان العنس عندى
ولا هى منك بالبكر الكعاب

والكلام فى هذا البيت أكثره حول استعمال كلمة العنس بفتح فسكون فكان كلمة العانس ، أو أراد بالعنس الناقة التى انتهت فى شدتها وقوتها ، وما يتصل بذلك من مناقشة .

وهب أنه استغرق ثمانى صفحات يحلل فيها الكلمة ويتابعها فى مجارى الشعر والأدب مشيرا الى ألوان المعانى التى يستخرجها المتكلمون من الكلمات فى السباقات المختلفة هل يعد ذلك عيبا يؤخذ على النقاد ؟

ومما اعتمد فيه الاستاذ على النظر فى الفهرس ثم رمى الآمدى بتقصير ، ما ذكره من أن الآمدى عدل فى القسم الثالث عما كان وعد به من المقارنة بين « قصيدتين من شعرهما اذا اتفقتا فى الوزن والقافية وبين معنى ومعنى ، فأسقط ما كان يمكن أن ينتهى الى شىء من الدراسة المنهجية فى المقارنة بين قصائد كاملة » .

والآمدى قد وعد بالموازنة بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية » وقد سقط من النص الذى نقله الأستاذ الشرط الثالث من الشروط التى ذكرها الآمدى للموازنة بين قصيدتين وهو « اعراب القافية » ولما بدأ الآمدى فى هذا القسم ذكر ما وعد به ، قال « وقد انتهيت الآن الى الموازنة ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية ، واعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد والمرمى والغرض » .

اذن لم يتفق للآمدى قطعتان من شعر الشاعرين متفقتان فى الوزن والقافية واعراب القافية مع الاتفاق فى المقصد والغرض ، فكيف يعترض عليه ويقال أنه عدل عن هذا وقد اشترط لتحقيقه شروطا لم تتوفر بعد ؟

وقلت ان الاستاذ اكتفى فى هذا الموضوع بالنظر الى الفهرس لأنه

لو قرأ متن الكتاب وما ذكـــره الامدى فى توجيه عدم موازنته بين قصيدتين لأسقط هذه المـؤاخذة • ثم ان الاستاذ عرض صـــنيع الامدى فى هذا القسم وأنه اكتفى بالمقارنة بين معنى ومعنى مرتبـا هذه المعانى حسب بناء القصيدة وأنه شتت كل غرض الى أجـزاء أصغر فالوقوف عـــلى الأطلال يتضـمن « الابتداءات بـــذكر الوقوف على الديار •• التسـليم على الديار •• ما ابتــدأ بــه من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار فى اقواء الديار وتعفيتها •• تعفية الرياح للديار •• فى البكاء عــلى الديـــار •• سـؤال الديـــار واستعجامها عن الجواب •• فيما تهيجه الديار وتبعثه من جـوى الواقفين بها •• الدعاء للديـــار بالسقيا •• لوم الأصـــحاب فى الوقوف على الديار •• ماقالا فى أوصاف الديار والبكاء عليها ••• وصف أطلال الديار وآثارهـا » وهذا هو العمود الثانى فى الصفحة الأخيرة من فهرس الشـيخ محيى الدين عبد الحميد رحمه الله •

وليس هذا هو الطريق الراشد الى فقه كلام أهل العلم •

ثم ان الاعتماد على ما أخرجه شيخنا الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد من كتاب الموازنة لم يعد مقبولا ، لأنه لا يمثل التصور الكامل للامدى فى هــذا الموضوع وانمـا هو جزء قليل من دراســة أوسع حتى ان أســتاذنا الاستاذ سيد صقر عد اخراجه لهذا الكتاب أول طبعة له نظـــرا للنقص فى الطبعات السابقة • ولو كان الأمر أمر عرض لبعض قضايا الآمـدى لأمكن أن يكون هناك وجه للاعتماد على هذه النسخة الناقصة ، ولكن الدراسة التى كتبهـا الاســـتاذ الفاضل كانت مبنية على النقـــد وايراد الاعتراض وعن المآخـــذ أو التنبيه الى مواطن الغفلة ، وهذا عمل لا نعيبه لأن تفلية تراث أهل العلم وتصفيته أمانة للسابقين فى أعناق اللاحقين ، وانما نقول أنه

---

(١) الموازنة ص ٣٨٤ •

مما يجب أن يؤخذ بعناية شديدة وأن تكون الكلمات فيه بحساب وحذر ، وأن تتوفر المطالعة المتأنية والمستوعبة •

ثم ان نقض كتاب الموازنة لم يكن أمرا مجهولا ، وقد استخرج استاذنا الاستاذ سيد صقر من كلام الآمدى الدلائل الواضحة على نقض المطبوع ، ثم ان الجزء الذى لم يطبع كان كثير منه تحت أيدى الباحثين فى مخطوطات دار الكتب المصرية ، وقد اقتبس منه كثير من الباحثين قبل اخراجه فى طبقة الأستاذ سيد صقر ، ومنهم الدكتور محمد مدور رحمه الله ، وبعد فهذا الذى كتبته هو ما قدر لى أن أقف عنده فى صفحتين من المقال ولم أستفض ، والى لقاء آخر ، وما كان لنا أن نشغل بهذا أو نشغل غيرنا به لولا منزلة الدكتور عبد القادر القط فى نفوس أهل العلم •

د• محمد أبو موسى

دراسة لغوية

علم التصريف
موضوعه وتطوره

دكتور/ محمد ابراهيم البنا

بذل النحاة جهودا متتابعة فى تحديد أبنية العربية ، على نحو ما كان منهم فى وصف التراكيب . وقد أدركوا أن غالبية المواد تميزت بقابليتها للنماء ،وأن الابنية تتفرع منها وتقوم عليها كما يقوم البناء على أصله ، وأن الحركات – قصيرة كانت أو طويلة – تمثل الاساس الاول فى تشكيل هذه الابنية ، والى جانب هذه الحركات قامت أصوات أخرى متخذة أوضاعا معينة من الاصل ، فى أوله وآخره أو وسطه ، تسهم هذه الاصوات فى تنمية هذه الابنية .

وما أدركه النحاة يمثل طبيعة فى اللغات السامية عامة ، تلك التى تقوم أبنيتها على الاشتقاق ، والاحتفاظ بمادة الاصل،فى صورة موزونة ومقاطع محددة . ولذلك علم النحاة أن تحديدهم لهذه الابنية لا يتم الا بالعودة الى هذا الاصل ، ومن هنا قام فى العربية علم الى جانب علم النحو هو : علم الاشتقاق . وكانت وظيفته البحث عن أصول الابنية ، وبيان ما يعرض لها من زيادة ، ومواضع هذه الزيادة ، وما يعرض لها أيضا من تغيير أو نقص .

وقد كان من السهل معرفة هذه الاصول ، عرفوا مثلا أن : أجلب ، وجلب واجتلب ، وانجلب ،وتجلب واستجلب ، والجالبة ، والجلبان ، الى بقية الامثلة ، عرفوا أنها تنتمى الى الاصل : جلب . وعناية النحاة بجذور الابنية هو الذى جعلهم يعدون ما عداها زائدا ،

سواء أكان حروفا أم حركات ، بل جعل أمر الحركة القصيرة غير ذى بال ، حيث لم تحظ بالرسم المعبر عنها ، وان كان الرسم فى اللغات السامية منذ نشأته قد التزم اهمال هذه الحركات . ولعل ذلك راجع الى ثبات أصل المادة فى الرسم أو جذرها ، على حين لم تثبت الحركة على صورة معينة .

لم يكن من الصعب اذا الوصول الى جذور الابنية . واذا وجدنا ابن جنى يتحدث عن وظيفة علم التصريف ، وأنه « به تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولا يوصل الى معرفة الاشتقاق الا به(١) » .

فاننا نعتقد أنه يعنى أن هناك أبنية قد يعسر تحديد أصولها ، وأنه حينئذ تحل أقيسة التصريف مشكلات هذه الابنية ، على أن ذلك يمثل أبنية محدودة ، تلك الابنية التى كانت محك النظر بين العلماء(٢) . ثم ان ما نسبه ابن جنى الى التصريف ينبغى أن ينسب الى علم الاشتقاق ، فهذه الاقيسة انتهى اليها المشتغلون بالاشتقاق من الابنية الواردة عن العرب ، كما سنعرف بعد .

وقد انتهى علم الاشتقاق الى أمور ، منها : أن البحث فى المشتقات قد نبه الى دراسة الدلالة فى كل مادة فى مختلف أبنيتها ،وهل تدور حول معنى واحد ، أو أن هناك معانى متعددة لصور هذه المادة ؟ وظهر فى الفكر اللغوى ما يسمى بالاشتقاق الصغير والكبير وغير ذلك مما حفلت به كتب ابن جنى وابن فارس . وكان هذا العمل مسلما الى وضع المعجم العربى الذى حتمت طبيعة العربية أن يقدم فى نظامه على أساس أصل الماده أو جذرها ، وأطبقت على ذلك مختلف المدارس المعجمية .

ومن الامور التى انتهى اليها علم الاشتقاق : تحديد هيئات الابنية ، وهذا جانب شكلى ، وهو

(١) المنصف ١/٢ .
(٢) انظر الممتع لابن عصفور ٢٩/١ ، ٢٢٨ .

الذى نجده فى كتب الابنية(١) التى عنيت بالمجرد من الاسماء والافعال ومزيد كل منهما • وقد كان للميزان الصرفى شأن كبير فى الوصول الى هذه الغاية ، فلولا الميزان للجأ النحاة الى وصف كل بناء على نحو ما صنعوا فى وصف التراكيب ، لكن الموازين من نحو : افعل وفاعل وافتعل ، وانفعل ، وفعالى ، وفواعل — قد دلت على الغرض من أخصر طريق ، فاذا كانوا قد وضعوا التراكيب فى أبواب ،فانهم قد حصروا هذه الابنية فى موازين وما أشبه حديث النحاة عن الجملة وركنيها بحديثهم عن البناء ومادته فللجملة ركنان كما أن للبناء أصولا والجملة تنمو بأشياء منها ما هو مرتبط بالفعل ، ومنها ما هو مرتبط بالفاعل ، أو منها ما يطلبه الفعل ومنها ما يطلبه الفاعل • وكذلك الشأن فى الجملة الاسمية • وصف النحاة ذلك ، وحفلت أبوابهم بهذا الوصف ، وكان هذا الوصف هو ميزانهم للجملة فى مختلف صورها

أما فى مجال الابنية فقد قام الميزان بالتنبيه على صور أبنية الاسماء والافعال ، فى تجردها وزيادتها مصحوبة باحصاء لها فى الحالتين•

ومن خلال هذا الاحصاء استطاع النحاة أن يخرجوا بأقيسة منها ما يتصل بالابنية ، ومنها ما يتصل بالتغييرات التى تعرض لها ، فقد تبين لهم أن من هذه الابنية ما يسير على نمط معين ، وهو مادعى أخيرا بالمشتقات ذوات الاقيسة ، وأن منها ما لا يجمعه ضابط ، فاذا كان النحاة فى استقرائهم للتراكيب قد خرجوا بأقيسة ونبهوا على استعمالات لا تندرج تحت قياس ووسموها بالشذوذ ، فان المشتغلين بالاشتقاق قد خرجوا بأقيسة لبناء الفعل ، وبعض الاسماء ، وللمثنى والجمع ، والمصغر والمنسوب • وقالوا : ان هناك أشياء مشتقة لا يجمعها قياس ولا نظام ، وهى التى تكفلت بها المعاجم واحتوتها•

ومن خلال هذا الاحصاء أيضا

---

(١) انظر كتاب سيبويه ٢٤٢/٤ — ٣٠٣ ، ٣٣٠ — ٣٤٥ . والمنصف ١٧/١ وما بعدها . والممتع ٦٠/١ — ٢٩٥ .

عرف النحاة أن هناك أبنية قد انفرد بها الصحيح دون المعتل ، والمعتل دون الصحيح • وكأن النحاة قد نظروا فى الابنية التى تفرد بها الصحيح ولم يرد المعتل عليها ، باحثين عن السبب فى ذلك، وجدوا مثلا أن الصحيح قد تفرد ببناء فعلول نحو بهلول وعصفور ، فأرادوا أن يبنوا من المعتل هذا البناء ، فأداهم التصور الى «رميى» بعد أن كان «روميوى» ، وكأنهم عزوا عدم ورود فعلول من المعتل الى هذا الثقل الناشىء من تتابع الامثال • لكن النحاة فيما يبدو قد أعجبهم هذا التصور ، وقالوا : ان المشتغل بمثل هذه الابنية يحكم قواعد الاعلال والادغام ، فمضوا فى هذا الطريق لا للبحث عن السبب فى تخلف هذا البناء من المعتل ، ولكن لشىء آخر هو ما ادعوه من التدريب واحكام صنعة الاعلال والادغام ، ونشأ فن جديد يعنى بهذه الابنية هو : فن التصريف ، موضوعه هو هذه الابنية التى يصرفها الدارس كما يشاء على وفق أبنية أخرى مسموعة من الصحيح ، يقول سيبويه وهو يتحدث عن باب « ما قيس من المعتل الذى لا يتكلمون به ، ولم يجىء فى كلامهم الا نظيره من غير بابه » ، وقال : « وهو الذى يسميه النحويون التصريف[1] » •

هذا هو موضوع التصريف أول الامر ، وهو كما رأينا وليد علم الاشتقاق ، ذلك الذى وصف أبنية الصحيح والمعتل ، وحدد التغييرات التى تعرض لابنية المعتل والمضعف فأرادوا أن يضعوا المعتل فى صورة بناء الصحيح ، وطبقوا على هذه الابنية المخترعة قواعد التغيير التى وقعت فى المشتقات ، وذلك أن النحاة قد خرجوا من تتبعهم لصور الاعلال فى جميع هذه المشتقات بعقود (٢) ــ كما يقول ابن جنى ــ وقواعد ، هى التى كانوا يطبقونها على الصور الجديدة ، فليس من فارق بين

---

(١) الكتاب ٤/٢٤٢ ، وانظر شرح الشافية ١/٦ ــ ٧ .

(٢) التصريف الملوكى ٤٧ ــ ٥٨ •

المشتقات والمصرفات الا أن الاولى مسموعة من العرب مستعملة فى الكلام ، وأن المصرفات من صنع النحاة ، مأخوذة من مادة المعتل على وفق أمثلة الصحيح ، فالمثال المصوغ عليه عربى ، والتغييرات التى تحدث فى هذه الابنية الجديدة مأخوذة مما سمع عن العرب ، لكن البناء الجديد لم يسمع من هذه المادة المعتلة ، ولذلك وصفت هذه الابنية بأنها مولدة،يروى اليزيدى أنه قال : « لم يكن أحد بالنحو أعلم من أبى عمرو • فقال له الاحمر : لم يكن يعرف التصريف فقلت له : ليس التصريف من النحو فى شىء ، انما هو شىء ولدناه نحن واصطلحنا عليه ، وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولد الناس (١) » •

ولقد سار المازنى على نهج سيبويه عندما وضع كتابا فى التصريف ، فاذا كان سيبويه قد مهد للتصريف بذكر أبنية الافعال والاسماء الصحيحة والمعتلة فقد صدر المازنى كتابه بذلك ، ولكنه ينبه على أن هذه الابنية ليست من علم التصريف بقوله : « وانما كتبت لك فى صدر هذا الكتاب هذه الامثلة ، لتعلم كيف مذاهب العرب فيما بنت من الاسماء والافعال ، فاذا سئلت عن مسألة فانظر : هل بنت العرب مثالها ؟ فان كانت بنت فابن مثل ما بنت ، وان كان الذى سئلت عنه ليس من أبنية العرب فلا تبنه ، لانك انما تريد أمثلتهم وعليها تقيس (٢) » • فترى المازنى ينبه على ضرورة معرفة أمثلة العربية لمن هو مشتغل بالتصريف، لانه يبنى على مثالها ، فلا بد أن يكون علم بها ، لا لانها من التصريف ، وانما لان المصرف يحتذيها ويشكل بناءه على نسقها• وكذلك قال ابن عصفور وهو يذكر موضوع التصريف ، قال : « والتصريف ينقسم قسمين : أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى ، نحو: ضرب وضرب وتضرب وتضارب

---

(١) مجالس العلماء للزجاجى ١٧١ •
(٢) المنصف ١/٩٥ — ٩٦ •

واضطرب ، فالكلمة التى هى مركبة من ضاد وراء وباء نحو (ضرب) قد بنيت منها هذه الابنية المختلفة لمعان مختلفة . ومن هـذا النحو اختلاف صيغة الاسم للمعانى التى تعتوره من التصغير والتكسير ، نحو : زبيد وزيود . وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف ، فلذلك لم نضمنه هذا الكتاب(١)» . وهذا من أصرح النصوص على موضوع علم التصريف ومفهومه عند القدماء . ومع ذلك رأيت ابن عصفور يسمى هـذا النحو تصريفا . وسنبين بعد منشأ هذا التصور عنده .

وقد ذكرنا من قبل أنه لابد للمشتغل بمسائل التصريف أن يعرف أيضا قواعد التغيير ، أن يعرف ما يعرض للهمزة والياء والواو ، لانه سوف يصرف مواد مهموزة أو معتلة ، ولهذا أيضا عنى سيبويه بتقديم أحوال هذه الحروف قبل أن يصل الى مسائل التصريف (٢) . وكذلك صنع المازنى بعد أن خلص من الابنية وقال : « واعلم أن الهمزة وبنات الواو والياء فيهن مسائل التصريف ، فانظر كيف صنعت العرب فى الياءات والواوات والهمزات اللواتى هن فاءات الفعل وعيناته ولاماته ، وما ألحق باللامات من الياءات ، وكيف أجروهن ، وكيف ألزموهن الحذف والتغيير والابدال حتى يسهل عليك النظر ، ان شاء الله » . ويشرح ابن جنى هذا فيقول : « أعلم أنه أتبع هذا الفصل الذى قبله ، ليريك كيف ينبغى أن تعمل فيما يرد عليك مما يسأل عن بنائه ، يقول : فلا تعد ما رأيتهم عملوه فى نظير ما تبنيه ، ولا تتجاوزه (٣) » .

ولما تقدم أحسب أنه لولا هذه المسائل المصرفة ما نشأ فى العربية

---

(١) الممتع ٣/١ ، وانظر ايضا ٥٢/١ ـ ٥٣ .
(٢) الكتاب ٣٦٠/٤ ـ ٣٩٥ .
(٣) المنصف ٩٦/١ .

من الفنون أو العلوم ما يدعى بالتصريف ، ولكنا أمام علمين فقط هما : علم النحو وعلم الاشتقاق ، الاول يعنى بالتراكيب ، والثانى بالابنية ذوات الاصول وما يعرض لها من تغييرات .

على أنه قد دخل فى مجال التصريف بعد ذلك شيء آخر ، شبيه بالصورة المتقدمة ــ أعنى البناء من المعتل على مثال الصحيح فقد بنى النحاة من بعض مواد الصحيح أمثلة لم تسمع منها ،وان كانت قد سمعت فى نظائرها ، مثل بنائهم من ضرب للالحاق على مثال : صفرد ، أو حبرج ، أو جعفر . لم تسمع هذه الابنية من هذه المادة ، وان كانت قد سمعت من مادة أخرى ، فقد سمع : رماد رمدد ، وسمع : دخلل ، وقردد . ولذلك عقب ابن جنى على قول المازنى : « واعلم أن الهمزة وبنات الواو والياء فيهن مسائل التصريف » ، قال ابن جنى : « ومسائل التصريف فى الهمزة وبنات الواو والياء وغيرهما من الصحيح . وانما أراد أن المسائل اذا بنيت من الهمزة أو الواو أو الياء كانت صعبة مشكلة ، لما يعرض فيها من التغيير أو الحذف(١) » .

وقد وازن ابن جنى ما بين التصريف والاشتقاق من جهة ، وبينه وبين النحو من جهة أخرى ، فالتصريف والاشتقاق تجيء بهما المادة على وجوه شتى ، والتصريف والنحو يقاس فيهما ما لم يسمع على ما سمع ، يقول ابن جنى : « وينبغى أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديدا ، لان التصريف انما هو أن تجيء الى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى ، مثال ذلك أن تأتى الى ضرب فتبنى منه مثل جعفر فتقول : ضربب ، ومثل قمطر ضرب ، ومثل درهم : ضربب ، ومثل علم : ضرب ، ومثل ظرف : ضرب ، أفلا ترى الى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة ؟ وكذلك

---

(١) المنصف ٩٧/١ .

الاشـــتقاق أيضـــا ، ألا ترى أنك تجىء الى الضرب الذى هوالمصدر فتشتق منه الماضى فتقول : ضرب، ثم تشتق منه المضـــارع فتقول : يضرب ، ثم تقول فى اسم الفاعل: ضارب • وعلى هذا ما أشبه هـــذه الكلمة •• الا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغـــة يتجـــاذبانه ، والاشـــتقاق أقعد فى اللغـــة من التصريف ، كما أن التصريف أقرب الى النحو من الاشـــتقاق(١) » • ويريد بصلة التصريف بالنحو أنك فى كليهما تقيس ما لم يسمع على ما سمع • وقد صرح بذلك فيمـــا بعد بقوله : « والغرض من صناعة الاعراب والتصريف انمـــا هو أن يقاس ما لم يجىء على ما جاء(٢)»

هذا ولم يختلف النحاة فى الحاق تراكيبنا بتراكيب العربية ، فنحن باتباعنا نمطها تكتســـب تراكيبنـــا هذه الصفة فتصبح عربية ، وهذا ما يقوم به علم النحو • كذلك لم يختلفوا فى أن ما نبنيه من المعتـــل على مثال الصحيح ـــ وهو ما عنى بـــه التصريف أول الامـــر ـــ لم يختلفوا فى أنه ليس من العربية فى شىء ، وانما هو شىء « الغـــرض فيه التآنس واعمال الفكرة فيه ، لاقتناء النفس القوة على ما يـــرد مما فيه نحو مما فيه (٣) » • أما الابنية المأخوذة من بعض مـــواد الصـــحيح على نحـــو ما ورد من العرب فى نظـــائرها ، وهى التى أدخلت فيما بعد فى علم التصريف، فقـــد حاول ابن جنى أن يلحقهـــا بكلام العـــرب ، متابعـــا فى ذلك لشيخه الفارسى ، الذى أخذ بأصل المـــازنى : « ما قيس عـــلى كلام العرب فهو من كلام العرب(٤) »• ولما كانت العرب قد قالت : رمدد، فماذا يمنع من القـــول : ضربب ؟ وهكـــذا • وقـــد نسب ابن جنى

---

(١) المنصف ١/٤ .
(٢) المرجع المتقدم ٢/٢٤٢ .
(٣) الخصائص ٢/٤٨٨ •
(٤) الخصائص ١/٣٥٧ •

الاصل المتقدم فى كتابه المنصف الى الخليل وسيبويه(١) • وكان المازنى قد قال : « فأما الالحاق المطرد الذى لا ينكسر ، فان يكون فى موضع اللام من الثلاثة مكررا للالحاق ، مثل : مهدد ، وقردد ، وسؤدد ، وعندد • والافعال : جلبب يجلبب جلببة (٢) » • وقد سأل ابن جنى شيخه الفارسى عن مقالة المازنى هذه فقال : « لو اضطر شاعر الآن لجاز أن يبنى من ضرب اسما وفعلا وصفة ، وما شاء من ذلك ، فيقول : ضربب زيد عمرا ، ومررت برجل ضربب ، وضربب أفضل من خرجج ، لانه الحاق مطرد ، وكذلك كل مطرد من الالحاق • وليس لك أن تقول : هو رجل ضيرب ، ولا ضورب ، لان هذا لم يطرد فى الالحاق » •

يقول ابن جنى : « فقلت له : أترتجل اللغة ارتجالا ؟ فقال :نعم لان هذا الالحاق لما أطرد صار كاطراد رفع الفاعل » •

على أن جمهور النحاة يمنعون أن نلحق الصحيح بالصحيح أيضا، ويعدون هذه الامثلة من الامور السماعية التى تحفظ ولا يقاس عليها ، فاذا كانوا قد قالوا : رمدد فليس لنا أن نقول : ضربب • وما ورد عنهم يستعمل كما استعملوه وليس لنا أن نقيس عليه • ويبدو أن ابن فارس فى قوله : « وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه ، لان فى ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها • ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياسا نقيسه الآن نحن » — انما كان ينكر أمثال ما أجازه الفارسى • لكن النحاة لم يختلفوا فى جواز الالحاق للتدريب والتمرين،وتمكين المقاييس كما قال الامام عبد القاهر ، الا شيئا أثاره ابن مضاء وبعض النقاد السابقين عليه » •

دكتور / محمد ابراهيم البنا

---

(١) المنصف ١/١٨٠ •
(٢) المنصف ١/٤١ •

في التشريع الإسلامي

تحويل القبلة

بقلم الدكتور / محمد محمد الشرقاوي

لم تكن القبلة فى تاريخها القديم عبر الحقب والدهور الا الكعبة التى جعلها الله تعالى ببكة مثابة للناس وأمنا باعتبارها أول بيت وضعه الله تعالى لعبادته وحده .. وأمر بتطهيره مما ينافى الوحدانية الخالصة ، والدين الحق ليقوم فيه القائمون ، ويركع فيه الراكعون والساجدون ، ويطوف من حول أركانه الطائفون .. وكان الأنبياء والمرسلون على اختلاف عصورهم ، وتعدد شرائعهم يقصدونه ويتوجهون اليه حين يصلون .. جاعلين بيت المقدس بينهم وبين الكعبة .. فعن أبى العالية رضى الله عنه : (كانت الكعبة قبلة الأنبياء ، وكان موسى يصلى الى صخرة بيت المقدس ، وهى بينه وبين الكعبة) ولما كان مثل هذا القول لا يهتدى اليه عن طريق الاجتهاد والاستنباط .. ولا يمكن القول به عن صحابى جليل الا عن طريق التوقيف والسماع .. كان لهذا الحديث حكم المرفوع .. وقد ذكر علماء أصول الفقه : ان قول الصحابى دليل شرعى فيما له حكم الرفع الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فى مواضع : منها : مالامجال للاجتهاد فيه ، ومنها الاخبار بالمغيبات كالثواب والعقاب ، أو اضافته الى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .. أو قول الصحابى أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا أو

قول الراوى مع ذكر الصحابى يرفعه أو ينميه أو يبلغ به أو رواية، أو تفسيره لسبب نزول آية .. ، وقد قال الزهرى : (لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه السلام الى الأرض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس) .. أى فى اتجاه الكعبه بمكة المكرمه .. كما صرح به ابو العاليه فى حديثه السابق .. فيكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد شارك جميع الانبياء والمرسلين فى استقباله بيت المقدس .. ثم تفرد عنهم فى استقباله الكعبة مستدبراً بيت المقدس .. وهذا يتفق مع قول السبكى فى تائيته :

وصليت نحو القبلتين تفرداً
وكل نبى ماله غير قبلة

أى كل نبى كانت قبلته واحدة.. هى الكعبة وان كان يستقبلها من خلال صخرة بيت المقدس .. ولا يستدبرها بحال من الأحوال .. أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد استدبر بيت المقدس حين أمر بالتحول فى صلاته الى قبلة جديدة منفردة هى الكعبة .. وكان اذ ذاك فى المدينة المنورة .. ولا يمكن لمن كان بالمدينة أن يستقبل القبلة بمكة .. الا اذا استدبر قبلة بيت المقدس .. وفى مكة ذاتها حينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين بالغداة ، ويصلى مثلهما فى العشى على دين أبيه ابراهيم عليه السلام قبل حادث الاسراء والمعراج انما كان يتوجه الى الكعبة من بين ركنيها اليمانى والأسود ليتوجه من خلال ذلك الى بيت المقدس ، ويصيب فى صلاته القبلتين معا .. اسوة بمن سبقه من انبياء الله ورسله .. ففى مكة لم يكن فى صلاته مستدبرا لبيت المقدس ، حين كان يستقبل القبلة بمكة .. أما فى المدينة..فقد ثبت تفرده عن أنبياء الله ورسله باستقبال الكعبة البيت الحرام فى أم القرى مكة حين أمر بالتوجه اليها .. فى الوقت الذى استدبر فيه صخرة بيت المقدس بالضرورة .. اذ لا يتأتى استقبال احداهما من خلال الأخرى فى المدينة .. ثم

اختص بالكعبة بعد ذلك على المدى اللانهائى .. وصدق فى شأنه قول التوراة فى وصفه صلى الله عليه وسلم : (صاحب القبلتين) .. ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امر باستدامة استقباله بيت المقدس واستدبار الكعبة .. ثم أمر بعد ذلك باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يحدث النسخ فى الأمر باستقبال القبلة الا مرة واحدة .. لا مرتين كما ذهب اليه ابن جرير وكما هو ظاهر سياق الكلام فى قصة تحويل القبلة من قول ابن عباس رضى الله عنهما : (لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس) فان معناه : أمره الله أن يستمر على استقبال بيت المقدس .. لا أن ينشىء استقبالا جديدا لبيت المقدس .. لأنه صلى الله عليه وسلم كان مثله كمثل الأنبياء جميعا وهو فى مكة .. يستقبل الكعبة من خلال ركنيها الأسود واليمانى .. ليصيب وهو يستقبل الكعبة صخرة بيت المقدس .. مثله فى ذلك مثل غيره ممن تقدمه من أنبياء الله ورسله وقد ضعف الحافظ بن حجر ما ذهب اليه ابن جرير من وقوع النسخ مرتين فى تحويل القبلة وقال : هذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين) ولذا قال فى الأصل : (ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا .. أى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس .. لم يتبين توجهه الى بيت المقدس وحده للناس .. حتى خرج من مكة .. فانه استدبر الكعبة . واستقبل بيت المقدس) .. وهذا هو الذى نسخ باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس .. ومثل ذلك يقال بعد حادث الاسراء والمعراج حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون الصلوات الخمس فى مكة .. فقد كانوا يصلون الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس .. فكانوا يصلون بين الركنين : اليمانى ، والذى عليه

الحجر الأسود لأجل استقبال بيت المقدس .. وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان بصفة خاصة ـ لا يلتزم بذلك .. بل كان فى بعض الأوقات يصلى الى الكعبة فى أى جهة أراد .. ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ، ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل (السيرة الحلبية جـ ٢ : ١٤٧) .

والجمهور الأعظم من علماء السيرة على أن تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة بمكة كان فى نصف شعبان بعد ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا .. كان يستقبل فيها بيت المقدس فى صلاته بالمدينة .. وكان حظ مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة من هذا هذا التوجه نحو بيت المقدس خمسة أشهر بعد تمامه ، وكان ذلك التحويل فى السنة الثانية للهجرة .. ولم يكن قد مات من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الا عشرون صحابيا كانوا يتوجهون فى صلاتهم بالمدينة نحو بيت المقدس أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم : ثمانية عشر رجلا من المهاجرين .. واثنين من الأنصار ، هما : البراء بن معرور ، واسعد ابن زرارة .. ولم يكن موتهم عن قتل كما جاء فى رواية البخارى التى أنكرها الحافظ ابن حجر .. وقال : (ذكر القتل لم أره الا فى رواية زهير .. وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ، ولم أجد فى شىء من الأخبار أن أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة) ويمكن التوفيق بين كلام الحافظ بن حجر ورواية البخارى : بأن بعض هؤلاء الموتى قتل فى غير الجهاد بين الجيوش المتحاربة .. اذ لم يكن قد وقع شىء من ذلك قبل التحويل .. وان كان قد وقع قتل لبعض المستضعفين من المسلمين كقتل أبوى عمار بن ياسر رضى الله عنهم ان ثبت وقوع قتلهما بعد الاسراء والمعراج ـ وهو محل بحث ونظر .. أو كان قتلهم بسبب آخر .. ومهما يكن من أمر .. فان أمر هؤلاء الموتى العشرين .. قد أهم الصحابة واقلق بالهم .. لأنهم

صلوا الى بيت المقـــدس ٠٠ ولم يدركوا الصـــلاة الى الكعبـــة ٠٠ ولذا سألوا رسول الله صلى اللــه عليه وسلم بعد تحـــويل القبلـــة عنهم وقالوا : (يارســـول اللـــه لقد ذهب منا قوم قبل التحول ٠٠ فهل يقبل منا ومنهم ٠٠) ؟ فأنزل الله تعالى : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ٠٠) أى صـــلاتكم الى بيتالمقدس ٠٠ « وفى الكشـــاف جـ ١ : ٧٨) : (من صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه : (لما وجه رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم الى الكعبـــة قـــالوا : كيف بمن مـــات قبـــل التحويل ؟ ٠٠ فنزلت الآيـــة) : وفيها : (ان اللـــه بالناس لرءوف رحيـــم) ٠٠ أى : لا يضـــيع أجورهم ، ولا يترك ما يصلحهم ٠

والأكثرون من رجال السير ٠٠ على أن التحويل من بيت المقدس الى الكعبة كان فى صلاة الظهر ٠٠ ولا ينافى ذلك مافى الصحيحين عن البراء رضى الله عنه : (أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة : صـــلاة العصر) لأن ذلك الأخير محمـــول على الصلاة الكاملة بكل ركعاتها ٠٠ وسأبين مراحل التحويل كما حدثت حتى لا يكون هناك لبس على من قرأ رواية دون رواية ٠٠ وذلك على الوجه الآتى :

١ ــ خرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم زائرا أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة ٠٠ فصنعت له طعاما ، وحانت صـــلاة الظهر ٠٠ فصلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم بأصـــحابه فى مسجد هناك ٠٠ فلما صلى ركعتين نزل جبريل ٠٠ فأشار اليه : أن صل الى الكعبة واستقبل الميزاب ٠٠ فاستدار الرسول صلى اللـــه عليـــه وســـلم الى الكعبـــة ٠٠ واستدار النساء مكـــان الرجـــال والرجال مكان النساء ٠ أى تحول الرسول عليه الصلاة والسلام من مقدم المسجد الى مؤخره ٠٠ لأن من استقبل الكعبة فى المدينة يلزم أن يستدبر بيت المقدس ٠٠ ولـــو

دار الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف ·· وكان ذلك وهم راكعون ·· ومعنى هذا : أنه يقصى عن العمل القليل الذى يحدث فى الصلاة ·· كما أن العبادة الواقعة قبل العلم بنسخها صحيحة ولا تجب اعادتها بعد العلم بالنسخ ·· لأن الرسول ومن معه ·· لم يعيدوا الركعتين السابقتين على الامر بالتحول ·· ولم يعيدوا ركوع الركعة التى جاء فيها هذا الامر ·· وسمى هذا المسجد الذى فى بنى سلمة : (مسجد القبلتين) لان المسلمين صلوا فيه صلاة واحدة الى قبلتين مختلفتين) مع صحتها وعدم اعادة جزء منها ·· وهذا هو أول حادث حدث من أمر تحويل القبلة ثم تبعه ما وراءه من حوادث وأحداث ·

٢ ـ خرج بعد ذلك عباد بن بشر رضى الله عنه ، وكان قد صلى الصلاة السابقة الى القبلتين مع الرسول صلى الله عليه وسلم ·· فمر على قوم من الأنصار هم بنو حارثة ·· وكانوا فى محل آخر ·· فوجدهم يصلون العصر التالى للظهر السابق ·· فناداهم وهم فى ركوعهم وقال : أشهد بالله ·· لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت ·· يعنى الكعبة ·· وهنا نترك أتمام الحديث لعمارة بن أوس الانصارى قال : (صلينا احدى صلاتى العشى ·· أى وهما الظهر والعصر ·· فقام رجل على باب المسجد ونحن فى الصلاة فنادى : أن الصلاة قد وجهت نحو الكعبة ·· فتحول أمامنا نحو الكعبة) ·· أى وتحولنا بتحوله كذلك ·· وهى نفس القصة التى رواها رافع بن خديج رضى الله عنه قال : (أتانا آت ونحن نصلى فى بنى عبد الأشهل فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه الى الكعبة ·· فدار امامنا ، الى الكعبة ، ودرنا معه) ·

٣ ـ ذهب ذاهب الى أهل قباء بعد ذلك ـ وترجح الروايات ـ

أنه عباد بن بشر السابق ذكره ·· فوجدهم فى صلاة الصبح فى اليوم الثانى وهم ركوع كـذلك ــ وهى مصادفة أجمل وأروع من موافقة ·· لأن الركوع رمز الخضـوع الأول ، فى الصـلاة · وقد ركعوا ركعة واحـدة ·· فنادى فيهم : آلا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها ، ويؤيد ذلك ما فى البخارى : (بينا الناس بقبـاء فى صلاة الصبح ·· اذ جـاءهم آت فقال : ان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم قـد أنزل عليـه الليلة قرآن ، وقـد أمر أن يسـتقبل الكعبة ، فاستقبلوها ·· فاستداروا الى الكعبة) ·· وفى مسلم : (بدل صلاة الصبح صلاة الغداة) وهو أحد أسماء صلاة الصبح كمـا قال الحافظ ابن حجر ، ولم ينقل أنهم أمروا بقضـاء العصر والمغـرب والعشـاء السـابقة على ذلك ، ولا اعادة الركعة التى صلوها من الصبح ·· وهـو دليـل على أن الناسخ لا يلزم حكمة الا بعد العلم به وان تقـدم نزولـه ، وعلى أن الأمر المقطوع به يجوز تركه بخبر الآحاد اذا احتفت به من القرائن ما يرفعه الى درجـة الشـهرة والقطع به ·· وهذا القرآن الذى نزل فى الليلة المشار اليها هو قوله تعالى : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلـة ترضـاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثمـا كنتم فولوا وجـوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتـاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ومـا الله بغافل عمـا يعملون) البقرة ١٤٤ والمعنى كمـا فى الكشـاف جـ ١ : ٧٩ : كثيرا ما نـرى تردد وجهك وتصرف نظـرك فى جهـة السماء ــ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لأنها قبلة أبيه ابراهيم ، وأدعى للعرب الى الايمان لأنهـا مفخرتهم ومزارهم ومطـافهم ، ولمخالفة اليهود ·· وذلك بعـد أن تألفهم أول الأمر باسـتقبال بيت المقدس ولكنهم قـالوا لـه : كيف تخالفنا وتتبع قبلتنا ·· ووجهـوا اليه والى أصحابه أقوالا لاذعة ··

وعبارات مريبة .. فتحول الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلتهم ، وعن موافقتهم فى وقت واحد .. وكان من شعارات الاسلام مخالفة اليهود .. فقد خالفهم فى قيامهم للموتى .. وندب الى القعود حين تمر الجنائز مخالفة لهم .. وكان فى أول أمره يقوم لها .. وقد خالفهم فى (اعفاء اللحى ، واحفاء الشوارب) وعلل ذلك بقوله : (وخالفوا اليهود) ونهى عن صلاة الرجل مختصرا (متفق عليه واللفظ لمسلم) ومعناه : وضع اليد اليمنى أو اليسرى على خاصرته اليمنى أو اليسرى أو هما معاً فى الصلاة وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن ذلك الاختصار فى الصلاة فعل اليهود فى صلاتهم) قال صاحب سبل السلام جـ ١ : ٢٢٧ : (وقد نهينا عن التشبه بهم فى جميع أحوالهم .. وهذا هو وجه الحكمة فى هذا النهى .. ولأنه ينافى الخشوع) .

ورحم الله من قال :

كم للنبى المصطفى من آية
غراء حار الفكر فى معناها
لما رأى البارى تقلب وجهه
ولاه أيمن قبلة يرضاها

فهذه هى الأطوار التاريخية لحادثتحويل القبلة،ومنها نرى أن ثمت ثلاثة آثار صحيحة وردت فى شأنها .. فمن قال : ان التحويل كان فى صلاة الظهر ــ وهو ما عليه الأكثرون ــ نظر الى أول هذه الأطوار وقوعا ، وهو ما رواه حديث أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة حيث قسم الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجدها صلاة الظهر الى قسمين : قسم الى بيت المقدس وهو أولها .. .. وقسم الى الكعبة وهو آخرها .. ومن ذهب الى أن التحويل كان فى العصر .. فقد أراد من ذلك التعبير عن أول صلاة صلاها كلها الى الكعبة ومن ذلك حديث الصحيحين عن البراء : (أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة صلاة العصر) وكانت بالمسجد النبوىبعد رجوعه من بنى سلمة .. ومن رأى أن التحويل كان فى صلاة الصبح

فى قباء ٠٠ فقد أخذ فى اعتبـاره حديث البخارى (بينا الناس بقباء فى صـلاة الصـبح ٠٠ الخ) لأن الخبر لم يبلغهم الا حينئذ ٠٠ ومما تقدم يمكن اجمال حادث تحـويل القبلة فى النقاط الآتية : ــ

١ ــ الكعبة ــ باعتبـارها أول بيت وضـع للناس ــ هى قبلـة جميـع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليـه وسـلم فى أول أمره ــ ويوافقه مافى الأصل عن محمد بن كعب القرظى رضى الله عنه قال : (ما خالف نبى نبيـا قط فى قبلـة الا أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم اسـتقبل بيت المقـدس) وكلهم استقبل الكعبة من خـلال استقباله لبيت المقدس ٠٠ كما ان الرسول صلى الله عليـه وسـلم اسـتقبل الكعبـة من بين ركنيها الأسود واليمانى ليوافق استقباله هذا بيت المقدس كذلك وذلك ابان وجوده بمكة ٠

٢ ــ بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة أمر باسـتمرار استقباله لبيت المقدس فخالف غيره من الأنبياء والمرسلين فى استدباره للكعبة ٠٠ وثبت أنه اختص منهم جميعا بالقبلتين بينمـا لم تكن لهم الا قبلة واحدة هى الكعبة ٠٠ فلما جاء التحويل الى مكة ثبت النسخ لبيت المقدس واسـتقرار الحـكم للكعبة بعد ذلك ٠٠ فكان النسـخ مرة واحـدة فى حـادث التحويل لا مرتين ٠

٣ ــ وقع التحويل أول ما وقع فى صلاة الظهر فى مسجد بنى سلمة أثناء زيارته صلى الله عليه وسـلم لأم بشر بن البراء بن معرور حين صنعت له طعاما وصلى الظهر مـع أصحابه فى مسجدهم ٠٠ ثم نقله عباد بن بشر فى صلاة العصر الى بنى حارثة وهم راكعون ــ كمـا كان النبى وصحبه راكعين كذلك فى صلاة الظهر ٠٠ وكما كان أهل قباء راكعين كذلك حين نقل اليهم عباد ابن بشر ــ كما فى بعض الروايات خبر التحويل فى صلاة الصبح من اليوم الثانى ٠٠ وكل هذه الأخبار صحيحة ولا منـافاة بينهـا ، ولا تعارض فيها ٠

دكتور/محمد محمد الشرقاوى

وتحولت الرسالة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل

بقلم الدكتور السيد رزق الطويل

تذكر كتب السير والتاريخ ان الله تعالى قد استجاب لما كانت تتطلع اليه نفس النبى محمد عليه الصلاة والسلام فأمره بأن يتوجه فى صلاته الى الكعبة البيت الحرام بعد أن ظل نحو ستة عشر شهرا يتجه الى بيت المقدس ، وأن ذلك كان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة •

ولا يعنينى فى هذا المقال أن أحقق الزمن الذى وقع فيه الحدث الكبير ، وانما يلفت نظرى معناه العميق ، ومغزاه الكبير ، كما أريد أن أكشف الاستار عن حقيقة عظيمة نتجاوزها دون أن نقف موقف التأمل منها ، وكأنها فى سياق الأحداث الكبيرة بعد الهجرة شىء يسير ، وهذه الحقيقة وراء قضية تحويل القبلة •

الاتجاه الى بيت المقدس •

بعد هجرة النبى محمد عليه الصلاة والسلام الى المدينة كان يتجه فى صلاته ــ كما أمره ربه ــ الى بيت المقدس ، وكان وراء هذا حكمة بالغة تتصل بمنهج الدعوة فى معالجة القلوب الحاقدة لقيادتها برفق الى الحق الذى تعرفه وتنكره • وذلك ليعلم جيران الدولة الاسلامية الناشئة من أهل الكتاب والذين هم معها على عهد أن النبى عليه الصلاة والسلام ما كان بدعا من الرسل ، وأنه على طريق الانبياء الكرام من قبله ، عقيدته عقيدتهم ، ورسالته

رسالتهم ، وعندما تحققت الحكمة **من هذا التوجه كان** لابد من العودة الى القبلة الاولى ، **يقول تعالى** مشيرا الى الحكمة السابقة : **(وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) .**

الكعبة القبلة الاولى .. والاخيرة

كان النبى عليه الصلاة والسلام فى الفترة التى كان يتجه فيها الى المسجد الاقصى معلق القلب يتشوق اليها ، ويتشوف الى أمر يأتيه من الله ليتحول فى صلاته نحوها ، وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .**

ولم يكن تحويل القبلة مجرد استجابة من رب العالمين لرغبة نبيه الكريم ، حتى يقول اليهود ما قالوا من افك : ان رب محمد يسارع فى هواه ، وانما هو فى حقيقته **تأكيد لحق أصيل يعرفه من** يجحدونه ، واتجاه النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، لم يكن مجرد ميل شخصى ، وانما هو نزوع الى الحق بأصالة الفطرة ، وهداية النبوة ، وبصيرة الايمان ، اذ أن الكعبة البيت الحرام هى القبلة الاولى والقبلة الاخيرة ، والتوجه لبيت المقدس كان للغاية التى أسلفناها ، وتحدث القرآن الكريم عنها ، فقد أقامها بأمر الله على أرض العرب ابراهيم وابنه اسماعيل وهى بهذا كانت أول بنية أقيمت لعبادة الله وحده ، يقول تبارك وتعالى **(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) .**

وهذا الحق الذى عرفه الرسول عليه الصلاة والسلام ، واتجه بقلبه اليه ، ولاجله قلب وجهه فى السماء كان يعرفه أهل الكتاب أيضا ، ولأجل هذا بين الله تعالى لنبيه هذه الحقيقة وقال : **(وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه**

الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) •

اليهود وتحويل القبلة :

كانت الصورة التى ترتسم فى مخيلة اليهود عندما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتجه فى صلاته لبيت المقدس أن محمدا يتخذ أسوته منهم ، وأنه لا يملك القيم التى تغنيه وتكفيه وأنهم وان كانوا يجحدون رسالته لكن لا حرج عليهم أن يجاملوه مادام — فى تصورهم — على ولاء لموروثاتهم ، واستبد بهم هذا التصور الخاطىء حتى أمر النبى عليه الصلاة والسلام بأن يحول وجهه الى الكعبة عند ذاك تفجر الحقد المخبوء ، وبرح الوهم فانطلقوا فى كل واد يهيمون ، ينشرون الشائعات ، ويبثون الاراجيف حول قضية القبلة ، وكأنهم كانوا يظنون أنه ليس من حق أحد أن يتحول عن قبلتهم والا كان غير بار لقبلة الانبياء المرسلين وقالوا فيما قالوه من بغى ، وما روجوه من افك : ما الذى جعل محمدا يتحول عن بيت المقدس الى مكة ؟! انه يعاوده الحنين الى دين أبائه وأجداده !! لو كان محمد بارا بالحنيفية عن قبلته • وكانت الحرب النفسية لليهود تثير آلاما فى نفس النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتولى القرآن الكريم التصدى لها وكشف زيفها وضلالها ويبدو ذلك فى المواقف التالية :

❋ وصفهم القرآن الكريم بالسفاهة لانهم اثاروا قضية ليس من حقهم أن يثيروها ، وأن القبلة التى تلتقى حولها القلوب المؤمنة من أمر الله وحده ، وأن الله اصطفى هذه الامة الوسط ، واختار لها القبلة الحق التى بناها ابراهيم فقال تعالى : **(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) •**

❋ أكد القرآن الكريم أن هؤلاء اليهود كانوا يصدرون فيما يقولون

عن هوى غالب ، وتعصب باغ ، وأنه لن يفلح معه برهان أو دليل، فيقول تعالى : **(ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين)** ٠

* ناقش القرآن الكريم قضية ارتباط البر بجهة معينة ، وأبطل المفهوم الاسرائيلى للبر ، وأكد أنه بعيد كل البعد عن الارتباط بجهة معينة ، وأن عون الله ورعايته ومعيته للمؤمنين والمتقين ، والمحسنين من عباده لا تعنى الارتباط بجهة معينة أو مكان محدود فقال تبارك وتعالى : **(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)** ٠

وفى آية أخرى اضافة بعد هذا الرد تقدم المفهوم الصحيح للبر ، وأنه عبارة عن أشخاص صادقين يرتبطون بقيم الدين ومبادئه المثلى من عقيدة ترتكز على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وبذل كل عزيز أثير لدى الانسان من المال على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والوفاء بالعهد ، والصبر فى مواضعه المختلفة فيقول جل شأنه : **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)**٠

لكن ما الباعث وراء هذه الثورة العارمة ، والحرب النفسية الضارية ؟ ألان النبى تحول عن قبلتهم من حيث كانوا يتصورون أنه سيكون تابعا لهم ، ملتزما بمنهجهم ؟! قد يكون هذا أحد البواعث الثانوية لغضبهم المسرف، لكن وراء هذا الغضب ما هو أعظم

وأخطر ، وما هو أكبر مما نتصور ، ان فى حساب هؤلاء وفى خلدهم فكرا موروثا مؤداه أن رسالة السماء مقصورة عليهم ، خاصة بهم ، ولن يبعث الله رسولا من شعب سواهم ، وكيف لا ، وهم شعب الله المختار والامة المصطفاة التى أتاها الله الكتاب والحكم والنبوة ؟!! اذن الرسالة فيهم وحدهم ولا ينبغى أن تتجاوزهم ، وهذا الرسول الخاتم الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل ويرتقب القوم مقدمه ،ويستفتحون به قبل مبعثه ، وقبل أن يتعرفوا على شخصه — على الذين كفروا وفاجأتهم الاحداث بمبعث النبى محمد عليه الصلاة والسلام من العرب **(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** بل تمنوا من أعماق نفوسهم أن ترتد أمة العرب الى الكفر بعد الايمان **(ود كثير من أهل الكتاب • لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)** ••• وكان مسلك النبى صلى الله عليه وسلم معهم بعد الهجرة وقد اتسم بانسانية بالغة ورحمة واسعة كفيلا بأن يدفعهم الى أن يستبقوا شيئا من الرد يكون بمثابة غلالة رقيقة توارى أحقادا سوداء ونوايا خبيثة وكان الامل ولا يزال قائما فى نفوسهم أن تظل قيادة الرسالة السماوية بأيديهم ، وزمامها طوع ارادتهم ، فلما تحولت القبلة الى مكة تهاوى تماما صرح الامل الكاذب ، وذهبت أحلامهم أدراج الرياح،ووقع ماكانوا منه خائفين : لقد تحول تيار الرسالة من بنى اسرائيل الى بنى اسماعيل •• حدث هذا برسالة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام وتأكد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة ، البيت الحرام •

هذا الحدث الذى أقام له اليهود الدنيا وأقعدوها ، لم نعره اهتماما ولم نعطه ما يستحق من بحث ودرس ، مع أنه من أكبر الاحداث فى تاريخ الاسلام بعد الهجرة ، وكان وقوعه ايذانا بتحول زمام هداية البشر الى بنى اسماعيل ،

البقية على صفحة ١٥٢١

وسطية الإسلام

بقلم الدكتور / فؤاد خديجى العقلى

ان الدين الاسلامى هو دين الوسطية فى كل شىء ، ونعنى بالوسطية : الاعتدال والتوسط والاتزان فى كل جوانب هذا الدين الحنيف . فاذا كان الوسط « من كل شىء أعدله » (١) كما تصرح قواميس اللغة العربية ، فان الاسلام يستهدف هذه الوسطية فى كل عقائده وتشريعاته . ولذلك جعل الله المسلمين المهتدين بهدى هذا الدين أمة وسطا . قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢) .

أى خيارا ، عدولا ، لتشهدوا يوم القيامة ، على غيركم ممن سبقكم من الأمم ، أن الرسل قد بلغوهم شرع الله اليهم ، ويزكى شهادتكم ، ويعد لكم فيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . قال المفسرون : ان الوسط فى الأصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب اليه ، كمركز الدائرة ، ثم استعير للخصال المحمودة ، لمناسبة ان الأطراف يسرع اليها الخلل ، والأوساط محمية محوطة ، فكذلك الخصال الحميدة ، وسط بين اطراف مذمومة فالشجاعة ، وسط بين الجبن

---

(١) القاموس المحيط : ج ٢ : ص ٤٠٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

والتهور ، والعفة وسط بين الخمود والفجور ، الى آخر الفضائل ثم اطلق الوسط على المتصف بخلال الوسط مبالغة فكان أهل الاسـلام أمة وسطا ، أى خيارا عدولا ، لتمسكهم بدين الوسطية والاعتدال •

(أ) الوسطية فى العقيدة :

ففى مجال العقيدة ، نلاحظ هذه الوسطية واضحة فى قمة العقائـد الاسـلامية ونعنى بها عقيـدة التوحيد ، اى الاعتقاد بوجود الله تعالى ، ووحدانيته ، وصفات جلاله وكماله ، فالله ، سبحانه ، « ذات » ولكن « **ليس كمثـله شىء وهـو السميع البصير** » (١) ، وهو متصف بصفات جلال ، تنفى عنه ، سبحانه ، كل نقص ، فهو متصف « بالقدم » الـذى ينفى عنـه « الحـدوث » ومتصف « بالبقاء » الذى ينفى عنه « الفناء » و « بالوحدانية » التى تنفى « التعدد » وهكذا • كما أنه متصف بصفات « كمال » يتحقق له بها كل كمال يليق بمقام الألوهيـة الحقة • من « العلم ، والقـدرة ، والارادة ، والسـمع ، والبصر ، والكلام » هذه العقيدة السليمة هى وسـط بين طرفـين منحرفـين فى « التأليه » • طرف المبالغه والافراط الذى يتمثل فى « تجسيد » الألـه أى اعتقاد أنه جسم ، تلزمه لوازم الجسمية من «التحيز» ،«والحلول» و « الاتحـاد » وغيرها من لوازم الجسـمية ، كما انحرفت الى ذلك طوائف مختلفة من : ديانات وضعية زائفة ، ومذاهب ذات أصـل دينى سماوى ، لكنها زاغت عن القصد ، وعدلت عن جادة العقيدة الحقـة • وطرف المبالغة فى « التجريد » الذى ظنته الفلسفات الاغريقية ، ومن نحا نحوها « تنزيها » وهو فى مضمونه وفحواه ، ليس الاضربا من شطط الخيال ، يضع « وجود » الاله ، فى متاهة الغموض الفلسـفى ، وينزل هذا « الوجود » فى دائرة باهتـة

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

تحيط بها « السلوب » وتحف بهـ « التجريدات الفلسـفية » التى تتجاوز كل تعقل • « فأفلاطون » يصل فى « تجريداته » هـذه ، الى حد أنه ينكر اتصاف الله بالوجود! « ليقـول ان الله لا يوصـف بأنه موجود ، تنزيها له عن الصفة التى يقابلها العـدم ، وتشـترك فيهـا الموجودات أو الموجدات » (١) •

وأرسطو : صـاحب أعظم عقليـة اغريقية يذهب الى أن الاله لا عمل له ولا ارادة حيث كان العمل طلبا لشىء والله غنى عن كل طـلب ، وكانت الارادة اختيارا بين أمرين ، والله قد اجتمع عنـده الأصـلح الأفضل من كل شىء ، فلا حاجة به الى الاختيار ، ولا يناسبه عمـل يبدؤه فى زمان « فالالـه الـكامل لا يعنيه أن يخـلق العـالم » (٢) ولا أن يعلم عنه شيئا ، اذ العـالم ناقص ، والكامل لا يليق به أن يعلم بالناقص وهـكذا يتخبـط العقـل البشرى ، غـير المهتـدى بهـدى السماء ، فى فهم الكمـال الالهى ، فيفهمه كمالا ، لا يعمل ، ولا يريد ، أو يفهمه على أنه « كمال مطـلق ، يوشك أن يكون هو والعدم المطلق على حد سواء » (٣) •

وفى مجـال النبوات : يضـع الاسلام الانبياء والرسـل ، فى وضعهم الصحيح دون افراط ، أو تفريط ، فهم « بشر » يجوزعليهم ما يجوز على البشـر من أعراض بشرية ، بشـرط ألا تكون مخلة بمقـاماتهم العلية ، وهم فى نفس الوقت فى أعلى قمم السلوك والخلق العظيم ، فهم معصـومون عن كل الذنوب صـغيرها قبل كبيرهـا • « قل انما أنا بشـر مثلكم ، يوحى الى » (٤) ⊛

فلا ينبـغى أن نرفعـهم عن « البشـرية » ولا أن ننزلهم الى « درك » المعـاصى والذنـوب ، ونلصـق بهم خطايـا ، ونحملهم

---

(١) حقائق الاسلام : عباس العقاد : ص ٣٧ •
(٢) المصـدر السـابق •
(٣) نفس المصدر : ص ٣٨ •
(٤) الكهف : ١١٠ •

ذنوبا ومعاصى ، هم منهم مبرءون ، لأنهم صفوة الخلق ، وقدوة الناس ، والداعون الى منهج الله عز وجل .

(ب) الوسطية فى التشريع :

وفى مجال التشريع تتجلى « الوسطية » بأوضح صورها :

(أ) فالعبادات فى الاسلام قد روعى فيها « الاعتدال » فى التكليف بحيث لا تتجاوز طاقة المكلف « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** »(١) . وبحيث لا ترهقه ، ولا يشق عليه أداؤها « **يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر** » (٢) .

ولما كان الله سبحانه يعلم ضعف الطبيعة البشرية ، وشدة ميل النفوس الى الجوانب الدنيوية ، وركونها الى لذاتها الحسية ، وتعذر انخلاعها عن مألوفها ، حيث أخبر الحق سبحانه أنه « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث** »(٣) اقتضت حكمته ورحمته بخلقه ، أن يكون الدين الخاتم ، الذى هو التعبير النهائى عن منهج الله الى أن تقوم الساعة، أن يكون طابع هذا الدين هو « الوسطية » ، وأن تكون « الوسطية » هنا ماثلة الى جانب التخفيف « **الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفا** » (٤) .

لذلك نجد التيسير والبعد عن الحرج هما الطابع المميز للتكاليف الاسلامية فى العبادات وفى المعاملات على حد سواء .

* فالصلوات الخمس لا تستغرق فى أدائها ساعة من نهار ، مع التيسير فى أدائها حسب الاستطاعة من قيام أو قعود أو اضطجاع !

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) البقرة : ١٨٥ .
(٣) آل عمران : ١٤ .
(٤) الانفال : ٦٦ .

* والزكاة لا تزيد عن ٥ر٢ ٪ من المال ، وعن العشر أو نصـــفه فى المزروع .

* والصيام شـهر واحـد فى العام ، وللمـريض والمسافر ومن فى حكمهما أن يفطروا ، ثم يقضوا من أيام أخر ، عند القدرة بـدون مشقة .

* والحـج مـرة واحـدة فى العمر ، مع القدرة والاسـتطاعة ، وأمن الطريق .

(ب) وان أروع مظـــاهر « الوسطية » فى الاســلام تتجلى فى توفيقه وموازنته بين مطـالب الروح ومطـالب الجسـد . فمن صور ذلك :

* الأمر بالاعتدال فى المـأكل والمشرب : « **وكلـوا واشربـوا ، ولا تسرفوا** » (١) .

* التحذير من ارهـاق البدن بالعبادة ، فعن أنس رضى الله عنه قال : جـاء ثـلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا ، كانهم تقـالوا ، وقـالوا : اين نحن من النبى صلى الله عليه وسـلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه ومـا تأخر ، قال أحدهم اما انا ، فاصلى الليل أبدا ، وقـال الاخـر : وأنا أصـوم الدهر أبدا ، ولا افطـر وقال الاخر ، وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج ابدا ، فجاء رسول الله ، صلى الله عليـه وسـلم ، اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله ، انى لأخشـاكم للـه ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سـنتى فلـيس منى » (٢) .

وقال النبى صـلى الله عليـه وسـلم لعبـد اللـه بن عمرو بن العاص : « ألم أخبر أنك تصـوم النهار ، وتقوم الليل ، قلت : بلى ، يارسول الله ، قال : فـلا تفعل ، صم ، وأفطـر ،ونم وقم ، فـان

---

(١) الاعراف : ٣١ .

(٢) رياض الصالحين : ص ٧٥ .

لجسدك عليك حقـا ، وأن لعينك عليك حقـا ، وان لزوجـك عليك حقا » (١) •

* التوازن الدقيق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، وشـعار الاسـلام فى هذا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » هـذا الشـعار الذى تعبر عنه الآية الكريمة الآتية أصدق تعبير •

قال تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الـدار الآخـرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كمـا أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان اللـه لا يحب** المفسدين » (٢) •

فالاسـلام يرفض الرهبانية ، واعتزال الحياة الجـادة العاملة ، لصالح الانسـانية كمـا يرفض الانهماك الجشع فى ملذات الحياة ، وشهواتها ، حتى ينسى الانسـان ربه ، ويغفل عن الله وعن عبادته •

نقرأ فى هذا قول اللـه تعـالى : « **ان الذين لا يرجـون لقاءنـا ، ورضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النـار بمـا كـانوا يكسبون * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم** » (٣) فالاسـلام يوجه المسلم الى السـعى الـدائب فى المجالين ، والعمل الجاد للحياتين ، « **يا أيها الذين آمنـوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسـعوا الى ذكر الله وذروا البيـع** » (٤) ثم يقول اللـه تعـالى « **فـاذا قضـيت الصـلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضـل الله ، واذكـروا اللـه كثيرا ، لعلـكم تفلحون** » (٥) •

وفى الوقت الذى ينعى على من

---

(١) رياض الصالحين : ص ٧٨ .
(٢) سورة القصص : ٧٧ .
(٣) يونس : الآيات : ٧ ــ ٩ .
(٤) الجمعة : ٩ .
(٥) الجمعة : ١٠ .

يحسب الدنيا ويسعى اليها فقط غافلا عن الاخرة ، نجده يرحب ويمتدح من يطلب الاثنتين معا ، ويعمل لهما جميعا ، نقرأ فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا ، وماله فى الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » (١) .

* وفى انفاق المال وسطية واضحة ، فلا تقتير ولا اسراف :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما »(٢).

وقال تعالى : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » (٣) .**

هذا التوازن الدقيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، بين عمل الدنيا ، وعمل الآخرة ، هو الذى اعطى للاسلام الميزة الكبرى على كل دين ، بأنه دين الفطرة **« فطرة الله التى فطر الناس عليها » (٤) .**

وقد فطر الناس على أنهم مركبون من أجساد وأرواح ، ولكل من الجسد والروح مطالبه ، لذا فقد انتزع الاسلام الناس من صوامع الرهبنة والانعزالية والتقوقع داخل الاديرة والكهوف ، كما انتشلهم من جحيم المادية الجامحه ، وطغيان الجسدية البهيمية المستكلبة .

واذا كانت الرهبنة والانعزالية عن المشاركة الايجابية الجادة فى شئون الحياة قد مضى زمانها ، وأصبحت الآن لا تشكل خطورة تهدد سير الجماعة البشرية فى طريقها الصحيح ، فان الطرف الآخر من طرفى الانحراف عن الجادة ، وهو طرف المادية

البقية صفحة ١٥٢١

---

(١) البقرة : ٢٠٠ — ٢٠٢ .
(٢) الفرقان : ٦٧ .
(٣) الاسراء : ٢٩ .
(٤) الروم : ٣٠ .

أعلام الإسلام

من أئمة المحدثين :

الإمام أبو داود

لفضيلة الدكتور/ الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

امام جليل من أئمة السنة له فيها مجهود مشكور ، وعمل مبرور وهو كتاب السنن الذى لم يؤلف مثله فى الأحكام دون غيرها فصار مرجع الفقهاء ، وعدة المجتهدين ، واستحق صاحبه الثناء .

نسبه ومولده :

هو سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشير بن شداد بن يحيى الأزدى السجستانى صاحب المؤلفات المشهورة ، والجهود المحمودة فى مجال الحديث .

نشأ محبا للعلم ، راغبا فى العلماء ، ملازما لمجالس التعليم ، فحصل من العلم فى بلده ما أمكنه ورحل فى سبيل ذلك الى كثير من البلاد ، ولنترك الامام أبو داود يتحدث عن نفسه فيما رواه محمد بن على ابن عثمان الآجرى قال : سمعت سليمان بن الأشعث يقول : ولدت سنة اثنتين ومائتين ، وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين (أى ومائتين) وسمعت من أبى عمر الضرير مجلسا واحدا ، ودخلت البصرة وهم يقولون : أمس مات عثمان المؤذن ، وتبعت عمر بن حفص بن غياث الى منزله ، ولم أسمع منه شيئا ، ورأيت خالد ابن خراش ولم أسمع منه شيئا ، وسمعت من سعدويه مجلسا واحدا ، وسمعت من عاصم بن على مجلسا واحدا ، قلت : سمعت من يوسف الصفار ؟ قال : لا ، قلت سمعت من ابن الأصفهانى ؟ قال : لا ، قلت سمعت من عمرو بن حماد بن طلحة ، قال لا ،

ولا سمعت من مخول بن ابراهيم ثم قال : هؤلاء كانوا بعد العشرين ، والحديث رزق ، ولم اسمع منهم ، وكان لا يحدث عن ابن الحمانى ، ولا عن سويد ، ولا عن ابن كاسب ، ولا عن ابن حميد ، ولا عن سفيان بن وكيع ، ولم يسمع من خلف بن موسى بن خلف ولا من أبى همام الدلال ، ولا من الرقاشى • ورحل أبو داود الى كثير من البلاد ، وسمع من شيوخها ، وعلى الأخص مصر والشام ، والجزيرة والعراق وخراسان وغيرها وسكن البصرة ، وقدم بغداد غير مرة ، وحدث فيها بكتاب السنن ، بل يقال : انه صنفه بها ، وعرضه على الامام أحمد فاستجاده واستحسنه ، وكان آخر العهد به فى بغداد فى أول سنة احدى وسبعين ومائتين ، فخرج منها ، ولم يعد اليها ، ونزل بالبصرة وكان بها وفاته •

شيوخه وتلاميذه :

أخذ أبو داود عن كثير من الشيوخ من شتى الأقطار ، واتصل بمختلف المدراس ، ومن أشهر شيوخه الأئمة أحمد بن حنبل ، وعبد الله ابن مسلمة ، وموسى بن اسماعيل التبوذكى ، وأبو عمر الضرير ومسلم بن ابراهيم ، وعبد الله بن رجاء ، وأبو الوليد الطيالسى وأحمد ابن يونس ، وأبو ثوبة الحلبى ، وقتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة ، وابراهيم بن موسى الفراء وغيرهم •

وقد شارك البخارى ومسلما ، وقتيبة بن سعيد والقعبنى ، وفى هذا ما يدل على أن الفرق بينه وبين الشيخين ليس الا فرقا فى التأثر والتعبير •

أما تلاميذه ، ومن روى عنه فهم كثيرون من أشهرهم أبو عيسى الترمذى ، وأبو عبد الرحمن النسائى ، وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبو عوانه ، وأبو بشر الدولانى ، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك ، وأبو سعيد بن الأعرابى ، وأبو على اللؤلؤى ، وغيرهم وبحسبه فضلا أن روى عنه شيخه الامام أحمد بن حنبل حديثا سمعه منه ، بل وأحضر الدواة

والقرطاس ، وطلب منه املاء هذا الحديث ، بل وأوصى آحد وراقه بكتابة هذا الحديث عنه •

وهذا الحديث هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمه عن أبى معشر الدرامى عن أبيه « أن رسول الله » صلى الله عليه وسلم » سئل عن العتيرة فحسنها » •

مؤلفاته :

وكما كان الامام مثلا فى الحديث والرواية ، والنوعية والتدريس ، كان رائدا فى تأليفه وانتقائه لمواضيع بحثه فألف المؤلفات الشيقة فى المجالات الدقيقة من مجالات التأليف وترك ثروة من الكتب ضاع أكثرها فى زحام النكبات والأزمات ومن أشهر هذه المؤلفات •

كتاب السنن ، كتاب القدر ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب المسائل كتاب الزهد ، كتاب دلائل النبوة ، كتاب الدعاء ، كتاب ابتداء الوحى كتاب أخبار الخوارج ، كتاب فضائل الأعمال ، كتاب المراسيل وهكذا اشتملت مؤلفات الامام على ما لم يشتمل عليه كتاب السنن فكونت بمجموعها ثروة علمية متكاملة •

وفاته : وبعد حياة حافله بخدمة العلم ، ومتانة البحث ، وجدية العمل ، اختاره الله لجواره فتوفى فى السادس عشر من شوآل سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة ، ودفن بها الى جانب قبر سفيان ، بعد أن صلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمى ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء •

سنن أبى داود :

عددها الامام الكبير أحمد المعروف بشاه ، ولى الله الدهلوى، فى كتابه حجة الله البالغة من الطبقة الثانية من كتب الحديث ، وهى كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ، ولكنها تتلوها ، عرف مصنفوها بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر فى فنون الحديث•

ولم يرضوا فى كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على

أنفســـهم ، وتلقـــاها من بعـــدهم بالقبول ، واعتنى بهـــا المحـــدثون والفقهـــاء طبقـــة بعـــد طبقـــه ، واشتهرت فيما بين الناس ، وتعلق بها القوم ، شرحا لغريبها وفحصا عن رجالهـــا ، واستنباطا لفقهها ، وقال فى موضع آخر : « وجمـــع فيها الصحيح والحســـن ، واللين الصالح للعمل ، وترجم عـــلى كل حديث بما استنبطه منه عالم ، أو ذهب اليه ذاهب أ هـ

وقد انتقاه من خمســـمائة ألف حديث فبلغ أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها فى الأحكام ، وأكثرها مشاهير ، وأبرز فيه ثروته الفقهية التىامتاز بها على من عدا البخارى من الأئمة الستة وجمع فيها أبواب الفقه والاحاديث التى استدل بها فقهاء الامصار، وبنوا عليها الاحكام حتى لقد قيل « ان الســـنن تكفى المجتهد بعد كتاب اللـــه تعـــالى ، وجعله خالصا للأحكام دون غيرها، كالفضائل والقصـــص ، والمواعظ والآداب أخذا بمبدأ التخصص ، وتحديد جانب من جوانب الســـنة المتعددة لجمعه وانتقـــائه وامداد الباحثين والمؤمنين بكل ما يتصـــل به • ، وقـــد ظهـــرت براعتـــه فى التراجم على الاحاديث ممـــا دل على كمال احاطته بمذاهب العلماء، ومعرفته بمسالكهم فى الاستدلال ، فاعتنى بكتابه الفقهاء ، واشـــتهر بينهـــم ، وكان من أوفى المراجـــع بالنسبة اليهم ، وأثنى عليه كثير من العلماء •

تقييم السنن :

لم يدخر العلماء وسعا بعد المدح الاجمالى لكتب السنة ، ووضـــع كل منها فى موضعها الذى تستحقه ــ فى نقد كل منها واعطاء صـــورة واضحة عن منهج مؤلفها ، ومكانة مؤلفه ، وما فاته فيه ، وما يمكن أن يستدرك عليه • وتحدث عن السنن جها بذة العلماء فقال ابن الصلاح المتوفى سنة ١٤٢ هـ فى مقدمته :

ومن مظانه « أى الحسن » سنن أبى داود السجستانى « رحمـــه الله » روينا عنه أنه قال : ذكرت فيه الصحيح وما يشبهه ، ويقارنه وروينا عنه أيضا ما معنـــاه : أنه

يذكر فى كل باب أصح ما عرفه فى ذلك الباب ، وان ما كان فى كتابه من حديث فيه وهن شديد بينه ، وما لم يذكر فيه شيئا فهو صالح ، وبعضه اصح من بعض ، فعلى هذا ما وجدناه فى كتابة مذكورا مطلقا وليس فى واحــد من الصحيحين ، ولا نص على صحته احد ممن يميز بين الصحيح والحسن ، عرفنا بانه من الحسن عند ابى داود •

وقــد يكون فى ذلك مــا ليس بحسن عنده ، ولا يندرج فيمــا ضبط حد الحسن به ، ثم قــال : قال ابن منــده : كان أبــو داود الســجستانى يأخذ مأخذ النسائى من التخريج عن كل من لم يجمــع على تركه ، وكان يخرج الاســناد الضعيف اذا لم يوجد فى البــــاب غيره لأنه أقــوى عنــده من رأى الرجال ، فكان فى ذلك مثل أستاذه « أحمد بن حنبــل » رحم اللــه الجميع •

وقد أوضح أبو داود منهجه فى السنن ، ونظرته اليها فى رســالته الى أهل مكة ردا على سؤالهم لــه عن ذلك ، ومن هــذه الرســـالة نقتطف ما يفى بالغرض ويحقــق المقصود •

قال ابو داود : اما بعد (عافانا الله واياكم عافيه لا مكروه معها ، ولا عقاب بعدها • فانكم ســالتم أن أذكر لكم الأحــاديث التى فى كتاب السنن اهى أصح ما عرفت فى البــاب ؟ ووقفت عــلى جميــع ما ذكرتم •• فاعلموا انه كذلك كله الا أن يكون قــد روى من وجهين صــحيحين ، فأحدهمــا اقــوم اسنادا والآخر صاحبه أقــوم فى الحفظ ، فربما كتبت ذلك ، ولا ارى فى كتابتى من هذا عشرة أحاديث ، ولم أكتب فى البــاب الا حــديثا أو حديثين • وان كان فى البــاب أحاديث صحاح فانها تكثر • وانما أردت قرب منفعته ، واذا أعــدت الحديث فى الباب من وجهين وثلاثة فانما هو من زيادة كــلام فيــه ، وربمــا فيــه كلمــة زائــدة على الأحــــاديث ، وربمــا اختصرت الحديث الطويل لأنى لــو كتبتــه بطوله لم يعلم بعض من يسمعــه المراد منه ، ولم يفهم موضع الفقه فيه ، فاختصرتــه لذلك •• وأمــا

المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى ، مثل سفيان الثورى ، ومالك ، والأوزاعى حتى جاء الشافعى فتكلم فيه ، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم ، فاذا لم يكن مسند ضد المرسل ، ولم يوجد مسند غير المرسل ، فالمرسل يحتج به • وليس هو مثل المتصل فى القوة • وليس فى كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شىء ، فاذا كان فيه حديث منكر ، بينت أنه منكر ، وليس على نحوه فى الباب غيره ، وهذه الأحاديث ، ليس منها فى كتاب ابن المبارك ، ولا كتاب وكيع الا الشىء اليسير ، وعامته فى كتاب هؤلاء مراسيل • وفى كتاب السنن من موطأ مالك بن أنس شىء صالح ، وكذلك من مصنفات حماد بن سلمه ، وعبد الرازق ، • وقد ألفته نسقا على ما وقع عندى فان ذكر لك عن النبى « صلى الله عليه وسلم » سنة ليس مما خرجته ، فاعلم أنه حديث واه ، الا أن يكون فى كتابى من طريق آخر ، فانى لم أخرج الطرق ، لأنه يكثر على المتعلم ، ولا أعرف أحدا جمع على الاستقصاء غيرى • وما كان فى كتابى من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ومنه مالا يصح سنده ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح ، وبعضها أصح من بعض ، وهذا لو وضعه غيرى لقلت أنا فيه أكثر ، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبى « صلى الله عليه وسلم » باسناد صالح الا وهى فيه الا أن يكون كلاما استخرج من الحديث ، ولا يكاد يكون هذا ، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب ولا يضر رجلا أن لا يكتب من العلم شيئا بعد ما يكتب هذا الكتاب •

واذا نظر فيه ، وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره ، وأما هذه المسائل ، مسائل الثورى ، ومالك ، والشافعى ، فهذه الأحاديث أصولها •• والأحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن أكثرها مشاهير ، فانه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ،

ويحيى بن سعيد ، والثقات من أئمة العلم ، وهى عند كل من كتب شيئا من الأحاديث ، الا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس ، والفخر بها أنها مشاهير، فالحديث المشهور المتصل الصحيح ليس يقدر أن يرده عليك أحد وأما الحديث الغريب ، فانه لا يحتج به ، ولو كان من رواية الثقات من أهل العلم • قال ابراهيم النخعى: كانوا يكرهون الغريب من الحديث ، وقال يزيد بن أبى حبيب ، اذا سمعت الحديث فأنشده كما تنشد الضالة ، فان عرف والا فدعه ، وان من الأحاديث فى كتابى السنن ما ليس بمتصل ، وهو مرسل ، ومدلس وهو اذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل ، وهو مثل الحسن عن جابر ، والحسن عن أبى هريرة ، والحكم عن مقسم عن ابن عباس، وليس بمتصل ، وسماع الحاكم عن مقسم أربعة أحاديث ، وأما أبو اسحق عن الحارث عن على ، فلم يسمع أبو اسحق من الحارث الا أربع أحاديث ، ليس فيها مسند واحد ، وأما ما فى كتاب السنن من هذا النحو فقليل ولعله ليس للحارث الأعور فى كتاب السنن الا حديث واحد ، فانما كتبته بآخره ، وربما كان فى الحديث شبه الحديث منه ، اذا كان ذلك يخفى على ، فربما تركت الحديث اذا لم افقهه ، وربما كتبته وبينته، أو لم أقف عليه ، وربما أتوقف عن مثل هذه ، لأنه لا ضرر على العامة أن يكتب لهم كتاب من هذا الباب فيما مضى من عيون الحديث ، لأن علم العامة يقتصر عن مثل هذا ولم أصنف فى كتاب السنن الا الأحكام ، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الاعمال وغيرها ، فهذه أربعة آلاف وثمانمائه (٤٨٠٠) كلها فى الأحكام ، وهناك أحاديث كثيرة فى الزهد والفضائل وغيرها لم أخرجها •• والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » •

عناية العلماء بالسنن •

اعتنى بها العلماء رواية

ودراية ، فاشتهرت روايتهـا عن أربع هم :

١ ــ أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار المصرى المعروف بابن داسة المتوفى سـنة ٣٤٦هـ .

٢ ــ أبو سعيد أحمد بن محمد ابن زياد بن بشر المعـروف بابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

٣ ــ أبو على محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤى البصرى .

٤ ــ أبو عيسى اسـحق بن موسى بن سعيد الرملى وراق أبى داود .

ورواية ابن داسـه أكمـل الروايات ، ورواية الرملى تقارنها وروايـة اللـؤلؤى من أصـح الروايات ، لأنها من آخر ما أملى أبو داود ، وعليها مـات رحمـه الله ، ورواية ابن الأعرابى فيهـا أبواب ساقطة ونقص كبير .

وقام كثير من العلمـاء بشرح السنن منهم :

١ ــ الامام أبو سـليمان أحمد ابن ابراهيم بن خطـاب البستى الخطابى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ثمان وثمانين وثلثمائة (وقيـل اسـمه حمد بدون ألف) وسـمى شرحه « معالم السنن » وهو شرح وسط اهتم فيـه باللغـات ، وتحقيـق الروايات ، وضـبط الكلمـات ، واسـتنباط الأحكام والاداب ، والكشـف عن المفاهيم الفقهية فى الأحاديث ، وتوضـيح المعـانى المستغلقة ، وقد طبع بمصر وغيرها وهو موجود ومتداول .

٢ ــ شرح الشيخ قطب الدين أبو بكر اليمنى الشافعى المتـوفى سـنة ٦٥٢ اثنتين وخمسـين وستمائه ، ويقع فى أربعة مجلدات كبـار .

٣ ــ شرح الشيخ العـلامه سراج الـدين عمر بن عـلى بن الملقن ، اقتصر فيـه عـلى شرح زوائده على الصحيحين ويقع فى مجلدين .

٤ ــ شرح الشـيخ ولى الدين احمد بن عبـد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦ شرح من أولـه

الفكر الاسلامى يقبل التقدم العلمى والتكنولوجى • فمن الضرورى أن نساير العصر •• والعلم لا وطن له • فهو حق البشرية كلها • وللمسلمين ولغيرهم الحق فى الاستفادة من انجازاته • ولكنه يرفض التقدمية بمعنى الانحراف عن أخلاقيات مجتمعنا والانزلاق الى المادية والأفكار المستوردة بدعوى مسايرة العصر ومتطلبات الحياة الحديثة •

التقدمية فى الاسلام أن نجتهد لنبسط أحكام الشريعة لتغطى متطلبات العصر • لا أن ننسلخ عنها لننزلق مع وهم كبير اسمه المادية العصرية •

لقد آن الأوان لمواكبة النهضة العلمية والاقتصادية والتكنولوجية التى نمر بها الآن • أن نولى أمر الدين وتعاليمه ووسائله قدرا من الاهتمام • بالأسلوب الذى يجذب العقول والنفوس • وبالمنهج الصحيح فى الدعوة والاقناع • حتى لا يتوه الجانب الروحى من الانسان فى خضم التطور •

***

عاطف زهران

جمال الدين الأفغانى رائد عالمى

للدكتور / عبد الغنى الراجحى

العظماء لا يموتون بل يخلدون فى أعمالهم وآثارهم ومناهجهم التى وضعوها فى حياتهم للناس ينفذونها من بعدهم ويترجمونها الى واقع عملى وفى هذا المعنى يقول قائلهم •

تلك آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا الى الآثار

نعم ان العظماء يعيشون عمرين عمرهم الأول الذى يقضونه فى الحياة بين الناس ثم يلحقون بربهم بعد سنيين من حياتهم طالت أم قصرت ، أما عمرهم الثانى فانهم يعيشونه فى ذاكرة الناس وذكرياتهم عنهم وتمجيدهم لهم والاشادة بما تركوه وراءهم للناس من مناهج الأفكار والمبادىء التى قضوا عمرهم الاول فى الدعوة اليها والحث عليها واستنهاض الجماهير نحوها من الاصلاحات الدينية والاجتماعية والوطنية والسياسية • يعيشون العمر الثانى لأن الأحاديث عنهم تخلدهم والأقتداء بهم والسير على مناهجهم ومبادئهم يخلدهم • وهذا العمر الثانى للعظماء هو خاصتهم وميزتهم بين بنى البشر من يوم أن خلق الله الدنيا حتى يومنا هذا • وهى خيرة الانسانية الناضجة والزعمات المثالية ، ولئن كان العمر الاول لهم يشاركهم فيه كل الناس ويشبههم فيه سائر الآدميين بل سائر الحيوانات ، فان عمرهم الثانى هو خاصة الخواص وميزة المتميزين الذين ميزهم الله بالعقل الراجح والهمة العالية

والرأى الصائب والنظر الثــاقب يرتــادون للنــاس ويقـــودون ويسودون ويرشـــدن الى ما فيه خير الناس فى الدنيا والآخرة •

عمر الرجال يقاس بالأمر الذى

شـــــادوه لا بتقــادم الميــلاد

ســنة كونية وحقيقة عمرانيــة وظاهرة اجتماعية تحتاج الى لفتة ذهنية وتحديقة فكرية • كشف عنها النقاب أمير الشعراء فى قوله •

دقــات قــلب المــرء قــائلة له

ان الحيـــاة دقــائق وثــوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكـــرها

فالذكـــر للانســـــان عمر ثـــان

ان المرحوم الشيخ جمال الدين الأفغانى كان واحـــدا من هـــؤلاء العظماء الذين تركوا بصماتهم على أديم الحياة العربية والاســـلامية والعالمية • من العظمـــاء الـــذين يخلدون فى ذاكرة الناس وواقعهم المعايش تجدد ذكراهـــم آثارهـــم وأعمالهم وأفكارهم البنـــاءه التى تركوها للناس نبراســـا يستضيئون بضوئها ويهتدون بهديها • لقد كان واحدا من هؤلاء الذين لا تتساهم الشعوب بســـهولة لان الشـــعوب ما بين حين وآخر تعترضها فى حياتها من الظواهر والمشـــاكل ما يذكرهم بهم ويصرفهم طائعـــين أو مكرهين الـــى تلمس الاهتــــداء بهـــديهم وتحسس الاستنارة برأيهم • لقد كان امة فى رجل امة فى خلقه ، فى علمه ، فى دينه فى آرائه وأفكاره فى شجاعته وجرأته فى اعتماده على نفسه بعد الله وكان رجلا فى أمة تداركها اللـــه بلطفه أمة العـــرب والمسلمين قيض الله لها هذا الرجل النادر المثال الذى لا يجود بمثله الزمان الا فى القليل النادر • وكان مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :ان الله يبعث لأمتى على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها فلا رسالة ولا نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولكن مصلحون من المسلمين ينهضـــون ويستنهضـــــون الهمم ويبعثون فى الناس مفاهيم الاسلام يحضونهم عليها ويوقظون فيهم مشـــاعرهم

الدينية ومواجدهم الاسلامية ويأخذون بأيديهم الى الهدى الذى جاء به الاسلام والرشاد الذى أكمل الله به النعمة واتم به الدين وقال عنه فى محكم كتابه فى حجة الوداع **« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** .

اننا نحن العرب والمسلمين نعيش اليوم جمال الدين وآراء جمال الدين وأفكار جمال الدين(١) بل ان العالم كله انتهى أمره الى أن يعيش جمال الدين وأفكار جمال الدين وآراء جمال الدين وذلك لسبب ظاهر جدا . هو أنه رحمه الله كان يحمل على الاستعمار حملات شعواء بها جمه ويشجبه ويبغى عليه ويعتبره وصمة عار فى جبين الانسانية لانه استغلال الانسان لأخية الانسان، واستحلال الانسان لأخيه الانسان ، واستعباد الانسان لأخيه الانسان ، ينشب المستعمرون مخالبهم وانيابهم كالوحوش الكاسرة فى حياة الشعوب المستضعفة يمتصون دماءهم ويغتصبون ثرواتهم ويحكمونهم بالحديد والنار ويسومونهم سوء العذاب .

ودعوى القوى كدعوى السباع
من الناب والظفر برهانها

فكان جمال الدين يشعل نيران الحماس فى نفوس الشعوب المستعمرة والمستعبدة والمعذبة فى الأرض . يستنهض هممهم ويحرضهم على معاداة الاستعمار ومحاربته والوقوف فى وجهه والثورة عليه وعدم الرضاء به والاستكانة له . الاستعمار الأوربى لشعوب العرب والمسلمين فى آسيا وافريقيا نددبه جمال الدين

---

(١) نشرت جريدة مايو فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٢ أن كاتبا أمريكيا أخرج كتابا عن السيد الرئيس محمد أنور السادات ، وقال فيه : انه فى أفكاره وسياسته وأعماله متأثر بأفكار وآراء الشيخ جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده » .

وحاربه بكل ما أوتى من قوة حربا شعواء لا هوادة فيها ونادى عليه أن يأخذ عصاء ويرحل وزرع له المتاعب فى كل مكان وأينما كان فلم يمض نصف قرن من الزمن بعد وفاة جمال الدين تقريبا الا وقد تخلص العالم نهائيا من جريمة الاستعمار وفضيحة الاستعمار وسب الاستعمار • وانتهى العالم جميعه وبصورة نهائية اليوم الى آراء وأفكار جمال الدين حيث انبثقت عن هيئة الأمم المتحدة لجنة لمكافحة الاستعمار وتصفية الاستعمار ولجنة أخرى لحقوق الانسان وشجب التفرقة العنصرية وإذا كان ذلك كذلك فاننا نحن العرب والمسلمين نعيش اليوم جمال الدين وأفكار جمال الدين بل ان العالم كله يعيش اليوم طائعا أو مكرها جمال الدين وأفكار جمال الدين • والعظماء لا يموتون •

وكان جمال الدين رحمه الله رحمة واسعة يوجه كذلك سهام نقده الى الصف الثانى من الظلمة الذين يحكمون شعوب العرب والمسلمين والذين كانوا يعتبرون مخالب قط للاستعمار وعملاء مخاصين له يظلمون الشعوب ويستبدون بها ولا يسيرون فى الرعية سيرة حميدة شعارها العدل ورعاية مصالح الجماهير • ويضحون بمصالح الجماهير من الرعية الفقيرة ، الكادحة فى سبيل مصالحهم الشخصية وشهواتهم البهيمية ومصالح الاقطاعيين والرأسماليين الذين كانوا يحتكرون خيرات البلاد وثرواتها ليعيشوا فى قمة الثراء بينما الشعوب والأفراد يتضورون جوعا وينهشهم الفقر والجهل والمرض • هؤلاء الحكام من السلاطين والأباطرة والخديويين والقياصرة الذين كان رحمه الله يقابلهم وجها لوجه ليلفت أنظارهم الى هذه المظالم ويضع لهم مناهج الاصلاح والعدل والخير • التى كان يستمدها من مبادىء الاسلام وتعاليم القرآن فكانوا يقربونه أول الامر وينظرون هروبه بالاستماع الى نصائحه والعمل على تنفيذ كلمته ومناهجه • لكنهم كانوا اذا جد الجد وأوشك الامر على التنفيذ

تنكروا له وقلبوا لــه ظهــر المجن
وبارزه بالعداوة وعاقبوه بالطردمن
بلادهم وانسحل فى الشوارع وعلى
الجليد أحيانا • يتوجع ويقول :

كذلك خطى لا أصــاحب صــاحبا
من الناس الا خــاننى وتغــيرا

صــــاحبه قيصر الروس أولا
وكان جمــال الــدين قــد تقرب
اليــه محــــاولا أن يضرب بــه
الاستعمار الاوربى الناشب أظفاره
فى بلاد العروبة والاســــلام •
ولكن سرعان ما تنكر له القيصر
وطرده من بلاده وكذلك فعل معه
ناصر الدين شاه ايران فقد التقى
به مرتين فى كل مرة يعرض عليه
برامج الاصلاح وينصحه ويحذره
عواقب الأمور الوخيمة ولكنه كان
سرعان ما يأمر بطرده من البلاد •
وكذلك فعل معه الخديو توفيق فى
مصر فانهما التقيا لوضــع مناهج
الاصلاح والسير فى الرعية سيرا
حميدا مستبصرا • ولــكن سرعان
ما تنكر له الخديو وقام بطرده من
مصر • وشــيئا كهذا فعــل معــه
الســلطان عبد الحميد فانه كــان
يقربه متظاهرا بالاسترشاد برأيه
والاستماع لنصائحه • لكنه كان
سرعان ما يتنكر له ويؤلب عليــه
حاشيته وأعوانه وكانت الشعوب
والجماهير العريضة ترقب كل ذلك
باهتمام ويعمل فى صــدرها الغيظ
من هؤلاء الظلمة وتتحين الفرص
للثورة على الظالمين الضالين فأخذت
الشعوب بعد ذلك تقوم بالثورات
تلو الثورات وتنتفض انتفاضــات
تهوى على أثرها العروش والتيجان
وتنتصر كلمة الشــعوب وارادة
الجماهير فثارت ايران على ناصر
الدين شاه ايران وقتلتــه ولــم
يستطع جمال الدين كتمان فرحــه
واعجابه بذلك وهو فى تركيا عند
السلطان عبد الحميد الذى توجس
الخيفــة من أن يحصــــل له ذلك
مستقبلا فازداد حقده وغضبه على
جمــال الدين • وكانت ثــورات
أخرى بعد وفاة جمال الدين ضد
هؤلاء الظالمين بمدد تتفاوت طولا
وقصرا فسجلت وقائع التــاريخ
ثورة روسيا على قيصرها وثــورة
العرب ضد تركيا والباب العالى •
ثم كان من أمر مصــطفى كمــال

اتاتورك ما كان مما لا يجهله انسان . ثم توالت الثورات واندلعت نيرانها فى بلاد أخرى كثيرة من بلاد العرب والمسلمين ضد الملكيات الفاسدة . والاقطاع والرأسمالية والمظالم الاجتماعيه وانعدام روح الوطنية فى مصر والعراق واليمن وليبيا ووقع ما تنبأ به وحذر منه جمال الدين الأفغانى وعشنا فى ضوء هذه الأحداث جمال الدين وأفكار جمال الدين وآراء جمال الدين التى كانت وراء هذه المتغيرات والأحداث جميعها وكانت تاريخنا نحن العرب والمسلمين بعد وفاة جمال الدين موصولا به وبآرائه وافكاره التقدمية كأنما بعث فى حياتنا من جديد . والعظماء لا يموتون .

أما فيما يتعلق بمصر خاصة وعلاقتها بموروثات جمال الدين وأفكاره فانها كانت فى مصر كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها لأن مصر كانت ولا زالت أخصب أرض غرست فيها أفكار جمال الدين وكان هو نفسه ينوه بذلك . وكان يراها الامل والرجاء بالنسبة له ولدعوته ربما لانها أم الأزهر الشريف . كعبة العلوم والمعارف والفكر الاسلامى . واما لان أعظم من عرفهم من تلامذته ومريديه هو الشيخ محمد عبده . واما لأنه التف حوله بمصر نخبة ممتازة من عظماء الرجال كسعد زغلول وعرابى وحافظ ابراهيم والخديو توفيق نفسه . واما لان البلاد العربية والاسلامية كانت تعترف لمصر بالصداره والزعامة تلتف حولها وتحذو حذوها وما يجرى فى مصر من الأحداث والظواهر السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية تكون له أصداؤه وانعكاساته على العالم العربى والاسلامى بصورة تدعو الى الرجاء والامل فى وحدة اسلامية عربية .

وقد صدقت الى حد بعيد فراسة جمال الدين حين توسم أن تكون مصر اخصب تربة يزرع فيها أفكاره فاننا بنظرة تاريخية واقعية

نجد أن الجمعية التى شكلها بمصر وسماها جمعية الاصلاح وكان فيها من رجال السياسية والدين الكثيرون كان قد اطلق عليها وسماها « الحز بالوطنى » فاذا بهذا الاسم يظل فى ضمير مصر والمصريين حيا لا يموت وبينما ماتت أحزاب أخرى كثيرة نشأت بعده فقد عاش الحزب الوطنى بعد جما لالدين يمثله ويتمثله مصطفى كامل ومحمد فريد وحافظ رمضان وأمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى وغيرهم وكان فى هذا الحزب حدة جمال الدين وغضبته ضد الاستعمار لا يرضى بشىءاسمه المفاوضة مادام على أرض الوطن استعمار فكان شعاره لا مفاوضة الابعد الجلاء • ولم تفلت مفاوضة ٣٦ بين الوفد والانجليز من المهاجمة والنقد اللاذع الذى وجهه اليها المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى المنتمى للحزب الوطنى وكان يقولانها ما زادت على ان جعلت الاحتلال أمرا مشروعا معترفا به بعد أن كان مرفوضا • ومن الواضح البين والماثل للعيان أن الحزب الحاكم اليوم فى جمهورية مصر العربية هو الحزب الوطنى وأن السيد الرئيس محمد أنو رالسادات كان موفقا حين رأى ذلك ووقع اختياره على هذه التسمية لحزبه الحاكم انطلاقا من الاعماق التاريخية والوطنية فى بلدنا العزيز • وقد أفاض فى شرح ذلك وتفصيله فى بعض أحاديثه وبياناته لشعبه بشأن الأحزاب وتعددها فى تاريخ الحركة الوطنية والسياسية بالبلاد ولماذا اختار لحزبه هذا الاسم بالذات •

أما جامعة الشعوب العربية الاسلامية التى أصبحت حقيقة واقعة بمصر لشهور مضت فانها تعتبر تجسيدا حيا لأفكار جمال الدين وامتدادا لجامعة الشعوب الاسلامية التى كان يفاوض السلطان عبد الحميد فى انشائها للشورى ووضع مناهج الاصلاح للبلاد فى ظل الخلافة الاسلامية ويكون فيها مندوبون من كل دولة اسلامية ، العرب والايرانيين والأتراك والهنود

والأفغان وغيرهم وكاد المشـروع ان يصـير حقيقة واقعة لولا ان السلطان عبد الحميد أراد أن يكون هو الرئيس لهذه الجامعة فأبى عليه ذلك جمال الدين فنـام المشروع ومات ليستيقظ ويحيا بعد ذلك فوق أرض مصر ويحيا معه ما يشـبهه وتقترب فكـرته من فكـرته وهو مجلس الشورى وكان الشيخ جمال الدين قد اقترحه على الخـديو توفيق بعنوان مجلس شـورى القوانين ٠

أما جريدة العروة الوثقى التى أنشأها الشيخ جمـال الـدين فى باريس حيث كان منفيا ومغضوبا عليه من الاستعمار وعملائه والتى لم يرى النور منها الا ثمانية عشر عددا فقد قدر لها بعد مائة عام أن ترى النـور مرة أخـرى وتبعث للحيـاة مـن جـديد فى مصر وفـوق أرض مصر بعـد أن تقرر نهائيا وبصورة قاطعة اصدار جريدة قاهرية بهذا الاسـم تنهج منهج العروة الوثقى وتعيد سيرتها الأولى فتنسج على منوال الشـيخ جما لالدين وتبعث فى النـاس من روحـه الوثابة وعزيمتـه القـوية وارادته الحديدية ٠٠

ان ظاهرة الحـزب الوطنى فى مصر مع ظاهرة جامعة الشـعوب الاسلامية والعربيـة مع ظـاهرة مجلس الشورى مع ظاهرة جريدة العروة الوثقى مع ظاهرة مدرسـة محمد عبده فى الفكر الاسلامى كل ذلك ناطق بلسان الحال والمقال ان الشيخ جمال الدين مازال حيـا فى مصر بصورة أوضح ٠ وأن العظماء لا يمـوتون ٠ وأن مصر كـانت ومازالت عند حسـن ظن الشـيخ جمال الدين الأفغانى ٠

وبعـد فـاذا كانت عظمـة الشخصية تقـاس بمقـدار مـا أحدثتـه من الآثـار والفاعليـة فما اعظم شخصية جمال الدين ٠٠ واذا كانت عظمة الشخصية تقاس بمقيـاس العصـامية فما اعظم شخصية جمال الدين ٠ فقد كـان عصاميا من الطراز الأول بنى مجده بنفسه لنفسه ولم يرثملكا ولا مالا ولم تعرف له شيوخ أو اسـاتذة تخطط له أو توجهه الى هذه الاعمال

الفذةوالعجيبة التى قام بها تلقائيا. كانت مصادر شخصيته هى القرآن والاسلام والذكاء الخارق والنظر الثاقب والبصيرة النفاذة والعزيمة الوقادة . كان نسيجا وحده وبناء نفسه اينما كان يتألق ويسيطر على النفوس بقوة شخصيته . تلتف حوله وتنجذب نحوه . يتكلم فيجهش الناس بالبكاء . فيقول لهم . ان الرجال لا يبكون ولكن ينهضون يفعلون، أصالته فى اخلاص العمل لله ، واستمساكه بالقرآن ومبادىء الاسلام . واندفاعه نحو الاصلاح فى غير ريبة ولا تخوف . كان اسلاما مجسدا يمشى فوق ظهر هذه الأرض . لا يخشى فى الحق لومة لائم .

ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب

كان روحا اسلامية تجوب الآفاق وتتنقل من مكان الى مكان . تتوهج ولا تغيب عن افق الا لتظهر فى افق آخر . كالشمس لا تغرب عن قوم الا لتطلع على قوم آخرين . كانت كلماته تهز النفوس وتحيى موات القلوب . كالماء فى العود . والروح فى الجسد . والكهرباء فى الاسلاك. غطى برسالته الاصلاحية وثورته الاجتماعية والدينية والسياسية الرقعة العالمية فى القارات الثلاث آسيا وافريقيا وأوربا والقارة الهندية . من اقصى الشرق الى اقصى الغرب فى زمن لم تكن فيه وسائل المواصلات بهذه الدرجة من السرعة والصلاحية . وهو الفرد المفرد الأعزل الذى لا يسانده مال ولا يعاضد ملك ولا جاه . الا جاه العزة والكرامة والنفس الأبية من القيصر الروسى الى الشاه الايرانى الى السلطان التركى الى الخديوى المصرى . الى القاعدة العريضة من الأقطار الاسلامية العربية توهجت شعلة جمال الدين وترك بصماته على أديم الحياة .

عندما خرج من مصر وحيدا طريدا من الانجليز والخديوى توفيق قابله بعض الناس يعطيه

مالا يتقوى به على السفر فرفض باباء وشمم قائلا ان الاسد لا يعدم ان يجد فريسته فى أى مكان • وخاف الانجليز على مصالحهم فهموا برشوته ليسكتوه وعرضوا عليه ان ينصبوه ملكا على السودان • فرفض باباء وشمم وقال لهم أتعطون مالا تملكون لمن لا يستحق وفضل حرية العمل والجهاد على سجن الملكية وقيودها •

ان قرية سعد اباد فى شرقى افغانستان • والتى ولد فيها جمال الدين يتخذها اليوم المجاهدون الأبطال من الأفغان قاعدة للجهاد والنضال ضد المعتدين من الروس البلاشفةالذين اكتسحوا بالظلم والعدوان بلاد جمال الدين التى صدرت الحرية والاستقلال لكثير من شعوب العرب والمسلمين • فهل قام العرب والمسلمون بمساعدة هذه البلاد فى نكبتها ؟ يؤدون مافى أعناقهم من دين يفرضه واجب الوفاء وحفظ الجميل ؟ ان مصر كانت ومازالت عند حسن ظن جمال الدين • فأعطت من مساعداتها المالية والسياسية والسلاحية الشىء الكثير • لكن غيرها ماذا فعل •• ؟ أسألوهم ان كانوا ينطقون •• انهم فى بعض مؤتمراتهم امتنعوا عن مجرد توجيه اللوم لروسيا •

دكتور عبد الغنى الراجحى

المنحى الإسلامى عند العقاد

للدكتور/ محمد رجب البيومى

ــ ٢ ــ

نعرف أن نفرا من ذوى الغيرة الدينيــة قــد تخصصــوا فى رد الشبهات الظالمة التى يحاول أعداء الاسلام ترويجها بشتى الاساليب، ولهم فى هذا المضمار احتيــال آثم ينأى عنه كل ذى أمانة علمية ، اذ أن أحدهم يظن الظن المتوهم دون دليل ملموس فيحكيه بصيغة غــير جازمة ، ويجىء غيره على الفــور فيتخذ الظن حقيقة ، ويطيل الكلام فى تأييده راجعا الى ما حكاه سابقه باعتباره مصدرا صــحيحا لا مرية فيه، مع أن سابقه المفترى قد قدمه فى صيغة الشك لانه اختلقه اختلاقا من ذات حقده الخــائن ، ويجىء الثالث فيتحــدث عن الاختــلاق المتكرر وكأنه حق لا شــك فيــه ، وأمامه مصــدران (محترمان !!) ومن هنا كثرت الأراجيف المزعومة فنهض لدرئها كبار المخلصين .

واذا كان جمال الدين الافغانى ومحمــد عبــده ومن وليهمــا من المثقفين ، قد بدآ بالدفــاع الملجم أمام هذه الأراجيف ، فان الاستاذ العقاد لم يقتصر عــلى الدفــاع وحده ، ولكنه بثقافته الواسعة قد ولج الى البــواعث والاســباب ، فكشف عنها فى جهارة وســطوع ، حين حدد الطوائف المناوئةللاسلام على اختلاف مناصبها ، بل عــلى تناقض مناحيها ، اذ تجمع الكفرة الملحدون ، وفريق من أهل الكتاب المتدينين عــلى غرض واحــد هو تشويه الاسلام ، وقد عرف العقاد هذه الحقيقة وعللها بأن الماديين من الملحدين يجدون الاســلام أقوى

خصومهم فليس فى المسيحية مذهب شامل فى السياسة والاقتصاد والاجتماع يقف أمام شيوعيتهم الخادعة ، ولكن الاسلام وحده صاحب الحل المتكامل فى شئون الحياة ، اذ يقيم المجتمع على نظامه الواضح ويقرر الحقوق والواجبات بقسطاس مستقيم ، نص عليه فى آيات الذكر الحكيم ، كما أنه بشموله الواسع يحيط بشئون الدنيا جميعها أفرادا وجماعات ، ويتقبل الجديد الصالح اذ يجد أصوله فى تعاليمه الاصيلة، وينفى الجديد الخبيث اذ يجد لديه من المناعة ما يدفع بالميكروبات والجراثيم عن جسم صحيح الاعضاء مكتمل الحياة ! لذلك كان الشيوعيون ومن تبعهم من الملاحدة يبذلون فى مهاجمة الاسلام ما يبذلون معشاره فى مواجهة دين آخر •

أما المغرضون من المتدينين المحترفين ، فهم فى رأى العقاد سماسرة التبشير الذين يتخذون تشويه الاسلام صناعة يستدرون بها الرزق • ويتوسلون بها الى جاه الرئاسة وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين والجهلاء فى البلاد الاوربية والامريكية • فهؤلاء هم أصحاب مصلحة خاصة فى تشويه الدين الاسلامى وتمثيل المسلمين على الصورة(١) التى تذكى عند القوم جذوة التعصب وتملى لهم فى الجهالة والغفلة فلا يسرهم أن تظهر الحقيقة لهم ، ولمن يستأجرونهم ، ويرسلونهم للتبشير ، ولا يندر أن يكون المبشر ملحدا بالدين كله مسيحيه واسلاميه ــ وتلك ملاحظة ذكية للاستاذ العقاد ــ ولكنه يعلم أنه يقطع موارد رزقه اذا كشف عن الحاده ، أو قال عن الاسلام قولة حق وانصاف ، تمحو عداوة الاعداء وتضعف غيرتهم ، وحملاتهم التبشيرية فى بلاد المسلمين ، فهو اذن كاذب يتعمد الكذب لينتفع به، ولا يزحزحه عنه علمه بالحقيقة التى لا يقتنع داخليا بمواجهتها ،

---

(١) ما يقال عن الاسلام للعقاد ص (١٠) ط بيروت .

ولكنه فى قصارى أمره مرتزق ميت الضمير .

وأوجع ما يكون الدس وأنكاه حين يكون من دارس مثقف يلبس الباطل ثوب الحق ، حين يزن الاشياء بميزانين ، مختلفين ، لان مثل هذا المغرض لابد أن يتكلم عن المسيحية والاسلام معا ، فاذا كان الميزان واحدا فلن يصل الى هدفه المقصود فى تحطيم الاسلام ، فليغير الميزان اذن ليواصل دسه المنكر ، وقد سبر الاستاذ العقاد غور هذا الطراز من هؤلاء ، فوجدهم دائما ينظرون نظرة جانبية الى الاسلام وحده ، ولا يعممون هذه النظرة الى غيره فيما يعالجون من وسائل المسيحية فى أوربا وأمريكا ، وعندهم أن مسائل الاسلام يجب أن تكون وحدها موسومة بالغرابة والشذوذ والمخالفة ، فهم يتطلبون الشاذ الغريب فى كل مسألة اسلامية ولا يحسبون أن التعليل العلمى يتسع لتفسير الاسلاميات وغير الاسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل ، وقد تسربت طريقة هؤلاء ــ للاسف ــ الى أذنابهم وتلاميذهم من الشرقيين مسلمين وغير مسلمين(١) فأكثرهم يبتدىء البحث بالتفرقة بين ما يبحث فى شئون الاسلام ، وما يبحث فى شئون غيره ، وكلهم يخص الاسلام بمنظار خاص فاذا عدل عنه الى غيره جاء بمنظار آخر .

هذه النظرات الثاقبة من العقاد جعلته يفهم طريقة الاقناع الملجمة لمن يقرأ هؤلاء ، لان أصحاب هذه الطعون يعرفون زيفها فى نفوسهم، والاولى أن نتعدى نقاش الجاحد الى من يقرؤه ممن يصدق الاشياء جاهلا بواعثها ، والعقاد نظار منطيق يدرس القضية المتسعة ليحيط بأسبابها ونتائجها فى صبر واناة ، ثم يخلو الى نفسه ليواجه نقاط القوة البارزة فى يد الخصم بأعنف ما يعصف من الادلة المركزة فى حسم لا يسمح للجاج ، ونحن

---

(١) ما يقال عن الاسلام ص ١٣٠ .

قد قرأنا كثيرا مما قاله المدافعون عن الاسلام فى قضية انتشار الاسلام بالسيف ، تلك التى اتخذها ذوو الاغراض علكا يلوكونه فى كل حين دون أن يدركوا ملل السامعين ، ودون أن يستشعروا تعب الاسنان والاضراس من مضغ هذا العلك المملول ، قرأنا كثيرا مما قاله هؤلاء المدافعون وقرأنا معه ما كتبه العقاد فرأينا الحجة الباهرة فى ايجاز ، والافحام الملجم فى نفاذه والحق الصريح فى وضوح .

يذكر العقاد — فى هذا المجال — أن الاسلام استخدم القوة كما استخدمها كل دين فى تاريخه ، ولم يكن الاسلام لينتصر بالقوة وحدها لو لم تكن أهدافه الاصلاحية مدعمة لهذا الانتصار ، هذا الى جانب الحقائق التالية :

١ — كان الاسلام فى بداية عهده هو المعتدى عليه لا المعتدى ، وظل كذلك حتى فر من مهبطه الى بلد آخر ، فلم يرتح من المؤامرات والمخالفات المتجمعة للاعتداء والاستئصال : وقد كانت حروب النبى دفاعا ، ولم تكن منها حرب الهجوم الا سبيلا للمبادرة بالدفاع بعد الايقان كل الايقان من نكث العهد ، والعمل على الغزو والاعتداء .

٢ — يعاب على الاسلام أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع ، ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف سلطة تقف أمامه بالسيف وتحول دون أن يبلغ مداه الاصلاحى من النفوس ، لان السلطة لا تزول الا بالسلطة ، ولن تجدى الحجة فى اقناع ظالم متكبر يرى أنه وحده صاحب الرأى المطاع ، وفى أحداث التاريخ المتتابعة ما يدل على أن السلطة لم تذعن للرأى المجرد فى يوم من الايام ولكنها أذعنت للجهاد .

٣ — ان الاسلام لم يحتكم للسيف قط ، الا فى الأحوال التى أجمعت شرائع الانسان على تحكيم السيف فيها ، لان الدولة التى يثور عليها أعداؤها فى الداخل أو الخارج لا تجد بدا من مقاومتهم ، فالسلاح فى هذه الحالة أمر لا مفر منه ،

وبعده تأتى الهدنة ، فالاتفاق على الصلح والوئام •

٤ — للاديان الكتابية وضع غير وضع الاسلام ، فاليهودية لم تكن لتدعو الى انتشــار مبادئها بين النــاس ، بل تؤثــر الانزواء والاحتجاز ، ومثلها فى انكماشــها المتحيز لا تحتــاج الى القتال فى شىء ، أما المسيحية فقد عنيت أولا بالآداب والأخلاق ، وظهرت ثانيا فى دولة تحكمهــا دولة أجنبيـــة لا ســبيل الى مقاومتها ، ولكن الاســلام فقد عنى بالمعاملات والشرائع الدســتورية دون أن يقتصر على الآداب والأخــلاق ، كما أنه ظهر فى وطن لا ســبيل لسيطرة الاجنبى عليه ، داعيا الى مثل جديدة تتطلب الانتشار العام بين الناس ، فاذا اختلفت نشــأته مع نشــأة المسـيحية فان ذلك الاختلاف هو الذى منعهما بدءا من امتشــاق السيف ، بدليل أنهــا اضطرت الى الحروب المتكررة فى حياتها الطويلة منذ أصبحت ذات دولة ! وذلك يدل على أن القتال لا مفر منه •

٥ — أن الفتوح الاسلامية لم يتم شىء منها الا بعد أن استقرت الدولة الاسلامية ، وأصبحت ذات وضع سياسى معترف به فلا يمكن اذن ان يقال ان هذه الفتوح كانت سبب انتشار الاسلام ، فاذا أضفنا الى ذلك أن الاســلام أجاز للامم المفتوحة أن تبقى على دينها مع أداء ضريبة الدفاع ، فليس فى الامــر الزام باعتناق الاسلام •

٦ — ان المقابلة بين البلاد التى فتحهــا الاســــلام فى حالتين مختلفتين ، حــالتها قبــل الفتح وحالتها من بعده ، هــذه المقابلة تجعل للاســــلام وجهه الكريم فيما هدف اليه من اصـــــلاح واسعاد ، واستتباب أمن ، وصيانة للكرامة الانسانية من أن تهان •

بهذه الحجج المقنعة ملك العقاد زمام الموقف ، وبأمثالها كان صاحب رأى جهير فى قضايا الاسلام بحيث يغنى عن غيره فى الكثير ، ولا يكاد يغنى عنه سواه •

فاذا أراد القارىء دليــلا آخر فاننا نوجز فى أســطر معدودات ما ذكره العقاد فى موضوع (الرق

فى الاســـــلام) حيث كان الطبل الاجــوف الذى يضرب عليه ذوو الابواق ممن يشهرون بالأراجيف دون استعداد للفهم الصحيح .

ان الذين يسلكون منحى العقاد فى تبرير الرق فى الاســـــلام ، يتحـــــدثون عنه وكأنه شىء زال وانقضى فى العصر الحــديث تحت تأثير الحضـــــارة الاوربية التى أوجبت خدمة الانســانية بتحريمه ولكن العقاد يلفت الاذهـــــان الى حقائق جديدة بالنســبة لمن قرءوا دفاع المخلصين عن الاســـــلام ، ونحن نوجز هذه الحقائق المسكتة فى هذه النقاط لتدل على مدى البصر النفاذ لهذا الذهن البصير (١) .

١ ــ ان القوانين الدولية اليوم تبيح تســخير الاسرى واعتقالهم الى أن يتم الفداء بتبادل الاسرى ، أو بذل التعويض الذى تفرضـــه الدول الغالبة ، وقد تأخرت دول الحضارة أكثر من عشرة قرون قبل أن تنظم بينها معاملات الحـــــرب كما نظمها الاسلام ، حين جعــل على الدولة الاســـــلامية أن تحرر الارقاء من أحد مصـــــارف الزكاة « فى الرقاب » .

٢ ــ ان الدول الغربية لم تهتد الى نظام التبادل الا بعد قيــــام الحـــــروب بينها وبين الـــــدول الإســـلامية فتعلمت من المسلمين وحـــــدهم نظام تبادل الاسرى ، ولو وجدت شريعة الفداء عنـــــد حكومات القرن السابع للميـــــلاد كما وجدت عند الحكومة الاسلامية لتقدم العالم كله فى قضـــية الاسر والرق أكثر من عشرة قرون .

٣ ــ ماذا كان يحــدث فى هــذا العصر لو لم يأخذ الاخذون بنظام الاسلام فى التبادل ؟ ماذا تضع كل دولــة بمن لديهــــا من الاسراء ؟ أتعفيهم من العمل ؟ أتعاملهم معاملة المواطنين ؟ انها لا تصـــــنع أكرم مما صنعه الاســلام يوم أوجب على المســلمين أن يمنوا بالتسريح أو يقبلوا الفــــداء أو العتـــق أو يوجبـــوه فى مقـــام التكفير والاحســـــان .

---

(١) ما يقال عن الاسلام ص **١٥٢ وما بعدها** .

٤ ــ جاءت اولى خطوات الحضارة الحديثة فى تحرير الارقاء على اثر النزاع اصحاب الصناعات الكبرى فى بلاد تنفق الاجور الوافرة على الصناع ، ومن اصحاب هذه الصناعات حيث تدار بأيدى الارقاء و لاتنفق عليها أجور ، فاضطر أصحاب الاموال الى اطلاق الأسراء ، لأن الدولة ستجبى من الضرائب ما يجعل النفقات متعادلة فيزيد أصحاب العبيد على منافسيهم بمغارم المطعم والملبس والسكنى ، ويصبح الرقيق عبئا .

٥ ــ احتاجت دول الحضارة الى تجنيد العبيد فى صنع السلاح أولا ، ثم الى مجموعة الأصوات فى الانتخابات ثانيا ، ثم الى الاذعان لرغبات الكثرة الكاثر من أبناء القارة الأفريقية خوف الشقاق المدمر ثالثا ، واذ ذاك وجدوا أن الحرية أمر مفروض لا غنى عنه .

٦ ــ ان الموازنة بين الأرقاء فى المدن الاسلامية من ناحية العدد ، وبينهم فى الدول الغربية ، تنطق بلسان الأرقام معلنة أن عددهم فى الدول الاسلامية لم يزد بعد ثلاثة عشر قرنا عن ثلاثة ملايين ، على حين كان عدد السود فى الأمريكيتين فقط قد بلغ العشرين مليونا ، ولم يمض على حكم الرجل الأبيض أكثر من ثلاثة قرون .

٧ ــ لا وجة للقارنة بين المساواة فى النسب والمصاهرة وحقوق الدم والمال فى الاسلام وبين تحريم ذلك كله واستباحة الدم انتقاما من الأسود حين يريد بعض هذه الأشياء لدى الغربيين .

هذه النقاط جميعها ملزمة مقنعة وقد أكدها العقاد بعد ان المح الى الشائع المشتهر من أقوال زملائه التى عرفت فى هذا المجال مثل اشتراك جميع الأديان فى اباحة الرق ، دون أن تشرع ما شرعه الاسلام من وجوب العتق فى مواضع ، واستحسانه فى مواضع أخرى ، مثل ضرورة فك الاسار تكفيرا عن ذنوب مشتهرة ، مما يدل على تشوف الاسلام للحرية ، مع الاشارة الى أقوال افلاطون وأرسطو والقديس بولس وتوما

اذ تويبى فى تحبيذ الرق (١) مما يوضح شمول النظره لدى العقاد، وهو شمول اخذته سعه الثقافة وعمق الاستنباط معا ، مع صبر دائب على التامل والتشريح .

على ان الدفاع عن الاسلام لا يقف عند رد المطاعن وحدها فى آثار العقاد بل كان منه مهاجمة المذاهب الحديثة التى خدعت الناس بطلاء زائف ، وكادت تقنع بعض السدج بأنها تشمل قفزات واثبة فى مضمار التقدم الحضارى ، وهى تحمل من بواعث الانحلال والتقهقر ما لمحه العقاد بين الطيات المتداخلة فأفصح عنه بجلاء ، لقد حارب الكاتب الكبير نزعات التكبر المغرور فى الفاشية والنازية حتى أصبحت حياته موضع الخطر فى بعض ظروف الحرب العالمية الثانية كما وقف من الوجودية موقف المفكر الذى لا يخدعه الطلاء الخارجى عن التعفن الداخلى ، كما لا نظن ان كاتبا عربيا مسلما أبلى بلاءه فى منازلة الشيوعية اذ دأب على مهاجمتها يوم كانت لدى بعض الأغرار وسيلة النجاة من كل مأزق وموضع الحل المحتوم لكل أزمة ، وتعرض فى شجاعه لكثير من السفاهات المنحطه التى ترشح بها نفوس سوداء تحمل سموم العداء للرقى والتقدم ، وهى تدعى فى وقاحة أنها تعمل على نشر المحبة والسلام ، وما كتبه العقاد عن الشيوعية منذ كان لها دولة حتى فارق الحياة أكثر من أن يحيط به الحصر ، وما جمعه فى كتاب خاص تحت عنوان (الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام) لا يمثل الا خلاصة مقربة لما عكف على اذاعته من مقالات شديدة السطو على مدى يزيد عن أربعين عاما لم يتخلف فيها الكاتب الكبير عن اعلان صوته الجهير فى منازلة المأجورين من العملاء حتى فى أشد أيام سطواتهم القاهرة ، حين أخذوا يسيطرون على أدوات النشر ، استجابة لنزعات سياسية

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ٨٢ .

سادت بعض دول الاســـلام فى فترات تتقارب وتتباعد مدا وجزرا، وما قلناه عن حديث الكـاتب حين عالج موضـوع الـرق نقـوله عن حديثه حين كرر سطواته على الشيوعيين ، اذ أنه جـاء بفيوض من الحقـائق المقنعـة تكتسـح ما يتراكم فى تلال الدعايات الوبيئة من أرجاس ، ومن أوضح ما قاله العقاد فى هذا الصدد ان التفاوت بين الناس موجود دون انكـار ، ولكنه لا يمنع المساواة فى الحقوق والواجبات ولا يكون سببا للظلم والاجحـاف ، وحكمة التفـاوت ظاهرة لأن الحياة تفتقر الى التعدد الدافع للعمل لا الى تكرار الصورة الواحدة التى لا تسفر عن شىء ، ولا معنى للتفاوت اذا تســاوى العـامل والكسـول ، والنشـيط والخامل ، واطمـأن المجردون من المزايا الى خمـولهم السـاكن حاسبين أنهم سـينالون ما نـال المكافح المجاهد ، وهو ما لم يحدث فى دولة الشـيوعية التى قـدرت للرؤساء كل نعيم وجعلتهم أباطرة يتحكمون باسم الشـيوعيه التى ادعت المساواة وجعلت الرؤساء فى القمة والمرءوسـين فى الحضيض ، وهو واقع ملموس لا سـبيل الى انكاره .

يقول الكاتب الكبير (١) ببعض التصرف .

« لقد تأسس النظام الشيوعى منذ ثلاثين سنه (كان ذلك سـنة ١٩٤٧) فحـاول أن يقضى عـلى الطبقات فما هى الا سنوات حتى ظهرت بوادر التفاوت بينها ، ظهرت بين أناس يرغبـون فى منعـه ، ويؤمنون ببطلانه ، ودانوا بما تدين به حكومتهم اذ نشئوا تحت ظلها ، ولم يسمعوا رأيا مخـالفا ، وقـد بدءوا التجربـة فلم يتقـدموا خطواتهم الاولى حتى تبين لهـم خطر التسوية من المطبوع عـلى العمل والمطبـوع على الكسـل ، وبين من يركن الى الكفـاف ومن يطمح الى التفوق والبروز وقـد سـمحوا بشراء الكماليـات ،

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ٤٢ .

وأضافوا التفاوت فى حظوظ المعيشة ، وفى مراتب الشرف ، الى التفاوت فى الأجور والمكافات ، وأنشئوا الطبقات باليمين وهم يحاربونها باليسار ، وكان هذا كل ما استفادته الأمة الروسية من هذه التجربة الدامية التى كلفتها نيفا وعشرين مليونا من النفوس البشرية بين قتلى الثورة ، وفرائس الاضطهاد ، وصرعى المجاعة والوباء عدا خسارة الأمة فى الحرية واستقلال الفكر والشعور (١) .

ويقول الأستاذ العقاد فى مقام آخر ببعض التصرف أيضا .

« والشيوعية فى لبابها قائمة على خليقة الحسد ، لأنك لا ترى شيوعيا الا رأيته حاسدا للممتازين من خلق الله ، كيفما كان سبيل الامتياز ، وليس منهم من يشعر بالعطف على الضعيف والفقير ، ولكنهم جميعا يحقدون على القوى والغنى ، وعلى ذى صاحب فضل يشيد به الاخرون ، وليست التفرقة عندهم بين الناس تفرقه بين من يحمد او يذم ولا تفرقه بين من يحب ويكره ، ولا تفرقه بين من يكرم ويلوم ، وانما هى على الجملة تفرقه بين من يحسد او لا يحسد ، كائنا ما كان مثار الحسد عليه » (٢) .

وقد ضيق الشيوعيون على الكاتب الكبير لأنه كشف عن دخائلهم بمجهره الدقيق ، فأخذوا يحطون من قدره ، حين يوازنون به سواه ، لا حبا فى غيره ، ولكن لينفروا الناس من تتبع آثاره ، ولكن الله كان مع الحق فما زالت مؤلفات الرجل العظيم تطبع متعددة ذائعة ، وما زال مرور الزمن يزيده تقديرا فوق تقدير .

د. محمد رجب البيومى

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ٤٢ .

(٢) فى بيتى ص ٤٨

منهج الحكيم الترمذى فى علم الكلام

للدكتور/ محمد ابراهيم الجيوشى

- ٣ -

الحكيم المتكلم :

لم يكتب الحكيم كتابا مستقلا فى مباحث علم الكلام كما فعل فى غيره من فروع المعرفـــة فى عصر اللهم الا رسالة مقتضبة فى موضوع الامامة سماها « الرد عــــلى الرافضة » (١) يناقش فيها فكرة الخلافة ويرد على الرافضة رفضهم لامامة أبى بكر وعمر رضى اللـــه عنهما •

أما كتابة الرد على المعطلة (٢) الذى أشرنا اليه فى تناولنا لمنهجه فى الحديث فهو وان كان يتنـــاول موضوعات من موضوعات علـــم الكلام وهو اثبات الصفات للـــه سبحانه كما يرى أهل السنة ويرد وجهة نظر المعتزلة فى نفى الصفات ويسميهم معطلة كما يبـــدو من عنوان الكتاب المذكور نقول عــلى الرغم من ذلك فان الحكيم تناولـــه من وجهة نظره كمحدث وكان عمله فيه عملا يستهدف أولا وقبل كـل شىء جمع الاحاديث التى تؤيـــد وجهة نظر أهل الســـنة المثبتين للصفات الى الله سبحانة ومن هنا يمكن القول بأن الحكيم كان يعتنق مذهب أهل السنة وان لم يخض فى مباحثه كما خاضوا •

وقد أكثر الحكيم فى كتاباته من الكلام على التوحيـــد والموحدين

---

(١) مخطوط ولى الدين ٧٧٠ ورقة ٣ م ب - ٨٧ - ؟
(٢) مخطوط بلدية الاسكندرية ١٤٥ فنون متنوعة •

الا أنه لم يتناول هنا مباحث علماء الكلام وانما كان حديثه عن التوحيد الذى يرضـاه الصوفيه ويعتقدون أنه التنزيه الحق الذى يليق بالخالق سبحانة ويصح به توحيد الموحـد اذا لم ير مع الله شيئا سـواه ، وهذا الاتجاه قد يعبر عنه أحيانا بالفناء ، وهو الذى قاد بعد ذلـك الى فكرة الاتحاد عند متأخـرى الصوفية ، وان كان الحكيم لـم يتناول فكرة الاتحـاد بالبحث أو المناقشة الا أن ما قاله عن التوحيد يعتبر مقدمات لها وخطـوات فى سبيلها .

وقد تناول الحكيم الى جـانب ماسبق أمورا مفردة أخرى تعتبر من مباحث علم الكلام وأشار اليها فى كتاباته اشارات محـددة تنبىء عن رأيه بوضوح وجلاء وهـذه الامور هى :

١ ــ رؤية الله سبحانة .

٢ ــ الايمان هل هو مكتسب أو موهوب ، وهل يزيد وينقص ، وهل الاسلام والايمان اسمان لامـر واحد أو لشيئين مختلفين ؟

٣ ــ الجنة والنار هل تفنيان ، والفرق بين الهلاك والفناء .

٤ ــ الخـير والشر ونسبتهما لله أو للعبد .

وقد عرض للكرامات والمعجزات فى كتابة « الفرق بين الآيـات والكرامات وغيره خاصة « كتـاب ختم الاولياء » الا انه فى بحثـه لهذا الموضوع لم يتناوله من وجهة نظره كباحث فى علم الكلام وانمـا كان بحثه له بحثا صوفيا خالصا .

ومع أنه عرض للأمـور التى أشرنا اليها عرضا مختصرا نوعـا ما الا أنه يبدى فى بحثه لها نظرات طريفة لم تعهد على ألسنة المتكلمين بالصورة التى عرضـها ، ففى مناقشته « للايمان هل هو مكتسب أو موهوب » يقول : « انه مكتسب لانه فعل العبد ولولا ذلك لـم يستحق الثواب ، أما ما نال العبد به الايمان ، وهو العقل فانه هبـة من الله سبحانه لعباده وقبـول العبد ، وطمأنينة نفسه الى ما جاء به العمل وأورده على قلبه ، فانـه مكتسب ، ويستحق به الثواب[١]

(١) مخطوط ليبزج ورقة ١٦٦ .

ويرى أن الجنة والنار وعاءان للرحمة والعقاب يتجددان فى جديد كل يوم لتجدد حركات العباد ومقاصدهم ويتلونان بألوان النعمة والعذاب ، ولهذا لايجوز عليهما الفناء ، وليس ذلك معارضا لقوله تعالى« **كل شىء هالك الا وجهه**(١)» لان الهلاك غير الفناء ، فهما يهلكان ولا يفنيان (٢) .

والخير والشر من الله ربوبية ومن الخلق حركات ، والله تعالى غير منقطع ربوبيته ، والعباد غير منقطع حركاتهم ماداموا أحياء ، والله تعالى غير مطلوب بالربوبية، والعبيد مطلوبون بحركاتهم (٣) .

رؤية اللـه :

ويرى الحكيم أن الله تعالىيرى فى الآخره وقد تناول هذه القضية فى ثلاثة ــ أماكن من كتاباته فى مجموع ليبزج الاول فى معرض تفسيره لقوله تعالى « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** » (٤) وهو هنا يفرق بين الرؤية والادراك ذلك أن الادراك يقتضى الاحاطة والله سبحانه لا يدرك ادراك احاطة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولكنه سبحانه يدرك كل شىء ولهذا نفت الآية الادراك ولم تنف الرؤية وهو هنا يرد على مانعى الرؤية فى الآخرة ، وأما الرؤية فى الدنيا فلا تكون ولهذا قال لموسى عليه السلام لما سأل الرؤية : رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ، ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين .

أما الرؤية فى الآخرة فهى ممكنة وحاصلة للمؤمنين بمقتضى الآيات والاحاديث النبوية الأخرى (٥) .

---

(١) القصص ٢٨ آية ٨٨ .
(٢) مخطوط ليبزج ورقة ١٧٨ .
(٣) مخطوط ليبزج ورقة ١٦٦ .
(٤) الانعام ٥ آية ١٠٣ .
(٥) أنظر مخطوط ليبزج ورقة ١ ٢ب ، ٢٢ أ .

وفى الموضع الثانى أجاب الحكيم صراحة وباختصار على سؤال وجه اليه :

أيرى فى الآخرة ؟ قال : نعم ، قال كيف يرى ؟ قال : كما يعرف هاهنا ، قال وكيف يعرف ها هنا ؟ قال : كما يرى هناك (١) .

وفى الموضع الثالث ناقش الحكيم فكرة الرؤية مناقشة واسعة شاملة تناول فيه الفكرة من كل جوانبها وعرض أدلة المانعين للرؤية وأخذ فى بيان خطئها وفى هذا الفصل يقول الحكيم : «عمل العين فى أربعة أشياء : رؤية ونظر ، ومعاينة ، وبصر،فالرؤية انفراج مابينك وبين الشيء المرئى ، والنظر هو رميك بناظريك الى الشيء ، والبصر هو اثبات النور الذى هو فى العين على الدوام نظرا حتى تدرك الشيء الذى نظرت اليه ، ألا ترى أنك تقول : نظرت الى كذا فلم أبصره أى ما أدركت بهذا النور الذى به رميت من عينى ، فأما المعاينة فهو ما ملكته العين علما بالرؤية والحمد لله رب العالمين ، ثم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رب أرنى أنظر اليك ، قال اللهتعالى يا موسى انه لن يرانى حى الا مات .. ولا يابس الا تدهده ، ولا رطب الا تفرق انما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ، ثم يقول : فقد أعلمك عدم الرؤية فى دار الفناء وألقى عذره الى موسى حيث قال : أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فحل بموسى من الصعق ما حل . وبالجبل بالدك ما حل يعلمه أنه لا يطيق احتماله فلا الجبل احتمل تجليه ولا موسى عليه السلام ، ولذلك قال : تبت اليك لأنه سأل ذلك فى دار فانية خربة قد تقذرت بالشرك والمعاصى .. ذهبت رؤيته فى ذلك الوقت لشغوفه به ووله عقله ، فلطف الله له أن ألقى اليه عذره فى ترك اجابته وألجأه الى التوبة اذ تبين له ، ثم فزع الى التنزيه له والى التوبة .

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ٢١٥ ب .

وقد أبت هذه الطبقة الغالية المعطلة احتمال هذه الخطة من جود ربنا سبحانه وتعالى » وكرمه فقالوا ان هذه الخطة صفة من صفاته أن لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» وزعموا أن هذه صفة من صفاته فلا تنسخ ولا تتغير صفته فيكون فى الدنيا بخلاف الآخرة ، فلما قيل لهم فمن عطل صفة من صفاته أليس قد انقطع نظام توحيد لأن العباد وحدوه بجميع صفاته ، فاذا عطلت صفته فقد خرجت من توحيده ، أفتزعمون أنه حين سأل الرؤية قطع النظام وعطل صفة من صفاته ففزعوا من هذا القول،والتجئوا الى أن موسى عليه السلام لم يسأل رؤية العين ، وانما سأل شهادة القلب ، قيل لهم: فانما قال موسى عليه السلام رب أرنى أنظر اليه ولم يقل أر قلبى ينظر اليك ، فان كان هذا السؤال للقلب فلم تجلى للجبل فأنكروا هذا وقالوا : انما جعل فى الجبل آية من آياته فتجلت الآية للجبل .

فسبحان الله ما أجرأهم على الله ، يقول الله تبارك اسمه : فلما تجلى ربه للجبل .. وأنت تقول : أنما تجلت آية من آيات الله كفى بهذا دليلا على مكابرته وبدعته وخلافه .

قال : وحدثنا عن الآية التى احتجبت بها قوله « لا تدركه الأبصار » وزعمت أن هذه صفة من صفاته ، هل عقلت أى شىء هو .. وأين هو من ذاك انما قال : لا تدركه فقد تم الكلام ثم قال : هو وهو اسم لا صفة له ، ومن الهوية خرجت الصفات ، والى هو اشارة القلب الى المعروف الموصوف ، ألا ترى الى قوله هو ، ثم قال : هو الله الذى لا اله الا هو ثم قال : هو الرحمن الرحيم ، ثم قال : هو الله الذى لا اله الا هو ثم قال : الملك القدوس الى قوله يشركون ، ثم قال : هو ، ثم قال : الخالق البارىء المصور فهو أصل الاسماء واليه تشير القلوب ، لانه الذى لا يدرى كيف ، وكذلك الله تبارك اسمه لانه الباطن ، وصف نفسه وسمى صفاته لدرك العباد ،

وأما هو فـــلا يدرك منـــه معنى ولا صفة ، ولا تدرك الابصار ذلك المعنى والاشـــارة فأين هـــذا من التجلى ، والتجلى صفة من صفاته بجلال وعظمة وبهاء ، وما أحسب أن الله صرف قلـــوبهم عن هـــذا الا أنه خيبهم ذلك فى دار البقـــاء وأشقاهم •

ونظرنا الى ما جاءت به الأخبار عن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم فوجدنا أنها متواترة فحق عـــلى كل ذى لب أن ينقـــاد لـــه ولا يكـــذب أئمته فيـــكون فى ذلك ابطـــال الاســـناد فانك اذا كذبت شاهدا فى شهادته لم يســـعك أن تصدقه فى شهادة أخرى ، وقـــد سقطت شهادته وذهبت عدالتـــه ويحق عليـــه ان لا يجتـــرىء فى تأويلها ، ولا يجترىء على اللـــه تبـــارك اســـمه فى تأويلها تأويلا يضحك الشيطان فى قفاه ، فيقول اذا روى له عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : يأمر الله تعالى بالحجب أن تكشـــف لأهـــل الجنة فيتجلى لهم ، وهو الزيادة فيقول : ينظر الى دلالته ، واذا قيـــل لـــه فيما روى فى الحـــديث من قـــول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزقنى لذة النظر الى وجهك الكـــريم ، فيقـــول : ينظـــر الى ما يتوجه به من الأعمال الى اللـــه والنظر الى جـــاهه قـــاتله اللـــه ما أصفق وجهه ، ولا يستحى من الله ولا من المسلمين فى مثل هـــذا التأويل ، فهو كهيئة العابث اللاعب بحقوق الله تعالى المستهزىء بأمر الله عز وجل ، لم آمن أن يكون فى قلبه بدعة نفاق عظيم ، وقد اتفقت عـــلى حـــديث الرؤوية عـــدة من الصحابة كلهم أئمة رضى الله عنهم منهم عمر بن الخطاب ، وصهيب ، وابن مســـعود ، وابن عبـــاس ، وجرير بن عبد اللـــه ، البجلى ، وأبو سعيد الخدرى ، وجابر بن عبد الله ، ومعاذ بن جبل ، وثوبان، وحزيفـــــة وأنس بن مـــالك ، وأبو أمامـــه ، وزيـــد بن ثابت ، وعمـــار بن ياسر ، وأبو مـــوسى الاشـــعرى ، وعمارة بن دويبـــة وأبو هريرة ، وبريدة الاســـلمى ، وأبو برزة وعبد اللـــه بن جـــرير الزبيدى ، فهؤلاء كلهم أحـــــد

وعشرون نقيبا رووا عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى اثبات الرؤية فى القيامة وفى الجنـة فمن رد هذا فانما يقصد تكذيب الأئمة ومن تأولها بهذه التأويلات فهـو قاصـد لتكذيبهم ، ولكنـه متجمل منافق ألا ترى أنه يعطل فى آخـر أمره ، والعجب من يتلو فى الكتاب من قوله تعالى : « وجوه يومئـذ ناضرة الى ربها ناظـرة » يقـول ناظـرة الى ثوابه وناظـرة الى علاماته وناظرة الى مشـاهدته بقلوبها فيقال له : صرح الكتـاب باسم الرب يقول الى ربها فكيف يجوزان يقول ، تأويل الرب ثواب الرب ، وتأويـل الرب عـلامات الرب ، فهلا قال : الى ثواب ربها ناظرة والى عـلامات ربها ناظرة ، فأية مكابرة أعظم من هذا ، وقول الآخر ينظر الى مشاهدته بقلبه ، فانما قال وجوه ، ثم قال الى ربها فأثبت ، ولم يقل الى مشاهدة ربها ناظرة يعلمك بقوله : الى ربها أى الى رب الوجوه ليعلمك أن النظر للوجه ، وحظ النظر من الوجـه للعين لا للفـم والانف والاذن ، فقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة « ان النظر للوجوه فلا يشك ذو عقل أن النظر للعـين من بين سائر الوجوه ، وانما أثبت فى هذه الآية النظر للوجـه لا للقلب ثم قـال : الى ربها أى الى الـرب تعالى ، فكيف يجوز لقائل بعـد هذا أن يقول بمشاهدة القلب لولا عمى القلب عن خطاب الله تعالى ، وقال ابن البلخى فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم انكم سـترون ربكم يـوم القيـامة لاتضامون فى رؤيته كما لاتضامون فى رؤية الشمس فى يوم صـحو ليس بذى سحاب ، ورؤية القمران هذه رؤية القلب علم يقين ، فهذه مكابرة لأن الرسـول صـلى الله عليه وسلم يقول : سـترون ربكم وهو يقول هذا علم يقين •

وزعم أن القمر مدور محـدود فهو يرى كما يرى القمر مـدور، وهل يجوز هذا على الله تعالى ؟ وقال ان العين انما تدرك الألوان وان ربنا سبحانه وتعـالى ليس بذى لون فتدركه العين ، فيقال له انك زورت هذه الأشياء فى نفسك

فلم يكن عندك من يرد عليك بالحق فيسكتك ، وهكذا يكون علم النفس خصومات ومجادلة وتأويـــــلات منكرة منكوسة •

فأما قوله : ان الشمس والقمر مدوران محدودان يوهم بذلك أنه يرى كما يرى القمر والشمس ثم ينفيه ؟ فيعاذ بالله أن يكون تأويل قول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ما تأولت ، ولكنه صلى الله عليه وسلم انما جاء بذكر الشمس والقمـــر انـــه اذا كان فى يـــوم صـــحو لا سحاب فيه وليلة مقمرة لاسحاب فيها فلا ضيم على الناظر اليها وهو النقصان لانه لا يحول بينه وبينها شىء حتى تضـــام فى رؤية ضوئهما ، فكذلك نرى ربنـــا سبحانه رؤية لا يحجبنا عنه شىء والكفار محجوبون ، وهو قـــوله : «كلا انهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون» فان كان الـــكافر محجوبا عنـــه والمؤمن محجوبا عنه فما فضـــل المؤمن عليهم يومئـــذ ، وما هـــذا الذكر الذى ذكره فى التنزيل ، فلم يذكر النبى صلى الله عليه وســـلم الشمس والقمر عند رؤيته يريد به التدوير والحد ، انما أراد رفـــع الحجاب ، ورؤية المؤمنين لا يحول بينهم وبينه شىء من الحجاب ، كما حال السحاب ها هنا آلا ترى أنه ذكر الصحو والسحاب هاهنا ،فمثل هذا الادخـــال هو كالهـــرب من الحـــق •

وأما قوله : ان العـــين حظهـــا الألوان ، وربنا سبحانه وتعـــالى ليس بذى لون فتدركه العين فقـــد أحال القول فى شأن الألوان ، لأن الألوان انما هى خمســـة بيـــاض وسواد وحمرة وصـــفرة وخضرة فهذه خمسة ليس لها ســـادس ، والزرقة والشبهة والغبرة وماأشبهه ليس بلون انما هى مزاج مأخوذ من لون بعضا ومنلون آخر بعضا، فأما الألوان الأصلية فهى خمسة ، وربنا سبحانه غير موصوف بهـــذه الألوان ، وهو موصوف بالنـــور والنور ليس بلون والعيون لها حظ من النور ، والله ســـبحانه نـــور الانوار قال الله تعالى : « الله نور السموات والارض » فـــــاذا كان يوم القيامة أشرقت الأرض بنور ربها والأرض تبدل بأرض طاهرة ،

لم يسفك عليها دم حرام ولانجست بالمعاصى حتى يشرق نور الله عز وجل على تلك الأرض الطـاهرة ، فأيما مؤمن توفاه الله عز وجـل طيبا فبذلك النـور يأمن ويطمئن وهو قوله تعالى : « الذين توفاهم الملائكةطيبين يقولون سلام عليكم» وأيما موحد لقى الله تعالى غـير طيب ثابت هكذا نازع ؟ فاذا رأى اشراق ذلك النور ركبته الأهوال فلسنا من تدوير الشمس والقمـر فى شىء ولا فى ادراك العيـون الألوان انما يرى العبـاد ويومئذ عظمته وجـلاله وعزه وبهاه ونوره وجماله لا يحول بينهم وبين رؤيته حجاب ولا شىء كما لم يحل بـين النـاظرين الى الشمس فى يـوم صحو شىء من سـحاب أو غيم فيصيبهم الضيم وهو النقصـان فى الرؤية ، فاذا عاين الموحـدون عظمته وعزه وجلاله وبهـاه ونوره وجماله نالهم بره وعطفه وكرمـه وجوده ومجده ، وقد كانوا يدعونه أيام الحياة بهذه الاسماء ويصفونه بهذه الصـفات يا عظيم يا عـزيز يا كريم يا ذا الجـلال والجمـال والـنور والبهـاء يا بر يا عظيم يا كريم يا حليم يا كبير يا رحيم ، صـيروا لهم عيانا ومشـاهدة ليتباشروا بمعبودهم الذى عهدوه فى الغيب ، وآمنـوا به وقد أثنى عليهم فى تنزيله فنوه بأسـمائهم فقال : الـذين يؤمنـون بالغيب ويقيمون الصلاة فعظم شأن هـذا الايمـان بالغيب وشـكر لهم فى الموقف وفى دار السـلام فتجلى لقـلوب الأوليـاء الأصـفياء فى دار الدنيا للنجوى والصفاء وتدبير الربوبية وتجلى لأعين الموحدين فى الموقف تجلى العظمة والسـلطان والهيبة والملك (المجازاة للجزاء) وتجلى لأعين أهل الجنـان فى دار الزيارة على الوداد والقربة والبشر والعطـف والأنس والأفـراج والبهجة ، وقد قال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : ليس بـين أهل الجنـة وبين ربهـم الارداء الكبرياء على وجهـه فى جنـات عـدن (١) •

ويبدو من هذا الفصـل الطويل

---

(١) مخطوط ليبزج الاوراق ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ •

رأى الحكيم بوضوح وجـلاء فى امكان بل وقوع رؤية الله سبحانه للمؤمنين فى الجنة وان هذه الرؤية جاءت بها الآثار وأخذت من آيات القرآن الكريم التى استشهد بها •

زيادة الايمان ونقصانه :

ناقش الحكيم فكرةزيادة الايمان ونقصانه وكذلك ان الاسـلام والايمان أمر واحد أو أمـران مختلفان، والذى يؤخذ من مناقشته للفكرة الأولى أنه يرى أننا حينما ننظر الى الايمان باعتبار حقيقته وذاته فهو لا يزيد ولا ينقص ، وأما اذا نظرنا الى تأثيره وأثـره فانه يجرى عليه حينئذ الزيادة والنقصان بسبب ما يعترى قلب المـرء من أغراض وأهواء تحجب أشـعة الايمان أن تنطلق فتوجه سـلوك الانسان وتصرفه ، ويضرب لذلك مثلا موضحاً بالشمس وشـعاعها فيقول : دخلت بين متنازعين،يقول أحدهما أن الايمان يزيد وينقص ويقول الآخـر أنـه لا يزيد ولا ينقص • فأشرت الى عـين الشمس فقلت : ما هذه ؟ قال : هذه شـمس •

فقلت : تنقص أم تزيد ؟ قـال : لا

ثم أشرت الى اشراقها عـلى الارض • فقلت : ما هذا ؟

قال : هذه شمس

قلت : تزيد وتنقص ؟ فتحير

قلت : أليس اذا كان بينها وبين الارض غيم أو سحابة رقيقة نقص من اشراقها فاذا ذهب الغيم زاد فى اشراقها •

قال : نعم

قلت : أفلست تسمية شمسا ؟ وهو يزيد وينقص ، وتلـك العين تسميها شمسا وهى لا تزيـد ولا تنقص •

قال : نعم •

قلت : أفليس بقدر مـا تنقص يدخل النقص فى جميع بنى آدم والزروع والثمار، واذا زاد اشراقه عملت حرارته فى زروعهم وثمارهم؟

قال : نعم •

قلت : فكذلك الايمان بمنزلـة الشمس التى قد برزت لك عـلى قلبك من النـور ، وأشرق على صدرك ، فاذا حال بينها وبين القلب غيوم الشـهوات والهوى نقص

الاشراق ، فدخل الوهن فى القلب وفى النفس ، وتعطل عن العمل ، واذا ذهب الهوى والشهوة زاد فى اشراقه واستقر القلب وقـويت النفس للعبودة فمن الاشراق يزداد وينقص ، فأى تنازع بقى ها هنا ؟

فمن قال : يزيد وينقص بهـذا المعنى ، وهذا مصيب فى قوله .

ومن قال : لا يزيـد ولا ينقص لانه متى نقص دخل الشك .

فأما الزيادة التى ذكـر اللـه تعالى فى تنزيله يزيـده نورا الى نور فيزداد قلبه بذلك النور الزائد؟ ايمانا أى استقرارا وثباتا (١) .

وأما بالنسبة لكون الاسـلام والايمان أمرا واحدا أو أمـرين متباينين فانه يرى أنهما نوعان فى عقد واحد لان الايمـان يعنى الاستقرار والطمأنينة ، والاسلام يعنى التسليم لامر الله ونهيـه ، فعقد الاسلام والايمان وقبولهما واحد . ولكنه عقد وقبول لنوعين، وقد وضح هذا وفصله بقولـه : ووجدتهما : يعنى الشـخصين المتنازعين مختلفين ، فقـال أحدهما : الايمان والاسلام واحد ، وقال الآخر : شيئان متباينـان . فقلت لهما : اننى وجدتهما اسمين معناهما واحد لا يزيد احدهما على الآخر وان دقت تلك الزيادة ولو كان كما زعمت لكان فضلا وهذيانا .

فمن اختاره الله تعالى واجتباه فمبتدأ أمره أن يطهر قلبه بمـاء الرحمة حتى يدعه كالشىء المغسول، ثم أحياه بنور الحياة وذلك قوله : « أو من كان ميتا فأحييناه » فانما كانت بضعة من لحم (يعنى القلب) لها عينـان لا تبصران وأذنـان لا تسمعان فلما طهره بماء الرحمة صلح لنور الحياة فلما جاء نـور الحياة حيى قلبه بالله ، ثم جـاء نور الهـداية فهـداه وذلك قوله « **وجعلنـا له نورا يمشى به فى الناس** » فذلك نور المعرفة ، ثم جاء نور العقل ، فبنور العقل عقـل نور المعرفة عن الفكرة ، فاسـتقر لأنه زينة،ثم جاء نور الحب فقيده فعندها صار محكمـا فاعترف

(١) ما الايمان والاسلام مخطوط ليبزج ورقة ١٩ .

بلسانه ، بلا اله الا الله مع أنوار المعرفة التى فى باطنه ، وعقد قلبــه على أنه ربه ، وهو له عبد فحشو هذا العقد أنه رب يملكه ويحكم فى أموره ما يشاء ، وأنه له عبد ينتهى الى جميع ما يأمره ، ويرضى بجميع ما يحكم به عليه انقيادا ، فاستحق ها هنا اسمين : مؤمنا ، ومسلما ، فأما اسم المؤمن فلأنــه اســتقر واطمأن عن التردد والجولان اطلب ربه ، واسمه المسلم لانه سلم نفسه اليه فى جميع ما يأمره ،فمن قال من المتقدمين الايمان والاسلام واحد فانما قاله : لان ذلك منه فى عقــد واحد ، فاما أن يكون نوعا واحدا فلا ، وكيف يكون الاســـــتقرار والطمأنينة والتسليم لأمره ونهيه نوعا واحدا؟

ومن قال ها هنا : واحد ، وخفى عليه هذه الصفة ، فقد غلط فيــــه فالعقد واحد والقبول واحد ، ولكنه عقــد وقبول لنوعين ، ثم اقتضى العبد من يوم آمن وأسلم فى جميع عمره أن يفى بهذا العقد والقبول ، ووضع بين يديه العبودية نوعين : أمر يحكم عليه ربه ، وأمر يأمره به ربه ؛ فأما الذى يحكم به عليــــه فالاحوال من الفقر والغنى ، والعز والذل ، والصحة والمـــــرض وكل محبوب ومكروه ، فاقتضاه الوفاء بذلك أن يطمئن قلبه ونفســه الى ما حكم به عليه كما اطمأن اليــــه ربــــا .

وأما الذى يأمره به فالفــرائض وترك المحارم ، فاقتضــــاه الوفاء بذلك أن يسلم فى كل أمر أمره ونهى نهاه نفسا ، فيأتمر بأموره ، وينتهى عن محارمه فاذا وفا بالايمــــان وبالاســـــلام نجــــا من الوزن والحساب (١) .

دكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

---

(١) ما الايمان والاسلام والاحسان ورقة ٩١ ـ ٩٢ مخطوط ليبزج .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسين المرصفى

رائد النقد الأدبى فى مصر

للدكتور / ابراهيم عوضين

كما اشتهرت مصر بأهراماتها وآثار فراعينها ، ونيلها ، طبقت شهرتها الخافقين بأزهرها على مدى ألف عام بما قدمت وبما تقدم للعالم الاسلامى — على اتساعه — بل للعالم أجمع من أسباب الحضارة والترقى فى مختلف ميادينها من علمية وفنية وتشريعية وعقيدية وغير ذلك .

ولقد قام بأداء هذه الرسالة من أبناء الأزهر فى كل جيل طائفة عرفوا رسالتهم التى حملوها بانتسابهم الى الأزهر وأدركوا واجبهم نحو القيام على هذه الرسالة والمثابرة فى سبيلها ، بحيث أصبح الأزهر منبعا فياضا لا يغيض ولا يتوقف مدده مهما اختلفت الظروف وتباينت المواقف والاتجاهات السياسية التى تسود مصر ، فالأزهر منارة تشع الضوء الهادى الموجه فى كل وقت وحين على مدى تلك القرون العشرة التى مضت على انشائه ، وسيظل كذلك ما دام قائما .

وعلى الرغم من صمود الأزهر بأبنائه فى كل عصر أمام مختلف الهزات والثورات التى مرت بمصر ، وعلى الرغم من اصراره على أن يظل المورد العذب للثقافة العربية والاسلامية فى كل جيل .. وجد من أبناء مصر من يحاول الحط من شأنه ، والتهوين من قدره مجاراة لبعض الحاقدين المتعصبين من المبشرين والمستشرقين ، وهم فى ذلك يحرصون على أن يبرزوا ما قد يعثرون عليه من هنات

وكبوات لبعض أبنائه ، قاصدين بذلك أن يغطوا على الجوانب المشرقة فى مسيرته •

وتركزت هذه الحملات المسعورة على الأزهر وأبنائه فى الفترة التى عانت فيها مصر والعالم العربى الاسلامى من سيطرة قوى أوربا الصليبية تحت ستار الاستعمار ، وبلغت أعنف درجاتها ابتداء من النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى •

غير أن طائفة من أبناء الأزهر استطاعت أن تواجه هذه الحملات الضارية ، وتقف فى مواجهتها معلنة بذلك أصالة النبع الذى منه ارتووا وقدرته على التحديات مهما بلغ عنفها وقسوتها ، فلمعت أسماء لم يستطع واحد من هؤلاء الحاقدين أن يمس علم واحد منهم ولا فقهه ولا أن ينكر فضله على الجيل كله • ولكن الحقد الدفين شاء لهم أن يجعلوا من هؤلاء الأعلام استثناء شاذا ، ونبتا فى غير تربته •

والشيخ حسين أحمد المرصفى واحد من هؤلاء الأعلام الذين قدمهم الأزهر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لينهضوا بأمتهم فى مختلف مجالاتها ، وشتى مناحى الحضارة فيها •

وهو ابن الشيخ أحمد المرصفى المكنى بأبى حلاوة أحد علماء الأزهر الأعلام فى عصره (١) كف بصره وهو فى الثالثة من عمره ، وحفظ القرآن الكريم فى صباه ، ثم التحق بالأزهر ليتلقى العلم فيه على كبار علمائه (٢) ولما أجازه أساتذته تولى التدريس بالأزهر حتى سنة ١٨٧١ حيث اختير لالقاء محاضرات بدار العلوم • وكان قد تعلم الفرنسية بطريقة (بريل) (٣) وكان يقرأ لطلابه بالأزهر فى النحو مغنى اللبيب لابن هشام ، وكتب

---

(١) لمزيد تفصيل راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ج ١٥ ص ٤٠

(٢) اعلام من الشرق والغرب للاستاذ محمد عبد الغنى حسن ص ٦٩ •

(٣) أنظر الشيخ الحسين بن أحمد المرصفى لمحمد عبد الجواد ص ٥٣ ـ ٥٦ •

أعلام البلاغة ، ودواوين متقدمى الشعراء (١) •

ولما قررت نظارة المعارف — فى عهد على باشا مبارك — تنظيم محاضرات عامة تلقى بالمدرج الكبير الذى كان يسمى دار العلوم بسراى درب الجماميز اختير طائفة من كبار العلماء فى مختلف الفنون والعلوم لالقاء هذه المحاضرات ، ومن بين من أختير لذلك الشيخ حسين المرصفى ليلقى محاضرتين فى علوم الأدب فى يومى الأحد والأربعاء من كل أسبوع ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى — مواطن الشيخ حسين — للتفسير والحديث ، والشيخ عبد الرحمن الجيزاوى مفتى الحقانية لفقه أبى حنيفة ، والمسيو نيدال لفن السكك الحديدية ، والمسيو جيجون لفن الآلات ، والمسيو هنرى بروكسن للتاريخ العام ، والمسيو بكيت لعلوم الطبيعة ، واسماعيل باشا الفلكى ناظر الهندسخانة لعلم الفلك ، وأحمد ندا بك لعلم النباتات ، والمسيو فرانس لفن الأبنية •

وكانت تلك المحاضرات نواة لانشاء مدرسة دار العلوم فيما بعد بناء على التماس من على باشا مبارك فى ٣٠ من يوليو سنة ١٨٧٢ •

وكان يحضر هذه الدروس المتنوعة طلبة المدارس العالية ، وفريق من طلبة الأزهر ، كما كان يحضرها طائفة من كبار موظفى الحكومة وديوان المعارف فى معية على باشا مبارك •

ومنذ ذلك التاريخ ترك الشيخ حسين المرصفى التدريس فى الأزهر ، ليتفرغ للتدريس فى دار العلوم ، وليكون أول أستاذ بها للأدب العربى وتاريخه (٢) •

تحول مسار الشيخ حسين بانتقاله من التدريس فى الأزهر الشريف الى التدريس فى دار العلوم ، حسب متطلبات المناهج الدراسية الجديدة ، حيث أخذ فى الاستقلال الفكرى والفنى ليقدم دروسه لتلاميذه من خلال شخصيته

---

(١) أنظر المفصل ص ٣٩٨ •

(٢) أنظر تقويم دار العلوم العدد الماضى ص ٤ — ١٨ •

بدلا من الاعتماد كليا على كتب التراث العلمية والأدبية كما كان عليه الحال فى تدريسه بالأزهر •

من ثم بدأ دور الشيخ يظهر فى آرائه الأدبية والنقدية من خلال محاضراته التى قدمها لطلابه ، والتى ضمت مجموعة من الكتب دارت حول الأدب ونقده ، والاجتماع والعلوم السياسية والعربية وعلومها • فترك رحمة الله تعالى لمن جاءوا بعده آثارا علمية ثلاثة هى :

« الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية » ، « ودليل المسترشد فى فن الانشاء » ، و « رسالة الكلم الثمان » •

ورسالة الكلم الثمان — على غرابة عنوانها — تتضمن شرحا لثمان كلمات يكثر ترديد الألسن لها ، وهى كلمة الأمة والوطن والحكومة ، والعدل والظلم ، والسياسة ، والحرية ، والتربية •

فهى أقرب الى ما نعرفه اليوم باسم التربية الوطنية أو العلوم السياسية •

وكتاب « دليل المسترشد فى فن الانشاء » مخطوط فى ثلاثة مجلدات تقع فى نحو ألف صفحة وهو ليس — كما قد يتبادر الى الأذهان — نصا فى الانشاء بالمعنى المدرسى ، ولكنه مجموعة من المحاضرات فى النثر الفنى تناول فيها الشيخ عدة علوم وفنون شتى تتصل من قريب أو بعيد — بفن الكتابة ، من مثل الأدب وتاريخه ونقده ، وعلم النفس ، والمنطق ، والتربية ، والفقه ، وعلم الحياة •

أما كتاب « الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية » فيقع فى مجلدين تم طبع أولهما سنة ١٨٧٥ ، وتم طبع الثانى سنة ١٨٧٩ ، والمجلد الأول يشتمل على ٢١٤ صفحة ، بينما يشتمل الثانى على ٧٠٣ صفحة • والكتاب يتضمن مجموعة المحاضرات التى ألقاها الشيخ فى دار العلوم ، وفيها تناول بالدرس أكثر من اثنى عشر فنا مثل اللغة وأصولها • والنحو • والصرف • والبلاغة ، والعروض والقوافى ، والاملاء ، وصناعة الترسل ، وقرض الشعر ، وتاريخ

نشأة الفنون ، وتدوين العلــوم ، وتاريخ التربية ، وتاريخ الكتــاب (الوزراء) ، والنقد الأدبى •

والكتاب يعد بحــق موســوعة عربيــة جمعت بين مختلف العلوم والفنون فى ثوب جديد أنيق ، وفى عرض شيق رشيق ، يقــوم على تمــــكن ودراية بالنفس البشرية وطبائعها ، وأقرب الطرق الموصلة اليها ، ليقبل التلاميذ عليه ، فيحقق الغاية منــه ، فالتزم من أجل ذلك الحرص على كثرة الاســـــتشهاد بالآيات القرآنيــة ، والأحــاديث النبــوية ، والحــكم الأدبيــة ، والأشعار القيمــة ، والحكــايات والنوادر •

والناظر فى هذا الكتــاب يلاحظ حرص الشيخ عــلى غرس الملكة الأدبية فى نفوس تلاميذه وتعهدها وتنميتها •

يتضح ذلك من كثرة الشــواهد والامثلــة التى يقدمهــا فى المعنى أو الموضوع الواحد فقد ذكر أحد عشر شاهدا لعدد من الشعراء فى تشبيهات « الثريا » (١) وأشار الى الرسالة التى استخرجها الصاحب ابن عباد لسلطانه فخر الدولة ابن بويه فى ص ٦٤ من الجزء الثانى ، وأثبت نصها فى ص ٦٧ ــ ٦٩ من الجزء ذاته ، وأطال التمثيــل فى باب الانســجام وباب الســجع ، وبحور الشعر ، فقــدم الأول فى عشر صفحات ، والثانى فى ثمان ، والثالث فى أحد عشر صفحة •

ويتضح من استطراداته ، حيث ينتقل من الحديث فى القــــاعدة العلمية ــ الى عرض طرفة أدبية ، قصدا الى تخفيف ثقل العلم على الطالب ، وتعزيز ملكة الأدب لديه، كما صنع فى حديثه عن حذف كان واسمها ، فذكر المثل (كل امرىء مجزى بعمله ان خــيرا فخير وان شرا فشر) ، ومن ذلك انتقل الى الحديث عن المقـــامة الرابعـــة والعشرين من مقــامات الحريرى الموسومة بالمقامة النحوية ، فذكر

(١) انظر ج ٢ ص ١١ ، وانظر أمثلة التشبيه والاستعارة ص ١٨ ــ ٢٥ من الجزء نفسه •

المقامة كلها مستشهدا منها بقول الشاعر :

فان وصلا ألذبه فوصل
وان صرما فصرم كالطلاق

ثم أخذ فى استعراض ما حوته المقامة من الأحاجى النحوية ، والطرف الأدبية فى نحو عشر صفحات (١) جمعت بين الأدب واللغة وقواعد النحو والتاريخ والأحاجى • وكما صنع فى حديثه عن الحماسة مستطردا من حكاية عن رحلة القاضى الفاضل الى الديار المصرية ولقائه ابن الخلال — رئيس الكتاب — وأمره اياه بمعالجة ديوان الحماسة على نحو خاص • فأورد فى ثنايا ذلك مختصرا من أبواب الحماسة استغرق من الكتاب نحو ثمانية وخمسين صفحة (٢) •

ويتضح من منهجه فى معالجة فقه اللغة ، وعرض قواعد النحو والصرف والبلاغة ، حيث يشرح كل باب شرحا مباشرا ، ثم يغمره بفيض من الشواهد المستمدة من روائع الأدب ، منتهزا الفرصة ليعرف بمن يستشهد بكلامهم من الشعراء والكتاب تعريفا تاريخيا وفنيا يقوم على ايراد طائفة من النصوص ، كما فعل فى بائية بشار ابن برد ، حين أورد بيته المشهور فى باب التشبيه :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيا فناليل تهادى كواكبه

حيث قال : « وتشبيه بشار هذا من آحاد التشابيه ، يحكى أنه قيل لبشار : من أين جاءك هذا التشبيه ولم تر الدنيا قط — فانه ولد أعمى — فقال : ان عدم الاشتغال بالمنظورات يوقد الحس ويقوى الذكاء « ثم يعود اليه بعد قليل فيقول : « وبيت بشار المذكور من قصيدة موجود بعضها فى الكتب ، وهى من الشعر الرصين الذى يعرب عن نفسه بدرجة براعته ، فرأيت اثبات ما وجدت منها ليتخذه

(١) ص ١٣١ — ١٤٢ •
(٢) ص ٢٩٩ — ٣٥٧ •

طلاب الأدب سراجا يمشــون فى ضوئه .. وذكر الأبيات (١) .

وعلى هذا المنهج واصل الشيخ سيره فى الكتاب ، بل انه الى ذلك ليحرص على أن يهتبل الفرصة حين تسـنح للتعريف بالعمــل الأدبى ذاته ، كما صنع فى أثناء كلامه على الأمثــال الشــعرية ، فى قولــه :

« وأما الكلام الذى يتمثل به من الأشعار أبياتا وأبعاض أبيــات ، فلنورد لك منه جملة تكون حليــة لأدبك ، فمن ذلك أبيـــات « أبى الطيب المتنبىء » وقد استخرجها الوزير « اســماعيل ابن عبــاد المشــــهور » بــ « الصـــاحب « لسلطانه « فخر الدولة بن بويه» وحين أطلع الســـلطان على تلك الرسالة التى ضــمنها ذلك الوزير تلك الامثال وضــع فــوق بعض الأبيــات خــاء ، يشــير بها الى انتخاب ما وقع استحسانه موقعا ، ثم قدم الرسالة بقــوله : وهــذا لفظ الرسالة بما فيها من العلامة : الحمد لله ... الخ (٢) والرسالة تتضمن نحو ثلاثمائة من أمثـــال المتنبىء السائرة .

وكما صنع فى باب الانسجام ، حيث أورد قصائد برمتها لجمــاعة من مشهورى الشعراء ، كالخنساء ، وكثير ، وابن الدمينــة ، وعلى بن الجهم ، وابن زريق البغــدادى . واتخذ من ايراد هذه القصـــائد مناسبات للتوجيه الأدبى البصــير الذى يقوم على الموازنة والنقد . من ذلك قوله ــ حين أورد قطعــة لمســلم بن الوليــد ــ : « وهــو عصرى أبى نواس ، وكان النــاس مختلفين فى المفاضلة بينهما ، وأهل فن الكتابة على تفضيل مسلم (٣) . ويمهد لقصيدة ابن زريق بقوله :

« ومن القصائد التى ينبغى لكل متأدب روايتها قصــيدة محمد بن زريق البغــدادى ، وكان قصـــد

---

(١) الوسيلة جـ ٢ ص ١٢ ــ ١٤ .
(٢) الوسيلة جـ ٢ ص ٦٧ ــ ٧٩ .
(٣) ص ١٠٨ .

الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد » (١) .

وحين تعرض المناسبة للاشارة الى شاعر معروف بالاجادة فى أحد الفنون ، يستطرد للحديث عنه ، واقتباس طائفة من شعره فمن ذلك أنه حين تحدث عن السهولة ، وقرن بينها وبين الانسجام بأن الانسجام « عبارة عن سلاسة اللفظ بحيث لا يتغير اللسان عند النطق به سواء كان غريبا أو أهليا أو كان معناها خفيا أو جليا ، وأما السهولة فهى عبارة عن كون الألفاظ أهلية أو قريبة منها جلية المعانى ، سهلة المتناول على الخاصة والعامة تطمع المفحم فى أن يحاكيها ، وتقعد بالماهر وقد أخذه الطرب عن أن يعانى أن يضاهيها ، واذا كانت فى كلام فهو المعنى باسم السهل الممتنع وبعد أن مثل لها بنماذج شعرية قال : « وهذا النوع يتفق للشعراء اتفاقا ، ولا يكون شعر شاعر كله على هذا النمط ، خلا الصاحب بهاء الدين زهير المصرى ، فانه قد انقاد له هذا النوع انقيادا فى سائر شعره، كأنك عند استماعه فى محادثة انسان ظريف من لطفاء المصريين ــ وهو وان كان ديوانه مشهورا فى الأيدى ــ لا أحب أن أخلى الكتاب من تحليته ببعض فرائده ، فمن نسيم شعره قوله ... (٢) .

كما يتضح من تخصيصه ما يقرب من ثلث الجزء الثانى للحديث عن صناعة الترسل بين فيه الجهات التى تمكن من ذلك ، فجعل الجهة الأولى لبيان ما يلزم تحصيله لمن يريد أن يكون منشئا ، فملأ ثمانية وسبعين صفحة بالأمثال العربية ، أتبعها بعشر صفحات تعرض نماذج من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

ثم أعقب ذلك بذكر بعض الأراجيز من (الصادح والباغم) وكثير من أبواب ديوان الحماسة ، حريصا فى أثناء ذلك على شرح ما يذكر والتعليق عليه . ثم أورد مختارات من جيد الشعر ، مقدما

---

(١) ص ١٠٩
(٢) ص ١٦٣ ــ ١٦٤

له بقوله : « وحيث كانت العزيمة على أن أورد هنا لك طرفا من جيد الشعر ، فى بعض طوال قصائد لفحول من الشعراء ، تعين — كما اقتضاه الحال — أن أقدم تعريفك بما يسميه أهل الأدب فن القريض، وسماه قدامه — قبل — نقد الشعر، لتعرف ما المراد بجيد الشعر ورديئه ، فتكون على بصيرة من ذلك . قرأت لأبى هلال العسكرى كتابه المشهور بالصناعتين ، فوجدته رتبه عشرة أبواب ... » .

وأخذ فى سرد الأبواب العشرة، ثم عرج الى تلخيصه بالقدر الذى يكفى ، فعرضه فى نحو احدى وسبعين صفحة (١) . وانتقل بعد ذلك الى الكلام فى نقد الشعر والنثر ، فاستوعب أربعة وثلاثين صفحة (٢) . ومن ذلك انتقل الى الموضوع الثالث — وهو قرض الشعر — فكتب اثنتى عشرة ومائة صفحة ملأها بالشواهد والأدلة على القواعد التى أوردها ، فذكر كثيرا من القصائد لفحول الشعراء فى العصور المختلفة ، مراعيا التسلسل الزمنى (٣) . ومن ذلك أخذ يرسم لتلاميذه المنهج القويم لتجريد انتاجهم الأدبى ، والارتفاع به الى درجة الأدب العربى القديم بما يقوم عليه من روعة وجمال ..

فأوصى راغبى الشعر بأن يحفظوا ما يستطيعون من الشعر الجزل القديم .

ولم يقف عند حد تلك الوصية ، بل أضاف اليها وصية أخرى تكملها، فطلب اليهم أن ينسوا بعد ذلك ما حفظوه ، حتى لا يستسلموا لسلطانه عليهم ، فينقلب شعرهم الى ترقيع من الذاكرة وذلك قوله فى صفحة ٤٦٨ وما بعدها من الجزء الثانى : « اعلم أن لعمل الشعر وأحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه — أى من جنس شعر العرب — حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحر النقى

---

(١) ص ٣٥٨ — ٤٢٩ .
(٢) الوسيلة جـ ٢ ص ٤٢٩ — ٤٦٢ .
(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٦٤ — ٥٧٦ .

الكثير الأساليب ، وهـذا المحفوظ المختار أقل ما يكفى فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين ، مثل ابن أبى ربيعة وكثير وذى الرمة وجرير وأبى نـواس وحبيب والبحترى والـرضى وأبى فراس • وأكثـر شعره كتاب الأغانى لأنه جمـع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيـه الـــرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر، وانما هو نظم ساقط ، واجتنـاب الشـعر أولى بمن لم يكن لـه محفوظ ، ثم بعـد الامتـلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ ، وربما يقال : ان من شرطه نسـيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفيـة الظاهرة ، اذ هى صـادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه لأمثالها من كلمات أخرى •

فالشيخ يرى أن ملكة الشـعر لا تنمو فى النفس الا بكثرة المطالعة والنظر والحفظ للجيد منه • فاذا تحقق لراغب الشعر تلك الملكة كان عليه أن يتعهدهـا بالتدريب عـلى النظم والاكثار منه ، حتى تستحكم الملكة وتستقيم •

ويرى أن دراسة دقائق اللغـة والعروض مهما تعمق الطالب فيها لا تخلق منه أديبا ، بيد أنه لـم يصرح بذلك مكتفيا بالايماء اليـه فى حديثه عن البارودى والطريقة التى كون بها نفسه حيث يقول : « هذا الأمـير الجليل ذو الشرف الأصـيل ، والطبع البالغ نفاؤه ، والذهن المتنـاهى ذكاؤه ، محمود سامى باشا البارودى ، لم يقـرأ كتابا فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد مـن طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله، فكان يسـتمع الى بعض من لـه دراية ، وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصـور فى برهة يسـيرة هيئـات التراكيب العربية ، ومواقع المرفوعات منها

والمنصوبات والمخفوضات ، حسبما تقتضيه المعـانى ، والتعليقـات المختلفة ، فصـار يقرأ ولا يـكاد يلحن ، وسمعته مرة يسكن يـاء المنقـوص والفعـل المعتـل بها المنصـوبين ، فقلت لـه فى ذلك فقال : هو كذا فى قـول فـلان ، وأنشد شعرا لبعض العرب ، فقلت تلك ضرورة ، وقال علماء العربيـة انها غير شاذة ، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشـعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثـير منها دون كلفة ، واستثبت جميـع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها، واقفا على صوابها وخطئها ، مدركا ما كان ينبغى وفق مقام الكـلام وما لا ينبغى ، ثم جاء من صـنعة الشعر اللائق بالأمراء ، ولشـعر الأمـراء كأبى فراس والشريف الرضى والطغرانى •

ولم يكتف ــ فى الحديث عـن البارودى ــ بذكر منهجه الشعرى ومميزاته الفنيـة ، بل استشهد بكثير من قصائده التى عارض بها الشعراء السـابقين ، ثم قـال فى صفحة ٥٠٣ : « واذ قد عرفت أن لا سبيل لمعرفة الصناعة الا بكثرة الحفظ ، ورعـاية ما نبهناك عـلى رعايته،فقد آن أن نورد لك مايكون مثلا لما ينبغى أن تحصـله للحفظ وترديد النظر فيه من قصـائد لمشاهير الشـعراء ، وينبغى ــ بحسب نشأة الشعر وما عرض له من التغيير ــ أن نجعل الشعراء فى ثلاث طبقـات : الطبقـة الأولى للعرب ــ جاهلين واسلاميين ــ من المهلهل الى بشار بن برد ، والثانية للمحدثين الذين كانوا يحرصـون على موافقة العرب ، ويجتهدون فى سلوك طرائفهم ، من أبى نـواس الى من قبل عبد الرحيم المعـروف بالقاضى الفاضـل • والثـالثة بالشـعراء الـذين غلب عليهـم اسـتعمال النكات والافـراط فى مراعاة البـديع ، وهم من القاضى الفاضل الى هذا الـوقت ••• » وخص كل طبقة بقدر من صفحات الكتاب فعرض الطبقـة الأولى فى تسع عشرة صفحة ، وقدم الطبقة الثانية فى أربع وأربعين صـفحة ،

وتتنـــــاول الثالثـــــة فى عشر صفحات (١) .

وجعل الجهة الثانية التى تمكن الطالب من صناعة الترسل أمـورا كلية يتعين على من يريد الصـناعة أن يتمكن من معرفتها ، وأعتمد فى ذلك على ما نقله من صبح الأعشى فى نحو أربع عشرة صفحة ، منبها الى أنه ليس الغرض من الوقوف عليه اتباعه دون استعمال الذوق ، وانما الأمر يتطلب مراعاة ما يناسب الوقت ويستصوبه أهل العصر .

وجعل الجهة الثالثـة لعـرض طرائف من منشئات أذكياء أهـل الصناعة ، ليستعين بها الطالب على تربية ذهنه ، واختيار ما يرشده فى المذهب الذى يذهب اليه فى تأليف كـلامه ، مبتدئا بكتب المصـطفى صـلى الله عليه وسـلم ، منتهيا بكتب عبد اللـه فكرى ، مارا فى أثناء ذلك بكتب الخلفاء الراشدين وغيرهم مثل الاسكندر وعبد الملك ابن مروان ، وعبد الحميد الكاتب والمعتصم ، وأبى اسحاق الصابى والمقتفى والحـافظ لدين اللـه ، وابن نباتة ، والعماد الأصفهانى ، وتقى الدين أبى بكر بن حجة(٢) .

دكتور : ابراهيم عوضين

---

(١) الوسيلة الادبية جـ٢ ص ٥٠٣ ـ ٥٧٦ .
(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ٥٨٩ ـ ٧٠٣ .

طرائف.. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الفرار الى الله

قالوا فى قوله تعالى : « ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين » فروا الى الله ــ تعالى ــ من الشرك الى التوحيد .

ومن المعصية الى الطاعة .

ومن الغفلة الى الذكر .

ومن أبواب الخلق الى باب الخالق .

الصوفى هو:!!

من صفا من الكدر ، وامتلأ من العبر ، وانقطع الى الله عن البشر ، وتساوى عنده الذهب والمدر .

الإخوان ثلاثة

أخ كالغذاء تحتاج اليه دائما ·
وأخ كالدواء تحتاج اليه أحيانا ·
وأخ كالداء لا تحتاج اليه أبدا ·

سكينة النفس

ســـــكينة النفس لا تكون بالذكاء ، ولا العلم ، ولا الصحة ، ولا المال ، ولا الشـــهرة ، لكنها لا تكـــون الا بالايمان الصــــــادق العميق الذى لا يكدره شـــك ، ولا يفســـده نفاق ·

وَصِيَّة

قال أبو الحسن الشاذلى ــ رضى الله عنه ــ أوصــــانى خليلى فقال : لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس الا حيث تأمن ــ غالبا ــ من معصــية الله ، ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطفى لنفسك الا من تزداد به يقينا ·

راحات

راحة الجسم فى قلة الطعام .
وراحة النفس فى قلة الآثام .
وراحة القلب فى قلة الاهتمام .
وراحة اللسان فى قلة الكلام .

حقيقة

دع ما يريب وخذ فيما خلقت له
لعـل قلبـك بالايمـان ينتفـع
ان الحياة لثوب سـوف تخلعه
وكل ثـوب اذا ما رث ينخلـع

إلا فى خمس

يقال العجلة من الشيطان الا فى خمس :
اطعام الطعام اذا حضر ضيف .
وتجهيز الميت اذا مات .
وتزويج البكر اذا أدركت .
وقضاء الدين اذا وجب .
والتوبة من الذنب اذا أذنب .

يحاسب كما يرزق

قيل لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ :
كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم ؟
فأجاب : كما يرزقهم على كثرة عددهم ٠

من أقوال الحكماء

ان كان شىء فوق الحياة فالصحة ، وان كان شىء مثل الحياة فالغنى ، وان كان شىء فوق الموت فالمرض ، وان كان شىء مثل الموت فالفقر ٠

دعاء

الهى منك تكون النعمة ، وعليك تمامها
وأنت تعين على شكرها ، وعليك ثوابها ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من حضارة الإسلام

الفكر الاسلامى بين الاقتراب والاغتراب

للدكتور / محمد كمال جعفر

لا نقصد فى مقالنا هـذا بالفكر الاسلامى الا ما يشـمل الميادين الأصـلية للفـكر المجرد لـدى المسلمين وهـو ما يسـمى أحيانا بالفلسـفة الاسـلامية أو الفكر الفلسفى الاسـلامى أو الفكـر الفلسفى للمسلمين •

وبتأملنا لميادين هذا الفكر ندرك على الفور أن هذه الامة الاسلامية قد خطت فى هذا السبيل خطوات واسعة لا تقل فيها شأنا عن غيرها من الأمم ، كما انها اعادت صـوغ حضارة هى أغلى وأسمى ما قدمته أمة لهذا العالم حضارة ظهر فيهـا دورهـا وطابعهـا وخصائصـها وسماتها ولكنهـا كذلك حضـارة لا تجحد ولا تبخس حق من أسهم فيها أو مهد لها أو أعان عليها لأن دينا ينهاها عن « أن تبخس الناس أشياءهم » •

ولذلك أصبحت قضية أصـالة الفكر الاسـلامى حقيقـة تفرض نفسها على كل باحث منصف بشرط أن يفهم معنى الأصالة حق الفهم ولمعالجـة هذه النقطة مقام آخر ان شاء الله •

دعنـا الآن نتـأمل ما أثمرتـه العقلية الاسلامية والعربية فى هذه الميادين الأربعة لنجد بأنفسنا ماذا كان من الضرورى أن تستمر هذه الميادين الأربعة قنوات أو معارض

لتفكير المسلمين تفكيرا فلسفيا أو مجردا •

أما الميدان الأول وهو ميدان أصول الفقه فهو للأسف الشديد ميدان قد خلا من فرسانه حقبة طويله حتى كاد ينساه اهله مع مسيس الحاجة اليه • انه الميدان العقلى الذى يصنف ويصوغ وينظم ويعلل ويفسر القواعد والاحكام والقوانين التى يجب ان يلاحظها المشرع عند ارادته الاستنباط من مصادر التشريع • فهو المنطق الاسلامى المنظم لتفكير الفقهاء والمقننين فى المجتمع. وهو الى جانب ذلك يرزقه القناعة فى نفس الفقيه والمشرع حتى ينطلق الى التطبيق فى وضوح ودقة وضبط • وهو من أجل ذلك ضرورى للفئة المتخصصة التى تكرس عملها للتقنين والتشريع وهو الى جانب ذلك مفيد لهؤلاء الذين يريدون أن يفهموا أسرار هذا التقنين أو ذاك التشريع •

ان مما لاجدال فيه أن فهم مأخذ القانون وعلته وحكمته وفائدته — كل ذلك يعين على تطبيقه واحترامه والحفاظ عليه وهذا من الزم اللوازم فى العصر الحاضر الذى يجنح دائما الى فهم ما يأتى وما يدع بتفسير وشرح مقنعين •

اننى ارجو أن تعاد الحياه وأن يستأنف النبض فى هذا الميدان الان ، ويمكن ان نستعين بهذا الجيل الذى كتب له ان ندوم صلته بمصادر التشريع الاساسيه القران والسنة لأن هذه الفئة ستكون اقدر على استيعاب قواعد هذا الميدان ويمكن للنابغين منهم أن يضيفوا أو يعدلوا أو يحذفوا منه ماتفرضه الظروف والوقائع والحوادث ، وبذلك يمكن للمجتمع الاسلامى أن يضمن خطوات ثابتة موصلة فى سبيل التطور والتقدم •

اننا يجب ألا نقنع باستشارة أعلام الفقهاء ، بل يجب أن نضع أنفسنا فى موضعهم من حيث فهمهم لتعليل الأحكام واستنباطها وقد علمونا هم أنفسهم أن أقوالهم ان تعارضت مع شىء من صريح

المنقول والمعقول يجب أن تطرح . ويكفى لتشرف هؤلاء أن يقولوا ذلك ، اذ أننا نرى كثيرا من رجال القانون والمشرعين فى الحضارات الاخرى يبالغون فى الثقه بانفسهم وبقوانينهم التى يصفونها أحيانا بانها دائمة لا يعروها التغير • وسريعا ما تثبت الأيام عدم صحه ادعاءتهم •

اما الميدان الثانى فهو علم الكلام أو العقيده او التوحيد وهذا الميدان قد بدات انطلاقات فرسانه من نقاط صحيحه واصيله ولكنها سرعان ما انحرفت وانقلبت مرضا فتك فعلا بوحدة الأمة ونال من تماسكها •

لقد بدأ ذودا عن العقيدة ، وردا للشبهات ، وتفسير لبعض ماغمض من الأفكار ولذا نراه فى هذه المرحلة قويا ايجابيا يصون ولا يبدد •

ولكن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مرت بهذه الأمة قد جرفت هذا العلم الى ساحات الصراع حتى غلبت السفسطة والجدل العقيم الذى بدد طاقة ووقت الأمة الاسلامية حقبا طويلة •

وأرى أن واجبنا الآن هو التعاون بين مؤسسات البحث العلمى للدراسات الاسلامية فى سبيل استخلاص جوهر الاسس والأفكار الاسلامية التى يلتقى عليها سائر الفرق الاسلامية ، تاركين هذه الجزئيات الخلافية التى لا تشكل أمرا • حيويا فى حياة هذه الأمة الثقافية أو الدينية ان دعوتى الى تصفية علم الكلام تصفية كاملة يدفعنى اليها الرفق بجيلنا المعاصر وبالأجيال اللاحقة التى لن يتحقق لها الرجوع الى الأصول أو كتب الفرق ، كما لن يتهيأ لها الوقت ولا الكفاءة للموازنة والدراسة والتحليل لكافة الاتجاهات لاتخاذ أنسب الآراء • علينا أن نقدم لهؤلاء زبدة هذا الفكر ، مركزين على نقطة هامة طالما أغفلها الدارسون وهو أن انطلاقات سائر الفرق الاسلامية الأصيلة انما انبثقت من الأصول الاسلامية ،

بمعنى أن النصــوص الاســلاميه هى التى اثارت تفكيرها ، وشغلت بالها حتى اعملوا فيها العقــل ، سواء بعــدوا بذلك عن الاصــل أو قربوا •

وفيما يتصــــل برد الشــبهات الاحظ مبالغــه جيلنــا المعاصر فى ترديد وتكــرار الرد عــلى هــذه الشبهات حتى كثر تردد الشبهات ذاتها مما أكسبها رواجــا لم يكن لها من قبل ، وهذا هو ما كان يطمع اليه اصحاب هذه الشبهات لقد بلغ الامر ببعض مفكرينــا الى حــد الموازنة بين بعض المذاهب الوضعيه وبين الاســلام مع مــافى ذلك من خطـــأ منهجى وعلمى • اذ أن المقــارنة ينبغى أن تكـــون بين متكافئين أو متناظرين ، ولا تكافؤ مطلقا بين وحى أملته الســـماء ، وبين فكر أنتجه الانســـان اننى أفضل على ذلك ايضاح الأبعــاد الاســلامية فى ميــدان الفكر وفى غضون المعالجة يمكن الرد عــلى هذه الشبهات التى قد تتعارض مع ما نعرضه من فكر •

ان افاضة النور الاســلامى فى مظهره الفكرى كفيل بكشف عوار وتهافت هذه الشبهات ، الى جانب انه يزيد من تقويه وتثقيف الفرد المسلم وتبصيره بدينه •

ولا يمــارى عاقل فى أن أمتنـــا الاسلاميه لا تنتفع بهذا التشقيق والتبــديد والتشــتيت لاهتماماتها وفكرها وتبعيتها لكل هذه الفــرق التى أنشــأت معظمهــا هيئــات أو ظروف سياســية لم يعــد لها وجود الآن •

خــير من ذلك أن تتفق الأمــة الاسلامية على أصول فكرة ثابتة فى هذا الميــدان ، وأن تدخر بذلك قوتها ووقتها وطاقتها لتسخرها فى ميدان آخر هــو ميــدان البحث العلمى التجــريبى حتــى تزيــل التخلف الذى تعانيه وحتى تلحق بركب الأمم المتحضرة •

أما الميدان الثالث وهــو ميدان الفلســفة المدرســية أو التقليدية فيمكن أن ينتقى منــه مــا قــد يستأنس به فى شحذ همة المســلم من الوجهة العقلية ، وما يمكن أن يدرب عليــه المسلم من المنــاظرة

والنقد والتحليل والاستنباط ، وبخاصة النقطه التى تتصل بمدى موافقة أو مخالفة الفلسفه أو الفكر للدين .

وفى ميداننا الرابع والاخير نجد الحياه الروحيه كما ابداها هؤلاء الذين وهبوا أنفسهم لطاعه الله فى وقت أسرع فيه كثيرون الى الاندماج فى الترف والرفاهيه وجرفهم تيار المادة فانساهم أنفسهم وأنساهم رسالتهم ومهمتهم هذا الميدان هو ميدان التصوف وهو الميدان الوحيد الذى يتصافح فيه القول والعمل والنظر والتطبيق والعقل والوجدان والعلم والخلق كل ذلك يظهر لك فى العبارة كما يظهر فى الاشارة ظهوره فى الحياة الفعلية لأعلام التصوف وما يلزمنا فى هذا الميدان هو الجانب الخلقى والنفسى أو الوجدانى الذى يضمن سلامة الذوق ويقظة الضمير وحسن السلوك على المستوى الفردى وعلى المستوى الاجتماعى .

ان الجمع بين ثمرات هذه الميادين الأربعه فى عالم الفكر يقدم لنا زادا أصيلا متكاملا يتسبع فينا سائر الكفايات العقليه والوجدانية والخلقية ويضمن لنا تماسكا واتساقا فى أفرادنا وفى مجتمعنا ويحل كثيرا من مشكلاتنا اليومية وأمراضنا الاجتماعية والفردية كالطمع والجشع والحقد والغيرة والتكالب على المادة واهدار كرامة الانسان وغير ذلك من المحاذير التى تردى فيها كثير من الأمم .

وأخيرا فان الجمع بين ثمرات هذه الميادين واستثمارها فى المجتمع يقربنا من الاسلام نصا وروحا ويجنبنا هذا الاغتراب والتغرب الذى يدعو اليه هؤلاء الذين فقدوا جذورهم ، أو لعلهم ضربوها فى أرض غير أرضهم ، وتراث غير تراثهم فاجتثت من فوق الأرض مالها من قرار .

للدكتور / محمد كمال جعفر

الدعوة إلى التضامن لنصرة الأقليات الإسلامية

للدكتور / أحمد عمر هاشم

لقد أصبح التضامن الاسـلامى ضرورة حتمية ، يفرضها الواقع ، وما تعرضت له الأقليـات من اضـطهاد ومحاولات الابـادة والتصفية واليوم •• ودنيا الناس تشاهد مدا دينيا بعيد المـدى وانطلاقا اسلاميا فى كل أرجـاء المعمورة •• ثم الى جانب هـذا ما أحرزته بلاد الاسلام فى الاغلب - من حرية واستقلال ، ومن اطاحة بالاستعمار •• بعد هذا كله أصبح التضامن الاسلامى صيحة تدوى فى دم كل مسلم ، لاستنقاذ الأقليات المضطهدة ولاستنقاذ المقدسـات الاسلامية العزيزة •

ومازال التاريخ والواقع يشهدان بما تعرضت له الأقليات وما أحدثه دعاة الالحاد والسطو والتخـريب من تدمير وتغريب فى بعض البـلاد الاسلامية •• وما أتت عليه معاول الهدم •• وما تعرضت له المساجد والقائمون فيها •

فمن أظلم من هؤلاء الذيـن منعوا مساجد الله أن يذكر فيهـا اسمه ؟ كما قال تعالى : ((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك مـا كان لهم أن يدخلوها الا خائفيـن لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)) •

ان مخططات أعداء الاسلام بما تنطوى عليه من خبث وعدوان لم تعد بعد خافية على أحـد وان مايحدث فى كثير من بلاد الاسـلام من اضطهاد وتصفية ، ومن هـدم وضياع لاينكره أحد وان مايحدث

من فتن وقلاقل ومايثار من مخاوف ويحاك من مؤامرات كل ذلك وغيره كثير • تكشف عنه الأحداث ساعة بعد أخرى ، وهو يشير الى مخالب الصهيونية المسمومة ومعاول الالحاد والاستعمار وفى هذا كله ما يدعو العالم الاسلامى اليوم فى شتى أنحاء الدنيا الى التكاتف والى تضافر القوى وجمع الكلمة ورأب لصدع وتوحيد الصفوف فى ميدان واحد لتنطلق كتائب الايمان تحت راية واحدة وحول كلمة واحدة هى « لا اله الا الله محمد رسول الله »

وتحت راية الاسلام انضوى رجال أخلصوا النية لله ولرسوله وتخطوا بدعوتهم كل الحواجز النفسية والمعتقدات الزائفة •• وهذا الرعيل من المؤمنين الصادقين ساروا خلف رسولهم صلوات الله وسلامه عليه وتحملوا فى سبيل عقيدتهم كل أذى واضطهاد •

ان هؤلاء يمثلون النماذج الأولى لقافلة الاسلام فى دورها الأول : وفى حياتهم المضطهدة دروس بالغة لدعاة الحق واتباعه على مر أدوار الحياة انهم يمتحنون فى أموالهم وفى أنفسهم بالقول والعمل وبالصبر والتقوى وبالعزائم المؤمنة القوية لايكترثون باضطهادهم بل يزدادون ايمانا مع ايمانهم •• فأهل الحق ودعاته يعملون لدعوتهم باخلاص ويعلمون يقينا — أنهم فى سبيلها سيمتحنون ويبتلون فى المال وفى النفس كما قال الله سبحانه وتعالى « **لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتو الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** »

وفى عصرنا الحاضر • نشاهد صورا للمضطهدين بسبب عقيدتهم من الأقليات الاسلامية الذين يتعرضون لأنكى مظاهر التعذيب والاضطهاد وأبشع صور الابادة والتصفية •

وهذه المشاهد تذكرنا بما حدث للمسلمين الأوائل وكيف كانوا على قلة عددهم لايركنون الى الدعة ولايستسلمون للهوان يقع عليهم ولكنهم قاتلوا فى سبيل الله وجاهدوا باسم الحق •• حتى

نصرهم الله ووعدهم بالنعيم المقيم فى الآخرة وبشرهم بنهاية أعدائهم حتى لا يغتر أحد بتقلب الـــــذين كفروا فى البلاد •

قال الله تعالى :

« **فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سـبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سـيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليـــل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** » •

وقد وعد الله تعالى ووعده الحق أولئك الذين ظلموا بأن يبوأهم فى الدنيا حسنة وأن يجعل لهــم فى الآخــرة أكبر الأجــر وما ذاك الابصمودهم وجهادهم ووقوفهم فى وجه الكفر والطغيان وتوكلهم على الله واعتصامهم بدينه •

يقول الله سبحانه وتعــالى :

« **والذين هاجروا فى الله من بعــد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعــلى ربهــم يتوكلون** » •

والاسلام دائما وأبدا ينــادى أتباعه أن يجاهدوا فى سبيل الحق وفى نصرته ، حتى لايســـتشرى الفساد فى الأرض وحتى لاتتفاقم الأخطـــار والاضـــطهادات للمستضعفين من المسلمين • وبين كذلك ــ أنه لولا أن الله تعـــالى يدفع بقوم عن قوم لأهلك القــوى الضعيف وضاعت كل المعالم وقــد قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يبتلى الناس على مختلـــف أشكالهم وطبقاتهم فالمستضــعفون مبتلون بما هم فيه وغـــيرهم من الاقوياء مبتلون بموقفهم من الحق وهل يقفون بجانب المستضــعفين فى الأرض ؟

ومن الامور المقطوع بها أن الله تعالى قادر عــلى نصرة الاقليات قادر على تحطيم القوى الباغية • ولكن حكمته العالية وارادته النافذة قضت على العباد أن يبذلوا جهدهم فى طاعته ، وفى سبيل عقيدتهــم • وليبلوهم حتى يظهــر المجاهدون الصامدون ويبلو كذلك أخبارهم • قال الله سبحانه : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصــابرين**

ونبلو أخباركم » وتشرق القوانين الآلهية من كتاب الله لترسم للامة الاسلامية أصول الحياة الجادة ترسمها لهم على السواء للكثيرين منهم وللاقليات للاقوياء وللضعفاء انها أصول ثابتة لا تتغير وقواعد محكمة لا تبديل لها . لمن يكون عون الله ؟ وعمن يدافع الله ؟ ان الله يدافع عن الذين أمنوا نعم دفاع الله يكون عن الذين صانوا دينهم وحققوا أصول الايمان ، واستوعبوا مبادئه وساروا على نهجه واستقاموا على الصراط المستقيم وأخذ وافى أسباب الحفاظ على الدين والذود عن حماه وجاهدوا فى سبيل الحق .. والله القادر على نصرهم من غير جهاد. ولكن لابد من الابتلاء ولابد من اظهار الطاعة ليظهر المخلص من غيره وتأخذ العبادات اتجاهها المخلص وجهادها الصامد المنتصر .

وكيف تصان المعالم فى الارض ؟ وتحفظ من الهدم والضياع ؟ بدفاع الناس بعضهم عن بعض وجمع الكلمة ووحدة الصف الاسلامى على مسار الايمان والجهاد .

ولينصرن الله من ينصره فمن دافع عن الدين دافع الله عنه ومن نصر الاسلام عقيدة وعبادة وسلوكا نصره الله تلك الاصول القرآنية المحكمة تجمعها الآيات الكريمة. **«ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »** .

وبعد فان هذا الذى قدمته بين يدى القارىء المسلم من واجب المسلمين جميعا .. وواجب الاكثرية والاقلية وواجب الحكومات والشعوب انه واجب الكل على السواء بنص القرآن الكريم كما سبق ويبقى واجب الدول الاسلامية خاصة تجاه الاقليات ونصرتهم كما قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذ له ولا يحقره**) روا مسلم

ويقول صلوات الله وسلامه عليه (**المسلم أخو المسلم لا يظلمــــه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيــه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ســـتر مسلما ستره الله يوم القيامة**) .. رواه مسلم .

وان أحوال المسلمين فى الفلبيين وتايلاند وبورما والصين وروســـيا والهند . وما تعـــــانيه الاقليات الاسلامية فى تلك البلاد وفى غيرها من الاكثريات المضطهدة فى تنزانيا وتشاد والحبشة وغيرها يندى لهـــا الجبين انهم يستنجدون بالمسلمين فى شتى أنحاء العالم لاستنقاذهم من حروب الابادة وألوان الفتــك والتعذيب ثم ان المسلمين أكثرية فى هذه الدول ..

لقد استباح الطغاة أعـــــداء الاســـلام والانســـانية أموالهم وكرامتهم ومساجدهم ودور العلم وحولوا تلك المساجد ودور العلم الى أماكن عبث وفساد .

ويقوم اليهود بتدريب المدنيين من الصليبيين فى الفلبين على القتل والاغتيال ويقول العالم الفاضـــل الشيخ محمد المنتصر الكتانى .

« ويهود فلسطين المحتلة ويهود أمريكا واليهودية العالمية يدربون المدنيين من الصـــليبيين الفلبيين على القتل والاغتيال الفـــــردى والجماعى وعلىتحريق الفـــرد والجماعة وهدم البيوت والاحياء على ساكنيها أيقاظا وهم رقود . ومن أفلت منهم يفر بنفسه وتبقى لهم أرض المسلمينخاوية من أهلها فيستولون عليها ثم يجعلون لهـــا صكوكا وملكيات يزعمـــون فيهـــا أنهم اشتروها من أهلهـــا عن طيب خاطرمنذ سنوات . وهؤلاء اليهود الذين يدربون نصارى الفلبيين هم خبراء المخربين اليهود فى فلسطين منــــذ الانتداب البريطانى والى اليوم ... أ هـ .

هذا الواقع المر يفرض عـــلى المسلمين جميعا أن يهبوا عن بكرة أبيهم وأن ينهضـــوا يدا واحـــدة لاستنقاذ اخوانهم المســـلمين .. والمسلمون يد على من سواهم .

ان على المسلمين اليوم أن يهبوا فى تضامن وتكاتف على شتى بقاعهم وبمختلف جبهاتهم ومواقعهم ومواهبهم وقدراتهم حكومات وشعوبا علماء ومفكرين وكتابا ومتحدثين ، وجنودا وقوادا ، حتى يظهر دين الحق فى تلك البلاد على الدين كله كما قال الله تعالى .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

هذا ومما يندى له جبين العالم الانسانى ما يحدث فى افغانستان من الشيوعية الملحدة التى تربصت بالاسلام وبكل دعوات الخير والاصلاح على ظهر الارض ، وواجب العالم الاسلامى أن يهب هبة رجل واحد ، وأن ينهض جميع المسلمين عن بكرة أبيهم لانقاذ هذا الشعب المسلم من أيدى الشيوعيين الملحدين وأن ينفقوا من أموالهم وأنفسهم ما أوجبه الله عليهم والا فجميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم مقصرون ومسئولون أمام الله ، على ما فرطوا فى حقوق اخوانهم المسلمين والله الهادى الى سواء السبيل ..

دكتور / أحمد عمر هاشم

كتب ــ حمدى الليثى :

يعقد انشاء الله فى الفترة من ٢٠ يونيو ــ ٢٢ يونيو مؤتمر لمناقشة الابحاث المقدمة حول القصور الكلوى وزرع الكلى فى قاعة محمد عبده بجامعة الازهر تحت رعاية الدكتور الطيب النجار مدير الجامعة وبرئاسة الدكتور فاهم عبد الرحيم رئيس قسم المسالك البولية بكلية الطب.

التربية الصوفية

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

- ٣ -

منزلة المربى :

ينظر الصوفية الى المربى نظرة خاصة وينزلونه فى قلوبهم منزلة عليا ، وآدابهم مع شيوخهم مستمدة من آداب الصحابة رضوان الله عليهم مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن الكريم توجيه الى مراعاة الأدب فى حضرته الشريفة لأنه هو المرشد الأعظم على طريق الخير والسعادة قال تعالى : ((**يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم . يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم**)) .

يقول الزمخشرى عند تفسير هذه الآيات الكريمة : «لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك المسلك، وفى هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته ، لأن من أحظاه الله بهذه الآثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه الكلام» .

كما نعى على بنى تميم تجرأهم على مقام النبى صلى الله عليه وسلم ومهاجمتهم بيته منادين له باسمه طالبين منه الخروج اليهم

قائلا فى حقهم: «**أن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**» وموجها لهم ولغيرهم «**ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم**» .

وهكذا يضع القرآن الكريم نموذجا رائعا للأدب الكامل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الآيات المتقدمة وفى الآيات التالية أيضا من سورة النور «**انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، أن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم ـ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ،قديعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**» .

وفى هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى عظيم الجناية التى يرتكبها تارك مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون اذنه ، ويعطى الرسول الحق فى الاذن لمن شاء منهم على حسب ما يراه ، قال الزمخشرى فى تفسيره « وكذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم ، والأمر فى الاذن مفوض الى الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه » .

كما نبهت الآيات الكريمة الى امتياز رسول الله صلى الله عليه وسلم على سواه من الناس فقد اصطفاه الله واختاره وأعلى قدره فلابد أن تكون له خصيصة من دون الخلق «**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**» .

وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد تنبيهات على أهمية التزام ما يقضى به النبى صلى الله عليه وسلم واتباع أمره والاقتداء به والالتزام بدعوته «**فالنبى أولى بالمؤمنين من**

أنفسهم » « من يطـع الرسـول فقد أطاع الله » الى غير ذلك من الآيات التى تدل على هذه المعانى السامية •

ويدور الزمن دورته وينسى كثير من الناس تلك الآداب العالية التى دعـا اليهـا المشرع الأعظم مـع رسوله صلى الله عليـه وسـلم ، وابتعدوا رويدا رويدا عن هـذه التعاليم العظيمة التى كان لها أكبر الأثر فى تخريج القادة من أصحاب المثل العليا ، بل اعتبروا الخروج عليها أمرا هينا وأباحوا فى التربية كثيرا مما كان محظورا وممـا كان يعتبر المساس به أمرا يتنافى مـع المبادىء السليمة والقواعد العامة فى الاصلاح والتهذيب •

فلا بأس الآن أن تترك الحرية الكاملـة لمن يراد تأديبـه حتـى لا يصـيبه ــ كمـا يقـولون ــ التعقيـد ، ولا بـأس أن يمتهن الأستاذ وترفع الكلفـة ويخـاطب بلهجة تنم عن عدم المبالاة ، فاذا أراد المعلم أن يمارس سـلطانه العلمى فى التهذيب والارشاد سمع من يقـول له : اياك والعنف فى معاملة التلاميذ فان ذلك يصرفهم عن العلم ويبعدهم عن الـدرس ويدفعهم الى الانحراف والجهل • والله يعلم أن التعقيد ما جـاء الا من القاء الحبل على الغـارب وترك التلميذ يسترسل مع هواه فلا يستطيع التحكم بعـد ذلك فى نفسـه ولا يمكنـه كبحهـا عن شـهواتها ، والنفس هى كمـا يصورها البوصيرى فى بردته :

والنفس كالطفل ان تتركه شب على
حب الرضاع وان تفطمـه ينفطم

والانحـراف لم ينشـأ الا من البعد عن الاحترام الكـامل للأب الروحى الذى وهب روحه لعملية التعليم ولم يجن من ورائهـا الا الجحود والنكران فكان كما يصور الشاعر نفسه :

كنت كـأنى ذبـالة نصـبت
تضىء للنـاس وهـى تحترق

أقـول : دار الزمن دورتـه ونسى الناس الأداب السـامية فى علاقتهم بمربيهم ولكن الصـوفية ظلـوا حفيظين عليها ، فهم يكنون لشـيوخهم كل حب واجـلال وينظـرون اليهم نظـرة تقـدير

وتعظيم ، معتبرين اياهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يكون لهم حق الوراثة فى الهيمنة الرفيقة على نفوس مريديهم ، ولا يكون ذلك الا بالمحافظة على تعاليمهم والحرص على ارشاداتهم وعدم الاستهانة بنصائحهم •

ولا يقول قائل أين الشيخ من الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ بل أين هؤلاء الصوفية الأجلاء الذين سعدوا بصحبة الرسول وسمعوا منه وأخذوا عنه واستمتعوا برؤيته واطمأنوا بمشافهته ؟ فما زال أثر الرسول وأصحابه موجودا ، والأولياء خلفاء الأنبياء فى الأرض وحاملو سنته ومقتفو أثره ، والله جل وعلا يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »ويقول « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم » فالخير موجود واقتفاء السنة باق يحمله خلف عن سلف حتى يطوى الله الارض وما عليها •

يقول العارف بالله أبو عبد الرحمن السلمى فى مقدمة كتابه طبقات الصوفية « أتبع الله سبحانه وتعالى الأنبياء بالأولياء يخلفونهم فى سنتهم ويحملون أمتهم على طريقهم وسمتهم ، فلم يخل وقت من الأوقات من داع اليه بحق أو دال عليه ببيان أو برهان ، وجعلهم طبقات فى كل زمان ، فالولى يخلف الولى باتباع آثاره والاقتداء بسلوكه ، فيتأدب بهم المريدون ويأتسى بهم الموحدون •• قال النبى صلى الله عليه وسلم : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينهشهادته، وقال صلى الله عليه وسلم : مثل أمتى كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره• فعلم صلى الله عليه وسلم أن آخر أمته لايخلومن أولياء وبدلاءيبينون للأمة ظواهر شرائعه وبواطن حقائقه ويحملونهم على آدابهم ومواجبها اما بقول أو بفعل ، فهم

فى الأمم خلفاء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون وأصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجميلة والمتتبعون لسنن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين الى أن تقوم الساعة ، لذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يزال فى أمتى أربعون على خلق ابراهيم عليه السلام اذا جاء الأمر قبضوا »

فالصوفية هم القوم الذين ظلوا محافظين على الآداب العليا التى ورثوها عن النبى صلى الله عليه وسلم وتخلقوا بها وظلوا يحفظون لشيوخهم حقهم المطلوب من التجلة والاحترام ، حتى انهم ليتحرجون أن يخطر فى نفوسهم ما يقدح فى اخلاصهم لهؤلاء الشيوخ ، لانهم يوقنون تماما أن ذلك يتنافى مع مبادىء الاخلاص والصدق ، وهاتان الصفتان هما المدخل الأساسى للطريق الصوفى .

وتسمعهم لذلك يقولون : « اذا جلست مع العلماء فاحفظ لسانك واذا جلست مع الصوفية فاحفظ قلبك » كما نسمع ذا النون المصرى رضى الله عنه يقول « يامعشر المريدين ، من اراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة وأهل المعرفة بالصمت » ومعنى لقاء العلماء بالجهل ألا يظهر العلم فى مجالسهم حتى يستفيد من علمهم ، ولقاؤه الزهاد بالرغبة حتى لا يقدح فى حقيقة الخلاصة باظهار زهده أمامهم ، أما لقاء أهل المعرفة بالصمت فلأنه أدرى الناس بحال المريد لفراستهم الصادقة ومكاشفاتهم القلبية المستنيرة .

ومن وصايا أسلم بن يزيد الجهنى لابراهيم بن آدهم : اياك اذا صحبت الأخيار أو حادثت الأبرار أن تغضبهم عليك ، فان الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم ، وذلك أن الحكماء هم العلماء وهم الراضون عن الله عز وجل اذا سخط الناس ، وهم جلساء الله غدا بعد النبيين والصديقيين » .

ومن آداب الصوفية التى يفتخرون بها « حفظ حرمات

المشايخ » كما يقول أبو حفص النيسابورى المتوفى سنة سبعين ومائتين — وعندهم حسن أدب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن استنادا الى الاثر الكريم : لو خشع قلبه لخشعت جوارحه .

تعظيم الشيوخ لا ينافى حفظ الكرامة : ولا يقدح تعظيم حق الشيوخ فى حفظ الكرامه الانسانية ، بل هو تأكيد لها ، لأن ذلك ان دل فانما يدل على حسن الوفاء وكمال المروءة وهما من ألصق الصفات بالعزة والكرامة .

ولا توجد وسيلة تربى قوة الارادة والعزيمة كالتواضع للعلماء والتذلل الشريف لهم ، ومن الوصايا الكريمة التى تقع فى النفوس موقع الماء البارد من الصديان هذه الوصاة الرائدة « تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم » واذا كانت الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم كما ورد فى الأثر الشريف فان من واجب طالب العلم أن يخفض جناحه لمعلمه .

وحين وصف الله المؤمنين فى القرآن الكريم وصفهم بالعزة على الكافرين والتذليل للمؤمنين فقال « يايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

والمقصود بالذل خفض الجناح والتواضع ، وخفض الجناح هو الذى أمر الله به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « واخفض جناحك للمؤمنين » .

وقد سبق الاشارة فى موضوعات متعددة الى أن التواضع فى حقيقة أمره رفعة وهو حلية الحكماء والعلماء المستنيرين ، وجاء فى الحديث الكريم لسيد المتواضعين « من تواضع لله رفعه » والواقع يصدق ذلك ، فما من انسان يبوئه الله منزلة فى الدنيا ويتحقق بالتواضع فيها الا زاده الله رفعة فى نظر الناس وعزا فى قلوبهم . وما وسم نفسه بميسم الكبر الا انحط فى نفوسهم ووقع من أنظارهم .

فالمتعلم الذى يتواضع لشيخه ومعلمه ويقدره حق قــدره قــد اتصــف بأعظم الصفات ووصــل نفسه بكل الاسباب التى تحقق له اقصى درجات الكمال والرفعه .

يخفى أن يكون المربى هو صاحب الفضــل الأوفى على المتعــلم لانه أنقــذه من ظلمـــات الجهـــل الى نور العلم وأخذ بيده من ذل المعصية الى عز الطاعة ، ودله على مواطن الشرف والكرامة ، وصقل نفسه وهذب روحه وأطلعــه على كثير من الحقائق الخــافية المغيبة التى بدونها لا يســاوى الانسان شيئا .

لقد مكنه من سياسة نفسه ومن تمكن من سياسة نفســه أمكنه أن يسوس العالم ، وقد عرفه بنفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وأى شىء أسمى من ذلك ؟

ان الحكمة التى جــرت عــلى لسان الصغير والكبير تقول « من علمنى حرفا صرت له عبدا » وربما سخر البعض من هــذه الحكمة . ولكنها كلمة صادقة ، فالمعروف أن الاحسان يستأسر القــلوب حتى لقــد عبر الشاعر العربى عن ذلك بقوله :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانســان احســان

وهــذا ابن الرومى الشـــاعر المتفنن يصور كيف أعتقته السيئة التى اقترفها فى حقه من أحســن اليه أولا من رق الاحسان فيصبح عبدا للاساءة لأنها أحســنت اليه فيقول :

أعتقنى سوء ما صنعت من الرق
فيابردهــا كانت عــلى كبــدى
ســـوء قبــلى الى أحــد ..
فصرت عبــدا للســوء فيــك وما
أحسن سوء قبلى الى أحد .

ولاشك أن التربية والتهــذيب ذروة الاحسان فكيف لا يكون لهما هذا الأثر ؟ كيف لا ينطبق عليهما هذا المعنى ؟

واذا كان الأب الــروحى لــه احترامه لأنه السبب الأساسى فى اهداء نعمة الوجود للانسان فهلا يعتبر المعــلم — وبخاصــة معلم الشرع والحق والايمان — أبا وهو السبب الأساسى فى اهداء نعمــة حقيقة الوجود للانسان ؟ .

سئل الأبهرى المتوفى قرب الثلاثين وثلاثمائة ــ وكان عالما ورعا ــ : ما بال الانسان يحتمل من معلمه مالا يحتمل من أبويه ؟ فقال : لأن أبويه سبب حياته الفانية ومعلمه سبب حياته الباقية، وتصديق ذلك نتلمسه فى الأثر الكريم القائل : أغد عالما أو متعلما و لا تكن فيما بين ذلك فتهلك •

ولقد أوصى الله سبحانه وتعالى الانسان بوالديه احسانا ، ومن حق الأب الروحى أن يكن له الانسان كل محبة واجلال وطاعة وبر وأن يعامله بالحسنى وأن يطيعه فى كل ما يأمره به ولو كان شاقا لأن فى ذلك مصلحته وسعادته ، وصدق الذى يقول :

أقدم أستاذى على نفس والدى
وان نالنى من والدى الفضل والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر
وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

وشتان بين العرض والجوهر ، وما أبعد الفرق بين الجسد والروح ، فاذا كان من واجب مربى الجسد الاكرام فمن أوجب الواجبات اكرام مربى الأرواح ومجلى البصائر • لقد أنصف أمير الشعراء شوقى فى العصر الحديث الذى يوجه الناس الى معرفة حق المعلمين فى قوله :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أشرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسا وعقولا

وما أحق هذه الصيحة بأن تكون فى حق هؤلاء الذين نذروا أنفسهم ينيرون الطريق بأرواحهم الى معرفة الله ويشعلون نار الأشواق اليه حتى يضع المريدون أقدامهم على الطريق الصحيح الى واجب الوجود • بما يبذلونه من علم نافع وعمل مثمر •

يتبع بمشيئة الله وتوفيقه •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

بقية المنشور صفحة ١٤٤٢

الجامحة ، هو الــذى يهــدد الآن هذه المســيرة ، بأفدح الاخطار •
فقد سقطت — للأسف الشديد — **ملايين من البشر** بين مخالب المادية « **الماركسية** » الشرسة ، ومــلايين **أخرى أمام** اغراءات « النفعية » **بينمـــا** ارتمى البعض فى جحيم « **الوجودية** » الداعرة الماجنة •

ولابد من القاء بعض الضــوء على اخطار هذه الاتجاهات المادية، **بما يناسب هذه العجالة من القول ،** مع اعتقــادى أنــه من الــواجب المقدس **أن تبذل الجهود** المخلصة ، وتكتب البحــوث المستفيضــة من المتخصصين المسلمين لكشف هــذه الاخطار التى ترمى بشررها وتهدد بنيرانها سلامة المجتمعات البشرية بعامة ، والمجتمعــات الاســلامية بخاصة •

د• فؤاد خدرجى العقلى

بقية المنشور صفحة ١٤٣٥

استجابة لدعوة موغلة فى القــدم ضرع بها صاحب القلب الســليم ابراهيم ، وقد أشار اليها القرآن الكريم اذ يقول تعالى : **(ربنـــا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنـــا أمة مســلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رســـولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) •**

فاذا عادت الرســـالة الى بنى اسماعيل خاتمة لرسالات السماء ، يحمل لواءها محمــد بن عبــد الله عليه الصلاة والســلام فلابد أن تكون قبلتها الكعبة البيت الحرام التى بناها ابراهيم عليه السلام •

وبعد فهــذه حقيقــة يجب أن يعرفها أحفاد اسماعيل ، وان كانت لم تغب فى لحظة من اللحظات عن خيال أحفاد اسرائيل • وعلى كلا الحالين فيها عبرة لأولى الالباب •

والله يقول الحق وهــو يهــدى السبيل •

دكتور السيد رزق الطويل

العلاقات العامة فى الإسلام
وكيفية استخدامها فى الدعوة الإسلامية

للأستاذ / شعبان شمس الخزاعى

يرى كثير من المتخصصين أن الدخول الى أية ظاهرة لدراستها هو تعريفها ونحن هنا بصدد عمل دراسة عن العلاقات العامة فى الاسلام وكيفية استخدامها فى الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث وفى البداية نطرح تساؤلا تكاد تجيب عليه هذه الدراسة التى نبغى من ورائها أن تبقى راية الاسلام عالية خفاقة فى كل البقاع **ما هى العلاقات العامة ؟ وهل وجد هذا المفهوم فى التاريخ الاسلامى ثم كيف يمكن أن نخطط برنامجا للعلاقات العامة للدعوة الاسلامية فى العصر الحديث ؟**

ظهر مفهوم العلاقات العامة الى النور فى الربع الأخير للقرن التاسع عشر حتى أن أحد علماء الاتصال قال : « ان ظروف الربع الأخير من هذا القرن هى فترة مخاض سبقت الميلاد الحقيقى للعلاقات العامة الحديثة ولذلك فانها ابنة شرعية للقرن العشرين » (١) • فقد كانت الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى نضجت خلال السنوات المنصرمة من هذا القرن هى التربة الصالحة التى أنبتت العلاقات العامة الحديثة •

ولكن ما هى العلاقات العامة

---

(١) محمد محمد البادى ، البنيان الاجتماعى للعلاقات العامة (القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٨) .

الحديثة فى رأى خبرائها ؟

وأنا هنا أستخدم مصطلح « العلاقات العامة الحديثة » لأننى سوف أثبت أن لها جذورا فى الاسلام يمكن أن يستفيد منها اليوم خبراء العلاقات العامة والقائمين على الدعوة الاسلامية.

فعلم العلاقات العامة « هو العلم الذى يدرس سلوك الأفراد والجماعات دراسة علمية موضوعية بغية تنظيم العلاقات الانسانية على أسس من المحبة والتعاون والوعى » (١) .

من هذا التعريف للعلاقات العامة نخرج أن هذا العلم يدور حول دراسة الفرد والجماعة دراسة دقيقة حتى يمكن بعد ذلك توصيل الرسالة الاعلامية والتى تحوى أفكارا ومعتقدات يبغى الداعية توصيلها الى هذا الجمهور لأن المشكلة التى نعانيها اليوم هى أننا نجهل الكثير عن الرأى العام وهذا ناتج عن ندرة البحوث التى يجب أن نقوم بها لكى نتعرف على رغبات وظروف الحياة التى يعيشها جمهور المستقبلين للرسالة الاعلامية .

ولكن هل وجد مثل هذا التعريف أو التطبيق فى الاسلام ؟

اذا كان خبراء العلاقات العامة اليوم يرون أن أحد وظائفها هو الاعلام وتوصيل الحقائق الى الجمهور فاننا نعود الى الاسلام لنجد أن كلمة « قرآن » نفسها تعنى فى اللغة معنى « الاعلام » أو « التعريف بالشىء » أى التعريف برسالة السماء (٢) ..

وهكذا أستخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيق احدى وظائف العلاقات العامة كأحسن استخدام .

ونمضى فى المقارنة لنجد أن من وظائف العلاقات العامة «البحوث» ومعرفة رأى الجماهير قبل وأثناء

---

(١) ابراهيم امام ، العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة : مكتبة الانجلو ، ١٩٦٨) .

(٢) عبد اللطيف حمزة ، الاعلام فى صدر الاسلام (القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٦٥) .

وبعد الرسالة الاعلامية التى نبغى توصيلها اليهم ولنرى ذلك المثال كأحسن ما ينطبق فى عهد الرسول الكريم حيث أرسل « مصعب بن عمير » كأول سفير فى الاسلام الى أهل المدينة قبل أن يهاجر اليها لكى يجس نبض أهلها ويمهد الطريق للقاء الحبيب المصطفى بهم بعد ذلك •

ويرى كثير من الخبراء اليوم أن التقرب الى الجمهور وارضاءه هو أهم العوامل لنجاح أى سياسة مطروحة للمناقشة •

وقد اخترت لهذه النقطة بالذات عصر الخلفاء الراشدين حتى نثبت لمن يتباهون اليوم باكتشافاتهم أن جذور العلاقات العامة نبتت أساسا فى الاسلام فرغبة الجماهير كان لها الخضوع التام والاحترام من قبل خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فها هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه عقب مبايعته بالخلافة يقول « أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ويقول فى كلمة أخرى « انما أنا متبع ولست بمبتدع فان استقمت فاتبعونى وان زغت فقومونى » •

ففى هاتين الكلمتين للصديق أبو بكر تسليم صريح بمبدأ المسئولية أمام الجماهير وهذه تعتبر أهم الوظائف للعلاقات العامة الحديثة •

ونمضى مع الخلفاء لنجد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول « انه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله • انى أعقل الحق من نفسى وأتقدم وابين لكم أمرى فانما أنا رجل منكم وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه » وحينما قال رضى الله عنه فى كلمة أخرى « أيها الناس من رأى فى اعوجاجا فليقومه •• فتقدم رجل وقال لورأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا فرد عمر قائلا : الحمد لله ان كان فى أمة عمر من يقوم اعوجاج عمر بحد السيف » •

اليس هذا نوع من الاتصال الشخصى الناجح الذى يتعرف فيه القائم بالاتصال على مدى استجابة الجماهير له وبذلك يستطيع أن يعدل من اخطائه ويجارى المستقبلين للرسالة .

أعتقد أن هذه وسيلة من وسائل العلاقات العامة بل هى أنجح مما تستخدمه اليوم برامج العلاقات العامة نظرا لأن عنصر الصدق كان اكثر من الآن .

وننتقل الى عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى نتعرف على مدى احترامه لرأى الجماهير .. فحينما أخذت طائفة من المسلمين عليه بعض أخطاء فى تصريف شئون المسلمين واسناد الوظائف تظاهرت عليه جموع منهم لمحاسبته على أعماله .. فأذعن رضوان الله عليه لرغبتهم ولم ينكر عليهم هذا الحق وأبدى استعدادا كريما لاصلاح ما عسى أن يكون قد أخطأه التوفيق فى ابرامه وفى هذا يقول « اننى أتوب وأنزع ولا أعود الى ما عابه على المسلمين..وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من زل فليتب ومن أخطأ فليتب » فأنا أول من اتعظ واستغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فاذا نزلت من منبرى فليأتنى اشرافكم فليردنى رأيهم فوالله لئن ردنى الحق عبدا لاذلن ذل العبيد » .

ولعل فى كلمة عثمان عدة قواعد تستخدمها اليوم بحوث العلاقات العامة الحديثة تتلخص فى :

أولا : ـ يقول عثمان بن عفان « لا أعود الى ما عابه على المسلمون » وهذا مبدأ هام واعتراف ضمنى بأهمية الجمهور والذى تركز عليه اليوم وظائف العلاقات العامة وعلوم الاتصال بالجماهير .

ثانيا : ـ رجوع عثمان بن عفان أثناء كلمته الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زل فليتب » فيه نوع من الاعتماد على البراهين والحقائق وهو مايراه اليوم خبراء العلاقات العامة حيث يقولون انه على القائم بالدعوة لتوصيل رسالة اعلامية عليه أن يتوج رسالته بالحقائق التى

لاجدال حولها حتى تصل رسالته الى ذهن المستقبل بنجاح •

ثالثا : ــ **فى قول بن عفان** « **فاذا نزلت من منبرى فليأتنى أشرافكم فليردنى رأيهم** » قاعدة أساسية **فى الاتصال الحديث وهى محاولة** كسب مايسمى « بقادة الرأى » Opinion Leaders **لأن الجماهير دائما تتأثر بهم حينما يستقبلون** أية رسالة اعلامية •

وهو ما اكدته بحوث الاتصال **الحديثة والتى تقول ان أية رسالة اعلامية تتضمن** أفكارا يبغى المرسل **توصيلها الى الجمهور** •• تمر **بمرحلتين** واستخدم فى ذلك اصطلاح « تدفق المعلومات على مرحلتين » المرحلة **الاولى هى وصول** الرسالة الاعلامية للجميع **بما فيهم** قادة الرأى فى المجتمع والمرحلة الثانية هى كيفية توصيل **هذه** الرسالة من قادة الرأى ــ **والذين يكونون** عادة أكثر ثقافة **وتعليما بين الناس** ــ الى باقى الجمهور المستهدف •

«وكيف نخطط برنامجا للعلاقات العامة للدعوة الاسلامية » ولنصل الآن الى النقطة الرئيسية التى نبغيها من هذه الدراسة كيف نخطط برنامجا اعلاميا عن طريق العلاقات العامة للدعوة الاسلامية يرى كثير من خبراء الاتصال الجماهيرى Mass Communication أن التخطيط لأى برنامج اعلامى يتلخص فى الرد على تساؤل هام وهو من يقول ماذا ولمن وبأية وسيلة ؟

من هذا التساؤل يمكن أن نعرض الخطة التى نحن بصددها فمن ؟ المقصود بها من الذى تتوافر فيه الشروط الواجبة لكى يقوم بالدعوة وتوصيل رسالته الى الجمهور بنجاح ويعتبر القائم بالدعوة والتى يطلق عليه الاعلاميون « القائم بالاتصال » «Communicator» هو أهم شىء فى العملية الاتصاليه ويجب أن تتوفر فيه عدة صفات •

أولا : ــ التفهم التام لرسالته والاقتناع بها ومعرفة الآراء المعارضة وخاصة ما يعرف اليوم بأصحاب الأيديولوجيات من ماركسيين وغيرهم وتفنيد هذه الاراء والرد عليها ردا يعتمد على

الحقائق والأقوال التى لاتقبل المحاورة والجدل حتى يمكن اقناع الجمهور وابعاده عن الآراء المغرضة •

ثانيا : ــ الفهم التام لطبيعة الجمهور ونظامه ولغته ولعل من الملاحظ أن الدارسين الوافدين من البلاد الاسلامية يأخذون علينا كدعاة من الأزهر عدم معرفة اللغة المحلية لأهالى البلد مما يؤدى الى تباعد الأفكار بين المرسل للرسالة الاعلامية الاسلامية وبين المستقبلين •

ثالثا : ــ أن تكون هناك خبرة مشتركة بين الداعية وبين جمهور المستقبلين لرسالته ويسميها الاعلاميون « بالاطار الدلالى » أى أنه لابد للداعية أن يعرف تماما المستوى العام للمستقبلين وكذلك على المستقبلين أن يعرفوا هدف الداعية لانه كلما زادت هذه الخبرة ووضحت كلما ازداد الاقتناع بالرسالة الاعلامية لان الرسالة الاعلامية وخاصة المتعلقة بالجانب الدينى ليست بالبساطة التى قد تبدو عليها ظاهريا فكثير من المعانى تكمن خارج الكلمات المنطوقة وطريقة النطق والحركات التى يقوم بها الفرد حينما يتحدث تعطى مدلولات أو معانى قد تختلف أو حتى تتناقض مع ما يقوله من كلمات •• لذلك يجب الحرص الشديد أثناء القاء أو توصيل هذه الرسالة •

هذا عن القائم بالرسالة الاعلامية ؟

أما الجانب الثانى فهو ماذا يقول ؟ ونعنى بها « المادة التى يبغى توصيلها» فالدعوة الاسلامية لاشك أنها تتسم على مر التاريخ بالصدق ولعل عنصر الصدق هو من أهم العناصر التى يركز عليها علماء الاتصال الجماهيرى •

لكن هناك ملاحظات يجب أن تؤخذ فى الاعتبار حينما نعد برنامجا دينيا معينا وهى •

أولا : ــ أن تتماشى هذه الرسالة مع ثقافة الجمهور أى يجب أن لا نستخدم الاساليب اللغوية الصعبة فى مجتمع لايفهم ذلك ولعل هذه الملحوظة تؤخذ على بعض الدعاة وخاصة فى المناطق

التى تحتاج الى تفسير وتوصيل المادة الاعلامية وسهولتها .

ثانيا : ـ أن نركز على ما يعرف « بالأوتار الاعلامية media appeal وهى أن ننظر الى المجتمع المستهدف نظرة شمولية .. فاذا كنا نوجه دعوتنا الاسلامية الى مجتمع شيوعى علينا الا نبدأ بانتقاد الشيوعيين ولكن نستغل امتهان الانسان وكرامته ونصف العلاج عن طريق الاسلام لان هذه المجتمعات قد تشبعت بفلسفتها من كثرة التوجيه الاعلامى والدعائى الذى تتعرض له من وسائل الاعلام فى هذه البلاد .. ويخطىء من يظن أن انتقاد النظام وفلسفته كبداية للدعوة هناك سيكون مكللا بالنجاح .. ولكن علينا كدعاة للاسلام لكى نخطط لحملة اعلامية سليمة أن نستعرض سماحة الاسلام وكيفية معالجته للقضايا وكيف كانت الرسالة المحمدية رسالة دين روحانية وفى نفس الوقت كانت رسالة دنيا أعطت للحياة الانسانية حقها وأهميتها من هنا نخرج الى أن المستقبل لرسالتنا سوف يعقد على الفور المقارنة بين مايعيشه وبين ما يتلقاه .

وليكن واضحا فى أذهاننا كدعاة للاسلام أن الجمهور المستقبل للدعوة فى القرن العشرين يختلف تماما عن جمهور القرون الغابرة.. وذلك لأن هذا العصر قد شهد ثورة كبيرة فى وسائل الاتصال الجماهيرى حتى أصبح على حد تعبير أحد الخبراء « قرية عالمية » Global village وقد صاحب هذا التقدم الاتصالى أن الفرد أصبح يتعرض للعديد من الرسائل الاعلامية والدعائية والتى لها أهداف متباينة .. وأصبح الفرد يعيش فى دوامة من كثرة هذه الرسائل وكذا كثرة الأغراض التى ترمى اليها والتى عادة ماتكون للترويج لفلسفة مادية أو لشهوات رخيصة يبغى صاحبها الثروة والمال بأية طريقة .

وكذا فعلينا كدعاة للاسلام أن نضع هذه الأشياء كمعوقات لنا وعليه فيجب أن نخطط مسبقا بأبحاث قبلية على الجماهير

للتعرف على الأوتار التى يمكن أن نضرب عليها ونحن نقوم بالاتصال بهم ونمضى مع النقطة الاخيرة فى التخطيط للدعوة وهى « اختيار الوسيلة المناسبة » يرى الكثير من خبراء الاتصال الجماهيرى أن هناك وسائل تصلح لجمهور دون الآخر •• ولتفسير ذلك نقول أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن جمهور المثقفين مثلا يمكن أن نخاطبهم عن طريق الصحف والجرائد ولكن « جمهور العامة » هل يجوز أن نخاطبهم عن طريق نفس الوسائل الواقع يقول لا ولكن هناك وسائل تصلح لهم منها الاذاعة بشقيها الراديو والتليفزيون وذلك لاستخدام الكلمة والصورة فيهما مما يبسط الفكرة التى تحويها الرسالة •• وكذلك الخطة وهى من وسائل الاعلام الناجحة والتى أعطى لها المتخصصون الأهمية عن وسائل الاعلام الاخرى •

ويعللون ذلك بأنها نوع من **الاتصال الشخصى** Personal Common وفيه تتم المواجهة بين القائم بالاتصال وبين جمهوره مباشرة face to face حيث يستطيع الداعية أن يصحح بعض المفاهيم ويبسط بعض الكلمات من خلال احساسه بمدى فهم الجمهور الذى أمامه وهذا يختلف تماما عن الداعية فى الوسائل الاخرى حيث لايعرف مدى استجابة جمهوره الا بعد اجراء بحث بعد ذلك •

بهذا نكون قد وضعنا صورة مبسطة لكيفية توظيف العلاقات العامة فى الدعوة الاسلامية •• والله نسأل أن يوفقنا الى خدمة الاسلام والمسلمين •

شعبان شمس الخرادلى

الأزهر في جزر بعيدة

للأستاذ/ اسماعيل عبده الشال

لو تطلع المسلم الى خريطة هذا الشرق البعيد .. حيث تنتشر عدة آلاف جزيرة على صفحة المحيط الهادى .. والتى تشكل جمهورية الفيلبين ـ والتى يعتبر المسلمون فيها أقلية .. مع أنهم أكثرية مسلمة يوم كانت جزر الفيلبين مملكة اسلامية كبرى .. يحكمها ملك مسلم .. هو الملك « لابولايو » الذى حارب الرحالة « ماجلان » عند وصوله الى هذه الجزر بحثا عن التوابل والبهار .. وتظاهرا بالبحث عن طريق جديد للتجارة مع الهند .. وأملا فى تغيير الوجه الاسلامى لهذه الجزر (١) .

ولا أبالغ ان قلت أننى حينما كنت أستعد للسفر الى هذه الجزر عام ١٩٦٢ م فى أول بعثة من الأزهر الشريف الى جزر الفيلبين .. وشاء الله أن أصحب أول أسرة مصرية الى هذه الجزر البعيدة .. لنعيش مع تاريخ شعبها المسلم . الذى التقى بفضيلة الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر .. وطلبوا منه فى زيارته للمناطق الاسلامية أن يرسل مبعوثين ومعلمين لتعليم اللغة والدين ـ لا أبالغ ان قلت أننى قبيل سفرى لم أكن أعرف أين موقع

---

(١) أثبت البحث العلمى أن الغرض من هذه الكشوف الجغرافية هو تطويق العالم الاسلامى أنظر : « الكشوف الجغرافية . حقيقتها ودوافعها و « الاسلام والغرب والمستقبل . أرنولد توينبى » .

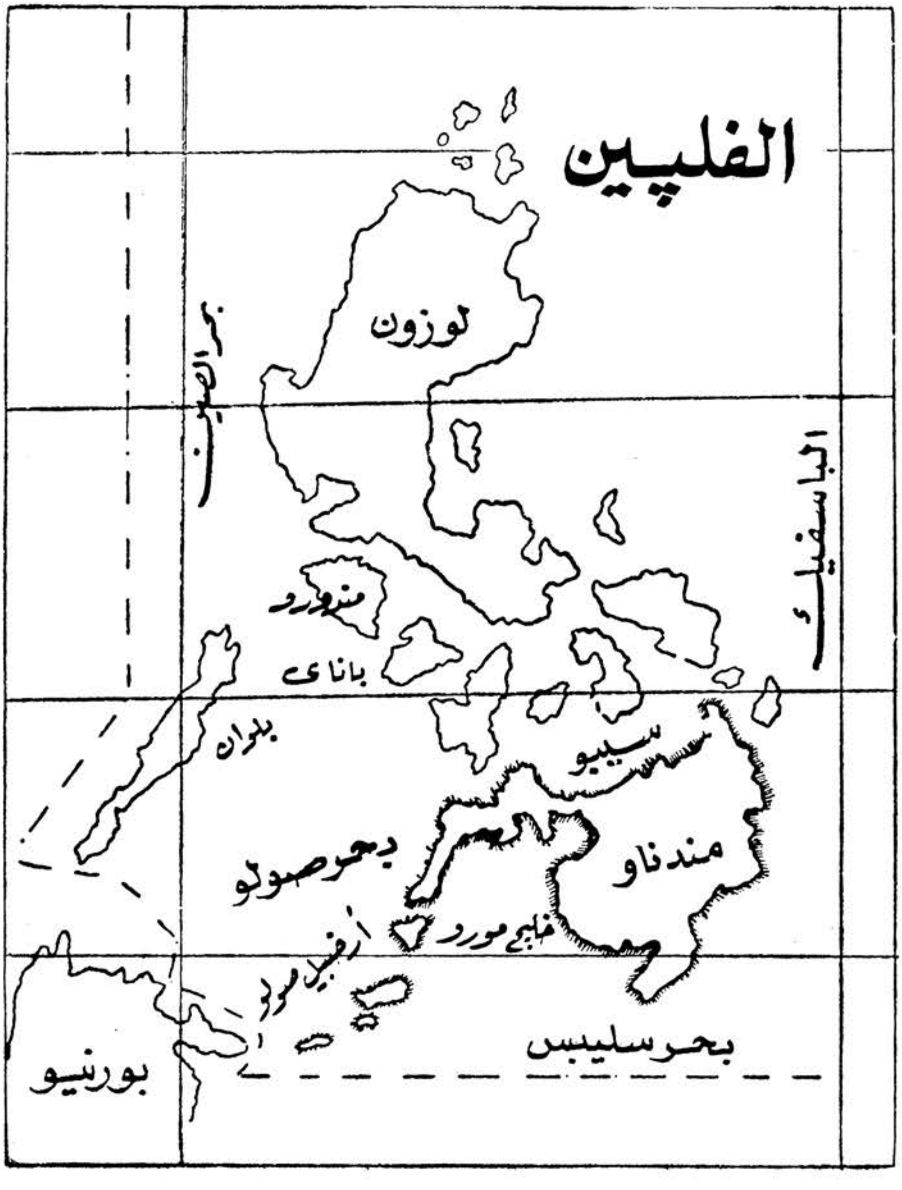
الفلپين
لوزون
بحر الصين
الباسفيك
مندورو
باناى
بلوان
سيبو
مندناو
بحر صولو
خليج مورو
أرخبيل صولو
بحر سليبس
بورنيو

جزر الفيلبين بالنسبة لخريطة العالم » ؟؟

ويوم أن وصلت الى العاصمة مانيلا سنة ١٩٦٢ •• وعرفت أن هناك سبعة آلاف جزيرة •• تكون هذه الجمهورية فى الشرق البعيد •• والتى يسعى المسلمون فى قسمها الجنوبى •• فى جزيرة ميندانو ــ كبرى الجزر الفيليبينية الى الحصول على الاستقلال الذاتى •• ليعيشوا فى حرية •• وسلام •• وأمن •• وليعبدوا ربهم فى مساجدهم الكثيرة المنتشرة •• وليعلموا أبناءهم عقيدة الاسلام التى توارثوها •• والتى يتمسكون بها رغم توارد الاستعمار الاسبانى ثم اليابانى ثم الامريكى •• ورغم تسلط الاستعمار الاجنبى والتحول الى أكبر قاعدة أمريكية فى الشرق •• الا أن المسلمين لايزالون يعبدون ربهم •• ويعلمون أبناءهم فى المدارس الاسلامية الفقيرة والكثيرة والتى تعتبر خاصة بهم ، لا تتبع للاشراف الحكومى ــ والتى خرجت زعماء جبهة التحرير أمثال (نور مسوارى) فى أقصى الجنوب من جزيرة صولو ، و (سلامات هاشم) من أواسط جزيرة ميندانو •• من مدينة (كوتبـاتو) وقد تسمت ثورتهم الاسلامية باسم « جبهة تحرير مورو •• » •

واليوم •• لو نظر الانسان الى خريطة الشرق الأقصى •• والى الجزر الكثيرة المتداخلة ، والمتشابهة ، فى هذا الجنوب •• حيث الجزر الاندونيسية ، والفيليبينية ، والماليزية والتى يقال انها كانت يوما ما •• أمة واحدة •• مسلمة تعبد ربا واحدا •• وتسير على تعاليم الاسلام الحنيف •• ولذا كنت أرى التشابه كبيرا بين سكان هذه الجزر ــ وكانت القوميات تختلط فى عينى اذا التقيت قبيل سفرى الى هذه الجزر بطالب ماليزى •• أو فيلبينى •• أو اندونيسى ــ فعلم الجغرافيا عندهم يقول : ــ ان جزر منطقة الشرق الاقصى كانت أرضا واحدة •• وتحت تأثير الزلازل والبراكين •• صارت الى ما هى عليه الان •• سبعة آلاف

جـــزيرة لدولة الفيلبين .. وثلاثة آلاف جزيرة لدولة أندونيسيا .. وعـــددا من الجزر لماليزيا وتيلاند .. غير أن نور الاسلام ــ والحمد لله ــ لايزال يشع فى أرجاء هذه الجزر ، برغم تفتتها .. وتعددها .. وتغير قومياتها .

ــ موقع هذه الجزر ــ

تقـــع هـــذه الجـــزر ــ جـــزر الفيلبين ــ فى جنوب شرق آســـيا .. وكانت تسمى ســـابقا .. جزر الهنـــــد الشرقية .. وتعتبر جزر الفيلبين فى جنوب كل من اليابان .. والصـــين .. وشرق كـــل من ماليزيا وسنغافورة وتيلاند .. وفى شمال بعض الجزر الاندونيسية .. ولا عجب فى أن يشترك ســـكان المنطقة .. بما فيهم شعب اليابان .. فى كثير من العادات والطبـــائع الموروثة ــ وكذا الصفات والملامح الجسدية .. فترى الشعر الاسود اللامع المسترسل والعيون الصغيرة المســـتديرة السوداء بأهدابها التى تميل مســـتقيمة الى أســـفل .. والملابس الزاهية المتعددة الالوان .. والتى تتناســـب مع ما على الارض من ألوان الزهور والورود، وكل هذا يؤيد الوحـــدة فى الجنس بين سكان وشعوب مناطق جنوب شرق آسيا .

ــ مناخ جزر الفيلبين ــ

تعتبر جزر الفيلبين .. كلها .. منطقة زلازل وبراكين .. وكثيرا ما يشاهد الزائر لهذه المناطق آثار الزلازل التى كانت تغير خريطـــة المنطقة باســـــتمرار .. ورغم أن جزر الفيلبين تقع فى المنطقـــــة الاستوائية شـــديدة الحرارة ــ الا أن ارتفاع بعض المناطـــق الى عدة آلاف الأقدام عن مســـــتوى ســـطح البحر ، يجعل الجو خريفا دائما وممطرا فى أغلب شـــــهور العام .. تشـــاهد ذلك فى المنطقة الاســـلامية فى محـــافظتى لاناو الشمالى ولاناو الجنوبى ــ لاناو ديلنورتى .. ولاناو ديلســـور ــ غير أن بعض المناطق الاســـلامية الأخرى فى جزيرة مينــــدانو .. تعتبر حارة لانخفاض أرضـــها عن مســـتوى ذلك .. كما فى محافظة

- كوتباتو - التى بدأت منهـــا الشرارة الأولى لحركة الثـــورة الاســـلامية التى تطالب بالحكم الذاتى •• والتى تحملت القسـط الأكبر من الخـــراب والدمار على أيدى المتعصـبين من الصـليبيين الذين يســـعون لمحو الأغلبية الاسلامية فى الجزيرة المســلمة ميندانو ••

- صـــلة الفيلبين بالجزر المجـاورة -

لو نظر الانســـان الى حقيقة التشابه الكبير •• بين سكان دول المنطقــة - منطقــة جنوب شرق آســيا - لأدرك من أول وهلة •• أن هناك صلة وثيقة بين شــعوب هـــذه الجزر •• وحقيقة يذكر التاريخ •• أنه كان هناك ما يشبه أرضا متصلة •• عن طريق جسور أرضية تصل كلا من جزر الفيلبين •• بأندونيسيا والملايو وتيلاند •• وسنغافورة •• منذ آلاف السنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام - وقـد قيل أن هـذه الجزر كانت مرتبطة كما قلت آنفا - بجســور من الثلوج الكثيفـــة •• وكان السكان يستخدمون هذه الطرق فى تنقلاتهم بين هـــذه الجزر طلبا للرزق • وبمرور الزمن •• وتحت تأثير العوامل الجوية •• والزلازل الأرضية ذابت هذه الجســور •• وتحركت وانفصلت •• وأصبحت بهـذا الشــكل الحـــالى •• **أمما مختلفة •• ودولا متفرقة •• ولما أشرقت شمس الاســـلام الحنيف عـــلى أرض المـــلايو (ماليزيا) حينما وصـل الرحالة العـــرب اليها أولا •• بدأ نـــور الاسلام يشـــع على جزر الفيلبين المجاورة عقب الفتح الاســـلامى للهنـــد والصين - وأصـــبحت الفيلبين يوما ما مملكة اســلامية كبرى كانت تسمى وقتذاك - الملايو العظمى -** •

- الثقافة واللغة فى جـــزر الفيلبين -

نظرا لاتســاع رقعة الارض الفيلبينية وتعدد جزرها التى بلغت سبعة آلاف جزيرة •• ازداد عدد اللغات المحلية الى أكثر من أربعة

وسبعين لغة •• بالأضافة الى اللغة الرســمية الحكومية ــ تجالج ــ واللغة العربية عند المسلمين واللغة الانجليزية عند المسيحيين والصينية عند الصينيين ، وكل هــذه اللغات جاءت عقب رحلات العرب والهنود وسكان الملايو •• واندونيسيا •• والصين •• ثم استعمار أســبانيا وبعده اليابان وكــذا الوجـــود الاميريكى الذى حول الفيلبين الى أكبر قاعدة بحــرية أمريكيـــة فى الشرق •• وقـــد توطن كثـــيرون من أصحاب هذه الجاليات الاجنبية وعاشوا واختلطوا بســـكان هذه الجزر وكونوا معهم شــعبا واحدا يتكلم لغات متعددة •• وأصبحت الأمة الفيلبينة تتكون من هـــذه الجنسيات التى انصهرت فى شعب واحد •• أعقب الاستعمار الثلاثى الذى جعل المسلمين ينكمشـــون فى جنـــوب بلادهم فى جزيرة ميندانو التى استبسلوا فى الدفاع عنهـــا وسطروا آلاف البطولات للتمسك بها كجزء أخير من دولتهم الاسلامية الاولى ــ الملايو العظمى ــ •

ولا عجب •• أن نرى لغـــة التخاطب بين ســـكان المناطق الاســلامية بعد لغاتهم المحلية •• هى اللغة العربية •• لغة اسلامهم ــ وثقـــافتهم ــ وتاريخهم •• والتى يســتخدمونها فى صلواتهم وقراءتهم للقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف •• والتى تكون فى افتتاحيـــات خطب الجمـــع فى مســـاجدهم •• ولايزال بعض المسلمين يستعمل الحروف العربية فى اللغات المحلية •• بمثل ما يوجد فى لغة لاناو •• ولغة المسلمين فى صـــولو وزمبوانجا •• اللغات الراناوية والتاوســوج •• أما غير المسلمين •• فيستعملون مع لغتهم الوطنية « تجالج » اللغة الانجليزية ــ وكل لغة تتبعها ثقافة خاصـــة بها ــ وتحرص الحكومة الفيلبينية على أن تربط الجزر بلغة واحـــدة رســـمية هى (تجالج) غير أن انتشار المدارس الاســـــلامية والمســيحية التبشيرية والصــينية والهندية •• كل هذا زاد من تعدد اللغات والثقافات •

الا أن المدارس التبشــيرية فى الفيلبين ــ والتى تتكاثر فى المنطقة

الاسلامية ــ قد كشفت عن وجهها •• وجاهرت بما تقصده من ثقافتها الخاصــة التى تريد بها أن تخرج المســلمين عن دينهم وثقافتهم وصلتهم بالاسلام وأرضه •

ورغم ذلك •• صــمدت المناطق الاسلامية للغزو الفكرى ، وزادت من أعداد المدارس الاســلامية ــ برغم فقرها ونقص الرعاية فيها ــ للمحافظة على ميراث الاســلام الذى ينير جزر الجنوب فى جمهورية الفلبين فانقلب هــذا الحقــد الى حرب استئصال للوجود الاسلامى فى ميزان غير متكافىء •• بين أغلبية تمــلك المــال والســلاح وبين أقلية مسلمة فقيرة لا يســمع عنها العالم الخارجى الا ما يصــل فى صيحات استغاثة ونجدة لشعب يتمسك بدينه وأرضــه فى جزيرة ــ ميندانو ــ ويتعرض لضــغط التبشير والتنصير والقهر •• وقد ولد الضغط انفجار ثورة اســلامية هبت لنجدة الشعب المســلم •• ورفعت ســلاحها لتحفظ ميراث الاسلام •• الذى تقلص فى جزيرة واحدة من بين سبعة آلاف جزيرة •• تلك هى جزيرة مينــدانو •• التى أنجبت الزعيم الأول لجبهــة تحرير مورو ، (نور مســوارى) خريج المدرسة الاسلامية فى صولو •• وكذا زعيم الجبهــة الحالى سلامات هاشم) خريج المدرسة الاسلامية فى محافظة كوتباتو •• وابن الازهر الشريف بالقاهرة •

تحية لشعب الفيليبين المسلم •• وتقديرا لجهاده من الازهر الشريف وعلى صفحات مجلة الازهر الشريف •• وبقلم جنــدى من جنــوده ، وأملا فى صــمود المســلمين فى الجزيرة المسلمة الوحيدة ميندانو ــ والله متم نوره ولو كــره الكافرون ــ •

اسماعيل عبده الشال

شخصية فى سطور

بقلم سعيد عبد الحى

ابن خلدون

* هو : أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن خلدون الفيلسوف العربى .

* ولد سنة ٧٣٢هـ ويعتبر من أعلام القرن الثامن الهجرى وينتمى الى أعرق الاصول اليمانية

* شب وترعرع فى تونس وتلقى العلوم المعروفة فى عصره ثم هاجر من تونس خوفا من الوباء الذى تفشى فيها .

* رحل الى المغرب وهناك شرع فى التنقل من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد .

* استدعاه السلطان أبو عنان المرينى صاحب (تلمسان) الى مدينة فاس سنة ٧٥٥ وكان عمره حينئذ ٢٣ عاما وأكرم وفادته وعينه كاتبا له ومنحه أرفع الرتب مما ثار الحسد فى نفوس أقرانه واتهموه بالتآمر على السلطان وصدق السلطان هذا الزعم فأمر بادخاله السجن وظل به الى أن توفى السلطان سنة ٧٥٩ هـ

* سافر الى الاندلس سنة ٧٦٤ هـ وهناك قصد غرناطة واستضافه السلطان أبو عبد الله وبالغ فى حفاوته وأعد له دارا فى أعلى قصوره .

* سافر الى مدينة قشتالة فى سنة ٧٦٥ وتوسط فى عقد الصلح بين حاكمها وبين ملوك العدوة وأهداه حاكم قشتاله بغلة بلجام من ذهب فلما رجع الى غرناطة أهدى البغلة ولجامها الى السلطان أبو عبد الله فأنزله على الرحب

والسعة وأقطعه بلدا صغيرا وصار بذلك من الامراء الملتزمين .

* تولى رياســة الحكومة فى عهد الامير عبد الله أمير دولة بجاية بالمغرب .

* وعنــدما تــولى السلطان عبد العزيز على (تلمسان) استدعى ابن خلدون وأمره بنشر الدعــوة له بين القبائل فقام بهذا العمــل فى همة ونشاط .

* استقر فى تلمسان وأقام فيها مع أهله وولده وأنزله الســلطان عبد العزيز فأقام بها أربعة أعوام وفى أثناء ذلك شرع فى تأليف كتابه العبر وانتهى من كتــابة مقــدمته لاول مرة فى منتصــف عام ٧٧٩هـ واستغرق فى كتابتها خمسة أشــهر وله مؤلفات كثيرة لا يتسع المقــام لذكرها فى هذه السطور الوجيزة .

* عكف ابن خلــدون على كتابة مؤلفه حتى أتم منه النسخة الاولى ورفعها الى الســلطان أبى العباس ســنة ٣٨٤ هـ وكتب فيهــا تاريخ البربر وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده وتاريخ الدول الاســلامية الاخرى وتاريخ الــدول المغربيــة فى عصره .

* عــاش فترة من الوقت فى تونس ثم نزح الى القاهرة وسافر الى الاســـكندرية ثم عــاد الى القاهرة .

* قام بالتــدريس فى الازهر ووصل خبره الى السلطان برقوق سلطان مصر حينذاك فقربه وأكرمه وولاه قضاء المالكية ســنة ٧٨٦هـ فقام بعمل القضــاء خــير قيــام واشتهر أمره عالما وقاضيا ومدرسا ومؤرخا وأديبا .

* ظل مقيما بمصر الى أن توفى ودفن بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ رحمه الله ونفعنا بعلمه .

سعيد عبد الحى

قالت الصحف

إعداد عاطف زهران

الوجه الآخر فى قضية تنظيم النسل

كتب الأستاذ / ظفر الاسلام خان مقالا بمجلة المختار الاسلامى — جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ — تحت هذا العنوان قال فيه :

تصر دول الغرب ومؤسساته المالية بعناد غريب على أن الانفجار السكانى هو مشكلة المشكلات التى يواجهها العالم الثالث (وهو فى غالبيته العالم الاسلامى) وهى تطالبنا بالعمل الجاد للقضاء على هذه الظاهرة المرضية كشرط أساسى للحصول على المعونات والقروض ..

ومنذ عدة أشهر قالت احدى الدراسات البريطانية :

ان ما ينفقه البريطانيون على كلابهم وقططهم فى السنة الواحدة يكفى لاطعام شعوب الساحل الافريقى كلها — المهددة بالمجاعة — لمدة أربع سنوات كاملة ..

وفى ذات الوقت نجد أن هذه الدول — فى الغرب — مهتمة بزيادة نسلها غاية الاهتمام . وهى تقدم العلاوت والامتيازات المالية لكل أسرة تسهم فى هذا المجال الحيوى ..

ففى بريطانيا مثلا — والى جانب الاجازة المجانية الطويلة والعلاوة التى تحصل عليها الأمهات — فان كل مولود بدون استثناء يحصل على علاوة طفولة تستمر الى أن يتخرج من المدرسة الثانوية تبلغ أكثر من أربعة

جنيهات فى الأسبوع الواحد • لكل طفل وبدون حد أقصى للاطفال • كما يتمتع الاطفال حتى السنة السادسة عشرة من عمرهم بالعلاج المجانى بكافة أنواعه ، وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم •

أما ألمانيا وفرنسا فتقدمان تشجيعا أكبر بكثير وفى روسيا يقدمون الأوسمة لمن ينجب أكثر • ان دول الغرب بلا استثناء قلقة أزاء تناقص نسلها • وهى تعتبر مواطنيها ثروة أكبر من آية ثروة مادية •

ان روسيا التى كانت أول دولة تبيح الاجهاض وتشجعه لتدفع أكبر قدر من النساء الى العمل فى المصانع والمزارع الحكومية • هى بذاتها تدعو نساءها — وحتى البنات الحوامل بدون زواج — لعدم اللجوء الى الاجهاض — الآن — وذلك لأن الرفاق اكتشفوا أن الأمومة سعادة تفوق سعادة الزواج نفسه •

***

التراث بين السلف والخلف

كتب الأستاذ / عبد الله حمد الحقيل مقالا تحت هذا العنوان بمجلة الدارة السعودية فى عددها الصادر فى جمادى الثانى سنة ١٤٠١ هـ قال فيه :

لقد أقبلت الأمم الأوربية القوية تتنافس فى تعلم علوم العرب ، وكشف آثارهم • واحياء آدابهم ، وطبع كتبهم •

ان تراثنا الاسلامى يحفل بصفحات مشرقة ناصعة • ولقد واجهت الأمة الاسلامية عبر عصور تحديات عنيفة • وقد اشرأبت أعناق الحاسدين والطامعين • وسعوا جاهدين الى اخماد جذوة الايمان بكل ما فى جعبتهم من ألوان الأذى والكراهية والعنف واحراق الكثير من المآثر والمعارف والذخائر فى بغداد والأندلس وغيرها • بيد أن ذلك كله لم يطفىء اشعاع الثقافة الاسلامية فى النفوس • فبعد سقوط الأندلس ظل المسلمون يتسترون باسلامهم • يصلون فى الكنيسة ويقرأون سرا

سورة « **قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ..** » .

ورغم محاربة الكنيسة لهم . لم تتقوض الثقافة الاسلامية الأندلسية وبقيت أسماء العلماء والمفكرين الاندلسيين رغم حقد ومقاومة المتعصبين المسيحيين . ومن يطالع التاريخ يدرك ذلك . وكيف تقاسم الغزاة خزائن مكتبات العلماء المسلمين . !!

وما تزال المكتبات الأوربية اليوم تمتلك رصيدا كبيرا من كتب التراث الاسلامى . **فى** النمسا **وبرلين وجامعة هامبورج وهولندا وبريطانيا وفرنسا وغيرها** . من **المخطوطات** والوثائق والكتب التى تركها أسلافنا وتسابق الاجانب **على الاحتفاظ بها فى** خزائن مكتباتهم .

ومن الخير أن نكون أولى منهم **وأجدر بالوفاء لتراثنا وما خلفه** أسلافنا . والوفاء من الصفات **الأصيلة الكريمة** .

ان قضية الاهتمام بتراثنا والعمل على احيائه **هى** فى جوهرها قضية وجود ومصير . بما تكشف عن حقيقة **ذاتنا** وآماد طاقاتنا . **وما تضيىء لنا من** معالم الطريق وآفاق الطموح .

***

دعوة تقدمية

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (روز اليوسف) مقالا للأستاذ محمود التهامى فى العدد الصادر **يوم ١٣ أبريل** سنة ١٩٨١ م قالت فيه :

هل يتعارض الدين حقيقة مع التقدم ؟

لم يرفض الفكر الاسلامى التقدمية . ولكنه يضع حدودا تحمى التراث والقيم الحضارية التى أرستها شرائع السماء .. يرفض الفكر الاسلامى **التقدمية** بمعنى تقليد الافكار والنظريات **الغربية (١) على مجتمعاتنا القائمة على أصول تخالف عقائدنا** وأخلاقنا .

---

١ — ونحن نضيف الى رأى الكاتب أن الفكر الاسلامى يرفض التبعية أيضا للافكار والنظريات الشرقية .

الفكر الاسلامى يقبل التقدم العلمى والتكنولوجى . فمن الضرورى أن نساير العصر .. والعلم لا وطن له . فهو حق البشرية كلها . وللمسلمين ولغيرهم الحق فى الاستفادة من انجازاته . ولكنه يرفض التقدمية بمعنى الانحراف عن أخلاقيات مجتمعنا والانزلاق الى المادية والأفكار المستوردة بدعوى مسايرة العصر ومتطلبات الحياة الحديثة .

التقدمية فى الاسلام أن نجتهد لنبسط أحكام الشريعة لتغطى متطلبات العصر . لا أن ننسلخ عنها لننزلق مع وهم كبير اسمه المادية العصرية .

لقد آن الأوان لمواكبة النهضة العلمية والاقتصادية والتكنولوجية التى نمر بها الآن . أن نولى أمر الدين وتعاليمه ووسائله قدرا من الاهتمام . بالأسلوب الذى يجذب العقول والنفوس . وبالمنهج الصحيح فى الدعوة والاقناع . حتى لا يتوه الجانب الروحى من الانسان فى خضم التطور .

***

عاطف زهران

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

وتجيب عليها لجنة الفتوى بالازهر

جاءنا من المواطـــن / م • ع • الكبير السؤال التالى :

س : يقـــول بعض النـــاس ان مراجعة سيدنا موسى لسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعـــراج من الاسرائيليــــات فما الحكم ؟

ج : مراجعة سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت فى الصحاح من كتب السنة • من ذلك ما يقوله البخــــارى ضمن حديث الاسراء والمعـــراج : « فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه الصــــلاة والســـلام فقال ما فرض الله على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة • قال موسى فارجـــــع الى ربك فان أمتـــك لا تطيـــق ذلك قال فرجعت فوضع شطرها •• » الحديث ••

وان نسبة هذا الى الاسرائيليات لهو تجن على الصـــــحاح من كتب السنة ، فليتق المسلم ربه فى مثل ذلك •

من المـــواطن / محمـــد حلمى شوقى بالقاهرة :

س : هل يجوز سفر المرأة للعمل وحــــــدها بدون زوج أو محرم ، وبدون رضــــاء زوجها ، وما حكم عدم طاعة الزوج ؟

ج : **لا** يجوز للمرأة أن تســـافر الا برضــــاء زوجها على أن يكون

سفرها مع محرم أو رفقة مأمونة •
ويحـرم على المـرأة أن تكون عاصـية لزوجها الا اذا أمرها أمرا فيه معصية لله ، اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق •

ومن السيد / فتحى شـنودة ميخائيل :

س : هل تجوز النفقـة على الاخوة لأب مع وجود أخ شـقيق موسر وأم موسرة ؟

ج : نفقة الأولاد تجب على الأم الموسرة وعلى أخيهم الشـقيق الموسر أسـداسا : على الأم السدس ، وعلى الشقيق خمسـة أسـداس •
أما الاخوة لأب فلا تجب عليهم من النفقة شىء •

ومن المواطن / عبـد الرحمن مراجع الطيب :

س : زرعت زرعا فكان المحصول مائة وخمسين اردبا ، أعطيت لعامل الحصاد خمسين اردبا فهل تخرج الزكاة عن الجميع أم المائة ؟

ج : الزكاة تخـرج عن كل المحصول سواء ما أبقاه لنفسـه أو أعطاه أجرة للحصاد والدراس اذ أن ما ذكره قد بلغ النصـاب وزاد عليه •

ومن المواطن : أ • م • الراغب ـ الاسكندرية :

س : تزوجت امرأة زواجا عرفيا بمهر وشـهادة الشـهود دون عقد كتابى واسـتمر الزواج خمس سـنوات مع قيام الزوج بواجباته المادية والمعنـوية • وهى ترغب الان فى الزواج بعقـد رسمى من شخص آخر دون الحصـول على طـلاق من الـزوج الأول • فما الحكم ؟

ج : هذه المرأة متزوجة شرعا ، والمتزوجة يحـرم عليها أن تتزوج الا اذا طلقها زوجها الأول أو مات عنها وانقضت عدتها منه شرعا •

ومن المواطن / ابراهيـم الباجورى :

س : بعض الناس يمسـح على الجوربين بعد أن يلبسهما وهو على طهارة • فهـل تجـوز الصـلاة

بالجورب الممسوح عليه دون غسل القدمين ؟

ج : يشترط فى صحة المسح على الجورب أن يكون ثخينا فلا يصح المسح على الجورب الرقيق الذى لا يثبت على الرجل بنفسه من غير رباط ، ولا على الجورب الرقيق الذى لا يمنع وصول الماء الى ما تحته • وكذلك لا يصح على الجورب الشفاف الذى يصف ما تحته ثخينا أم رقيقا •

وأن يلبس الجوربين بعد طهارة كاملة « وضوء أو غسل » غسل فيهما قدميه •• ومدة المسح على الخفين يوم وليلة للمقيم ، وثلاثة أيام ولياليهن للمسافر •

ومن المواطن عبد الله حسن بركات :

س : رجل اشترك مع آخر فى شراء جاموسة مناصفة ، على أن يتولى الأول رعايتها واطعامها وله فى مقابل ذلك اللبن والسمن والاستعمال فى الحقل •
وما ينتج منها من ولد فيقسم بينهما بالتساوى ، واذا بيعت الرأس يقسم ثمنها بينهما بالتساوى ربحا وخسارة فما الحكم ؟

ج : هذه المشاركة جائزة شرعا ولا شىء فيها ، حيث انهما متفقان على المكسب والخسارة فى هذه الشركة •

ومن المواطن / محمد نصر خالد الزوى :

س : رجل يلبس فى رجله المصابة جهازا داخل حذاء • فهل يجوز له دخول المسجد على حالته هذه ؟

ج : يجوز دخول المسجد بالجهاز داخل الحذاء مادام لم تعلق بالحذاء نجاسة •

« فقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالحذاء ، وخلعه فى أثناء الصلاة فخلع الصحابة أحذيتهم • ولما انتهت الصلاة قال لهم : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا رأيناك خلعت نعلك فخلعنا • فقال أوحى الى أن بنعلى أذى فخلعته » •

والله أعلم •

عبد الحميد شاهين

هكذا يكتب القراء

إعداد عبد العزيز احمد جبرة

« الطريق الى الجنة »

« أوله : الصـــدق »

تحت هذا العنوان كتب القارىء عبد التواب احمد يقول :

الطريق الى الجنة ليس شـاقا أو صعبا أو الوصـول اليه معسرا أو الحصول عليه متعبا بل هو سهل وميسور لا يكلف راغب الوصـول اليه سوى أن يتبع ما أمر الله به من أوامر وبالتالى يجتنب النواهى التى نهانا الله عن فعلها أو القرب منها فما آتاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، ومن هنـا تجد أن السـبل ميسرة والطريق واضـح المعالم كما جاء فى القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما سنرى فيما بعد .

وبمناسـبة الحديث عن الطريق الموصل الى الجنة التى هى مرضاة كل مسلم فى آخرته نذكر الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسـول الكريم **(أضمنوا لى سـتا أضمن لكم الجنة فقالوا له ما هى الخصال السـت التى تضمن لنا بها الجنة يا رسول الله ؟ قال : أصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعـدتم وأدوا اذا أؤتمنتم وغضـوا ابصـاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم)** صدق رسول الله صـلى الله عليه وسلم .

أخى المسلم : أدعوك بأن تنظر معى الى كلمات الرسـول المضيئة وجمله البليغة وعبـاراته الموجزة بل أدعـوك بأن تنظـر الى ما هو مطلـوب منـك عمـله ليضمن لك الرسول الاعظم الجنة . أنها ست

من الخصـــــال الطيبة والأفعال الحميدة والصــــفات الكريمة اذا وقعت فى حياة المسـلم منا موقع الاهتمــــام والحرص والمواظبــة والعمـــل ضمن له النبى الكريم النهاية الطيبة والجزاء الجميـــل والثواب الكبير والفضل الواســع ذلك فضــل الله يؤتيه من يشــاء ألا وهى الجنة وهل يبتغى الانسان من حياته الدنيا سوى مرضاة الله طمعا فى رحمتــه وأملا فى دخــول جنته ولنأت الى أول هذه الخصال وهى : الصدق فى القول : فلا شك أن الصدق الذى ينتهجه أى مسلم فى قوله وعمله وأحواله لجدير بأن يجعل صاحبه ذا مكانة سامية وسط المجتمــع الذى يعيش فيه ويكون محل ثقة واحترام ووقار وتقــدير دون غيره الذى لا ينتهـــج نفس المنهج بل ان صــفة الصدق ترقى بالانســـــان الى مكانة يسمى فيها صديقا وأذكر هنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه (ان الصــدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهـــدى الى الفجور والفجـــور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحقيقة أن الصدق امانة والكذب خيانة وشـــتان بين اللفظين فالفرق بينهما شـــاسع والبعد بينهما بعد المشرق والمغرب ولذلك نلاحظ ان الرجـــل الذى لا يكذب فى حديثه لا يكذبه أحــد ولو قال خيالا مع أنه لا يتحدث فى الخيال ولكنها الثقة المنــوحة من مجتمعه نظـــرا لصـــــدقه دائما أما الرجل الذى تعود كثرة الكذب فلا يصدقه أحد ولو أقسم له بل ربما يكون صادقا ذات مرة ولكنه لا يحظى بالتصــديق من الآخرين لأنهم تعودوا منه الكذب وننظـــر الى قدوتنا الحسنة فى رسول الله صلى الله عليه وســلم الذى لقب بالصادق الأمين عند قومه مع أنهم كانوا على خلاف كبير معه على دينه الجديد وقضــية الايمان به وعدم الايمان به ، وتحضرنى فى هــــذا

المقام حادثة الاعرابى الذى جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض عليه الدخول فى الاسلام بشرط أن يسمح له الرسول بممارسة بعض من عاداته فى الجاهلية من شرب الخمر والسرقة والزنا وغير ذلك من العادات التى جاء الاسلام ليمحوها ويضع مكانها منهاجا قيما فوافق النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى بشرط أن يعاهده على عدم الكذب وهنا لنا وقفة لنتساءل كيف يمكن للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن يوافق على شرط الاعرابى ؟ وكيف يصف الطبيب للمريض علاجا ضد الشفاء ولكن الحقيقة ان الرسول هو الطبيب الناجح الذى فى استطاعته أن يصف ما هو فى ظاهر الأمر عدم الشفاء وفى باطنه الرحمة والشفاء والعلاج من هذا المرض وذلك كما سنرى حالة الاعرابى بعدما خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو فرح مسرور بموافقة الرسول العظيم وذات مرة راودته نفسه أن يشرب الخمر فتذكر عهده مع الرسول وقال لو شربت الخمر وسألنى الرسول ؟ لو كذبت فسوف أكون ناقضا للعهد ولو صدقت لأقيم على الحد وهنا رجع عن فعلته وكلما راودته نفسه بفعل معصية من المعاصى تذكر عهده واقامة الحد لو صدق وظل هكذا حتى تاب توبة نصوحا ورجع عما اشترط عليه مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهنا عرفنا كيف وافق الرسول على شرط الاعرابى مع أنه مناقض لشريعة الاسلام والى لقاء آخر نكمل بقية الحديث والخصال الخمس الباقية وفقنا الله واياكم وجعلنا من الصادقين آمين يا رب العالمين •

الاعلام الدينى

تحت هذا العنوان كتب القارىء طه أحمد من أبناء محافظة بنى سويف يقول : —

الاعلام الدينى قضية من أخطر القضايا بل من أهم قضايا العصر ومشاكله والحقيقة أننا أصبحنا فى احتياج كبير الى أن تتسع دائرة الاعلام الدينى من اذاعة مرئية ومسموعة وصحافة مطبوعة

ومقروءة لأن شبابنا فى هذا العصر يقع فريسة التيارات الفكرية المعادية للاسلام من الحاد وشيوعية وهذا يحدث نتيجة الفراغ الدينى الذى يعانى منه هـذا الشـباب بل من العجب والدهشة أننا كثيرا ما نجد أناسا يصعدون المنبر فى المسـجد لالقـاء خطبة الجمعة من غـير المتخصصين فى الدراسة الاسلامية من فقه وعقيدة وحديث وتفسـير الى غير ذلك من المواد الدينية التى يدرسها طالب كلية الدعوة وأصول الدين بالازهر الشريف لكى يخرج الى المجتمع من أجـل نشر الوعى الـدينى بين المجتمـع عن طريق المسجد وان كان هذا الامر ناشـئا عن عجز فى الائمة ووعاظ المساجد الا أن الامر ليس سهلا ميسـورا لكل من هب ودب فأنه مكان وقف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعـة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخـيرة الصـحابة لرسول الله صلوات الله وسـلامه عليه ومن هنا نجد أن على الصحافة الاسـلامية الواجب فى أن تطـور عملها الصحفى مع ابتكار لابواب جديدة تتابـع أحـداث العـالم الاسلامى وتبطل حجج المستشرقين ودعاوى الالحادية والشـيوعية ، فاسلامنا الحنيف محارب الآن من الزاوية الفكرية وهـذه الزاويـة أخطـر الزوايـا فعلى الصـحف الاسلامية والبرامج الدينية معـا أن تقاوم هـذه التيارات الفكرية المعادية للاسلام وأن تبدى رأيهـا فيما يقدم للشباب فى السينما وعلى خشبة المسرح ومجـال السـينما والمسرح من أخطر أساليب الاعلام حيث تتوافر لهما حاستى السـمع والبصر وهما أخطـر الحـواس الخمس لدى الانسان •

فكثـيرا ما أهـدرت وهـدمت وأسقطت السينما وخشبة المسرح ما تم بناؤه فى الصـحف الدينيـة والمسـاجد ومـن هنـا يجب بتر الشـيوعيين أصـحاب الاقـلام المسـمومة والافـلام الخليعـة والمسرحيات الهابطة والفكر الهدام حتى يمكننا أن نجنى ثمار جهودنا بالمسجد والصحيفة الاسلامية •

عبد العزيز أحمد

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

القـــــاهرة :

عـــاد فضـــيلة الامـــام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شـــيخ الأزهر من جولة طويلة زار فيها الدول والجاليات الاســـلامية فى شرق آسيا ٠

وقد أجرى فضيلته مبـــاحثات مع المســـئولين فى هـــذه البـــلاد اســـتهدفت تقوية الروابط بينهم وبين مصر والأزهر وتلبية حاجاتهم من الدعـــاة والعلمـــــاء والكتب الاسلامية ٠

ـ فى افتتاح المؤتمر الثـــانى للدفاع الاجتماعى الذى تنظمـــه الجمعية العامة للدفاع الاجتماعى بالاشتراك مع المنظمة العـــربية للدفاع الاجتماعى أعلن المسئولون: أن خطة الدفاع الاجتماعى يجب أن تقوم على أســـاس تنفيذ خطط وبرامـــج فى أطـــار الشريعـــة الاســـلامية والقيـــم الدينيـــة والاخلاقية والعمـــل على حمـــاية الأسرة وتطبيق مبادىء الدستور٠

الســـعودية :

فرغت منظمـــة اذاعات الدول الاســـلامية من اعـــداد برنامج

بعنوان : ((الغارة على العـــالم الأسلامى)) وقد تم تســجيل ٣٠ حلقة اذاعيــة من هــذا البرنامج الذى ســوف يبث اذاعيــا عمــا قريب عبــر اذاعــات الـــدول الأعضاء • ومن المنتظر أن تقــوم المنظمة بترجمة برنامج الغـــارة على العالم الاسلامى الى اللغــة الانجليزية والفرنسية واللغــات الأفريقية والآســـيوية حتى تعم الفائدة •

الجـــزائر :

شـــهدت ولايــة ((البويرة)) الجزائرية المعرض الثانى للكتاب الاسلامى الذى استمر أســـبوعا كاملا زينت خلاله كافة المســـاجد والشوارع بآيات قرآنية • وقــد لاحظ المراقبون ، شدة الاقبـــال على المعــرض من الشـــــباب والمثقفين •

فلســـــطين :

ذكر الدكتور رياض الأغا مدير الجامعـــة الاســـلامية فى غزة بأن الجامعـــة تضـــم حاليـــا أكثر من ثمانمائة طـــالب وطالبـــة ويحاضر فيهم سبعون أستاذا هم اعضـــاء هيئة التدريس وقال ان الجـــامعة تسد النقص فى عدد أعضاء هيئــة التـــدريس فى جامعـــة بير زيت ، وكلية الدعوة ، وأصـــول الدين فى القدس ، وجامعة النجاح الوطنية بنابلس •

والجامعة الاســـلامية فى غزة تعتبر امتدادا طبيعيا للمعهد الدينى الفلسطينى الذى انشأه الأزهـــر الشريف عـــام ١٩٥٤ م كنـــــواة للجامعة • والجامعة الآن تضـــم ست كليات هى الشريعة والقانون واصول الدين واللغـــة العربيـــة والتربية والعلـــوم والاقتصـــــاد والعلوم الادارية •

دبى :

فى اجتمـــاع عقـــد بدبى بدولة الامارات العربيـــة المتحـــدة بمقر الجمعية العمومية لجمعية الاصلاح والتوجيـــه الاجتمـــاعى تم طرح اقتراح بضرورة اصـــــدار جريدة يومية اسلامية ، وملحق للأطفـــال بجانب مجلة الاصلاح التى تصدرها الجمعية ٠

ماليزيا :

تبحث الحكومة الماليزية مجموعة من القرارات التى ســـتؤدى الى تطبيق برنامج للتنميـــة يتفق مـــع الشريعة الاسلامية ٠

وقد أوصت بهذه القرارات ندوة عقدت بجامعة كوالالمبور ٠

أندونسيا :

من المنتظر أن تعقد فى جاكرتـــا دورة تدريبية للأئمة والدعـــاة فى غرة شهر شـــعبان ان شـــاء الله وتستمر شـــهرين وذلك فى اطـــار الدورات التـــدريبية التى تقيمهـــا الأمـــانة العـــامة للمجلس الأعلى العالمى للمســـــاجد وتســـــتهدف الدورة تدريب ٣٠٠ داعية فى أطار خطة تدريب الف داعية فى جنـــوب شرق آسيا ٠

قبرص الاســـلامية :

ـ افتتح السيد رءوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص (الاسلامية) الدورة التى تقيمها الأمانة العـــامة لرابطة العالم الاســـلامى لتدريب الأئمة والدعاة ٠

ـ عقـــــد فى دولـــة قبـــرص (الاسلامية) الاجتماع التأسيسى للمعهد الدولى للبنوك والاقتصـــاد الاســـــلامى ٠ وقـــد تم فى هذا الاجتماع اقرار ورقة العمل التى اعدتها الامانة العامة لاتحاد البنوك الاسلامية لانشـــاء المعهد الدولى للبنوك والاقتصاد الاسلامى ٠

نيجيريا :

تقيم الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد دورة تدريبية للأئمة والدعاة والوعاظ في لاجوس عاصمة نيجيريا في شهر شوال ١٤٠١ هـ وتستمر الدورة شهرا وتستهدف تخريج دعاة وأئمة للمساجد لتنشيط حركة الدعوة في افريقيا ٠

تركستان :

دعا الدكتور بيمرز هابيت أحد العلماء المسلمين باقليم تركستان الاسلامي الواقع تحت سيطرة النفوذ الشيوعي ، دعا الى الاهتمام باحوال المسلمين في تركستان ، وطالب منظمة المؤتمر الاسلامي بتقديم المساعدات للمسلمين هناك خاصة في هذه الفترة العصيبة ، وأوضح أن مسلمي تركستان ليست لهم علاقات اجتماعية مع الجمهوريات السوفيتية الشيوعية الأخرى ٠

الهند :

ــ أقامت مدينة العلوم العربيه في « بوليكل » بالمشاركة مع كلية أنوار الاسلام العربية للبنات ودار الايتام مهرجانا بمناسبة مرور أربعين سنة على تأسيسها ٠

ــ تم مؤخرا افتتاح مبنى جامعة الصالحات الجديد بهكتل بولاية كرناتك في جنوب الهند ، وجامعة الصالحات احدى الجامعات الاسلامية التي تسهر على علوم القرآن واللغة العربية ٠

ــ صدر الجزء الرابع من ترجمة معاني القرآن الكريم مع التفسير باللغة الميراتية عن ادارة دعوة القرآن في بومباي ٠ ومما يذكر أن الناطقين باللغة الميراتية في ولاية « مهاراشترا » في الهند أكثر من أربعين مليون نسمة ٠

أحمد عبد الرحيم السايح

أخبار الأزهر

إعداد / الشافعي عبد الراضي

الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر

أصدر السيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية قرارا جمهوريا بتشكيل لجنة عليا تحت اشرافه للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف •

وقد تضمن القرار ان يرأس الامـام الاكبر شـيخ الأزهر هـذه اللجنة التى تضم فى عضويتها كلا من السادة الدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس مجلس الوزراء ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الداخلية ، ونائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية والمالية ، ونائب رئيس الوزراء للتنمية الشعبية ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى ووزير التعمير والاسكان ، ووزير الدولة لشئون مجلس الشعب ، ووزير السياحة والطيران المدنى ، ووزير الدولة لشئون رئاسة الجمهوريةووزير الثقافة والاعلام ، ووزير الدولة للاوقاف ووزير الدولة للمالية ومحافظ القاهرة • ومدير جامعة الأزهر ، ووكيل الأزهر•

صرح بهذا فضيلة الاستاذ الدكتـور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر •

وأضاف أن هذه اللجنة ستختص بوضع خطة الاحتفال بمرور ألف عام على انشاء الجامع الأزهر من حيث نوعها وموعدها ومدتها وتحديد

دور كل جهة والتنسيق بينها وتقدير الاعتمادات اللازمة للاحتفال وتشكيل لجان فرعية من بين أعضاء اللجنة العليا ومن غيرهم لدراسة المسائل ذات الصلة بهذا الاحتفال .

وقال وكيل الأزهر : أن القرار تضمن انشاء أمانة عامة للجنة العليا من محافظ القاهرة ووكيل الأزهر .

والمعروف أن السيد الرئيس محمد أنور السادات سبق أن اشار لدى زيارته لجامعة الأزهر فى نهاية شهر مارس الماضى الى انه قد صار من الواجب اقامة هذا الاحتفال بما يتكافأ مع مكانة الأزهر الشريف فى العالم الاسلامى .

الشعوب الاسلامية تتطلع الى التعاون مع الأزهر

أعلن فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر عقب عودته الى القاهرة أن زيارته لكل من باكستان وأندونيسيا وماليزيا جددت علاقة الأزهر بالمراكز والمؤسسات الدينية فى هذه الدول الاسلامية الشقيقة .

وأضاف أنه يحمل رسائل ود وتقدير من الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق والرئيس الأندونيسى سوهارتو وملك ماليزا أكدوا فيها تقدير شعوبهم لدور مصر والأزهر فى نشر الدعوة الاسلامية ويتطلعون الى تعاون دائم ومستمر مع علماء الأزهر .

الرئيس الباكستانى يستقبل شيخ الأزهر

استقبل الرئيس الباكستانى ضياء الحق يوم الأربعاء الموافق ١٩٨١/٤/٢٢ الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ

الأزهر والوفد المرافق لفضيلته وحضر المقابلة جميـع الوزراء وكبـار المسئولين فى الدولة وأعضاء السلك الدبلوماسى فى السفارات الاسلامية فى اسلام أباد وأعضاء الجالية المصرية هناك .

شـيخ الأزهر يؤم صلاة الجمعة بجاكرتا

أم صلاة الجمعة بمسجد جاكرتا فضيلة الامام الأكبر الدكتـور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر ،وقد أدى الصلاة حوالى ١٠٠ مائة ألف من المصلين من بينهم وزير الشئون الدينية الاندونيسية وكبار رجال الدولة والعلماء ورجال السلك السياسى الاسلامى ، وقد ألقى شيخ الأزهر خطبة الجمعة حيث تحدث الى المصلين عن منزلة القرآن الكريم باعتباره دستور الاسلام ومنهاج المسلمين وضرورة السير على تعاليمـه وتطبيق مبادئه وأحكامه .

وطالب الامام الأكبر المسلمين بضرورة توحيد صـفوفهم وجمع كلمتهم على الحب والخير والسـلام وعلى المسـلمين أن ينتبهـوا الى الأخطار المحيطة بهم والأفكار الهدامة التى تحاول النفاذ الى صفوفهم وليس من سبيل لمواجهتها الا بوحدة الصف والتمسك بتعاليم الاسلام .

الرئيس الاندونيسى سـوهارتو يستقبل فضـيلة الامام الأكبـر شـيخ الأزهر

استقبل الرئيس الاندونيسى سـوهارتو فضـيلة الامـام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر أثنـاء زيارة فضـيلته لاندونيسيا فى جولة استغرقت أسبوعا بدعوة من الحكومة الاندونيسية .

الشافعى عبد الراضى

وشاذونا العادل ماذا يفعل
فى قضية الدفع بعدم دستورية الربا

استلمت كليــــة طب الأزهر أدوات طبيــة من مورد اتضـح أنها غير مطــابقة للمواصـــفات بلغ المــورد شـــفاهة لا كتــابة بعــدم مطابقتهــا للمواصــفات انتهز المورد عدم اخطاره كتــابة ورفع دعوى أمام القضاء الادارى حكم له القضاء بالثمن وفوائد تأخير تقدم محامى الجامعة السيد/زكريا عامر الى المورديطلب منه الموافقة على تعويض اتفاقى يزيد عن مبلغ فوائد التأخير بحوالى مائة وعشرين جنيها مع قبضه للثمن الأصلى حتى تتفادى الجامعة تنفيذ ربا محــرم شرعا رفض المورد فدفــع محامى الجــامعة بعــدم دســتورية الربا تأسيسا على الشريعة الاســلامية المصدر الرئيس للتشريع وأن مقابلة تأخير السداد بالثمن هو ربا نسيئة محــرم شرعا فالدائن كان يقــول للمدين « اتقضى أم تربى » فمقابلة الأصل بالثمن فيزيد أصــل الدين بسبب هذا الأجل هو ربا نســيئة كما هو تعريف الفقهاء الجزء الأول صفحة ٢٠١ اعلام الموقعين والجزء الرابــع صــفحة ٤٠ الموافقــات للشاطبى والجزء الثانى صفحة ٧١ الدر المنثور للســـيوطى والمغنى لابن قدامه الجزء الرابع صــفحة ١٢٣ يقرر أن الربا عــلى ضربيتى ربا الفضل وربا النسيئة وأجمع أهل العــلم على تحريمها وأنه مادامت الشريعة المصـــدر الرئيسى فهى المصدر الاساسى للتشريع ولايجوز تخطى أحكام الفقه الاسلامى الى أحكام أخرى خاصة وأننا فى دولة

العلم والايمان وأسباغ الصفة الاسلامية على الدولة يقتضى الخضوع لأحكام الاسلام وأن مجلس الشعب فى ١٩٨٠/٥/٢٧ وضع مشروع بقانون يحظر التعامل بفوائد التأخير نص فى مادته الاولى على أنه لا يجوز الاتفاق على تقاضى فائدة سواء كان ذلك فى مقابل تأخير الوفاء أم فى أى حالة أخرى ومجمع البحوث الاسلامية فى ٨ صفر سنة ١٩٧٩ قرر أن فوائد التأخير ربا محرم شرعا وفضيلة الشيخ جاد الحق على مفتى الديار المصرية رأى أنها ربا محرم شرعا ٠

والمادة ٤٥٥ من مشروع القانون المدنى الاسلامى تنص على أنه : يقع باطلا كل شرط بمنفعة يؤديها المقترض الى المقرض زيادة نحو مبلغ القرض ويبطل كل شرط آخر هذا فى الاسلام وفى كل الكتب السماوية ففى التوراه سفر التثنية لا تقرض أخاك بربا وفى الانجيل الذى بين أيدينا افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدها ويقول سكوبا من الآباء اليسوعيين ان من يقول أن الربا ليس معصية يعد ملحدا خارجا عن الدين وهكذا فالربا محرم فقها اسلاميا وفى الشرائع السالفة وغير انسانى وضد الدستور والمستشار محمد كمال محفوظ انتهى فى تقريره للمحكمة العليا بعدم دستورية المادة ٢٢٦ لأنها ربا نسيئة محرم شرعا ٠

والآن فان القضية بكاملها أمام القضاء المصرى العريق فماذا تكون كلمة العدل من هذا القضاء الذى عرف بعدالته ونزاهته وتأكيده للقيم الاسلامية الشريفة ؟

زكريا عامر
محامى جامعة الأزهر

فهـرس العـدد

الموضـــوع	صـفحة
● المؤتمر الصحفى	
لفضيلة الامام الأكبر شـيخ الجامع الأزهر	١٣٥٤
● حديث الشهر فى فلسفة الحضارة	
بقلم الدكتور عبد المعطى محمـد بيـومى	١٣٦٠
دراسات قرآنية	
● جمع القرآن الكريم والأحرف السبعة	
للدكتور محمد أحمـد يوسف القاسم	١٣٦٨
● تصوير المأساة فى القصص القرآنى	
بقلم الأسـتاذة/سنية قراعة	١٣٨٣
● النقد العربى القديم والمنهجية	
للدكتور/محمـد أبو موسى	١٣٩٢
● علم التصريف موضوعه وتطوره	
للدكتور/محمد ابراهيـم البنا	١٤١٢
فى التشريع الاسلامى	
● تحـويل القبـلة	
بقلم الدكتور/محمـد محمـد الشرقاوى	١٤٢٢
● وتحولت الرسالة عن بنى اسرائيل الى بنى اسماعيل	
الدكتور / السـيد رزق الطويل	١٤٣١
● وسـطية الاسـلام	
بقلم الدكتور / فؤاد خدرجى العقلى	١٤٣٦
أعـلام الاسـلام	
● الامام أبو داود	
للدكتور الحسـينى هاشم	١٤٤٤
● جمال الدين الأفغانى رائد عالمى	
للدكتور/عبـد الغنى الراجحى	١٤٥٣
● المنحى الاسلامى عند العقاد	
للدكتور محمـد رجب البيـومى	١٤٦٣
● منهج الحكيم الترمذى فى علم الكلام	
للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى	١٤٧٣
● من أعلام الأزهر الشيخ حسين المرصفى	
للدكتور ابراهيم عوضـين	١٤٨٥
● طرائف ومواقف	
اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤٩٧

الموضـــوع | صـفحة

من حضارة الاسلام

- **الفكر الاسلامى بين الاقتراب والاغتراب**
  للدكتور محمد كمال جعفر ١٥٠٢
- **الدعوة الى التضامن لنصرة الأقليات الاسلامية**
  للدكتور أحمد عمـر هاشم ١٥٠٧
- **التربية الصوفية**
  للأستاذ عبـد الحفيظ فرغلى القرنى ١٥١٣
- **العلاقات العامة فى الاسلام**
  للأستاذ شـــعبان شمس الخرادلى ١٥٢٢
- **الأزهر فى جزر بعيدة**
  للأستاذ اسماعيل الشـال ١٥٣٠
- **شخصية فى سطور**
  للأستاذ سعيد عبد الحى ١٥٣٧
- **قالت الصحف**
  للاســتاذ/عاطف زهران ١٥٣٩
- **الفتـــاوى**
  للأستاذ عبد الحميد شـــاهين ١٥٤٣
- **هكذا يكتب القراء**
  اعـداد عبد العزيز أحمد جبرة ١٥٤٦
- **أخبار العالم الاسلامى**
  اعداد أحمد عبد الرحيم الســايح ١٥٥٠
- **أخبـــار الأزهـــر**
  اعداد الشـــافعى عبد الراضى ١٥٥٤
- **قضاؤنا العادل ماذا يفعل**
  للأســتاذ زكريا عامر ١٥٥٧

طبعت بمطابع روز اليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

عزيزنا القارىء :

يمثل هذا العدد الجديد من مجلة « **الازهر** » بين يديك وقد أخذت شكلا جديدا تماما لم تأخذه طول مدة صدورها منذ أكثر من خمسين عاما .

فهى تصدر هذا العدد مستفيدة بكل ما أحرزه الاخراج الصحفى من فنون التشويق والتعبير المتقدمة .

كما يصدر معها ملحق مجلة كامله هى **رسالة الازهر** لتظل المجلة الأم مدرسة للفكر العلمى المحقق فى شتى نواحى الفكر الاسلامى لتعمل على اثراء هذا الفكر وتقدمه فى أناة فى غرة كل شهر عربى .

أما مجلة رسالة الازهر « **الملحق الاسبوعى** » فهو يصدر أسبوعيا كل يوم خميس ، لتلاحق التطورات السريعة فى عالم متغير ولتمد هذا العالم برأى الدين من الازهر فى مشكلات حياتنا المتجددة .

نحن واثقون فى الله وعلى يقين من أن مجلة **رسالة الازهر** ستكون مجلة كل الناس فى كل أسبوع وعلى طول الاسبوع ولا نزعم اننا بلغنا الكمال ، ولذلك نحن فى انتظار أفكار القراء واقتراحاتهم لاننا جميعا شركاء فى الدعوة الى الله والى الحياة الطيبة على منهاجه بكل وسائل العصر .

التحرير

صورة الغلاف

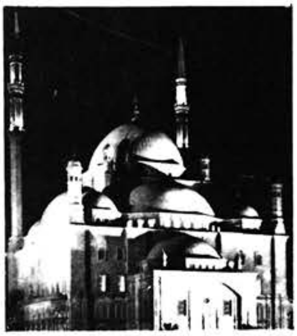

جامع القلعة
القاهرة

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر
عربى
رئيس التحرير:
د. عبد المعطى محمد بيومى
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦
الجزء التاسع السنة الثالثة والخمسون
رمضان سنة ١٤٠١هـ
يوليه سنة ١٩٨١م

القيم الدينية والحياة المعاصرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

وبعد :

أيها السادة : الاخوة والاخوات :

ان موضوع « القيم الدينية والحياة المعاصرة » موضوع شيق وخصب ، ترجع خصوبته الى تعدد أطرافه ، وتشعب نواحيه ٠

* فطرفاه الأساسيان هما : الدين بقيمه ومبادئه وآدابه ، والامثلة الرفيعة للسلوك الانسانى كما رسمها ، واقامة العدل والحق بين الناس كما أراد الله ، وأنزل به قرآنه وجاءت به سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كبيان واضح جلى لهذا القرآن ٠

هذا هو الطرف الاول من طرفى الموضوع ٠

أما الطرف الثانى : فهو شئون الحياة الحديثة أو المعاصرة كما يقولون ، وما يحيط بها أو يتعلق بنواحيها المختلفة ٠ من أوضاع عقدية أو تشريعية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو أخلاقية الى آخر ما يكون منه الاطار العام لحياة الانسان ومسيرته الى غايته ونهايته ، من تشعبات كثيرة ، وضروب متعددة ٠

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر

وأول ما يواجهنا ويواجه أى باحث فى الموضوع أو عارض له : هـــو تلك الحساسية الحادة فى المسائل الدينية ، عندما تحاول مقارنتها بحـــاجات البشر الضرورية ، وشئون حياتهم العملية وعلى الاخص اذا قاسها الناس بمقياسهم ، وتصورها بتصوراتهم المتأثرة بوجه أو بآخر من وجوه نزوعهم الشخصى ، بدلا من أن يرجعوا فى كل ما يعن لهم الى كتاب الله ، لينزلوه منزلة الحكم فى كل مـــا يعرض لهم من مشكلات ، أو يكونون بصدد من حلول لهذه المشكلات . وذلك من طريق دراسة جامعة ، تمس ذلك ، وهذه ليست حساسية مفتعلة أو مصــــطنعة بمقدار ما تفرضها ظروف الطرف الاول من وجوب هيبته واجلاله ، وفهم عميق لحكمه وأسراره .

فهو تعليم سماوى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

جاءنا عن المولى الحكيم الحميد عن طريق الوحى ، الى النبى المعصوم ليبلغه الى الناس كافة واذا كان من حق البشر ان يبدو رأيا ، أو يشكلوا لأنفسهم نهجا فى شئون حياتهم الخاصة أو الثقافية ، فليس من حقهم المطلـــق أن يبدعوا أو يستحدثوا حكما ، أو يخطوا منهجا معارضا أو مخالفا لما تقتضيه صفات الكمـــال له سبحانه وتعالى من احاطة لعلمه ، وسيطرة مطلقة لارادته ، وعمـــوم لقدرته ،

وتفرد بالخلق والابداع والعطاء والرزق والحرمان ، مما جـــاء صريح القرآن باسناده اليه وحده سبحانه دون أن يشارك فيه أحد ، أو يتأثر فيه بأى جهـــد من خلقـــه ٠

لذلك : اقتصرت مطالبته سبحانه لخلقه على النشاط والعمل لتهيئة الاسباب لوقوع المسببات التى أرادها وقدرها ، وسبق بها علمه الأزلى :

(الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ، والَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ) الشعراء ٧٨ ، ٧٩٠

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) الشورى ٢٧ ٠

ومن هذه المقارنة بين الدين والحياة المعاصرة وما تحتاجه من دقة فى النظر ، وصفاء فى الرؤية ، وشفافية ٠

يكون أى حكم يتصل بالمقدسات الدينية وبموضوعات الألوهية ، انما يـــكون حقيقة ايمانية ، تتصل بوجدان المسلم وتؤثر فى نفسه ايجابا أو سلبا ، فلا يليق أن تكون أحكامها متأثرة بمن تستهويه ، أو تكون لتحقيق فكرة دنيوية عابرة ٠

* وبنظرة فاحصة فى حياة مجتمعاتنا المعاصرة نجدها مليئـــة بالتيارات الفكرية المتصارعة ، والمذاهب الاجتماعية المتنوعة ، ونجد كذلك تكتلات سياسية ، ومحاور عدوانية أو دفاعية ، وعقائد دينية ، مما يختلط فيه الحق بالباطل ، والنافع بالضار ، والحسن بالقبيح ، وترفع الدعاوى والشعارات بين الاطراف المتنازعة ، ويستشرى الشر بين الناس وكل يدعى أنه على حق وغيره على الباطل ٠

ونحن معشر المسلمين ــ وسط هذا العالم بما ابتلى به من شرور وآثام ــ لا يمكن أن نقف بمعزل عن هذه التيارات ، وتلك الادعاءات ، فلابد من أن يكون لنا موقف حازم فعال ، نتقدم به الى الناس كافة ، بديننا وتراثنا ، وحضارتنـــا ، والا كنا كالبحيرة المقتطعة التى يأسن ماؤها ، ويجف من حولها معين الحيـــاة ، وعلينا أن نوضح حقائق الدين ، لا كما اشتهتها أهواء المارقين الملحدين ، ولا كما أرادها الماديون المترفون ، وانما كما أرادها الله سبحانه ، وأنزل بها كتابه ، سعيا بالاصلاح لما فسد من أمور ، ووصلا لما انقطع من وشائج ، واقامة للعـــدل بين

الناس جميعا دون تفرقة بين سيد ومسود ، أو غنى وفقير ، أو أسود وأبيض ، ودون ما يفرق الناس منتمييز عنصرى ، أو قبلى ، أو طائفى أو جغرافى ، وقد قرر هذا المعنى رسول اللهصلى الله عليه وسلم حين قال :

(ألا وان أقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون) ٠

ولكن على أى نحو يكون الفصل فى هذه المشكلات كلها ؟ : اقتصادية كانت ، أو اجتماعية ، أو سياسية ، أو أخلاقية ٠

هل يمكن أن يكون مجرد ما تجرى به الحياة المعاصرة من أمور أو شئون حجة فى الحق أو الباطل ؟

وهل يصلح ما جرى عليه الناس فى مجتمع أو آخر من أعراف ونظم أن يكون مقياس الصواب بحجة أنها مجتمعات متقدمة ؟

وهل كل ما يجرى فى مجتمعاتنا المعاصرة حق كله وصواب كله لمجرد « أنها مجتمعات قوية أخذت به ومارسته فى شئون حياتها ؟

لو قبلنا هذا لمجرد هذه الحجج التى تتردد على ألسنة دعاة التقدم ، وعبيد التقايد ، لكان تفريطا منا فى مقومات حياتنا الخاصة من : عقائد وديانات ، وحضارات وتقاليد وقيم ، ولأصبحنا متطفلين على موائد الغير ، مفرطين فى شخصيتنا المتميزة ، ولفقدنا قدرة التأثير الايجابى الفعال فى توجيه قيادة المجتمعات بما لنا من دين وعلم وحضارة ، وبمالنا من تاريخ حافل بكل طاقات المعرفة والتقدم وكل امكانات الازدهار ٠

* هذا نزوع فريق من الناس ، يغرمون بكل جديد لمجرد انه جديد ، ويستهجنون كل مألوف تليد لمجرد أنه قديم ، وهى نظرة اذا قيست بمقياس الخير والشر ، والحق والباطل ، والخطأ والصواب ، ستكون قطعا خاطئة ، لان أهواء الناس ونزواتهم ، وما ران على قلوبهم من مادية بغيضة ، وشهوانية مدمرة كان لها السيطرة على مشاعرهم ، والتسلط على احكامهم والتأثير القومى الفعال فى عواطفهم ٠

لهذا : عانى العالم وظل يعانى حتى اليوم من فقر روحى ، ومخمصة أخلاقية ، واهمال لممارسة القيم الروحية ، والمبادىء الانسانية الرفيعة ، تحت وطأة القوى الغاشمة ، الضاغطة على حريات الشعوب وارادتها ، والمستنزفة لمواردها ومقدراتها ، المقيدة لخطواتها من أى تقدم بناء ، أو عمل نافع مثمر ٠

وكان من الطبيعى أن يتولد عن هذا وذاك تلكم الموجات المتلاحقة من القلق النفسى والخوف من المصير المبهم ، فكثرت العصابات الارهابية ، التمزقات الشعوبية ، مما أفقد الناس أمنهم ، وأفسد عليهم حياتهم ، وجعل الشعار المعبر عن أوضاعهم وما يقاسونه ويخشونه من مصير مجهول ٠٠ (ويل للانسان من الانسان) ٠

* ومن المخجل والمخيف حقا : ان يغرى بعض الناس بشعار زائف براق باسم التقدمية أو القدرة على مجاراة العصر ، والاخذ بوجهات نظر المعاصرين ، فيحاول أن يسبق المعاصرين فى معاصرتهم الزائفة ، والتقدميين فى تقدمهم المزعوم فيعمل على تحريف الكلم عن مواضعه ويشايع بعض المذاهب المستوردة ، أو الفلسفات الفاسدة ، أو المادية البغيضة من تجردها من احترام القيم ، فيأخذ بأساليب من لا يؤمنون بتعاليم الاسلام ، ومن يحاولون النيل من قداسته والغض من نظمه وتضيق دائرة المؤمنين به ، بينما نجد جماعة المؤمنين دائبة السعى ليل نهار — على تطبيق تعاليمه واحترام مقدساته ٠

وأمر هذين الفريقين قد أوضحه المولى عز وجل — مصيرا وجزاء وموقفا حين قال : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » ٠

* ومن هذا : يتبين بجلاء ضرورة الدين للمجتمع ، لاضرورة تقليدية ، ولا ضرورة اعلامية فحسب ، ولا مظهرية بقدر ماهى ضرورة جوهرية من أجل الإنسان ، لتصحيح مازاغ من عقائدهم ، وآرائهم وصلاح ما فسد من شئونهم، وتقويم ما اعوج من أمورهم فى دنياهم وآخرتهم ٠

ولا يخفى على ذى فطنة ذلك الفرق الواضح الجلى بين المعارف الانسانية التى استحدثها العلماء ٠ والباحثون ، وبين المعارف الآلهية التى هى من عند الله سبحانه من الأحكام بقسميها : العقدى والفرعى ٠

حيث أن ماكان من صنع الله حق كله ، وصدق كله ، وصواب كله ، بخلاف ما كان من صنع الناس فانه على أحسن تقدير لا يخلو من القبول للخطأ والصواب والحق والباطل ، والحسن والقبيح ومن هذه الزاوية وفى معرض حل المشكلات ، التى قامت فى أذهان بعض أبنائنا من الشباب بين الدين والعلم ، أو الدين والحياة المعاصرة ، قام الخلاف المزعوم بين الدين والعلم ٠

فمفهوم العلم بمعنى « النظرية » غير مفهومه بمعنى « الحقيقة العلمية » .

وبإيضاح هذا الفرق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية ، نستطيع أن نضع أقدامنا على ما يمكن أن يكون عدة موثوقا بها ، وحجة قطعية فى حل المشـكلات المعاصرة التى يصادفها أبناؤنا الشباب فيما يواجههم من شئون الحياة المعاصرة .

فالعلم بمعنى النظرية : انما هو عمل انسان يبنى على افتـراض عرضى ، يصدق أو يكذب ويعتمد على الملاحظة والتجربة ، وشهادة الغير ، وهو بهذا المعنى قابل فى أحكامه للخطأ أو الصواب ، والتغيير والتبديل ، والصدق والكذب .

أما العلم بمعنى الحقيقة العلمية .

فهو عبارة عن القوانين التى أودعها الله فى كونه ، وسير بها نظامه .

وبالمعنى الأول : يمكن أن يختلف العلم مع الدين ، وهنا يتغلب جـانب الدين لانتفاء قبول أحكامه للخطأ أو التغيير أو عدم الصدق .

أما بالمعنى الثانى : فلا يتصور بحال من الاحوال أى خلاف بين الـدين والعلم ، لأن كلا منهما من صنع الله وحده ، ولا يعقل فى ميزان المنطق والعقـل أن يتنافى صنع الله فى شكل قوانينه مع صنع الله فى شكل أحكامه وتشريعاته .

ومن هذا وذاك : ينتفى الخلاف بين العلم والدين ، ويكون ذلك من تصورات خاطئة للعلماء ، أو فهم سقيم للباحثين .

* واستنتاجا من هذا الحكم فان مشاكلنا المعاصرة ، فى تصورات المحدثين انما يكون حلها ممكنا ومأمونا على ضوء قضايا الدين .

وغنى عن البيان أن اللجوء الى معالجة قضايا الدين بالقضـايا المعاصرة للمجتمع ، انما هو تنكر لقوانين السماء ، وقلب للأوضاع ، بينما معالجة قضـايا المجتمع بالقضايا الأساسية التى جاءت بها الاديان انما هو آمن طريق ، وأسلم عاقبـة .

ولذلك يقول المولى عز وجل : « إِنَّ هذا الْقُرْآن يَهْدِى لِلَّتى هى أَقْـوَم » ويقـول :

« وَنُنَزِّلُ من الْقُرْآن ما هُوَ شِفَاء وَرَحْمَة لِلْمؤْمنين » ويقول : « قُلْ هُوَ للَّذينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء » ويقول : « ذَلِكَ الْكِتَاب لا رَيْبَ فيه هُدًى للْمُتَّقِينَ ، الـذين يؤْمِنُون بالْغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصّلاة ومِمَّا رزقْنَاهمْ يُنْفِقُونَ ، والذِينَ يُؤْمِنُون بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِل مِنْ قبلك وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئك على هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وأُولَئِك هُمُ الْمفلِحـُونَ » .

والله يقول الحق وهو يهدى السـبيل .

حديث الشهر

صور قرآنية ..

قلنا فى مقالنا السابق عن فلسفة الحضارة أن كثيرا من فلاسفة أوربا أجمعوا رأيهم على حقيقة مؤكدة ، فحواها : أن الحضارات انما تنجح أو تفشل بمقدار قيامها على اساس أخلاقى ، وبمقدار صحة هذا الاساس الأخلاقى ، أو عدم صحته .

فكلما أعطت الحضارة عنايتها للناحية الأخلاقية ، وجعلتها موجها للنواحى المادية والعلمية ، استطاعت هذه الحضارة أن تقدم النموذج الانسانى فى حياة الفرد والجماعة ، كما استطاعت ان تثبت بقاءها حقبة طويلة من الدهر ، حتى اذا اصابها السعار المادى فى الفكر والعمل لاتلبث الا أن تنهار وتبيد ، ولا يبقى منها الا صور وآثار تحكى حكايات التاريخ ، وأساطير الأولين .

والغريب أن الماركسية مازالت تحاول فى هذه الحقيقة التى أصبحت محل اجماع الباحثين ، حتى أنها تقف منها موقف العارض بالنقيض حين تزعم أن العامل المادى لا العامل الاخلاقى ، هو أساس الحضارة وهو محرك التاريخ ، ومسير الأحداث .

ولولا أننى وقفت بالمناقشة والتحليل لهذا الزعم الماركسى فى كتابى « الماركسية فى مواجهة الدين (١) » . لكان لى أن نفند هذه الشبهة ، ونثبت بطلانها تماما ، ومخالفتها للتفكير العقلى الصحيح والمتزن .

وحسبنا هنا ماذكره « فردريك انجلز » نفسه ، شريك كارل ماركس ، حين قال فى رسالة بعث بها الى صديقه « بلوخ » فى ٢١ من سبتمبر سنة ١٨٩٠ م (١):

« انه على ماركس وعلىَّ أنا ، يقع بعض التبعة فى توكيد العوامل

---

(١) الفصل الثانى من الباب الاول ٤٠ ـ ٧٦ نشر دار الانصار . القاهرة .

بقلم : رئيس التحرير

فى فلسفة الحضارة

الاقتصادية ، واعطائها فوق ما تستحقه من التقدير .

وقد كنا أمام حملات خصومنا ، مضطرين الى توكيد المبدأ الأصيل فى دعوتنا ، لانكارهم اياه ، ولم يتسع لنا الوقت كل حين لابراز العوامل المتعددة (١) » .

فالعناد الشخصى وحملات الخصوم ـ لا المنهج العلمى الصحيح ـ هى التى دفعت ماركس وانجلز الى الاصرار على توكيد الزعم بأن العامل المادى هو الأساس فى بناء الحضارة والتاريخ .

ومثل هذا العناد الشخصى ، لا يولد الا الخلل فى التفكير والخطأ فى تقويم الأحداث وتخطيط المستقبل ، ولذلك اعترف « انجلز » فى النهاية بقوله :

« لقد أثبت التاريخ أننا كنا وكان الذين يفكرون مثلنا مخطئين(٢) » .

ونكتفى بهذا الاعتراف لنتجاوزه الى رصد التغلغل الأخلاقى فى نظام الاسلام ، وفى سائر تعاليمه فى بناء الحياة وتنظيم المجتمع .

فالقرآن ينعى على الأمم السابقة التى شادت حضاراتها على أسس مادية ظنا منها أن الأموال والقوة المادية يمكن أن تغنى عنهم أو تحميهم من عذاب الله أو تمنع عنه سننه فى تدميرهم بأسباب يسببها من عنده ولا يستطيعون دفعها بما أوتوا من قوة أو علم .

يقول سبحانه عن قوم فرعون « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِم

---

(١) رسائل انجلز التى نشرت فى اكتوبر سنة ١٨٩٥ انظر : عباس العقاد : الشيوعية والانسانية ص ١٠٤ نشر دار الكتاب العربى . بيروت .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة وانظر : يوسف كمال محمد مستقبل الحضارة بين العثمانية والشيوعية والاسلام ص ٥٥ ط ١ .

السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين » (١) .

وتحفل سورة الشعراء بصورة القيم والوفرة والقوة المادية التى أحرزها السابقون وانصرفوا بها عن الايمان بالله فما أغنت عنهم شيئا ولم تكن جهودهم فى تشييد القصور وتعمير الجبال وبناء المصانع واستخدام القوة والعلم فى تعبير القرآن الا عبثا .

فهود عليه الصلاة والسلام يخاطب قوم عاد « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُون . أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِين . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » (٢) .

ونبى الله صالح عليه الصلاة والسلام يخاطب قوم ثمود « أَتُتْرَكُون فى مَاهَهُنَا آمنين . فى جَنَّات وَعُيُون . وَزرُوع وَنَخْل طَلْعها هَضِيم . وَتَنْحتُون من الْجِبَال بُيُوتًا فَارِهين » .

كما يتحدث القرآن الكريم عن حضارة سبأ وما كان فيها من جنات وأشجار تحمل الثمار وقد نقل عن السلف ومنهم قتادة (٣) أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل يتساقط فيه من الاشجار ما يملؤه من الثمرات من غير أن يحتاج ذلك الى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه فلما أعرضوا عن الايمان بالله أجرى الله عليهم سنته فتهدم سد مأرب وانساب الماء فى أسفل الوادى وخرب الله ما بين يديه من الأبنية والحدائق فلما نضب الماء يبست الزروع وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار الأنيقة المثمرة النضرة تنبت بدلها اشجار الاراك والاثل وبعض اشجار السدر ذات الشوك الكثير والثمر القليل .

قال تعالى « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِم آيَةٌ . جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَة طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِم وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِم جَنَّتَين ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْط وَأَثْل وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيل . ذَلك جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ » (٤) .

وقصة قارون فى القرآن الكريم اشهر القصص فى هذا الباب باب الاعتبار وتوكيد العامل الاخلاقى الايمانى وأهميته فى بناء الانسان

(١) سورة الدخان الآيات من ٢٥ الى ٢٩ .
(٢) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ـ ١٣٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ص ٥٤١ جـ ٢١ ص ٢١ دار الفكر . بيروت .
(٤) سورة سبأ الآية ١٥ ــ ١٧ .

والحضـــــارة .

فقد كانت مفاتيح خزائن قارون ـ المفاتيح وحدها فضلا عن الخزائن نفسها ـ يعجز عن حملها العصبة أولو القوة من الرجـال ، وكـان من قـــوم موسى لكنه بغى عليهم وخرج عن حدود ايمانهم وأخلاقهم فأخذوا ينبهونه الى أن القوة المادية والثروة وحدها لا تفيد « **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِـرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَـــادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** » (١) .

ولكن غرور المادة الذى يصيب كل الماديين أصاب قارون فظن ان الثروة التى أصابها انما أصابها بعلمه وحذقه لا بفضل الله وتوفيقه « **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيته عَلى عِلْمٍ عِنْدِى** » .

يقول بعض المفسرين انه كان يعالج علم الكيمياء ولم يعلم ان الله سبحانه أهلك قبله من الأمم عبر القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا وأن الصـــورة القرآنية لتبلغ قمتها حين تبين اختلاف منازع الناس وافكارهم ازاء العوامل المادية وفتنتها الطاغية حين خرج قارون على قومه فى زينته .

فالماديون الذين تغلبهم العوامل المادية ويستحوذ عليهم بريق الحياة الدنيا قالوا عند مشهد قارون فى هذه الزينة « **يَالَيْت لَنَا مِثْلَ مَا أُوتى قَــارُونَ إِنَّه لَذُو حَظٍّ عَظِيم** » .

اما الذين اوتوا البصر والعلم بحقائق الاشياء الذين يدركون جوهـــــر الايمان أو العوامل الاخلاقية وراء المادة لا تغرهم ثروة قـــالوا للمـــادين « **وَيْلَكُم ثَوَاب اللَّه خَيْرٌ لِمَنْ آمنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهاَ إِلاَّ الصَّابِرُون** » .

وتنهى الصورة بوضوح الأساس الخلقى الذى تاه عنه قارون اذ يخسف به وبداره الارض ولا يغنى عنه علمه الذى اغتر به ولا ماله الذى جمعـــه وذلك حين يتحدث الماديون الذين تمنوا مكانه بالامس عن خلاصة الموقف يقول اللــه ســبحانه « **وَأَصْبَحَ الَّذِين تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بالأَمْس يَقُولُون : وَيْكَأَنَّ اللَّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِر . لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَــا . وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** » .

وشبيه بهذه الصورة ما قصه القرآن الكريم عن أصحاب الجنة الذين مات أبوهم الصالح وترك لهم جنة ورافة الظلال مثقلة بالثمر ولكنهم أقسموا ليقطعن

(١) سورة القصص الآية ٧٧ .

الثمر ولا يعطوا الفقراء ما تعود أبوهم أن يعطيهم كل عـام **« فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ »** . وبلغ من درجة أن غير الله معالمها من شدة الحريق أنهم ظنوا أنهم تاهوا عن الطريق حتى أدركوا أن الله عز وجل انما بعث عليها الحريق جزاء ما أزمعوا عليه من حرمان للفقـراء **« قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . قالوا يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ . عَسَى رَبُّنَا أن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ »** (١) .

وتتعدد هذه الصور القرآنية فيعرض لنا القرآن الكريم صورة أخـرى لرجلين أعطى الله أحدهما جنتين من أعناب محفوفتين بالنخيل وبينهما الزروع الكثيرة وقد فجر الله خلال الجنتين نهرا عذبا .

وكانت هذه النعمة داعية لصاحبها أن يشكر الله ويقيم حياته على أساس الايمان بالله لكن المـادية أغرته وظن أن الأسباب المادية وحدها تستقل بنفسها ولا يطرأ عليها التغير والفناء فراح صاحبه ينبهه الى أن العوامل المادية متغيرة وأنها تخضع لقوانين خارجة عن المادة لأنها مسخرة لله وتستطيع قدرة الله أن تسبب أسبابا منظورة كريح عاصفة أو جفاف لماء النهر فتصبح الخضرة الوارفة صعيدا زلقا ارضا صلبة يابسة حتى أصبح ذات يوم فاذا بالجنتين قد أحيط بهما وهلك الثمر وانهار كل شيء **« فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا »** (٢) .

وتتعدد هذه الصورة القرآنية لترتبط جميعا برباط أساسي يقوم على قاعدة اسلامية هي :

أن الايمان بالله طريق الى النماء والوفرة والكفـر به طـريق الى المحق والفقـر .

يقول سـبحانه وتعـالى **« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فلنحيينه حياة طيبة »** (٣) .

كمـا يقـول عز وجل **« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »** (٤) .

---

(١) سورة ن الآية ٢٨ — ٣٢ .
(٢) سورة الكهف الآية ٤٢
(٣) سورة النحل الآية ٩٧ .
(٤) سورة الطلاق الآية ٢ ، ٣ .

ويبلغ التغلغل الأخلاقى فى تعاليم الدين من أجل اقامة الحياة على أساس روحى وأخلاقى أن الله يجعل الايمان مؤثرا فى الأرض وقوة الاثبات يقول تعالى « وَالبلد الطيب يَخرُج نَبَاته بِإِذْنِ رَبِّه والذِى خَبُث لا يَخرج الا نكدا » (١) .

وفى شهر الصوم بالذات وقفة مركزة لتنبيه المسلم الى هـــذا المعنى حيث يعيش طول يوم فى صيام كامل عن الطعام والشراب والشهوات امتثالا للـــه وحده وكلما مسه ألم الجوع ذكر الله ووجل قلبه واستقام على المســيرة التى يريدها الله له حركة لحياته ومنهجا له .

فاذا جن الليل عاش مع ربه متقويا بما أفطر به حسبة لله مســـتغرقا فى القيــام لله .

وهكذا يقضى المسلم نهاره وليله مع فكرة الوجود الدائم والحمد لله رب العالمين .

كما يقول تعالى **« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١) .**

وربما لا يستطيع الماديون أن يفهموا الربط بين الايمان والوفرة المــادية التى يؤكدها القرآن الكريم لأن عقولهم تقصر عن ادراك ما وراء الأســباب المادية المنظورة فلا يستطيعون أن يفهموا تأثير سبب روحى كالايمان بقوة غيبية فى اعمار الأرض وبناء الحضارات وكثرة الانتاج وغير ذلك من ما يجــرى فى عالم المــادة .

ونقول لهم حتى اذا كانت عقولكم المادية تقتصر على الأسباب والمسببات المادية فلا تستطيعون أن تنكروا عامل الاقتناع الانسانى بمبادىء معينة تدفعه الى سلوك معين قد يؤثر على قوة الانتاج وكثرة العمل أو قلته وما الانتــاج فى النهاية الا عمل يدفعه فكر .

ومما لاشك فيه ولا جدال أن فكر الانسان هو المحرك لعمله ، وفكر المسلم يقوم على تعاليم الاسلام ، ويتحرك فى حياته على هدى منها . ولأن هذه التعاليم تجعل الأسس الروحية أساسا للمنطلقات المادية ولسائر أعمــال الانســان فى الحياة .

فالمسلم فى عبادة لربه منذ أن يصبح من نومه ويبدأ أعمــال يومه حتى يعود الى منامه مرة أخرى .

وفى المقالات القادمة سنتناول تعاليم الاسلام الأخلاقية فى سائر مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية لنرى كيف تقوم حركة المسلم فى الحيــاة على الأساس الأخلاقى الذى هوأساس الحضارة الحقيقية .

(١) سورة الاعراف الآية ٩٦ .

المنهج القرآني في

● علم التصريف ... موضوعه

●● النقد العربي القديم والمنهجية

رد على مقال الدكتور عبد القادر القط

دراسات قرآنية

بناء الإنسان وتطوره

المنهج القرآني

تقوم الحياة الانسانية فى كل مجالاتها وجوانبها على المقدمات والنتائج ، وليس البشر دور فى ذلك الا تحصيل المقدمات وانتظار النتائج ، أما ربط هذه المقدمات بنتائجها فأمر لا يملك الانسان تحقيقه وانما مرده الى الله عز وجل .

فالطالب يجتهد فى تحصيل دروسه ليحقق أغراضه من التعلم : نجاحا وتفوقا ، وتحقيقا لكمالات نفسه ، ونشرا للعلم والفضائل بين الناس ، والزارع يشتد فى تهيئة أرضه واصلاحها واعدادها ليجنى منها وافر المحصول وطيب الثمار ، وكذلك الصانع والتاجر ، وكل فى مهنته يجيد فى البدايات ثم يتوقع حسن العواقب التى تكون فى الغالب كما توقع .

ذلك قانون الحياة فى كل نواحيها ..

على أن الانسان غايته من وجوده ذاته ، فهو لم يخلق عبثا ، ولم يترك هملا ، ولم يوجد فى هذه الدنيا ليؤدى فيها دورا ينحصر فى حدود متطلبات جسده المادية ، وانما ليحقق بحياته كلها معنى العبودية الكاملة الخالصة لله سبحانه ، وهذا الهدف جاء واضحا محددا فى القرآن الكريم فى أكثر من آية :

١ — يقول الله تعالى : (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**) البقرة ٣٠ — ٣٣ .

٢ — ويقول سبحانه أيضا : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**) الذاريات : ٥٦ — ٥٨ .

ويتم تقييم الانسان فى نظر القرآن الكريم على أساس تحقيقه لما خلق من أجله ، فتأتى واحدة من سوره الكريمة لتحكم بخسران كل الجنس البشرى باستثناء من حقق هذا الهدف :

(**وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**) العصر ، وفى اطار هذه الحقائق يمكن النظر الى الحياة ذاتها — فى ضوء القانون السابق — على أنها جزء من هذا القانون ، فهى مقدمة كبيرة لنتيجة أكبر هى الدار الآخرة : (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) الزلزلة : ٧ ، ٨ ، والأمم فى سعيها الدائب نحو ما رسمته لنفسها من أهداف ، وما ترنوا اليه من غايات تبحث عن أصلح المناهج لتربية الانسان وبنائه البناء السليم ، لأنه بدوره هو الذى يبنى المجتمعات ، ولما كان لوجود الانسان غاية — هكذا أراد خالقه سبحانه وتعالى له أن يكون — وان أهدر بعض الناس الغاية من وجودهم ، أقول لما كانت هناك غاية ، فانه لتحقيق هذه الغاية يسير وسط حياة زاخرة بالاختبارات التى تمحص ايمان المؤمنين وتمحق كفر الكافرين ، ومن ثم تبرز أهمية المنهج الصحيح فى حياة البشر

فى بناء الإنسان

دراسة مقارنة لمناهج التربية

للدكتور محمد السيد جبريل

ليسيروا فى هداه نحو غايتهم المنشودة .

وقبل أن نستشرف معالم هذا المنهج القويم الذى يضع فى الاعتبار الغاية والوسيلة معا ، فيجعل غاية الانسان : ارضاء الله عز وجل ، والجنة . ووسيلته العمل الصالح ، والسلوك القويم والخير الذى يطبع حياته كلها ، قبل أن نأتى الى هذا المنهج سوف نلقى نظرة فاحصة على سكان المعمورة شرقا وغربا فى الوقت الحاضر لنرى ما اتخذوه لأنفسهم من المناهج ، ثم نعرضها على ميزان النقد وفق القانون الذى أسلفناه .

يتنازع العالم اليوم فى شرقه وغربه مذهبان : المذهب الشيوعى ، والمذهب الوجودى . فالشيوعية فى الشرق قامت على أساس الصراع الطبقى ، وحصرت الحياة فى المشكلات المادية ، وفسرت التاريخ الانسانى على أساسها وأبت أن تحل هذه المشكلات الا عن طريق الصراع الدموى ، واتخذت من انكار الدين أساسا بنت عليه أركان مذهبها .

وليس هذا الكلام من قبيل التقول على المذهب الشيوعى . بل ان أصحابه ومؤسسيه هم بأنفسهم قد أعلنوا عن ذلك من أول الأمر .

يقول لينين فى خطاب له ألقاه فى المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى فى أكتوبر سنة ١٩٢٠ أى بعد اندلاع الثورة الشيوعية فى روسيا بأعوام ثلاثة :

اننا لا نؤمن بالاله ، ونحن نعرف كل المعرفة ان أرباب الكنيسة والاقطاعيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالا ومحافظة على مصالحهم ، اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان ، والتى لا تتفق مع أفكار الطبقية ، ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والاقطاع ، ونعلن أن نظامنا لا يتبع الا ثمرة النضال البروليتارى ، فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقية هو الحفاظ على الجهود الطبقية البروليتارية) (١) .

وفى جريدة « أخبار اليوم » فى عددها ١٨٤٨ الصادر يوم السبت ١٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ عرض الكاتب نبيل أباظة تلخيصا لكتاب

(١) الاستاذ/وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى : ص ٢٧ ، ٢٨ .

بعنوان (قصتى مع الشيوعية) ألفه رجل عمل فى مكافحة الشيوعية أكثر من ربع قرن ــ كما نوه الكاتب الصحفى ــ هو اللواء متقاعد حسن المصيلحى ، رئيس قسم مكافحة الشيوعية بمصر سابقا .

فى هذا الكتاب يعرض الرجل لبعض الأفكار والمبادىء التى صيغت فى عبارات دونت فى المفكرات التى نتبادلها التنظيمات الشيوعية ، والتى تأتى بدورها من قيادتهم فى روسيا ، ومما ورد فى هذه المفكرات العبارات التالية :

(لقد صنعت الانسانية التطور ثم نسبته الى الآلهة ، وتملكها هذا الوهم فتوقفت عن الصعود وانتظرت من الآلهة أن تدفعها فكانت النتيجة الانحطاط) .

(لقد مات الله ، هكذا قال زرادشت ، فقد بلغت الانسانية من سمو الفكر والعقل مايتيح لها شئون نفسها ، اننا لسنا بحاجة الى وحى لا نراه) .

وعن الطريقة والوسيلة التى يمكن بها بث هذه الافكار نأتى عبارة تلخص فلسفة الشيوعية : (لكى تنجح فى الحياة : أما تنفجر بين الناس كقنبلة، أو تتسلل بينهم كالوباء ، أما الشرف فانه طعام الحمقى) .

لقد اجتزأنا من الشيوعية علاقتها بالدين ــ وهى علاقة الانداد التام كما بينا ــ لسببين :

الأول : أنها أعلنت موقفها منه من أول الأمر ، وبينت أنه عقبة فى طريقها ، وأخذت على عاتقها محاربته ما بقى لأتباعها عرق ينبض .

الثانى : أن هدف البحث بناء الانسان والمنهج الصحيح فى ذلك .

والآن لنضع المذهب الشيوعى من هذا المنطلق ــ فى الميزان .

فعن بناء الانسان غاية أنكرت الشيوعية الحياة الأخرى ، فأفقدت الحياة الدنيا هدفها ومبرر وجودها ، فأصبح الانسان فيها كائنا أحط من الحيوانات ، لا يتجاوز بصره حدود قدمه ، ولا يعرف له غاية غير اشباع غرائزه .

وعن بناء الانسان : وسيلة وسلوكا ، قامت الشيوعية على الأثرة والأنانية ، ونظرت الى الحياة على أنها صراع دائم لأخذ ما فى يد الغير بحجة القضاء على الطبقية ، فاذا عاش الانسان شقيا فى الدنيا فلأنه لم يقم بدوره فى هذا الصراع الدموى ويحصل أكثر ما يستطيع من الثروات ، وعندئذ لن ينفعه أمل خادع فى حياة أخرى .

وفى طريقها الى ذلك كله غرست الشيوعية فى نفوس أتباعها أشد الأمراض الاجتماعية فتكا ، وهو النفاق الذى يتخلق به الشيوعيون فى سبيل تحقيق مآربهم ، فهم فى المراحل الأولى يغشون دور العبادة ، ويعلنون أنه لا معارضة بين الدين وبين الشيوعية آملين من وراء ذلك خداع الناس عن حقيقة أمرهم .

ذلك نقد للشيوعية فى ذاتها وموضوعها ، فماذا عن الشيوعية فى نتيجتها ، وما حققت ، وقد مضى على ظهورها أكثر من ستين عاما .

انه بالرغم من مضى هذا الزمن الذى تخلله أكثر من تعديل للمسار ، وفى روسيا مهد الشيوعية ، سارت كل الأوضاع الى أسوأ ، فان الطبقية لم تنهر ، بل ظلت موجودة كما هى أو تزيد ، وكل ما حدث أنه بدلا من أن تتمثل الطبقة الرفيعة فى القياصرة وأتباعهم أصبحت تتمثل فى قادة الحزب ، وطبقا للنظرية الشيوعية ذاتها فان على الطبقة الأقل أن تمارس دورها فى الصراع الطبقى للقضاء على هؤلاء ليحل غيرهم محلهم فينهج نهجهم ، وهكذا تصبح الحياة سلسلة من الدماء متصلة الحلقات .

فاذا قيل : كيف ذلك ؟ أجاب الواقع بما يفعله زعماؤها بعضهم بالبعض ، أما عن جماهير الشعب ، فحكم الارهاب والخوف ، وقتل الدوافع الانسانية هو حياتهم التى يعيشونها .

ان الشيوعية لم تستطع أن تحقق لاتباعها الجنة الموعودة ، وذلك أمر واقع يدعمه كل يوم أولئك الهاربون من تلك الجنة الموعودة تحت ستار الظلام والتخفى الى غيرها من أقطار الأرض .

والخلاصة : أن المذهب الشيوعى مذهب يصادم قوانين العقل ، ويخالف كل الأسس التى قامت عليها الحياة ذاتها عندما يجعل هذه الحياة مقدمة بدون نتيجة ، وهو بذلك انما ينكر وجوده ذاته ويصادم حياته نفسها .

فاذا ما نظرنا نحو الغرب ، وجدنا الوجودية ــ قمة المادية ــ وهى الطبعة الجديدة من الدهرية ، وهى مذهب قوم ألغوا عقولهم ، وانحدروا بمنزلتهم الى مستوى الحيوانات ، فلم يسموا الى قيمة رفيعة من قيم الحياة ، أو معنى نبيل من معانيها .

وذلك أيضا ليس تقولا على ذلك المذهب ، ولكنه خلاصة فكره وأساس وجوده ، كما يعبر عنه رجل يعتبر التجسيد الحى لهذا المذهب فى حياته كلها وسيلة وغاية .. ذلك هو برتراندرسل ..

يقول هذا الوجودى معبرا عن المذهب كما يعتقد كل أتباعه :

(والانسان وليد عوامل ليست بذات أهداف ، ان بدأه ونشوءه ، وأمانيه ومخاوفه ، وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضى اتفاقى فى نظام الذرة ، والقبر ينهى حياة الانسان ، ولا تستطيع أية قوة احياؤه مرة أخرى ، ان هذه المجهولات الطويلة ، والتضحيات والأفكار الجميلة ، والبطولات والعبقرية سوف تدفن كلها تحت أنقاض الكون ، ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية ، فانها أقرب ما تكون الى الحقيقة حتى ان أية فلسفة تحاول انكارها سوف تلقى فناءها تلقائيا) (١) .

وذلك قول لا يحتاج الى تعليق فيما يعبر عنه . والانسان فيه يلتقى فى النهاية مع الانسان فى المذهب الشيوعى فى الغاية النهائية ، واذا كان هذا المذهب قد افترق عن سابقه فى أنه لم يعر مشكلات الطبقية انتباها ، فانه قد اتفق معه فى الغاء العقل عندما نظر الى الحياة على أنها مقدمة عارية عن النتائج .

على أن ما يدعو للأسف حقا ليس تلك الجهالة الضاربة الى أعماق ثلثى سكان الأرض من اتباع هذين المذهبين ، وانما المؤسف حقا هو اتهام هؤلاء جميعا للمسلمين بأنهم هم ودينهم يفتقرون الى المنهج والطريقة فى بناء الانسان الذى هو أرقى الكائنات وباقى المجتمعات .

فهل يفتقر المسلمون حقا بدينهم وقرآنهم وحضارتهم وتراثهم الى المنهج والطريقة ؟؟

هذا ما سوف نجيب عنه ان شاء الله تعالى فى الصفحات التالية :

يقول الحق تبارك وتعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُون ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون ، والذِينَ هُم للزَّكاةِ فَاعِلُون ، والَّذينَ هُم لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون ، ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين ، فَمَن ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُون ، والَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُون ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) المؤمنون : ١ ــ ١١ .

المنهج القرآنى :

تلك آيات عشر ترسم منهاجا كاملا للانسان ، وتقود خطاه الى الفلاح ، وهى توضح له طريقة التعامل مع خالقه أولا ، ثم مع البشر ثانيا فى كل مجال .

---

(١) الاستاذ/وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى : ص ٣٨ نقلا عن Limitations of Science P. 133.

المنهج القرآني في بناء الانسان

انه منهج يتوافق مع قانون الحياة اذ ينظر اليها فى بدايته على أنها مقدمة تؤدى الى نتيجة ، ويرسم للانسان غايته ، ويعين له الوسيلة ، ويصاحبه فيها مرشدا وهاديا ، فالغاية أو النتيجة فى المنهج القرآنى هى : الفلاح وقد بادرت الآيات الكريمة التى ترسم هذا المنهج – عناية منها بهذه الغاية – الى ذكرها اولا : **(قد أفلح المؤمنون)** أما الوسيلة فهى وصف الايمان ، وما يستتبعه من واجبات ومسئوليات وتبعات .

والآيات بذلك بادرت الى ذكر الغاية والهدف أمام الانسان ثم رسمت الطريق الى هذه الغايه وأوضحت كل دروبها ومسالكها بعد أن بينت الطابع الرئيسى لمن يسلكها ، وهو طابع الايمان .

وقبل أن نتناول جوانب هذا المنهج بالتفصيل : نذكر شيئا عن صفة متبعيه : المؤمنين .

ان الايمان ليس مجرد شىء معنوى يعيش فى زاوية من زوايا الوجدان بمعزل عن معترك الحياة ، بل هو على العكس من ذلك تماما انه يقود الحياة ويوجهها الوجهة الصحيحة .

والرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلمة يبين فى عبارة وجيزة مصاحبة الايمان للانسان فى حياته كلها عقيدة وسلوكا ، بدءا من أخطر شىء وهو أساس الاعتقاد . ومرورا بالسلوك العام للشخصية المؤمنة ، وانتهاء بأصغر الأمور وأدقها .

يقول صلى الله عليه وسلم : (الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها : قول لا اله الا الله ، وأدناها : اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان) رواه مسلم .

ويبين ابن قيم الجوزية رحمه الله أن عقيدة الايمان تملك على المؤمن كل أقطار نفسه ظاهرا وباطنا عملا وعقيدة فلا يتصرف الا وفقها ، فيقول : **(والايمان .. حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما ، والتصديق به عقدا ، والاقرار به نطقا ، والانقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة اليه بحسب الامكان ، وكما له فى الحب فى الله والبغض فى الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده الهه ومعبوده) الفوائد : ص ١٠٧ .**

على أنه من الجدير أيضا بعد هذه المقدمة اليسيرة عن الايمان – وقبل الدخول فى تفاصيل المنهج – أن نعرض ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم مما قاله لأصحابه فى شأن الآيات التى جاءت ترسم جوانبه ، حتى يتوفر لهذا المنهج ما ينبغى له من الاهتمام فى تلقيه :

روى الامام أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : (كان اذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمع عند وجهه كدوى النحل ، فأنزل عليه يوما ، فمكثنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة ، فرفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا ، ثم قال : لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ : (قد أفلح المؤمنون ، حتى ختم العشر) .

اذا اتضح ذلك أمكن الدخول فى تفاصيل المنهج ، وهو يتكون من عدة جوانب ، تشترك كلها فى ابراز الصورة المشرقة التى ينبغى أن يكون عليها الانسان الذى تتحدث عنه الآيات وهو الانسان المؤمن .

الجانب الأول : يتمثل فى علاقة الانسان بخالقه سبحانه ، والصورة التى ينبغى أن يكون الانسان عليها عند لقائه : **(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .**

ان لقاء الانسان اليومى بالله عز وجل الذى

يتمثل فى واحدة من العبادات التى شرعها الله سبحانه لتزكية النفس وتطهيرها ، وهى فى منهج حياة المسلم تحتل مكان الصدارة ، انها تعيد صياغته كل يوم لتصلح منه ما فسد ، وتقوم منه ما اعوج ، وتقيمه على طريق الاستقامة والطهارة ، وهى تحدث هذا الأثر الكريم من وجوه عدة .

فهى أولا : تفصل بين الايمان والكفر : (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) مسلم .

وهى ثانيا : تحصن الانسان ضد المعاصى : **(أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت : ٤٥ .

وهى ثالثا تغسل خطايا العبد المتوالية : (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) متفق عليه .

وهى رابعا : تعلم الطاعة والنظام والتماسك بأدائها فى جماعة : (ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لاتقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية) رواه أبو داود بإسناد حسن .

وهى خامسا : تجعل الانسان نشيطا وثابا الى الخير : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد : عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فأن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان) متفق عليه .

وهى بعد ذلك تتكفل ببناء الشخصية ، وتوفر لها عناصر العزة والقوة ، فمعظم ما يصيب الانسان من انحراف ونفاق ومداهنة ، انما هو نتيجة لخوفه من أن يلحقه أذى فى نفسه أو رزقه ، ولا يستسلم الانسان لهذا الخوف الا عند نسيانه الخالق واتجاهه الى المخلوق ، والصلاة الخاشعة تعالج ذلك كله .

فهى فى المفتتح تبدأ بالتكبير ، هذه العبارة التى يبدأ الانسان لقاءه بها مع ربه (اللـه أكبر) ترده الى محيط العبودية الكاملة لله عز وجل ، وتنتشله من هذا الضعف الطارىء ليوقن أنه ليس هناك من هو أكبر من الله ، مالك النفس والرزق هو اللـه ، والنافع والضار هو الله ، والمعز والمذل هـو الله : **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** آل عمران : ٢٦ .

هنا تعود للانسان قوة ايمانه ، فيتجه فى كل أعماله الى اللـه ، لا يخشى ولا يرجو سواه ، فيستقيم منه المعوج ، ويعتدل فيه المائل .

الجانب الثانى : يتعلق بالسلوك أو الطابع العام للشخصية المؤمنة ، ويتمثل فى قوله تعالى : **(والذين هم عن اللغو معرضون)** .

وقد عرف العلماء اللغو بأنه : مالا يعتد بـه من الأقوال والأفعال ، أى مالا يفيد .

فطابع الشخصية الانسانية التى أرادها القرآن ورسم ملامحها هو الجد فى كل الأمور ، وهذا الطابع لم يوجد من فراغ ، وهو ليس بمعزل عن المقومات الأخرى للشخصية المؤمنة ، بل يرتبط بها أشد ارتباط ، فهو فى واقع الأمر أثر من آثار الصلاة الخاشعة التى تتكرر فى اليوم خمس مرات .

وعلاقة الانسان الايجابية باللغو تتمثل فى درجات ، فهو قد يباشر هذا اللغو بنفسه ، أو يتسبب فيه ، أو يميل الى فعله وان لم يفعله ، أو يحضره ولو من غير ميل ، لذلك جاءت الآيات بتعبير يفيد الشرك الكامل من الشخصيه القرآنيه لهذا اللغو

بكل درجاته ، وهو الاعراض ، وليس مجرد الترك .

ولا يعرض عن اللغو الا أصحاب الهمم العالية الذين يعرفون للكلمة قدرها فلا يضعونها الا فى وضعها الصحيح ، وذلك ميزان من موازين الشخصية السوية القويمة التى تستطيع أن تشارك فى بناء الحياة بجد .

وذلك المبدأ — مبدأ الجد الذى لا هزل فيه — قد قررته آيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم .

١ — (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) ق : ١٨ .

٢ — (**رب كلمة من سخط الله يقولها المرء لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا**) **مسلم** .

٣ — (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**) **متفق عليه** .

٤ — (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) **متفق عليه** .

٥ — (**أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك**) **رواه الترمذى** .

٦ — (**كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه**) **مسلم** .

٧ — (**من يضمن لى مابين لحييه وفكيه أضمن له الجنة**) **متفق عليه** .

فاذا أضفنا الى ذلك كله سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه باعتباره القدوة والأسوة للمسلمين وجدنا التطبيق الكامل لهذا المنهج ، فقد كان صلى الله عليه وسلم فى نطقه : ذاكرا ، وفى صمته : متفكرا ، وفى نظره معتبرا ، وفى سروره : مبتسما .

وتلك لبنة أخرى فى صرح البناء الانسانى فى القرآن .

الجانب الثالث : يمثل أولى مراحل التطبيق العملى لهذا المنهج : (**والذين هم للزكاة فاعلون**) .

فشخصية المؤمن من خلال الجانبين الماضيين شخصية جادة سوية ، تصاغ على الايمان كل يوم ، كما أنها تتعامل مع الحياة من منطلقين :

الأول : أن كل ما فى الأرض ، بل وما فى الكون ملك لله عز وجل .

الثانى : أن المؤمنين اخوة .

من ثم سارع الى الاستجابة — لما علم أن مالك الملك جعل للفقراء نصيبا فى مال الأغنياء ، هو عبارة عن جزء من أربعين جزءا من هذا المال — فأخرج هذا الحق مطبقا ما تعلمه من قوة وشجاعة نفس ، وثقة فى الله عز وجل وفيما عنده — من خلال صلاته ، فجاهد فى نفسه حرصها على ما ملكت ، وعزوفها عن التفريط فيه ، وأخرج ذلك الحق لينشر فى الحياة الحب والتكافل ، وليعلن أمام الله تعالى براءته من أن ينسب الى نفسه شيئا من ملك هو لله القائل : (**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**) **الحديد : ٧** .

ولقد أخذ هذا الجانب التطبيقى من منهج البناء القرآنى للانسان ، المتمثل فى العطاء المؤدى الى التعاون والحب ، أخذ جانبا كبيرا من آية البر التى تعتبر من أجمع الآيات القرآنية فى رسم ملامح الشخصية المؤمنة :

يقول تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة : ١٧٧ .

فالآية تنقسم الى ثلاثة أقسام : الأول يتعلق بكمالات النفس فى جانب صحة الاعتقاد ، ويبدأ من قوله تعالى : من آمن بالله الى قوله : والنبيين والثانى يتعلق بكمالات النفس فى جانب معاشرة العباد ، ويبدأ من قوله تعالى : وآتى المال على حبه ذوى القربى الى قوله وفى الرقاب ، والثالث يتعلق بالكمالات الانسانية التى هى من تهذيب النفس ، وهى بقية الآية •

والذى يهمنا هنا هو الجانب الثانى : الذى يتعلق بكمالات النفس فى جانب معاشرة العباد ، وقد تبين أنه أساس من أسس المنهج القرآنى فى بناء الانسان•

وقد ذهب بعض المفسرين الى أن المقصود بالزكاة فى الآية تزكية النفس وتطهيرها من المعاصى ، واستأنسوا لذلك بقوله تعالى :(**قد أفلح من زكاها**) أى طهرها من الذنوب •

ولا أرى بعدا بين المعنيين ، بل هما يلتقيان فى أن اخراج الزكاة طهرة للنفس وللمال معا ، فهى تطهر النفس من الشح والبخل ، والله سبحانه يقول : **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) التوبة : ١٠٣ •

وتكتمل أبعاد هذا الجانب ببيان ما ينفق منه بعد بيان من يعطون فى هذا الانفاق •

انه الطيب المحبب الى نفس المنفق ، يقول الله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ**) البقرة : ٢٦٧ •

وفى ذلك اشارة الى أن المؤمن ينبغى له أن يتحرى الحلال فى تحصيل رزقه •

ويقول عز وجل : (**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**) آل عمران : ٩٢ •

الجانب الرابع : يمثل تعامل الانسان مع أعراض مجتمعه وحرماته : (**والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون**)•

وتمضى الآيات لترسم ملامح المنهج ، وفيها تتضح صورة الانسان الذى أراده القرآن شيئا فشيئا •

ان للأعراض فى مجتمعات الايمان قداسة ، والقرآن الكريم يرسم لها الحدود ، ويسهر على حراستها ، ويسد المنافذ أمام مجرد التفكير فى الاعتداء عليها ، ويربى الانسان على تقديس حرمتها وينهى عن مبادىء أى عمل قد يؤدى الى الاجتراء على اقتحام حصونها ، وقد وردت آياته الكريمة بذلك كله :

١ ــ (**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**) الاسراء : ٣٦ •

٢ ــ (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) النور : ٣٠ ، ٣١ •

وورد من الأحاديث أيضا :

١ ــ (**اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت**) **متفق عليه** •

٢ ــ (**لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم**) **متفق عليه** •

٣ ـ (اياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر) متفق عليه .

٤ ـ (كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) متفق عليه واللفظ لمسلم .

٥ ـ (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم الا وقف له يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى ، ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وقال : (ما ظنكم) ؟ رواه مسلم .

الجانب الخامس : يمثل الاطار العام لما سبق من الجوانب :(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)

فما سبق من جوانب هذا المنهج انما يدخل فى الأمانة التى حملها الانسان ، وهى أمانة التكاليف الشرعية : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) الأحزاب : ٧٢ .

وكذلك العهد الذى أخذ عليه : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) الأعراف : ١٧٢ .

وقد يفهم من لفظ الأمانات ، والعهد أن المراد معانيها الخاصة ، بمعنى أن الأمانات هى الأمانات المادية المقصودة بقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) النساء : ٥٨ .

وأن العهود هى ما قامت بين الناس فى شتى أمورهم : (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) الاسراء ٣٤ .

لكن المعانى الأولى أعم ، وهى تشمل المعانى الثانية .

ويلتئم المطلع مع الختام فى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) .

وفى ذلك اشارة الى أن علاقة الانسان بخالقه هى التى تحكم كل عمل من أعمال المؤمنين ، فالمؤمن مع الله تعالى فى البدء وفى الختام ، وكل ما توسط هذين الطرفين من الأعمال والصفات محكوم ومطبوع بهذا الطابع ، وفى الآية الأولى بيان الهيئة التى ينبغى أن تتم فيها الصلاة وهى الخشوع الكامل لله عز وجل ، وفى الآية الأخيرة أمر ضمنى بالمحافظة عليها لتستمر حياة الانسان فى ظل هذه العلاقة الكريمة .

وفى النهاية تأتى نتيجة هذا التطبيق العملى لمنهج القرآن فى قوله تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

انه تعبير بالميراث الذى هو أقوى أسباب الملك .

وهو تأكيد للنتيجة بعد تعديد جوانب المقدمة .

ذلك هو المنهج القرآنى فى بناء الانسان ، منهج يلائم البشر ، ولا يصادم رغباتهم ، بل ينظمها ، ويصلحها ، ويتوافق مع قانون المقدمات والنتائج ، ويسوق الانسان سوقا الى غايته التى خلق من أجلها ، والى العمل للدار الآخرة التى هى نتيجة لمقدمة تمتد من ميلاد الانسان حتى وفاته .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور محمد السيد جبريل
مدرس التفسير بكلية أصول الدين (القاهرة)
جامعة الازهر

علم التصريف موضوعه وتطوره

للدكتور محمد إبراهيم البنا

عرفنا فيما مضى أن مسائل التصريف اقتضت أن يمهد لها بأمرين :

الأول : تحديد أبنية العربية التى يقاس عليها ، والثانى : أصول التغيير أو مقاييسه • وكان سيبويه قد صنع ذلك ثم جاء المازنى وابن عصفور فأقاما كتابهما على هذا الأساس • أما المشتقات بمعناها الاصطلاحى ، وحديث المنسوب والمصغر ، والتثنية والجمع فقد خلا منها التصريف • ويبدو أن ابن جنى كان أول من فكر فى ادخال هذه المشتقات فى التصريف ، وذلك عندما حدد التصريف بقوله : « أن تأتى الى الحروف الاصول فتتصرف فيها بزيادة أو تحريف ، بضرب من ضروب التغيير (١) » • ثم مثل لذلك بصوغ الماضى والمضارع واسم الفاعل والمفعول والمصدر ، وقال : « فمعنى التصريف هو ما أريناك من التلعب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعانى المفادة منها وغير ذلك (٢) » • على أنه لم يتجاوز فى كتابه « التصريف الملوكى » ما تناوله المازنى فى تصريفه من الحديث عن الأبنية مجردة ومزيدة ، وما يعرض لها من تغيير ، ثم لا نجد فى كتابه حديثا عن التصغير والنسب ، ولا عن المشتقات ، ودلالة الأبنية : ذلك أن أبواب النسب والتصغير والمشتقات تمثل أوضاعا لغوية ، أو كما يقول ابن جنى : هى

(١) التصريف الملوكى ٢ •

(٢) المرجع نفسه ٢ ـ ٣ •

علم التصريف

أعقد فى اللغة من التصريف ، لا يتصرف الدارس فيها ، وانما هو يدرسها لأنها أصبحت تمثل ظاهرة فى اللغة . وقد وجدت من قبل ابن عصفور يحاول ادخال هذه المشتقات فى التصريف ، وكان يتأسى فى ذلك بمقالة ابى جنى ، ولكنه لم يستطع أن يتخلص من أسار القدماء ، كما قدمنا . ثم جاء ابن الحاجب فعرف التصريف بقوله : « علم بأصول تعرف به أحوال أبنية الحكم التى ليست باعراب(١) » . فقصر التصريف على أصول التغييرات وحدها ، وغاب من التصريف موضوع علم التصريف الأول . ثم تلمس الأسباب حين حاول دمج المشتقات فى علم التصريف ، لأن تعريفه انما يتناول أحوال الأبنية لا تقيم أصول لمعرفة هذه الأبنية . وكان غريبا قول الرضى : « ان العلم بالقانون الذى تعرف به هذه الأبنية تصريف بلا خلاف(٢) » . مع أنه ساق بعد ذلك تصور القدماء لهذا العلم على نحو ماقدمناه. لكن اشارة ابن جنى العابرة ، التى ساقها فى مقدمة كتابه هى التى أوحت الى المتأخرين أن يتسع نطاق التصريف ليشمل المشتقات جميعها ، ولذلك وجدنا ابن مالك يقول : « التصريف تحويل الكلمة من بنية الى غيرها لغرض لفظى أو معنوى.. ومن التصريف ضرورى كصوغ الأفعال من مصادرها ، وغير ضرورى كبناء مثال على مثال ، كقولنا : ضربب ، وهو مثال دحرج من ضرب (٣) » . ومن هنا أصبحنا ندرس فى التصريف ما كان القدماء يدعونه اشتقاقا ، وأصبحنا نعنى فيه بمعانى أبنية المشتق ، ومعانى أبنية المزيد من الأفعال ، وبدلالة المصغر والمنسوب، وأصبح التصريف خلوا من مضمونه ، فلم يعد المشتغل به يتصرف فيبنى مثالا على نظام مثال آخر، وانما هو يدرس أصول الاشتقاق ، ويرصد تغييرات الأبنية ، وان كنت تجد فى ثنايا بعض أبوابه بقايا من مسائل التصريف ، اقتضتها القسمة العقلية ، وذلك كما فى صور التقاء الهمزتين .

ويبدو أن ما تعرض له التصريف بمفهومه الأول من النقد كان وراء تطور مضمونه . ولقد حكى عبد القاهر انكار معاصريه لما يجدونه فى التصريف فقال : « فان بدأوا فذكروا مسائل التصريف التى يصنعها النحاة للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس فى النفوس ، كقولهم : كيف تبنى من كذا وكذا ؟ »

(١) شرح الشافية للرضى ١/١ ، ٦٥ .
(٢) المرجع نفسه ١/٤ ـ ٥ .
(٣) شرح الكافية الشافية ٨٣٣ .

وأجابهم بقوله : « أما هذا الجنس فلسنا نعييكم ان لم تنظروا فيه ، ولم تعنوا به ، وليس يهمنـــا أمره ، فقولوا فيه ما شـــئتم ، وضـــعوه حيث أردتم (١) » • وكان لابن مضاء من هـــذه المسائل موقفه المشهور حين دعا الى اسقاطها من النحو ، وذلك فى قوله : « ومما ينبغى أن يسقط من النحو: ابن من كذا على مثال كذا . كقولهم : ابن من البيع على مثال فعل ، فيقول قـــائل : بوع •(٢) » • يبدو أن ذلك كان الدافع الى تعديل مضمونه كما رأينا •

ومن كل ما تقدم يتبين أن علم التصريف بمفهومه الأخير أصبح يضم الأبنية القياسية من المشتقات ، الى جانب أقيسة التغيير ، وأنه لم يدخل فى مفهومه لا عند الأوائل ، ولا عند المتأخرين ، ما يريده له بعض المحدثين من أن موضوعه تلك الوحدات ذات الدلالة النحوية ، فذلك شيء كان بعيدا كل البعـــد عن تصور نحاتنا •

(١) الدلائل ٢١ ــ ٢٢ •
(٢) الرد على النحاة ١٣٥ •

المراجع

١ ــ التصريف الملوكى لابن جنى ، تصـــحيح محمد سعيد النعسان الحلبى ١٣٣ جنيها ــ ١٩١٣ م مطبعة التمدن بمصر •
٢ ــ الخصائص لابن جنى ، تحقيق محمـــد عـــلى النجار ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م دار الكتب بمصر •
٣ ــ دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، ط المنار •
٤ ــ الرد على النحاة لابن مضاء ، تحقيق د• محمد ابراهيم البنا ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م ــ دار الاعتصـــام بالقاهرة •
٥ ــ شرح الشافية للرضى : تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ط حجازه بالقاهرة ١٣٥٦ هـ •
٦ ــ شرح الكافية الشـــافية لابن مالك ــ رســالة دكتوراه فى كلية اللغة العربية ، تحقيـــق د• أحمـــد الرصـــد •
٧ ــ الصاحبى لابن فارس ، تحقيـــق مصـــطفى الشويمى ، ط بيروت •
٨ ــ الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد الســـلام محمد هارون ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٦ م دار القلم بالقاهرة •
٩ ــ مجالس العلماء للزجاجى ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ١٩٦٢ م الكويت •
١٠ ــ الممتع لابن عصفور ، تحقيق د • فخر الدين قبازة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ هـ المطبعة العربية بحلب •
١١ ــ المنصـــف لابن جنى ، شرح تصريف المازنى ، تحقيق ابراهيم مصـــطفى وعبد الله أمين ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م الحلبى •

د• محمد ابراهيم البنا

الاستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية
جامعة الازهر

النقد

رد على مقال: الدكتور عبد القادر القط

كتب الأستاذ الدكتور عبد القادر القط بحثا دقيقا موضوعه « حركات التجديد فى الشعر العباسى » ونشر هذا البحث ضمن مجموعة دراسات دبجها أدباء ومفكرون يدينون لآثار طه حسين الروحية بالفضل كل الفضل ورفعوها هدية اليه فى كتاب عنوانه الى طه حسين بمناسبة عيد ميلاده السبعين ، عرفانا بالجميل ، وتقديرا لعقله الفذ ، وعلمه النبيل ، على حد ما قال الدكتور عبد الرحمن بدوى فى تقديم الكتاب (١) ، وهذا البحث يتصل اتصالا جوهريا بقضية « النقد العربى القديم والمنهجية » ولهذا رأينا أن نقف عند بعض قضاياه ، لأنها تمثل أساسا مهما فى صياغة مفاهيم شائعة عن الشعر ونقده

ومن أهم ما أخذه الدكتور عبد القادر على النقاد القدماء أنهم لم يحاولوا تفسير مذهب المحدثين ومناقشته مناقشة موضوعية شاملة تبدأ من ادراك أن لكل عصر روحه ومقتضياته(٢)

وقد حاول هو فى بحث حركات التجديد أن يفسر علل هذا المذهب المحدث وأسباب نشوءه فى ضوء الادراك الشامل لروح العصر العباسى ومقتضياته ، وهذه هى اللمحة التى وصلتنا بمقاله القديم الذى نشر سنة ١٩٦٢ .

وقد بدأ الاستاذ بمناقشة محاولة الدكتور طه حسين التى فسرت عناية أبى تمام بالبديع وبناء كلامه على فنون البلاغة فى ضوء التطور الطبيعى لمذهب زهير بن أبى سلمى ، وعولت فى تفرد أبى تمام على ما قيل من أنه يونانى الأصل على حد ما ذكر العقاد فى ابن الرومى .

وقد استدرك الدكتور عبد القادر على هذه المحاولة استدراكا حسنا ، واستخرج منها أنها لا تكشف علل هذا المذهب المحدث . وانما تحيل المشكلة من أبى تمام الى زهير . ومن العصر العباسى الى العصر الجاهلى ، ويبقى السؤال عند علة نشوء هذا المذهب عند زهير من غير اجابة شافية ، كما أن رجوع تفرد أبى تمام الى ما قيل من أنه يونانى يبطله أن أباه (ثدوس) كان رجلا مهملا فى خمارة فى دمشق ، ولم يكن من حملة فلسفة اليونان ، تلك الفلسفة التى حينما نذكرها فى العصر العباسى نغفل ما طرأ على حياة اليونانيين من تحول كبير بعد ذهاب دولتهم ، وذهاب فلسفتهم ، والمهم لم يكن هؤلاء اليونانيون المهملون فى الأقطار الاسلامية من حملة فلسفة سقراط ولا من رواة شعر هوميروس ، كما أن الالحاح على اعتماد السلالة والجنس فى تفسير خصائص الشعر انتهى الى تناقض يتلاطم تلاطما بينا وذلك حين رجع العقاد بخصائص شعر ابن الرومى الى روميته ، ورجع طه حسين بخصائص شعر أبى تمام الى يونانيته ، ومذهباهما فى الفن متقابلان(٣)

وهذه من تحقيقات الدكتور عبد القادر التى ينفذ الى مثلها كثيرا بفطنته واتئاده : ثم سلك طريقا ارتضاه فى تفسير شعر أبى تمام ، احتشد له ، وأطال فيه انتهى فى رأينا الى وجه هو أشد بعدا من الوجوه رفضها .

وسنحاول ايجاز أصل رأيه فى هذه القضية .

مراجع البحث (١) مقدمة كتاب الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين ص ٨

(٢) مجلة الفصول العدد الثالث ص ١٥

٣ ـ ينظر كتاب الى طه حسين ص ٤٢٩ وما بعدها بتصرف

العربى القديم والمنهجية

أشار الأستاذ الى أن المحيط الذى سوف يفتش فيه عن علل هذه الخصائص التى شاعت فى شعر أبى تمام ووجدت فى غيره هو البحث فى طى التطورات الحضارية ، وتلافيف المجتمع ، وأحوال طبقاته ، وحظوظها من السعة والضيق ، ومنازلها فى الشرف والرياسة . وما يقتضيه وجود كل طبقة من هذه الطبقات وما يتصارع فى نفوس أهلها من نزوعات وأحوال ورغائب ، أو هو تحليل بنية المجتمع المادية والحضارية والفكرية ، واستخراج بذور التطور من هذه التربة ، وكيف نبتت وأزهرت ، يقول فى بيان ذلك « كان لابد لكى نفهم نشأة مذهب أبى تمام أن ننصرف عن التماس اسبابه فى تأثير مدرسة زهير الحسية أو عوامل الوراثة الاجنبية اليونانية الى دراسة ظروف الشعر العربى ، وتطور وظيفة الشاعر ووضعه فى المجتمع فى العصر العباسى » (١).

ثم رجع الى نشأة المديح منذ الجاهلية وشرح ظروف هذه النشأة فى ضوء التركيب الطبقى للمجتمع الجاهلى ، وأنه كان ضرورة لطبقة أصحاب الثروة والوجاهة والتجارات التى كانت تذرع الجزيرة من كل جهاتها هو اذن لخدمة مصالح هذه الطبقة وكان أيضا متناغما مع الشعور القومى المتزايد والمتجه نحو توحد العرب وتأصيل روابط ومقومات هذا التوحد فى الفكر واللغة والادب ، ثم ان شعر المديح الذى نشأ لهذه العلل نما وترعرع واستبد بالشعر وخنقه وانتزع منه روح الحياة (٢).

ثم ان هذه الاوضاع تطورت فى العصر العباسى وانتهت الى « الحكم المطلق والنظام الاقطاعى بكل فساده ومظالمه فأصاب أخلاق الناس بكثير من الضعف ونشر بينهم الملق والرباء والضعة » (٣).

أما الشعراء فقد انتهى بهم الحال فى ظل هذه الاوضاع الى « ضرب من الاحتراف باعد بينهم وبين الحياة وجعل شعرهم فى كثير من الاحيان تعبيرا عن موضوعات لا تمت الى نفس الشاعر بصلة كبيرة » (٤).

وهم منصرفون الى الثناء المسرف والمبالغات المقوتة والتنافس فى وصف طبقة الاقطاعيين بالكرم والشجاعة والجمال أحيانا يريدون أن يظفروا بشىء مما فى أيديهم يسد فاقتهم وقد يظفرون بمكانة تلائم طموحهم ، وقد أنفقوا من معانى الشجاعة والكرم والجاه والجمال باسراف شديد حتى نفدت ، وهم

(١) ـ المرجع السابق ص ٤٣٣

(٢) ـ ينظر المرجع السابق ص ٤٣٤
(٣) ـ المصدر نفسه ص ٤٣٨
(٤) ـ المصدر نفسه ص ٤٣٣

ناظرون دائما الى الشعر الجاهلى ينتقون ذخائره من الالفاظ والصياغة والتصوير ويعيدون تشكيلها بعد ما يفرغون فيها مبالغاتهم ، وهذه أيضا نفدت ، وحينئذ كان التجديد ضرورة « ولم يكن من سبيل الى هذا التجديد الا أن يلجأ الشاعر الى التلفيق الذهنى فيغير فى المعنى القديم تغييرا بشىء من الاضافة أو التعديل أو المبالغة أو التعقيد ليخلع عليه الغموض ثوب الاصالة أو الجدة » (١) .

هذا هو مبلغ التجديد الذى كان عند شعراء هذا العصر ، ويلاحظ أن المراد بالتعديل هو ما حدث فى صور التشبيه والمجاز من ايغال ، وبذلك يتم تفسير نشأة السمات الفنية الثلاثة التى يتصف بها الشعر العباسى ويتميز بها عند الاستاذ الفاضل ، أعنى الايغال فى الصور المجازية والمبالغة والتعقيد هكذا هى فى بحث حركات التجديد أما فى بحث النقد العربى القديم والمنهجية فالاسراف فى استخدام البديع يأتى بدل المبالغة (٢) . والخلاصة أنها كلها تلفيق ذهنى .

وهذا المحيط العفن من رذائل النفاق والزيف والملق الذى انغمست فيه أرواح الشعراء أفسد عليهم ملكة البيان وبث الصلة بين ألسنتهم وقلوبهم فاذا رأوا جمال الطبيعة عجزوا عن الاحساس به أو تصويره ، فاذا جازفوا وصوروه صوروه زيفا كزيف المديح .

يقول الاستاذ « ومع أن وصف الطبيعة موضوع بعيد عن جو المديح وما يفرضه من معان تقليد ومبالغة وصفة وكان يمكن أن يجد فيه الشعراء مجالا خصبا تنطلق فيه مواهبهم دون زيف فان طول تنكرهم لانفسهم وتجاهلهم لتجاربهم وانغماسهم فى تلك الأجواء البعيدة عن الصدق والاصالة قد صرفتهم من ناحية عن الالتفات الى مظاهر الطبيعة التفاتا يتناسب مع خصب ذلك الموضوع وساقتهم من ناحية أخرى فى معظم القصائد التى وصفوا فيها الطبيعة الى ما ألفوه من صنعة وزيف فى شعر المديح » (٣) .

ثم استشهد لزيف احساسهم بالطبيعة ببيت ابن المعتز « انظر اليه كزورق من فضة » وأبيات ابن الرومى التى جاءت فى هذه القصة المعروفة ، وعلق بما يعلق به أهل الادب على هذه المسألة من فقدان الاهتمام بالناحية النفسية ونقل انفعال الشاعر الى آخره .

والدكتور عبد القادر تتأصل عنده نزعة علمية أصيلة تراها دائما فى احتياط عبارته حيث يستخدم كلمة معظم أو غالبا ما يكون أو يشير الى أنه مع كل هذا فاننا لا نعدم أن نرى .. الى آخر ذلك الذى يعرفه قراؤه ويحمدونه له .

والمهم أنه هكذا درس نشأة هذا المذهب « منطلقا من مناقشة موضوعية شاملة تبدأ من ادراك أن لكل عصر روحه ومقتضياته » (٤) .

واهتدى الى الذى لم يفطن اليه النقاد القدامى الذين « نشأت معظم قضاياهم النقدية من كل هذه الاوضاع الشاذة (٥) السابق تحليلها » .

هذه الاوضاع الشاذة من اقطاع وحكم مطلق وفساد الاخلاق وشيوع الملق والنفاق والزيف صير الشعراء على حال يتجاهلون معها تجاربهم ، ويلغون شخصياتهم ويسيرون فى الحياة بلا موقف ، ولا نظرة خاصة ، ويحاولون التجديد فى معان

---

١ ـ المصدر نفسه ص ٤٤١
٢ ـ الفصول ص ١٤
٣ ـ الى طه حسين ص ٤٤٤
٤ ـ الفصول ص ١٥
٥ ـ الى طه حسين ص ٤٤٥

محدودة ضيقة يفرضونها على وجدانهم فرضـا ، فينتهون من ذلك الى صـور ذهنية مفتعلة لا تجافى الحقيقـة فحسب بل تتنكب صـحة الذوق أيضـا » (١) .

من هذه الاوضاع الشاذة نشأت معظم قضـايا النقد فكانت أيضا شـاذة وزائفة كقولهم أعذب الشعر أكذبه وهم لا يريدون الايغال فى الخيـال أو التصـوير وانما أرادوا المبالغات المسرفة التى كانوا يتنافسون فى وصف الاقطاعيين بها ، بل ان الشعراء أنفسهم كانوا يعترفون أحيانا فى شـعرهم اعترافا صريحا بالكذب (٢) .

**

من تكلم فى مسـألة النظام الاقطاعى ، ومصلحة الطبقة ، والحكم المطلق لان محابر الستينيات كـان قد ذوب فيها كثير من هذه الكلمات ، وسودت بها قراطيس كثيرة ، ونأمل أن تكون قد أفرغت هـذه المحابر الآن وجدها والناس على دين ملوكهم والله خير حافظا .

وكثير من أحرار الفكر يتناولون تاريخ المسلمين تناولا يصور قياداته ورجالاته فى صور المستبدين الفاسـدين المفسـدين وأيضـا فى صـور الجهلة المخدوعين بالزيف والملق والنفاق .

واذا رجعنا الى تاريخ هؤلاء الرجال وجدنا غير ذلك فأبو جعفر المنصور رأس الدولة العباسية كان من أصـحاب الامام مالك رضى الله عنه ، وكان يشاركه الرأى فى الفقه والحديث ولما طلب من مالك أن يضع كتاب الموطأ شرح له منهج تصنيف الكتاب وقال له اجتنب فيه شواذ ابن مسعود ، وشـدائد ابن عمر ، ورخص ابن عباس ، واقصد أوسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والائمة ، واجعل هذا العلم علمـا واحـدا » (٣) .

وهذا الكتاب الذى وضعه الامام مالك بطلب أبى جعفر قال عنه الشـافعى ما علا ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله أصـح من كتاب مالك كما أخرجه ابن فهير (٤) .

وكان عمرو بن عبيد يحب أبا جعفر وينظر اليه وهو يطوف حول البيت قبل ولايته ويقول لو أراد الله بأمة محمد خيرا لولى أمرها هـذا الرجل من قريش .

وقد جمع المفضل بن محمد بن يعلى المفضليات بأمره ليحفظها ولده المهدى الذى كان المفضل واحدا من شـيوخه ، والمفضـليات من عيون الادب ولا يقرؤها فى زماننا هذا كثير من شيوخ الادب ، بل وكثير ممن يصفون أمثال هؤلاء الرجال بالحماقة والجهل والانتشاء عند سماع زيف المديح وكاذبه .

وكان حرص الخلفاء على الشـعر والقيام على صـحته يدعوهم الى التدخل فى الرواية فيبطلون رواية بعض الـرواة ويعلنـون فى النـاس ذلك ، ويحضونهم على رواية الثقاة . والهادى بن المنصور لما صرف الناس عن رواية حماد أعطاه فى هذا اليوم عشرين الف درهم لجودة شعره مغمضا عن الطعن فى روايته .

والرشيد يدفع خاتمه وكان ثمنه الفا وسـتمائة دينار لمن يروى له أفضـل بيت فى وصف الذئب ، وكان المفضـل هو ذلك الراوى الذى ذكر له قول الشاعر :

ينـام باحـدى مقلتيـه ويتقى
بأخرى المنـايا فهـو يقظـان نائم

---

١ ـ الى طه حسين ص ٤٤٧
٢ ـ الى طه حسين ص ٤٤٢ بتصرف

٣ ـ موطا مالك ص ١٢ ، ١٣ تقديم الشـيخ عبد الوهاب عبد اللطيف
٤ ـ نفس المصدر ص ١٣

وتدفع أم جعفر زوج الرشيد للمفضل الالف والستمائة ، وترد الخاتم للرشيد وتقول له كنت اراك تعجب به فيدفع الرشيد الخاتم والالف والستمائة دينار للصبى ويقول ما كنا نهدى شيئا ونرجع فيه ، وهذا كله تقدير للادب وأهله . ولم يكن المفضل الصبى شاعرا مسرفا فى وصف الرشيد بالكرم والجاه والجمال وانما هو لغوى وراويته .

وكا هؤلاء القواد والخلفاء والامراء الذين ينبذون بالظلم والاقطاع والفساد والافساد يضمنون أرزاق العلماء ، ويقطعون لهم دورا وضياعا من أجل تصنيف كتاب أو تحرير مسألة ، أو فتح باب من أبواب النظر فى جانب من جوانب اللغة ، وكانوا يشاركون أهل العلم النظر والتدبير حتى أنهم يتبادلون الرأى مع العلماء فى المادة العلمية ، ومظانها ، وطريقة تصنيفها على حد ما كان من أبى جعفر مع الامام مالك رضوان الله عليه ، وما كان من أبى الفضل الميطالى مع علم من أعلام العربية هو أبو منصور الثعالبى فى التوجيه الى مادة علمية خاصة ، ووضعها فى نسق خاص ، وذلك ما نجده فى فقه اللغة وسر العربية وهو من الكتب الجيدة التى لم يكثر التصنيف على مثلها ، ثم هو كتاب يكشف جانبا من أدق جوانب العربية حين يحدد الفروق الدقيقة بين المعانى المعجمية التى نراها فى ألفاظ تتشابه جدا وتتباين تباينا دقيقا ، وهذا ما تأسس عليه الوضع فى العربية افرادا وتركيبا فهناك فروق بين درجات صوت الناقة مثلا ولكل درجة من هذه الدرجات تسمية خاصة ، يخلط من لم يلحظها فى بيانه ، نقول مثلا : أرزمت الناقة اذا أخرجت صوتا من حلقها ولم تفتح فاها ، ونقول : حنت اذا كان صوتها أشد من الارزام قليلا ، ونقول : بغمت اذا قطعت صوتها ولم تمده ، ونقول : رغت اذا ضجت ، ونقول : سجرت اذا امتد صوتها المتحنن على ولدها ، وهكذا .

والذى لفت الى التصنيف فى هذا الفرع هو أبو الفضل الميكالى ، ولم يلتفت أبو الفضل الى هذا الا من كثرة مجالسة أهل العلم وسماعه أسرار العربية وخصائصها ، وكان مثل ذلك كما يقول الثعالبى يجرى لمعانى تضاعيف المصنفات فتنبه الأمير أبو الفضل الى وجوب جمعه وتصنيفه وتجويده ، وطلب ذلك من الثعالبى وحدد له معالم الطريق وأمده بما شاء من مصنفات فعكف أبو منصور على ذلك حتى أخرج كتابه ، وسجل ذلك فى مقدمته وساق قدرا هائلا من المدائح الشعرية والنثرية لأبى الفضل وذكر أنه لو أعارته خطباء اياد ألسنتهم وكتاب العراق أقلامهم حتى يقول ويسطر فضائل أبى الفضل ما استطاع ذلك (١) .

وأكثر تراث الأمة كتب نحت أعين الخلفاء والأمراء والقواد من يوم أن شرع سيدنا على لابى الاسود باب القول فى النحو ، وقد سجل العلماء ذلك فى مقدمات كتبهم ، ومدحوا هؤلاء نثرا ، فهؤلاء العلماء اذن منافقون مزيفون ، انفسدت طبائعهم وانتزعت ألسنتهم من أفئدتهم وانغرست أصولها فى عفن الزيف والنفاق والملق ، وهذا التراث الذى بين أيدينا انما نشأ لخدمة هذه الطبقة ونظام الاقطاع الفاسد المفسد ، وهو ثمرة هذه الاوضاع الشاذة فهو زيف كله .

---

١ ـ مقدمة فقه اللغة وسر العربية للثعالبى

وبذلك تبقى هـــذه الأمة من بين أمم العالمين بلا شعر ولا نثر ولا فكر ويبقى رجال تاريخهـا فى السـياسة اقطاعيين ظلمة ، وفى الادب والفكر مزيفين كذبة .

وهذه النهاية الشاذة الساقطة ليست تزيدا منـا وانما هى صريح المقدمات التى ذكرها الاسـتاذ ، والتى يذكرها أحرار الفكر .

**

لم يسقط الناس فى زماننا بابا من أبواب الادب كما أسقطوا شعر المديح ولم يرفع القدماء بابا من أبواب الادب كما رفعوا شـعر المديح ، فهو أمارة النبوغ ومن يبرع فيه يصير شاعرا فحلا وان قصر فى غيره ، ومن يعجـز عنه أو يقصر فيه فليس من الفحول وان برع فيما عـداه .

طرفان متناقضان هو عند القدماء ذروة الشـعر وعند المحدثين زيفه وزوره وهـذا يعنى أن شـعر المديح اما أن يكون ضـلل القدماء ، وزيف عليهم فرأوه على غير ما هو عليه ، واما أن يكون قد انقلب لنا على رأسه فلم نر منه الا سوأته . وكلاهما غير مقبـول .

لا مفر اذن من دراسة هذا الباب دراسـة تحلل عناصره ، وتتعرف على سير الرجال الذين مدحوا به ، وشـمائلهم ، ومدى عطائهم لأمتهم وأجيالهم والى أى مدى كانت أعمالهم تلامس قلوب الناس . ثم هل كان هذا الشـعر يتضمن معانى وقضايا وحكما خوالج وأحوالا تجعله أوسع من مجرد الثناء ؟

كل هذا حين يدرس بروح علمية واعية سينتهى لا محالة بضـوء جديد والذى أريد أن أقوله هنا فى هذا السياق العجل أننى ماعرفت الشعراء يمدحون مهازيل الرجال ، وما عرفتهم الا وهم ينظرون الى أقدار فنهم فى ضـوء أقدار من يمدحون ، وهناك كثيرون من ذوى الثراء راموا المـديح فازدراهم الشعر وازور عنهم ، وتاريخ الادب مشـحون بهـذا .

هناك روابط وثيقة بين المساعى وشعر المديح ، وليست بين المالوشعر المديح ، شعر المديح كان كلفا بصياغة فضائل ذوى المروءة والنجدة والشـجاعة والبأس ، وهو الذى صيرها لحونا عذبة ، وأفرغها فى قلوب الناس ، وطير ذكر من نهضـوا بها ، وكان الشعر مقياسـا دقيقا فمن كثرت مساعيه كثرت مدائحه وصار من أهل السؤدد ، ومن ولت مساعيه قلت مدائحه ، وتاه فى أغمار الناس .

ليست العلاقة اذن بين شعر المديح ، ومصـالح الطبقة وانما هى بين شعر المدائح وكرائم الفعال ، واذا كان الشـاعر لا يعد فحلا الا اذا مدح فكذلك الرجل لا يعد شريفا فحلا الا اذا مدح ، ولا أعرف فى تاريخ الامة فاضلا أغفله الشعر ولا لئيما ساقطا احتفى به شاعر كبير .

وقد عبر أبو تمام عن هـذه الرابطة وذكر أن كرائم الأمور لها عند الشعر عهد وذمة ، أن يكون حارسا لها ، يضمرها فى نغمة ، يحدث بها الاجيال والاحقاب . وقد أدرك العرب هذا وأرادوا الا تكون مكارمهم ضريرة خرسـاء وانما أرادوها جوابة صداحة .

قال :

ان القـوافى والمسـاعى لـم تـزل
مثـل النظـام اذا أصـاب فـريدا

هى جـــوهر نثر فـان الفتـــــه
بالشـــعر صـــار قلائـــدا وعقـــودا
فى كـل معتـــرك وكـل مقـــامة
يأخـــذن منـــه ذمـــة وعهـــودا
فاذا القصـــائد لـم تكن خفـراءها
لم ترض منهـــا مشـــهدا مشـــهودا
من أجـــل ذلـك كانت العـــرب الأولى
يدعـــون هـــذا ســـؤددا محـــدودا
وتنـــد عنـــدهم العـــلى الا عـــلى
جعلت لهـــا مـــرد القصـــيد قيـــودا

البيتان الاخيران مهمـــان فالعـــرب الأوائل أى الجاهليون يعرفون قدر الرجل بقدر ما قيل فيه من شعر فالمدح المحدود لسـؤدد المحدود والمعالى التى لا تقيدها أنغام القصيد تند وتتبدد .

واذا نظـــرنا فى ديوان أبى تمام والبحترى وهما أشهر شـعراء المديح وذكر الاستاذ أن أكثر شعرهما فيه وجدناهما يمدحان رجالا مثل الحسن ابن مخلد الذى قالوا فى خبره انه كان أحد كتـــاب الدنيا .

وصـــاعد بن مخلد الذى قالوا فى خبره كان من رجالات الناس حزما وضبطا وكفاية وهو من وجوه النصـــارى ، ولما أسـلم كان يقوم فى آخر الليل فلا يزال يصلى الى طلوع الفجر ، والفتح بن خاقان وكان أديبا فاضلا اجتمعت له خزانة كتب من أعظم الخـــزائن ووصف بأنـــه كان ذكى النفس حسن العشرة ، وأبو ســـعيد محمد بن يوسف الثغرى الذى دعته ذاكرة تاريخ الدولة الرومانيـــة لكثرة وقائعه بها ، والذى عاد من عموريته فاتحا الى مكـــة حاجا فقال فيه أبو تمام :

لما تركت بيـــوت الكفـــر خـــاوية
بالغزو آثرت بيت الله بالقفـــل
والحج والغـــزو مقرونان فى قرن
فاذهب فأنت زعاف الخيل والابل

والزعاف السم أى انك تهلك الخيـــل فى الغزو وتهلك الابل فى الحج ، ولاريب أن تصـــوير نوازع النفس والابانة عما انطوت عليه من معانى المروءة والبســـالة والسؤدد محتاج الى خليفة من طبع الشاعر يحس بها هذه المعانى احساسا خاصـــا . وشعر المديح فى كثير من جوانبه هو أيضـــا الباب الذى يصور فيه الشاعر أحلامه فى المثل الانسانية الرفيعة ويسن فيه وبه هاتيك الخلال التى تحـــدد بناة المعالى على حد ما قال أبو تمام :

ولولا خلال سنها الشـــعر مادرى
بنـــاة المعالى كيف تبنى المكـــارم

والشاعر الذى تتخلف فيه هذه الطبيعة لا يعـــد من الفحول لارتباط الشعر فى تاريخ الامة بالفضائل الانسانية واختبار قدرته على الابانة عنها . وهكذا يقال فى شـــعر الهجاء لانه بيان عن طبائع النفوس الهاوية .

وتصوير للخلال التى تسقط بها المروءة ، وشعر الفخر أيضا من هذا الباب .

وهذا الذى نذهب اليه من ارتباط الشعر بخلال النفوس ودورانه فى أكثر جوانبه وأهم وظائفه حول الانســـان يحدوه نحو المراقى ويستثير ما كمن فى أعماقه من قطرة الخير ، قد فطن اليه القدماء حين جعلوا أركان الشـــعر أربعة ، مدح رافع ، وهجاء واضع ، وفخر ساحق ، وتشبيه مصيب ، وهذه هى الطرق التى اذا استطاع الشعر أن يسلكها انتهت به الى ذروة الفحول .

وهؤلاء هم الشـــــعراء الكبار الذين يرتادون الآفاق الافضل ، ويكشفون لبنى الانسان درجا من الســمو فوق درج ، أو هم الذين أقاموا على متن الســحاب فأرضهم بعيد وأقطار الســـماء بعيد كما يقول الاستاذ العقاد .

ثم ان قصائد المديح لم تخلص لهذا ، وانما هى عامرة بخوالج النفوس وهمهماتها وفيها الحكمـــة البالغة والوصف الصـــائب ، ولم يصف المتنبى الجيوش والحروب وهــذه التجربة الفذة الزاخرة الا فى قصائد المديح وهذا فى شــعر أشـــهر من أن تدل عليه ، وأوصـــاف الروابى فى مدائح البحترى

آيات بينات ، وأبعد من هذا ماتراه فى وصف الشعر نفســه ، وقد سجل تاريخ النقد للبحترى آراء فى بناء الشعر وبلاغة الكلام ساقها فى قصائد المديح والهجاء ، أما المديح فقد فطن الباقلانى (١) الى أن للبحترى مذهبا فى نقد الشعر وتذوقه سجله فى مدحه لعبد الملك بن الزيات التى مطلعها :

بعض هــذا العتاب والتفنيد

ليس ذم الوفاء بالمحمــــود

والتى يقول فيها :

فى نظام من البلاغة ما شـــك امرؤ أنه نظام فريد

وبديع كأنه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيــد

كالعـــذارى غدون فى الحلل البيض اذا رحن فى الخطوط الســود

وقد جاء فى قصيدة هجائه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢) .

والعقل من صنعة وتجربة شكلان مولود ومكتســبة

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغنى عن صـــدقه كـــذبه

ولم يكن ذوالقروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما ســببه

والشعر لمح تكفى اشارته وليس بالهذر طولت خطبه

لو أن ذاك الشريف وازن بين اللفظ واختار لم يقــل شــجبه

واللفظ جلى المعنى وليس يريك الصفر حســنا يريكه ذهبــه

أجلى لصــــوص البلاد يطلبهم وبات لص القريض ينتهبــه

وهذا كلام نفيس يحتاج الى استخراج وتحليل وفيه البيت الذى ضج من كثرة ما رمى به وحصاد ما قيل حوله قديما وحديثا محتاج الى مقال مفرد .

والغريب أن شعر المديح والهجاء الذى هذا بعض ما فيه تشتد عليه الهجمة وتخرجه من ساحة الشعر

وتفتح أبواب الشعر السبعة ليدخل منها أبو نواس وواليه وبشار وأشــباههم ، ويقف نقادنا ليطردوا البحترى وأبا تمام والمتنبى وأبا العلاء ، ولم يكتفوا بهـــذا يمزقون أديمهم ويرمونهم بالزيف والنفاق والمسخ .. والى لقاء آخر ان شاء الله .

**

---

١ ـ اعجاز القرآن ص ١١٥

٢ ـ ديوان البحترى ج ١ ص

اللغة

دراسات لغوية

فى إطار البحث عن صلة اللغة بالمجتمع نتناول ما يعرف بالمنافسة بين اللهجات واللغات ، ونتحدث فى هذا المجال عما يحدث بين لهجات اللغة الواحدة واللغات التى تتلاقى من صراعات تكون لها نتائجها فى التطور اللغوى ، ونبين — من خلال ذلك — ما يعرض للغة جماعة انسانية من آثار بعيدة المدى فى سلوكها واتجاهاتها .

(أ) المنافسة بين اللهجات :

يحتاج الناس الى اتصال بعضهم ببعض ، أفرادا ، وجماعات ، وأمما . ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ، ويستفيد بعضها من بعض .

والتأثر الذى يعترى لهجات اللغة الواحدة ، قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا ، كلهجات القرى والمدن ، فى آية دولة ، فلكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى ، وبينها اشتراك فى مظاهر كثيرة ، تستمدها من اللغة العامة ، ولذا لا تستعصى احداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم الا فى حالات العزلة التى تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الاقاليم التى تفصلها عن بعضها عن بعض ظروف جغرافية واجتماعية ، فانها تؤدى الى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصى على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة .

وحين تتجاوز اللهجات الخاصة فى المدن الكبرى ، والقرى المجاورة لها ، تزيد درجات التأثر ، ففى داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ، ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة .

وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلى عن خصائص لهجاتهم وتقليد لهجات المدينة ، لأن حضارة أهل المدن ، وثقافتهم تجعل الرغبة فى تقليدهم ملحة لدى الريفيين .

والمجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

وقد أجريت بحوث فى هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهى تعود — فى معظمها الى الثقافة والحضارة ، والنفوذ والسلطان ، وعدد الناطقين ونحو ذلك .

فاذا انفردت احداهما بميزة ، بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسى أو تجارى أو دينى واسع أو كثر عدد الناطقين بها فان ذلك يدعو الى تغلبها على اختها أو اخواتها من اللهجات الأخرى .

وقد حدث هذا كثيرا فى التاريخ اللغوى .

فاللاتينية التى صارت لغة ايطاليا المشتركة ، وأخيرا لغة العالم الغربى بأسره كانت لغة روما ، أولا وقبل كل شىء أى لغة المدينة فى مقابلة لغة الريف المجاور ، واللهجات القاصية على السواء(١).

واللهجة الباريسية ، أصبحت لغة فرنسا ، بتغلبها على اللهجات الأخرى (فالفرنسية انما خرجت من العاصمة ، ومن طبقة اجتماعية بعينها من طبقات العاصمة ، وهى البرجوازية .. وقد استقرت فى القرن التاسع عشر ، وسلم بها القصر ، ثم الاقاليم، والكتاب الكبار باستعمالهم اياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائيا ، وعلى استمرارها لذلك لا تكاد تحس فيها أثرا للهجات) (٢) .

ولهجة فرنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة اذ كانت أقرب من غيرها الى اللاتينية (٣) .

ولهجة فلورنسا (فى ايطاليا) — لهجة المجتمع الراقى بهذه المدينة — هى التى صارت لغة ايطاليا (٤) .

ولهجة قريش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية ، قبل الاسلام لتحقق النفوذ السياسى ،

(١) فندريس : اللغة ص ٣٧٢

(٢) نفسه ص ٣٣٠ .
(٣) نفسه ص ٣٣٥ .
(٤) نفسه ص ٣٢٥ .

والاقتصادى ، والدينى لها .

ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحصل خصائص اللهجة المتغلبة ، وما بقى من خصائص اللهجات الأخرى المندحرة .

وهذا التوحيد اللغوى يخضع لعوامل كثيرة اهمها :

١ ــ العامل السياسى :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسى واحد يؤدى الى تقارب لهجاتها ، ثم توحدها فى لغة عامة ، فالساسة والحكام يجردون أحاديثهم العامة فى مختلف المناطق من المظاهر الصوتية ، والصوفية ، والمعجمية ، وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة ، أو طائفة حرفية ، حتى ولو كان الحاكم من أبنائها ، ليكون ما يوجه الى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية .

وتلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطنى المناطق الأخرى ، فيحاولون تقليد لهجتها ، والتخلى عن ما تنفرد به لهجاتهم الأصلية .

ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية الى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية .

ويمكن أن تمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية ، التى كانت لهجة باريس ، ثم انتشرت فى جميع البلاد الداخلية فى المجال السياسى الفرنسى ، واللاتينية صارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم الغربى بأسره (١) تبعا للنظام السياسى ، وذلك فى الامبراطورية الرومانية القديمة (٢) .

وعدم خضوع الدولة لنظام سياسى واحد يضع الصعوبات فى طريق التوحد اللغوى (فألمانيا التى ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة) (٢) .

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية فى عامية متعلمى الألمان ، حتى فى أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الاوربية (٢) (ولذا قام انتشار الالمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة سياسية ، فالالمانية المشتركة أولا وقبل كل شىء لغة كتابة تدين بنجاحها الى اسباب دينية ، كما تدين بأصلها الى الرغبة فى الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوثر ، وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات فى المدن والامارات الالمانية ، والالمانية كانت تحتل الاراضى السلافية قدما بقدم ، وتحل محل اللغات السلافية فتكونت الالمانية المشتركة ، فى مدن الاستعمار فى ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التى وصلت بفضل الاصلاح الدينى الى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة ، وصارت لغة الكتابة فى ألمانيا المثقفة بأسرها (٣) .

٢ ــ العامل الاجتماعى والاقتصادى :

تقدم بين جماعات الشعب روابط النسب ، والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة : وتبادل المنافع فى شتى المجالات ، وقد تنشب بينهم المنازعات وهذا يؤدى الى اختلاطهم ، وقوة الاتصال بينهم ، ولذلك أثره فى التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التى تنفرد بها كل لهجة .

ومن الأمثلة التى توضح اثر هذا العامل ما حدث لنهجات الجزيرة العربية من توحد ــ فى لغة عامة ــ قبل الاسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان لما كان بين أهلها العرب من ارتباط فى النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة ، والجوار ، والتعامل التجارى وغيره من الصلات الاجتماعية .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣٢٩ .

(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٧٤ .

(٣) فندريس : اللغة ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

٣ ــ العامل الأدبى :

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحد اللغوى ، فالأدباء من قصاص ، وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب ــ بمختلف طبقاته ليروج ويذيع ، وتلك اللغة التى يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية ، لأى اقليم من أقاليم الدولة ، وهذا يهىء سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة •

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر الذى غصت به الأسواق الأدبية ، كعكاظ ، والمربد ، وذى المجاز ، وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء ، فى هذه الأسواق ، ليحكم لهذا بالتفوق على ذاك ، وكانت تلك الأشعار مصدر امتاع للجماهير العربية ، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا ، قامت على أساس اللهجة القرشية ، وما استفادته من غيرها من محاسن اللهجات الأخرى •

وفى أوربا (توجد لهجات مشتركة من أصل أدبى محض ، مثل الايطالية ، التى استقرت لغة مشتركة، ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيبة الكتاب العظام ، وتأثيرهم مثل : دانتى وبترارك وبوكاشيو، وذلك فى وقت لم يكن لايطاليا فيه آية وحدة سياسية ، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب ، استعملوا اللغة التى كانت تتكلم حولهم ••• واللغة التى رفعها دانتى الى مرتبة اللغة الأدبية ، والتى صارت لغة ايطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شىء لغة مدينة هى فلورنسا ولغة المجتمع الراقى فى هذه المدينة) (١) •

٤ ــ وسائل الاعلام :

لوسائل الاعلام كالاذاعة والتليفزيون ، ودور الخيالة (السينما) والمسارح ، والصحافة وغيرها أثرها فى التوحد اللغوى ، فهى لسان حال الأمة ، والمعبر عن أغراضها السياسية والاجتماعية ، وهى تستخدم لغة أدبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء ، ففى الأقطار العربية ــ مثلا ــ تستخدم الفصحى ، وبعض الأساليب العامية التى يفهمها الجميع •

وتلك الوسائل ــ بلا شك ــ لها خطرها فى التأثير على الناس ، وتكوين لغة عامة •

٥ ــ المدن الكبرى :

للمدن الكبرى أثرها فى نشوء لغة مشتركة ، اذ تتطلع اليها أنظار سكان الأماكن المجاورة لها ، والبعيدة عنها ، فيكثر القادمون اليها من كل صوب ، وهم ــ حين يلتقون داخل تلك المدن ــ يحاولون ــ عادة ــ التخلى عن سمات لهجاتهم الأصلية ، ويميلون الى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا ، فاذا أضفنا الى ذلك انهم يلتقون بالسكان الأصليين لهذه المدن أدركنا الى أى حد يمكن أن تبرز لغة عامة يستعملها الجميع •

فالدور الأساسى الذى آل الى أثينا بعد سقوط الامبراطورية الفارسية أدى الى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الاتيكية ، ولكن زاد من قوة الاتيكية ، واشعاعها ، شهرة شعرائها وفنانيها ، فكان لأثينا ــ بوصفها مركزا سياسيا وأدبيا وفنيا على السواء ، شرف تأسيس اللغة المشتركة التى ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد ، حتى القرن التاسع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع الاغريقيين (٢) •

ولقد تكونت الانجليزية المشتركة فى مدينة لندن التى ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللهجات (هذا الى أن تكون اللغة المشتركة صادفت وقوعه فترة نحو لندن المفاجىء ، حيث أخذت تتلقى بين

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣٣٥ •

(٢) فندريس : اللغة ص ٣٢٨ ، ٣٣٢

أحضانها طوائف المهاجرين ، على اختلافهم ، يفدون عليها من كل الاقاليم ويمتزجون بالسكان السابقين ، هذه الهجرات أدت الى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات ، حتى لنجد نطق الانجليزية فى القرن السابع عشر لم يثبت بعد ، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ، ولا تزال بقايا منه موجودة حتى اليوم ، ولكن هذه الهجرة الاقليمية أنعشت تبادل السكان بين العاصمة ، والأقاليم ، ذلك التبادل المفيد الذى أدى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة ، واذا فانجلترا تدين أيضا بتوحيد لغتها توحيدا نسبيا الى أهمية عاصمتها) (١) .

وفى مدينة القاهرة ، تتزاحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ، ولذا تميل الى التوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامة يفهمها الجميع .

٦ ــ الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية :

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ، ويتعبدون به ويطبقون أحكامه ، ويدعوهم الى الأجتماعات العامة فى الصلوات ، والاعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير فى التوحد اللغوى .

ولاشك أن العلم والثقافة والخدمه العسكرية ، تؤدى دورها فى اتخاذ لغة عامة .

فدور العلم والثقافة ، وطلابها الذين يفدون من مختلف الاقاليم ويلتقون فى المدارس والجامعات ، وقصور الثقافة ، والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية ، كل ذلك له أثره فى تخلى هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجات ، ويتجهون بذلك الى لغة عامة .

وقد حاول تيمور لنك أن يصنع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده ومع فشل تلك المحاولة فانها تدل على احتياج الجيوش الى نظام لغوى مفهوم لدى أوساطها المتباينة (٢) .

وفى اطار الأسباب الداعية الى توحد النظام اللغوى ، فان العالم العربى قد توفرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسيه وأدبية وثقافية ، وربطت أرجائه ، الاذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، وسبل المواصلات ، فبرزت لغة مشتركة تتمثل فى العربية الفصحى التى تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدارجة المنتشرة فيه .

ولا ننسى أن نشير الى أن اللغة المشتركة التى تنشأ عن الأسباب السابقة ونحوها ، لا تتخلص نهائيا من خصائص اللهجات المحلية ، بل تبدو آثارها فيها ، وتنعكس عليها ، ويتجلى هذا الأثر واضحا ، فى العربية الفصحى المعاصرة ، واللهجات العامية المتفرعة منها .

وقد أشرنا من قبل الى ما تحويه اللغات المشتركة فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية التى شاركت فيها .

(ب) المنافسة بين اللغات :

يتحقق ذلك فى السلم ، والحرب .

ففى السلم : تتوطد العلاقات بين الشعوب ، للحاجات الاجتماعية المتعددة ، فى نواحى الاقتصاد ، والثقافة ، والعلوم ، وغيرها من المجالات ، فيجرى بينها التعاون الزراعى ، والصناعى ، والعلمى ، وتنقل المخترعات ، والمستحدثات .

(١) فندريس : اللغة ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) د . نجا : اللهجات العربية ص ٢٤ ــ ٢٦ وانظر د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

وهذا التعاون المتعدد النواحى ، يقتضى لقاءات متعددة بين أفراد ، وجماعات من تلك الشعوب ، وهذا يؤدى الى احتكاك لغاتهم ، وتبادلها التأثر والتأثير .

فقد استفادت العربية من الفارسية بعض المفردات والأساليب ، المتعلقة بمظاهر الحضارة ، والأشياء التى لم تكن موجودة عند العرب ، ومن اليونانية بعض مصطلحات الفلسفة والعلوم .

كما أخذت الفارسية من العربية بعض المصطلحات العلمية والدينية ، وقد استمدت الاسبانية من العربية كثيرا من المفردات ، بسبب اقامة العرب هناك بعد الفتح الاسلامى ، للاندلس أحقابا طويلة (١) .

وكلمة الشاى قد انتقلت الى معظم لغات العالم من لغة جزر (ماليزيا) التى كانت المصدر الأول لهذه المادة ، وكذلك كلمة (الطباق) انتقلت الى معظم لغات العالم من لغة السكان الاصليين لامريكا (٢) .

وفى اللغات الأوربية كلمات مشتركة أصلها ايطالى أو ألمانى أو انجليزى ومنها أسماء وحدات كهربائية مأخوذة من أسماء مخترعيها مثل : (أمبير Ampere (فولت Volt ـ أوم Ohm) بل نجد كثيرا من الكلمات الأوربية تنتشر فى لغات غير أوربية ، كأسماء بعض المخترعات ، والآلات مثل : راديو ـ تلغراف ـ تليفون ـ تليفزيون ـ سينما ـ فيلم ـ بيانو .. الخ (٣) .

وقد تأخذ العلاقات الودية صورا أخرى تدخل فيها اللغات فى صراع عنيف ، ويتم ذلك بطرق أهمها :

١ ـ أن تنتقل طوائف من العلماء ، أو الصناع ، أو المثقفين ليشاركوا فى نهضة الحياة ، لدى شعب شقيق أو صديق .

٢ ـ أن تهاجر جماعات من شعب زاد نموه السكانى ، الى شعب آخر مجاور .

وفى هاتين الحالتين يكون التأثر والتأثير عاديا ، كما ذكرنا من قبل .

وقد يأخذ هذا الاتصال طابع السيطرة ، والنفوذ ، اذا كان المنتقلون أقوى سلطانا ، أو حضارة ، ممن نزحوا اليهم أو زاد عددهم بدرجة كبيرة تجعل وجودهم يزداد قوة ، وثباتا ، وتأثيرا فتطغى لغتهم ، وربما تتغلب على اللغة التى تنافسها (فالالمانية امتدت على رقعة واسعة مما يجاورها من المناطق فى أوربا الوسطى : « سويسرا وتشيكوسلوفاكيا ووالونيا والنمسا الخ » وقضت على لهجاتها الأولى) (٤) .

والفرنسية تغلبت على لهجات المناطق المجاورة لها فى بلجيكا وسويسرا وهكذا فالمنطقة التى توجد فيها العاصمة تتغلب على البلاد المجاورة لها ، فلوقوع عاصمة بلجيكا (بروكسل) فى القسم الذى يتحدث الفرنسية فى مقاطعه (والونيا) ولتميز تلك المقاطعة بالنفوذ والسلطان تغلبت الفرنسية على

---

(١) انظر اللغة والمجتمع د . السعران ص ١٧٧ .

(٢) وافى : علم اللغة ص ٢٣٢ ، وما تاخذه لغة عن اخرى يخضع للصقل ، والتهذيب ، حتى يجرى على طريقة اللغات المنقول اليها .

(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٧٨ ، ١٧٩

(٤) د . وافى : اللغة والمجتمع ص ١١٠ .

القلامندية (لغة القسم الشمالى من بلجيكا) (١) •

والفرنسية فى مقاطعة بريتانيا تغلبت على اللغه البريتانية شيئا فشيئا ، اذ شاركت فى كل نواحى الحياة ، الدينية ، والخدمة العسكرية ، والتعليم ، فى المدارس ، والنواحى الاقتصادية ، ولا يمكن للبريتانية ان تساوى الفرنسية فى القوة ، والثقافة ، والحضارة ، ولذا يمكن التنبؤ باندثار البريتانية ولكن ذلك يتوقف على تمسك البريتانيين بلغتهم، وتعصبهم • لها ، وعلى كثرة عدد المتكلمين بها (٢)•

أما اذا كان الأمر بالعكس ، بأن تفوق الشعب المنتقل اليه نفوذا أو سلطانا أدى ذلك الى خضوع المهاجرين • وربما تلاشى لسانهم الأصلى ، فى غمار لغة هذا الشعب الجديد (ففى مستعمرة الكاب كان المهاجرون الفرنسيون من البروتستانت فى سنة ١٦٨٨ يكونون ربع سكان المستعمرة ، ولما كانت الهولندية وحدها هى اللغة المسموح بها فى الأمور العامة والسياسية ، والدينية ، فقد اختفت الفرنسية بعد مضى قرن واحد (٣) •

ويذكر (بلوسفيلد) أن الأسرات الأوربية التى نزحت الى أمريكا ، وأقامت بها اقامة دائمة لا تلبث طويلا حتى تصطنع لغة البيئة الجديدة مشوبة فى أول الأمر ببعض أصوات لغتهم الأصلية وأساليبها ، ثم لا يكاد يمر عليهم جيل من الزمن حتى يسيطر أبناؤهم أو أحفادهم على اللغة الأمريكية ، ذلك لأنها تمثل — فى نظر معظم المهاجرين — اللغة العليا ولأنها اللغة التى تقضى مصالحهم فى البيئة الجديدة ، وتساعدهم على الاندماج وتحسين أحوالهم اجتماعيا ، واقتصاديا) (٤) •

وفى الحرب :

قد يغزو شعب آخر غزوا عسكريا ، فتدخل لغتاهما فى صراع يحتدم بينهما أمدا طويلا ، وهذا واضح فى لغات الشعوب التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى ، فقد استفاد بعضها من مفردات الأخرى ، نتيجة لطول الاحتكاك ، والاتصال بينها •

ومن الممكن أن تنتصر احداهما اذا تهيأت لها أسباب النصر :

١ — فتنتصر لغة الغالبين اذا كانوا كثيرى العدد، أو كانت حضارتهم وثقافتهم أرقى من المغلوبين •

فنزوح الغازى بأعداد كبيرة ، يؤدى الى القضاء على طابع الشعب ، المغلوب ، وسماته ، ويصحب ذلك سلطان القوة ، التى تفرض لغة الغازى ، فى تصريف شئون الدولة ، والادارة والعلوم ، والثقافة ، وهذا يؤدى الى انكماش لغة الشعب الأصلى ، وتدهورها •

واذا كانت حضارة الشعب الغازى أقوى أدى ذلك الى انصراف الشعب المقهور عن لغته ، وهجرها بتقليد اللغة الأرقى •

ومن ذلك أن اللغة العربية انتشرت اثر الفتوحات الواسعة فى آسيا وافريقيا ، وتغلبت على كثير من اللغات الأخرى ، كالبربرية •والقبطية

ومن ذلك — أيضا — سيادة الانجليزية فى أمريكا الشمالية ، وسيادة الفرنسيه فى أنحاء كندا وفى جزر الجوادلوب والمرتينيك وغيرها وهذه الظاهرة ممكنة الحدوث حتى اذا كان الغزاة أقل عددا بكثير بشرط

---

(١) نفسه ص ١١٢ •

(٢) فندريس : اللغة ص ٣٥٢ — ٣٥٥ بتصرف •

(٣) فندريس : اللغة ص ٣٥٠ •

(٤) د • انيس : من اسرار اللغة ط ٣ ص ١٠٠ ، ١٠١ •

أن يكون رقيهم الحضارى والادارى والاقتصادى ساحقا (١) .

ويذكر بليسفيلد أن قلة عدد الغزاة قد يؤدى الى انتصار لغة المغلوبين عسكريا وسياسيا ، فهؤلاء القلة من الغزاة يهضمون بعد زمن ماق البيئة الجديدة ، غير أنها بعد انتصارها تصبح مثخنة بآثار ذلك الصراع المرير ، فلا تكاد اللغة الغازية تندثر أو تزول حتى تكون قد تركت فى اللغة المغزوة جروحا ، أو ندوبا هى فى الحقيقة بعض الصفات التى استعارتها من لغة الغزاة .

ومن ذلك النورمانديون الفرنسيون حين غزو الجزر البريطانية واستطاعت الانجليزية — فى النهاية — أن تقهر الفرنسية وتحل محلها ، بعدما أصاب الفرنسية تشوه فى أصواتها ، وتجديد فى أساليبها (٢) .

وقد تنكمش لغة المغزوين وتنزوى فى ناحية من بيئتها وتتحصن فيها فتعيش اللغتان الغازية والمغزوة جنبا الى جنب كما حدث للغة الكلتية بعد غزو الانجليز السكسون للجزر البريطانية ، فقد حلت الانجليزية محل الكلتية فى بقاع كثيرة من تلك الجزر ولكن الكلتية ظلت حتى الان سائدة فى بعض جهات ويلز (٣) .

وقد يتمسك المغلوب بلغته ، ويقف فى وجه الغالب سدا منيعا لا يتزعزع عنها ، فلا تتمكن لغة الغالب من السيطرة عليها .

فاتجاه الايرلنديين الى احياء لغتهم الوطنية يعود — كما يقول فندريس الى بواعث سياسية ، وهى التخلص من لغة الانجليز أعدائهم التقليديين (٤)

ومثل ذلك ما حدث من تمسك الفرس بلغتهم ، اذ كان الفتح العربى قد أدخل اللغه العربيه الى بلاد فارس ، حتى أصبح العلم والأدب والسياسة جميعا لاتعرف تعبيرا غير العربية . وتقلص ظل الفارسية ، فأصبحت رطانة للطبقة الدنيا من الفلاحين ، والرعاة ، وصغار التجار والصناع ، ولكن العصبية الشعوبية استيقظت منذ القرن الثالث الهجرى ، وبدأت مع الدويلات الاسلامية الشعوبية التى قامت فى فارس حركة احياء وبعث للغة الفارسيه (٥) .

٢ — اما اذا حدث العكس بان كان المغزوون اكثر حضارة ، فان لغتهم تبقى صاحبة السلطان . وربما قهرت لغة الغزاة ، وصرعتها على ألسنة أهلها .

(فارادة الاغريق فى ألا يضحوا لغتهم أمام فاتح يحتقرونه هى التى حفظت الاغريقية خلال العصور . فلم تستطع التركية يوما أن تحل محلها . أو حتى أن تنال منها . .. فالتركية وهى لغة الفاتحين ليست بأية حال من لغات الحضارة ، وما كانت تستطيع الكفاح ضد اللغة الاغريقية ، التى تمثل ثقافة من أعرق الثقافات) (٦) .

وكما حدث عندما هاجمت القبائل المتبربرة أوربا اللاتينية ، التى كانت شعوبها أكثر تقدما فى الحضارة ، ولذا ترك هؤلاء البرابرة لغاتهم الأصلية ، بل تركوا أديانهم الوثنيه واصطنعوا اللاتينية واعتنقوا الكاثوليكية ، وكذلك التتار بعد اسقاطهم بغداد اعتنق أكثرهم الاسلام وتعلموا اللغة العربية (٧) .

وتظهر آثار المنافسة بين اللغتين التجاورتين ،

---

(١) د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١٢٨ .
(٢) د . أنيس : من أسرار اللغة ص ٩٩ ، ١٠٠
(٣) نفسه ص ١٠٠ (٤) فندريس : اللغة ص ٣٥٠

(٥) د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٦) فندريس : اللغة ص ٣٥١ .
(٧) د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١٢٧ .

أو المتصارعتين — عادة — فى المفردات (١) وقد يحدث تأثير فى النظام الصوتى والصرفى ، ونحن نعرف أنه كثيرا ما لوحظ فى لغات مختلفة أصلا ومتجاورة جغرافيا وجود خصائص صوتية مشتركة وكذلك الحال بالنسبة للنظام الصرفى (٢) فقد انتشرت بعض النواحى الصرفية من الفنلدنية الى اللغات الهندية الأوربية الأخرى (السلافية والبلطية) (٣) .

وقد ينسخ نظام الجمل ، وبذلك ينتقل ترتيب الكلمات أحيانا من بعض اللغات الى لغات مجاورة لها ، فالألمانية النمساوية — مثلا — تسير على حرية كبيرة فى ترتيب الكلمات ، وذلك تحت تأثير اللغات السلافية (٤) ، وفقدان النمو نتيجة حتمية لصراع اللغات (٥) .

وعندما يقضى على احدى اللغات فان ألفاظا كثيرة تعززها من اللغة الغالبة وينالها كثير من التحريف فى ألفاظها الأخرى ، ودلالاتها ، ثم لا تلبث القواعد أن تتغير شيئا فشيئا (٦) .

وتترك اللغة المغلوبة آثارها على اللغة الغالبة ، وكلما طال أمد الصراع (٧) ، وقوى كانت التشوهات أكثر عمقا ، وظهورا ، فقد ضاع من الانجليزية أكثر من نصف ثروتها اللفظية ، فى صراعها الذى انتصرت فيه على النورماندية الغازية ، واستعاضت عن هذا المفقود من اللغة الغازية المقهورة ، وأخذت منها كذلك مفردات جديدة ، ومع طول الصرع بين

(١) فندريس : اللغة ص ٣٥٨ .
كبعض الكلمات الخاصة بالبيئة الجديدة من اعلام او اسماء الامكنة ، ومن الفاظ تعبر عن أشياء تتميز بها هذه البيئة كما حدث للرومانية حين قضت على معظم لغات أوربا ، وللعربية حين قضت على القبطية فى مصر وقد أشرنا الى بعض ذلك فيما سبق ، انظر :
د . أنيس : من اسرار اللغة ص ١٠٠

(٢) فندريس : اللغة ص ٣٦١ ، ٣٦٤ .

(٣) فندريس : اللغة ٣٦١ ، ٣٦٤ .(٤) نفسه ٣٥٩ .

(٥) نفسه ص ٣٦٣ .

(٦) د . وافى : اللغة والمجتمع ص ١٠٠ وما بعدها .

العربية ، والقبطية ، والبربرية ، لم تؤثر تلك اللغات فى العربية تأثيرا قويا ، لأن الصراع لم يكن شديدا ، ولم تكن هناك مقاومة تذكر من اللغات المغلوبة .

ويميل بعض اللغويين الى القول بأن آثار الاحتكاك ، والصراع بين اللغات تظهر اذا كانت من فصيلة واحدة ، أو من فصيلتين متقاربتين ، أما اذا كانت غير مشتركة فى الأصل ، فان الآثار الناجمة عن الاحتكاك والصراع آثار محدودة ، لاسيما فيما يتعلق بالبنية ، ونادرا ما تؤثر لغة أو تتغلب على أخرى ليست من فصيلتها (٨) .

ونتيجة لتجاور اللغات وصراعها ، قد لا تبقى اللغة الواحدة على حالها بل تتغير ، وربما انقسمت الى لهجات لاتساع الرقعة التى تعيش عليها ، ولاتصالها بلغات أخرى أو انتصارها عليها ، واختلاف البيئات المكانية ، والزمانية ، والثقافات المتعددة ، التى تتغلب عليها من الشعوب المتكلمة بها ، وانتقالهم من جيل الى جيل ، كما حدث للعربية فى نمو المتكلمين بها ، وتغلبهم على المناطق المجاورة فى مصر والشام ، والعراق ، وكما حدث للألمانية فى امتدادها على مساحة واسعة فى أوربا الوسطى ، فكل ذلك أدى الى تغلب تلك اللغات على لغات البلاد الأصلية ، ونجم عنه تفوق العربية والألمانية الى لهجات .

ولهذا القانون خضعت اللغات الانسانية منذ نشأتها الى العصر الحاضر .

د / عبد الغفار حامد هلال

(٧) يحتاج الصراع الى وقت طويل قد يبلغ اربعة قرون ، فالرومان تغلبوا على وسط أوربا وشرقيها فى القرن الاول الميلادى ، ولم تصل لغتهم الى الغلب النهائى الا حوالى القرن الرابع الميلادى ، والعربية لم تتغلب على القبطية والبربرية الا بعد أحقاب طويلة ، بل انها بقيت مستعملة فى أداء الطقوس الدينية ، وبعض اللغات البربرية لاتزال تستعمل حتى العصر الحاضر .

٨ د . وافى : اللغة والمجتمع ص ٩٧ — ١١٠ ، د . السعران اللغة والمجتمع ص ١٧٩ — ١٨١ .

- الصيام متدرجًا
- شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر
- وهو الذى يقبل التوبة عن عباده
- وأن تصوموا خير لكم
- صوم رمضان وليلة القدر
- رأى الدين والقانون والإقتصاد فى قضية الربا
- كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان

فى التشريع الإسلامى

الصيام

كان الصيام شأنه فى التشريع شأن أغلب العبادات والأحكام الشرعية التى لم تأخذ صفة الجسم والحزم بادىء ذى بدء فى حقل التشريع .. وانما سلكت درب النشوء والترقى ، والبداءة والنمو فى مدارج الكمال .. حتى استقرت الى حيث شاء الله لها أن تستقر فى اطار الحكمة البالغة ، وانكمال المطلق ، والوضع الأتم .. واندرجت بذلك تحت القاعدة الشاملة المتمثلة فى قوله تعالى : **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)** المائدة / ٣ : ومعنى اكمال الدين كما فى الجلالين / ١٤١ : **(اكمال أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام)**.

وعبادة الصيام امتداد لفرضيتها على مستوى الانسانية كلها منذ كان رسل .. وكان مرسل اليهم اذ أنها لازمة من لوازم الفطرة المتكاملة .. التى تستلزم مقومات أساسية ، وعناصر جوهرية لا غنى لها عنها ، ولا مندوحة لها منها .. حتى تحقق فيها الموازنة العادلة بين مطالب الروح وحاجات الجسد .. فالصيام بما فيه من كبح لجماح المادة ، وحزم فى معاملة الجسد ، ورضوخ لأمر الله بالحرمان ، بعد اذنه بالتمتع .. قدر مشترك بين متطلبات الكمال الانسانى المنشود .. بصرف النظر عن كفة الصوم وحقيقته ، ومداه وتوقيته .. ومن هنا نستطيع أن نلقى ضوءا على معنى ومغزى قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ)** البقرة : ١٤٣ وفى الكشاف جـ ١ / ٨٧ : **(كتب الصيام على الأنبياء والأمم من لدن آدم الى عهدكم .. قال على رضى الله عنه : أولهم آدم .. يعنى أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم .. ولم يفرضها عليكم وحدكم** .. والتقوى بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها ، والتقوى باجتناب المعاصى لأن الصائم أردع لنفسه من مواقعة السوء) أى لأن الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأ المعاصى ، وفى فتح القدير جـ٢ : ٤٣ : **(شرع الله تعالى الصوم لفوائد .. أعظمها : شيئان : أحدهما سكون النفس الأمارة ، وكسر سورتها ، فى الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج ، فان به تضعف حركتها فى محسوساتها ، ولذا قيل : اذا جاعت النفس شبعت الأعضاء ، واذا شبعت جاعت كلها ، ويترتب على هذا صفاء القلب من** الكدر ، بصفائه تناط المصالح والدرجات ، وثانيها : كونه موجبا للرحمة والعطف على المساكين .. وذلك بموافقة الفقراء فى تحمل ما يتحملون أحيانا .. وفى ذلك رفع لدرجته عند الله تعالى) .. ولذا لم يبدأ الصيام فى واقع أمره بعد الهجرة حيث صار فرضا لازما وركنا ثالثا من أركان الاسلام .. وانما

متدرجًا

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

مارسه الرسول صلى الله عليه وسلم من اول أمره فى مكة حين أطاق الصيام ، وأمكنه قواه من احتماله والمشاركة فيه ‥ حتى انه مارسه قبل أن ينزل عليه فيه وحى يوحى ‥ أو قرآن يتلى . وذلك منه صلى الله عليه وسلم متابعه لغيره فيما هو من خصائص الفطرة السليمة ، والمكرمات الانسانية المستمرة ، ونستطيع أن نلقى الأضواء على صيامه صلى الله عله وسلم مارا بكل مدارج النمو والتطور سواء فى ذلك فى مكة قبل هجرته‥ أو بعد رحيله عنها وتركه لها ، واستبدالها بغيرها فى المدينة المنورة مؤسسا أعظم دولة ، وناشرا أتم ديانات البشرية ، وآختمها ، وأوفاها وأعمها ‥ وذلك على النحو التالى : —

١ — صام الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما صام يوم عاشوراء ‥ حين كان أهل الجاهلية يصومونه فى مكة فشاركهم فى صيامه ‥ لأنه لم يكن يهدر كل ما يمارسه الجاهليون من قول أو فعل بل كان يتخير لنفسه أحسن ما عندهم مما يتوافق مع القيم الانسانية الأصيلة فيوافقهم فيه ‥ من قول وفعل وخلق ‥ على حين كان ينأى بطبيعته الخيرة عما يتورطون فيه من سفه القول ، وسيىء العمل فيبتعد عنه ، وينفر منه ‥ وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه ‥ فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ‥ فلما نزلت فريضة شهر رمضان ‥ كان رمضان هو الذى يصومه ‥ فترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره) ‥ والظاهر أن هذا الصيام المبدئى لم يكن يؤمر بصيامه وانما ترك لمحض الارادة ، واستجابة الفطرة ‥ فمن شاء صامه ‥ ‥ ومن شاء أفطره ‥ وان كان صيامه أقرب الى الكمال ، وأدنى الى الصواب وكان لموافقة قريش كما فى الترمذى عن عائشة .

٢ — صام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاثة أيام من كل شهر عربى وهى الأيام البيض (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وكان الصحابة رضوان الله عليهم يشاركونه هذا الصيام ، واستمر ندب صيام هذه الأيام حتى بعد ما فرض صيام رمضان ‥ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : **(فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر فى شعبان ‥ وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من كل شهر عربى) ‥ أى وهى الأيام البيض ‥ وعن ابن عباس رضى الله عنهما : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الأيام البيض فى حضر ، ولا سفر وكان يحث على صيامها) وقد أخذ** بعض العلماء من هذه المواظبة دليلا على القول بأن صيام هذه الأيام كان واجبا قبل صيام رمضان ثم

الصيام متدرجا

نسخ بصيام هذا الشهر المبارك ولكن الراجح أنه لم يفرض عليه ولا على أمته صيام قبل صيام رمضان لا فى عاشوراء .. ولا فى الأيام البيض الثلاثة .. وحديث ابن عباس السابق لا يدل على الوجوب وانما يدل على أن هذا كان شأنه صلى الله عليه وسلم حتى بعد صيام رمضان (السيرة الحلبية جـ ٢/١٤٨) والمواظبة أحيانا لا تدل على الوجوب كما فى المضمضة والاستنشاق فى الوضوء .. فقد واظب عليهما صلى الله عليه وسلم مع بقائهما فى دائرة السنية ، وخروجهما عن جملة واجبات الوضوء .. ويؤيد هذا حديث عائشة السابق فى رقم (١) حيث قالت : (فلما نزلت فريضة شهر رمضان) وفيه دليل على تحديد فرض الصيام برمضان .. والاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر — كما يقول علماء أصول الفقه — فكل ما كان قبل فرض شهر رمضان .. وكذا ما كان بعده .. لم يكن من الفريضة فى شىء .. وانما كان أمرا حسنا مندوبا اليه ، أو مسنونا فيه .

٣ — بعدما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا اتخذ صيام عاشورا صفة أخرى حيث صامه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بصيامه ، وقد اختلف العلماء فى المراد من أمر أصحابه بصيامه .. أهو على سبيل الوجوب .. أم على سبيل السنية .. والظاهر أنه على سبيل السنية لأنه أشرك فى هذا الصيام الأطفال الرضع وكان يأمر أهلهم بتصويمهم عاشوراء .. والأطفال ليسوا محلا للواجب ، وبالتالى ليس هذا الصوم أهلا للوجوب .. روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : **(قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم : ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ .. قالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) وفى الصحيحين أيضا عن الربيع بنت معوذ قالت : (أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الأنصار التى حول المدينة : من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية صومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ونذهب الى المسجد .. فنجعل لهم اللعبة من العهن ، فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه اياها حتى يكون عند الافطار) .. وفى رواية : (فاذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهيهم حتى يتموا صومهم) .. والعهن : هو الصوف .**

٤ — لما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة .. وترك الرسول صلى الله عليه وسلم صوم عاشوراء .. فمن شاء صومه صامه .. ومن لم يشأ تركه .. وذلك خوفا من توهم أنه فرض كرمضان ، وحتى يفرد رمضان بصفه الوجوب بلا منازع حقيقة .. أوتوهما .. لتستقر فرضيته بصورة واضحة كل الوضوح .. متميزة تمام التميز .. وفى حديث ابن عباس : (فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم .. أى لأصحابه .. من شاء صامه ، ومن شاء تركه) وفى هذه المرحلة زالت عن صيام عاشوراء صفة السنية الى صفة الاباحة .. لحكمة تشريعية بالغة .. وذلك حتى لا تختلط الأوامر والتكاليف ، ويلفها ضباب الحيرة واللبس .. فترك رمضان وحده فى اطار الفريضة .. بينما خلع عن عاشوراء الذى أمر بصيامه من قبل وصفه السابق : وجعله فى حيز الاختيار والمشيئة خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان (السيرة

الحلبية ج ٢ : ١٤٩) وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر الله تشريفا له واعرابا عن مزيد فضله لحرمته عند الله تعالى اذ أنه من الأشهر الحرم .

٥ ــ فى السنة الثانيه للهجرة وفى شهر شعبان منها فرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته صيام شهر رمضان .. أو الاطعام عن كل يو ممسكينا بقوله تعالى : **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ** .. الى قوله تعالى .. **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ : ومعناها كما فى الجلالين /٣٧ :) **(كانوا مخيرين فى صدر الاسلام بين الصوم والفدية .. ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. قال ابن عباس : الا الحامل والمرضع اذا فطرتا خوفا على الولد فانها باقية بلا نسخ فى حقهما) ..** وفسر طعام المسكين أيضا : (قدر ما يأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم) أى ربع كيلة بالمكيال المصرى هذا عند الشافعية ومن وافقهم .. وعند أبى حنيفة نصف صاع من بر أو دقيق أو ثمن ذلك .. والكيلة عنده تجزى عن سبعة مع اضافة سدس قدح .. فمن تطوع خيرا بأن زاد على هذا المقدار المحدد فهو خير له .. والصيام على كل حال خير من الفطر والاطعام ، فكان الناس بالخيار : من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مدا (وفى السيرة الحلبية ج ١٥١/٢) : ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** أى من علمه الا فى حق من لا يستطيع صومه لكبر أو لمرض لا يرجى شفاؤه فيجزيه الاطعام ، ورخص فيه للمريض اذا حصلت له مشقة تبيح له التيمم ورخص للمسافر الذى يباح له قصر الصلاة وان لم تحصل له مشقة بالكلية (٨٩ كيلو مترا وأربعون مترا) الفطر .. مع وجوب القضاء اذا زال المرض والسفر بقوله تعالى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** أى اذا أفطر فعليه صيام عدة ما أفطر من أيام آخر .. وفى الكشاف ج ١ :/٨٨ (وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه ، فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية) .. ورمضان مصدر رمض اذا احترق .. سمى بذلك لما يصاحبه من شدة وقسوة فى الصيام وذلك على القول بأن الصيام فيه عبادة قديمة .

فى صدر الاسلام كان الصيام نهارا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .. فاذا ناموا بعد الغروب .. أو دخل عليهم وقت العشاء الآخرة امتنع عليهم تناول المفطرات الى اليوم التالى .. ثم نسخ ذلك وأحل الله تعالى لهم الأكل والشرب واتيان النساء وسائر المفطرات الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ .. الى قوله جل وعلا : وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) البقرة / ١٨٧ وذكر فى سبب نزول هذه الآية : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته ليلا بعدما صلى العشاء ، فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اعتذر الى الله .. واليك من نفسى هذه الخاطئة .. انى رجعت الى أهلى فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما كنت جديرا بهذا ياعمر .. فقام رجال فاعترفوا بمثله .. وذكر له صلى الله عليه وسلم أن بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم .. فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأخبر أنه أهل حرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به ، فغلبته عينه فنام ، فلم

يستيقظ الا بعد الغروب لم يتناول شيئا فأنزل الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ وقد فهم بعض الصحابة أن المراد حقيقة الخيط فوضع عند وسادته حبلين أحدهما أبيض والاخر أسود وجعل ينظر فلا يستبين حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (انك لعريض القفا) أى سيىء الفهم .. فأنزل الله تعالى : ﴿ من الفجر ﴾ اشارة الى أن المراد بياض النهار وسواد الليل .

٧ ــ صام صلى الله عليه وسلم عاشوراء على سبيل السنية فى آخر الأمر .. مع اضافة يوم قبله .. أو يوم بعده على سبيل الندب مخالفة لليهود الذين كانوا يصومونه منفردا .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب مخالفتهم بعد الفتح .. كما كان يوافقهم قبل الفتح وقد ذكر ذلك فى حديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : **(حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء ، وأمر بصيامه .. قالوا : يارسول الله .. انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : فاذا كان العام المقبل صمنا التاسع ..) وفى رواية : (لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع مع العاشر)** وفى بعض الروايات ما يفيد اضافة اليوم الحادى عشر .. وذلك لمخالفة أهل الكتاب ولكنه توفى قبل ذلك .. وقد جاءت هذه المخالفة فى صورتين : أولاهما عدم اتخاذ عاشوراء عيدا .. لأن عيدى المسلمين : الفطر والأضحى .. ثانيهما : عدم اقتصار على صيامه وحده .. وفى الصحيحين عن أبى موسى قال : (كان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود وتتخذه عيدا فقال صلى الله عليه وسلم : صوموه أنتم) ولذا كان صلى الله عليه وسلم يصوم السبت أحيانا ومعه الأحد ويقول : (انهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم) فاذا جمع اليومين فى صيام متتابع فقد خالف بذلك كلا من اليهود والنصارى لأن كلا منهما يعظم منهما يوما بمفرده .. وقد واظب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخريات أيامه على صيام عاشوراء .. بعد أن كان وقت فرض رمضان يصومه .. ويتركه .. كما حث الصحابة على تحرى صومه وبين أنه يكفر السنة التى يصام فيها وفى الصحيحين (أن ابن عباس رضى الله عنهما سئل عن يوم عاشوراء فقال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما يتحرى فضله على الأيام الا هذا اليوم) .

الدكتور محمد محمد الشرقاوى

رمضان

شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر

رفع الله سبحانه وتعالى شأن رمضان فرسم بنفسه اسلوب تكريمه ومظهر تعظيمه - فافترض على المسلمين فى شتى بقاع الارض صومه - وجعله ركنا من أركان دين الاسلام - وعنصرا من عناصر الشخصية الاسلامية ٠

يقول جلت كلماته (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ - وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ - يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ - وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة ابقرة ١٨٥ ٠

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

رمضان
شهر الصوم والعبادة ..

الصوم عبادة قديمة :

والصوم عبادة قديمة كتبه الله على الأمم السابقة وكان ركنا من أركان دينها فهو فطرة مألوفة وعبادة — معروفة عرفها المصريون القدماء — وانتقل منهم الصوم الى الاغريق والرومان كما كان مكتوبا على أهل الكتاب قبل الاسلام بقول سبحانه فى كتابه الكريم **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)** سورة البقرة ١٨٣.

وقد ورد فى التوراة كتاب اليهود المقدس القول المنسوب الى الله على لسان نبيه موسى عليه السلام — الى بنى اسرائيل (حين صورت الى الجبل لكى آخذ لوحى الحجر لوحى العهد الذى قطعه الرب معكم أقمت فى الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء وأعطانى الرب لوحى الحجر المكتوبين) — سفر التثنية فى الاصحاح التاسع عدد ٩ ، ١٠ .

أما عن الصوم فى الأناجيل المتداولة بين النصارى فقد ورد ما يشير اليه مثال ذلك ما ورد بانجيل متى فى قوله عن المسيح عليه السلام (فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا ... فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله) — انجيل متى فى الاصحاح الرابع عدد ٢ ، ٤ .

الصوم فى الاسلام :

الصوم لغة يعنى الامساك لكن الصوم فى مفهوم الاسلام هو الامساك عن الطعام والشراب وشهوة الجنس من طلوع الفجر الى غروب الشمس ايمانا احتسابا لله رب العالمين فهو تكليف الهى صادر عن رب العالمين الذى له بمقتضى ربوبيته وألوهيته أن يكلف عباده بما شاء من التكاليف وأن يرسم لهم ما يريد من مراسم العبادة ودلائل الخضوع والعبودية مما يقتضى الخضوع لأمر الله فيه كما طلبه ورسمه لعباده .

يقول جلت كلماته **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ — عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)** سورة البقرة ١٨٧ .

لذلك كان صوم رمضان امتثالا لأمر الله ونزولا على حكمه وايمانا به واحتسابا لثوابه وما دام الامر كذلك كان على الصائم ألا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا مطمئنا هادئا — قد يصيبه فتور فى جسمه ولكن روحه تظل قوية متيقظة .

فالصائم المحتسب لا يغضب فى رمضان مما كان يغضب منه فى غيره ولا يمل مما كان يمل منه وهو مفطر لأن صيامه لله وصبره لله وجزاءه على الله .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) أخرجه الامام مسلم .

وعن أبى امامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرنى بعمل يدخلنى الجنة قال عليك بالصوم فانه لاعدل له ثم أتيته الثانية فقال عليك بالصيام رواه أحمد والنسائى والحاكم ولا عدل له أى لا نظير له فى صحة الجسم وكسر النفس وعظيم الأجر وصفاء القلب والقرب من الله وطبيعى أن كل الصيام المفروض — ووقته هو رمضان .

ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (اذا جاء رمضان فتحت —

أبواب الجنه وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين أخرجه الامام مسلم فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فتح أبواب الجنه وغلق أبواب النار وتقييد الشياطين عن أعمالها بمجيء رمضان شهر الصوم — اشارة بأن صوم رمضان على الوجه المطلوب فى الصوم والغاية المرجوة من صيامه من شأنه ألا يترك ثغرة فى حياة الصائم تتسرب منها الهزيمة لنفسه وايمانه وقلبه فلا مكان للشيطان وأصبح عمل الصائم يصدر عن قلب وعن ايمان لا عن شهوة واستسلام للهوى •

اختيار الله شهر رمضان واصطفاؤه على سائر الازمان :

١ — فهو الشهر الوحيد الذى صرح باسمه فى القرآن الكريم •

٢ — وهو الشهر الوحيد الذى أنزل الله فيه كتابه الكريم وقرآنه العظيم •

آثار صيام رمضان على المسلمين :

١ — هذا الشهر الكريم يوحد بين المسلمين فى أوقات الفراغ والعمل وأوقات الطعام والشراب •

٢ — كما يفرغ عليهم جميعا صبغة الانابة والرجوع الى الله ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتحميد والتقديس لله — ويعفها على الايذاء والتجريح •

٣ — ويملأ قلوب المسلمين بمحبة الخير والبر لعباد الله فتغرس فى نفوسهم خليقة الصبر التى هى عدة الحياة ، لذلك كان رمضان رحلة الهية ميقاتها الشهر كله يخلع فيها المسلم نفسه من حياة المادة المظلمة الى حياة الروح المشرقة المضيئة بطاعة الله فهو يبدأ يومه بالصيام لله ويختم نهاره بالافطار لله — وفيما بين صيامه وفطره يقوم لله قانتا ويركع مسبحا ويسجد داعيا ثم مرتلا وحى الله وقرآنه حتى مطلع الفجر فيسبغ الله عليه ما شاء من حلل الرضا والرحمة والغفران •

كيف أشرق نور الاسلام فى رمضان :

لما استشرى الباطل وأفسد على الانسان عقله فأنكر به خالقه وأنه مالا يسمع ولا يبصر فعبد الشمس والقمر والأصنام والأوثان واتجه فى شدته وكربه الى ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا — واستذل الحكام والكهان الضعفاء وسخروا الفقراء دون وازع من خلق أو ضمير حتى لقد امتلأت قلوبهم جبروتا وقسوة فهتكوا الأعراض واستلبوا الأموال وهنا لم يرض خالق الأرض والسموات ببقاء الانسانية على هذه الحال فأطلقت نور الحق فى شهر رمضان ونزل الوحى على النبى محمد صلى الله عليه وسلم توجيها له نحو القضاء على هذا الفساد بقوله تعالى (**إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) سورة العلق ١ ، ٢ ، ٣ •

وبذلك نزل القرآن الكريم يهدى للتى هى أقوم فكان هديا للبشرية وفرقانا ميزت به الخبيث من الطيب وعرفت به حقيقة الألوهية كما أرشدها الى الحق فى الرسالة والنبوة والبعث والجزاء ومدى علاقة الانسان بأخيه الانسان •

شهر رمضان والعبادة فيه :

اذا كان القرآن الكريم قد نزل فى شهر رمضان فلقد اشتمل على الهداية الربانية فى مظهرها الأخير من تطهير للعقيدة وتهذيب للنفس واصلاح للعمل وأرشد الى كثير من سننى الاجتماع التى فيها سعادة البشر — كما فتح أمام العقل البشرى كتاب الكون لينظر بعقله فيه ويفك عن نفسه أغلال الجمود والتقليد والاوهام والخرافات ثم منحه حرية واسعة يفكر بها فى شأنه ومكانته فى حياته وليعرف قيمته عند الله وأنه وهبه العقل والارادة ليحتفظ بكرامته ويختار سبيل الخير ويبتعد عن سبيل الشر يقول تعالى (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**) سورة الاسراء (**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا — إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**) سورة الدهر ٢ ، ٣ •

وأمام هذه الهداية الآلهية فى القرآن الكريم

رمضان

شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر

اقتضت حكمة الله أن يجعل رمضان ميقاتا للتصفية والرياضة الروحيه التى تلتقى فى غايتها مع تلك الهداية العامة التى فتح القرآن أبوابها الواسعة للناس فشرع — فيه جملة من العبادات يتقرب بها المسلم الى الله فشرع فيه الصوم وسن فيه القيام والاعتكاف وقراءة القرآن — أما ثمرة ذلك كله فهى التقوى بقول تعالى (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) سورة البقرة ١٨٣ .

وعن أبى هريرة رضى الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه .

اختصاص رمضان بليلة القدر وهى التى انزل فيها القران الكريم :

يقول جلت كلماته (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**) سورة الدخان ٣ (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**) سورة القدر ١ ، ٢ ، ٣ .

ففى سكون الليل فى احدى ليالى شهر رمضان عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فى غار حراء على ملة أبى الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام يفاجأ بأمين الوحى وسفير الله الى أنبيائه جبريل عليه السلام ينزل عليه بكلام الله العزيز الحكيم لذلك وصفت بالقدر والشرف ففى هذه الليلة المباركة بدأ نزول القرآن الكريم كتاب الله ذا القدر تحمله سفرة أصحاب قدر على رسول ذى قدر لأمة ذات قدر — لذلك كانت ليلة من ليالى التجلى الاعظم اذا ما توجه فيها المؤمن الى ربه مستحضرا مالها من ذلك الشأن فهى ليلة خير من ألف شهر تسمو علوا وشرفا اذ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر .

بدايه نصر المسلمين كانت فى رمضان :

لما أراد الباطل أن يقضى على الحق وخرج المشركون من مكة للقضاء على الاسلام والمسلمين بالمدينة كتب الله نصره للمسلمين وكان ذلك فى رمضان من السنه الثانيه للهجرة فى غزوة بدر الكبرى فكانت أول صدمة زعزعت حصون الشرك والضلال مشيرة بأن هذا النصر معقود بالصبر والاخلاص والتقوى وليس معقودا بكثرة الجنود ولا بسعه الملك والعمران ولا بقوة الحديد والنار يقول جلت كلماته : (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) سورة آل عمران ١٢٣ .

فتح مكة كان فى رمضان :

قضت حكمة الله أن يعود المسلمون بعد هجرتهم الى المدينة الى وطنهم الأول مكة المكرمة فاتحين لها بعد أن أخرجوا منها بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله فحطموا بذلك آخر معاقل الشرك والوثنية فى البلد الحرام وآزالوا من بيت الله العتيق الاصنام والأوثان فعاد طاهرا مطهرا كما كان فى عهد أبى الانبياء ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام فعن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله قال (دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا — جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) — صحيح مسلم باب فتح مكة .

وبهذا الفتح الذى تم فى رمضان من السنة الثا .. للهجرة امتد سلطان الله فى أرض الله وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الضلال والبهتان هى السفلى يقول جلت كلماته .

(إنّا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا) سورة الفتح ١ ، ٢ ، ٣ .

معركة عين جالوت كانت فى رمضان :

فى صباح يوم الجمعة ٢٦ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ التقى المسلمون المصريون بالمغول فى معركة تعد من أكبر وأهم المعارك فى التاريخ لأن المغول كانوا قد زحفوا بجموعهم على العراق فسقطت بغداد وأحدثوا فى المسلمين هناك مذبحة عظيمة وخربوا كل معالم الحضارة وأحرقوا كثيرا من الكتب وأغرقوا البعض الآخر فى نهر دجله حتى لقد صار لون الماء به مثل لون المداد الذى حررت به ومن العراق ــ زحفوا على بلاد الشام فسقطت فى أيديهم ثم زحفوا على مصر فقابلهم الجيش الاسلامى فى عين جالوت من أعمال فلسطين ودارت الدائرة على المغول فانهزموا وانتصر المسلمون انتصارا ساحقا ــ وهكذا يبين الله للمسلمين أنهم ان أخلصوا النية فى ايمانهم وجهادهم فى سبيل الله فان الله ينصرهم على أعدائهم فى كل مكان وزمان مهما كانت قوة العدو وجنسه .

معركة العبور كانت فى العاشر من رمضان :

لقد تجلت عناية الله فى معركة العبور بين مصر واسرائيل بصورة أذهلت كل العالم لما يعلمه الناس فى مشارق الأرض ومغاربها من قوة خط الدفاع الاسرائيلى الذى أنفق عليه الملايين المؤلفة من الدولارات ولما يعلمونه من أمر الطيران الاسرائيلى وقوته ومن أمر أسلحة الجيش الاسرائيلى وحداثتها .

الا أن جيش الاسلام من المصريين وهو يعبر فى رمضان كان شعاره (الله أكبر) فعبر مجرى قنال السويس رغم اتساعه واقتحم مواقع الحصون الاسرائيليه وحطم كبرياء أعداء الاسلام وبهذا العبور عاد سكان مدن القنال الى ديارهم وفتحت القنال وعادت اليها الحياة يقول جلت كلماته : **(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ــ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)** سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .

وبعد فهذا هو الصوم فى الاسلام وهذا هو مجتمعه مهما تباعدت الأيام وتغير الزمان لذلك كان المجتمع الصائم مجتمعا يمتثل لله ولا يستسلم لأعداء الله فهو مجتمع ذو قسوة وذو ارادة وذو ضمير برىء أهل هذا المجتمع بالصيام من قول الزور والبهتان وقول الكذب وما يتبعه من فحش القول وسوء العمل والا انطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخارى .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

وهو الذى يقبل

فى التشريع الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .. وبعـــد :

فيقول الله تعالى : « **وَهُوَ الَّذِى يَقْبَـلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّـيِّئَاتِ وَيَعْـلَمُ مَا تَفْعَـلُونَ ، وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ** » .

التوبة : رجوع عمـــا كان مذموما فى الشرع الى ما هو محمود فيه ، وهى مبدأ طريق الســــالكين ، ومفتاح سعادة المريدين ، وشرط فى صحة السير الى الله تعالى .

فهى أول منازل السائرين الى اللـــه ســبحانه ، وأوسطها ، وآخرها ، فلا يفارق العبد السالك منزل التوبة ولا يزال فيه الى الممات ، وان ارتحـــل الى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به أيضا .

فالتوبة بداية العبد ونهايته ، وحاجته اليهـــا فى النهاية ضرورية ، كما أن حاجته اليها فى البداية كذلك ، وقد قال الله تعالى :

« **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُـونَ لَعَلَّـكُمْ تُفْلِحُونَ** » .

ففى هذه الآية خاطب الله تعالى أهــل الايمـــان وخيار خلقه أن يتوبوا ويستغفروه بعــد ايمـــانهم وصبرهم ، وهجرتم وجهادهم ، ثم عـــلق الفـــلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه وأتى بأداة « لعــــل » المشعرة بالترجى ، ايذانا بأنكم اذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح الا التائبون .

ولهذا قال ســبحانه : « **وَمَنْ لَـمْ يَتُبْ فَأُولَئِـكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** » .

وفى هذه الآية قسم العبــاد الى تائب وظـــالم وما ثم قسم ثالث وأوقع اسم « الظالم » على من لم يتب ، ولا أظلم منه ، لجهله بربه وبحقه ، وبعيب نفسه وآفات أعماله ، ففى الحديث الصحيح عنـــه صلى الله عليه وسلم قال :

« **يا أيها الناس ، توبوا الى الله ، فوالله انى لأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » .

وكان أصحابه رضى الله عنهم يعدون له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الغفور » مائة مرة .

وما صلى صلاة قط بعد اذ أنزلت عليه « **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْـتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** » الا قال فيها :

« **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى** » .

التوبة عن عباده

الأستاذ موسى محمد على

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لن ينجي أحدا منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » .

فصلوات الله وسلامه على أعلم الخلق بالله وحقوقه ، وعظمته وما يستحقه جلاله من العبودية ، وأعرفهم بالعبودية وحقوقها وأقومهم بها .

والتوبة لما كانت هى رجوع العبد الى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين الى صراط الذين أنعم عليهم ، وذلك لا يحصل الا بهداية الله الى الصراط المستقيم ، ولا تحصل هدايته الا باعانته وتوحيده ، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام ، وتضمنتها أبلغ تضمن ، فمن أعطى الفاتحة حقها ، علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية الا بالتوبة النصوح ، ذلك أن الهداية التامة الى الصراط المستقيم ، لا تكون مع الجهل بالذنوب ، ولا مع الاصرار عليها ، فان الاول جهل ينافى معرفة الهدى والرشاد ، والثانى غى ينافى قصده وارادته ، فلذلك لا تصح التوبة الا بعد معرفة الذنب ، والاعتراف به ، وطلب التخلص من سوء عواقبه .

يقول الامام النووى رحمه الله تعالى :

التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية ،

والثانى : أن يندم على فعلها ،

والثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا ، فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته ، فان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب « ا هـ » .

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

ومن شروط التوبة ترك قرناء السوء ، وهجر الأصحاب الفسقة الذين يحببون للمرء المعصية وينفرونه من الطاعة ، ثم الالتحاق بصحبة الصادقين الأخيار ، كي تكون صحبتهم سياجا يردعه عن العودة الى حياة المعاصي والمخالفات .

ولكي يتحقق الانسان بما يصحح له توبته لابد : وأن ينظر في الذنب الى ثلاثة أشياء :

الى انخلاعه من العصمة حين اتيانه ، وفرحه عند الظفر به ، وقعوده على الاصرار عن تداركه ، مع تيقنه نظر الحق اليه .

والمراد بالانخلاع عن العصمة : انخلاعه عن اعتصامه بالله تعالى ، فانه لو اعتصم بالله سبحانه لما خرج عن هداية الطاعة ، قال الله تعالى :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

فلو كملت عصمته بالله سبحانه وتعالى لم يخذله أبدا ، قال الله تعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » .

والمعنى متى اعتصمتم به تولاكم ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان ، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد ، وعداوتهما أضر من عداوة العدو من بني البشر .

فالنصر على هذا العدو أهم ، والعبد اليه أحوج ، وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله سبحانه .

ويحتمل أنه يريد الانخلاع من عصمة الله له ، وأنه انما ارتكب الذنب بعد انخلاعه من توبة عصمته ، فمتى عرف هذا الانخلاع وعظم خطره عنده ، واشتدت عليه مفارقته ، وعلم أن الهلاك كل الهلاك بعده ، وهو حقيقة الخذلان ، فما خلى الله بينك وبين الذنب الا بعد أن خذله ، وخلى بينه وبين نفسه ، ولو عصمه ووفقه لما وجد الذنب اليه سبيلا .

فقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان : أن يكل الله الانسان الى نفسه ويخلى بينه وبينها .

والتوفيق : أن لا يكله الله الى نفسه ، وله سبحانه في هذه التخلية ، بينه وبين الذنب وخذلانه حتى واقعته ، حكم بألفه وأسرار ، عجيبه .

وعلى الاحتمالين ترجع « التوبة » الى اعتصام العبد به سبحانه ، وعصمته له تعالى .

والفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها ، والجهل بقدر من عصاه ، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها ، ففرح الانسان بالمعصية غطى عليه ذلك كله ، وفرحه بها أشد ضررا عليه من مواقعتها .

والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدا ، ولا يكمل بها فرحه اطلاقا ، بل لا يباشرها الا والحزن مخالط لقلبه ، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به ، ومتى خلى قلبه من هذا الحزن واشتدت غبطته وسروره ، فليتهم ايمانه ، وليبك على موت قلبه ، فانه لو كان حيا لأحزنه ارتكابه للذنب ، وغاظه وصعب عليه ولا يحس القلب بذلك ، فحيث لم يحس به فما لجرب بميت ايلام .

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اذا ساءتك سيئة وسرتك حسنتك فأنت مؤمن » .

وهذه النكتة فى الذنب قل من يهتدى اليها أو ينتبه لها ، وهى موضع مخوف جداً مترام الى هلاك ، أن لم يتدارك بثلاثة أشياء .

خوف من الموافاة عليه قبل التوبة ، وندم على ما فاته من الله بمخالفة أمره ، وتشمير للجد فى استدراكه ، فان الاصرار والاستقرار على المخالفة ، والعزم على المعاودة ذنب آخر ، لعله أعظم من الذنب الاول ، وهذا من عقوبة الذنب ، انه يوجب ذنبا أكبر منه ، ثم الثانى كذلك ، ثم الثالث كذلك ، حتى يستحكم الهلاك والعياذ بالله سبحانه .

فالاصرار على المعصية معصية أخرى ، والقعود عن تدارك الفارط من المعصية اصرار ورضا بها ، وطمأنينة اليها ، وذلك علامة الهلاك ، وأشد من هذا كله : المجاهرة بالذنب مع تيقن نظر الله جل جلاله من فوق عرشه اليه .

فان آمن بنظره اليه وأقدم على المجاهرة فعظيم وان لم يؤمن بنظره اليه واطلاعه عليه فكفر وانسلاخ من الاسلام بالكلية ، فهو دائر بين الامرين : بين قلة الحياء ، ومجاهرة نظر الله تعالى اليه ، وبين الكفر والانسلاخ من الدين فلذلك يشترط فى صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرا اليه ، مطلعا عليه ، يراه جهرة عند مواقعة الذنب ، لأن التوبة لا تصح الا من مسلم ، الا أن يكون كافرا بنظر الله عليه جاحدا له ، فتوبته دخوله فى الاسلام ، واقراره بصفات الله جل جلاله .

وشرائط التوبة ثلاثة : الندم على ما فات ، والاقلاع عن الذنب ، والاعتذار عما وقع منه .

فحقيقة التوبة : الندم على ما سلف منه فى الماضى ، والاقلاع عنه فى الحال ، والعزم على أن لا يعاوده فى المستقبل أبدا .

والثلاثة تجتمع فى الوقت الذى تقع فيه التوبة . فانه فى ذلك الوقت يندم ، ويقلع ، ويعزم .

فحينئذ يرجع الى العبودية التى خلق لها ، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة ، ولما كان الرجوع متوقفا على تلك الثلاثة جعلت شرائط له .

أما الندم على ما فات : فان التوبة لا تتحقق الا به ، فمن لم يندم على القبيح ، فذلك دليل على رضاه به ، واصراره عليه ، وقد جاء فى حديث حسن « الندم توبة » .

وأما الاقلاع عن الذنب : فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب والاستمرار فيه .

وأما الاعتذار : ففيه اشكال ، فان من الناس من يقول : من تمام التوبة ترك الاعتذار ، فان الاعتذار محاجة عن الجناية ، وترك الاعتذار اعتراف بها ، ولا تصح التوبة الا بعد الاعتراف .

فتمام الاعتراف : ترك الاعتذار ، بأن يكون فى قلبه ولسانه : اللهم لا براءة لى من ذنب فأعتذر ، ولا قوة فأنتصر . ولكنى مذنب مستغفر ، اللهم لا عذر لى ، وانما هو محض حقك على ، ومحض جنايتى فى حقك ، فان عفوت والا فالحق لك .

والمراد بالاعتذار اظهار الضعف والمسكنة ، وغلبة العدو ، وقوة سلطان النفس وأنه لم يكن منه ما كان عن استهانة بحق الله سبحانه ، ولا جهلا به ، ولا انكار لطاعة المولى عز وجل ، ولا استهانة بوعده ووعيده ، وانما كان من غلبة الهوى ، وضعف القوة عن مقاومة مرض الشهوة ، وطمعا فى مغفرتك واتكالا على عفوه وحسن الظن به سبحانه ، رجاء لكرمه ، وطمعا فى سعة عطفه ورحمته ، فلا معونة على طاعته الا بتوفيقه .

وهو الذى يقبل
التوبة عن عباده

وهكذا يكون الاعتذار من العبد ، ويذكر من الكلام المتضمن للاستعطاف والتذليل والافتقار ، والاعتراف بالعجز ، والاقرار بالعبودية •

فهذا من تمام التوبة التى لا يسـلك سـبيلها الا الاكياس الفاروق الى ربهم عز وجـل بدينهم ، فان الله تعالى يحب من عبده أن يفر اليه •

وفى الحديث الصحيح «لا أحد أحب اليه العذر من الله » وان كان معنى ذلك الاعتذار هو كما قال فى آخر الحديث « من أجل ذلك أرسل الله الرسـل مبشرين ومنذرين » •

وقال تعالى : « فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُـذْرًا أَوْ نُذْرًا »

فانه من تمام عدله واحسـانه أن أعذر الى عباده ، وأن لا يؤاخذ ظالمهم الا بعد كمال الاعذار ، واقامة الحجة عليه فهو أيضا يحب من عبده أن يعتذر اليه . ويتنصل اليه من ذنبه ، وفى الحديث « من اعتذر الى الله قبل الله عذره » • فهذا هو الاعتذار المحمـود النـافع •

وأما الاعتذار بالقدر : فهو مخاصمة لله سبحانه ، واحتجاج من العبد على الله تعالى ، وحمل لذنبـه على الأقدار ، وهذا فعل خصـماء اللـه سـبحانه وتعـالى •

والمقصود : ان الاحتجاج بالقدر مناف للتوبة ، وليس هو من الاعتذار فى شىء ، وفى الحديث الاثر الصحيح •

ان العبد اذا أذنب ، فقال : يارب ، هذا قضاؤك ، وأنت قـدرت علـى ، وأنت حـكمت علـى ، وأنت كتبت على •

فيقـول الله عز وجـل له : وأنت عملت ، وأنت كسبت ، وأنت أردت واجتهدت ، وأنا أعاقبك عليه •

واذا قال : يارب : يارب ، أنا ظلمت ، وأنا أخطأت ، وأنا اعتديت ، وأنا فعلت •

فيقول الله عز وجل : وأنا قدرت عليـك وقضيت وكتبت ، وأنا أغفر لك •

واذا عمل حسنة ، فقال : يارب أنا عملتها ، وأنا تصدقت ، وأنا صليت ، وأنا أطعمت •

يقول الله عز وجل : وأنا أعنتك ، وأنا وفقتك •

واذا قال : يـارب أنت أعنتنى ووفقتنى ، وأنت مننت على ، فيقول الله : وأنت عملتها وأنت أردتها ، وأنت كسبتها •

فالاعتذار اعتذاران : اعتذار ينافى الاعتـراف ، فذلك مناف للتوبة وهو منهى عنه واعتذار يقـرر الاعتراف فذلك من تمام التوبة ومأمور به •

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجنـاية ، واتهام التوبة ، وطلب اعذار الخليفة •

والمراد بالحقائق : ما يتحقق به الشىء ، وتتبين به صحته وثبوته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة ان لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ... الحديث •

فأما تعظيم الجناية : فانه اذا استهان بها لم يندم عليها ، وعلى قدر تعظيمها يكون ندمه على ارتكابها • وتعظيم الجناية يصدر عن ثـلاثة اشـياء : تعظيم الامر ، وتعظيم الآمر ، والتصديق بالجزاء •

وأما اتهام التوبة : فلأنها حق عليه ، لا يتيقن أنه أدى هذا الحق على الوجه المطـلوب منـه ، الذى ينبغى له أن يؤديه عليه ، فيخاف أنه ما وافاها حقها ، وأنها لم تقبل منه ، وأنه لم يبذل جهده فى صحتها ، وأنها توبة علة وهو لا يشـعر بها ، كتـوبة أرباب

الحوائج والمحافظين على حاجاتهم ومنازلهم بين الناس ، أو أنه تاب محافظة على حاله ، فتاب للحال ، لا خوفا من ذى الجلال والاكرام . أو أنه تاب طلبا لراحة من الكد فى تحصيل الذنوب أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله ومنصبه ، أو لضعف داعى المعصية فى قلبه ، وخمود نار شهوته ، أو لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق ، ونحو ذلك من العلل التى تقدح فى كون التوبة خوفا من الله ، وتعظيما له ولحرماته ، واجلالا له ، وخشية من سقوط المنزلة عنده ، وعن البعد والطرد عنه ، والحجاب عن رؤية وجهه فى الدار الآخرة ، فهذه التوبه لون ، وتوبة أصحاب العلل لون آخر .

ومن اتهام التوبة أيضا : ضعف العزيمة ، والتفات القلب الى الذنب اللحظة بعد اللحظة ، وتذكر حلاوة مواقعته .

ومن اتهام التوبة : طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب ، حتى كأنه قد أعطى منشورا بالأمان ، فهذا من علامات التهمة .

ومن علاماتها : جمود العين ، واستمرار الغفلة ، وأن لا يستحدث بعد التوبة أعمالا صالحة لم تكن له قبل الخطيئة .

وبعد : فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات :

منها : أن يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبلها ،

ومنها : أنه لا يزال الخوف من الله مصاحبا له لا يأمن مكر الله تعالى طرفة عين ، فخوفه مستمر الى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه :

(**أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**) فهناك يزول الخوف ويحصل الامان .

ومنها : انخلاع قلبه ، وتقطعه ندما وخوفا ، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها ، وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى : لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم ، الا أن تقطع قلوبهم .

قال : تقطعها بالتوبة .

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه ، وهذا هو تقطعه ، وهذا حقيقة التوبة ، لأنه يتقطع قلبه حسرة وخوفا ، تقطع الآخرة اذا حقت الحقائق ، وعاين ثواب المطيعين ، وعقاب العاصين ، فلابد من تقطع القلب اما فى الدنيا واما فى الآخرة .

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضا : كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شىء . ولا تكون لغير المذنب ، لا تحصل بجوع . ولا رياضة ، ولا حب مجرد ، وانما هى أمر وراء هذا كله ، تكسر القلب بين يدى الله كسرة تامة ، قد أحاطت به من جميع جهاته ، وألقته بين يدى ربه طريحا ذليلا خاشعا ، كحال عبد جان آبق من سيده ، فأخذ فأحضر بين يديه ، ولم يجد من ينجيه من سطوته ، ولم يجد منه بدا ولا عنه غناء ، ولا منه مهربا ، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه فى رضاه عنه ، وقد علم احاطة سيده بتفاصيل جناياته ، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته اليه ، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده ، وذله وعز سيده .

فيجتمع من هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع ، ما أنفعها للعبد ، وما أجدى عائدتها عليه ، وما أعظم جبره بها ، وما أقربه بها من سيده ، فليس شىء أحب الى سيده من هذه الكسرة ، والخضوع والتذلل والاخبات ، والانطراح بين يديه ، والاستسلام له، فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال :

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده

« أسألك بعزك وذلى الا رحمتنى ، أسألك بقوتك وضعفى ، وبغناك عنى وفقرى اليك ، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديه ، عبيدك سواى كثير ، وليس لى سيد سواك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك قلبه » •

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة عند الله سبحانه ، فمن لم يجد ذلك فى قلبه فليتهم توبته وليرجع الى تصحيحها ، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة ، وما أسهلها باللسان والدعوى ، وما عالج الصادق بشىء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة • ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات الرجسية ، فى كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها ، ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها ، فعندهم — من الازراء على أهل الكبائر واحتقارهم ، وصولة طاعاتهم : ومنتهم على الخلق بلسان الحال ، واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم ، اقتضاء لا يخفى على أحد غيرهم ، وتوابع ذلك ، ما هو أبغض الى الله سبحانه ، وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك ، فان تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ، ليكسر بها نفسه ، ويعرفه قدره ، ويذله بها ، ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه ، فهى رحمة فى حقه ، كما أنه اذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح . واقبال بقلوبهم اليه ، فهو رحمة فى حقهم ، والا فكلاهما على خطر عظيم •

ولنا عبرة بالغة فى الحديث الصحيح المشهور الذى روى لنا فيه رسول الله عليه وسلم قصة قاتل المائة الذى أرشده أعلم أهل زمانه الى أن الله يقبل توبته ، واشترط عليه أن يترك البيئة الفاسدة التى كان لها الأثر الكبير فى انحرافه ، واجرامه ، ثم أشار عليه أن يذهب الى بيئة صالحة أناس مؤمنون صالحون ليحبهم ويهتدى بهداهم •

وبالله التوفيق ،

موسى محمد على

وأن تصوموا خير لكم

الأستاذ على عبد العظيم

فرض الله الصيام على المسلمين كما فرضه على الامم السابقة للاسلام قال تعالى « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (١) ولم يفرضه لتحملنا مشقة الجوع والعطش والحرمان فان آخر آيات الصوم : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (٢) وإنما فرضه الله لما فيه من صحة الأبدان وسمو الوجدان وحدة الأذهان ولما فيه من مكارم الاخلاق .

أما صحة الابدان فقد ثبت طبيا أن معظم أمراض الجسم ناتجة عن الجهاز الهضمى سواء كان فى صورة قرحة فى المعدة أو قرحة فى الامعاء أو تليف فى الكبد أو ضغط دم أو تصلب شرايين .. وان انعلاج الناجح لهذه الامراض هو فى الصيام وحسبنا ما ذهب اليه الدكتور مكفادن أبو الطب الطبيعى فانه درس الطب التقليدى وقال قولته المشهورة

(١) سورة البقرة ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة ١٨٥ .

وأن تصوموا خير لكم

« وددت لو أخذت كل الادوية الموجودة فى صيدليات العالم وقذفت بها فى المحيطات فان ضررها أكثر من نفعها » ونادى بتطبيق ما سماه بالطب الطبيعى وقاومه الاطباء ولم يمت حتى أصبح فى كل كلية طب فى العالم أستاذا للطب الطبيعى يطبق آراء مكفادن .

ويقول العلاج عنده على أساسين رئيسيين هما الصيام والرياضة البدنية فكان يصوم يومين من كل أسبوع ويمشى عشرين كيلو متر يوميا عشرة فى الصباح وعشرة فى المساء أما صومه يومين فى الأسبوع فيذكرنا بالسنة النبوية الكريمة فقد كان صلى الله عليه وسلم يصوم يومين كل أسبوع الاثنين والخميس غالبا وأما الرياضة البدنية فتؤديها صلاة التراويح فىليالى رمضان المباركة فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بالمسلمين فى بعض ليالى رمضان ثمانى ركعات غير صلاة العشاء والوتر ويكملون الصلاة فى بيوتهم ثم ترك الصلاة بهم خشية أن تفرض عليهم وصلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بالمسلمين صلاة التراويح فى ليالى رمضان وبلغ بها الى عشرين ركعة وفى عهد عمر بن عبد العزيز زيدت الى ست وثلاثين ركعة غير صلاة العشاء والوتر وقد سئل أبو حنيفة رضى الله عنه عن زيادة عمر فى صلاة التراويح فقال : « التراويح سنة مؤكدة ولم يتخرجها عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيها مبتدعا الا عن أصل لديه وعهد فى الرسول صلى الله عليه وسلم » .

وقد اسس مكفادن مستشفى خاصا يعالج المرضى فيه عن طريق الصيام وانتشرت هذه المستشفيات فى أرجاء العالم ومن المعروف طبيا ان الجسم يتغذى بالشحوم والدهون الذائدة عن الحاجة فيه وبهذا يتخلص الانسان من السمنة المفرطة ومن كثير من أسباب الامراض (١) .

وأعرف كثيرين من المرضى كانوا يذهبون الى مستشفى للطب الطبيعى فى المانيا فكان يعالجهم بالصيام وكانوا يعودون وقد نقصت أوذانهم وصحت ابدانهم وكانما نقص عمر كل منهم عشر سنوات وقد سمع مكفادن من بعض العسكريين ان الشباب لا يستطيع ان يهبط من الطائرة بالمظلة الواقية بعد سن الاربعين فتحدى القائل وهبط هو بالمظلة الواقية ــ وكان قد جاوز الثمانين ــ ونزل فوق نهر السين بفرنسا ونشرت جريدة الاهرام صورته وهو يهبط بالمظلة الواقية فى حينها .

والسمنية مرض يصيب الاجسام بأفدح الاضرار وحسبنا ما رواه البيهقى فى شعب الايمان من قول الرسول صلى الله عليه وسلم **« ان الله يكره الحبر السمين »** وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه **« اياكم والبطنة فى الطعام والشراب فانها مفسدة للجسد مورثة للفشل مكسلة عن الصلاة وعليكم بالقصد فيها فانه أصلح للجسد وأبعد عن السرف وان الله ليبغض الحبر السمين »** وروى أحمد والحاكم والبهيقى عن جعدة الجسمى ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل سمين فأومأ الى بطنه وقال : لو كان هذا فى غير هذا المكان خير لك . وقال الامام الشافعى : ما أفلح سمين قط ولا شىء يمنع السمنة ويحفظ للجسم اعتداله ورشاقته مثل الصيام هذا من حيث اثر الصيام فى صحة الابدان .

---

(١) قال الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية من كتابه الكريم هى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وللطبرانى فى الاوسط من ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم وعن عائشة أم المؤمنين الأزمة (الحمية) دواء،والمعدة داء وعود وا لدنا ما اعتاد » .

أما اثر الصيام فى سمو الوجدان فحسبنا آن الصائم يشعر بالحرمان فيرق قلبه لكل محروم فيعطيه مما أعطاه الله ، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم مشهورا بالكرم وكان أكرم ما يكون فى شهر رمضان وبخاصة اذا عارضه جبريل بالوحى والصيام يصل الانسان بربه فيخشع ويخضع ويحس بلذة القرب من ربه وهو واثق من ان الله سيجزل له العطاء ، ويرفعه درجات ودرجات روى أحمد ومسلم والنسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : قال الله عز وجل : **« كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة (أى مانع من المعاصى) فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث (أى لا يفحش فى قول أو عمل) ولا يصخب ولا يجهل فان شاتمه أحد أوقاتله فليقل : انى صائم مرتين والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم (رائحة فمه) أطيب عند الله من رائحة المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما اذا فطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه »** •

وفى رواية للبخارى : « يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر امثالها » •

وروى أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان »** •

فاذا امتلأ قلب المؤمن بهذه المشاعر السامية رضى عن الله ورضى الله عنه فسمت مشاعره وذكا وجدانه وطابت نفسه وأحس فى قرارة نفسه انه ممن قال الله فيهم **« يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي »** (١) •

هذا من حيث سمو الوجدان أما من حيث حدة الاذهان فمن المعروف طبيا أن الانسان حينما يستغرق فى التفكير يندفع الدم الى خلايا مخه فيعاونه على حل المشكلات وادراك المستعصيات ، أما اذا امتلأت معدته بالطعام فان القلب يدفع الدم الى المعدة ليعاونها على افراز الاحماض التى تساعد على هضم الطعام فيتبلد الذهن ويستعصى عليه التفكير وقد يستغرق فى نوم عميق وقديما قالوا « البطنة تذهب الفطنة » •

فأنسب وقت للتفكير العميق يكون — والانسان صائم ومعدته خالية من الطعام ومن هنا يفيد الصيام صاحبه فى حدة ذهنه وجودة تفكيره • وأما مكارم الاخلاق فلا شىء يهذب الاخلاق مثل الصيام فان الصيام يكون بين يديه وفى متناوله أشهى الطعام وأعذب الشراب ولايراه أحد ، ولكنه يوقن أن عين الله تراه فيتحمل بأمانه تامة لذعة الجوع وشدة العطش مراعيا مع الله الامانة التامة واثقا من وعد الله الذى حمل الانسان الامانة حينما أشفقت فى حملها الأرض والجبال والسموات قال تعالى : **« إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا »** (٢) فيحرص كل الحرص على التزام الامانة والتخلق بها ليكون جديرا بحملها مؤمنا بما رواه أحمد وابن حبان عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له »** • ومارواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر : **« لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن**

---

(١) سورة الفجر ٢٦ — ٣٠
(٢) سورة الأحزاب ٧٢ •

لا صلاة له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسـد » .

واذا كان الله قد أرسل رسـوله ليقيم صرح الاخلاق شامخا باذخا فان مكارم الاخـلاق تتجلى بأسمى صورها فى الصيام ، قال صلى الله عليه وسلم **« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » (١) ومن مكارم الاخلاق ان يعف الصائم عن اللجاج والعناد والخصام** كما يروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسـلم **« الصيام جنة فاذا كان أحدكم صـائما فلا يرفث ولايجهل فان أمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم ، انى صائم » .**

ومن هنا كان الصيام مدرسة تصحح الاجسام وترقق الوجدان وتشحذ الاذهان وتسـمو بمكارم الاخلاق ، وكان جزاؤها عند الله خير جزاء روى أحمد والنسائى والحاكم عن أبى امامة الباهلى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرنى بعمل يدخلنى الجنة قال عليك بالصوم فانه لا عدل له، ثم اتيته الثانية فقال عليك بالصيام » .

وروى الشيخان عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« ان للجنـة بابا يقال له الـريان يقال يوم القيامة : أين الصائمون ؟ فاذا دخـل آخرهم أغلق ذلك الباب » .**

ولا ينتهى شهر الصيام حتى يكون الصائم قـد اكتسب دربة صحح بها جسمه وطهر وجدانه وأطلق لفكره العنان وأتم مكارم الاخلاق واستحق بذلك رضاء الله ورضوانه وتطهر من ذنوبه وآثامه وكفر الله بها عنه ما عسى ان يكون قد وقع فيه من ذنوب ، روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » .** وروى أحمد والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ممـا كان ينبغى ان يتحفظ منه كفر ما قبله » وروى أحمد وأصـحاب السنن عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » والصائم حريص على أن يفوز برحمة ربه فيلتزم اتباع أوامره واجتناب نواهيه والتزام مكارم الاخلاق عالما أن بعض الصائمين لا يجنى من صيامه الا الجوع والعطش ومن قيامه الا السهر والتعب ويذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم . فيما رواه ابن خزيمة وابن حبان : « ليس الصيام من الاكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث فان سابك أحد أو جهل عليك فقل انى صائم انى صائم » وروى البخارى والترمذى وغيرهم عن أبى هرير عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قـول الـزور والعمل بهفليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» وروى النسائى وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » واذا أدرك الصائم هذا والتزم به فانه يكسب تعود الصبر واحتمال الاذى والدقة فى أداء الواجب عليه ويفوز بالاجر الجزيل .

وينتهى شهر رمضان وقد تطهر من آثامه وذنوبه وفاز بالاجر العظيم والثواب الجزيل .

نسأل الله أن يعيننا على أداء الصيام تاماً كامـلا وأن يرزقنا الرضاء والقبول انه سميع مجيب .

على عبد العظيم

(١) رواه البخـارى فى الادب والحـاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان .

صوم رمضان وليلة القدر

مصطفى محمد الحديدى الطير

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

البيــــان

يخاطب الله اليهود فى التوراة بقـــوله : يأيها المساكين ، ويخاطب النصارى فى الانجيل بقـوله : يا أبناء الماء والطين ، ويخاطب المسلمين فى القرآن بقوله : « يأيها الذين آمنوا » فى نيف وثمانين موضعا منه ، وهو نداء يمنح الأمة المحمدية الكرامة ويقتضى الاعتزاز ، فنحن أمة مؤمنة بالحق ، لانجادل فيــه بالأباطيل ، وحينما يخاطبهم بذلك ، يدعوهم بهـذا النداء الحبيب الى تلقى مايكلفهم به بعد بحسـن القبول بمقتضى صفة الايمان ، وقد بين الله فى الآية الأولى أنه فرض الصيام على المؤمنين برســالة القرآن ، لما فرضه عـلى من سـبقنا من أهـل الأديان ، وتختلف كيفيته ووقته وعدد أيامه تبعـا لاختلاف الرسالات ، ولكنه فى جميع صوره يفيـد الجسم ، ويعيد الى أجهزته النشاط والصحة ، ويمنع

النفس من غشيان ملذاتها الآثمة ، ويمنحها الصبر وقوة العزيمة وبر الفقراء ، وحب الخير .

ويمتاز الصوم فى الاسلام بالامتناع التام عن الطعام والشراب ومباشرة النساء ، من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ، ولكنك تراه فى بعض الأديان امتناعا عن الأطعمة الحيوانية فحسب مع اباحة سواها ، ولهذا كان الصوم فى الاسلام أكثر فائدة للجسد والروح منه فى هذه الأديان ، لما فيه من اراحة تامة لأجهزة الهضم طول النهار لمدة شهر كامل ، مع الارتباط ووحيا بالملأ الأعلى ، وصفاء النفس وتمام استعدادها لتلقى فيوضات الحق تبارك وتعالى .

وبالجملة فالصيام فى الاسلام فيه سمو للروح ، وصحة للجسد ، فيه يتخلص بعض المرضى من أمراضهم أو يخففون من حدتها ، كما أن فيه الشعور بعوز الفقير وحرمانه ، فاذا ذاق مشقة الحرمان أدرك كيف يكون أثره على سواه ، ولهذا قال تعالى فى بيان حكمته « لعلكم تتقون » أى تحذرون الله وتخافون ، ومن خاف الله تعالى التزم المعروف وانتهى عن المنكر .

ولذا قال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة — أى مؤنة الزواج — فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحض للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فانه له وجاء » أى وقاية من الفحشاء وهذا الحديث رواه الشيخان — البخارى ومسلم .

متى يحقق الصوم آثاره

لايحقق الصوم آثاره جسدا وروحا ، الا اذا اعتدلت وجبتا الافطار والسحور نوعا وكما ، أما ما عليه أكثر الصائمين من حشد كميات هائلة من الطعام الدسم والحلو والشراب المختلف الألوان ، وازدراء الكثير منها فى المعدات الخاوية حتى تمسى مشدودة متوترة ، فذلك أمر مناف لحكمة الصوم ، بعيد عن تحقيق أهدافه ، وقد يؤثر على القلب بسبب ضغط المعدة المكتظة على الحجاب الحاجز ، فيضغط بدوره على القلب ، ويحرمه من الحركة الرتيبة المنتظمة ، وقد يؤدى بأصحاب القلوب الضعيفة الى الموت ، وأقل أضراره سوء الهضم وفساد الطعام داخل الأمعاء والغثيان .

فالصائم يحسن الى نفسه ان اعتدل فى فطوره وسحوره كمية وكيفية ، وينال بركة ذلك وأثره الجميل من النشاط والحيوية وسلامة الجهاز الهضمى ، والخروج من شهر رمضان مستريحا بادى الهمة مقبلا على شهور الافطار بجهاز سليم نشيط ، بسبب الراحة التى نالها فى نهاره شهرا كاملا ، مع الاعتدال فى وجبتى الافطار والسحور .

أثر الصيام فى رأى عالم غربى

يقول الدكتور ألكسيس كاريل . الحاصل على جائزة نوبل فى الطب : ان كثرة وجبات الطعام ووفرتها ، تعطل وظيفة لعبت دورا هاما فى بقاء الأجناس البشرية ، وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام ، فلقد كان الناس فى الزمان الغابر ، يلتزمون الصوم فى بعض الأوقات ، وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك ، يفرضونه على أنفسهم بارادتهم ، وان كافة الأديان توجب الصيام على الناس ، وذلك للابقاء على كمال الوسط الداخلى وسلامة الانسان ومتانته ، لأن الصوم ينظف ويبدل أنسجتنا .

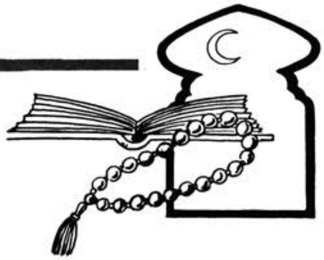

بعض الأمراض التى يعالجها الصوم

ثبت طبيا أن الصوم يعالج كثيرا من الامراض ومنها ارتفاع ضغط الدم ، ومرض القلب اذا صاحبه تورم ، والتخمة وامتلاء الجسم شحما ولحما ، وبعض حالات البول السكرى والاملاح وغير ذلك ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا » .

الصوم الاجبارى

ألا وأن الطبيعة خير شاهد على أن الصيام علاج ناجح للجسم العليل ، وبخاصة اذا كان منشأ مرضه الجهاز الهضمى ، فان الانسان اذا مرض عاف الطعام وكرهه ورفضه ، فهذا صيام اجبارى أوجبته طبيعة الانسان وفطرته التى فطره الله عليها، وأحيانا يكون هذا الصيام مسبوقا بحالة تقايؤ ، مبالغة من الفطرة فى تنظيف الجهاز الهضمى من السموم التى أحدثها التخمة وفساد الطعام ، بسبب عدم قدرة المعدة على هضمه ، لتكون الحمية بعد هذا التطهير مفيدة ومنعشة للجهاز الهضمى ، بعد أن أصابه الكلال والاعياء ، وهذا دليل على أن الصيام عن الطعام عامل هام من عوامل العلاج ، أقامته الفطرة التى فطر الله عباده عليها .

الحيوان يصوم

ما أكثر غفلة المفطرين عن فضل الصيام الذى عرفته الحيوانات بفطرتها فلجأت اليه ، فهذه الثعابين تنقطع عن الطعام شهرا كاملا ، وذلك حين ترقد حياتها على البيض ، وهذه الابل تزهد فى الطعام فى معظم فصل الربيع ،ولا تأكل حتى يدفعها أصحابها الى الأكل ، والدجاج بأنواعه يصوم أثناء رقاده على البيض ، فلا تأكل الدجاجة الا يسيرا ثم تسرع الى مرقدها .

وفى حديقة الحيوان بلندن ضب يمكث أربعة أشهر لايتناول فيها طعاما ولا شرابا ، الى غير ذلك من الحيوانات التى تصوم بحكم الغريزة التى تدفعها الى السلوك الأقوم للحفاظ على صحتها .

الفوائد الروحية والاجتماعية

وللصيام فوائد روحية واجتماعية عظيمة ، فهو ينقل النفس من الهبوط المادى الى السمو الروحى ، ولذا تجد الصائمين أصفى نفسا وأقوم سبيلا من أولئك المفطرين ، انك تجد الصائمين يحبون الخير ، ويعزفون عن الشر ، ويغضون أطرافهم عن المحارم ، ويبتعدون عن المآثم ، ويبذلون المعروف ، ويغيثون الملهوف ويحفظون ألسنتهم من تسقط الكلام ، ويتخلقون بالصبر وقهر النفس حتى نستقيم على الجادة الآمنة وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم « لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » ومعنى كون الصيام زكاة الجسد أنه يطهره من الأمراض الحسية والمعنوية .

ويقول شوقى أمير الشعراء : الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة يعود الناس الصبر ، ويعلمهم خلال البر ، فاذا جاع من ألف الشبع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه اذا لذع .

ليلة القدر خير من ألف شهر

ليلة القدر ما هى الا ليلة من ليالى الزمان ، ولكن الله تعالى خصها بمزيد من القدر والشرف فأنزل فيها القرآن ، ورفعها بذلك فوق أقدار الزمان ، وجعلها موسما للعبادات ، وميقاتا للبر والخيرات ، ينتظرها الصائمون كل عام ، ويحتفل المسلمون بها فى أنحاء الأرض ، تمجيدا للقرآن الذى شرفت بنزوله فيها ، ويستكثرون من العبادة والدعاء وقراءة القرآن فى زلف منها ، راجين من الله تعالى أن يتقبل منهم ، ويجعلها خيرا وبركة عليهم ، وفى شأنها يقول الله تعالى « **انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** » .

فشرف هذه الليلة ناشىء عن نزول القرآن العظيم فيها ، ولولاه لكانت مثل سائر الليالى ، فالزمان فى ذاته عند الله سواء ، وكيف لاتتشرف به ليلة القدر وهو أغلى كلام من أجل متكلم ، نزل على أكرم رسول ، ليبلغه خير أمة أخرجت للناس .

وقد فخم الله القرآن بالاضمار اليه بقوله « **أنزلناه** » من غير سابق تصريح باسمه ، ايذانا بحضوره فى الاذهان لجلال منزلته ، وزاده تعظيما بتعظيم ليلة نزوله ، وذلك بقوله « **وما أدراك ما ليلة القدر** » فانه يشير الى أنها بلغت من الفخامة وجلالة القدر درجة فاقت دراية كل من يصلح للخطاب من المكلفين ، وقد عقب الله ذلك بقوله « **ليلة القدر خير من ألف شهر** » ولاشك أن فخامتها ليست ذاتية بل بسبب نزول القرآن فيها كما تقدم وحسبك فى الدلالة على عظمة القرآن الذى شرفت بنزوله فيها ليلة القدر قوله تعالى فى شأنه « **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** » وقد بقى هذا التحدى الى يومنا هذا ولم يستطع أعداؤه أن يأتوا بمثله ولا بمثل سورة منه ، وسيبقى هذا العجز الى يوم القيامة وذلك خير دليل على أنه المعجزة العلمية الباقية بقاء الزمان ، المؤيدة لرسول القرآن ، بعدما فنيت معجزات الأنبياء السابقين ، وأصبحت أخبارا تروى .

انزال القرآن ليلة القدر

يرى بعض المفسرين أن القرآن كله نزل ليلة القدر من العام الأول للبعثة ، الى السماء الدنيا ، لكنه نزل بعد ذلك منجما حسب أحداث الرسالة فى مدى ثلاث وعشرين سنة ، ويرى آخرون أنه لم ينزل دفعة واحدة ليلة القدر المذكورة ، ولكنه ابتدأ نزوله فيها، وتتابع نزوله بعد ذلك مدة البعثة النبوية .

موعد ليلة القدر

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الاخير من رمضان ، وأكثر هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين منه ، وحجتهم فى ذلك ماورواه مسلم عن ابن عمر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » .

ومن طرائف الاستنباط أن كلمات السورة ثلاثون

وأن كلمة (هى) فى قوله تعالى « سلام هى » راجعة الى ليلة القدر ، وهى الكلمة السابعة والعشرون فيها ، وذلك يشير الى أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعد لها فيعتكف فى المسجد فى العشر الأخير من رمضان ، قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير شد مئزره ، وأحيا ليله وأيقظ أهله » والمئزر مايستر العورة ، وشده كناية عن الجد فى العمل .

وقد ورد فى تحديد وقتها روايات أخرى ، وأقواها فى أوتار العشر الاخير من رمضان ، ولعل اختلاف الروايات ليتعدد طلب العبد لها بالعبادة فى الليالى التى وردت فيها .

لماذا سميت ليلة القدر

القدر فى اللغة بمعنى الشرف ، فتسميتها بليلة القدر لشرفها بانزال القرآن العظيم فيها . وقيل أسميت بذلك لان الله ينزل مقادير الأمور فى العام المقبل ليلتها ، فينزل فيها آجال العباد وأرزاقهم ، ومقادير الرياح والأمطار والحروب والسحاب ، ورحلات الطيور والحيوانات ، والمواليد والوفيات وغير ذلك ، ليقوم مدبرات الأمور بتنفيذها فى مواقيتها ، وفيها يقول الله تعالى فى سورة الدخان « **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** » وقيل للحسين بن الفضيل : أليس الله قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض ، قال بلى ، قيل فما معنى ليلة القدر ، قال : سوق المقادير الى المواقيت ، وتنفيذا لقضاء المقدر — وقيل سميت بذلك لأن الطاعة فيها لها قدر وجزاء كبير .

لماذا كانت خيرا من ألف شهر

قيل كانت خيرا من ألف شهر ، لأن العمل فيها يكون خيرا منه فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ونسبوا الى ابن عباس أنه قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال: يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلهم أعمالا، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر الى يوم القيامة :

وما نظن أن ذلك يصح صدوره عن ابن عباس ، فان آجالنا ليست اقصر من آجال بنى اسرائيل ، وليس مقبولا أن واحدا منهم يحمل السلاح ثلاثا وثمانين سنة وثلثا ، لطول المدة من جهة ، ولأنهم هم الذين قالوا لموسى عليه السلام حين دعاهم لقتال الجبارين « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » ولأنه لو كان قيام ليلة القدر يغنى عن الجهاد ألف شهر لتعرض الاسلام لخطر كبير .

والحق أن هذه الليلة وان كان يعظم فيها قدر الأعمال ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »

رواه البخارى ومسلم ، لكن رفعة شأنها الى أفضل من ألف شهر ، جاءها من أن القرآن العظيم أنزل فيها ، فهى خير من ألف شهر لم ينزل فيها القرآن فانك لو قارنت بين هذه الليلة وبين العصر الجاهلى قبلها ، لوجدت ذلك حقيقيا لا مبالغة فيه ، فقد كان الناس يعيشون فى حروب متتابعة ، ووثنية واهنة ، وانحراف فى السلوك ، واهدار للأعـراض ومكارم الأخلاق وجهالة ضافية الذيول ، فلما جاءت ليلة القدر المباركة نزل فيها القرآن الذى فتح أبواب الاستقرار والتعايش السلمى ، على أساس من وحدة الألوهية، وتبادل النفع والخير والمحبة والسـلام ومكارم الأخلاق الى غير ذلك مما جاء به القرآن العظيـم ، فكيف لا تفضل تلك الليلة بالقرآن ألف شـهر من أزمان الجاهلية ، أفليست ليلة الشفاء خيرا من ألف شهر يقضيه المرء عليلا مهدما •

تنزل الملائكة والروح فيها

يقول الله تعالى « **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** » والروح هو جبريل رئيس الملائكة وأمين الوحى ، ويدل لذلك قوله تعالى « **نَـزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ** •• » الآية وقيل أنهم صنف أعلى من الملائكة ، وهم حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا •

ومعنى الآية : تتنزل الملائكة على دفعات بأمر ربهم من أجل كل أمر قضاه الله ، لينفذوه فى حينه بعد أن تلقوه من ربهم سبحانه •

سلام هى حتى مطلع الفجر

أى أن هذه الليلة هى ليلة السلام ، ففيها يسلم الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، ويسالم الله عباده ، فلا يعاجلهم بالعقوبة على ذنوبهم لعلهم يتوبون منها ، ويتجاوز عن معاصيهم السـابقة اذا أحيوها بالطاعة ، وتبقى كل من تنزل الملائكة والسلام حتى مطلع الفجر •

من يحرز فضلها

يحرز فضلها من أحياها بالقيام ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسـابا غفر له ماتقدم من ذنبه » من حـديث أخـرجه الشيخان •

ويستحب قيام العشر الأخير من رمضان ــ كمـا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، واحياء هذه الليالى يكون بالصلاة والدعاء وقراءة القـرآن والسنة فى وقت منها ، فلا ينام الليل كلـه ، وروى مرفوعا عن طريق أبى هريرة أن من صلى العشـاء الأخيرة فى جماعة ، فقد أدرك ليلة القدر ــ أى أخذ حظا منها ــ •

والامام النووى يرى أن من أحياها لايحرز فضلها بمجرد احيائها ، بل بأن يطلعه الله عليها ، بأن يريه بعض ملكوته ، فلو لم يشعر بها لم يدرك فضلها ، وخالفه الأوزاعى والمتولى ، حيث قالا : ان فضـلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى ، وفق الله المسلمين لاحيائها ، وأنالهم من بركاتها •

مصطفى محمد الحديدى الطير

رأى الدين والقانون والإقتصاد

فيما ورد بمقال

"ماذا لو قالت المحكمة الدستورية العليا: لا للفائدة المصرفية"

بجريدة الجمهورية

جاء فى المقال « تنظر المحكمة الدستورية العليا من أخطر القضايا المالية قضية المادة ٢٢٦ من القانون المدنى التى تحدد الفوائد على الديون وان المضاعفات السلبية لعدم الاعتراف بالفائدة لايمكن حصرها وستضيع الحقوق ويتوقف دولاب العمل (وهروب الودائع) والعلماء منهم من يقول انها ربا محرم والبعض يقول أنها ربا وليست محرمة ونادى المقال بالبحث عن البديل قبل هدم النظام المصرفى فضلا عن أن الاقراض (بالربا) اختياريا وليس اجباريا ٠

بقلم زكريا عامر

المحامى بالنقض
بجامعة الأزهر الشريف

رأى الدين والقانون والاقتصاد

وبحمد الله تعالى اطمئن الذين يزعجهم تصحيح الاوضاع الاقتصادية طبقا لشريعة الاسلام وأهدىء من روع الذين يفزعهم احترام الدستور ويتهيبون من تنفيذ تعاليم الاسلام وان الربا تحرمه كافة الشرائع السابقة على الاسلام ويحرمه الاسلام وتحرمه كافة القوانين ولن يهتز الاقتصاد المصرى بالابتعاد عن الربا وأكبر شاهد على ذلك ازدهار وانتشار البنوك الاسلامية •

ومما لا جدال فيه أن الاعمال المصرفية هى محور وعصب النشاط الاقتصادى فى كل دولة وتسلم بذلك وفى نفس الوقت لا تسلم أبدا بأن الربا فيها ضرورة لهذه الاعمال المصرفية ذلك أن الله جل جلاله الذى حرم الربا لم يترك أمر الناس سدى بل شرع لهم من الحلال ما يغنيهم عن اللجوء للحرام وأن المقال وقد سار على منهج أرترلنج الذى يرى أن الربا أساس الحياة الاقتصادية كما جاء فى كتابه التطور الرأسمالى فى حين أن الربا محرم ففى المؤتمر القانونى الاسلامى بباريس فى ١٩٥١/٧/٧ يحدثنا الدكتور محمد عبد الله دراز عن قانون وضعه الملك بوخوريس من ملوك الفراعنة الاسره ٢٤ حرم الربا وفى التوراه التى بين ايدينا سفر التثنية لا تقرض أخاك بربا وفى الانجيل الذى بين أيدينا انجيل لوقا افعلوا الخيرات واقرضوا غير منتظرين عائدها وقول سكوبار وهو الاباء اليسوعيين ان من يقول ان الربا ليس معصية يعد ملحدا خارجا عن الدين وأن الشريعة الاسلامية أجمع فقهاؤها على أن قول الله تعالى « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » تفيد تحريم ربا الفضل وربا النسيئة • وربا النسيئة تأجيل دفع الدين الى المدين بالثمن هو ذات الربا النسيئة وهو ربا الجاهلية فكان الدائن يقول للمدين عند حلول أجل الدين « أتقضى أم تربى » فيزيد أصل الدين بسبب هذا الاجل ويقع ربا النسيئة (أعلام الموقعين جـ٢ صـ ٢٠١) الموافقات للشاطبى (جـ٤ صـ ٤٥) (جمع البيان جـ٣ صـ ٦٧) (الدر المنثور لجلال الدين السيوطى جـ ٢ ص ٧١) وقد نقل الينا اجماع الفقهاء على تحريم ربا النسيئة فضلا عن تحريم ربا الفضل صاحب المغنى قال فى مؤلفه وهو العلامه المغنى لابن قدامة كتابه المسمى بالمغنى جـ ٤ ص ١٢٣ الربا على ضربين ربا الفضل وربا النسيئة وأجمع أهل العلم على تحريمهما وفى ضرر الربا يقول الامام القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن جزء ٣ ص ٣٦٢ ينقل عن ابن عباس فى قوله تعالى «يمحق الله الربا لا يقبل منه صدقة ولاحجا ولا جهادا ولا صلة ويرى الزمخشرى فى مؤلفه الكشاف جـ ١ ص ٣٥٧ أن الآية فى تغليظ أمر الربا ايذانا بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين صدق الله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِتَّقُوا اللَّـهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين**) فترك الربا من دلائل الايمان (**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**) •

الربا ضد الاقتصاد :

وان علماء الاقتصاد يقررون ان الربا يفسد المجتمع مما يضفيه عليه من مادية مسرفة خالصة فالفقير يفرط تحت ضغط الحاجة والغنى يستثرى من فيض ماله الذى يتزايد فتهون الاعراض وتنحل الاسر (اندريه يسيجفريد الفرنسى وآرثر لنك الامريكى وارثر ستريت وغيرهم كثيرون ص ٩٢ وضع الربا فى البناء الاقتصادى للدكتور عيسى عبده) •

راى مجمع البحوث فى الربا : .

وأن مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمره الثانى فى المحرم سنة ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ جاء بقرارات وتوصيات وقرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلى : —

الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين وان كان كثير الربا وقليله حرام لان الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة .

هذا لان الاسلام كما يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهره يدعو الى نظام اقتصادى يقوم على منع الربا لان الربا من شأنه أن يجعل رأس المال منتجا من غير عمل عامل بل من غير تحمل لتبعة العمل واذا ساد وجدت طائفة من الناس يتخذون التعطيل سبيلا ويأكلون ثمرات غيرهم والدكتور عبد الحميد الغزالى استاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة يقول « ان النظام المصرفى يقوم على أساس السيولة والأربحية والتركيز على احدهما دون الاخر يؤدى الى فشل القيام بالعمل المصرفى فاذا ركز على السيولة أدى ذلك الى الانخفاض المتزايد فى أرباحه مما يؤدى الى عدم تحقيق هدفه الاساسى كمشروع اقتصادى (خدمات مصرفية) واذا ركز على الاربحية كان ذلك على حساب السيولة مما يؤدى الى عدم امكانية الوفاء بالتزاماته قبل المودعين وبالتالى يفقد الثقة يقوم أصلا العمل المصرفى على أساسها واذا فقد الثقة من قبل المودعين ادى ذلك الى افلاسه ولكن الصيغة الاسلامية للعمل المصرفى تأخذ فى الاعتبار هذا التوازن الاحساس الذى يقوم عليه الفن المصرفى فهذه الصيغة تؤسس على جمع رأس المال والعمل فى تزاوج انمائى مطرد وليس على أساس جمع رأس المال ، ورأس المال كما يتم بالنسبة للمصاريف الربوية حيث تقترض وتقرض رأس المال بالفائدة الربوية أما الصيغة الاسلامية فانها تعمل وفق عقد المضاربة الاسلامية أو القراض فى صورة مشروعات استثمارية وفقا لمبدأ الاشتراك فى المخاطر وفى الارباح وفى الخسائر » وبهذا لا يكون هناك أحقاد بين الطرفين المشتركين فى المشروع ولا توجد أضرار الربا الذى يقوم على اثراء الغنى من دم الفقير ولا أن يكون القرض الاستهلاكى بقصد الحصول على أكبر ربح ممكن من مشروعات مربحة بصرف النظر عن المشروعات ذات الصالح العام للجماعة مهما كانت مشروعات تحتاج الى قروض استثمارية تمس حاجة الشعب الاساسية فان القروض الاستثمارية لاتنظر الا الى الربح لا الى المصلحة .

راى الدستور المصرى :

وأن دستور البلاد وقد نص على الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع فاننا نجد فى مضبطة جلسات مجلس الشعب التاسعة فى فقرتها ١٦ هذا النص (نص المادة الثانية من الدستور الذى قضى بأن مبادىء الشريعة الاسلامية السمحاء ليبحث فيها عن بغيته وبذلك يسد الباب أمام نقل النظم الاجنبية فى كافة المجالات التشريعية والسياسية والاقتصادية .

حظر التعامل بفوائد التاخير :

ومن هذا المنطلق وضع مشروع بقانون فى مجلس الشعب فى شأن حظر التعامل بفوائد التأخير نص فى مادته الاولى على أنه لا يجوز الاتفاق على تقاضى فائدة سواء كان ذلك فى تقابل تاخير الوفاء ام فى اى حالة اخرى .

المادة ٢٢٦ مدنى تحتوى على الربا :

وأنه بالاطلاع على مذكرة المشروع التمهيدى

للمادة ٢٢٦ مجموعة الاعمال التحضيرية صـ ٥٨٤ الجزء الثانى « تعترف هذه المذكرة بأن المادة ٢٢٦ مدنى موضوع هذه القضية بعدم دستوريتها تحتوى على ربا تستنكره مذكرة المشروع وتتجه لمناهضته وهذا هو النص المكتوب فى المشروع التمهيدى » تستحق فوائد التأخير من تاريخ رفع الدعوى فحسب تمشيا مع النزوع الى مناهضة الربا واستنكاره وعبارة مناهضة الربا واستنكاره دليل قاطع على أن المادة ٢٢٦ مدنى تحتوى على ربا محرم شرعا وهناك اتجاه الى مناهضة الربا واستنكار هذه المادة «وفضيلة الشيخ جاد الحق على مفتى الديار الاسلامية أفتى بأن فوائد التأخير ربا نسيئة محرم شرعا (جريدة الاهرام فى ٢٦ يناير ١٩٧٩) وكما أفتى مجمع البحوث الاسلامية بناء على طلب رسمى مقدم من جامعة الازهر بخصوص الدفع بعدم دستورية المادة ٢٢٦ أفتى بأن هذه المادة تحتوى على ربا نسيئة محرم شرعا وقدم هذا الى المحكمة الدستورية أثناء تداول الجلسات وأن الدكتور عبد الناصر العطار فى مؤلفه نظرية الأجل فى الالتزام ص ٢٨٧ يقرر أن الفوائد الربوية بنوعيها تتعارض مع الاصول القانونية ولا تستقيم مع مبادىء العدالة ذلك أن الربا عقد على منافع موهومه وغير معلومة المقدار واذا تم العقد على محل محتمل الوجود وغير معلوم المقدار أضحى باطلا وكذلك كان الربا .

رأى علماء القانون الدستورى :

وأن الدكتور رمزى الشاعر فى كتابه النظرية العامة للقانون الدستورى صـ ٣٠٨ طبعة ٧٩ وهو وضع المخالفة الموضوعية للدستور يقول « قد يأتى التشريع مستوفيا لشكل الواجب اتباعه طبقا للدستور وصادرا عن السلطة المختصة المحددة فى الوثيقة الدستورية الا أن هذا لا يكفى لاعتباره دستوريا اذ يجب لكى يكون كذلك الا يكون مخالفا فى موضوعه قاعدة دستورية حددها المشرع أو متجاوزا فى غايته روح الوثيقة الدستورية ومن هذا يبين بوضوح أن مبادىء الشريعة الاسلامية قواعد دستورية بعد التعديل الدستورى يجعل الشريعة المصدر الرئيسى للتشريع وفى نفس الوقت الوثيقة الدستورية نصت على ان روح هذا الدستور فى هذا التعديل هو الارتباط الروحى والتشريعى بالشريعة الاسلامية وقول الله تعالى « **وأحل الله البيع وحرم الربا**» هى آية قرآنية وقاعدة دستورية فضلا عن أن الآية القرآنية هى دستور الدساتير وفوق كل دستور لان الدستور قد يغيره الشعب ولكن حكم الله هو الذى يغير الناس بآياته يلزم الناس بأحكامه ومحال أن نكون دولة اسلامية ونعطل أحكام الله وفضيلة الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين يقول (ان الدولة الاسلامية لها ذاتية خاصة تلتزم بدورها بكفالة تطبيق القانون الاسلامى والالتزام بما أوجبه عليها الشارع من قواعد وأحكام) .

(١) فى هذا المعنى صـ ١٣ مصادر الشرعية الاسلامية للدكتور على جريشه (ومؤلفه المشروعية العليا) وكتاب نظام الاسلام لحكم الدولة للاستاذ محمد المبارك صـ ٣١ وكتاب السلطات الثلاث للدكتور سليمان الطحاوى الطبعة الثالثة صـ ٣٠٨ ومقال الرأى فى التشريع الاسلامى للشيخ الجليل عبد الوهاب خلاف ص ٥٦٥ من مجلة القانون والاقتصاد لسنة ٣٧ وكتاب مبدأ المشروعية للدكتور فؤاد النادى صـ ٦٧ ذلك أن محور الدولة الاسلامية هو القانون الالهى وعلى ذلك فان المصلحة فيما

نص عليها الشارع الحكيم وهو الله جل جلاله فى تحريم الربا والدكتور صوفى أبو طالب فى كتابه تطبيق الشريعة الاسلامية طبعة ١٩٧٨ دار النهضة العربية صـ ٤٢ « اذ يقول » ٠

« اذ كان النص قطعيا فى ثبوته ودلالته فلا يتصور وجود تعارض بينه وبين المصلحة لأن الأصل فى تقدير المصلحة هو نظر الشارع وحده والشارع وحده فى الشريعة الاسلامية هو الله جل جلاله والنص بتحريم الربا نص قطعى فى ثبوته ودلالته بآيات القرآن الكريم فلا مصلحة البتة فى مخالفتها وليس لنا امام قول الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) الا ان نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فكلمة الله هى العليا وفوق كل عليا » ٠

نجاح الاقتصاد الاسلامى :

وان فى مصر الدليل العملى على نجاح فكرة الاقتصاد الاسلامى فبنك فيصل المصرى الاسلامى وبنك مصر فرع الحسين للمعاملات الاسلامية والمصرف الاسلامى الدولى للاستثمار بحى معروف بالقاهرة وبنك خان الخليلى للمعاملات الاسلامية كلها بنوك اسلامية فى مصر وعلى أرضها تزدهر يوما بعد يوم وهى تجربة ناجحة بل أصبحت فوق التجربة أصبحت مثالا يحتذى به فى الاقتصاد الاسلامى لأن الربا لا يدفع الا من جيوب المستهلكين فيتوزع عبء الربا على كل فرد من أفراد الجماعة والحمد لله أن النظام الدولى الاقتصادى يقوم على أساس رفع المعاناة عن الشعب ونشر الرخاء ولقد طبقت باكستان نظم الاقتصاد الاسلامى بما فى ذلك الاعمال المصرفية بلا فوائد وبصفة مؤقتة مع البنوك والمؤسسات الأجنبية التى تقرض بفوائد (صحيفة الفكر الدينى جريدة الأهرام ٦ مارس ١٩٨١) وفى جريدة المساء العدد ٩٢٥٠ فى ١٦ مايو ٨١ أعلن الدكتور لطفى بأن البنوك الاسلامية سوف تحل محل وزارة الأوقاف ونظرة الوقف فى رعاية مصالح وحقوق الواقفين وهذه خطوة مباركة نحو الاقتصاد الاسلامى ٠

وأن المستشار محمد كمال محفوظ المفوض بالمحكمة الدستورية العليا المنتهى فى تقريره فى القضية المرفوعة من جامعة الأزهر بعدم دستورية المادة ٢٢٦ وأنها ليست دستورية لا حتوائها على ربا محرم أصليا وقطعيا بآيات القرآن الكريم فهى تحتوى على ربا النسيئة ٠

هذا ورضا كل من المقترض بربا والمقترض لايجعل الحرام حلالا كرضا الزانى والزانية ٠

مما تقدم نرى أن الفكر الربوى مثل فكربول صامولسون فى كتابه التحليل الاقتصادى ومن صار على نهجه فكرا ضد الانسانية وضد الدين والقانون والاقتصاد الاسلامى بالبنوك الاسلامية ينفذ تدريجيا وببساطه ويهدوء ولا زالت المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة فى الاقتصاد الاسلامى تضع الحل لكل مشكلة بتوفيق من الله عز وجل واتباعا لشريعة الاسلام التى فيها حكم كل شىء (صدق الله العظيم) (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) (ان الحكم الا لله) وان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) فقولا واحدا المادة ٢٢٦ ضد الدين والشرائع السابقة وضد قانونية القانون وفلسفة الاقتصاد وانسانية الانسان ٠

زكريا عامر البكرى

كانت ليلة النصف مقدمة

كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان وهى من الليالى المباركة التى يتجلى الله فيها على عباده المخلصين فيعطى من يشاء ويغفر لمن يشاء ويرحم من يشاء بيده الخير ، والله ذو الفضل العظيم .

وقد ورد فى السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم أحيا هذه الليلة بالصلاة والدعاء والاستغفار للمؤمنين والشهداء ، وبين أنها ليلة مباركة ، ينبغى للمؤمن أن يلتجىء فيها الى الله تعالى عسى أن ينال من النفحات الالهية مالا يشقى بعده أبدا فقد روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك اليك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ولما فرغ من صلاته قال لها هذه ليلة النصف من شعبان ، أن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم :

وقالت : أنه خرج فى هذه الليلة ــ أى ليلة النصف من شعبان ــ الى بقيع الفرقد ، فأدركته فوجدته يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء .

وقد ورد فى فضل هذه الليلة عدة أحاديث رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم . خرجها من المحدثين الامام أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حيان والطبرانى والبيهقى عن جمع من الصحابة منهم : عائشة وأبو بكر ومعاذ وأبو موسى الاشعرى وعبد الله بن عمرو وعثمان بن أبى العاص وأبو ثعلبة الخشنى وهى فى مجموعها تدل على أن الله سبحانه

من شعبان لرمضان

للأستاذ عبد العزيز حسن قريش
أمين عام جامعة الأزهر

وتعالى يتجلى على عباده فى هـذه الليلة المباركة ، ويتولاهم بالمغفرة والرحمة واجابة الدعاء .

ولكن ناسا ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوصافهم وبين أنهم ليسوا أهـلا للمغفرة وأنهم مبعدون من رحمة الله فى هـذه الليلة الا اذا طهروا نفوسهم من الآثام وكبـائر الذنوب التى صفهم بها .

فمن هؤلاء من تحتوى قلوبهم على الشحناء .. وقد ورد ذكرهم فى رواية أبى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله سماء الدنياليلة النصف منشعبان فيغفر لكل شىء الا لرجل مشرك أو رجل فى قلبه شحناء والشحناء هى العداوة والخصومة ، والمشاكسة وهى وصـف لو وجد بين أفراد الاسرة لانحلت عصبتها ولـو سرت بين الجماعات فى أمه لانحل كيانها وتفرق شملها ولو وجد بين أمتين فقد ينتهى بينهما الى الحـرب ، فأهل الشحناء ليسوا أهلا لان يتولاهم برحمته ومغفرته.

ومنهم الحاقدون وهم الذين انطوت نفوسهم على الغل والعداوة والبغضاء للفرد أو للجماعة وقد ورد ذكر الحاقدين فى رواية عائشة — السابقة — رضى الله عنهـا أن اللـه يغفر للمسـتغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم .

والحاقد وان لم يظهر بمظهر المشـاكس الا أن ما انطوت عليه نفسـه يحمله على الكيـد وخلق الخصومات للمحقود عليه والسعاية بينـه وبين الناس بالعداوة والبغضاء ، وقد وصف الله المؤمنين بقـوله :

« رَبنا اغفِرَ لنا وَلِإ خـوانِنا الـَّذِين سَبَقُونا بِالإِيمان وَلَا تَجعَل فِى قُلُوبِنا غـلاً لِلَّـذِينَ آمَنُوا رَبّنا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

مقدمة لرمضان

فالحقد صفة تحرم العبد مغفرة مولاه فى مواسم الرحمة والاستغفار .

ومنهم قاتلوا النفس التى حرمها الله وقد ورد ذكرهم فى رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطلع الله عز وجل الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن ، وقاتل نفس . ويكفى فى وصف قاتل النفس بغير حق ما توعده الله فى الكتاب العزيز من العذاب واللعنة والغضب ، ففى سورة النساء « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا »وفى سورة الفرقان ، «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » .

هذه بعض أمثلة مما جاء فى أحاديث فضائل هذه الليلة ، وأنه مانع من المغفرة وقبول الدعاء .

والأحاديث لم تستوعب كل الذنوب التى تباعدبين العبد وبين الله تعالى فى هذه الليلة وانما أتتبأمثلة القصد منها التنبيه الى أن كل من كان متلبسابالمعصية وكبائر الذنوب ، فهو مبعد ومطرود من رحمة الله ومغفرته، فقطاع الطرق الذين يهددون الأمن والنظام والذين يسعون فى الارض فسادا ، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والغشاشون والخائنون وأرباب الأهواء والمنافقون وشاهدو الزور وأرباب الفتن ، كل أولئك وغيرهم من أصحاب الذنوب والمعاصى الذين ورد ذكرهم فى الكتاب أو فى السنة ليسوا أهلا لان يشملهم الله برحمته ومغفرته حتى يتوبوا ويقلعوا عن الذنوب ويطهروا أنفسهم من الآثام ، والا فلا فائدة فى الدعاء والاستغفار وكما يقول ابن الجوزى : الثوب غير النظيف أولى به الصابون من البخور والتعطير .

والذين فاتتهم هذه الليلة لهم فى رمضان باب مفتوح .

فينبغى للمؤمنين أن يسارعوا بالتوبة وتطهير النفوس من الآثام والاوزار ، وأن يعملوا على ذكر الله والالتجاء اليه لغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب ، فان لله فيها نفحات عسى أن تصيبهم نفحة منها ، يصعدون بها فى هذه الدنيا ويأمنون بعدها شر العذاب فى الآخرة فقد روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات ربكم فان لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وعن محمد بن مسلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان لله فى أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة يشقى بعدها أبدا » .

كان الناس ولايزالون منذ عصر التابعين بملأون حياتهم بالذكر والدعاء والاستغفار جماعة فى المساجد

وكان التابعون من علماء الشام كخالد بن معدان الحمصى ومكحول الدمشقى ونعمان بن عامر الحمصى ، وغيرهم من أعلام العلماء لايرون مانعا من أحياء هذه الليلة وليالى رمضان وتعظيمها جماعة ولهذا كانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون فى المسجد ليلتهم ويجهرون فيها بالدعاء والاستغفار ووافقهم على احيائها اسحق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه وهو من أشهر أئمة الحديث فى القرن الثالث ، قال عنه الامام أحمد : أنه من أئمة المسلمين عندنا ولا أعلم له نظيرا .

وقال الاوزاعى أمام أهل الشام : أنه يكره الاجتماع فيها فى المساجد للصلاة والقصص والدعاء، وانما يصلى الانسان فيها مفردا لخاصة نفسه .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى عامله بالبصرة : عليك بأربع ليال من السنة ، فان الله يفرغ فيهم الرحمة افراغا : أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الاضحى .

وقال الشافعى رضى الله عنه : بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال : ليلة الجمعة ، والعيدين ، وأول رجب ونصف شعبان ، قال : واستحب كل ماحكيت فى هذه الليالى .

والذى يترجح فى هذه المسألة جواز اجتماع الناس للدعاء والاستغفار فى هذه الليلة كما هو حاصل ولا كراهية فى ذلك ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده . وظاهر أن الدعاء والاستغفار نوع من الذكر ، أما الصلاة فتكون بلا جماعة صلاة نافلة ولم يثبت فى السنة أنها جرت بجماعة .

أما ما ذكره الغزالى فى الاحياء من أن السلف كانوا يجتمعون فى هذه الليلة ويصلون جماعة أو فرادى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وقل هو الله أحد احدى عشرة مرة ويسمونها صلاة الخير فلم يثبت فى السنة ، وكل ماروى فيها من الاحاديث رده العلماء .

ومما جرى عليه العمل فى مصر أن الناس عقب الصلاة يدعون بالدعاء المشهورة وفيه : ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب محروما مقترا على رزقى فامح حرمانى ويسر رزقى وأثبتنى عندك سعيدا موفقا للخير فأنك قلت فى كتابك الذى أنزلت: « **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** » .

هذا الدعاء مروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لا فى خصوص هذه الليلة ، وقال : مادعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله له فى معيشته وابن مسعود لايقول هذا الا اذا كان قد تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو دعاء مأثور يصح الدعاء به فى هذه الليلة وفى غيرها .

كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان

وقد اشتمل هذا الدعاء على أمر كان موضع نقاش بين العلماء ، وهو أن ما كتب على الانســان من الشقاوة أو السعادة والأجل والرزق وغير ذلك يبقى بدون تغيير أو أن الله تعالى يمحو ما يشاء فيطيل العمر وييسر الرزق ، ويمحو الشــــقاوة ويثبت السعادة .

فريق يرى أن ماكتب على الانسان لايتغير وفريق آخر يرى أن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله يمحو أمــور عباده ويثبت الا السعادة والشقاوة والآجــال فانه لا محو فيها .

والذى يظهر من أحكام الشريعة فى مجموعهــا أن ما كتب على الانسان من خير أو شر وأجل أو غــير ذلك يبقى بدون تغيير الا اذا غيره الله ســـبحانه وتعالى ، ففى الكتاب العزيز « **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَـاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** » وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو بطول العمر وكثرة الرزق وغير ذلـك من أمور الدنيا والآخرة .

أخرج البخارى فى الادب المفرد عــن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بكثرة المال والولد وطول العمر فأستجاب الله دعاءه وقال أنس : فهو الله أن مالى لكثير وأن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم ، وقد أطال الله حياته فقد كان فى الهجرة ابن تسع سنين ومات سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقد كان الصحابة والتابعــون يدعون بالسعادة ومحو الشــقاوة وتيسير الــرزق وغير ذلك من أمور الدنيا والآخرة .

والأمم التى تعنى بالتربية الرياضية وتتقى الامراض والأوبئة بالطرق العلمية السليمة وتعيش فى هناءة من العيش تطول حياتها وحياة أفرادها ويبارك الله لهم فى آجالهم . والامم الجاهلة التى ترزح تحت أثقال المرض والاوبئة والجوع والفقر تموت بسرعة وتقصر آجال أفرادها .

هذه سنة الله فى خلقه

والسعيد من وفقه اللــه

(عبد العزيز حسن قريش)

« أمين عام جامعة الأزهر »

من حضارة الإسلام

- الإسلام ومشكلات المسلمين في ألمانيا الغربية
- من مآثر الحضارة الإسلامية
- تأملات حول فلسفة الصوم
- **البيض والسود وحوار مع الجاحظ**
- فتح مكة
- جلال الماضي
- رمضان مشرق الرسالة

الإسلام

تمهيد :

يعيش فى المانيا الغربية فى الوقت الحاضر حوالى مليون ونصف مليون من المسلمين ويشتمل هذا العدد على أكثر من مليـــون ومائتى الف من الاتراك ، ومائة وعشرين ألفـــا من اليوغوسلاف وستين ألفا من العرب وثلاثين ألفا من بلاد مختلفة فى آسيا وافريقيا ، وحوالى عشرين ألفا من الايرانيين ، وستة الاف من اللاجئين من البلاد الشـــيوعية وألف ومائتين من الالمان المسلمين معظمهم من النساء اللاتى اعتنقن الاسلام عن طـــريق الزواج من رجال المسلمين .

ومن بين هذا العدد من المسلمين الذين يعيشـــون فى ألمانيا نجد أن غالبية الممارسين منهم عمليا للشعائر الاســـــلامية ينتظمون فى حوالى ثلاثمائة وخمسين جمعية ، ولهم كذلك مساجد كثيرة ربما تفوق هـــذا العدد من الجمعيات .

وهناك مجموعتان اسلاميتان رئيســـيتان فى ألمانيا الغربية لكل منهما برنامجها السياسى والاجتماعى . أما المجموعة الرئيسية الاولى فانها تضم بصـــــفة أساســـــية كلا من حركة الســـــــليمانلى وحركة النردشـــــــولوك وكلاهما مقره فى مدينة كولونيا ، كما تضم الجماعة الاسلامية للمسلمين اليوغوسلاف ومقرها فى مدينة آخن . وتمثل حركة الســـــليمانى التى يديرها المركز الاسلامى فى كولونيا أكبر تجمع اســـلامى فى ألمانيا الغربية حيث ينتظم فيها حوالى ٦٠ ٪ من كل الروابط الاسلامية فى ألمانيا .

أما المجموعة الرئيسية الثانية فانها تسترشـــد فى تنظيمها استرشادا وثيقا بصفة عامة بالســــــياسة والعادات الاجتماعية المألوفة فى البلاد الاسلامية . ويقود الاخوان المسلمون تنظيمات هذه المجموعة فى مركزين رئيسيين فى كل من آخن وميونيخ .

ويمثل أعضاء الجمعيات الاسلامية المسجلين بها فى ألمانيا نســـبة ٤ ٪ فقط من عدد المسلمين هناك ، ويشارك ٥٨ ٪ من المسلمين فى ألمانيا فى الشـــعائر الاسلامية ، غير أن المساجد هناك — باستثناء مساجد برلين وهامبورج وآخن وميونيخ — ليست الا أماكن مؤقتة وبســـــيطة جدا للصلاة فى بعض المخازن أو الأكشاك المهجورة فى المصانع وما شاكل ذلك (١) .

وبطبيعة الحال فان المساجد الموجودة فى ألمانيا غير كافية على الاطلاق للاعداد الكبيرة من المسلمين . ومن أجل ذلك فان الحياة الدينية الجماعية بالنســـبة

1) M.S. Abdullah: Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.1979.

ومشكلات المسلمين في ألمانيا

للدكتور محمود حمدي زقزوق

لكثير من المسلمين هناك تصبح أمرا مستحيلا (١) •

ويمثل الاسلام بأتباعه الذين يقربون من مليون ونصف ثالث أكبر الطوائف الدينية فى ألمانيا الغربية بعد الطائفة الكاثوليكية والطائفة البروتستانتية • وعلى الرغم من ذلك فلا يزال الاسلام غير معترف به هناك من الناحية القانونية مثلما هو معترف بطوائف دينية أخرى تأتى فى تعداد أتباعها بعد المسلمين مثل طوائف اليهود وجيش الخلاص (salvation army) **والمعمدانيين** (baptists) **وغيرهم •**

وهذا الوضع الشاذ وما يتضمنه من ظلم بالنسبة للمسلمين محل نقد شديد لا من الجانب الاسلامى فحسب وانما أيضا من الجانب الألمانى • وفى ذلك يقول الأب فانتسورا (Wanzura) : « لقد عمل الآلاف من العمال المسلمين خمسة عشر عاما من أجلنا ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلوا فى نواحى كثيرة بدون حقوق تقريبا » (٢) •

أما السيد محمد س • عبد الله الذى يعد حجة فى مشكلات المسلمين فى ألمانيا الغربية فانه يصف ظروف المسلمين هناك وبوجه خاص ظروف الغالبية التركية منهم على النحو التالى :

انها ظروف تتمثل فى انتزاع للانسان (المسلم) من جذوره وفى الاحساس بوقوعهم تحت وطأة الظلم والاستغلال الاجتماعى وفى التفرقة فى المعاملة تفرقة خفية أو مكشوفة وفى القلق على حقوقهم وفى هموم الحصول على عمل وهموم الحصول على تصريح بالاقامة » (٣) •

وانتزاع الانسان المسلم من جذوره المشار اليه يتضح من بين ما يتضح فى أن غالبية المسلمين الذين يعيشون فى ألمانيا الغربية لا يشعرون — بعد مرور

1) Christ und Welt, 27.2.1976

2) Rheinischer Merkur, 23.3.1979.

3) Abdullah. loc. cit.

فترة من الزمن ــ أنهم يعيشون فى أوطانهم : لا فى ألمانيا الغربية ولا فى أوطانهم الأصلية أيضا • وهكذا يعبر واحد منهم عن ذلك فى احدى الصحف الصباحية هناك قائلا : انه فى كل مرة يكون فيها فى عمان يشعر بحنين الى ميونيخ ، وعندما يكون فى ميونيخ يود أن يعود مرة ثانية الى عمان (١) •

فكيف يحكم المواطنون فى ألمانيا الغربية على المسلمين الذين يعيشون بينهم ؟

لنأخذ واحدا من الأمثلة الذى يمثل فى رأينا نموذجا عاما : لقد جاء فى صحيفة الأحد التى تصدر فى بون فى شهر أغسطس من العام الماضى أن المواطنين فى بون يعارضون معارضة حادة مشروع بناء مسجد فى بون • ذلك المشروع الذى سيقوم الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية بتمويله والذى تقف الحكومة الالمانية فى صف تنفيذه • وتقول الصحيفة حرفيا :

« ان المواطنين خائفون •• خائفون من المسلمين •• وهؤلاء المواطنون الفزعون تتمثل أمامهم صورة ايران التى يقرأون عنها يوميا أخبارا جديدة تثير فى نفوسهم الذعر •• ويرى أحد علماء الطبيعة أنه أحب لديه أن يبنى مفاعل ذرى أمام باب منزله من أن يبنى مركزا اسلاميا • وذلك لان المفاعل الذرى يمكن أن يحسب حسابه » (٢) • وهو يعنى بذلك فى المقابل أن المرء لا يستطيع أن يتنبأ بما يأتى من أخطار من جانب المسلمين •

ومنذ عدة سنوات تنشر الصحافة الالمانية اتهامات قاسية ضد المدارس القرآنية هناك ، تلك المدارس التى تنشر ــ كما يزعمون ــ التعصب الدينى الذى يؤدى بدوره الى التحريض ضد كل من يكون له تفكير مختلف ، كما أن هذه المدارس تثقل كاهل الاطفال المسلمين الاتراك ، الأمر الذى يؤدى الى تعثر تطورهم المدرسى فى المدارس الالمانية العامة بصرف النظر عما يعانيه هؤلاء الأطفال هناك من سوء المعاملة عن طريق الضرب وجو الارهاب المفروض عليهم •

أما ممثلو المدارس القرآنية فانهم من جانبهم يوجهون أيضا اتهامات شديدة للمجتمع الالمانى • فقد جاء فى أحد المنشورات الصادرة عن رابطة المدارس القرآنية فى برلين الغربية ما يلى : « يجب انقاذ الأطفال الاتراك الذين نشأوا بلا حضارة دينية وقومية من أيدى المدرسين الشيوعيين والمربين القساوسة ، فالعدو يقترب منهم فى ملابس تنكرية وعندما يسقط القناع يظهر خلفه وجه شيوعى قبيح أو مبشر مسيحى أو عميل يهودى » (٣) •

ويمكن القول بدون مبالغة أن هناك نواحى كثيرة من سوء الفهم تسود على كلا الجانبين الالمانى والاسلامى • ولهذا فان من الضرورى محاولة الوصول الى تفهم كل جانب تفهما أفضل لوجهة نظر الآخر اذا أريد الوصول الى حل حقيقى للمشكلات القائمة يأخذ فى اعتباره مصلحة كلا الجانبين •

فالتفكير المتعقل والحوار الهادىء يمثلان هنا ليس السبيل الافضل فحسب وانما السبيل الوحيد لمعالجة تلك المشكلات المتراكمة • والخطوة الاولى على هذا الطريق هى محاولة الكشف عن نقاط سوء الفهم القائمة ولهذا نريد أن نحاول فيما يلى البحث عن جوانب سوء الفهم للاسلام فى ألمانيا الغربية بطريقة موضوعية بقدر الامكان ، أى بدون الدخول فى مهاترات لا تجدى نفعا •

٢ ــ سوء فهم الاسلام فى ألمانيا الغربية وأسبابه :

ان سوء فهم الاسلام المنتشر بصفة عامة فى أوربا يرجع أساسا الى تشويه متعمد للاسلام منذ قرون طويلة •

1) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80

2) Bonner Sonntagsblatt, 24.8.80.

3) Hannover Allgemeine, 12.7.1977.

وانه لمن التناقض الواضح أن يكون الاســــلام الذى يعتبر المســـيحيين أقرب الناس مودة للذين آمنوا • هو الدين الوحيد الذى هوجم باســتمرار وتعرض ولازال يتعرض للقذف والتشنيع من الجانب المسيحى فى قسوة بالغة وبطريقة أقل ما يقال عنها أنها غير مسيحية ، وذلك على الرغم من التســامح الذى يبديه الجانب المسيحى ازاء الأديان الاخرى • ومن هذه الناحية يمكن القول بأن الحروب الصليبية لازالت مستمرة حتى الان وان اتخذت أشــكالا أخرى •

والمعلومات القليلة عن الاسلام فى أذهان الناس فى أوربا هى فى الغالب معلومات خاطئة أو ناقصة جدا وتحمل فى طياتها عرضا مشوها لتعاليم الاسلام بصرف النظر عن بعض المحاولات القليلة المشكورة لتفهم الاسلام تفهما أفضل والمعروفة فى نطاق ضيق من المتخصصين فقط • ويصادف المرء هناك باستمرار حقيقة مؤســفة تتمثل فى أن طبقة المثقفين لا تكاد تعلم شيئا يذكر عن الاسلام بغض النظر عن بعض التصورات غير الصحيحة والمصبوبة فى قوالب معينة والتى تؤخذ من غير نقد • ولم يتغير شىء حتى اليوم من هذا الموقف الراسخ فى التعصب ازاء الاســلام وأتباعه على الرغم مما تبديه الكنيســة اليوم من جهود نحو التسامح — كما تشير الى ذلك صـحيفة فرانكفورتر روند شاو (١) — بعد عداء استمر قرونا طويلة وما تبديه أيضا من الاهتمام حاليا بمشــاكل المسلمين فى ألمانيا الغربية •

وبصرف النظر عن سوء فهم الاسلام المنتشر فى أوربا منذ قرون فان الاســلام فى العصر الحديث يتعرض بالاضــافة الى ذلك للهجوم — مثله فى ذلك مثل ســائر الاديان الاخرى — من جانب المذاهب المادية المعاصرة وبوجه خاص من جانب اليساريين والماركسيين ومن على شاكلتهم • فقد جاء فى مقال منشور بصحيفة Rheinischer Merkur (2.5.80). اتهام اليسار للاسلام بأنه دين متطرف • وجاء فى هذا المقال أيضــا أنه « ليس للماركسيين مكان فى الاسلام وذلك على خلاف ما لدى الكنائس الاوربية» ومن أجل ذلك ينظر الى الاســلام على أنه دين غير تقــدمى •

ومما يزيد فى حــدة الاتجاه المتأصــل المعادى للاسلام ويقوى ما ينطوى عليه ذلك من مشــاعر الكراهية والخوف **تلك الظواهر التى ظهرت حديثا فى بعض البلاد الاسلامية بصدد العودة الى الاسلام بصــورة يبدو فيها التطرف ، وكذلك التأثير القوى للبلاد الاســلامية فى الســياسة وبوجه خاص فى السياسة الاقتصــادية** • وانه اذا كانت الكنائس المسيحية — التى تشعر بالقلق البالغ ازاء التطورات الجديدة فى السياسة العالمية وازاء السلام — تأسف الان لما وقعت فيه حتى الان من أخطــاء بسبب مواقفها التى كانت تدين الاسلام بطريقة عامة ، واذا كانت هذه الكنائس تشير الان الى قرابة الاســلام للمسيحية فان هذه المواقف الجديدة تكاد تكون غير معروفة تماما للرأى العام (كما يشير الى ذلك أيضا موريس بوكاى فى كتــابه عن القــرآن والتــوراة والانجيل والعلم) •

ومثل هذه الاقوال الفردية من جانب الكنيســة سرعان ما تضيع فى زحمة التقارير الســلبية التى تنشرها وســائل الاعلام ، تلك التقارير التى تؤكد التشويه التقليدى للاسلام والتى تشــتد حدتها من جديد باستمرار من وقت الى آخر •

ومن الطبيعى أن هذا الرفض المتطرف للاسلام قد تسبب فى الماضى فى استحالة اجراء حوار مثمر بين المسلمين والمسيحيين • وتشعر الكنائس المســيحية الآن بضرورة الخروج من الفكر الجــدلى الخالص وتؤكد ذلك فى كثير من مؤتمراتها • وقد اتضح أيضا لمؤتمر الكنيســة البروتستانتينية (Synode) أن

1) Frankfurter Rundschau, 23.10.74.

« انعدام الفهم على كلا الجانبين قد أدى الى رفض متبادل والى تأكيد الاحكام المسبقة والاوهام والى الانعزال فى دوائر مغلقة مثل حارات اليهود » (Getto) (١) .

ولكن المحاولات المبذولة فى سبيل تفهم الاسلام تفهما أفضل من ذى قبل واتخاذ موقف ايجابى ازاء أتباعه لا نكاد نجد لها صدى فى وسائل الاعلام الا فى القليل النادر جدا ، وبدلا من أن تهتم وسائل الاعلام وأغلب الكتب التى تصدر عن الاسلام بازالة الأوهام والأحكام المسبقة العالقة بأذهان الناس بصدد الاسلام ــ بدلا من أن تفعل ذلك نجدها للاسف تعيد باستمرار صقل هذه الاوهام من جديد .

وتحمل الصحف ــ وخاصة تلك التى تصدر فى المناطق السكنية للاتراك ــ عناوين مثيرة من أمثال « المدارس القرآنية تدعو الى الحرب المقدسة » . وحديث الصحافة عن الحرب المقدسة ضد المسيحيين (٢) . ليس الا من قبيل اللغو الباطل الذى لا معنى ــ كما يقول ميتليتسكى Metlitzky بحق (٣) ، وذلك لان الاسلام دين شقيق للمسيحية . ولكن هذه الحقيقة تكاد تكون مجهولة تماما .

ولا يقتصر الامر على الجهل التام بالتعاليم الأساسية للاسلام فحسب ، **بل نجد أيضا ــ كما يعترف الجانب الكاثوليكى (٤) ــ ان مستوى معلومات المسيحيين الالمان عن « القيم والعادات الدينية والعادات الحياتية فى العالم الاسلامى » ضعيف جدا . ولذلك تأخذ الجماهير بدون أى نقد الأمثلة المزعومة لأسلوب الحياة وطريقة التفكير الاسلاميين والتى تنشرها الصحف فى أخبار الفضائح المصطنعة .** وأحد الامثلة على هذه الاخبار هو المدارس القرآنية التى سنعود فيما بعد للحديث عنها بشىء من التفصيل . وفيما يلى بعض النماذج من عناوين مثل هذه المقالات : « التلاميذ يضربون فى المدارس القرآنية » (٥) ــ « خصوم المدارس القرآنية يجوز قتلهم » (٦) ــ « الحركات السرية لله فى المانيا » (٧) ــ « بالقرآن والهراوات الحرب الصليبية تقودها المراكز الاسلامية فى المانيا الغربية » (٨) .

وجاء فى المقال الاخير أن المدارس القرآنية التركية تقوم ــ على سبيل المثال ــ بتعليم الاطفال الاتراك أنه لايجوز لهم أن يعقدوا صداقات مع الاطفال الالمان لان هؤلاء مسيحيون ولا يغطون رؤوسهم ... الخ كما تعلمهم أيضا أن النساء يجب ان يسيروا فى الشارع خلف الرجال لانهن أقل قيمة من الرجال . كما لا يجوز للمرأة أن تعارض رأى زوجها . وكل ما يدرس فى المدارس الالمانية باطل ، وأن العقيدة الاسلامية ستغزو العالم كله ، وأن الراديو والتليفزيون من المحرمات لانها أجهزة اخترعها مسيحيون ولم يخترعها مسلمون . وهذه الامور التى يتعلمها الاطفال لا يجوز لهم أن يتحدثوا عنها خارج المدارس القرآنية والا عوقبوا بالضرب . أما المدرسون الذين يقفون موقفا معارضا للمدارس القرآنية فانه يجوز قتلهم .

ومثل هذه الآراء التى هى فى حقيقتها آراء غير اسلامية والتى ربما تصدر عن بعض الجاهلين المتطرفين الذين لا يفهمون الاسلام حق الفهم تتخذ دافعا للانقضاض على الاسلام ذاته ، وهى أمثلة تمثل نماذج لسوء فهم الاسلام فى المانيا الغربية . ومن هذا القبيل أيضا فكرة وجوب تغطية وجه المرأة المسلمة ، مع أن هذا ليس واجبا اسلاميا وانما هو عادة اسلامية فقط فى بعض البلاد الاسلامية . ولهذا

1) Die Welt, 2.2.80.
2) cf. Vorwaerts, 31.1.80 (وهذه الصحيفة تتحدث عن حرب صليبية ضد المسيحية (٢)
3) Rheinischer Merkur, 2.5.80.
4) Christ und Welt, 27.2.76

5) Frankfurter Rundschau, 6.6.77.
6) Stuttgarter Zeitung, 1.6.78.
7) Rheinischer Merkur, 7.7.78 8) Vorwaerts 31.1.80

فانه لمن اللغو الباطل الذى لا معنى له أن يعبر بعض المواطنين الالمان عن خشيتهم من أن تنتشر بسرعة عدوى تغطية الوجه بين البنات فى المانيا (١) .

ويكفى هنا اعطاء بعض المعلومات الصحيحة للكشف عن أن هذه الآراء ماهى الا سوء فهم للاسلام . فالمسيحيون — كما يقول القرآن — هم أقرب الناس للمسلمين . يقول الله تعالى : « **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى** » (٢) . ومن أجل ذلك فانه لا ضير من صداقة طفل مسلم لطفل مسيحى طالما أنه لا توجد هناك مؤثرات تبشيرية . واما انه يجب على المرأة ان تسير فى الشارع خلف زوجها وأنه لا يجوز لها أن تعارض رأيه فى شىء فان بوسعنا أن نشير هنا الى ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى رفع من شأن المرأة ورد لها اعتبارها الانسانى وأوصى بها خيرا . وقد أكد النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة حين قال : « استوصوا بالنساء خيرا » (٣) وحين قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » (٤) .

والاسلام دين حضارى متفتح ازاء العالم وهذا ما لا نجده فى أى دين آخر . ولهذا فانه لا يمكن أن يرفض اختراعا نافعا بحجة أنه جاء على يد مسيحى أو كافر . فالقاعدة القرآنية تقول : « **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » (٥) .

وهكذا لا يطلب الاسلام من أتباعه أن يتخذوا موقف الرفض لهذا العالم والانغلاق على أنفسهم فى زهد مبالغ فيه ولا مبرر له ، كما لا يكلف الاسلام أتباعه فوق ما يطيقون . ولهذا فان ما تذكره احدى الصحف الالمانية (٦) من أن المسلم يجب عليه أن يصوم فى رمضان فى كل الاحوال حتى وان كان ذلك فوق طاقته كلام لا أساس له من الصحة ، كما لا يجبر الاسلام الناس على الصيام عن طريق الضرب كما تزعم صحيفة أخرى (٧) .

والامر المؤسف أن الأفكار المنتشرة التى يقول بها بعض المتطرفين من الجاهلين بالاسلام وتعاليمه تؤخذ بدون نقد على أنها أفكار اسلامية صحيحة ، وذلك يرجع الى الجهل بالتعاليم الحقيقية للاسلام كما سبقت الاشارة الى ذلك . والشىء نفسه يصدق أيضا على الافكار التى يقول بها مسلم ألمانى متطرف يدعى خليف رسول المهدى . فهذا النبى المزعوم — كما تطالعنا الاخبار — يدعو فى كتابه « الوصية الاخيرة » الى تأسيس « دولة اسلامية فى قلب ألمانيا تكون دولة ألف عام للسلام — وتقام بها قلعة وأماكن عالمية مقدسة ويكون فيها نساء محجبات يضعن النقاب على وجوههن (٨) الخ .. ويتساءل البعض على الجانب الالمانى : « لماذا ينبغى أن نكون متسامحين مع دين عدوانى ومتعصب ؟ » (٩) .

ان الاخبار الاعلامية والاشاعات المغرضة عن الاسلام فى ألمانيا الغربية تتعارض تعارضا صارخا مع الحقيقة كما يقول الأب فانتسورا فى مقال ممتاز له بعنوان : « لنبن جسورا مع المسلمين (١٠) » . وقد جاء فى هذا المقال : ان هناك فئة قليلة من المسلمين تحلم بدولة اسلامية ، وهذا الحلم — كما يقول صاحب المقال — لا يمكن أن يثير الغضب تحت وطأة المشكلات الكثيرة الصعبة التى يعانى منها المسلمون فى ألمانيا . فالمسلمون يأملون — كما يقول — « أن تفتح لهم الدولة الالمانية والمجتمع الالمانى الطريق لحياة هادئة ومستقرة يتمتعون فيها بحق المساواة فى ألمانيا الغربية . انهم يأملون فى

1) Bonner Sonntagablatt, 24.8.80.

(٢) سورة المائدة ٨٢ . (٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه ابن عساكر عن على رضى الله عنه (انظر فيض القدير ج ٣ ص ٤٩٦ — دار المعرفة بيروت ١٩٧٢)
(٥) سورة الرعد ١٧ .

6) Stuttgarter Zeitung, 1.9.76. 7) Die Welt, 17.8.77.
8) Bunte, 26.4.79. 9) H.H. Abendblatt, 13.8.80.
10) Rheinischer Merkur, 23.3.79.

ازالة مشاعر انعدام الثقة التى استيقظت من جديد بسبب الكساد الاقتصادى ، وألا يتخذ من كونهم أقلية دافعا لصورة عدائية ، كما يأملون أن تتاح لهم بوجه خاص الفرصة لازدهار ما لهم من قيم وملكات دينية موروثة • ويجب أن يلاحظ أن الأمر هنا يدور حول قيم ومطالب دينية حقيقية وليس حول حركات متطرفة تريد أن تعيد تشكيل مجتمعنا طبقا لما تدين به من قيم » •

ولكن هناك عقبات كثيرة ومشكلات صعبة أمام المسلمين فى ألمانيا الغربية تقف فى وجه تحقيق هذه الصورة المثلى لحياة هادئة ومستقرة مع ممارسة حرة للدين • وسنحاول فيما يلى أن نبحث المشكلات الرئيسية للمسلمين فى ألمانيا الغربية بطريقة بعيدة عن الجدل العقيم والاشارة فى الوقت نفسه الى الحلول الممكنة لهذه المشكلات •

٣ ـ المشكلات الرئيسية للمسلمين فى ألمانيا الغربية:

ليس هناك شك فى أن المشكلة الرئيسية للمسلمين فى المجتمع الالمانى هى مشكلة الرفض المتأصل تأصيلا عميقا للدين الاسلامى ـ هذا الرفض الذى يصطدم به المسلمون هناك والذى تحدثنا عنه قبل قليل • ويتضح لنا ذلك ـ على سبيل المثال ـ من احدى النكت الشائعة التى تدعى بنكتة الاتراك(١) • وهذه النكتة التى يرويها الاطفال والتى ألفها الكبار تنتشر فى هذه الايام على وجه الخصوص فى مدارس مدينة دويزبرج (Duisburg) حيث يتعلم الاطفال الاتراك فى هذه المدارس مع الاطفال الالمان • وتقول هذه النكتة : « ما الفرق بين الحادث والكارثة ؟ وتجيب النكتة على ذلك بأن الحادث هو أن تغرق سفينة محملة بالاتراك فى ميناء هامبورج • وأما الكارثة فهى أن ينجح أحد هؤلاء الاتراك فى النجاة من الغرق والسباحة الى الشاطىء » •

والمسلم فى ألمانيا الغربية يجد نفسه فى مجتمع لا تؤدى عقيدته الاسلامية فيه أى دور ـ وهى عقيدة بحسب طبيعتها تشمل الحياة كلها (٢) ـ وليس هذا فحسب ، بل الاسوأ من ذلك هو ما تتعرض له عقيدته من هجوم مستمر بطريقة عدائية ومن مسخ وتشويه بطريقة عشوائية ومن احتقار فى نهاية الأمر •

ويضاف الى ذلك التفرقة الاجتماعية ، تلك التفرقة التى يشترك العامل المسلم فى الشعور بها مع كل العمال الاجانب • أما عن « صعوبات الاندماج فانها بطبيعة الحال تظهر بطريقة أكثر حدة كلما كان المستوى العقلى للانسان أكثر انخفاضا (٣) »•

« وهذا هو الحال بوجه خاص بالنسبة للعمال الاتراك • فالكثير منهم أميون وبدون أى تدريب •• وفى ظل هذه الظروف لايمكن تفادى الهروب الى الانعزال فى دوائر مغلقة مثل حارات اليهود (Getto) وبذلك تظهر مشكلات جديدة • وقد جاء فى أحد الدراسات فى ميونيخ (٤) وصف هذه المشكلات على النحو التالى : « ان تجمع الاجانب يؤدى الى مظاهر الانحطاط ، وفى النهاية يؤدى الى التقليل المتزايد من قيمة المناطق السكنية •• وهذه المناطق السكنية تبين حينئذ اتجاهات المشكلات الاجتماعية وهى : أحوال سكنية سيئة يرتبط بها قدر كبير من الاخطار الصحية ••• وانهيار المنازل والجريمة » •

وفى ظل مثل هذه الظروف المأساوية ينمو حاليا حوالى نصف مليون من الاطفال والشباب المسلمين وأغلبهم لم يحصل على تعليم مدرسى كاف ولا على أى نوع من أنواع التدريب المهنى • وقد جاء فى أحد المقالات التى ظهرت منذ أربع سنوات أن ٥٠٪ من

---

1) Rheinischer Merkur, 2.5.80.

2) Wanzura. loc. cit. 3) Abdullah, l.c,

(٤) وهى دراسة صادرة عن القسم المختص بتطوير المدينة •

الاطفال والشباب المسلمين ظلوا بدون أية فرصة للتثقيف أو التدريب المهنى (١) ، والمعتقد أن النسبة المئوية – فى واقع الامر – أعلى من ذلك بكثير .

وجاء فى صحيفة أخرى فى عام ١٩٧٩ (٢) أن ٧٠٪ من الاطفال الاتراك لا يستطيعون اتمام الدراسة الابتدائية . وهذا يعنى أيضا أنه ليست أمامهم أية فرصة للحصول على تدريب مهنى . « فانه بدون اتمام الدراسة الابتدائية – كما يقول الاب فانتسورا – » « فان فرص المستقبل أمام هذا النشء تساوى صفرا . وهذا النشء يمثل أحد عوامل الخطر بالنسبة للالمان ، وربما أيضا بالنسبة للدولة التركية » . وبذلك نكون قد وصلنا الى المشكلة الرئيسية الثانية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمشكلة الاولى . وهى مشكلة أوضاع الاطفال والشباب المسلمين فى ألمانيا الغربية .

ويحاول الجانب الالمانى القاء مسئولية أوضاع التعليم المأساوية للجيل المسلم من الشباب على أولياء أمورهم (٣) . ولكن الاسباب فى واقع الامر أعمق من ذلك بكثير ، فانه اذا كانت هناك مسئولية على الآباء والامهات فانها تمثل جزءا قليلا .. فالفكر الاجتماعى فى القرن العشرين ينبغى أن يكون قد تطور فى حقيقة الامر تطورا بعيدا ، الامر الذى يجعل المرء لا يتخذ من الفقر والامية دافعا للاتهامات وانما يتخذ منهما دافعا لتقديم العون . ومن أجل ذلك فانه اذا أغفل الوالدان – على سبيل المثال – تسجيل طفلين أو ثلاثا لدى الشرطة – كما هو المعتاد – نظرا لأنه يشترط عند التسجيل أن يكون لدى كل أسرة مساحة سكنية تتناسب مع عددها – اذا اضطر الوالدان الى مثل هذا التصرف فانه ينبغى فى هذه الحالة أن تتخذ أولا اجراءات لوضع حد للاستغلال السائد الذى يتعرض له الاجانب فى ألمانيا الغربية من جراء المغالاة الفاحشة فى ايجارات المساكن(٤) .

وأما الواقع الذى يحتم على الاطفال الكبار أن يقوموا فى أغلب الاحيان برعاية اخوتهم وأخواتهم الصغار اذا كان الوالدان يعملان طول اليوم فان أحد أسباب ذلك يرجع الى أن الاجر الذى يحصل عليه الرجل غالبا ما يكون ضئيلا لا يمكن أن يغطى الاحتياجات الاساسية لعائلة غالبا ما تكون كبيرة. وأرباب الأسر المسلمة – وبوجه خاص فى حالة العمال الاتراك – ليسوا فى وضع يؤهلهم للاشراف على التكوين المدرسى لأطفالهم أو القيام بمساعدتهم ، وذلك بسبب افتقارهم للثقافة والتكوين (فالكثيرون منهم يكادون أن يكونوا أميين) . وهذا فضلا عن أن الوالدين ليس لديهم وقت لكى يهتموا اهتماما أكثر بتربية أولادهم نظرا لانشغالهم بأعمالهم . وهكذا يتحتم على كثير من الاطفال المسلمين أن يظلوا بعيدين عن التعليم المدرسى لكى يقوموا بأعمال المنزل فى غيبة الوالدين أو لكى يرعوا الاطفال الصغار . وعلى الرغم من نظام التعليم الالزامى فى ألمانيا الغربية فان نسبة الاطفال المسلمين الذين يداومون على المدارس الالمانية لا يتجاوز أكثر من ٣٠٪ فقط (٥) .

وهناك أيضا أسباب أخرى غير ما تقدم للعزوف عن ارسال الاطفال المسلمين الى المدرسة « فالآباء الاتراك يعبرون باستمرار عن مخاوفهم من أن يدفع بأطفالهم فى المدارس الالمانية الى التحول عن الاسلام والوقوع تحت سيطرة الجهود التبشيرية المسيحية » (٦) .

ومشكلة الاطفال والشباب المسلمين فى ألمانيا الغربية لا يجوز أن ينظر اليها على أنها مشكلة

1) Christ und Welt, 27.2.76.
2) Rheinischer Merkur, 23.3.79.
3) Christ und Welt, 27.2.76.

4) Frankfurter Allgemeine Zeitung, 13.3.76.
(٥) مجلة البنوك الاسلامية العدد العاشر ابريل ١٩٨٠م
(9 **Abdullah**, l.c.

منفصلة عن المشاكل العامة للمسلمين فى ألمانيا ، بمعنى أنه لا يمكن أن تكون بمعزل عن حقيقة عزلتهم وكونهم يعيشون فى فراغ حضارى .. ومن هذه الناحية فقط يمكن أيضا فهم الاخفاق المأساوى للاطفال فى المدارس ، هذا الاخفاق المستمر رغم كل الجهود . وفى البداية كان الاطفال الأجانب من المسلمين يوضعون ببساطة فى فصول دنيا ... ومنذ بضع سنوات أنشئت فصول خاصة تسمى بالفصول التمهيدية التركية . وفى المناطق الرئيسية التى يعيش فيها المسلمون لم يعد يقبل اليوم من الاطفال المسلمين فى الفصول الالمانية النظامية قبل الانتهاء من الفصول التمهيدية الا القليل النادر .. « ويخشى الآن أن تصبح هذه الفصول الخاصة التى جعلت فى الاصل مجرد محطة مرور فصولا ثابتة وغير مؤقتة(١) .. صحيح أنه اذا أريد الوصول الى حل حقيقى لمشاكل الاطفال المسلمين فانه يجب انشاء رياض للأطفال يلتحق بها الاطفال قبل سن الالزام (٢) . ولكن هذا وحده لا يكفى ..فالفشل الذى يتعرض له الاطفال المسلمون فى المدارس الالمانية لا يرجع فقط الى العقبات اللغوية وحدها وانما يرجع أيضا وبوجه خاص الى العقبات الحضارية ، والى العقبات الدينية بوجه أخص .

وتؤكد فيلما أشتورم Vilma Sturm فى مقال لها بعنوان (مليون مسلم يعيشون بيننا : مشكلات المسلمين فى ألمانيا الغربية) (٣) — تؤكد أن الهوة القائمة بين الظروف الحياتية للعمال الاجانب فى أوطانهم وبين المجتمع الالمانى المتفوق تكنولوجيا لا يراها المرء هكذا عميقة الاغوار بين أى مجموعة من العمال الاجانب فى ألمانيا مثلما يراها لدى العمال الاتراك . وتسأل فيلما اشتورم : « الى أين انتهى بهم المطاف أنهم ينحدرون من وجود يكاد يكون بدويا حيث ما يملكونه ضئيل يمكن حمله ، ينحدرون من نظام سيادة الاب وهو نظام يجب أن تخضع فيه المرأة والاطفال للرجل وللاب ، ينحدرون من وجود فضائله هى الصبر والتواضع والقناعة . وايقاع حياتهم الرتيب من الشروق الى الغروب تحدده الافلاك والنجوم ؟ انهم لم يغادروا أوطانهم بالمعنى الجغرافى فقط ، وانما غادروا أيضا عاداتهم الموروثة وأعرافهم ومالهم من معايير أخلاقية » . والنتيجة هى انتزاع للانسان من جذوره والاغتراب الى أقصى حد .

ومن خلال هذا الضيق المحدق والتأزم الخانق يتبين المرء على الجانب الالمانى — كما تقول احدى الصحف (٤) — « ان المتعصبين من الاتراك اليمينيين المتطرفين هم طوق النجاة الوحيد الذى يتعلق به الاتراك المعزولون والمغتربون لانه ليس هناك أحد آخر يقدم لهم المساعدة » .

والمجتمع الالمانى لا يقدم العون للمسلمين فى ألمانيا — كما يعترف الالمان أنفسهم بذلك — وقد أدرك المواطنون الالمان بعد سنوات طويلة ضرورة الاهتمام بالنواحى الصحية البدنية للعمال المسلمين أما أزمة هؤلاء المسلمين من النواحى الروحية والحضارية والدينية فانها لم تصل بعد الى ادراك ووعى المجتمع الالمانى — كما تقول فيلما اشتورم فى مقالها السابق .. وقد كان هناك فى بداية الامر اعتقاد سائد بأنه ليس هناك ما يدعو للاهتمام بعقلية وطبيعة العمال الاجانب ولا بمؤسساتهم السياسية أو الدينية . ويقول الاب فانتسورا (٥):

« لقد كان ينبغى عليهم فى واقع الأمر أن يعتبروا أنفسهم « ضيوفا » مؤقتين وأن يتصرفوا على هذا

1) ibid.
2) ibid.
3) Frankfurter Allgemeine Zeitung, 13.3.76.

4) Vorwaerts, 31.1.80.
5) Wanzura, l.c.

الاساس ، وأن يعودوا بعد ذلك الى أوطانهم وهم محتفظون بآرائهم التى يعتنقونهـــا • وقد أدرك المجتمع الالمانى ابتداء فى السنوات الاخيرة أنه قد ظهرت هنا مشاكل لا تحصى •

فاين يقف الآن شباب الجيل الثانى والى حد ما أطفال الجيل الثالث من أبناء العمال المسلمين •

أليست لديهم أســئلة موجهة الى المجتمـــع الالمانى ؟

وما عدد هؤلاء الذين يريدون العودة الى وطنهم القـــديم ؟

هل ينبغى على مئات الآلاف الذين يبقون هنا أن يندمجوا فى بيئة ــ هى رغم كل شىء ــ مطبـوعة بالطابع المسيحى ؟

أو ينبغى عليهم أن ينعزلوا لكى يستطيعوا العيش طبقا لمعتقداتهم ؟

هل ينبغى أن يكون لهم نشاط سياسى ضد أو مع هذه الدولة المسيحية ؟

أو ينبغى عليهم أن يسيروا نحو التقوقع فى دوائر مغلقة مثل حارات اليهود حتى يمكنهم أن يشعروا فيها بطرائق حياتهم القديمة ؟

ما هى الامكانيات التى قدمتها ألمانيا الغربيـــة للمسلمين لكى يندمجوا فى المجتمع الالمانى ؟ وهنـــا يمكننا أن نقتبس مرة أخرى عبارة للاب فانتسورا فى هذا الصدد من مقالته التى عرض فيها ــ كمــا رأينا ــ موضوع المسلمين فى ألمانيا بطريقة نموذجية

ــ يقول الاب فانتسورا ان المسلمين لم يروا من الدولة الالمانية حتى الآن شيئا طيبا الا أقل القليل•

وفى شهر مارس من العام الماضى جاء فى احــدى الصحف الالمانية • ما يأتى : « فى المناطق المظلمة من المدن ، وهى مناطق تكاد تكون مهجورة كما هو معروف ــ يمكن أكثر من مليون ومائتى ألف تركى فى ألمانيا • ومعهم دخل الاسلام اليها : يسكنون فى بدرومات المنازل المهدمة وفى المخــازن الســابقة للمحلات والمطاعم أو المصانع • وفى كل مكان من هذه الاماكن المهدمة التى أعطاها لهم أصــحاب الاعمال الالمان للاقامة فيها ــ قام الاتراك باعداد مساحات نظيفة فى الاماكن الخلفية التى يقيمــون فيها تستخدم كمساجد وأماكن للوضوء • ويصــل عدد هذه المساجد الى حوالى خمسمائة مسجد » •

ما هى الامكانيات الموجودة بالنسبة للاطفــال والشباب المسلمين لكى يخرجوا من هــذه الاماكن الخلفية ويواجهوا الاطفال الالمان وهم يشــعرون بالحرية والمساواة ؟

ما هى الامكانيات الموجودة للخروج من الحلقــة المفرغة من انعدام الثقة والخوف تلك التى تجعــل وجود المسلمين فى ألمانيا شيئا يبدو أنه لا يطاق ؟

هل من الممكن « بناء جسور مع المسلمين » ــ كما يقول الأب فانتسورا ــ لحياة تحيط بها الكــرامة الانسانية والمساواة فى ألمانيا الغربية ؟

وبعد أن ألقينا نظرة عامة على المشكلات الرئيسية التى تواجه المسلمين فى ألمانيا الغربية نريد الآن أن نوجه اهتمامنا لمعالجة مشكلتين من المشكلات الحامية فى الوقت الحاضر • وسنحاول من خلال اهتمامنـــا بهاتين المشكلتين أن نجد اجابة على هذه الاسئلة التى طرحناها • وهاتان المشكلتان هما :

(أ) مشــكلة المدارس القرآنية وتعليم الدين الاسلامى فى ألمانيا الغربية •

(ب) مشكلة الاعتراف القانونى العام بالاسلام فى ألمانيا الغربية •

من مآثر الحضارة

كانت الحضارة اليونانية ثمرة للحضارتين المصرية والبابلية ، وان امتازت كل حضارة بوجهة خاصة ، فالحضارة اليونانية اتجهت نحو السياسة والفنون ، والحضارة المصرية اتجهت نحو العمارة والدين والخلود ، وكذلك اتجهت الحضارة المسيحية فى العصور الوسطى بفارق نوعية التدين واتجاهاته .

فلما نشأت الحضارة العربية الاسلامية ، اتجهت نحو الدين والعلم والفلسفة ، واحترام الانسان ، والمساواة بين الناس ، والتمسك بالمثل العليا وكرامة الفرد ، وحرية الفكر والعقيدة ، واتباع العقل وتمجيده ، والايمان بالتقدم .

وللحضارة الاسلامية فى كل هذه المميزات اتجاهات وآثار يعرفها العالم كله ، وأخذت منها الحضارات اللاحقة عليها مما جعل لها وجودا حيا وبصمات واضحة عليها ، ومع ذلك تثار ضدها بعض الأقاويل والاتهامات تشير اليها اشارات غير موضوعية وغير مدروسة ، ونحب فى هذا البحث القصير أن نرد على بعضها .

ولعل أشهر هذه الافتراءات ما يقول به بعض المستشرقين بأن العرب لم يعرفوا الاستقرار لأنهم كانوا شعبا رعويا متنقلا .

فنحن نعرف أنه كانت هناك مدن كاملة عرفت الزراعة والاستقرار ، ونشأت فيها حضارات كبيرة ، منها مثلا مملكة سبأ قديما ، وكثير من مدن الجنوب العربى ، ثم مدن مثل مكة والطائف ويثرب وينبع ومنى وخيبر فى شبه الجزيرة العربية ، وقد عاش فيها أناس منهم الحضر المستقرون الذين عاشوا على الزراعة فى الاراضى الخصبة ، ومنهم البداة الرحل الذين عاشوا على الرعى فى السهول والاراضى الصحراوية ، وكانت حياة الرعاة تستقر لشهور طويلة وفى أماكن معروفة ، فيها يتجمعون ، ثم يتفرقون بقيه الشهور ، ليعودوا الى التجمع مرة أخرى ، فهم بذلك لم ينفصلوا — بتنقلهم — عن الحياة ، ولم ينسوا عاداتهم وتقاليدهم ، بل يمكن القول بأن هذا التنقل قد أكسبهم خيالا واسعا ، ورؤية شاملة ، أوقفتهم على الجديد باستمرار ، فليس الترحال اذن سبة فى جبينهم ، ونحن نعرف فى التاريخ الأدبى أن شعر الرعاة فى اليونان القديمة كانت له مكانته ، ونعرف أن شاعرا مثل ثيوكريتوس (٣١٥ — ؟ ق٠م) كان أول من ابتكر شعر الرعاة كفن مستقل فى الأدب اليونانى ، وهو يشبه المواويل الريفية عندنا ، وكانت مكانته لا تقل عن مكانة هوميروس وغيره من شعراء اليونان الأفذاذ ، وقد احتوى شعره على نماذج ملحمية وقصصية ومسرحية مليئة بالحركة والحيوية ، ونجد لانتاج هذا الشاعر الرعوى نظيرا فى الأدب الرعوى العربى ، وذلك فى القصائد والملاحم المطولة مما وصلنا قبل التدوين وبعده ، وما وصلنا الا أقل القليل ، ومنها المعلقات وألوان الرجز والحداء وأناشيد الحروب فى الشجاعة والكرم والرثاء ، وفى الزجل والمواليا والكان كان والقوما .

ونحب أن نشير الى ملاحظة هامة ترد على من

رة الإسلامية

بقلم
محمد كمال الدين

يقول بأن الحياة فى القبيلة العربية امتازت بالفردية. ذلك أن تلك الحياة لم تعرف الافراد ، بل الجماعات فلا تواصل بين الفرد والقبيلة ، ولا كيان للفــرد وحيدا ، وكان الشاعر هو المعبر عن قبيلته ، والمتحدث باسمها ، المفاخر بمآثرها ، المدافع عنها • فهو واحد من مجموع ، يؤثر فيهم ويتأثر بهم ، ولا غنى لواحد منهما عن الآخر •

ولا ننسى أنه كان للعرب بفضل هــذا التجمــع والوحدة العضوية بينهم حضارة واسعة وعميقــة فى القرن الثانى الهجرى ، (الثامن الميــلادى) ، وكان لهم ملكا واسع الأرجاء ، وتقدما ملموسا فى نواحى الحياة ، وقد ظهرت تلك الحضارة فيما أخذوه أو ترجموه من كتب اليونان والفرس الى العربية ، وفيما أنشأوه من معاهد ومكتبات ومراصد فلكيــة وغيرها من مظاهر العلم والفكر ، وقد استمرت هذه الحضارة مزدهرة لقرون طويلة لم يطمسها تقلص ملك ، أو توقف ركب ، أو أباطيل خصوم ، أو دعايات أعــداء •

ومن المفيد أيضا أن نذكر أن حياة القبيلة العربية — مستقرة كانت أو متنقلة — كانت تمتاز بنظــام وتماسك شديدين ، يستند ذلك الى نسبها المشترك ومجدها القديم ، كان لكل منها رئيس يعاونه مجلس من شيوخ القبيلة وحكمائها ، ولم يكن فيها نظــام وراثى بالمعنى الدقيق ، اذ الســيادة فيهــا كانت للجدارة الشخصية ، وقد يحدث تنافس يؤدى الى انقسام وحروب داخليــة ، أو بين قبيلة وقبيلة ، كالذى حدث فى حــرب البسوس بين بكر وتغلب ، وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وكان من

آثارها تلك الملاحم الحربية التى نقلت صورة صادقة لتلك الخصومات والحروب ، ولا ننسى أن الشاعر العربى كان يتمتع بمنزلة اجتماعية رفيعة ، تبتهج به القبيلة حين ينبغ ، وتحله منها مكانة بارزة ، ويذكر الرحالة الألمانى شوينفرت أن المهاجرين منذ خمسة آلاف سنة كانوا يرون المروج الخضراء والبقاع المخصبة فى تنقلهم من البحرين ووادى اليمامة ، ومن اليمن الى البحرين والى ما بين النهرين وبادية الشام ، ولا تزال بقاع اليمامة الى اليوم تشتهر بالمراعى الواسعة والعيون الغزيرة والمروج المعشبة التى تخلفت من أقدم العصور ، ومن الأثار التى لاحظها ذلك الرحالة حبوب القمح والشعير وهياكل الماعز والضأن والماشية ، وقد وجدت فى حالتها الآبدة فى اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تستأنس فى مصر والعراق ، وقد بلغت الحضارة العربية ذروة استقرارها أيام العباسيين حين اهتموا بالزراعة والفواكه ، وبالصناعة والتجارة ، وقد نظموا طرق القوافل بين الصين والشام وفى ثنايا الجزيرة العربية بين البحر الاحمر والنيل ، وكانت الطرق آهلة بتلك القوافل على حوار السنة ، وأنشأوا الاساطيل التجارية التى وصلت فى سيرها الى الهند والصين وسيلان والملايو فى الشرق ، وفى الغرب الى طنجة وروسيا والحبشة ، ولاشك أن هذه الرحلات التجارية صاحبها بعض الشعراء والكتاب ممن مارسوا التجارة ، وسجلوا فيما سجلوا مشاهداتهم وملاحظاتهم ، ومن هؤلاء تذكر القاسم ابن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك ، وياقوت الحموى فى معجم البلدان ، وقد عرف العرب نتيجة الاستقرار ، أو الترحال أيهما شئت ، المزيد من التخطيط والتنظيم ، ووجد الكاتب والشاعر والقاص من الوقت ماساعده على التجويد والتأمل ، ووجد من اهتمام الدولة بالتقدم العلمى والفكرى ما دفعه الى التفرغ فى كثير من الاحيان لحياة البحث والمعرفة .

وهكذا نعرف أن حياة التنقل والترحال فى بعض المناطق العربية ، ولفترات قصيرة فى السنة لم تقعد بالعرب عن الاتصال ببعضهم البعض ، وجعلتهم — بفضل الاحتكاك بالغير والمبادلات التجارية والمساجلات الفكرية — أكثر معرفة واطلاعا على الجديد فى شتى المجالات .

ونرد على رأى غريب آخر فى الحضارة العربية ، ويقول هذا الرأى بأن العرب لم يعرفوا غير العقلية التركيبية ، وأن خيالهم ضيق لا يعرف غير التحديد والاختصار ، ان العلم لم ينبت شيئا من ذلك ، والا فأين منهم المعلقات الطويلة ، والاوصاف الدقيقة للفروق بين الالوان ، وأين منهم حوليات زهير ، وتنقيحات النابغة الذبيانى . كذلك ثبت أن العرب لم يكونوا أهل اختصار للقول ، فهم احيانا يتهمون بالتطويل والاضافة كما فى كتب الفقه ؛ ويقول الجاحظ فى كتابه الحيوان — الجزء الاول صفحة ٧٥ — أن العرب وجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة والمنطق وتثقيف اللسان وتصاريف الكلام ، وجمع العرب بين العقل والوجدان ، فقد تمثلوا فلسفة ارسطو بكل ما فيها من عقل وعلم بنفس القوة التى تمثلوا فيها صوفية أفلوطين بكل ما فيها من حدس ووجدان ، وبحكم هذه المزاوجة بين العقل والوجدان جمع العربى بين التخيل والواقع ، بين السماء والأرض بين المطلق والنسبى ، بين اللا نهائى والمحدود ، بين الآخرة والدنيا ، ورأينا فى الشعر العربى لقطات حسية أكثر مما فى أى شعر غيره ، واللقطة الحسية من الواقع المشهور هى أول خطوة فى طريق العقل ، وكذلك احتوى الشعر العربى على قدر من الحكمة ، وهى حقيقة موضوعية يعمم بها الشاعر حكمه على الناس ؛ فالعقل بذلك كان ملاك الشعر العربى خاصة ، والفكر العربى كله بوجه عام . ويكفى أن نقول أن الملاحم العربية — بما فيها

من تحليل وتطويل ـ سبقت الملاحم اليونانية بأجيال ، وأن هوميروس كان متأثرا بما نقل اليه من آثار بابلية ، هى فى الاصل ترجع الى نتاج العقلية العربية ، وهى عقلية ثاقبة تتغلغل الى الاعماق والاطراف والحواش ، وتقدس حرية الفكر، وتبتدع من العلوم النظرية والعملية ما تمتلىء به آثار جابر بن حيان فى علم الجبر . والخوارزمى فى الحساب ، وابن سينا فى الطب والفلسفة ، وابن الهيثم فى البصريات . بل يكفى أن نقول انه بفضل العقلية العربية توصل هنرى الملاح وفاسكو دى جاما وكولومبس الى ارتياد المحيطات ، ودرس افلاطون لوبيزون وفبروناتش علوم الرياضة والجبر واللوغاريتم ، وبحث البيرنوس الكبير ونوماس الين فى فلسفة الفارابى ، وفى الوقت الذى انشد فيه الشعراء التروبادور اغانيهم فى اسبانيا العربية ، صرح روجر بيكون بان وجود الفكر الأوربى والعلم الأوربى كان مستحيلا بدون وجود المعارف العربية . ولقد اتسمت العقلية العربية بالانسانية الشمولية التى تحلل مشاعر الانسان فى تعمق ووعى . والسمت بالواقعية والطبيعية ، فلم تلجأ الى التهويل أو المبالغة أو التضخيم ، واتسم الفكر العربى فى العصر الاسلامى بالعقل **والتأمل ، ومما يرى أن اعرابيا سئل لماذا آمنت بمحمد فقال : « ما رأيت محمدا يقول فى أمر افعل والعقل يقول لا تفعل ، وما رأيت محمدا يقول فى أمر لا تفعل والعقل يقول افعل »** ، ولا غرو فقد نزل الاسلام هاديا للعقل فى جميع الامور ، ونزل القرآن الكريم يحث على التفكير والتأمل كما فى قوله تعالى **« قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ »** . (سورة آل عمران الآية ١١٨) وقوله تعالى **« وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ »** (سورة العنكبوت الآية ٤٣) .

ويقول محمد اقبال فى كتابه **« تجديد التفكير الدينى فى الاسلام »** : « لقد كانت أوربا بطيئة نوعا فى ادراك الاصل الاسلامى لمنهجها العلمى، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الاوربى « ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية ، أو العقلية العربية بصورة قاطعة ، وتتبدى هذه النواحى فى كل فروع العلم والبحث العلمى ، وطرق التجربة والملاحظة ، والمقاييس التى ادخلها العرب الى العالم الاوربى ، ولقد توصل العرب الى هذه المرحلة التجريبية التطبيقية من العلم بعد مرحلة النظر والتخيل ، أو لعلهما مرحلتان متجاورتان متلازمتان متوازيتان ، وبفضل هذا الخيال فتحت مغاليق العلوم والفنون ، وامتلأت الاجواء بألوان القصص والسحر والشعوذة والخرافات ، وطبقت المجالس بالسحر وألوان الفنون الموسيقية والرقص والغناء والانشاد، وراح القصاص والجوالون والحكاءون والرواة ينتشرون فى الاسواق والمنتديات يقصون ويروون الحكايات والقصص عن سالف العصر والاوان ، وعن حروب قامت ، ودول راحت وأخرى جاءت ، وأبطال جلبوا النصر وكافحوا كفاحا أسطوريا ، وكان العقل فى ذلك يمزج بين الخيال والواقع بأسلوب مشوق هو خليط من النثر والشعر والغناء فى موضع الغناء والتمثيل بالتعبير والانفعال وتقليد الصوت والفعل ، وذلك فى حشد يشاهد عن كثب وينفعل عن واقع مرئى .

تلك بعض ظواهر الحضارة العربية والاسلامية ومآثرها على حضارة الغرب ، وبعض سماتها الذاتية التى تدل على أنها حضارة أثمرت وما زالت تثمر أرقى ألوان الفكر الانسانى ، نرد بها على بعض المدعين فى الغرب أو الشرق من المستشرقين الغلاة ، أو المغرضين الجهلاء .

محمد كمال الدين

من حضارة الإسلام

تأملات حول

(أ) فى دائرة الفرد المسلم :

من منطلق الوسطية الاســلامية التى عالجتها فى مقالى السابق فى عدد شعبان من هذه المجلة ـ نجـد الاسلام يقرر فريضة الصوم كوسيلة ناجحة وفعالة فى تحقيق التوازن بين قوى الانســـان المتباينة ، بهدف تحقيق سعادة روحه ، ومطالب جســده من وراء هذا التوازن والاعتدال ذلك ، لأن الانســـان تركيبة عجيبة من القوى ذات النزعات والميـــول المتضاربة ، فهو مزيج فريد من جسدية حيـوانية ، ومن روحانية ملكية ، ومن نفس تتنازعها مطالـــب الجسد ورغباته من اللذائذ الحسية كلذة الطعـــام والشراب ومتعة الجنس ، وغرائز التملك والتسلط والسيطرة على ما فى يد الغير الـــخ ... ومطالب الروح وأشواقها من التسامى للكمال ، والاستشراف الى الملأ الأعلى ، والتطلع الى الآفاق الروحيـــة والملائكية العليا .

وكلتا هاتين القوتين (الجسدية والروحية)تجذب النفس الانسانية الى ناحيتها ، وتشدها شدا عنيفا لاهوادة فيه ، والنفس الانسانية ـ والحال هذه ـ عرضة للوقوع فريسة التمزق والتشتت والضياع ، بين هاتين القوتين الجبارتين اللتين تتجاذبانها دائما اذا ظلت مترددة بين الاستجابة لهذه أو لتلك .

كما أنها عرضـــة للانزلاق والهبوط الى درك الحيوانية البهيمية اذا انكبت على اشباع الغـــرائز السفلى ، ولعبت بها شياطين الشـــهوات ، حينئذ يتحول صاحبها الى وحش مفترس فى صورة انسان، يعب من شهوات البدن ، غير عابىء بقيم ، أو مكترث لضوابط خلقية أو دينية .

ـ كما أن النفس الانسانية عرضة فى حالة ثالثة الى الوقوع فى دائرة الجذب الروحى العنيف ، فنرى صاحبها يريد أن يتفلت من قيود الجسد ، ويحسب أنه قادر على الانسلاخ من ماديته ، وتجاهل مطالب بدنه ، حيث يفر الى الرهبنة والانعزالية والانكماش عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية ، وادارة دولاب الحياة وخلافة الله فى هذه الأرض ، وهذه الظاهرة فضلا عن أنها كانت شللا أصيبت به الانســـانية فى بعض أدوار تاريخها ، فقد كانت حلا غير موفـــق لمشكلة العلاقة بين الروح والجسد .

فان هذا التنكر لحكم الفطرة البشرية مقضى عليه بالفشل والانكسار على صخرة الطبيعة التى طبـع

فلسفة الصوم في الإسلام

بقلم الدكتور فؤاد العقلى

الله الناس عليها ، وكثيرا مانراه ينقلب على عقبيه فيعود الى حيوانية أشد شراسة واكثر نهما الى اشباع الشهوات والغرائز .

وقد يذبل هذا الانسان كانسان وتذوى طاقاته الخلاقة ، فيعش على هامش الحياة ، كما مهملا لا فائدة منه للحياة ولا للأحياء .

ـ كل هذه حالات يرفضها الاسلام ، ويعتبرها **حالات مرضية غير سوية وانما يريد الاسلام للمسلم أن يكون انسانا سويا ، متوازن القوى ، يعيش بروحه ، كما يعيش ببدنه ، ويحيا لدنياه ،كما يحيا لآخرته « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (١) .**

وها هو رسول الاسلام ، ومعلم البشرية ، صلى الله عليه وسلم يقول :

ـ للنفر من أصحابه الذين نذر أحدهم أن يصلى الليل أبدا ، ونذر الثانى أن يصوم الدهر كله، ونذر الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدا : ـ « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله أنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٢) .

فالاسلام ينادى المسلم فى حزم : أن استمتع بالحلال من طيبات الحياة ، وأعط لجسدك حظه من المتعة المباحة « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (٣) .

لكنه مع ذلك يقف فى حزم أيضا ليحذره من الاسترسال فى متع الجسد ، حتى لايطغى عليه بدنه ، ويصير عبدا لشهواته ، فينس عبوديته لخالقه !

وهنا يأمره بأن يلجم هذه الشهوات ، ويكبح هذه الغرائز ، فيمسك عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس شهرا كل عام . ثم يحبب اليه أن يفعل ذلك فى غير رمضان ، كلما كان ذلك ميسورا له ، غير مرهق له ، كى يشبع بذلك أشواق روحه ، وحنينها الى الصفاء والشفافية ، والقرب

(١) سورة القصص : الآية ٧٧

(٢) النووى : رياض الصالحين : ص ٧٥
(٣) سورة الاعراف : الآية ٣٢

تأملات

من ساحة الرضوان الالهى ، والتشبه بملائكة الله المكرمين •

بذلك تتوازن قواه ، ويتهذب سلوكه ، وتتنضج انسانيته ، ويقف على أول الطريق المستقيم بين طرفى الانحراف من الحيوانية الجامحة ، والرهبانية السلبية •

وبذلك يملك المسلم أقوى أسلحة النصر فى معترك الحياة ، من الصبر والجلد ، واحتمال المشاق فى سبيل المبادىء والقيم التى يؤمن بها ، ومن قوة الارادة وصدق العزيمة على الوصول الى أهدافه وغاياته ، مهما لاقى من صعاب ، ومن ضبط النفس والقدرة على الفكاك من أسر العادات ، ومن تطويع الجسد لدواعى العقل والروح •

وفى رأيى أن أعظم مكاسب المسلم من أدائه **لفريضة الصوم على الوجه الأكمل هو تحليه بأشرف الصفات الانسانية وأعنى بها صفة « الأمانة » تلك الصفة التى تعنى يقظة الضمير ، ودوام المراقبة لله، الذى يعلم السر وأخفى « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ »** (١) ذلك ، لان الصوم ليس عملا ظاهريا كالصلاة والزكاة مثلا ، بل هو امتناع وكف فهو أمر سرى ، لا يطلع عليه الا علام الغيوب ، فما أسهل أن يتظاهر انسان بأنه صائم ، حتى أمام أقرب الناس اليه ، ثم يتناول خفية واختلاسا ما شاء من مفطرات ، ولذا يقول الله تعالى فى حديثه القدسى **« كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به »** •

صفة الامانة ، أو يقظة الضمير هذه ، يحرص الاسلام كل الحرص على غرسها فى نفس المسلم حتى تتكون عنده « ملكة » المراقبة ، أو خلق التقوى ، الذى يجعل منه رقيبا على نفسه ، يحاسبها قبل أن تحاسب ، ويقيم سلوكه وتصرفاته فى السر والعلانية على أساس « اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » فيمتنع تلقائيا من ارتكاب الآثام فى أخفى حالات السر ، كما يمتنع عن ذلك فى أظهر حالات العلانية ، وهنا ينبغى أن نلاحظ أن الصوم الذى يثمر هذه الثمرة انما هو الصوم الكامل أو الأكمل ، وليس الصوم المنقوص •

ذلك أن الصوم على درجات ثلاث :

١ ــ صوم العوام ، وهو مجرد الامتناع عن المفطرات مع استمرار الجوارح فى ارتكاب المخالفات، وهذه أدنى درجات الصيام ، لا أثر لها الا فى اسقاط الفريضة ، وقلما تحقق الغرض من الصيام •

٢ ــ صوم الخواص ، وهو أن يضيف الصائم الى الامتناع عن المفطرات كف جوارحه عن الآثام والمعاصى ، فيحفظ لسانه عن الغيبة ، وعينه عن النظر للمحرمات ، ويده عن البطش والاختلاس ، وكذا سائر أعضائه • وتلك هى أولى درجتى الصوم الحقيقى ، وخواص المؤمنين لا يعتدون بأقل منها ، يقول قائلهم :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم
وفى ناظرى غض ، وفى منطقى صمت
فحظى ، اذا ، من صومى الجوع والظما
وان قلت أنى صمت يوما ، فما صمت

وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » •

٣ ــ صوم خواص الخواص ، وهو أن ينضاف الى الامتناع عن المفطرات وحفظ الجوارح ، صيانة القلب عن الفكر والوسواس ، وقصره على ذكر الله عز وجل ، وعدم شغله بأى من مطامع الدنيا وشواغلها أثناء الصيام ، وهذه هى أعلى مراتب الصوم ، وأرفع درجاته ، وهى ، والتى قبلها ، هما

(١) سورة غافر : ١٩

المرجو فيهما تحقيق التقوى التى يشير اليها قول الحق تبارك وتعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ، كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » (١)

(ب) فاذا تجاوزنا الفرد المسلم الى دائرة المجتمع المسلم ، وتصورنا هذا المجتمع وقد تكون من أفراد يتمتعون بخلق التقوى ، وفضيلة الضمير الحى ، فاننا لابد متصورون مجتمعا ملائكيا ، فى أرقى صور المجتمعات البشرية ، أفراده كأنهم ملائكة يمشون فى الأرض ،مجتمعا ، لا ظلم فيه ، فلا حقد ولا حسد، ولا شحناء ولا بغضاء فيه ، تلك هى « دار السلام » التى يدعو الله عباده اليها فى الدنيا قبل الآخرة .

« **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** » (٢) .

هذا المجتمع الذى تسوده روح الأخوة ، وترفرف عليه أعلام السكينة والأمن والأمان ، هو المجتمع الذى يهدف الاسلام الى اقامته ، ويؤكد الدعوة اليه فى آيات الكتاب العزيز ، وأحاديث المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم .

نقرأ فى ذلك قول الله تعالى : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » (٣) وقوله عز وجل « **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** » (٤) وقوله سبحانه « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » (٥) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عباد الله اخوانا » الى مالايحصى من الآيات والأحاديث .

وهو المجتمع الذى تحكمه المثل العليا ، والقيم الانسانية الرفيعة ، من التسامح ، وحسن الخلق ، وكريم المعاملة ، ومن البر ، وصلة الواجدين لغير الواجدين ، هو نفس المجتمع الذى تقيمه فلسفة الصوم فى الاسلام وسأكتفى فى باب سيادة السلام والأمن فى المجتمع الصائم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (٦) يومئذ ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله ،فليقل : انى امرؤ صائم » فاذا حاذر كل صائم فأحسن القول ، والرد على الاساءة بمثلها ، كان معنى ذلك أن لن تسمع فى المجتمع الصائم كلمة بذيئة ، أو لفظة نابية ، فضلا عن عراك أو مشاحنات ، بل سيطفأ الشر قبل اشتعاله .

كما أكتفى فى باب المرحمة والجود والسخاء الذى هو شعار مجتمع الصائمين بما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهو قدوة المسلمين ــ كان أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ أجود بالخير من الريح المرسلة (٧) .

ان الاسلام لايقيم هذا الشهر كموسم مؤقت ، تقام فيه شعائر ، ثم تطوى صفحته الى العام القادم ، كما هو حال المجتمعات الاسلامية فى أيامنا هذه ، وانما يريد الاسلام ــ فى الحقيقة ــ أن تسود روح رمضان السنة كلها ، بمبادئه ، وقيمه ، ومثله العليا ، وهو يجعل من شهر رمضان فرصة لتدريب المسلمين على هذه القيم والاخلاق ، ولا يزال يأتى على المجتمعات المسلمة رمضان اثر رمضان اثر رمضان بما يشيعه من الروح الاسلامية التى أشرنا اليها حتى يتعود الجيل المسلم على خلال البر ، وخصال الخير التى أشاعها فيهم رمضان ، فلا تلبث أن تتغلغل فيهم هذه السجايا الحميدة ، وتصبح عادة ، فتطبعا ، فطبعا ، كما يقول علماء الاجتماع « العادة طبيعة ثانية » ويومئذ يصبح المسلمون حقا كما قال عنهم « **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** » (٨) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ (٢) يونس : ٢٥
(٣) الحجرات : ١٠ (٤) المؤمنون : ٥٢ (٥) المائدة : ٢

(٦) الرفث : الفحش فى القول ، أو ذكر الأمور الجنسية ، والصخب : رفع الصوت والضجيج وهذا الحديث رأيته فى صحيح مسلم حـ ٨ ص ٣١ بلفظ « ولا يسخب » بالسين ومعناها نفس معنى « يصخب » وهو الصياح .

(٧) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد : حـ ١ : ص ١٥٢ (٨) آل عمران : ١١٠

البيض والسود

فى مقالى السابق فى « مجلة الأزهـــــر » تناولت موقف الجاحظ من جند الخلافة وبينت مدى توفيقه فى عرض المشكلة وعلاجها .

وهأنذا أتصدى لموقفه من مشكلة السود والبيض فى عصره ، ولا أحب أن أسبق عرض المشكلة فأقرر اخفاقه فيها فلم يعرضـــها عرضـــا انســـانيا ، ولم يتناولها تناولا تاريخيا ، ولم يبين مدى علاج الدين الاسلامى لها ، بل كان همه ذكر مزايا الســـود على البيض فى جدال هو مرماه وخالقـــه ، ومعـــاصره (محمد بن يزيد المبرد) فى الكامل عالج المشكلة من ناحية أثر السرارى فى انجـــاب الأولاد النجبـــاء وحسن معاملة العرب للموالى بوجه عام ، وســـاق أمثلة يبين تلك المعاملة النبيلة التى ترجع الى طبيعة العرب الخيرة والاستجابة لأوامر الدين ونواهيه .

يقول المبرد : يروى أن المهدى (الخليفة الثـــالث العباسى) نظر اليه ويد عمارة بن حمـــزة فى يده ، فقال له رجل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال أخى وابن عمى عمارة بن حمزة ، فلما ولى الرجل ذكـــر

السيد حسن قرون

وحوار مع الجاحظ

ذلك المهدى كالمازح لعمارة ، فقال له عمـــــارة : انتظرت أن تقول ومولاى فانفض واللــه يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى ، فهذه النادرة تدل على مكانة الموالى وحسن معاملتهم ، ونظرة الموالى الى أنفســــهم : ولا يكتفى المبرد بذكر هــذا من الخليفة المتمسك بفضائل الدين ومكارم الأخـلاق ودواعى الحضارة بل يذكر أن السليك بن السلكـة وهى أمه ــ وكانت سوداء حبشية ــ وكان هــو من غربان العرب ، وهو السليك بن عمير السعدى ، قال شعرا منه :

أشــاب الرّأس أنى كل يــوم
أرى لى خالة بيْن الرحال (١)

يشــق على أن يلقين ضَــيما
ويعجــز عن تخلصــهن مالى

فهذا الفاتك توجع لخالاته لأنهن كن امــاء ، ولا أريد أن أسترسل فيما ذهب اليه المبرد وأكثــر من الشاهد والمثل ، لأنه تناول طبيعى للمشكلة • أمــا شيخ الأدباء الجاحظ فقد غلبت عليه طبيعته الجدلية وحبه للمناظرة ، واصطناعه لأساليب المعتزلة وهــو رأس فيهم فدفعه هذا لاتخاذ مذهبه فى علاج مشكلة تتطلب الرفق والأناة ومجافاة ما يبعث على الضعن والحسد والثورة ، وقد تظن أنــه أراد انصــاف أصحاب الألوان السود أو السـمر أو مــا الى ذلك ولكنه خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وعنوان كتابه أو رسالته يعطيك مدى رجعيته فى تناول هذه المشكلة التى ظهرت فى حياته ، فالعنــوان « كتــاب فخر السودان على البيضان » ومجرد النظر الى العنوان يرجعنا الى العصر الجاهلى حيث المنافرة والمساجلة وذكر الأيام والانتصار والهزيمة والمعايرة والمثالب والفخر بالأنساب والأحساب مما ذمه الاســلام وقضى عليه الرسول محمد صــلى الله عليه وســلم بما أوحى اليه وبما خطب به وتحدث عنه فقول الله تعالى « **إنّ أكرمكم عند اللهِ أتقاكم** » وقول الرسول: « لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمــر على أســود ولا لأســود على أحمــر الا بالتقوى » لم يدعا مجالا لمفاخر أو مختال بنفسه أو نسبه أو حســبه أو لونه ، فكلمــة « فخر » من الجاحظ غير مقبولة فى هذا المقام وهــو الانســـان الأديب المسلم المتحضر ، ويعتذر فى مقدمة كلامه عن تأخره فى ذكر ذلك الفخر فيقول : «ذكرت أعاذك الله من الغش أنك قرأت كتابى فى محاكمة الصرحاء للهجناء ورد الهجناء وجواب أخوال الهجناء وأنى لم أذكــر فيه شــيئا من مفاخر الســودان ، فقــد كتبت لك ما حضرنى من مفاخرهم » فماذا قال فى مفاخرهم ؟

(١) المفرد رحل وهو ما يوضع فوق البعير

بدأ بلقمان وابنه وعد رجالا من الصحابة والتابعين مثل بلال وسعيد بن جبير ، والمقداد بن الأســود ، ووحش قاتل مسيلمة الكذاب ، وهؤلاء موضع فخر المسلمين على اختلاف أجناســهم وألوانهم ، فليس لأحد أن يقررهم بالفخر لنفسه ، وانظر الى قــول عمر رضى الله عنــه : « ان أبا بكر ســيدنا وأعتق سيدنا » يعنى بلالا رضى الله عنه • ومع ذلك فهــو كلام مقبول ومحتمل ، لأنه لا يسيء الى أحـــد ، ولا ينقص من قدر أحد ، وتعال معى ننظر فى أمــر (الحيقطان) الشاعر الذى وصفه الجاحظ بأنه كان يفضل فى رأيه وعقله وهمته وهــو الذى يقــول : لا تعرف الأخ حتى ترافقــه فى الحضر وتزامله فى السفر ، ولهذا الشاعر مشكلة ، أنه أسود ، تعرض له معاصره جرير الشاعر التميمى ، وكانا يســكنان فى اقليم اليمامة من أرض الجزيرة العربيـــة ، رآه جرير يوم عيد فى قميص أبيض وهو أسود ، فعبث به ببيت واحد من الشعر يحفظه الأدباء ، وهويصف سواده وبدأه بقوله « كأنه (١) لما بدا للناس •••» •

وقد كان من حق الحيقطان وهو شــاعر أن يرد على جرير ، فيندم شكله أو ملبســه أو صـــناعته مما يتصــل بخلقه وخلقه ولكن الحيقطان لم يتناول شيئا من ذلك انما قال قصيدة تحتج بها اليمانية على قريش ومضر ، وتحتج بهــا العجم والحبش عــلى العرب كما يقول الجاحظ ، والشــعر الذى ذكــره الجاحظ للحيقطان مثير للفتنة ، ومبير لعلائق الأخوة الاسلامية •

بدأه بالدفاع عن نفسه والفخر بشمائله من الكرم ونقاء العرض والشجاعة عند الفزع ، وليس يضيره أن يكون جعد الشعر أسود اللون • رضينا ، ولكنه استرسل استرسالا ضارا فقال والخطاب لجرير •

وإن كنتَ تبغى الفخــر فى غــير كنهــه
فرهط النجاشى منك فى النــاس أفخــر
فأبى الجلنــدى وابن كسرى وحــارث
وهــــوذة والقبطى والشـــيخ قيصر
وفــاز بهــا دون الملــوك ســــعادة
فــــدام له الملك المنيــــع الموفـــد

وهذه الأبيات تشير الى مناسبة تاريخيـــة وقعت بعد هدنة الحديبية سنة ست من الهجرة ، وضـــحها الجاحظ قائلا فانه يقول كتب النبى صلى الله عليــه وسلم الى بنى الجلندى فلم يؤمنوا ، وكذلك كسرى، وكذلك الحارث بن أبى شمر (الغسانى) وكذلك هوذة ابن على الحنفى ،وكذلك المقوقس صاحبالاسكندرية وكذلك قيصر ملك الروم • على أن بنى الجلندى قد أسلموا من بعد ذلك الكتاب . ولكن النجاشى أســلم قبل الفتح فدام له ملكه ، ونزع الله تعالى من هؤلاء النعمة ، وقيصر ان كان قد بقى من ملكه شيء فقــد أخرجوا من كل مكان يبلغه ظلف أو حــافر وصــار لا يتمنع الا بالخليج وبالقعاب والحصون والشتاء والثلوج والأقطار •

والحيقطان فى هذا لايغضب البيض فهم يحبــون النجاشى لموقفه من صاحب الدعــوة صلى الله عليه وسلم ، وانما يغضب ويتجنى عـــلى الحقيقة حين يقول :

غــزاكم أبو يكســـوم فى أم داركــم
وأنتــم كفيض الرمــل أو هــو أكثــر
وأنتم كطــير المــاء لمــا هـــوى لهــا
ببلقعة حجن المخـــالب أكـــدر
فلو كان غـــير اللـــه رام دفاعـــه
علمت وذو التجــريب بالنــاس أخبــر

---

(١) بقية البيت لا يحتمله الذوق العصرى .

وأمـا التى قلتـــم فتلـكم نبـــوة
وليس بكم صـُـون (١) الحــرام الستر

عاب على قريش ومن جاورها من العرب أنهم لم يدافعوا على البيت العتيق فى مكة مع كثرة العـــدد ، فبلغ أبو يكسوم أبرهة مكة ولم يجـد مقــاومة ، فكانوا طير الماء سقط عليها طير جارح ، ولولا اللــ ما سلمت مكة ولهدم البيت وأرجع الأمر الى النبوة بقصد تكريم الله لمحمد صلى الله عليه وسلم عــام ولادته ، فلم يصونوا هم الحرم وعليه الكســـاء وانما الفضل للنبوة لالهم ، فهم جبناء لم يتصـــدوا لمن غزاهم . ولو كان الحيقطان مؤمنا باللــه حـــق الايمان لبرأ شعره من هذا الاثم ، لأن الله منّ على قريش بانجائهم من عدوهم فأهلكه بجائحة لا نظير لها فى التاريخ وأنزل فى ذلك سورة تتلى فى المحاريب ويتعبد بها وهى سورة الفيل ونصها :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيــل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول»
فهذا الموقف ادخره الله لرسوله ليكون حجه عـــلى منكرى نبوته .

ولقد كان عبد المطلب وهو الموسوم بالوثنية أقرب الى الايمان من أبرهة أبى يكسوم المسيحى حين دار الحوار بينهما حتى وصل الى قـــول عبــد المطــلب «أنا رب الابل وللبيت رب يحميه» فقــال أبرهة : ما كان ليمتنع منى ، وقد حفظ الله بيته ودحر أبرهة وجيشه ، وليس صحيحا أن قريشا كانت لا تحسن القتال والنزال ، فمن تاريخها فى العصر الجاهلى أنها غزيت من التبابعة مرتين ، ففى الأولى كســـاتبع الكعبة الوصائل والبرود ، وفى الثانيه انهزم حسان ابن تبع وأخذه الحارث بن نهر أسيرا ، مكث ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه ، والحارث جد أبى عبيدة ابن الجراح ، وقد درب الله قريشا عـــلى الحـــرب وشئون السياسة ليقوموا بنشر دينـــه ، فحـــرب الفجار ، ثم الحروب مع صاحب الرسالة ، كل ذلك مهد لهم ليكونوا قادة وســادة وخلفاء ، والجـــاحظ لا يهتم بما ذكرت ، ولكنه يذكر معنى « أم داركم » فيقول : ودار العرب هى جزيرة العرب ومكة قرية من قراها ، ولكن لما كانت أقدمها قدما وأعظمهـــا خطــــرا جعلت لها أما ، ولذلك قيل لفتح مكة فتح الفتوح ، وعلى مثل ذلك ســميت فاتحــة الكتـــاب أم الكتاب ، والعرب قد تجعل الشىء أم ما لم تلد من ذلك قولهم ضربه على أم رأسه . وقد أبان الله تعالى مكة والبيت حين قال :

« إن أول بيت وضــع للناس للذى ببكة مبـــاركا وهدى للعالمين » فاذا غزيت مكة وهى أم القـــرى وفيها البيت الحرام فقد غزى جميعكم .

وقريش تفخر بأنها لم تدفع لملك اتاوة أو ضرائب فكانت مكة بلدا لقاحا لا تدين لملك ولا تقدم اتاوات. وأنها لم تقع تحت سيطرة أحد . فيقول الحيقطان فى قصيدته التى تفخر بها اليمانية والعجم :

وقلتم لقـــــاح لا تؤدى اتاوة
فاعطـــاء أربان من الفـــر أيسر
ولو كان فيهــا رغبـــة لمتـــوج
اذا لأتتهـــــا بالمعـــاول حمـــير
وليس بها مشتى ولا متصــــيف
ولا كجو انمـــا ماؤهـــا يتفجـــر

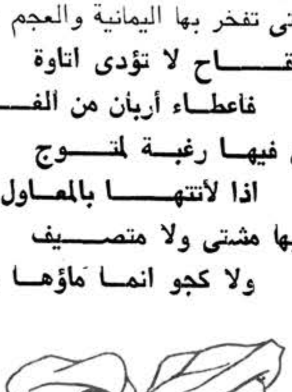

(١) صون لغة فى صبن المبنى للمجهول .

البيض والسود وحوار مع الجاحظ

ولا مرتع للعين أو متقنص
ولكن تجرا والتجارة تحقر

لقد بلغ فى الهجاء قمته ، وغض من شأن قريش وهى لم تهجه ولم تقف مع جرير تؤيد مسلكه فى العبث بسواد الشاعر ولم يستأذنها جرير فى هذا العبث ، وجرير من تميم وتميم فرع من مضر يجتمع مع قريش فى الجد (الياس بن مضر) فكان عليه أن يهجو تميما ، وحين تعرض لأسرة الشاعر لم يتعدها الى الجد الأكبر تميم فقال :

ألست كليبيا وأمك نعجة
لكم فى سمان الضأن عار ومفخر

فكليب أسرة جرير حقيرة لا ترعى الابل وانما ترعى الغنم وهى عارهم وفخرهم ، وأنا أعتقد أنه هرب من ذكر تميم خوفا من لسان الفرزدق . ولكنه هجا قريشا وهى بريئة مما قيل فيها .

وما من شك فى أن قريشا تمتعت بالحرية فلم يحكمها حاكم ولم تدفع ضرائب الملك ، وقد حماها الله من صاحب الفيل ، وكانت تجارتها سببا فى اتصالها بالعالم الخارجى عن جزيرة العرب فعرفت وأثرت ، ولكن الشاعر جعل دفع الاتاوة أو الأربان كما يسميها أيسر من الفر من وجه أبرهة ، وأن مكة لم تفتح لأنها غير مرغوب فيها لوقوعها فى واد غير ذى زرع ولا تصلح لمشتى ولا لمصيف وليس فيها ماء يتفجر مثل (جوانا) عين بالبحرين ، وليس فيها ما يمتع البصر ... وفيها تجار والتجار يحقرون وهذا كذب ومخالف للواقع ، فالتجارة كانت ومازالت مطمح الأنفس ومناط الثروة وطريق المعالى ، **ويكفى أن الله منَّ على قريش بها فأنزل سورة فى شأن رحلتى الشتاء والصيف قال تعالى : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ » ولا يضير مكة أن تخلو من المتنزهات أو يحرم فيها الصيد ، فهى قبلة المسلمين ومنزل الوحى الأول ومولد سيد المرسلين . « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .**

ويهجو جرير الأخطل التغلبى فيجىء فى شعره هذا البيت .

لا تطلبن خئُولة فى تغلب
فالزنج أكرم منهمُ اخوالا

فيغضب شاعر اسمه : (شيخ بن رباح شار) فيهجو جريرا ويفخر عليه بالزنج بقصيدة منها :

ما بال كلب من كليب سنا
أن لم توازن حاجبا وعقالا
ان امرأ جعل المراغة وابنها
مثل الفرزدق جائر قد غالى
والزنج لولا قيتهم فى صفهم
لاقيت ثم جحا (١) جحا أبطالا

وينساب الشاعر فى شعره مفتخرا بأناس من العرب لأن أمهاتهم سوداوات منهم عنترة وأخوه ، وخفاف بن ندبة ، وسليك بن السلكة ، وعباس بن مرداس مع أن الأخير أمه الخنساء فى رواية موثقة ويختم شعره ببيتين هما :

فلنحن انجب من كليب خئولة
ولأنت ألأم منهم اخوالا
وبنو الحباب مطاعن ومطاعم
عند الشتاء اذا تهب شمالا

ويستمر الجاحظ فى ذكر شجعان الزنج أو أبناء

(١) المفرد جحجاح وهو السيد

الزنجيات الذين نزعوا الى الزنج فى البسالة والألفة ، ويخصهم بالسخاء ثم هم أطبع الناس على الرقص والموقع الموزون والضرب بالطبل على الايقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم ، وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم ، وليس فى الأرض لغة أخف على اللسان من لغتهم ، ويدافع عن سخائهم بكل ما يملك من بيان وبرهان ، وينفى عنهم ضعف العقول والسذاجة .

وقد قلب الواقع فى هذا الاحتجاج : قالت الزنج للعرب من جهلكم أنكم رأيتمونا لكم أكفاء فى الجاهلية فى نسائكم فلما جاء عدل الاسلام رأيتم ذلك فاسدا ، ونبت الرغبة عنا مع أن البادية ملأى ممن قد تزوج ورأس وساء ومنع الزمار وكنفكم من العدو ، وليس الأمر كما قالوا .

فالواقع يشهد أن العرب فى الجاهلية لم يتزوجوا من غير بنات العرب ، أما غير العربيات فيتخذونهن ايماء ولايعترفون بأن من لدن أحرارا وشاهدنا عنترة وما لقى من أبيه وقومه ، وقصته حمامه بنت أخت أبرهه لم يتزوجها سيدها القراشى وضعها من حول مكة وجعلها للرعى مع رباح الحبشى مولاه ، وتزوجها رباح وهى الأميرة السابقة فأولدها بلالا وأخاه ، فمن أين جاءوا بأنهم أكفاء فى الجاهلية..؟أما الاسلام فقد سوى الجميع وجعل التزاوج ... ويستعصى الجاحظ كعادته فيذكر موقعة الحرة حين هاجم جيش يزيد المدينة وفعل الزنوج فى انحرائر كما يذكر ما فعل جيش أبرهه باليمن .

والكثرة عزة والقلة ذلة فيدخل بنا الجاحظ فى محيطها برواية حديث للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله : « بعثت الى الأحمر والأسود » ومع أن

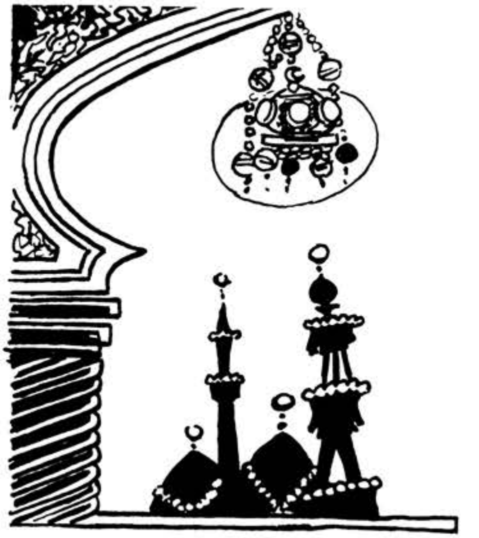

بعض العلماء يرى أنه بعث الى الانس والجن من فهمه لهذا الحديث الا أن الجاحظ يجادل ويستنبط ويخرج بنتائج هدفها اثبات الفخر للأسود على الأبيض فيقول : علمت انه لا يقال للزنج والحبشة والنوبة بيض ولا حمر ، وليس لهم أسمر الا السواد ، وقد علمنا أن الله عز وجل بعث نبيه .

الى الناس كافة والى العرب والعجم جميعا ، فاذا قال بعثت الى الأحمر والأسود ولسنا عنده حمرا ولا بيضا وقد بعث الينا فانما عنانا بقوله الأسود ، ولا يخرج الناس من هذين الاسمين ، فان كانت العرب من الأحمر فقد دخلت فى عداد الروم والصقالية وفارس وخراسان ، وان كانت من السود فقد اشتق لها هذا الاسم من اسمنا ، وانما قيل لهم وهو آدم وسمر سود حين دخلوا معنا فى جملتنا .. فان كان اسم السود وقع علينا فنحن السودان الخلص والعرب أشباه الخلص ، فنحن المقدمون فى الدعوة ، اذ كنا وحدنا يقال لنا سود ولا يقال لهم سود الا أن يكونوا معنا .. ونحن أكثر الناس عددا ، لأن أكثر ما يعد البيض فارس والجبال وخراسان والروم والصقالية وفرنجة وشيئا بعد ذلك قليلا غير كثير ، والسود يعدون

البيض والسود وحوار مع الجاحظ

الزنج والحبشة وفزان وبربر والقبط والنوبة وزغاوة ومرو والسند والهند والصين ، والبحر أكثر من البر ، وجزائر البحر ما بين الصين والزنج مملوءة سودان كسر ثديب وما جاورها الى الهند الى الصين الى كابل وتلك السواحل ، وكل هذا تكلف منه وتطرف وتخلف عن معرفة البلدان وما تسميه الجغرافيا وعوامل البيئة ، ومما يدلك على القاء الكلام على عواهنه — وله عذره — قوله وآخر العمران كله سودان وما استدار من أقاصى العمران أكثر من أهل الواسطة كطوق الرحى الذى يلى الهواء الذى هو أوسع وأكثر ذرعا مما قصر عنه من ذلك الرحى ، والقضية منقوضة فليست أطراف الأرض يسكنها السود فقط ، فأهل الشمال كلهم بيض والتمثيل بالرحى صحيح من حيث الوسط والطرف ، وليس عليه بأس فهو يفضل الليل على النهار لسواده •

ولا يترك الفكاهة ، ولكنها فكاهة تؤيده ، يقول : كانت دنانير بنت كعبويه الزنجى عند أعشى بنى سليم وكانت شديدة السواد فقال لها : ان الدنانير تدون سوداء ؟ فقالت :

بياض الرَّأس أقبح مِنْ سوادى
وشيب الحاجِبَيْنِ هُوَ الفضوح

فأمسك عنها فلما فضحته طلقها (١) •

ثم يتعرض لعلة السواد فيجعل السود يقولون : ان الله تعالى لم يجعلنا سودا تشويها بخلقنا ولكن البلد فعل ذلك بنا ، والحجة فى ذلك أن فى العرب قبائل سودا كبنى سليم بن منصور ، وكل من نزل مرة بنى سليم من غيرهم سود مثلهم ، وانهم ليتخذون للرعى والخدمة من الأشبانيين والروم فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة الى ألوان بنى سليم ، ولقد بلغ من أمر تلك الحرة أن ظباءها ونعامها وهوامها وذئابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود • والسواد والبياض انما هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والتربة ، ومن قبل قرب الشمس وبعدها وشدة حرها ولبنها • وكان ينبغى أن يجعل مقاله كله مبنيا على هذا الوجه وهو ما نسميه البيئة الطبيعية وأن يمسك بجعل الدين فيمنع من التفرقة العنصرية كما نقول اليوم •

هل كان لهذا الكتاب أو الرسالة أثر فيمن عناهم من الأجناس والألوان ؟ ان الجواب عن هذا السؤال يقتضى حذرا شديدا ، لكن ما جرى يجعل الدارس يقول بأثر تلك الرسالة على قرائها زمن الجاحظ ، كانت وفاة الجاحظ فى المحرم سنة ٢٥٥ ﻫ وهى السنة التى قام فيها صاحب الزنج بثورة كلفت الخلافة العباسية جهدا كبيرا وأعباء ثقيلة وحروبا ضارية ، ان عبد الله بن محمد صاحب الزنج لابد أن يكون قد قرأ (٢) رسالة الجاحظ فى فخر السودان على البيضان ، وأنه دعا دعوته للخروج على السادة ، فخرج اليه الزنج أفواجا ، وانضم اليه كثير من العرب ممن يحسون بفساد الدولة وتقصيرها فى العدالة الاجتماعية ، بل انه كان يعد لثورته عدتها قبل هذا التاريخ بست سنوات كما يقول الدكتور طه حسين ، وكانت له اتصالات بخدم قصر الخلافة ، فهو يعرف أسرار المكاتبات التى تصدر من القصر وترد اليه ، فيلم بشئون أطراف الدولة ، وبالولايات التى تنفصل ، وبالرجال الذين يرتفعون ثم يسقطون ، ويعرف قوة الترك والخدم فى تسيير

(١) هذا الزواج يدل على ان العرب تزوجوا من السوداوات فى الاسلام

(٢) كان يدعى الأمية ثم علمه الله القراءة دون معلم ، كما اختار الامامة على النبوة •

شئون الدولة ، يرى ثراء فاحشا يشكو منه صاحبه . وفقرا مدقعا يئن منه حامله ، فكان أن صمم على الخروج ليرفع عن كاهل الفقراء فقرهم ، ويزيل عن الزنج وغيرهم من الأرقاء رقهم وهوانهم ، وتنقل من بغداد الى حجر الى الأحساء الى البادية فلم يجد ما يؤمله ، أو يصلح لثورته ، وأخيرا وصل الى البصرة فوجد بغيته .

بدأ ثورته الجامحة فى رمضان سنة ٢٥٥ هـ اتصل بالرقيق الذين يعملون حول البصرة فى كسح السباخ واصلاح الأرض وفى استخراج الملح وفى كل ما يريده السادة من الأعمال التى سخر لها البصريون الألوف من الرقيق السود ، ولابد أنهم كانوا يكلفون مالا يطاق ، ولا يجدون احسانا فى المعاملة ومطالب الحياة ، فما ان اتصل أمره بأمرهم حتى هرعوا اليه زرافات ووحدانا ، وماهى الا أيام حتى كان له جيش كبير ، به ضيق على أهل البصرة ، وكان بها وال شديد الرأس قوى الشكيمة واسع الحيلة صده ورده ، ثم تغير الوالى فسهل عليه أن ينتصر عليها ، والخليفة المعتمد يرسل الجيش تلو الجيش فيرتد منهزما ، ثم استدعى أخاه (أبا أحمد الموفق) فعهد اليه بحرب صاحب الزنج فلبى الدعوة وخرج اليه فوجده قد دخل البصرة وخربها تخريبا ، وقتل أهلها تقتيلا ، وحول خيار سادتها الى عبيد وكرائم نسائها الى اماء يعرضون جميعا على البيع ويوزعون على أنصاره من الزنج ، وكان المنتظر ممن يثور للعدالة الاجتماعية أن يسوى بين الغالب والمغلوب ، ولكنه أتى ما ثار من أجله فظلم وقتل وباع الأحرار والحرائر .

كان الموفق رجل الدولة العباسية فى هذه الآونة له شجاعته وقدرته الادارية والسياسية والعسكرية ، وكان قبل تلك الفتنة وأثناءها أيضا يحارب شرق الدولة ويحارب ابن طولون فى مصر ، وجاءته ثورة صاحب الزنج فكلف أن يريح الدولة من تخريبه وتقتيله ، وكانت العراق فى ذلك الزمان فى غاية الاصلاحات فى الأنهار ونظام الرأى ، ودارت المعارك برا وبحرا كما نقول اليوم ، وثبت صاحب الزنج لجند الخلافة سنوات طويلة وكانت له مدن بناها وقوى حراستها ، ونشط الموفق بكل مايملك من قوة ، وفرض على الدولة نفسه فرضا ، فجعل ميزانية الدولة بين يديه ، وقبض على ناصية الأمور ، وجعل هذه فى القضاء على تلك الثورة ، وخان الخليفة من شدة ما يلقى فأراد أن يهرب الى مصر ليقيم عند ابن طولون ، ولكن الموفق يرسل جنده ، فيرد الخليفة الى قصره ، ويشكو الخليفة بشعر منه :

أليسَ من العجائب أنَّ مِثلى
يرى ما قَلَّ ممتَنِعًا عليه ؟
وتؤخذ باسمه الدُّنيا جَمِيعا
وما مِنْ ذاك شىء فى يديه ؟

والموفق بن المتوكل منطلق فى وجهته لا يهمه شكوى الخليفة ، ولا متاعب الجند ، وبنى لنفسه مدينة ازاء عدوه سماها (الموفقية) أدار الحرب منها ودفع ابنه الى القتال لا يرحمه ، فاذا انتصر وبدا منه جموحا حبسه واستخدم الارهاب والترغيب معا ، يستأمن من يأتيه من جند صاحب الزنج بعد الاغراء فيهيئه ويظهره فى أجمل مظهر حتى يراه من كانوا معه ، وحين يقع الأسرى فى يده يقتلهم ويجمع رءوسهم مع رءوس من قتل فى المعرفة ويعرضها ليراها الزنج ليبعث الخوف والفزع .. وهكذا استمرت الحرب أربعة عشر عاما كما يقول المؤرخون وأبدى صاحب الزنج بطولة فدافع الى آخر قطرة من دمه ولم يستسلم ، كان ذلك سنة ٢٧٠ هـ .

هل ظلمت الجاحظ فيما نسبته اليه حين حرض للثورة من غير قصد ؟ أو هو الظلم وطموح صاحب الزنج دفعاه الى الثورة ؟ فكان ما كان مما عرض الخلافة العباسية لمتاعب أثرت فى مسيرتها سنوات وسنوات . وهكذا الظلم اذا استمر ولم تجد العدالة طريقها أنجب الويلات وخراب العمران .

السيد حسن قرون

فتح مكة

المثل الكامل للإستراتيجية الحربية

للواء محمد جمال الدين محفوظ

« عليك وأنت تحارب أن تهيىء الظروف المناسبة لقيام سلم حقيقى ومستقر بعد انتهاء الحرب ، ولا تستخدم من أساليب القهر والتسلط الغاشم ، سواء فى أثناء الحرب أو بعدها ، ما يؤدى الى أن يكون السلم مشوها لاحتوائه على جراثيم حرب تالية » ٠

ينطوى فتح مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة على أرقى مراتب الفكر العسكرى والسياسى معا ، ولا يستطيع خبراء العسكرية والسياسة فى أى مكان وفى أى عصر ، الا أن يقفوا أمامه اجلالا وتعظيما ٠

فلقد اتفق علماء الاستراتيجية على المبادىء التالية (١) : ــ

١ ــ ان الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على « سلم أفضل » ، وأنه من الضرورى أن يضع القادة فى اعتبارهم باستمرار ــ وهم يديرون دفة الحرب ــ « السلم الذى يرغبون فيه »

٢ ــ عندما تصل الى هدفك العسكرى ، فكلما زدت من طلبك تجاه الجانب الآخر ، قابلت متاعب أكثر ، وهيأت السبب لقيام العدو بمحاولة لقلب الاستقرار الذى حصلت عليه فى الحرب ٠

وبمعنى آخر فان مبادىء الاستراتيجية الحقه تنادى بما يلى :

(١) الاستراتيجية الاقتراب غير المباشر ليدل هارت

دروس التــاريخ :

ولقد حفل التاريخ بأدلة قاطعة على أن الشــطط والمبالغة فى ادارة الحروب لا يهيئان مناخا صــالحا لقيام سلام مستقر أو دائم :

* فان سلسلة الحروب الواســـعة ــ وعــلى رأسها الحرب الثلاثينية ــ دفعت رجال السياســة فى القرن الثامن عشر الى ادراك هذه الحقيقة، والى ادراك ضرورة كبح أطماعهم وأهوائهم الخاصـــة عندما يشتبكون فى حرب ، وضرورة « تحــديد » الحرب وآثارها بمعنى تجنب الشطط والمبالغــة فى كل الاعمال التى قد تطيح بالآمال المعقودة على حالة ما بعد الحرب •• ومن ناحية أخــرى فقــد أدى ادراكهم هذا الى أنهم أصــبحوا أكثر استعــدادا للتفاوض على السلم عندما يبــدو النصر بعيـــد المنـــال (١) •

* وامتدت حروب نابليون قرابة العشرين عاما دون أن تحقق سلاما أو اســـتقرارا • فقــد كان نابليون ينصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب تلو الأخرى . ولكن النتيجة جاءت على عكس تصوره بل ان الأمر وصل الى حــد انهيــار الامبراطورية النابليونية •

* ويعتبر ما حــدث فى الحــرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ درسا لا ينسى فى هذا المجال . فان المعاملة القاسية التى لقيتها ألمانيا على يد الحلفــاء المنتصرين تحتشعار « ويل للمغلوب » . والعقوبات

(١) المرجع السابق •

فتح مكة

المثل الكامل

الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الالمانى ، جعلت السلام الذى جاء بعد تلك الحرب « مشوها يحمل معه جراثيم حرب تالية » كما يقول رجال الاستراتيجية .. وهذا هو ما حدث فعلا ، فان تلك القسوة بالذات كانت هى الدافع الأساسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على انهاض ألمانيا ، وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ (١).

حروب الاسلام الفاضلة :

تلك كانت بعض دروس التاريخ التى تنهض دليلا على أن استخدام أساليب القهر والتسلط الغاشم فى الحرب وأن تطبيق شعار « ويل للمغلوب ».، كلها تؤدى الى سلام زائف غير مستقر والى نشوب حرب جديدة تكتوى البشرية بنارها .

لكن فى هذا التاريخ ذاته صفحات مشرقة لحروب كانت « خالية من جراثيم حرب أخرى » . تلك هى حروب الاسلام .

فان حروب الاسلام حروب فاضلة ، لأنها مقيدة بقانون السماء ، ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات واهدار الكرامة الانسانية والقهر والتسلط الغاشم : —

١ — فالجهاد ، فضيلة انسانية عليا ، والباعث اليه فضيلة أيضا ، اذ هو اعلاء كلمة الله ورد الاعتداء ، ويستقيم مع هذا المعنى أن تكون الفضيلة الاسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد حربا وسلما .

٢ — وحرب الاسلام بدوافعها السلمية الفاضلة وآدابها وانسانيتها وسماحتها ، لم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلم حقيقى ومستقر ، بل كانت تجعل جراح المغلوبين تلتئم بسرعة .

٣ — والأكثر من ذلك أنها كانت تحول اتجاهاتهم من أشد الناس عداوة للاسلام الى أحرص الناس على رفع راية الجهاد فى سبيله ، وتلك صورة رفيعة انفرد بها الاسلام وليس فى التاريخ ما يتسامى اليها .

مثال الفتح :

ولقد كان فتح مكة مثالا كاملا لحروب الاسلام الفاضلة التى تتجاوز نظريتها ما قرره خبراء الاستراتيجية وتتركه وراءها عاجزا متخلفا .

ان كل الظروف كانت مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش يقضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمة بعده أبدا .. ولو كان هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق النصر على أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد النصر ، ما نفذ ذلك المخطط الذى فتح به مكة بلا قتال وجاء ناطقا بالبعقرية السياسية والعسكرية معا . واذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة ، فان الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه — على الرغم مما فعلت قريش ضد الاسلام والمسلمين — لم يفعل شيئا من **ذلك ، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف قلوب المشركين ويجعلها تقبل على الاسلام الذى هو دين السلام : —**

أولا — الأمر بعدم القتال :

كان قرار الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أن يتم فتح مكة بلا قتال ، فعهد الى أمرائه أن

(١) The Couses of Wors By Geoffrey Blainey

لا يقاتلوا الا من قاتلهم (١) ، وكان عليه الصلاة والسلام حريصا على ذلك كل الحرص ، فحينما بلغه ما قال سعد بن عبادة (وكان يقود رتلا من الأرتال الأربعة التى تألف منها جيش المسلمين) : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » ، أخذ الراية منه ودفعها الى ابنه قيس بن سعد ، وكان رجلا ضخما لكنه كان أهدأ من أبيه أعصابا ، وأكثر منه سيطرة على نفسه ، حتى يحول دون اندفاع سعد لاثارة الحرب .

ودخلت قوات المسلمين مكة بلا قتال ، الا جيش خالد بن الوليد ، فقد تجمع متطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بنى بكر فى منطقة « الخندقة » (٢) ، فلما وصلتها قوات خالد أمطرتها بوابل من نبالهم ، لكن خالد لم يلبث أن فرقهم .

ثانيا ـ دفع قريش الى الاستسلام بلا مقاومة :

ومن ناحية أخرى اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كل التدابير التى تجرد قريش من الارادة القتالية وتدفعها الى الاستسلام بلا مقاومة : ـ

(١) بغزو عقل ونفس زعيم قريش :

* فان أبا سفيان حين قدم الى المدينة لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم موفدا من قبل قريش التى شعرت بالخطر الذى عرضها له نقضها لعهد الحديبية بينها وبين المسلمين ، وجد صدودا واعراضا من كل من لقيه ، فحين توجه الى ابنته أم حبيبة زوجة الرسول وأراد أن يجلس على فراش النبى طوت أم حبيبة الفراش قائلة لأبيها : « هو فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس عليه » ، ثم ذهب ليكلم النبى فلم يرد عليه شيئا ، فكلم أبا بكر ليكلم له النبى فأبى ، فكلم عمر بن الخطاب فأغلظ له فى الرد وقال : أنا أشفع لكم الى رسول الله ! فوالله لو لم أجد الا الذر (٣) لجاهدتكم به » ، وذهب الى على بن أبى طالب واستشفعه الى الرسول ، فأنبأه على فى رفق أنه لا يستطيع أحد أن يرد محمدا عن أمر اذا هو اعتزمه ، فاستشفع أبو سفيان فاطمة أن يجير ابنها الحسن بين الناس ، فقالت ما يجير أحد على رسول الله .. واشتدت الأمور على أبى سفيان فاستنصح عليا ، فقال له : « والله ما أعلم شيئا يغنى عنك شيئا ، لكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، وما أظن ذلك مغنيا ولكنى لا أجد لك غيره ، فذهب أبو سفيان الى المسجد وهناك أعلن أنه أجار بين الناس . ثم ركب راحلته وانطلق عائدا الى مكة وقلبه يفيض أسى مما لقى من هوان وصدود وفشل. فلما قص على قومه ما لقى بالمدينة وما أجار بين الناس فى المسجد بمشورة على ، وأن محمدا لم يجز جواره ، قال قومه : « ويلك ! والله ان زاد الرجل على أن لعب بك » .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٤ ـ ٤٠٩ .

(٢) الخندمة : جبل بأسفل مكة ـ راجع التفاصيل فى معجم البلدان ٣ ـ ٤٧٠ .

(٣) الذرّ : جمع ذرّة وهى أصغر النمل .

فتح مكة

* فلما عاد أبو سفيان مرة أخرى ليستطلع الأخبار بعد أن شعرت قريش بأن خطرا يقترب منها (وكان المسلمون قد نزلوا بمر الظهران على أربعة فراسخ من مكة) لقى العباس عم النبى الذى أجاره ونصحه بأن يسلم قبل أن تضرب عنقه .

وقال العباس للنبى عليه الصلاة والسلام : يارسول الله ، ان أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا . قال الرسول : « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

* وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس باحتجاز أبى سفيان فى مدخل الجبل الى مكة ، حتى تمر به جنود المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين ، فيقضى على أى أمل لديها فى المقاومة . قال العباس : خرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله ، ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ياعباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سليم . فيقول: مالى ولسليم ؟ ولمزينة ؟ حتى نفذت القبائل ، ما تمر به قبيلة الا سألنى عنها ، فاذا أخبرته قال مالى ولبنى فلان .. حتى مر الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء (١) وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله ! ياعباس ، من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .. قال العباس : يا أبا سفيان انها النبوة قال : نعم .. اذن .. عند ذاك قال العباس لأبى سفيان : « النجاء الى قومك » فأسرع أبو سفيان الى مكة وقال لقومه : « يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

* أرأيت كيف أدى غزو عقل القائد والزعيم الى اقتناعه بعدم جدول المقاومة والى تجريده « هو أولا ثم قومه بالتالى » من الارادة القتالية ؟!

وبذلك تنجلى عبقرية الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى أنه جمع فى وقت واحد بين عنصرين يحققان له فتح مكة بلا قتال :

١ ـ العنصر الأول : أنه وضع الخطة وأصدر الأمر بأن يكون الفتح بلا قتال .

(ب) والعنصر الثانى : أنه اتخذ التدابير لتجريد قريش من إرادة القتال ودفعها الى الاستسلام بلا مقاومة .

ولو أنه لم يجمع بين هذين العاملين واكتفى بالتخطيط والأمر لجيوشه ، ولم يحرص فى الوقت نفسه على منع الجانب الآخر من القتال لما تحقق له ما أراد .

(٢) باستغلال الأثر النفسى للمباغتة :

ومن التدابير التى اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم لدفع قريش الى الاستسلام بلا مقاومة ، حرصه الشديد على مباغتتها ، فهو العليم بما تحدثه المباغته من آثار مادية ومعنوية على الكفاءة والارادة القتالية للأعداء :

* فقد حرص عليه الصلاة والسلام على كتمان قراره بالخروج لفتح مكة حتى على أقرب المقربين اليه مثل أبى بكر وعائشة .

(١) قال ابن هشام : وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها (سيرة ابن هشام ج ٤ ـ ٤٠٤) .

* وأجرى عملية خداعية بارعة لتحويل الأنظار عن اتجاه هجومه ونواياه بأن بعث سرية أبى قتادة الأنصارى الى بطن اضم .

* وبث العيون والأرصاد والدوريات داخل المدينة وخارجها للحيلولة دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش ، حتى انه استطاع بعث من يلحق بامرأة كانت تحمل رسالة حاطب ابن أبى بلتعة الى قريش يخبرهم فيها بخروج المسلمين ، فأخذها منها .

* وعبأ الجيش وأمر القبائل بالتجهز للقتال دون تحديد الهدف أو المهمة ثم أعلن عن ذلك فى الوقت المناسب .

* ولم يستطع أبو سفيان حين قدم الى المدينة أن يعرف نوايا المسلمين لحرصهم على الكتمان .

* كل هذه التدابير أمنت للرسول صلى الله عليه وسلم مباغتة ممتازة للغاية لا أدل عليها من أنه لما وصل المسلمون قرب مكة كان المشركون فى شك من هويتهم فان أبا سفيان حينما اقترب من وضع معسكر المسلمين قال لصاحبه بديل بن ورقا « ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا » . فرد عليه بديل : « هذه والله خزاء حمشتها الحرب » فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب ، فقال : « خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها » .

(٣) بتكوين الجيش :

ثم كان تكوين جيش المسلمين وتأليفه على صورة جعلت المشركين يترددون فى مقاومة فقد كان الجيش يتألف من المهاجرين والأنصار ومن مسلمى أكثر القبائل المعروفة مثل بنى سليم ، ومزينة ، وبنى غفار ، وبنى جهينة ، وأسلم ، وتميم ، وأسد ، وقيس وغيرها .

هذا التنظيم أضعف الدافع لدى المشركين الى القتال ، لأن كل قبيلة لها فى جيش المسلمين عدد كبير ، بل ان كثيرا من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحا لها على الرغم من اختلاف العقيدتين ، وليس ذلك فحسب ، بل ان انتصار هذا الجيش لا يعتبر فخرا لقبيلة دون أخرى ، كما أن فشل أية قبيلة فى التغلب عليه ، لا يعتبر عارا عليها ، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، بل كان للاسلام ولمعتنقى هذا الدين من العرب وغير العرب .

(٤) باعطاء قريش الأمان إن هى استسلمت :

ويستكمل الرسول صلى الله عليه وسلم تدابيره لدفع قريش الى الاستسلام دون مقاومة باعطائها الأمان ان هى فعلت ذلك، وذلك من خلال رسالته اليها التى ينطوى عليها قوله لأبى سفيان : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن »

ان اعطاء الأمان هو بمثابة « ضربة معنوية ونفسية قاضية » تجىء فى الوقت المناسب تماما بحيث لا يكون أمام قريش من سبيل الا الاستسلام :

* فهذا هو زعيمهم أبو سفيان يسبقهم الى الاقتناع بأن لا جدوى من المقاومة بعد أن رأى بعينيه قوة جيش المسلمين ، ثم يدعوهم الى الاستسلام لأن محمدا جاءهم فيما لا قبل لهم به » .

* وهذا هو جيش المسلمين يباغتهم فيشرف على مكة بينما هم يتشاورون ولم تتفق كلمتهم بعد على قرار .

* وكيف يقاتلون جيشا لكل قبيلة منهم فيه عدد كبير ؟

* وأخيرا ها هو الرسول يعرض عليهم الأمان ان استسلموا .

(٥) بدخول مكة من جهاتها الأربع :

ثم تكون « الضربة القاضية ماديا ومعنويا » بدخول جيش المسلمين فى أربعة أرتال من جهات

مكة الأربع ، الأمر الذى يدفع قريشا — ان هى أرادت المقاومة — الى تقسيم قواتها الى أقسام لمقاومة كل رتل من أرتال المسلمين على انفراد ، فتكون قواتها ضعيفة فى كل مكان بحيث لا يكون لديها أمل فى التغلب عليهم •

ثالثا لا « ويل للمغلوب » فى الاسلام :

واستسلمت قريش ••

قريش ، التى يعرف النبى منها من ائتمروا به ليقتلوه ، ومن عذبوه وأصحابه من قبل ، ومن قاتلوه فى بدر وفى أحد ، ومن حصروه فى غزوة الخندق ومن ألبوا عليه العرب جميعا ، ومن لو استطاعوا قتله وتمزيقه اربا اربا لما توانوا فى ذلك لحظة ! •

قريش ، أصبحت فى قبضة محمد عليه الصلاة والسلام وتحت قدميه ، أمره نافذ فى رقابهم ، وحياتهم جميعا معلقة بين شفتيه ، وفى سلطانه هذه الألوف المدججة بالسلاح تستطيع أن تبيد مكة وأهلها فى رجع البصر !

لكن رسول الله ، ليس بالرجل الذى يعرف العداوة أو يريد بها أن تقوم بين الناس ، وليس هو بالجبار ولا بالمتكبر ، لقد مكنه الله من عدوه ، فماذا فعل ؟

لقد سألهم : « يامعشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ • قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ! » •

قال : « فاذهبوا فأنتم الطلقاء » •

هكذا تكون سماحة الاسلام التى تلتزم بها العسكرية الاسلامية فى حروبها ، وتنفرد بها بين المدارس العسكرية قديما وحديثا وشرقا وغربا •

واذا كان أرقى ما وصل اليه فكر خبراء الاستراتيجية هو أن الاستراتيجية الحقة يجب أن تبحث عن سلم أفضل ، فان الاسلام يتجاوز ذلك الى تحقيق أهداف أرقى وأسمى هى تأليف القلوب ، وجمع الكلمة ، وتحويل الاتجاهات من العداء للاسلام الى الحرص عليه وبذل الأموال والأنفس جهادا فى سبيل الله ، ورفع منار التوحيد ولوائه ، واضاءة العالم بنوره الوضاء •

جلال الماضي وحجة الالتزام في الحاضر

للدكتور/ محمد كمال جعفر

يحلو لكل انسان أن يفخر بماضيه اذا تضمن مقومات المجد والعظمة والحضارة . وحق له أن يفخر عن جدارة اذا كان الولى والخصم يقران بهذه العظمة ويعترفان بهذا المجد . واذا كان لاية أمة أن تفخر بماضيها وتثنيه على الدنيا بما أنجزته فى سوالف الاحقاب ، فان الامة الاسلامية تحتل من ذلك المكان الأرفع والمنزلة الاسمى لما فى مجدها من عموم وما فى حضارتها من شمول يستوعب آمال وآلام الانسان بما هو انسان ، ولذلك نرى أن لفظ « اسلامى » هنا يتساوى تماما مع لفظ انسانى ، لان لكل انسان فى كل زمان ومكان أن يتلمس نفسه بأفراحها وأتراحها ، وهدوئها وثورتها ، وقوتها وضعفها ، وعزها وذلها ، وتفردها والتحامها ، واستقلالها وتبعيتها وانفصالها وانتمائها — أن يتلمس كل ذلك فيما قدمته هذه الامة من انجازات وما أجزلته من عطاء فى قوة ومضاء .

نقول انه لحق أن نفخر بماضينا المجيد ، وتراثنا التليد ، ومجدنا العتيد . ذلك المجد الذى أقامه الرجال فى تفان وايثار ، وعزة واصرار ، ووفاء بحق الله عليهم ، واستجابة لنداء الانسانية فيهم وتعبيرا عن طاقات الإبداع التى أطلقتها العقيدة فى نفوسهم حتى تحقق هذا المشهد الرائع الذى تخر له كل عبقرية نواقة منصفة .

جلال الماضى حجة الالتزام فى الحاضر

وكيف لا ــ وقد شملت جهود الأجداد أقطار الوجود ، وأغوار النفوس ، تستفتح المغلق ، وتستوضح المبهم ، وتستكشف السر ، وتعين على البر ، وتنشر الخير والحق والجمال أنى توجهت ، وتشيع النور والهدى أنى سارت بها الركبان فالحق أن الحضارة الاسلامية الأصيلة تتمتع بالانطلاقة الفريدة منبثقة من منبع الوحدة والتوحيد •

فهى حضارة ينظم دررها سمط الوحدة والتوحيد بدءا وغاية ومن ثم كان تميزها وتفردها وصلاحها لكل زمان ومكان وانسان أنها تؤكد وحدة الخالق ووحدة الكون ووحدة الانسان ، وان شئت قلت : انها تعلم وحدة الأصل والمصير وما بينهما فى الوقت الذى توجد فيه حضارات مفرقة مبددة ، ان حفظت الوحدة فى جانب فقدتها فى الجانب الآخر ، فاذا اتجه عطاؤها الى العقل مثلا كان ذلك على حساب الوجدان والشعور ، واذا اتجهت الى العاطفة كان ذلك أيضا على حساب العقل والسلوك أما الحضارة الاسلامية الاصيلة فانها تعرض ما يرعى سائر الجوانب فى اتساق وانسجام • وقد تعلمت ذلك من المعلم الحق ــ جل شأنه ــ الذى علمها فى كتابه كيفية رعاية هذه الملكات واشباع تلك الجوانب فى تناسب عجيب ، اذ أنه ــ سبحانه ــ لا يخاطب عقولنا الا وهو يلمس مشاعرنا وأحاسيسنا حافزا ايانا على السلوك الامثل الذى يتفق مع معطياته العقلية والشعورية •

ولقد كان نلك كذلك لان الاسلام يحرص أشد الحرص على تماسك الكيان الانسانى ووحدته وانسجامه مع سائر الكيانات المخلوقة حتى يلتئم الشمل ويتحقق الاتساق ، وتنطلق عجلة التقدم والتطور انطلاقا آمنا تتوازى فيه منابع العطاء الانسانى دون خلل أو اضطراب •

وقد عانى العالم ــ ومازال يعانى ــ الآثار السيئة التى نجمت من اهمال جانب أو أكثر من الجوانب الانسانية حتى أظلنا هذا العصر الذى انطلقت فيه جياد الابداع العلمى دون شكيمة أو ضابط من الضمير والخلق ، ورسمت فيه السياسات على أساس من الانتهازية والأنانية والبغى والعدوان والتجبر والتسلط ، حتى قيل : أن حضارة اليوم أشبه بعملاق أوتى بسطة فى العلم والجسم ، وقوة فى السواعد والعضلات ، ولكنه خلو من الانسانية الحقة والضمير الحى الذى يحفظ كرامة الانسان لانه انسان ، انها حضارة لم تستطع فى الغالب أن تشبع من رغبات الانسان ومطالبه الا ما يمس بدنه ووجوده المادى الحسى ، دون أن تفلح اراحة نفسه ، أو طمأنة خاطره ، أو اسعاد باطنه •

وبدهى أننا لا نقصد بذلك التقليل من انجازات انسان اليوم والأمس القريب ، ولكننا نقصد أن حضارة اليوم فى الغرب وغيره تشكو عرجا مشينا لأنها تسير على قدم واحدة أولا وهى قدم المادة ،

وتفقد القدم الآخر التى تكفل لها السعى الى الروح والشعور والضمير ، كما تفتقد سندها الأجل ، وظهرها القوى المتين ــ جل جلاله ــ فلا تلتزم بقيمه أو مكارمه ، ومن ثم كان حالها أنها اذا آست جرحا هنا ، فانها تهيج جراحا هناك ، واذا أتاحت نعيما فى جانب ، فتحت جحيما فى جانب آخر • واستشرى الداء فى عالم السياسة حتى أصبحت الصراحة فى هذا العالم تعنى « السذاجة » ، وأصبح الوفاء بالعهد والميثاق ، يعنى الضعف والاستسلام•

ولو لخصنا الدرس الذى تريد حضارة اليوم أن تعلمه للناس لكان هو العودة الى قانون الغاب ، مع تطوير الأظافر والأنياب ووسائل العدوان بصورة تجعل أثر دمارها شاملا ، وحصيلة ضررها قاتلا مبترا •

أما الحضارة الاسلامية فلأنها انطلقت استلهاما لكلمة الله ــ والله واسع عليم ــ فانها اتسعت فى أفقها ونظرتها ، ولأنها علمت أن الله « يأمر بالعدل والاحسان » فانها دأبت على التعمير والتنوير والتبصير والدعم والبناء والتأليف ، ولم الشعث ، وجمع المتفرق ، وترسيخ الألفة والمودة والتقارب والتعاون بين بنى البشر ، ولذلك قبلت التبادل والأخذ والعطاء بين سائر الحضارات دون تمييز أو تعصب ، ولم ترفض الا ما يتعارض أساسا مع ركائز دينها وأصول عقيدتها ، ولم يكن هذا الرفض رفضا تحكميا أو عنصريا ، ولكنه رفض الواعى البصير لشىء يضر ولا ينفع ، ويخفض ولا يرفع ، ويؤخر ولا يقدم ، ولا يبنى بل يهدم • ولتفصيل ذلك مجال آخر نرجو أن تحين فرصته فى القريب ان شاء الله •

ان عظمة هذه الحضارة ، وجلال هذا المجد وان كان مدعاة للفخر والاعتزاز ، يضع على كواهلنا عبئا ثقيلا ومسئولية ضخمة بقدر ضخامة هذا المجد وروعة تلك الحضارة ، وهو فى الحقيقة حجة بالغة للأسلاف قبل أن يكون حجة لنا ، بل ان الدقة تفرض علينا أن نقول : ان هذا المجد وتلك الحضارة ليس فى الواقع حجة لنا الا بالقدر الذى ينفى عن العقلية الاسلامية مزاعم المقللين من شأنها ، أما ماعدا ذلك فهو حجة علينا حيث يعلن فى وضوح أن الأسلاف لم يتخلفوا عن أداء واجبهم نحو عقيدتهم وأوطانهم ، وأنهم أضافوا الى الحياة ما يعين على فهمها وحسن الافادة منها فى العاجل والآجل •

لقد كشفوا قوانين الوجود بما يتضمن من طبيعة وانسان ، وألقوا الضوء الغامر على النفس الانسانية واستطاعوا فى النهاية أن يقدموا لجيلهم وللأجيال تالية لهم الزاد الثقافى المتنوع الذى يشبع

جلال الماضى حجة الالتزام فى الحاضر

كفايات الأفراد والجماعات ، فماذا قدمنا نحن الآن؟

اننا لم ننهض بعد النهضة الكافية فيما يتعلق بتحقيق عيون تراثنا ، ولم ننفذ بعد تطبيق المناهج العلمية الموثقة فى دراسة حضارتنا ومشكلاتنا المعاصرة ، ولم تفلح بعد فى تقديم ذلك ثثاقى للمسلم المعاصر بحيث تثبت جذوره فى تراثه وتشرئب نفسه ويمتد عنقه لمعالجة المواقف والأحداث فى ضوء قيمه الخالدة ، وثقافته المتجددة الملتزمة .

لا ينبغى قط أن يقال بحق : لقد جمع الأجداد ، وضيّع الأحفاد ، بل يجب أن نعمل متكاتفين على انماء رصيدنا من هذه الحضارة ، وأن ننتفع بثمرات الحضارات الأخرى فيما يفيد وينمى ويزيد ، معتقدين أن هذه الثمرات هى فى النهاية حصيلة فضل الله وعطائه فى خلقه ، فلا نقف منها موقف المتهيب المشفق المستغرب ، فلم نخلق قط غرباء فى هذا العالم ، وكيف نكون غرباء وصاحبه علمنا أنه خلق من أجلنا نحن البشر .

اننى أقولها فى إلحاح وتكرار : لا يصح قط أن يشعر مسلم بالغربة فى أى مكان وقد علمه خالقه أنه « أينما تولوا فثم وجه الله » كما لا ينبغى قط أن يقف مسلم موقف الاستغراب من حكمة أو حقيقة علمية ، أو موقف المتفرج على ما يجد فى الحياة من أحداث أو أفكار أو حقائق .

انه مسئول أن يؤدى دوره المنوط به فى ثقة تامة ووعى كامل بأن يصل حاضره الراهن بماضيه المشرف وعندئذ يحق له أن يفخر بالماضى ، وأن يفخر كذلك بالحاضر وأن يتأكد من أن أجداده يتضاعف سرورهم وتكتمل فرحتهم حين يرون أحفادا صانوا وأضافوا وشادوا ، وأتموا المسيرة حتى أسلموا الشعلة وهاجة الى الذين يلونهم .

وعلى صفحات هذه المجلة الغراء سنلتقى لنرى ماذا يمكن أن نعمل ليعود النبض الى حياتنا الثقافية والدينية ، وماذا يمكن أن يؤمل فى هذا الحصن العتيد ــ الأزهر ــ لكى يقوى على استئناف أداء رسالته الجليلة فى هذا الخضم الهائل من المشكلات والله من وراء القصد .

دكتور محمد كمال جعفر

رمضان مشرق الرسالة ووعاء الانتصارات

دكتور
السيد رزق الطويل

يقول علماء اللغـــة ان كلمة رمضان مأخوذة من الرمض ، وهو حرارة الظهيرة عندما تقوى وتشتد، وهى المعروفة بالرمضاء ، ويقولون فى سر تسمية هذا الشهر العـــربى أو القمرى بهذا الاســـم : لعلهم راعوا المناسبة عندما حـــــدثت التسمية ،فقد يكون رمضان إذ ذاك فى وقت الصيف ٠

ووراء حديث اللغويين ، والنحويين عن رمضان ، ومنعه من الصرف بسبب أنه علم مختوم بألف ونون مزيدتين لى حديث آخر عن ذلك الشهر الكريم ٠ففيه مشرق الرسالة الخاتمة ، وفيه انتصارها العظيم ، كما حدث فى أيامه المباركة الفتح الكبير ومن عجب أن يظل هذا الشهر ميدانا للكفاح المظفر على امتداد التاريخ الاسلامى كما يشاء الله أن يكـــون ميقاتا سنويا تتربى فيه الأمة المسلمة على المعاناة الجـــادة لتنشأ صلة العود فى مواجهة الأحداث ٠

رمضان مشرق الرسالة ووعاء الانتصارات

مشرق الرسالة :

من الحقائق التى لاريب فيها أن رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم قد أشرقت على بطحاء مكة وجبالها الشامخة ، ومسالكها الوعرة خلال شهر رمضان ، ومنها انبعثت الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى العالم كله . يقول تبارك وتعالى : (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**) .

فالقرآن الكريم نزل فى رمضان ، فقد تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام الآيات الاولى من الكتاب العزيز وهو فى غار حراء ، يتعبد متأملا فى ملكوت السموات والأرض عازفا عما تورط فيه أهل مكة من انحراف عن سنن العقيدة القديمة ، والحنيفية السمحة ، ومناهجها الاخلاقية السليمة — تدعوه وتدعو من ورائه قومه جميعا الى العلم منهاجا لمعرفة الله ، ولدينه الحق الذى ارتضاه ، وكان الأمر بالقراءة هو الخطوة الأولى ، أو المنطلق الصحيح نحو العلم الشامل ، اذ يقول تعالى فى هذه الآيات : (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) .

واذا قلنا : ان هذه الآيات من القرآن الكريم تعتبر أول وأقوم دعوة لمحاربة الأمية على أساس الايمان فنحن نقرر حقيقة نذهل عنها ، ولانقف أمامها أمام زحمة الحوادث التى تعمر بها أيام الشهر الكريم ولياليه .

ونزول القرآن الكريم فى رمضان يضفى على ذلك الشهر مكانة كبيرة ، اذ القرآن الكريم هو شريعة الله ، ودستوره فى الحياة ، والمنارة التى يهتدى بها المسلمون اذا تكاثفت على سمائهم سحب الفكر الدخيل ، وهو الفرقان بين الحق والباطل ، فالفكر الزائف لايثبت أمامه ، ولاتستقر به قدمه (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) .

الانتصار الرمضانى :

وتتحرك الدعوة الاسلامية تشق طريقها وسط خطوب عظيمة ، وعقبات صعبة ، ويعانى أبناؤها من بغى المشركين ، وعنادهم ، واضطهادهم وعنتهم ، وينتهى الامر بهجرة الداعية والدعوة ، وتقوم على أرض يثرب للدعوة دولة ، تواجه مصيرها من الكفاح الذى فرض عليها ، كما قال جل شأنه : (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) وسلسلة الكفاح متصلة الحلقات لايكاد يخلو عام من خروج لصد بغى ، وابطال كيد ، أو مواجهة لعدو قادم يفرض نفسه على أبواب المدينة .

وفى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وهو أول رمضان يصومه المسلمون يجدون أنفسهم أمام معركة رهيبة مع قريش عند بدر ، لا تكافؤ بين الجانبين فى العدد أو العدد ، لكن القلة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يملكون مالايملكه المشركون ، يملكون الايمان الصادق ، وأنهم يرجون من الله ما ليس من حق قريش أن ترجوه .. فأخذوا بكل أسباب العدو ، ودخلوا الحرب واستغاثوا بالله

فأمــدهم بجنود لم يروها (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) •

وانجلت المعركة عن نتيجة حاسمة لم يتوقعها جبابرة مكة ، وكانت بمثابة بشرى وآية تأييد للفتية المؤمنة فى المدينة ، وسقط فى لهيب بدر سبعون من عظماء قريش صرعى ، ووقع منهم سبعون أسرى فى يد المسلمين •

وثبتت أقدام الدولة الناشئة ، وتسامع العرب بعد الانتصار الرمضانى أن محمدا المهاجر من مكة أصبح له قوى يحسب لها كل حساب فى المدينة •

وسارت أحداث الكفاح الدامى على خطها المقدور ، والحرب سجال ينتصر فيه المسلمون ويمتحنون ، وفى الامتحان دروس فى الايمان واليقين أبلغ من دروس الانتصار •

الفتح الرمضانى :

وما تمر على هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ثمانى سنوات ، ويأتى رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، ليلف المسلمين بأنواره ، الطيبة ، ويحتويهم بخيره وبره ، وسماته الحبيبة الى نفوس المؤمنين ، ويسمع النبى صلى الله عليه وسلم أن قريشا قد نقضت عهد الحديبية اذ انتصرت لبكر حليفتها على خزاعة حليفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم • ويدعو النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رمضان للخروج الى مكة وقد امتلأت القلوب بأمل الفتح ، واستحوذ عليها بشرى الانتصار الوشيك باذن الله ، وخرج آلاف من المسلمين نحو العشرة وراء النبى صلى عليه وسلم ، وأسلم أبو سفيان للنبى صلى الله عليه وسلم على مشارف البلد الآمن ، ودخلها المسلمون من أربع جهات ، والنبى صلى الله عليه وسلم يأتى الى بابها وتقع عينه على حرمها المقدس فيطأطىء رأسه حتى يمس ظهر راحلته شكرا للكبير المتعال الذى نصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده •

ويستسلم الجبابرة من قريش أمام أخيهم النبى الهادى ولا أقول الفاتح وقد توقعوا منه مالم يره هو منهم منذ ثمانى سنوات • وياله من موقف عظيم تحتبس فيه أنفاس التاريخ ليسجل بكل دقة الأحداث الكبار لمحمد الانسان الذى أدب بأدب الرحمن ، فكان من منهجه الخلقى أن من يملك العفو أقوى ممن يملك الانتقام !!

فماذا كان ؟ قال لقومه : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا •• أخ كريم وابن أخ كريم • قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء •

وأعاد الأمن للبلد الآمن •• فمن دخل بيته فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن •

وبدخول مكة فى ظلال الاسلام الوارفة تسابق العرب من أنحاء الجزيرة اليه وأتت الوفود تترى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلن اسلامها بين يديه ، ودخل الناس فىدين الله أفواجا ، وأذعنت الجزيرة كلها لدين الله عندما أذعن له أهل مكة •

ولم تتوقف الفتوح الاسلامية فى رمضان •

بل ظل هذا الشهر حافزا للهمم ، محركا للعزائم ، وكان كريما للانتصارات الكبيرة والعظيمة على امتداد حركة التاريخ •

فقد تم للمسلمين فتح الأندلس فى رمضان ، فتحرك المد الاسلامى بالدعوة الى الله وبالخير والحضارة وبانقاذ الانسان من استعباد أخيه

رمضان مشرق الرسالة

الانسان فى الشرق والغرب جميعا . وكادت الدائرة تتلاقى فى أطرافها لولا هفوات ونزوات لا يخلو منها البشر أوقفت جيوش المسلمين على أبواب فرنسا •

وعندما يدلهم خطب ، أو يحيط بالمسلمين كرب ، فيفزعون الى الله والى دينه الحق يسعفهم الله بفتح رمضـانى •

يثبت الصليبيون أقدامهم على الأرض الشامية ، ويقيمون امارات فى القدس وصور ، وصيدا ، وعكا وغيرها ، وتمر السنون تلو السنين ، وهم يظنـون أن موجات غزوهم المتتابعة قد أثمـرت ، ويأتى صلاح الدين الأيوبى ، وتتحد تحت لواء الاسـلام الذى يحمله الأمة الممزقة ، وتأتى معركة رمضـانية فاصلة فى حطين عام ١١٨٧ م وتتهاوى بعـدها قلاعهم وحصونهم ، ويسلمون القدس لتعـود مرة أخرى فى رحاب المسلمين •

وتتحـرك جحافل التتار من الشرق فى غـزوات مدمرة رهيبة لا تبقى ولا تذر فى منتصف القـرن السابع الهجرى ، وتأتى على كل ما يقابلها من البلاد والعباد ، وتسقط بغداد حاضرة الخلافة الاسـلامية ويقتل العلماء والأدباء ، ويلقى بمكتباتها الحـافلة بالكتب الثمينة التى تضم ثقافة الاسلام الرفيعـة فى نهر دجلة ، ويستولى الروع على الناس فى كل مكان ، ينتظرون اليوم الذى يحل فيه بهم ما حـل ببغداد ، وينطلق هولاكو فى طريقه الى مغرب العالم الاسلامى بعد أن دمر مشرقه • وعلى أبواب مصر ، وعند عين جالوت ، فى معركة رمضانية رائعة يخرج فيها أبناء مصر ومماليكها بقيادة سيف الدين قطز ، ويشتد القتال ، ويعنف ، فيرمى القائد المسلم بخوذته ويصرخ فى جنـوده صرخة تزلزلت الأرض تحت العدو ، كما وثبت قلوب جنده حماسة وحمية وهـو يقول : وا اسلاماه •• ويتهاوى الفيلق الضخم ، ويتراجع ، ويتسـاقط من جنـده آلاف القتلى ، ويطاردهم المصريون المسلمون حتى يخرجوهم من دمشق أيضا •

كل هذا فى رمضان •

ولاتزال فى أسماعنا بقايا هتافات جنودنا على ظهر القناة وهم يصرخون : الله أكبر فعبروا المانع المائى، ومسحوا عار الهزيمة ، وحطموا خط بارليف الحصين كما حطموا معه صلف اسرائيل •

وليس عجيبا اذن أن يختار العليم الحكيم هـذا الشهر العظيم ، وهو فى علمه الأزلى ، وقدره الحكيم وعاء الانتصارات المتتالية لأمة الاسـلام فى فجـر نهضتها •• وكذا فيما بعد فى فترات صحوتها ليكون ميقاتا لعبادة الصيام التى تعنى مجاهدة النفس ، ومغالبة الشهوة ، والكف عما أحل الله من طعـام وشراب وملذات شتى ليتربى الفرد المسلم على قوة الارادة ، وصلابة العزيمة ، ليستعين بهذا الخلق الذى تعلمه من الصيام فى رمضان على مواجهـة مغريات الحياة وضلالها ، ويتسنى له البعـد عن المحرمات التى حذره الله من الوقوع فيها ، وليكون دائما محصنا بمراقبة الله وخشيته ، لتصون هـذه المراقبة سلوكه من الزلل ، وخلقه من الشطط ، وقلبه من همزات الشياطين •• وهذه هى الحكمـة التى سـجلها القرآن الكريم ، اذ يقـول تعـالى : **« يَـأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكمُ الصيامُ كمـا كُتِبَ على الذين مِن قبلكم لعلكم تتقونَ »**

فاذا قلنا ان الجهاد بكل ميادينه منهج رمضـانى فاننا بهذا لم نتجاوز الحق ، ولم نخـالف الواقع التاريخى للمسلمين • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

دكتور السيد رزق الطويل

- الترمذى
- ابن هبيرة
- بقىّ بن مخلد

أعلام الإسلام

- سفيان الثورى

الإمام

من أئمة الحديث النبوي

هو امام من ائمة المسلمين وعلم من أعلام المحدثين له في الحديث قدم راسخة ، وباع واسع • عاش حياته المباركة في جو علمي اسلامي ، فانطلقت مواهبه في مناخ علمي مزدهر بنهضة تدوين حديث رسول الله زمانا ومكانا • أما الزمان فهو القرن الثالث الهجرى العصر الذهبي لتدوين السنة ، ظهرت فيه كتب الصحاح ، ومنها « جامع الترمذى » •

وأما المكان ، فبلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) أرض العلماء سمت برجال الحديث : محمد بن أسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وامامنا أبو عيسى الترمذى •

وهو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى البوغى الترمذى الضرير• ولد فى مطلع القرن الثالث الهجرى فى ذى الحجة سنة تسع ومائتين من الهجرة ، فى قرية من قرى مدينة « ترمذ » تسمى « بوغ » بينها وبين « ترمذ » ستة فراسخ الى مرو — والعجم ينسبون على غير قياس « بالزاى والياء معا » •

ثم انتقل جده أيام الليث بن يسار الى « بوغ » — والسلمى نسبة الى « بنى سليم » قبيلة من غيلاك، وتوفى « أبو عيسى » فى بلدته « بوغ » فى رجب سنة ٢٧٩ هـ • وقد أصبح الترمذى ضريرا فى آخر عمره ، ولم يولد ضريرا •

قال محدث خراسان الحاكم أبو أحمد ، سمعت عمران بن علان يقول : مات محمد بن اسماعيل البخارى ، ولم تحلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والورع ، بكى حتى عمى •

عاش الترمذى للحديث ، ورحل اليه حيثما وجد فسمع من الخراسانيين والحجازيين والعراقيين ، وهو تلميذ امام المحدثين البخارى وخريجه •

وتأثر به ولا سيما فى فقه الحديث ، وناظر ، وناقشه ، وروى عنه البخارى حديثا ، وهذه مكانته وشهادة تقدر حق القدر فى عرف المحدثين ، وتدل على مكانة الترمذى فى نظر أئمة الحديث ، وسمع الترمذى من الامام مسلم بن الحجاج ، وأبى داود ، واشترك مع أقرانه الأئمة الخمسة أصحاب الكتب المعتمدة ، وأصحاب نهضة الحديث فى القرن الثالث وهم :

الامام البخارى ، والامام مسلم بن الحجاج

الترمذي

للدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

النيسابوري والامام أبو داود السجستاني ، والامام النسائي أحمد بن شعيب ، والامام بن ماجه محمد ابن يزيد .

اشترك معهم في تسعة شيوخ وهم : محمد بن بشار بندار ، ومحمد بن المثنى أبو موسى ، وزياد بن يحيى الحساني ، وعباس بن عبد العظيم العنبري ، وأبو سعيد الأشج عبد الله ابن سعيد الكندي ، وأبو حفص عمرو بن علي الفلاسي ، ويعقوب بن ابراهيم الدورقي ، ومحمد بن معمر القيسي البحراني ونصر بن علي الجهضمي ، وقد أدرك أبو عيسى الترمذي شيوخا أقدم من هؤلاء وسمع منهم ، وروى عنهم في كتابه الجامع . منهم عبد الله ابن معاوية الجمحي،وعلي بن حجر المروزي،وسويد ابن نصر بن سويد المروزي وقتيبة بن سعيد الثقفي أبو رجاء ، أبو مصعب أحمد ابن أبي بكر الزهري المدني وغيرهم .

قوة حفظه :

للمحدثين ألقاب علمية في غاية الدقة هي شهادات تقدير لهم ، تعطى لهم من الأئمة ومن المجتمع الاسلامي من هذه الألقاب المسند ، وهو من يروي الحديث باسناده سواء أكان عنده بمعناه أم لم يكن له الا مجرد الرواية في دقة وحرص .

والمحدث : وهو أعلى شأنا من المسند بحيث يعرف الأسانيد والعلل ، وأسماء الرجال ، ويحفظ الكثير من فنون الأحاديث .

والحافظ ، وهو أعلى الدرجات العلمية لأنه يشترط أن يكون عالما بشيوخه وشيوخ شيوخه .

مكانته عند الائمة :

لقد شهد الترمذي أئمة العلماء وزخرت بالثناء عليه كتب الطبقات . قال ابن الأثير في تاريخه ، كان الترمذي اماما حافظا له تصانيف حسنة ، منها الجامع الكبير ، وهو أحسن الكتب .

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، كان مبرزا على الأقران ، آية في الحفظ والاتقان .

وقال المزي في التهذيب بأنه «الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات أحد الائمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به المسلمين ، ووصفه السمعاني بأنه » امام عصره بلا مدافعه ، وقال عليه صاحب مفتاح السعادة .

« هو أحد العلماء الحفاظ الأعلام ، وله في الفقه يد صالحة أخذت الحديث عن جماعة من الأئمة ، ولقي الصدر الأول من المشايخ » .

وقال الذهبي في الميزان ، الحافظ العلم صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ، ولا التفات الى قول أبي

الإمام الترمذى

محمد بن حزم فى الفرائض من كتاب الايصال أنــه مجهول ، فانه ما عرف ، ولا درى بوجود الجــامع ولا العلل له •

وقال الحافظ بن حجر فى التهذيب « وأما أبو محمد ابن حزم فانه نادى على نفسه بعدم الاطلاع ، فقال فى كتاب الفرائض محمد عيسى بن سورة مجهول ، ولا يقولن قائل : لعله ما عرف الترمذى ، ولا اضطلع على حفظه ، ولا على تصانيفه ، فان هــذا الرجل ، قد أطلق هذه العبارة فى خلق من المشـــــهورين من الثقات الحفاظ » •

وفى التهــذيب عن نصر بن محمد الشــيراكوهى يقول :

سمعت محمد بن عيسى الترمذى يقــول : قال لى محمد بن اسماعيل البخارى : « ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بى » وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال فيــه : **كــان محمد ممن جمــع وصــنف وحفظ • والامام الترمذى صاحب الجامع من الأئمة الســتة الذين حرسوا سنة رسول الله «صلى الله عليهوسلم» وأصبحت كتبهم فى عالم السنة هى الأصول المعتمدة فى الحديث ومن الذين نضر الله وجوهم لأنه ســمع** حديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فــأداه كما سمعه • « كتاب الشمائل النبوية للترمذى » •

ان مؤلفات الترمذى التى طبقت شهرتها الآفاق ، واستحق بها الامامة ، هى كتــاب الجــامع للسنن ، ويعتبر كتاب « العلل ــ الصــغرى » ضمن كتــاب الجامع ، كمدخل له ، وجزء منه ، وبيان لنهجه •

والكتاب الثانى « كتاب الشمائل المحمدية ، وهما الكتابان الموجودان » •

ومن الكتب التى للترمذى وفقدت ، وذكرتها كتب الطبقات والتاريخ « كتاب العلل الكبرى » وكتــاب التفسير وكتاب التاريخ وكتاب الأسماء والكنى وكتاب الشــمائل من الكتب النفيســـة القيمة ، وذكر له «بروكلمان» فى تاريخ الأدب الغربى أكثر من عشرين شرحا ومختصرا ، والنسخة التى اعتمــد عليها هى طبعة القاهرة « مصطفى الحلبى » كتــاب « جمــع الوسائل فى شرح الشمائل لعلم الروايــة والــدراية للامام الترمذى ، وتقع فى جــزءين بالحجم الكبير » الجزء الأول الى صــحيفة ٣٥٦ ، والثــانى به ٢٤٠ صحيفه شرح العلاقهعلى بن سلدان من القارئى محمد القارئى الحنفى نزيل مكة ، وبهامشه شرح المحــدث الشيخ عبد الرءوف المناوى المصرى المتــوفى ســنة ١٠٠٣ هـ على متن الشمائل •

وقد ابتدأ الامام الترمذى كتاب الشمائل ببــاب ما جاء فى خلق رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال أبو عيسى أخبرنا أبو رجاء قتيبة بن ســعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول : **كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم» ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق ، ولا بالآدم ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكــة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتوفاه الله على رأس ستين سنة ، وليس فى رأسه ولحيته عشرون شــعرة بيضاء •**

جــامع الترمذى :

هو الكتاب الــذى أصــبح به الترمذى اماما فى الحديث ، وهو أشهر كتبه وأجلها ، ويسمى « جامع الترمذى » وســنن الترمذى ، وســماه الحــاكم أبو عبد الله الخطيب البغدادى « الجامع الصحيح » للترمذى ، أو « صحيح الترمذى » وقــد وصــفه الترمذى وســماه بالصحيح ــ روى ابن كثــير فى تاريخه عن الترمذى أنه قال « **صنفت هذا المســند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضــوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان فى بيته هــذا**

الكتات ، فكأنما فى بيته نبى ينطق » •

وقال المجد بن الأثير فى مقدمة جامع **الأصول** « وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيبا ، وأقلها تكرارا وفيه ما ليس فى غيره من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال ونبين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب • وفيه جرح وتعديل ، وفى آخر كتاب العلل ، وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها •

شروط الترمذى :

ان الشروط المعتبرة والمتفق عليها عند أئمة الحديث ، ومنهم الامام الترمذى بالنسبة لصحة الحديث « الاسلام والعقل والصدق والحفظ وعدالة الرواة ، وعنايتهم بالحديث ، وعدم التدليس ، ثم استنبط المجتهدون الشروطالخاصة بعد ذلك لكل امام من كتبهم ، أو أقوالهم • فقال أبو الفضل حمد ابن طاهر المقدسى فى شروط الأئمة الستة ، وأما أبو عيسى فكتابه وحده على أربعة أقسام ، قسم صحيح مقطوع به ، وهو ما وافق فيه البخارى ومسلم ، وقسم على شرط الثلاثة « أبى داود والنسائى وابن ماجه » وقسم آخر للضدية أبان علته ولم يغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه ، وقال : ما أخرجت فى كتابى الا حديثا قد عمل به الفقهاء •

والواقع أن رأى المقدسى فى شرط الترمذى تفسيره على هذا الوجه اجتهاد ومحمود ، وان كان يحتاج الى المناقشة فهو غير مسلم على اطلاقه ، فلا يفهم من قول الترمذى **« ما أخرجت فى كتابى الا حديثا قد عمل به الفقهاء ، انه يخرج كل حديث احتج به محتج ، أو عمل بموجبه عامل ، سواء صح طريقه أو لم يصح ، بل كان يفهم ذلك ، لو قال الترمذى بأنه يحتج بكل حديث احتج به الفقهاء»** •

وفرق بين التعبيرين ، لجواز أنه ينبغى مما يحتج به الفقهاء ما توافرت فيه شروط خاصة فى نظره ، ثم ان هذا الشرط الذى قال به الترمذى ، ليس بقسم خاص من كتابه كما يفهم من كلام المقدسى ، وانما ينطبق على كل ما أخرجه فى كتابه والذى قال به الترمذى فى آخر كتابه الجامع الصحيح : « جميع مافى هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به » وقد أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين : حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر بالمدينة ، والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر » وحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : « اذا شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فى الربعة فاقتلوه » ، وبينا علة الحديثين جميعا فى الكتاب » أ هـ •

وان الامام الترمذى ببيانه درجة الحديث استحق أن نطلق على كتابه الجامع الصحيح فقد قال احمد شاه ، ولى الله الدهلوى فى كتابه « حجة الله البالغة » والصحة أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه ايراد ما صح أو حسن غير مقلوب ولا شاذ ولا ضعيف ، الا مع بيان حاله • فان ايراد الضعيف مع بيان حاله لا يقدح فى الكتاب وقد أنصف المقدسى ، وأبان ذلك بقوله ، وقد أزاح عن نفسه الكلام فانه شفى فى تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه •

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث

من أعلام الإسلام

تبدو أهمية تراجم أعـــــلام الاسلام : أنهم نماذج مضيئة تبين أثر الاسلام ومبادئه وتعاليمــه فى ابنائه الذين التزموا به وحكموه فى كل أعمالهم ، وجسدوه فى كـــل تصرفاتهم ، فاشرقت الدنيا بهم ، وتحقق العدل على أيديهم ، وكان الأمن والأمان فى رحابهم ، وتركوا من بعدهم العمل الصالح والعلـم النافع ، فهم قدوة للشباب المسلم أن يمضى على درسهم ، ويأخـذ بأسبابهم ، فيكون خير خلف لأعظم سلف .

ومن هؤلاء الاعلام : الامام ابن هبيرة .

ابن هبيرة

معالم حياته :

* هـو يحيى بن محمـــد بن هبيرة ، ويكنى أبا المظفر ، ويلقب بعـون الدين ، وينعت بالوزير العـادل .

* ولد فى ربيع آخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية بنى أوقر ، وهى قريبة من بغداد . وعرفت فيما بعد باسـم الوزير ابن هبيرة ، لانه أقام فيها مسجدا ومدرسة على ماذكر ياقوت فى معجم البلدان .

* ويبدو لنا أن ابن هبيرة من أسرة فقيرة شغلها طلب الرزق عـن طلب العلم . فابن الجـوزى وهو صاحب ابن هبيرة وقريب منه ـ ينقل لنا عنه انه كان فى مطلع حياته شديد الفقر حتى أنه كـان

لا يجد رغيف الخبز ليعبر به نهر دجلة . وقد أشار ابن خلكان أن والد ابن هبيرة كان جنديا .

* ولم يمنع الفقر ابن هبيرة عن طلب العلم والحرص عليه ، فدخل بغداد شابا ، وجالس الفقهاء والعلماء والادباء ، وسمع الكثير من الحديث ، وحصل من كل فن طرفا ، فاطلع على أيام العرب وأحوال الناس ، وحفظ كتاب الله وختمه بالقراءات والروايات ، وتعلم صناعة الانشاء .

* سعى لكسب الرزق فعمل فى المخازن السلطانية ، فتجلت أمانته وكفاءته . فقلد الاشراف والرقابة على المخازن ، فبان نصحه ، فتولى فى سنة ٥٤٢ هـ رئاسة المخازن أى صاحب الديوان .

* ظهر للخليفة العباس المقتفى بأمر الله (٥٥٥هـ) كفاءة ابن هبيرة للقيام فى مهام الملك .. فاستدعاه فى سنة ٥٤٤ هـ الى داره وقلده الوزارة . وهو أمر يدل على وجود الفرصة المتاحة لكل مسلم للوصول الى أعلى المناصب على أساس من الكفاءة والجدارة.

* اتبع ابن هبيرة الحق فى الحكم وحذر الظلم فحقق العدل . وقرب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين اليه ، وكانت أمواله مبذولة لهم ولتدبير الدولة ، وارتفع به أهل السنة غاية الارتفاع . ونقل لنا ابن الجوزى عنه أنه قال أثناء وزارته :

والله لقد كنت أسأل الله تعالى الدنيا لاخدم بما يرزقنيه الله منها العلم وأهله .. وكانت السنة تدور وعليه بعض الديون حتى قال فيه بعض الشعراء :

يقولون يحيى لا زكاة لما له
وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا دار حول لا يرى فى بيوته
من المال الا ذِكْرُه وفضائله

* لم تكشف المصادر التى بين أيدينا عن المحن

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

التى مر بها الوزير ابن هبيرة بصراحة ، ولكن بعض الاشارات تدل على أنه له لبعض الحاقدين والاعداء وصل بهم الامر الى تحريض الطبيب الذى يعالجه أن يدس له السم فى الدواء مما أدى الى استشهاده يصف لنا ابن الجوزى الفترة الأخيرة من حياة ابن هبيرة فيقول : (كان الوزير يتأسف على مامضى من زمانه ، ويندم على ما دخل فيه ، ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة ، ويتعرض بأسبابها ، وكان صحيحا يوم السبت ثانى عشر جمادى الاولى سنة ستين وخمسمائة . فنام ليلة الاحد فى عافية ، فلما كان وقت السحر قاء ، فأحضر طبيبا كان يخدمه فسقاه شيئا ، فيقال أنه سمه فمات ، وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر فكان يقول : سقيت كما سقيت ومات الطبيب ، واسمه ابن رشاده) . ويحكى لنا ابن الجوزى رؤية صادقة له فى حق ابن هبيرة ، ويؤكد أن الوزير مات مسموما فيقول : كنت ليلة مات الوزير نائما على سطح مع أصحابى ، فرأيت فى المنام كأنى فى دار الوزير وهوجالس ، فدخل رجل بيده حربة قصيرة ، فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط ، فالتفت فاذا بخاتم من ذهب ملقى ، فأخذته وقلت لمن أعطيه ؟ انتظر خادما يخرج فأعطيه اياه ؛ وانتبهت ، وحدثت أصحابى بالرؤيا ، فلم أستتم الحديث حتى جاء رجل فقال : مات الوزير ، فقال بعض الحاضرين : هذا محال أنا فارقته أمس العصر ، وهو فى كل عافية ، وجاء آخر وصح الحديث . وقال لى ولده : لابد أن تغسله ، فأخذت فى غسله ، ورفعت يده لأغسل مغابنه (مطاوى البدن مثل الابط وغيره)

ابن هبيرة

قال : فسقط الخاتم من يده ، فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام • وقال ابن الجوزى : ورأيت فى وقت غسله آثارا فى وجهه وجسده تدل على أنه مسموم •

والشاهد الثانى على ما نقول أثبته ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة اذ قال (فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الاعداء فغسلها) •

ونستنتج من هذا النص أن ابن هبيرة مات معدما ، حتى أن ورثته عرضوا مصنفاته التى بخط يده فضلا عما اقتناه من كتب للبيع ، وان لابن هبيرة أعداء لم يكفهم قتله واستشهاده بل سعوا الى محو ذكراه بما ترك من علم ينتفع به بعد وفاته بمحو مصنفاته • ولعل هذا هو السبب الذى يبرر لنا أنه لم يصل الينا من مؤلفات ابن هبيرة سوى أجزاء من كتابه (الافصاح عن المعانى الصحاح) • وكفى بها شاهدا على أصالة ابن هبيرة فى الحديث والفقه واللغة •

* وينقل لنا ابن رجب عن أبى بكر التيمى الذى أفرد كتابا لسيرة الوزير ابن هبيرة — لم يصل الينا — أن الوزير بعد أن تناول المشروب من طبيبه استفرغ ، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة ، وصلى قاعدا ، فسجد فأبطأ عن القعود من السجود ، فحركوه فاذا هو ميت •

ولما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ، ولم يتخلف عن جنازته أحد ، وصلى عليه فى جامع القصر ، ودفن فى مدرسته التى أنشأها •

شيوخ ابن هبيرة :

* ثبت باستقراء الواقع أن المرء يتأثر بمن حوله من والديه وأساتذته وأصحابه ، وتتكون مبادئه وقيمه منهم ، وان اختلفت درجة التأثير ، ولعل أكثرها أثرا التى تكون فى سن الحداثة ، وقد أشرنا من قبل أن والد ابن هبيرة كان جنديا ، ولم يكن من أهل العلم ، وان كان يبدو لنا أنه قد غرس فى ولده حب العلم ، لأن الوالد فى غير قليل من الاحيان يود أن يحقق ذاته فى أولاده ، ويعوض ما حرم منه فيهم ، وصادف ذلك ميلا أصيلا لدى ابن هبيرة من حب العلم وطلبه •

وقد تأثر ابن هبيرة بأخلاق أساتذته ، ولعل عمق زهد ابن هبيرة يرجع الى الزبيدى (الواعظ الزاهد) المتوفى ٥٥٥ هـ ، فقد صاحبه ابن هبيرة فى حداثته ، وكان الزبيدى على طريقة السلف فى الأصول ، حنفى المذهب فى الفروع ، وكان يقول الحق وان كان مرا ، وكان بارعا فى النحو ، وبدا أثر ذلك فى ابن هبيرة وله مؤلف فى النحو ، وكان يقول الحق ولا يخاف فيه لوم لائم •

* وسمع ابن هبيرة الحديث الكثير من حفاظ عصره المشهود لهم بالرواية والدراسة مع الورع منهم :

— أبو الحسن الزغوانى ، وهو على بن عبيد الله ابن نصر ، أحد أعيان المذهب الحنبلى ، ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وكان متقنا فى الحديث والأصول والفروع والوعظ ، وصنف فى ذلك كله ، وتوفى يوم الأحد سادس عشر المحرم سنة سبع وعشرين وخمسمائة •

— عبد الوهاب الانماطى ، ويكنى أبا البركات ، ويلقب بـ « محدث بغداد » • كان ثقة ثبتا ، ذا دين وورع ، وقد نصب نفسه لتسميع الحديث طول النهار ، ولم يكن يأخذ أجرا على العلم ، توفى يوم الخميس الحادى عشر من محرم سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة •

— أبو غالب البناء : كان يلقب «بمسند العراق»، وتوفى فى ربيع الأول من سنة سبع وعشرين وخمس مائة •

ـ أبو القاسم بن الحصين : ويلقب أيضا « بمسند العراق » ، وكان دينا صحيح السماع ، توفى يوم الاربعاء رابع عشر شوال من سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

* ومن شيوخ ابن هبيرة فى الفقه :

ـ أبو الحسين الفراء ، الملقب بالقاضى الشهيد، وهو ولد أبى يعلى الفراء ، وكان عارفا بالمذهب الحنبلى متشددا فى السنة ، ومات مغتالا فى٥٢٦ هـ.

ـ أبو بكر الدينورى ، أحد أئمة المذهب الحنبلى، وله فيه كتاب « التحقيق فى مسائل التعليق » ، وتوفى فى غرة جمادى الاولى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة .

أخلاق ابن هبيرة :

يبدو لنا أن الوزير ابن هبيرة كان عبدا لله تقيا ، يلتزم بأوامره ويبتعد عن نواهيه ، ويتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ويقتدى به ، فكان على خلق عظيم ، فقد كانت غايته ارضاء الله سبحانه وتعالى ، وتقديم صالح الأعمال ، والاسهام فى العمل النافع ، وكان متواضعا لله ، يحاسب النفس ، ويصبر فى الشدة ، ويعفو عند المقدرة ، فلم يكن غريبا أن يكون مستجاب الدعوة ، وأن يحقق الله رجاءه وينتهى أجله شهيدا .

*** فمن مظاهر ايمانه وثقته بالله وورعه :**

انه قد ضاقت يده فى مطالع حياته حتى فقد القوت أياما ، فخرج من بلدته قاصدا بغداد للعمل ، وفى الطريق رأى مسجدا مهجورا ، فدخل وصلى فيه ركعتين ، واذ بمريض ملقى على حصيرة قديمة متهالكة ، فقعد عند رأسه ، وسأله عما يشتهى ؟ فقال : سفرجلة ، فخرج الى بقال ، ورهن مئزره على سفرجلتين وتفاحة وأتى بهما ، فأكل المريض من السفرجلة ، ثم أمره بغلق باب المسجد ، فأغلقه، فأعطاه وعاء صفيحى ، وقال : خذ فأنت أحق به . فسأله ابن هبيرة عما اذا كان له وارثا ، فقال :لا ، وانما لى أخ وعهدى به بعيد ، وبلغنى أنه مات ، ونحن من الرصافة ، ثم مات أثناء حديثه ، فغسله ابن هبيرة وكفنه ودفنه ، ثم أخذ « الكوز » وفيه مقدار خمسمائة دينار ، ومضى الى دجلة ليعبرها ، فاذ بملاح فى سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة ، فقال : معى معى ، فنزل معه ، واذا به من أكثر الناس شبها بذلك الرجل ، فسأله : من أين أنت ؟ فقال : من الرصافة ، ولى بنات ، وأنا صعلوك ، فسأله : مالك أحد ؟ قال : لا ، كان لى أخ ولى عنه زمان ، ما أدرى ما فعل الله به .

فقال ابن هبيرة له : ابسط حجرك ، فبسطه ، فصب المال فيه ، فبهت ، فحدثه الحديث ، فطلب منه أن يأخذ نصفه فقال : لا ، والشاهد من هذه الواقعة انه على الرغم من شدة حاجة ابن هبيرة الى المال ، وقد جاءه هبة من صاحبه ، بيد أنه لورعه وتقواه رأى أن النية الحقيقية لصاحب المال أن يصل الى ورثته فان عدم ذلك فله ، وان الوارث أحق بأموال المورث وان وهب المورث المال لغير الوراث .

لذلك لم يمكن غريبا أن يسأل الله تحقيق حاجته فى أن يجد عملا يسد به جوعته ، وأن يمضى الى دار الخليفة بالطلب ، فاذ اسناد العمل بالمخازن .

*** ومن صور محاسبته لنفسه ، أنهم أضافوا الى ألقابه فى الوزارة « سيد الوزراء » فيأبى ، ويقول : ان الله تعالى سمى هارون وزيرا ، وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان وزيريه من أهل السماء : جبريل وميكائيل ، ومن أهل الارض : أبو بكر وعمر) وجاء عنه أنه قال (ان الله اختارنى ، واختار لى أصحابا فجعلهم وزراء وأنصارا) فلا يصلح أن يقال عنى : أنى سيد هؤلاء السادة .**

واقعة أخرى : ذكر مرة فى مجلسه مفردة للامام احمد تفرد بها عن الثلاثة (أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى) ، فادعى أبو محمد الاشترى المالكى :

ابن هبيرة

انها رواية عن مالك ، ولم يوافقه على ذلك أحد ، وأحضر الوزير كتب مفردات أحمد ، وهى منها ، والمالكى مقيم على دعواه • فقال له الوزير : بهيمة أنت ؟ أما تسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بانفراد أحمد بها ، والكتب المصنفة ، وأنت تنازع وتفرق المجلس ؟

فلما كان المجلس الثانى ، واجتمع الخلق للسماع أخذ ابن شافع فى القراءة فمنعه ابن هبيرة • وقال : قد كان الفقيه أبو محمد جرىء فى مسألة أمس على ما لا يليق به عن العدول عن الادب والانحراف عن نهج النظر ، حتى قلت تلك الكلمة ، وها أنا فليقل لى كما قلت ، فلست بخيركم ، ولا أنا الا كأحدكم •• القصاص •• القصاص ولكن أبو محمد الاشترى صفح عنه •

* ومن صور تواضعه ما يحكيه صاحب سيرته (أبو بكر التيمى) مما شاهده بعينه فى مجالس ابن هبيرة : ان الحاجب (أبو الفضائل بن تركان) أسر لوزير بشىء لم يسمعه أحد • فقال له الوزير : أدخل الرجل ؟ فأبطأ ، فسأله : فقال الحاجب : ان معه شملة صوف مكورة • وقد قلت له : اتركها مع أحد الغلمان خارجا عن الستر وادخل ، قال لا أدخل الا وهى معى • فقال له الوزير : دعه يدخل وهى معه فخرج وعاد ، واذا معه شيخ طوال من أهل السواد ، عليه فوطة قطن وثوب خام ، وقال للوزير : ياسيدى أن أم فلان — يعنى أم ولده — لما علمت أنى متوجه اليك • قالت لى : بالله سلم على الشيخ يحيى عنى ، وادفع اليه هذه الشملة ، فقد خبزتها على اسمه ، فتبسم الوزير اليه وأقبل عليه ، وقال الهدية لمن حضر ، وأمر بحلها فحلت الشملة بين يديه ، فاذا فيها خبز شعير •• فأخذ الوزير منه رغيفين ، وقال هذا نصيبى ، وفرق الباقى على من حضر من صدور الدولة ، والسادة الاجله ، وسأله عن حوائجه جميعها ؟ وتقدم بقضائها فى الحال ، ثم التفت الى الجماعة وقال : هذا شيخ قد تقدمت صحبتى له قديما ، واختبرته فى زرع بيتنا فوجدته أمينا ، ويعقب صاحب سيرته فيقول (ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ ، ولا تكبر عليه ، ولا أعرض عنه ، بل أحسن لقاءه ، وقضى حوائجه ، وأجزل عطاءه) •

* ومن صور شجاعته : انه حضر يوما فى دار الخلافة ، وحضر أرباب الدولة جميعا للصلاة على جنازة الامير اسماعيل بن المستظهر ، فسقطت من السقف أفعى عظيمة المقدار على كتف الوزير ، فما بقى أحد من أرباب الدولة وحواشى الخدمة الا خرج أو قام عن موضعه الا الوزير ، فانه التفت الى الأفعى ، وهى تسرح على كمه حتى وقعت على الارض ، وبادرها المماليك فقتلوها ولم يتحرك الوزير من مكانه ، ولا تغير فى هيئته ولا عباراته •

* ومن صور الصبر على المصيبة والاحتساب الاجر عند الله والحرص على متابعة مجلس الحديث : ان المجلس كان غاصا بولاة الدين والدنيا ، والاعيان الاماثل ، وابن شافع يقرأ الحديث ، اذ بصراخ بشع وصياح يرتفع من باب الستر وراء ظهر الوزير ، واضطرب المجلس وارتاع الحاضرون ، والوزير ساكن ساكت ، حتى أنهى ابن شافع قراءة الاسناد ومتنه ، ثم أشار الوزير الى الجماعة على رسلكم (استأذن) ، ثم قام ودخل الى الستر ولم يلبث ان خرج ، فجلس وتقدم بالقراءة ، فدعا له ابن شافع والحاضرون : وقالوا : قد أزعجنا ذلك الصياح ، فان رأى مولانا ان يعرفنا سببه ، فقال الوزير : حتى ينتهى المجلس • وعاد ابن شافع الى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال فعاودوه ، فقال : كان

لى ابن صغير مات حين سمعتم الصياح ، ولولا تعين الأمر بالمعروف فى الانكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجب الحاضرون من صبره •

*** ومن صور عفوه عند المقدرة : قدم رجل ومعه آخر ادعى عليه انه قتل أخاه • فقال له الوزير : أقتلته ؟ قال نعم : جرى بينى وبينه كلام فقتلته • فقال الخصم : سلمه الينا حتى نقتله فقد أقر بالقتل • فقال عون الدين : اطلقوه ولا تقتلوه • قالوا : كيف ذلك ، وقد قتل أخانا ؟ قال : فتبيعونيه ، فاشتراه منهم بستمائة دينار ، وسلم الذهب اليهم وذهبوا ، وقال للقاتل : اقعد عندنا لا تبرح • قال : فجلس عندهم ، واعطاه الوزير خمسين دينارا •**

يقول ابن الجوزى فسألنا الوزير : لقد أحسنت الى هذا وعملت معه أمرا عظيما وبالغت فى الاحسان اليه •

فقال الوزير : منكم أحد يعلم أن عينى اليمنى لا أبصر بها شيئا ؟

فقلنا : معاذ الله ، فقال : بلى والله •

اتدرون ما سبب ذلك ؟ قلنا : لا •

قال : هذا الذى خلصته من القتل جاء الى ، وأنا فى الدور ، ومعى كتاب فى الفقه أقرأ فيه ، ومعه سلة فاكهة ، فقال : احمل هذه السلة ، قلت له : هذا شغلى ، فاطلب غيرى ، فشاكلنى ولكمنى فقلع عينى ، ومضى ولم أره بعد ذلك الى يومى هذا • فذكرت ما صنع بى فأردت أن أقابل اساءته الى بالاحسان مع القدرة •

نقف مبهورين ازاء هذه الواقعة ، الوزير يسعى الى فك خصمه من يد غيره ، ولا تثريب عليه أن سلم الخصم لأهلية القتيل للقصاص منه ، بل كان يعد انزالا لحكم الشرع فى الواقعة ، واشفاء لغليل نفس فقدت بصرها بيد آثمة ، ولكن الشخصية التى تغلغلت فيها تعاليم الاسلام تطبق قول الله تعالى **(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)** (فصلت : ٣٤) تطبيقا على النفس قبل ان تطبقه على الغير ، فحق قول الله تعالى فى وصفها **(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت : ٣٥)** •

* ومن صور تمسكه بالسنة أنه كان لا يلبس الحرير وان قدمه له خليفة المسلمين ، فقد خرج ابن هبيرة لدفع بعض البغاة وعند عودته ودخوله على الخليفة المقتفى قال له : ادخل هذا البيت فغير ثيابك ، يقول ابن هبيرة : فدخلت فاذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير ، فقلت : أنا والله ما ألبس هذه ، فخرج فأخبر المقتفى ، فسمع صوت المقتفى وهو يقول : قد والله قلت : أنه ما يلبس ، وعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه عليه • وكان ابن هبيرة لا يلبس ثوبا يزيد فيه الابريسيم على القطن ، فان شك فى ذلك سل من طاقاته ونظر : هل القطن أكثر أم الابريسيم ؟ فان استويا لم يلبسه أخذا بالاحوط ، ومن صور تمسكه بالسنة أيضا : انه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا عزم ابن هبيرة والخليفة على قتالهم ثم فكر ، فرأى أنه ليس من الاصوب مجاهرته لقوة شوكته • فدخل ابن هبيرة على المقتفى وقال : انى رأيت ان لا وجه فى هذا الامر الا الالتجاء الى الله تعالى وصدق الاعتماد عليه ، فبادر الخليفة الى تصديقه • وقال : ليس الا هذا ، ثم كتب للخليفة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا على « رعل » وذكوان شهرا ، وينبغى أن ندعو نحن شهر فأجابه بالامر بذلك •

قال الوزير : ثم لازمت الدعاء فى كل ليلة وقت السحر ، أجلس فأدعو الله سبحانه ، فمات مسعود لتمام الشهر لم يزد يوما ولم ينقص يوما ، وأجابه الله الدعاء ، وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق •

مصنفاته :

صنف الوزير ابن هبيرة عدة كتب تدل على علو مقامه فى الحديث والفقه واللغة .

ويعد أهم كتبه « الافصاح عن معانى الصحاح »، وهو شرح صحيحى البخارى ومسلم متخذا مسند الحميدى أساسا ، فقد تبين لنا من الاطلاع على الاجزاء الموجودة منه بمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ومنها الجزء الأول . وقد تضمن مسانيد العشرة المبشرين بالجنة أنه يعرض لما اتفق عليه البخارى ومسلم ، ثم لما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم مع بيان الحكم النبوية فيهما .

ويرى الناس كتاب « الافصاح » مطبوعا ويبدأ بحديث « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وقد تعلم ابن هبيرة فيه عن معنى الفقه وآل الكلام الى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين .

وهذا الجزء الوحيد من الكتاب الذى ظهر ، وباقى أجزاء الكتاب مخطوطة ، فالكتاب يحوى تسعة عشر جزءا ، وهو من أقيم الكتب فى فقه الحديث .

كما ان لابن هبيرة كتابا فى « العبادات الخمس » تناول فيه أحكام الشهادة بالله والرسول ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج على مذهب الامام أحمد ، وحدث به فى مجمع من العلماء من أئمة المذاهب المختلفة .

ـــ وفى اللغة : صنف فى النحو كتابا سماه «المقتصد» بكسر الصاد المهملة وشرحه أبو محمد بن الخشاب (المتوفى ٥٦٧ هـ) فى اربع مجلدات وبالغ فى الثناء عليه .

كما له أرجوزة نظمية فى المقصور والممدود .

ـــ وفى المنطق : احتقر كتاب « اصلاح المنطق » لابن السكيت (المتوفى ٢٤٤ هـ) وكان ابن الخشاب يستحسنه ويعظمه .

ـــ وفى الشعر : له مجموع يطوى شعرا كثيرا هادفا فى خدمة الاسلام ومبادئه وتعاليمه .

ومن أشعاره قوله :

مالنا قط غير ما شرع الله به
يعبد الا له الكريم
فتمسك بالشرع واعلم بأن
الحق فيه ، وما سواه سموم

وقوله :

تمسك بتقوى الله ، فالمرء لا يبقى
وكل أمرىء ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس ما فى يديهم
ولا تذكرن إفكا ولا تحسدن خلقا
فتعود فعال الخير جمعا فكلما
تعوده الانسان صار له خلقا

وقوله :

لا تلهينكم الدنيا بزهرتها
فما تدوم على حسن ولا طيب

وقوله :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وآراه أسهل ما عليك يضيع

ونختتم كلمتنا عنه بكلمة قالها الامام الذهبى فى دول الاسلام عن ابن هبيرة نراها أوجزت فجمعت اذ قال « كان من أعيان الفقهاء الصالحين ، جم الفضائل ، وافر الحرمة كبير الشأن ، دائم العدل ، له تصانيف ، مات مسموما شهيدا ببغداد ، وشيعه الخلق ، وكثر البكاء والتأسف عليه » .

ولا يسعنا الا أن نقول : رحم الله الوزير ابن هبيرة ومن كان على شاكلته من علماء الاسلام وحكامه ، ونفع الله بعلمه وسيرته شباب الاسلام وأمل غده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

موقف ابن تيمية من الصوفية

الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشي

كثير من القضايا التى يطلقها الناس تحتاج الى تحقيق وتمحيص، فهم ينسبون الى أحد العلماء رأيا ويطلقونه على أنه قضية مسلمة ، فاذا ذهبت تستقرىء آثار الرجل وجدت شيئا آخر ، ومن هذا القبيل ما يقال عن ابن تيمية والصوفية .

رأى ابن تيمية فى الولاية والأولياء :

المتبادر الى الاذهان ان ابن تيمية عدو الصوفية الاول والمنكر عليهم فى كتبه ورسائله والخصم الشديد الشكيمة لآرائهم ومعتقداتهم ولكن الحقيقة التى تطل من كتاباته غير ذلك تماما فابن تيمية يحارب الدخلاء على التصوف والمفسدين لجوهره النقى والملبسين على الناس الحق بالباطل ، والمتخذين من اسم الصوفية والانتساب اليها وسيلة يتحللون بها من الواجبات الدينية ، وقواعد الاخلاق الصوفية ، وأسس السلوك المستقيم ، وقد حارب شيوخ الصوفية الكبار ومؤسسو الطريق الصوفى منذ البداية كل ذلك حربا لا هوادة فيها ، وقلما تجد من كتب منهم الا وهو يهاجم الابتداع والربا واتخاذ الطريق وسيلة للرياسة أو سبيلا الى مغنم يناله ، أو دنيا يجمعهما ، كل ما هنالك أن زمن ابن تيمية قد غلب عليه أصحاب الدعاوى ، وصاروا يكونون جماعات تستهوى عقول العامة بما يأتون من أفعال بهلوانية ، ويسيئون الى حقائق التصوف العليا ، وطريقه السامية بما درجوا عليه من تحلل من مبادىء الدين ، وتفسخ فى الاخلاق وانحراف فى السلوك متسترين تحت شعارات رفعها الاوائل

موقف ابن تيمية

من الصوفية

ليمضى على هداها الصادقون فى هدوء ودعة ، فجاء هؤلاء المنحرفون يرددون ما قال الاوائل ويتسترون به مدلفين الى مخازيهم وقبائحهم التى أفسدوا بها المجتمع ، ولوثوا سمعة الطائفة وزيفوا على الناس الحقائق حينما ألبسوا الحق بالباطل ، ولهذا كان رد ابن تيمية عنيفا صـــارما وحربه لهم حربا لاهوادة فيها ، وكان يرى جهارهم واجبا دينيا كمدافعـــة التتار عن أرض المسلمين ، كما صرح بذلك فى بعض كلماته ، ودفعه ادراكه للخطر الداهم على عامة الناس من سلوك هؤلاء المخربين بأباطيلهم ومخاريقهـم ، ان يتشدد فى سد كل ما يمكن ان ينفذوا منـه الى عقول العامة ووجدانهم ، ورفع لهذا الغرض شعار التزام الكتاب والسنة ، وهذا فى حقيقة الامر هـو الذى دعا اليه ونادى ، به شيوخ الصوفية القدامى ورؤساؤهم المشـــار اليهم ، بالبنان ، فى كتبهم ووصاياهم وسيكشف لنا استعراضنا لآراء ابن تيمية فى الموضوع انه لن يبعـــد كثيرا عن ما نادى به المتقدمون من الشيوخ ، وأن ما ذهب اليـه قـــد قال به من قبله شيوخ ينتسبون الى الصوفية ويدعون الى طريقها ، وليس معنى هذا أنه وافق كل ما قالوا، بل ان الاصول المسلم بها قد قبلها وقررها •

ومن جهة اخرى قد ساعد على أن يقف ابن تيمية هذا الموقف الصارم ان أصحاب الدعـــاوى الكاذبة قد كثروا فى زمانه ، وأتته الكتب من مختلف الجهات تستفتيه وتسأله ان يبين حقائق الشرع وحكمه فى هذه الامور تجرى عـــلى ألســـنة النـاس فى زمانه •

من هو الولى : يرى الشيخ ابن تيمية أن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما جاء بذلك القرآن الكريم ، ويرى كذلك أن الاولياء قســمان : المقتصدون أصحاب اليمين ، والمقربون السابقون ، وولى الله ضد عدو الله ويستشهد لما ذهب اليـــه بالآيات الكريمة ، « **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُـــونَ** » • **وقوله تعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّـــهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا »** • ويروى كذلك الحديث القـــدسى :

« من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » •

وولى الله من والاه بالموافقـــة له فى محبوباته ومرضياته ، وتقرب اليه بما أمر به من طاعاته ، وقد ورد فى حديث النبى ذكر أصحاب اليمين المقـــربون الى الله بالواجبات ، والسابقون المقربون ، وهـــم المتقربون بالنوافل بعد الواجبات ، وذكرهم الله فى سورة فاطر حيث يقول : **« وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّـــهِ »** • وفى سورة الواقعة يقولـه : **« وَالسَّـــابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَـــرَّبُونَ »** • وفى سورة الانسان : **« إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُـــورًا »** • وفى سورة المطففين **« كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ »** •

ويرى ان ولى الله من كان مؤمنا تقيا ، وانه يمكن أن يرى عاقبته ، ويمكن أن يطلع هو عليه نفســـه

ويطلع عليه غيره ، الا انه يرى ان يكـــون ذلك فى حدود ولا يرى القطـــع به الا لمن ثبتت ولايتهـم بالنص كالعشرة المبشرين بالجنة ، ويــرى ، ان من شاع له لسان صدق فى الناس يجوز ان يشهد لــه بالولاية ، بل هو يذهب الى أبعد من ذلك فما ســبق من أحكام انما هو بالنسبة للعامة ، اما خـــواص الناس فقد يعلمون عواقب اقوام بما يكشف لهم من الله ، وهذا صريح فى انه يرى أن خاصـة الاولياء يصلون الى معرفة بعض الامور بما يكشف الله عن بصيرتهم وبما ينالون من المخاطبات والالهام الذى يأتى به الكشف غير أن ذلك لا يجب التصـديق به ، ويرى أن ما يأتى به الكشف يجب ان يوافق الكتاب والسنة ، ويرى ان العصمة للرسول والنبى مضمونة بالكتاب والسنة ، كقول القرآن وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ــ ولهذا كان ما يأتى به الكشف مقبولا اذا وافقهما لان معنى ذلك المتابعة ، أما من يرى انه لا يحتاج الى ذلك فهو قول المارقين ، ومن قال به فقد كفر ويرى ان قراءة ابن عبـــاس التى تقول : » ولا محدث » انما نسخت لتفيـــد قصر العصمة على الرسول والنبى فقط .

ولا يشترط فى الاولياء أن يكونوا معصومين مــن الخطيئة ولا من الصغائر وليس من شرطهم تـــرك الكبائر أو الكفر الـذى تعقبه التوبة ، ولان القرآن وصفهم بقوله : **وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ** .

وأما من يقول من الشيعة بعصمة الائمة الاثنى عشر من الخطايا والذنوب ومن المشايخ بعصـــمة النبى وحفظ الولى فانه غلو أشبه بغلو النصارى فى المسيح والاحبار والرهبان (١) .

ويجدر بنا هنا ان نشـــير الى ان الحفظ الذى يقول به الصوفية بالنسبة للاولياء انما يقصـــد به الحفظ من وساوس النفس والقاءتها فيما يرد على قلب الولى من الالهام والتحديث والفراسة وليس المقصود به الحفظ من المعصية لان اثنين من كبـــار الصوفية هما الحكيم الترمذى وأبو القاسم الجنيد يريان أن الولى غير معصوم من ارتكار المعـــاصى ، وكلمة الجنيد مشهورة فى الرد على من سأله : أيزنى العارف يا ابا القاسم ؟ « فأطرق مليا ثم قال » وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد تحدث الحكيم الترمذى فى كتابه ختم الاولياء عن مدى الخوف الذى يعترى الولى اذا ما وقع فى خطيئة من الخطايا ، اما العصمة التى ادعاها له وتابعه عليها جمهور المشـــايخ فهى العصمة من وسوسة النفس والقاء الشيطان فيما يرد على القلب من الخطاب أو الالهام أو الحـــديث أو الفراســـة .

أما الاسماء التى تـــدور عـــلى ألسنة الصـــوفية

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ ١ ص ٤٣ ــ ٤٤ طبع المنـــار القاهرة سنة ١٣٤١ هـ

موقف ابن تيمية من الصوفية

بالنسبة للاولياء كالغوث والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فانه يرى انها لم ترد فى كتاب الله ولا فى حديث النبى ، ولم ترد فى كلام السلف على هذا الترتيب الذى أوردوه ، وهى لم ترد كذلك عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولا عاما ، ورأيه أن هذا النوع من العلم ليس باطلا كله ولا حقا كله، وقد التبس فيه الحق بالباطل، والذى يؤخذ من كلام ابن تيمية ان اعتراضه ينصب على العدد والترتيب الذى قدره الصوفية فى أمكنة وأزمنة معينة ، وعلى هذا يدور اعتراضه فقط لانه حكم لا دليل عليه ، ولكنه لا يمانع فى وجود هذه الانواع من الاولياء بشرط ان يكون لها دليل من الكتاب والسنة (١) .

ويرى ابن تيمية تسمية أى من البشر باسم الغوث ، لان هذا اللفظ لا يستحقه الا الله سبحانه ، فهو غياث المستغيثين ، ولا يجوز لاحد الاستعانة بغيره ، لابملك مقرب ولانبى مرسل ، ويرى ان من يقول : أن أهل الارض يرفعون حوائجهم الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين ، والسبعون الى الاربعين ، والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة ، والاربعة الى الغوث يرى ان القائل بذلك ضال مشرك كالمشركين الذين أخبر الله عنهم بقوله : **«وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ»** وقوله : **« أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ »** ويرى ان هذا التوزيع الذى قالوا به على النحو السابق ينافى قوله تعالى : **« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »** ويعتقد أنهم تأثروا فى رأيهم هذا بما يعتقده الرافضة فى الامام المعصوم وكذلك الاسماعيلية والنصيرية وغيرهم فى قولهم : السابق والتالى ، والناطق ، والاساس .

ولا يمانع ان يكون هناك من الاولياء من يطلق عليهم الوتد الذى يثبت به من الدين والايمان فى قلوب يهديهم كما تثبت الأرض بأوتادها الا أنه يعارض قصرهم على أربعة ويرى ان ذلك اشبه بقول المنجمين فى وتاد الأرض ، كذلك يحمل الامر فى معنى القطب الذى عليه مدار الامر فى دائرة عمله سواء كان فى أمور الدنيا أو الدين ويمكن ان يطلق على من له اثر فى هذا الشأن المتحدث عنه الا ان تقييد ذلك بعدد محدد انما هو تقييد لفضل الله فى عباده(٢) ويمضى على هذه الوتيرة فيرفض ما يقال ان الابدال أربعون ، وأنهم كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخر ، وما يقال فى ان الغوث هو الذى يغيث الله به أهل الأرض ، ويرفض ادعاء من يقول ان الناس انما يرزقون وينصرون بهؤلاء الاربعين ويقول ان هذا ادعاء باطل لان للرزق والنصر أسباب معروفة من أوكدها دعاء المسلمين وصلاتهم واخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ، وقد يكون ذلك بسبب الضعفاء كما ورد فى حديث سعد بن أبى وقاص لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « يا سعد وهل ترزقون الا بضعفائكم بدعائهم

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٤٦

واخلاصهم وصلاتهم » وللرزق والنصر اسباب أخرى لان الكفار الفجار ينصرون ويرزقون، ويرفض ما يقال ان الابدال رجال الغيب مختفون فى جبل لبنان ، ويرى انه يستحيل ان يظل شخص طول عمره غائبا كذلك ، وهذا من جنس قول من قال : ان عليا فى السحاب وان محمد بن الحنفية فى جبل رضوى ومحمد بن الحسين فى سرداب سامرا والحاكم فى جبل مصراما ان تخرق العادة فى حق شخص فيغيب تارة عن ابصار الناس اما لدفع عدو عنه واما لامر آخر فان هذا أمر ممكن ، وهذا يعنى أن أبى تيمية يجوز وقوع الكرامات للأولياء ، ويفسر ابن تيمية أهل الغيب هنا تفسيرا لطيفا فيقول : « نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده وما فيه من أسرار الله وأمانته وأنواره ومعرفته غيبا عن الناس ، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس فهذا هو الواقع، واسرار الحق بينه وبين أوليائه ، وأكثر الناس لا يعلمون » (١) .

ويرفض ابن تيمية فكرة ختم الاولياء التى جاء بها الحكيم الترمذى ويقول ان ما قاله الحكيم دعا كثيرين ان ينتحلوا لانفسهم هذا اللقب ، يدعى كل منهم أنه ختم الاولياء كابن سبعين وابن عربى وغيرهما ، ويرى ان فكرة ختم الاولياء فكرة خاطئة لان افضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، وخير الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، وخير قرونها القرن الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ، ورأيه أن ختم الاولياء هو آخر مؤمن تقى يكون فى الناس ، وهو ليس بخير الاولياء ولا افضلهم ، بل افضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس ولا غربت على افضل منهما بعد النبيين (٢) .

ولا يرى بأسا من أن يكون فى الاولياء صديقون ومحدثون ، ولكن من غير تحديد فى عدد بذاته لان ذكر عدد معين لم يرد فى الكتاب أو السنة ، أما لفظ الصديق والمحدث فقد جاء فى كل منهما القرآن الكريم وفى الحديث النبوى الشريف ، ويرى أن الصديق أفضل من المحدث لان عمر افضل المحدثين وأولهم وأفضل منه أبو بكر وهو صديق ، والصديق يأخذ من مشكاه النبوة فلا يأخذ الا شيئا معصوما محفوظا ، وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة يميزان ثوابه من خطأه ووجه ابن تيمية نقدا شديدا فى كتابه الرد على الاتحاديين الى فكرة ختم الولاية التى قال بها الحكيم الترمذى وعلى الرغم من انه يكن احتراما وتقديرا للحكيم كواحد من شيوخ الصوفية الكبار الا انه يراه قد أخطأ فى فكرة ختم الولاية وتناقض فى بعض مسائلها حينما أجاز ان يكون فى المتأخرين من هو أفضل من ابى بكر وعمر وعنى به ختم الاولياء ، ويرى ان الحكيم قد ناقض نفسه لانه لما أخذ فى الرد على من يدعى أن الولى محجوب مستور لاتعرف ولايته استشهد فى رده بحالى ابى بكر وعمر ، وقال فى ابطال دعوى هؤلاء ان مقتضى كلامهم ان هذا الولى الذى يقولون انه مجهول هو خير من أبى بكر وعمر وهذا باطل (٣) .

ويوجه ابن تيمية اتهاما خطيرا الى هؤلاء الذين انتحلوا لانفسهم مرتبة ختم الولاية كابن عربى ومن لف لفه ويراه قد كفر بسبب ما قرره فى شأن خاتم الاولياء هذا لانه يفضله فى بعض حالاته على المرسلين ويرى أن النبيين يأخذون من مشاكته فى بعض الحالات وهذا كما يقول ابن تيمية كفر صريح .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٥١
(٢) الرسائل والمسائل حقيقة مذهب الاتحاد بين جـ ١ ص ٥١ — ٥٢
(٣) الرسائل والمسائل جـ ١ حقيقة مذهب الاتحاد بين ص ٥٩ — ٦٠

ابن بقي

فى أواخر القرن الأول الهجرى امتدت الفتوحات الاسلامية تجاه الغرب ، فعمت شمال أفريقيا وبعد ان اتم المسلمون فتح الشمال الأفريقى عبرت جيوشهم المظفرة بقيادة (طارق بن زياد) المضيق الذى يفصل بين (طنجة) فى بلاد المغرب وشبه الجزيرة الأسبانية ، ونزلت هذه الجيوش فى المكان الذى ما زال يحمل اسم (طارق بن زياد) الى يومنا هذا ، وهو جبل طارق ، ثم اخترقت الجزيرة الخضراء متقدمة نحو الشمال ،وهنا التقى المسلمون مع النصارى القوط بقيادة ملكهم (لزريق) فى سهل (شريش) ، وذلك فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢هـ ، وفى هذه الموقعة الرمضانية المباركة انتصر المسلمون انتصارا ساحقا على القوط ، ومن ثم فتح الطريق أمامهم لكى يتقدموا بسرعة فائقة هنا وهناك فى شبه الجزيرة الأسبانية ، وفى خلال فترة وجيزة استولى المسلمون على معظم هذه البلاد ، وتم لهم فتحها ، فأطلقوا عليها اسم (الأندلس) .

وبهذا الفتح الاسلامى للاندلس بدأ عهد جديد ، وتطور عظيم فى أحوال هذه البلاد ، وكان العصر الذى أعقب الفتح ــ وهو عصر الولاة ــ بمثابة مرحلة زمنية توطدت فيها أقدام المسلمين فى الأندلس ، وبعد ذلك بفترة قصيرة قامت الدولة الأموية فى الأندلس على يد الأمير عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموى المعروف بالداخل سنة ١٣٨ هـ ، وفى عصر الأمويين أخذ المسلمون يحسون بشىء من الاستقرار فى بلاد الأندلس ،فقامت فى ظل هذه الدولة الأموية نهضة علمية قوية شملت كل نواحى العلم والمعرفة بفضل رعاية الأمويين وحبهم للعلم والعلماء ، ونتيجة لهذه الحياة المستقرة التى أحس بها المسلمون آنذاك .

ومنذ ذلك الحين أقام المسلمون فى بلاد الاندلس حضارة عريقة ، وذلك فى غضون القرون الثمانية التى عاشوها هناك ، وكانت جامعات الأندلس التى

مدخل

إمام مدرسة التفسير بالأندلس

قامت آنذاك فى مرطبة وغرناطة وأشبيلية ومرسيه وبلنسية وغيرها يفد اليها طلاب العلم من كل مكان على اختلاف مللهم ونحلهم ، وينهلون من معينها الذى لا ينضب ، حيث كانت هذه الجامعات بحق مركز اشعاع علمى وحضارى ينبعث من هذا الصقع الاسلامى فى أوربا الى مشارق الأرض ومغاربها . فى الوقت الذى كانت فيه أوربا كلها تعيش فى ظلمات الجهل والفوضى والهمجية ، ولقد انبهر الأوربيون بهذه الحضارة التى أقامها المسلمون فى بلاد الأندلس آنذاك ، فأرسلوا بعثاتهم التعليمية الى هناك ، لكى ينهلوا من هذا المنهل العذب ، ويفيدوا من معالم هذه الحضارة الشامخة ، ويقتبسوا من نورها الوضاء ، وعلى هدى من ذلك قامت النهضة الاوربية الحديثة . ولا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة الا مكابر أو حاقد أو جاهل .

وقد أسهم علماء الأندلس بنصيب وافر فى مجالات العلم المختلفة ، ليس فى المجالات التى لها صفة دينية فحسب ، مثل التفسير والحديث والفقه والقراءات والأدب ونحو ذلك ، بل كذلك فى المجالات التى لها صفة أخرى ، كالطب والهندسة والجبر والحساب والفلك والفلسفة وما شاكل ذلك .

أما تفسير القرآن الكريم — وهو الذى يهمنا فى هذا البحث — فقد حظى باهتمام علماء الأندلس وعنايتهم البالغة ، سواء فى ذلك ما يتعلق بتفسير القرآن كله ، أو بتفسير آيات الأحكام بوجه خاص . أو ما يتعلق بالقراءات وتوجيهها والاحتجاج لها ، وهل هناك من يجهل دور القاضى أبى محمد عبدالحق ابن عطية الغرناطى (ت ٥٤١ هـ) فى مجال تفسير القرآن ، أم هل هناك من يجهل دور القاضى أبى بكر محمد بن العربى الأشبيلى (ت ٥٤٣ هـ) فى مجال أحكام القرآن ، أم هل هناك من يجهل دور الامام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ هـ) فى مجال القراءات ، وما أكثر علماء التفسير الذين أنجبتهم الأندلس خلال القرون الثمانية التى عاشها المسلمون فى هذه البلاد ، بيد أن هناك شخصية هامة ورائدة فى هذا المجال ، أسدل الزمن عليها ثوب النسيان ، ولا أكون مبالغا اذا قلت عن صاحب هذه الشخصية انه امام المفسرين فى الأندلس على الاطلاق ، حيث انه كان أول من أنجبتهم هذه البلاد من علماء التفسير ، كما كان له — ولا شك — أكبر الأثر فيمن جاء بعده من المفسرين والعلماء ، هذا الامام هو أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد القرطبى — وبقى هنا على وزن على — كان من أئمة الدين ، والحفاظ المحدثين ، والزهاد الصالحين ، وقد عاش هذا الامام فى القرن الثالث الهجرى أيام الدولة الأموية بالأندلس ، وكان معاصرا للامام محمد

ابن جرير الطبرى — المفسر — (ت ٣١٠ هـ) ، وكما هو واضح فان أحدهما من أقصى المشرق الاسلامى، والآخر من أقصى المغرب الاسلامى . وعلى الرغم من أن بقى بن مخلد قد ارتحل الى المشرق فليس فى المصادر التى بيدى ما يفيد أنه التقى بالطبرى أثناء هذه الرحلة .

ولد بقى بن مخلد فى شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ ، وتلقى العلم فى قرطبة — وهو فى مقتبل عمره — على يد عالمين من أجل علماء الأندلس فى هذا العصر ، أحدهما هو محمد بن عيسى المعافرى المعروف بالأعشى (ت ٢٢١ هـ) الذى كان يغلب عليه الحديث ورواية الآثار (ينظر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ق ٢ ص ٥) والأخر هو يحيى بن يحيى الليثى (ت ٢٣٣ هـ) عاقل الأندلس ، وصاحب مالك بن أنس رضى الله عنه .

وبعد أن شدا طرفا من العلم فى بلاد الأندلس شد بقى بن مخلد رحاله الى بلاد المشرق ، ويبدو أن هذه الرحلة كانت فى ريعان شبابه ، وفى فترة مبكرة من حياته . فقد كان فى سن العشرين عند وفاة أحد شيخيه ، وكان قد تجاوز الثلاثين بقليل عند وفاة الشيخ الآخر ، وأغلب الظن أنه قد ارتحل الى المشرق آنذاك ، لكى يستزيد من المعرفة ، ويواصل طلب العلم على علماء المشرق بعد أن أخذ حظا منه على يد هذين العالمين الجليلين بالأندلس .

وفى أثناء هذه الرحلة زار بقى بن مخلد مكة ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة ومصر وغيرها ، وأخذ العلم عن كثير من شيوخ الاسلام والأئمة والأعلام ، وفى مقدمة هؤلاء الذين أخذ العلم عنهم الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه (ت ٢٤١ هـ) ، فقد ذكر أصحاب التراجم أن بقى بن مخلد كان ذا خاصة من الامام أحمد ، ومعنى ذلك أنه كان مختصا به ، كثير الأخذ عنه ، ذا حظوة لديه ، ولقد روى بقى بن مخلد كذلك عن أصحاب مالك والشافعى وغيرهم حتى قال أحد تلاميذه — وهو عبد الله ابن يونس — ان عدة الرجال الذين لقيهم بقى ابن مخلد وسمع منهم مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا (ينظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٩١) كما قال ابن حزم ان هؤلاء الشيوخ ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم أعلام مشاهير (ينظر جذوة المقتبس للحميرى ص ١٧٧) ، ويحدثنا المقرى عن بعض شيوخه ورحلاته فيقول : « أخذ عن يحيى ابن يحيى الليثى ، ومحمد بن عيسى الأعشى ، وارتحل الى المشرق ، ولقى الكبار ، وسمع بالحجاز أبا المصعب الزهرى وابراهيم بن المنذر وطبقتهما ، وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة ، وبدمشق ابراهيم بن هشام الغسانى وصفوان ابن صالح ، وهشام بن عمار وجماعة ، وببغداد أحمدبن حنبل وطبقته ، وبالكوفة يحيى بن عبدالحميد الحمانى ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبا بكر ابن أبى شيبة وطائفة ، وبالبصرة أصحاب حماد ابن زيد » (ينظر نفح الطيب جـ ٢ ص ٥١٨) .

ويبدو أن أولئك الشيوخ الذين تتلمذ لهم بقى ابن مخلد قد لمسوا فيه الأهلية التامة للعلم ، والاستعداد الكامل للتحمل والأداء ، ويدلنا على ذلك أنه قد وقعت له قصتان أثناء هذه الرحلة ، احداهما فى مصر مع شيخه يحيى بن بكير، والأخرى فى القيروان مع شيخه سحنون بن سعيد ، ومن خلال هاتين القصتين تلمس مدى ثقة شيوخه به ، واطمئنانهم الى علمه ، ويحدثنا بقى بن مخلد عن القصة الأولى فيقول :

«لما قدمت من العراق على يحيى بن بكير أجلسنى الى جنبه ، وسمع منى سبعة أحاديث » .

كما يحدثنا عن القصة الأخرى فيقول :

« قدمت على سحنون ، فكان ابنه محمد يسمع على فى داخل بيت سحنون بمحضر سحنون »

(أنظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٩٢) •

ولقد أفاد بقى بن مخلد كثيرا من هـذه الرحلة العلمية الى المشرق ، فكتب المصنفات الكبار ، والمنثور الكثير ، وبالغ فى الجمع والرواية ، ثم رجع الى الأندلس بعلم غزير ، فملأها علما وفضلا ، وقد انفرد بقى بن مخلد بادخال كتب معينة الى الأندلس لم يدخلها أحد سواه قال ابن الفرضى كان مما انفرد به بقى بن مخلد ولم يدخله سواه مصنف أبى بكر ابن أبى شيبة رحمه الله بتمامه ، وكتاب الفقه لمحمد ابن ادريس الشافعى الكبير بكماله ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط ، وكتابه فى الطبقات ، وكتاب سير عمر ابن عبد العزيز رحمه الله للدورقى (أنظر المصدر السابق) •

وعقب رجوعه الى وطنه وقعت له حادثة مع جماعة من فقهاء قرطبة ، ظهر فيها علمه وفضله ، فقد تحاملوا عليه عندما أدخل الى الأندلس مصنف ابن أبى شيبة ، وأغروا السلطان به ، وحرضوا العامة عليه ، ولكن الله نصره عليهم ، ويحدثنا الضبى عن تلك الحادثة فيقول : « ولما دخل الأندلس أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد بكتاب مصنف أبى بكر ابى أبى شيبة ، وقرىء عليه أنكر جماعة من أهل الرأى ما فيه من الخلاف واستشنعوه ، وبسطوا العامة عليه ، ومنعوه من قراءته ، الى أن اتصل ذلك بالأمير محمد بن عبد الرحمن الأموى ، فاستحضره واياهم واستحضر الكتاب كله ، وجعل يتصفحه جزءا جزءا الى أن أتى على آخره ، وقد ظنوا أنه يوافقهم فى الانكار عليه ، ثم قال لخازن الكتب • هذا كتاب لا تستغنى خزانتنا عنه ، فانظر فى نسخه لنا ، ثم قال لبقى بن مخلد : انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك ، ونهاهم أن يتعرضوا له » (أنظر بغية الملتمس للضبى ص ١٥) • ويذكر ابن الفرضى أن هؤلاء الفقهاء ثلاثة ، وهم عبد الله بن محمد بن خالد ومحمد ابن الحارث وأبو زيد ، فيقول : « وبقى بن مخلد ملأ الأندلس حديثا ورواية ، وقد أنكر عليه أصحابه الأندلسيون : عبد الله بن خالد ومحمد بن الحارث وأبو زيد ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث ، وأغروا به السلطان ، وأخافوه به ، ثم ان الله بمنه وفضله أظهره عليهم ، وعصمه منهم » (أنظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٩٢) •

وقد كان أشد هؤلاء الثلاثة انكارا وتحاملا على بقى بن مخلد وهو عبد الله ابن محمد بن خالد الذى كان صليبا وعنيفا ، وكان رأس المالكية بالأندلس والقائم بها والذاب عنها (أنظر المصدر السابق ق ١ ص ٢١٣) •

وبعد أن انتصر بقى بن مخلد على أولئك الخصوم الذين أرادوا الكيد له أخذ — فى أمن وطمأنينة — ينشر علمه ، ويقرأ كتبه ، ويروى أحاديثه ، ويبث آثاره ، كيف لا وهو الذى عنى طيلة حياته بالأثر عناية عظيمة لا مزيد عليها (أنظر نفح الطيب ح ٢ ص ٥١٨) ، ومن ثم انتشر الحديث بالأندلس انتشارا عظيما ، وكان بقى — رحمه الله — أحد اثنين انتهت اليهما امامة الحديث بالأندلس فى هذا العصر ، وأصبحت بالاندلس بفضلهما دار حديث بعد أن كانت دار فقه فقط ، والثانى هو الامام أبو عبد الله محمد بن وضاح (ت ٢٨٧ هـ) الذى كان عالما بالحديث ، بصيرا بطرقه ، متكلما على علله (أنظر تاريخ علماء الأندلس ق ٢ ص ١٦) •

ويحدثنا أن ابن الفرضى عن ذلك فيقول بصدد الحديث عن بقى بن مخلد : « فنشر حديثه ، وقرأ للناس روايته ، فمن يومئذ انتشر الحديثبالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح ، فصارت الأندلس دار حديث واسناد ، وانما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه » •

(أنظر المصدر السابق ق ١ ص ٩٢) •

وهكذا بلغ بقى بن مخلد هذه المرتبة الشامخة فى

بقىّ ابن مخلد

الحديث ، حتى رأينا ابن حزم يضارع به البخارى ومسلما وأمثالهما ، فيقول : « واذا سمينا بقى ابن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان ابن الأشعث السجستانى ، وأحمد بن شعيب النسائى » . (أنظر نفح الطيب حـ ٣ ص ١٧٧) .

هذا فى مجال الحديث أما فى مجال الفقه فقد كان بقى بن مخلد مجتهدا متحيزا لا يقلد أحدا من الأئمة ، بل يفتى بالأثر (أنظر المصدر السابق حـ ٢ ص ٥١٨) .

كما كان من أصحاب الشورى فى أيام الدولة الأموية بالأندلس الذين كان الأمير يشاورهم فى أدق القضايا التى تعرض له ، وتلك منزلة رفيعة لم يكن يصل اليها فى هذا العصر الا الجلة من الفقهاء ، ذكر الحميدى أن الأمير عبد الله بن محمد الأموى شاور الفقهاء فى قتل الزنديق : هل يستتاب قبل القتل أم لا ؟

وكان من جملة هؤلاء الفقهاء بقى بن مخلد ، فذهب بقى الى أنه لا يقتل الزنديق حتى يستتاب ، وأفتى الأمير بذلك ، ووافقه على هذا الرأى محمد ابن سعيد بن الملون ، وخالفهما قاسم بن محمد فأفتى بترك الاستتابة ، وقد أنكر بقى بن مخلد ذلك على قاسم بن محمد ، وقال : فارق مزهبه ، ووافقنى على مذهبى محمد بن سعيد ، وانما مذهبه الرأى . (أنظر جذوة المقتبس ص ٥٩) .

أما مؤلفات هذا الامام فقد فقدت مع الأيام ، وضاعت فيما ضاع من كتب الاسلام بسبب النكبات المتلاحقة التى أصابت المسلمين فى الأندلس عند اجلائهم عن بلادهم وطردهم من أوطانهم . ويقول المقرى عن كتب هذا الامام انه لم يؤلف مثلها فى الاسلام ، كما يقول الحميدى انه ألف كتبا حسانا تدل على احتفاله واستكثاره ، وأيضا يصف ابن حزم تصانيف هذا الامام الفاضل بأنها صارت قواعد للاسلام لا نظير لها . (انظر نفح الطيب جـ ٢ ص ٤٧ ، ٥١٩ وجذوة المقتبس ص ١٧٧) .

وكان أهم هذه الكتب ثلاثة : أحدها فى التفسير والآخران فى الحديث ، أما الأول — وهو تفسير القرآن الكريم — فيغلب على الظن أنه كان من قبيل ذكر الروايات بأسانيدها ، ويعنى عناية خاصة التفسير بالمأثور الذى يعتمد فى المقام الأول على ذكر الروايات بأسانيدها ويعنى عناية خاصة بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم فى مجال التفسير ، مثل كتاب (جامع البيان فى تفسير القرآن) لابن جرير الطبرى ، فقد سبق أن ذكرنا أن بقى بن مخلد كانت له عناية عظيمة بالآثار ، وأنه كان أحد رجلين أدخلا الحديث والاسناد الى بلاد الأندلس ، ويؤكد ابن حزم أن هذا التفسير الذى ألفه بقى بن مخلد لا نظير له قط فى الاسلام ، وأنه يفوق تفسير ابن جرير الطبرى وغيره من كتب التفسير فيقول : « وفى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ، ولا تفسير محمد ابن جرير الطبرى ولا غيره » (أنظر نفح الطيب حـ ٣ ص ١٦٨) .

أما الكتابان اللذان ألفهما فى الحديث فأحدهما هو مسنده ، والآخر هو مصنفه فى فتاوى الصحابة والتابعين ، ويحدثنا ابن حزم كذلك عن هذين الكتابين العظيمين فيقول : بصدد الحديث عن بقى ابن مخلد — : (ومنها فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة — رضى الله تعالى عنهم — فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مصنف ومسند ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد

قبله ، مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وجودة شيوخه ، فانه روى عن مائتى رجل وأربعة وثمانين رجلا ، ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم أعلام مشاهير ، ومنها مصنفه فى فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ومصنف عبد الرزاق ابن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها ، وانتظم علما عظيما لم يقع فى شىء من هذه » (أنظر المصدر السابق ص ١٦٨ ، ١٦٩) .

ومما يدلنا كذلك على القيمة العلمية لهذا المسند الذى وضعه الامام بقى بن مخلد أن أحد تلاميذه — وهو طاهر بن عبد العزيز — أثناء رحلته الى المشرق حمل جزءا من هذا المسند ، وعرضه على محدث مكة محمد بن اسماعيل الصائغ ، فأثنى عليه خيرا ، وأعجب بما فيه من علم غزير ، روى ابن الفرضى بسنده أن طاهر بن عبد العزيز قال : **« حملت مع نفسى جزءا من مسند أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد الى المشرق ، فأريته محمد بن اسماعيل الصائغ فقال : ما اغترف هذا الا من بحر علم ، وعجب من كثرة علمه »** .

(انظر تاريخ علماء الاندلس ق ١ ص ٩٢) .

هذا ما يتعلق بآثار بقى بن مخلد العلمية ، أما ما يتعلق بتلاميذه فقد كان هذا الامام الجليل صاحب مدرسة علمية ، تخرج على يديه فيها كثير من طلاب العلم الذين أصبحوا — فيما بعد — أئمة يهتدى بهم ، ويقتبس من علمهم ، ومن هؤلاء ابنه أحمد الذى ولى قضاء الجماعة بالأندلس ، وكان محترما ، وزاهدا فاضلا ، وتوفى سنة ٣٢٤ هـ فى أيام الأمير عبد الرحمن الناصر الاموى (انظر تاريخ علماء الاندلس ق ١ ص ٣٣ ، وجذوة المقتبس ص ١١٨)

ومنهم أسلم بن عبد العزيز فقد سمع من بقى بن مخلد وصحبه طويلا ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين ، وكان جليلا من القضاة ، ثقة من الرواة ، يميل الى مذهب الشافعى رحمة الله ، وقد توفى سنة ٣١٠هـ (انظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٨٩ وجذوة المقتبس ص ١٧٣) .

ومنهم عبد الله بن يونس المرادى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ فقد سمع من بقى بن مخلد كثيرا وصحبه ، وكان مختصا به مكثرا عنه ، وعنه انتشرت كتبه الكبار (انظر تاريخ علماء الأندلس ق١ص ٢٢٦ وبقية الملتمس ص ٢٤٦ ، ٢٤٧) .

ومنهم طاهر بن عبد العزيز الرعينى المتوفى سنة ٣٠٤ هـ فقد سمع من بقى بن مخلد كثيرا ، وكان رجلا فاضلا فهما وربما عارفا باللغة ، الا أنه لم يكن له بالحديث ولا بالفقه كبير علم (انظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٢٠٦ وبقية الملتمس ص ٣٢٦).

ومنهم حسن بن سعد الكتامى المتوفى سنة ٣٣٢هـ فقد سمع من بقى ابن مخلد كثيرا ، وكان يذهب الى النظر وترك التقليد ، ويميل الى قول محمد بن ادريس الشافعى ، وكان يحضر الشورى ، ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين ترك شهودها ولزم بيته (انظر تاريخ علماء الأندلس ق١ص ١١٠) .

ومنهم محمد بن قاسم بن محمد المتوفى سنة ٣٢٧هـ والذى كان عالما بالفقه ، متقدما فى علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا من أول أيام أمير المؤمنين الناصر رحمه الله (انظر تاريخ علماء الأندلس ق٢ ص ٤٦) .

ومنهم محمد بن عمر بن لبابة المتوفى سنة ٣١٤هـ فقد كان اماما فى الفقه ، مقدما على أهل زمانه فى حفظ الرأى والبصر بالفتيا ، وكان مشاورا فى أيام الأمير عبد الله بن محمد الأموى ، ثم انفرد بالفتيا من أول أيام أمير المؤمنين الناصر فلم يكن يشركه أحد فى رياسة البلد ، والقيام بالشورى (انظر تاريخ علماء الأندلس ق٢ ص ٣٥) .

ومنهم محمد بن فطيس الغافقى المتوفى سنة ٣١٩هـ فقد كان نبيلا ضابطا لكتبه ، ثقة فى روايته ،

بقيّ بن مخلد

صدوقا فى حديثه ، وكان الرحلة اليه بالبيْرة والى أحمد بن منصور ، ثم مات أحمد بن منصور فانصرف بعلو الدرجة ، ورياسة الاسناد (انظر تاريخ علماء الأندلس ق٢ ص ٤١) ٠

هذا وقد انتفع بامامنا الجليل بقى بن مخلد خلق كثير غير هؤلاء ، فانه ـــ رحمه الله تعالى ـــ كما كان كثير الشيوخ كان كذلك كثير التلاميذ ، ويكفى أن تتصفح جانبا من كتب التراجم الأندلسية ، لكى ترى هذه الحقيقة ماثلة أمامك ، وكيف أن اسم هذا الامام العظيم يتردد كثيرا فى مجال المشيخة والأستاذية لكثير من علماء الأندلس الذين عاصروه٠

والى جانب هذا كله كان بقى بن مخلد رجلا زاهدا ، وصواما صادقا ، وكان يعيش على الكفاف، ويحكى عنه أنه كانت تمضى عليه الأيام فى وقت طلبه ليس له عيش الا ورق الكرنب الذى يرمى (انظر طبقات المفسرين للسيوطى ص ٤٢) ٠

وكان أيضا كثير التهجير مجاب الدعاء ، وقد ظهرت له اجابات فى أكثر من شىء ، ومن ذلك قصة المرأة التى أسر الكفار ولدها ، وجاءته باكية مستعبرة ، فدعا الله لها أن يرد عليها ولدها ، فاستجاب الله دعاءه ، فقد جاء فى نفح الطيب أن امرأة جاءته ، فقالت له : ان ابنى قد أسرته الفرنج ، واننى لا أنام الليل من شوقى اليه ، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأفتكه بها ، فان رأيت أن تشير الى من يأخذها ويسعى فى فكاكه ، فليس لى ليل ولا نهار ، ولا صبر ولا قرار ، فقال : نعم انصرف حتى ننظر فى ذلك ان شاء الله تعالى ، وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص ، فذهبت ، فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها ، فقالت : اسمع خبر ، يرحمك الله تعالى ، فقال : كيف كان أمرك ؟ فقال : انى كنت فيمن يخدم الملك ، ونحن فى القيود ، فبينما أنا ذات يوم أمشى اذ سقط القيد من رجلى ، فأقبل على الموكل بى فشتمنى ، وقال : فككت القيد من رجليك ، فقلت : لا والله ، ولكن سقط ولم أشعر ، فجاءوا بالحداد فأعاده ، وسمر مسماره وأيده ، ثم قمت فسقط أيضا ، فسألوا رهبانهم ، فقالوا : ألك والدة ؟ فقلت : نعم ، فقالوا: انه قد استجيب دعاؤها له ، فأطلقوه ، فأطلقونى، وخفرونى الى أن وصلت الى بلاد الاسلام ، فسأله بقى عن الساعة التى سقط القيد من رجليه فيها ، فاذا هى الساعة التى دعا له فيها رحمه الله تعالى (انظر نفح الطيب حـ ٢ ص ٥١٩ ، ٥٢٠) ٠

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم النافع والعمل الصالح مضى بقى بن مخلد الى ربه راضيا مرضيا، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٢٧٦ هـ عن خمسة وسبعين عاما ، رحمه الله امام مدرسة التفسير بالأندلس بقى بن مخلد ، ورضى الله عنه وأرضاه ٠

د٠ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد

سفيان الثوري

شخصية في سطور

أميرا لمؤمنين في الحديث

* ولد سفيان الثورى سنة ٩٥ هـ خمس وتسعين من الهجرة بالكوفة وكان أبوه من ثقات المحدثين .

* نشأ سفيان بين كتب الحديث وتفتحت عيناه على جو من العلم .. ويتنسم سفيان بعبير النبوة ويسوده جوا مع الكلم .

* **(كانت شهرة سفيان تزداد كل يوم ومع ذلك كان يقول :** « لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا » ويقول : « الرجل الى العلم أحوج منه الى الخبز واللحم وليس هناك عمل بعد الفرائض أفضل من العلم ») .

* ويقول عنه أيوب بن سديد :

« ما سألنا سفيان الثورى عن شيء الا وجدناه عنده أثرا ماضيا » .

* **(كان سفيان حجة في عصره فكان يحفظ حوالى ٥٠٠ الف حديث أو يزيد) .**

* وكان كغيره من السلف يؤمن بالقدر خيره وشره فقد قال يوما : « أتدرون ما تفسير لا حول ولا قوة الا بالله ؟ » فيقول : « لا يعطى احدا الا ما أعطيت ولا يقى أحدا الا ما وقيت » .

* فلقد أهلته المقادير لان يكون محدثا من كبار المحدثين وفقيها من كبار الفقهاء .

* ولقد منحه الله سبحانه وتعالى ذاكرة حافظة .. يصفها سفيان بقوله « ما استودعت قلبى شيئا قط فخاننى » ويقول بن مهدى عنه : « ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سيفان » ويقول عنه يحيى بن يمان : « ما رأيت مثل سفيان ولا رأى سفيان مثله » .

* وكان سفيان في الحديث أمير المؤمنين ومما يفسر هذا أن يحيى بن يمان قال :

« كتبت عن سفيان عشرين ألفا وأخبرنى الاشجعى أنه كتب عن سفيان ثلاثين ألفا ، سمعت سفيان يقول ما أحدث من كل عشرة بواحد » أى أن سفيان كان يحدث بأقل من عشر ما يحفظ .

* ويقول عنه بن المبارك : كتبت عن الف ومائة شيخ وما منهم افضل من سفيان ، كأنه خلق لهذا الشأن .

* وكان سفيان معنيا بالقراءة عناية كبيرة ويقول عنه أبو خالد في ذلك :

« صحبت سفيان في طريق مكة فكان يقرأ في المصحف كل يوم فاذا لم يقرأ فيه فتحه فنظر فيه وأطبقه » .

* وكان سفيان عالم هذه الأمة ، عابدها ، زاهدها .

رحم الله سفيان ونفعنا بعلمه

« سعيد عبد الحي »

طرائف

عمر والمال

روى البيهقى عن عمر — رضى الله عنــه — أنه قال : انى أنزلت نفسى من مال الله تعالى — بمنزلة ولى اليتيم ان اســــــتغنيت اســــتعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعــروف .

لا يتفقان

الايمان والكذب لا يتفقان ، لان الايمان أساسه الصــدق والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمــع كذب وايمان الا وأحـــدهما يحــارب الآخــر .

من العاقل

ليس العاقل الذى اذا وقــع فى الأمر احتال له ، لكن العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه .

خير لا شر فيه

الخير الذى لا شر فيه : الشكر مع العافية ، والصبر عند المصيبة .

من علامات الكرم

بــذل النــدى ، وكف الاذى ، وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة .

الناس أربعة

كــريم وســـخى ، وبخيــل ، ولئيم .
فالكريم : هو الــذى لا ياكــل ويعطى .
والسخى : هو الــذى ياكــل ويعطى .
والبخيل : هو الــذى ياكل ولا يعطى .
واللئيم : هو الذى لا ياكل ولا يعطى .

ومواقف

مناجاة

سبحان من أذل العبد بالذنب ، وأذل الذنب بالعفو ، الهى ان عفوت فخير راحم ، وان عذبت فغير ظالم ، الهى ان كنت لا ترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون ، وان كان لا يرجوك الا أهل وفائك فيمن يستغيث المستغيثون .. ؟ !!

ما هو

جليس لا يضر بك ، ورفيق لا يملك ، يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ، ان دمت النظر اليه أطال امتاعك وشحذ طباعك ، وبسط لسانك ، ان وعظ أسمع ، وان الهى أمتع ، وان بكى أدمع ، وان ضرب أوجع ، يفيدك ولا يستفيد منك .

انه « الكتاب » .

الظلم أنواع

ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه الله ، وظلم لا يعبأ الله به شيئا .

فالظلم الذى لا يغفره الله هو : الشرك به .

والظلم الذى لا يتركه الله : فمظالم العباد بعضهم بعضا .

أما الظلم الذى لا يعبأ الله به : فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى .

أربعة تعرف بأربعة

الكاتب : بكتابته .

والعالم : بجوابه .

والحكيم : بأفعاله .

والحليم : باحتماله .

حقا

من خاف من الله خافه كل شىء ، ومن خاف من غير الله خاف من كل شىء .

إعداد : حمدى الليثى

كتاب الشهر

دولة والعالم

الإسلام

التعريف بالمؤلف : مؤلف الكتاب هو الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى ، درس فى الهند ثم فى ألمانيا وفرنسا وحصل على الدكتوراه من جامعتى السوربون وبون يجيد سبع لغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والأردية والفارسية والتركية والعربية .

وموضوعه الذى يعالجه فى كتابه « دولة الاسلام والعالم » له أهميته فى هذه الاونة فهو تعريف بالقانون الدولى فى نظر الاسلام ومكانته فى القانون العام .

طريقة المؤلف فى كتابه : قسم المؤلف كتابه الى أحد عشر جزءا . ففى الجزء الاول يعرف المؤلف القانون الدولى اسلامى وطبيعته فيقول « هو ذلك القسم من قواعد القانون والعرف فى الدولة ومن الالتزامات التى تضمنتها المعاهدات ، التى ترعاها الدولة الاسلامية القائمة فعلا defacta أو قانونا dejure فى تعاملها مع الدول الاخرى القائمة فعلا أو قانونا .

ويوضح المؤلف هذا المعنى : لقد أكدنا القول ان ما تقبله الدولة الاسلامية على هذا النحو هو القانون الدولى الاسلامى وينبغى أن يتقرر هذا فى الذهن كحقيقة أولية . فالقانون الدولى الاسلامى يستند كلية ، ويستند فقط الى ارادة الدولة الاسلامية ، شأنه فى ذلك كأى قانون اسلامى آخر فى البلاد . وحتى الالتزامات المفروضة بمقتضى معاهدات ثنائية أو متعددة الاطراف (دولية) فان لها نفس الاساس . وهى ما لم تنل التصديق والنشر من جانب الجماعة الاسلامية المتعاقدة . فانها تغدو غير ملزمة ولا يترتب على عدم مراعاتها أى مسئولية تجاه الدولة الاسلامية وليس من المهم بالطبع أن يكون القبول صريحا أو ضمنيا . وقد يضاف الى ذلك أن اصدار وانفاذ القانون الدولى برضاء كل دول العالم هو هدف مثالى لم يدرك قط فى تاريخ الانسان الطويل ولو بالنسبة لاكثر أحكامه ايجازا .

ويؤكد المؤلف من خلال تعريفه السابق : أن الدولة الاسلامية تتحمل التزاماتها الدولية من : القانون والعرف والمعاهدات ويوضح المؤلف هذه الالفاظ :

بالنسبة للقانون[1]. نجد الفقهاء المسلمين يعرفون الفقه بتعريفات متعددة فنسب لأبى حنيفة مثلا أنه : « معرفة النفس : مالها وما عليها » ويعنى ذلك بأسلوب آخر أنه « العلم الذى يتناول حقوق الانسان والتزاماته » على أن مؤلفا متأخرا هو محب

---

١ ـ واضح أن هناك فارقا بين الفقه والقانون ولكن المؤلف يستعمل المصطلحين بمعنى واحد . (راجع رأى السنهورى فى مقدمته لكتابه « الوسيط فى هذا الشأن » .

الله البيجارى (١) يعرف هذا العلم الشامل لكل شيء فى هذه الكلمات : « هو علم تحقيق الاوامر الدينية (التى تتعلق بشئون الحياء العملية) عن طريق الادلة التفصيلية » والآدلة تعنى هنا مصادر المعرفة ونظرة الى ما تضمنه مؤلفات الفقه تكشف عن شمولها من الناحية العملية لكل شئون الحياة الانسانية سواء فى النواحى المادية أو الروحية •

وفى ضوء هذه التعريفات المألوفة ومحتويات كتب الفقه •

لا يبقى محل لأدنى شك أن القواعد التى تحكم سير الدولة فى الحرب والسلم والحياد تكون جانبا فى قانون الدولة القائم — فى الفقه الاسلامى — وهذه القواعد التى تحكم سير الدولة كانت تعالج فى كتب الفقه تحت عنوان (السير) •

ويضيف المؤلف عرضا موجزا لاصل القانون كما يراه الفقهاء المسلمون :

انهم يقررون أن المرء ينبغى له على الدوام أن يفعل الخير ويمتنع عن الشر ويرعى بكل دقة مراتب الحرام أو القبيح ، والفرض أو الواجب أو الحسن والمكروه والمستحب والمباح وقد لا يكون من السهل أحيانا التمييز بين الخير والشر خاصة عندما يتعلق الامر بتعقيد الحياة المتمدينة ، وهو شيء يجاوز نطاق الامور المعتادة ، وسوف تتطلب الاحتياجات العملية استحواذ الانسان على سلطة التشريع (أو وضع مراتب الخير والشر فى كل أمر بصورة محددة) سواء أكان هذا الانسان فرد كفقيه أو تنظيما جماعيا كدولة ، على أن المنطق وحده كمعيار للخير والشر لا يخلو من صعوبات خطيرة • فان من الممكن والواقع — كما يذكر الفقهاء المسلمون — أن الاشخاص المختلفين يرتأون آراء مختلفة بالنسبة لشيء واحد • وأن الايمان برسل الله له ثماره النافعة حتى من وجهة نظر الفقه ، اذ أن ما ينالونه من مهابة واجلال لاشخاصهم من شأنه قبول بعض الاسس دون جدل ، بينما يمكن للتفاصيل الاخرى الأبعد مدى أن يقوم بها الابتكار •

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله وكل ما خلفه للناس فى حياته من أوامر ونواه بوحى من الله قد تلقاء المسلمون كأحكام نهائية لا تقبل الجدل، وهى أكثر ما تكون صلاحية لان يقبلها العقل • وهذه الاوامر الالهية فى القرآن والسنة كانت تقضى كل حاجات الجماعة الاسلامية فى ذلك الوقت ، ولكن الحاجات الانسانية قد تضاعفت أخيرا بطريقة تيسر تلبيتها بطريق مباشر فورى من أقوال الرسول وأفعاله ، وهكذا نشأ القانون من أوامر الله المباشرة ولكن الانسان قد بقى له حق التفسير وتوسيع نطاق الاوامر الالهية عن طريق القياس وغيره وهذا أمدّ المسلمين بكل احتياجاتهم وهكذا تحققت حاجة مزدوجة ، القداسة التى تبعث الهيبة فى عقول المخاطبين بالتشريع والمرونة أو المقدرة على التطور لمواجهة احتياجات الازمان والظروف لقد عرفنا القانون الدولى أولا كقسم من أقسام قانون البلاد فنطاق القانون فى الدولة أوسع كما هو واضح فى القانون الدولى •

العرف : وقد قررنا للعرف مكانه الهام كمصدر للقانون الدولى • فما من نظام قانونى يستطيع بصورة ايجابية مباشرة أن يقدم الارشاد فى كل التفاصيل لكل الامور • انما يعنى أى نظام قانونى بأن يصل الى تقديم قائمة للفرائض والمحرمات تتخللها تفاصيل لبعض المباحات وفى الشريعة الاسلامية نجد مجالا فى العرف والعادة وعموم البلوى لتنظيم العلاقات فى مثل هذه الظروف •

١ — صدر الشريعة : شرح التوضيح •

كتاب الشهر

المعاهدات : وتكون بين دولتين أو أكثر تخلــق التزامات وهذا النوع المتميز الذى يضيف جديــدا الى صناعة القــانون له آثاره على صالح الدولــة لمدى قصير أو بعيد ، فمعاهدة الحديبية مثلا تقــدم لنا سابقة لنصوص قد لا تكون فى ذاتها ملائمــــة ولكنها تكون أهلا للقبول بنظرة أوسع لصـــــالح الجماعــــة •

ثم يتجه المؤلف للتمييز بين الدولة الشرعيــــة القانونية dejure **والدولة الفعلية •**

أولا : أنه يحدث أحيــــانا أن بعض النظم أو الاحداث (ثورة قوية مثــلا) ولو لم يعترف بهــا كدول من ناحية القانون delacte فانها تكون دولا من ناحية الامر الواقع • ومن الممكن أن دولة ما فى ظروف خاصة قد لا يتوافر لها أى من مقومات الدولة القانونية أو الواقعية • وثانيا : يرمى هــدف التمييز الى ايضاح أننا معنيون (بالدول) الاجنبية، لا بالاجانب المقيمين فى اقليم الدولة الاســـلامية بالنسبة لشئونهم الخاصة (الميراث — الجنسية ، وما الى ذلك) • فان هذه الامور محلها القــانون الدولى الخاص أو تنازع القــوانين • ومن الممكن أن يذكر هنا أن القانون الدولى فى الاســـلام هو أيضا جزء من الفقه وهو لا يستمد قــوة الالزام من أى مصدر أجنبى بل من سيادة الدولة الاسلامية وارادتها التى تخضع بالطبع للقانون القرآنى الالهى وللقانون الدولى الخاص • وان كان بعض الفقهــاء والمسلمين المتقدمين قد أدمجوا بين نطاق القانون الدولى العام ونطاق القانون الدولى الخـــاص فى مباحث « الســـير » •

وفى الجزء الثانى يعرف المؤلف بعض المصطلحات فى فقه القانون الدولى الاســـلامى • مصطلح لكلمة « ســيرة » الذى يعنى فى اللغة « الســير » بوجه عام قد اكتسب أخيرا معنى محدودا لسيرة الرسول فى الحروب • وانسحب ذلك فيما بعد على ســـيرة أحكام المسلمين عموما فى الشئون الدولية وفى الجزء الثالث يوضح المؤلف بعضا من موضوعات القانون الدولى ويوضح المؤلف فى هذا الجزء المجمــوعات التى يمكن تصنيف الناس اليها كى تعالج قضاياهــا القوانين القائمة وهذه المجموعات تشمل :

* الدولة المستقلة I ndepenpent التى لها علاقة بدولة أو بدول أخرى •
* الدولة ناقصة السيادة Partsouereign التى لها حق مقعد على الاقل فى العلاقات الاجنبية•
* الثوار المحاربون الذين يكتسبون (المنعة) والاقليم الذى يمارسون عليــــه الوظائف المعتادة للدولــــة •
* قطاع الطرق والقرصان •
* المعاهدون المقيمون فى دار الاسلام •
* المواطنون المسلمون المقيمون فى أقطـــــار أجنبية •
* المرتـــدون •
* أهل الذمة وهم الرعايا غير المسلمين فى الدولة الاسلامية اذ يتميزون عن سائر المعاهدين المقيمين على أرضها •

وفى الجزء الرابع يوضح المؤلف هدف القــانون الدولى وغايته •

بأن هدف القانون فى هذه الدنيا أن يكون قادرا على قيادة حياة الفرد فى أسلم طريق وعــلى ذلك فان هدف القانون الدولى الاسلامى وهو تحقيــق

دولة الإسلام والعالم

أعدل سيرة ممكنة للحاكم المسلم فى مجال العلاقات الدولية .

وفى الجزء الخامس يوضح معنى الجزاء : بأنه فى القانون الدولى الاسلامى يماثل الى حد ما الجزاء على القانون الاسلامى المطبق داخل الدولة وهو بصفة خاصة نفس الجزاء فيما يتعلق بعلاقات الاجانب المقيمين مع الدولة التى يقطنونها . فان الحكومة عن طريق محاكمها القضائية تعيد ميزان العدل بالنسبة لمن اقترف فى حقهم عدوان . والجزاء الحقيقى فى الشريعة الاسلامية كما هو معروف لا تنظمه مجرد ارادة الحاكم (وهو باعتبار كونه انسانا قد يطغى) وانما يكون الجزاء الاوفى فى الاعتقاد فى الحياة الاخوة وحساب الله . وان بواعث الضمير والروح والعوامل الوقائية هى أكثر فعالية من المغريات والزواجر الدنيوية . وهكذا يرتبط الفرد بالقانون لا بحكم القهر ، بل حتى حينما لا يوجد ما يعترض ارادته سوى خشية العاقبة والخزى وسوء السمعة .

وفى الجزء السادس يذكر المؤلف أصول ومصادر للقانون الاسلامى :

١ ـ القرآن . ٢ ـ السنة . ٣ ـ عمل الخلفاء الراشدين . ٤ ـ عمل حكام المسلمين الذين يعتبر الفقهاء حكمهم شرعيا . ٥ ـ آراء أشهر الفقهاء المسلمين .

(أ) الاجماع . (ب) القياس .

٦ ـ التحكيم . ٧ ـ المعاهدات والمواثيق وسائر الاتفاقات . ٨ ـ التعليمات الرسمية الى قواد الجيوش وأمراء البحر والسفراء وغيرهم من موظفى الدولة .

٩ ـ التشريع الداخلى فى سلوك الدولة ازاء الاجانب والعلاقات الاجنبية ، ١٠ ـ العرف والعادة

ويوضح فى الجزء السابع مكان القانون الدولى فى القانون العام .

وفى الجزء الثامن يشير الى الاسلام وتدويل المجتمع الانسانى ثم ينتقل فى الجزء التاسع ليشير الى القانون الدولى قبل الاسلام . وفى الجزء العاشر يذكر مكان الاسلام فى التاريخ العام للقانون الدولى .

ويختم المؤلف كتابه البالغ ١١١ صفحة ببيان الأساس الأخلاقى للقانون الاسلامى وهو أن أئمة الاسلام أجمعوا على قاعدة قانونية أساسية بالنسبة للعلاقات الدولية . وكل مؤلفات الفقه الاسلامى ـ حتى الموجزة منها ـ لاتفتأ تكرر أن : « المسلم والكافر فى مصاب الدنيا سواء » وليس فى وسع امرىء أن يعتدى على القانون والعدالة والضمير الطيب بدعوى أن الطرف المعتدى عليه غير مسلم ، ولا يستطيع أمرؤ أن ينقض العهد المعطى لهم بأى تعلة من التعلات ـ والثارات الانتقامية يحرسها الاسلام .

حمدى الليثى

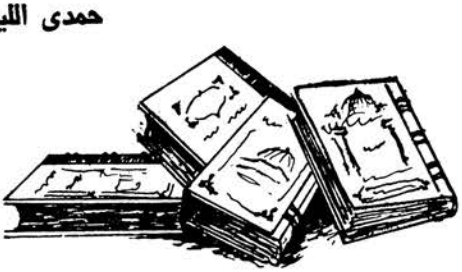

قصيدة

بعد العدوان على العراق

ضمّوا القلوب

شعر : حامد الجوجرى

ألا تحسين نار الخزى والألم … يا أمة وجهها مما عراه دمى
إن دان وجهك لم يحمر من خجل … فيا ضياع غد والأمس والقيم
فى كل يوم تعاديكم يد بطشت … بكم فلم تلق الا خائر الهمم
تزيد بغيتا إذا ما زدتم وهنا … ومن يهن يغر بالعدوان والنقم
نار العدو على آفاقكم كسف … وناركم بينكم مشبوبة الضرم
علام هذا الصراع المر بينكم … وأنتم بين مخدوع ومغتنم
كم « دمية » بينكم باتت تحركها … يد (المصرف) حتى نقلة القدم
يصول وهو على أرجوحة قبضت … حبالها أصبع من كف محتكم
هو الدعى فلا آلامه ألمى … يوم الكفاح ، ولا حرماته حرمى
فهل أعزكم بين « الرفاق » أخ … ممن اذا جاد لم يبذل سوى كلم
لا يؤلم الجرح إلا من يحس به … ولا يصون دمى الا أخو رحمى
أذلكم بعد « مصر » كل ذى أرب … فيكم ، وصال فلم يردع ولم يقم
رآكم شيعا ضلت مقاصدها … فصادكم دون ما رام ولا سهم
لكن عداواتكم كانت حبالته … وصدركم بحراب (الاقرباء) رمى
من غيرمصر ترون اليوم حصنكم … من غيرها هاتف بالبذل : هاك دمى
من غيرها يفتدى بالروح إخوته … إذا دعوا : أين راعى العهد والذمم ؟
عودوا الى «مصر» حضن الأم يعصمكم … من مستخف ، وموتور ، ومنتقم
عودوا إلى العروة الوثقى تجمعكم … على « العقيدة » حبلا غير منصرم
شهر الصيام بداعى الحب ناكركم … فاسعدوه بشمل جد ملتئم
« شهر المحبة » لا بغض ولا حسد … فلا تروعوه بالثارات والخصم
ضموا القلوب كما شاء الإله لها … فالله ألفها بالحب من قدم
كنا على جرف هار فأنقذنا … فلا تعودوا لدنيا الشر والظلم

الفتاوى

س : من السيد حمدى أحمد سليمان • من سوهاج •

ما حكم الدين فى لعب كـرة القـدم ؟ • وما موقف الدين من الكسب عن طريقهـا ؟ وما هو الاثم الذى يرتكبه الجمهـور بتركهم للصلاة لمشاهدة المباراة ؟ وهل اللعب بالسروال القصير (فوق الركبة) جائز أم لا ؟

ج : لعب الكرة من ألعاب الرياضة البدنية ، التى تنشط الجسم وتقويه ، وهى بذلك جائزة ما لـم تشغل عن واجب ، فاذا شغلت عـن واجب كانت محرمـة •

واعطاء اللاعب مرتبا من النادى جائز شرعا •

أما اللعب بطريقة المراهنة كأن يـدفع كل فريق مبلغا من المال أو عينا يأخـذ كل ذلك الفـائز دون المغلوب فهو حرام لأنه ميسر •

أما اذا دفعت الجـائزة للفـائز من الحـكومة أو النادى بدون أن يخسر المغلوب شيئا فانه جائز •

ولعب الكرة اذا شغل اللاعب أو المشاهد عن أداء الصلاة يكون حراما والمشاركة مشاركة فى الاثم •

وعورة الرجل هى ما بين الصرة والركبة ــ حتى بحضرة النساء الأجنبيات ــ وذلك عند أمن الفتنة ، فاذا كشف شيئا من العورة فانه حرام •

س : من فندق شيراتون القاهرة •

هل يجوز وضع مصحف كريم فى كل حجرة حيث ان هناك عددا كبيرا من النزلاء مسلمون، ولاتاحة الفرصة لقراءة القرآن ، مع العلم بأن هناك نزلاء غير مسـلمين ، وبان العـاملات أو العمال المسلمين قد يكونون على غير طهارة؟

ج : جاء فى مفردات الراغب الأصـفهانى : « أن الطهارة ضربان • طهارة جسم وطهارة نفس •

وحمل على طهارة النفس عامة الآيات ومثل قوله الله تعالى « **لا يمسه الا المطهرون** » أى أنه لا يبلغ حقائق معرفته الا من طهر نفسـه وتنقى من درن الفساد ، وقوله تعالى : « **لهم أزواج مطهرة** » أى مطهرات من الدنس وأخلاق السوء ، وقوله تعالى : « **والله يحب المطهرين** » فانه يعنى تطهير النفس ، وقوله تعالى « **ذلكم أزكى لكم وأطهـر** » أى أطهر لقلوبكم •

هذا بالإضافة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما أرسل الى هرقل يدعوه الى الاسلام كتب اليـه فى كتابه آية من القرآن الكريم هى قوله تعالى : « **قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** » والآية من القرآن كالقـرآن كله •

ومسها هرقل وغيره وذلك دليل على جواز مس غير المسلم للقرآن .

وقد أجاز المالكية مس القرآن وقراءته للحائض والنفساء .

كما أجاز الظاهرية مس المصحف وقراءته دون طهارة .

وعليه فلا مانع من وضع المصحف فى كل حجرة من حجرات الفندق مع العناية بالمحافظة عليه جهد الطاقة .

س : من السيد جميل حسن محمد أحمد الطالب بالمدرسة الفندقية بالاسكندرية .

من ضمن مواد التدريس بالمدرسة « مادة تقديم الخمور » وتقوم المدرسة بتدريبنا على تقديم الخمور . فما الحكم ؟

ج : الخمر محرم شرعا بنص القرآن الكريم ، وحيث ان المدرسة يوجد بها مادة هى تقديم الخمور . فلا يجوز لك أن تقدم الخمور ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الحديث الشريف : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ، وبائعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة له ، وأكل ثمنها » وهنا ينطبق عليك حاملها أو ساقيها .

فعليك ألا تطيع هذا ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

س : من السيد / أحمد أمين صالح . قويسنا ــ منوفية .

رجل يريد الزواج من بنت زوج ابنته من زوجة أخرى غير ابنته . فما الحكم ؟

ج : لا مانع من زواج هذا الرجل بنت زوج ابنته من زوجة ثانية ، اذ لا يوجد ما يحرم هذا الزواج .

س : من السيد / م . ع . عبد الرحيم قنا .

نشأ نزاع بين طائفتين من المسلمين ــ وهم جميعا يصلون فى مسجد واحد ــ ويخشى من اجتماعهما أن تنشأ فتنة بينهما ، فهل يجوز أن يبنى مسجد آخر لاحدى الطائفتين وتتعدد الجمعة تبعا لذلك ؟

ج : يجوز أن تتعدد الجمعة فى البلد الواحد اذا خشى من فتنة تنشأ من اجتماع الطائفتين فى مسجد واحد ..

والله أعلم ..

عبد الحميد شاهين

كتب الأستاذ/ مصطفى أمين فكرة يوم ١٠ — ٦ — ١٩٨١ بجريدة الأخبار قال فيها :

لن يصدق أحد أن اسرائيل تريد السلام مع مصر وتريد الحرب مع البلاد العربية ٠٠ فالسلام لا يتجزأ ، ومعنى السلام فى منطقة الشرق الاوسط أن يكون السلام مع كل دولة من دول الشرق الأوسط ٠٠ ويكفى أن تعلم اسرائيل أن كل رجل وامراة وشاب وطفل انتفض غضبا ولعن هذا العدوان على المفاعل النووى فى العراق ٠

واجبنا أن نرد على هذا التحدى بتحد أكبر ٠ أن تنسى كل الدول العربية خلافاتها وتقف كتفا واحدة ٠ واجب ايران والعراق أن يوقفا فورا هذه الحرب بينهما ٠ وتقف جميع القوى العربية والاسلامية ودول الشرق الأوسط المستقلة لتدافع عن حرية وكرامة كل دولة فى الشرق الاوسط ٠

ما حدث للعراق يمكن أن يحدث لكل دولة أخرى فهى لم تطلق رصاصة واحدة على اسرائيل ، ولم تحتل شبرا واحدا من اسرائيل ٠٠ فاذا بها تتلقى هذا العدوان الشرس ٠ وتتحدى اسرائيل بذلك الأمة العربية كلها ٠ فهذا العدوان ليس عدوانا على العراق ، بل عدوان على كل شعب عربى وكل مواطن عربى ٠ وسوف يعذر الرأى العام العالمى اذا اعتقد أن اسرائيل لا تريد السلام ، ولولا الخلافات بين الاخوة ، والحروب بين الأشقاء لما جرؤت اسرائيل أن تفعل ما فعلته فى العراق وماتفعله فى لبنان ٠ فهذه الخلافات هى التى هيأت الفرصة لكل عدوان فى الماضى ، وهى التى ستهيىء الفرصة لكل عدوان فى المستقبل ٠

جرائم الماركسية ضد الاسلام

تحت هذا العنوان كتب الدكتور غريب جمعة مقالا بمجلة « رابطة العالم الاسلامى » عدد شوال سنة ١٣٩٧ هـ قال فيه :

« يحاول فريق من الناس فى العالم الاسلامى أن يعقد مصالحة وهمية بين الماركسية والاسلام ، وعلى ذلك فلا مانع من الجمع بين الايمان بالماركسية كمذهب اقتصادى أو كتنظام سياسى وبين الايمان بالاسلام كعقيدة وسلوك ٠

وحقيقة الأمر أن مجرد محاولة عقد المصالحة بين الاسلام والماركسية والجمع بينهما كالجمع بين الماء والنار فى اناء واحد ، ووصف الانسان نفسه بأنه المسلم الماركسى وصف فيه جهل أو خبث ٠

أما الجهل فهو بموقف الماركسى من الأديان عموما ومن الاسلام بوجه خاص وجرائمها الوحشية ضده وضد أبنائه ، وأما الخبث فهو اذا كان لا يجهل ما سبق ثم يحاول أن يلبس على الناس دينهم تنفيذا لمرحلة من مراحل التكتيك الشيوعى فى القضاء على الاسلام

إعداد : عاطف زهران

حتى تأتى مرحلة الدماء ، ولا حاجة حينئذ لخبث أو مراوغة •

فماذا أصاب اخوتنا من أبناء الاسلام على أيدى الشيوعيين فى روسيا ؟ ان الحديث عنهم ذو شجون لأن مداده من دماء هؤلاء الاخوة الزكية ، ولكى يدرك الانسان مبلغ نكبة تلك الأوطان لابد أن يعرف الفرق بين روسيا والاتحاد السوفيتى • أما روسيا فهى دولة صغيرة تقع فى الشمال الشرقى من أوربا وتبلغ مساحتها أربعمائة ألف كيلو متر مربع • ولكنها أخذت فى غزو الاقطار المجاورة ، يساعدها جحافلها الهمجية وما أذاقته للناس من ويلات وتدمير فامتدت الى البلطيق غربا والى المحيط الهادى شرقا •

وكانت نتيجة ذلك الغزو الهمجى أن استولت على أوطان اسلامية وأخرى مسيحية •

وبعد هذا التوسع الاستعمارى أصبح يطلق على روسيا « الاتحاد السوفيتى » ومساحته تبلغ أربعة عشر مليونا من الكيلومترات المربعة يتكون مما يزيد عن ثمانية أعشارها من دول اسلامية — أورال ، استراخان ، سيبريا ، القرم ، القوقاز ، تركستان الغربية •

ومنذ أن استعمر قياصرة روسيا هذه البلاد وهم يعملون على محو الاسلام واستئصال شأفة المسلمين منها •

حقوق الانسان الاقتصادية فى الاسلام

كتب الأستاذ عبد الحميد الكاتب مقالا تحت هذا العنوان بجريدة أخبار اليوم القاهرية يوم ٢٨ — ٣ — ١٩٨١ م ، قال فيه :

الضرائب هى احدى الطرق التى سلكها الاسلام لتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع وطبقاته •

وأول هذه الضرائب الزكاة •• ولكنها ليست الضريبة الوحيدة التى يقررها الاسلام •• فهناك عدد آخر من الضرائب أقرها لأهداف انسانية واجتماعية وقومية •

وهذه الضرائب التى تهدف الى تحقيق شيىء من العدالة الاجتماعية لم تعرفها المدنية الحديثة الا منذ عهد قريب جدا •• لا يتجاوز قرن ونصف قرن •• وذلك حين أصدرت انجلترا فى عهد الملكة فيكتوريا أول قانون يحمى الفقراء من الاستغلال البشع •

وهو ما عرف باسم (قانون الفقراء) • الذى كان يعطى الفقراء جزءا صغيرا من ميزانية الدولة يخفف عنهم وطأة الفقر الشديد ، الذى كان يعانى منه جزء كبير من الشعب الانجليزى • فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا هى أكبر وأغنى دولة فى العالم •

قالت الصحف

وجاءت ألمانيا فوضعت فى عهد بسمارك قانونا هو بداية قوانين (التأمين الاجتماعى) وكان هذا منذ أكثر من مائة سنة . أما قبل هذا فلم يكن العالم يعرف شيئا عن الضرائب التى تخفف عن الفقراء . وكانت هذه الأموال مخصصة لأمرين أولهما :

توفير حياة البذخ للملوك ومن يلوذ بهم .

وثانيهما : تجهيز الجيوش لتغير على الآخرين وتسلبهم أملاكهم ، أو تصد غارات الأعداء عليها .

أما فرض الضرائب لينفق منها على الفقراء .. فهذا النظام اسلامى .. بل هو فريضة اسلامية ، عرفتها فى صورة الزكاة بأنواعها .. وفى صورة ضرائب أخرى عديدة فرضها الاسلام ؛ شرع الله الكفارة عن بعض الذنوب .. وضريبة الخراج فرضها عمر بن الخطاب .. ضريبة الأمن القومى التى أقرها العز بن عبد السلام .. ولكن صورة الزكاة قد بهتت فى أذهاننا ، وفى حسنا كما يقول الشهيد سيد قطب فى كتابه العدالة الاجتماعية فى الاسلام) يقول :

« ان هذه الصورة قد بهتت لأنه قد انقضت أجيال تلو أجيال دون أن تكون الزكاة مطبقة فى واقع الأمر ، وفى نظام الدولة .. لان هناك فكرة شائعة بأن ضريبة الزكاة هزيلة ضئيلة ، فلو اكتفينا بها لقلت حصيلة الدولة من الضرائب وأدى ذلك الى أن صارت فريضة الزكاة تأتى عند أغلب المسلمين فى المرتبة الاخيرة بعد الفرائض الاخرى .

على أبواب ثورة اسلامية

كتب الاستاذ محمد عبد الرحيم عنبر مقالا تحت هذا العنوان بجريدة « الرأى العام » الاسلامية الصادرة فى يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٨١ م قال فيه :

ان المراقبين السياسيين الغربيين يلاحظون اليوم فى انزعاج واضح الانتفاضات .. أو الثورات .. أو الصحوات ــ سمها كما شئت ــ الاسلامية فى أرجاء العالم كله .

فى أفغانستان .. حيث تقوم حرب طاحنة بين المناضلين المجاهدين المسلمين ، والحكام العسكريين والشيوعيين .

وفى باكستان حيث يطالب الشعب كله بتطبيق الشريعة الاسلامية .

وفى تركيا أيضا ثورة .. قيل أنها بين طائفتى السنية والشيعة .

ولكن الحقيقة أنها بين المسلمين والشيوعيين .

وفى ايران ثورة قالت انها اسلامية .

وفى الملايو يطالب الطلبة بتطبيق الشريعة الاسلامية .

والشعب الليبى المسلم هل من سياسة زعيمه الذى أصبح عميلا للروس .

والمقاومة العنيفة فى اليمن الجنوبية ضد الزعماء الماركسيين .. !! ويعتقد المراقبون أن ثورة قد بدأت بالفعل .. وأن هذه الحركات المتفرقة ما هى الا ارهاصات لهذه الثورة .. وان لم يكن اليوم بينها ترابط أو تنسيق فهى الطلائع الثورية قبل الزحف المقدس .

عاطف زهران

هكذا يكتب القراء

اعداد عبد العزيز أحمد جبره

كيف نصوم رمضان

تحت هذا العنوان كتب القارىء/محمد محمود على يقول :

شهر رمضان من أفضل الشهور عند الله تعالى وليس بين الشهور من شهر يدانى شهر رمضان فى منزلته عند الله تعالى وفى بركاته التى تفيض على النفوس وتعمر القلوب والحقيقة أننا لو نظرنا الى شهر رمضان وما فيه من أحداث جليلة وعظيمة الشأن والمكانة عند المسلمين لأيقنا بالفعل دون أدنى شك أنه أفضل الشهور عند الله سبحانه وتعالى فعلى سبيل المثال نزلت فيه صحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى والقرآن الكريم لقول رسولنا الكريم فى حديثه الشريف الذى يوضح ويبين فيه للمسلمين مكانة شهر رمضان فقال : **(أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان) .**

وقد قال الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)** من هذه الآية الكريمة يتضح لنا أنه شهر مبارك أنزل الله في القرآن وفرض صوم نهاره على المسلمين بل جعل الصوم ركن من أركان الاسلام الخمسة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف **(بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا)** وهنا نأتى الى النقطة الاساسية لشهر رمضان وهى الصيام ولكن كيف نصوم رمضان ونعطى لفريضة الصوم حقها وكيف نصل بصومنا الى رضى الله تبارك وتعالى عنا وما الى غير ذلك من الأمور التى يتطلب من الانسان المسلم المحافظة عليها أو ترك فعلها حتى يتأدب بالأدب الروحى المطلوب لشهر رمضان .

المعروف لدينا أن الصوم هو : **(امتناع عن**

هكذا يكتب

كيف نصوم رمضان

الأكل والشرب وشهوة الفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس) أو هو (الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس) هذا هو تعريف للصوم ولكن المطلوب فى الصوم أسمى من ذلك حتى يصل الانسان بصومه الى مرضاة الله عز وجل فيمكن للانسان أن يمتنع عن الأكل والشرب ومعاشرة الزوجة ولكن بقية جوارحه لم تلتزم بما هو مطلوب منها فلم يكف اللسان مثلا عن الحديث عن الناس والغيبة والنميمة ولم تسكن اليد عن أذى الناس ولم يغض البصر عن النظر عما حرم الله ولم تقف القدم عن السعى الى ما حرم الله وهنا ينطبق على الانسان الذى لم تلتزم جوارحه بآداب الصوم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) واحسرتاه لو خرج الانسان من صومه بالجوع والعطش دون ثواب الله وجزاؤه لأن الصوم عبادة سامية فهو تزكيه للنفوس وتقوية للارادة وتحرير للانسان المسلم من قيود العادة وعبودية الشهوة كما أنه يعلم الانسان الصبر وقوة الاحتمال وصحوة الضمير ومراقبة الله عز وجل حيث يمكن للانسان أن يختلى فى مكان ويغلق على نفسه الابواب ويفعل مبطلات الصوم من أكل وشرب ومتعة وما الى غير ذلك من الأمور ولكن الصوم يحجبه عن كل هذا ويربى فيه العادات الحميدة والافعال الكريمة والصفات النبيلة فاعبد الله فى هذا الصوم كأنك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك) وكن من الذين قال فيهم المولى عز وجل فى حديثه القدسى (ياملائكتى : أنظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى) لأنك كم تعلم أخى المسلم أن الصوم لا يعلم قيمته وأجره وثوابه الا الله حيث قال أيضا فى حديث قدسى آخر (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به) وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) .

فيا أخى المسلم : رمضان شهر كريم مبارك فيه تفتح الجنة أبوابها وتغلق النار أبوابها وتسكن الشياطين فاغتنم هذا الشهر العظيم فى العبادة والتقرب الى الله بالاعمال الصالحة والالتزام بآداب الصوم المفروضة وعليك بكثرة القراءة فى القرآن الكريم فهو شهر القرآن كما قال الله عز وجل (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) وفيه ليلة خير من ألف شهر الا وهى ليلة القدر ويقول فى حقها المولى سبحانه وتعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ـ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ـ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ الى آخر السورة) كل هذه الفضائل لشهر رمضان مع أنه فى صالح جسم الانسان من الناحية الصحية كما ثبت الأطباء من خلال أبحاثهم أن الصوم مفيد للانسان صحيا وأخيرا وفقنا الله واياكم للصوم الصحيح ابتغاء مرضاة الله ورسوله وكل عام والأمة الاسلامية بخير .

قصيدة

بسم الله الرحمن الرحيم
الاستاذ الدكتور رئيس تحرير مجلة الازهر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
مع تمنياتنا الطيبة لكم ولجهودكم الموفقة فى اخراج مجلة الازهر بهذه الصورة الرائعة .
ابعث بهذه الأبيات نظمتها بعد انصاتي الى قارىء يتلو بصوت خاشع يملأ القلب قبل الأذن .

يَـامَنْ تُرَتِّـلُ مُحْـكَم الْقُـرْآنِ ... قَـدْ زِدْتَ بالتَّرْتيـلِ فِي إِيمَـانِي
أَصْغيتَ مِلءَ القلْبِ قَبْلَ مَسَـامِعِي ... وَبَكَى الْفُـؤَاد وَفَاضَـتِ الْعَيْنَـانِ
وَأَتَيْتُ بَـابَ اللَّـهِ أَخْفِضُ هَـامَتِي ... مِنْ عِبْءِ أَوْزَارِي وَمِنْ عِصْـيَانِي
وَأَتَيْتُ بَـابَ اللَّـهِ تَجْـرِي عِبْرَتِي ... نَدَمًـا سَرَى فِي مُهْجَتِـي وَكِيَـانِي
وَأَتَيْتُ بَـابَ اللَّـهِ أَرْجُـو عَفْـوَهُ ... فَاغْفِـرْ لَنَـا يَا وَاسِـعَ الْغُفْـرَانِ
وَامْـلأْ بِنُـورِ الْحَـقِّ قَلْبِـي إِنَّنِي ... عَبْـدٌ أَنَـابَ وَجِئْتُ فِي إِذْعَـانِ
قَـدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًـا بِذَنْبِي تَائِبًـا ... فَاقْبَـلْ إِلَهِـي تَوْبَـةَ النَّدْمَـانِ
بَلْ أَسْـتَغِيثُ وَأَسْـتَجِيرُ إِلَهَنَـا ... فَاصْـفَحْ وَجُـدْ بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
يَامَنْ تَسِـيرُ وَلَيْلُ دَرْبِـكَ حَـالِكٌ ... وَتَبِيتُ فِي خَـوْفٍ وَكُلِّ هَـوَانِ
هَلاَّ اهْتَـدَيْتَ بِنُـورِ الْحَقِّ وَاضِحٌ ... يَشْـفِي سِـقَامَ النَّفْسِ وَالأَبْـدَانِ
هَـذَا كِتَـابُ اللَّهِ نُـورٌ سَـاطِعٌ ... فَتَمَسَّـكُوا بِالـذِّكْرِ وَالْفُرْقَـانِ
قُـرْآنُ رَبِّـي قَـدْ أَتَانَـا هَادِيًـا ... وَمُبَشِّـرًا بِسَـعَادَةٍ وَأَمَـانِ
بِلِسَـانِ أَحْمَـدَ قَـدْ قَرَأْنَـا آيَـةً ... أَنْعِمْ بِآيَـاتٍ وَصِـدْقِ لِسَـانِ
يَالَيْتَنَـا نَسْـعَى بِنُـورِ كِتَـابِنَا ... حَتَّى يَعُمَّ النُّـورُ فِي الأَكْـوَانِ
فَاقْرَأْ كِتَـابَ اللَّـهِ تَسْـعَدْ دَائِمًـا ... وَتَفُـوزُ بِالْجَنَّـاتِ وَالرِّضْـوَانِ

احمـد محمد الـديب
مدرس أول بحلوان التجارية للبنين

أخبار العالم

القاهـــرة :

*** ينظم المجلس الأعلى للشباب والرياضة مسابقة ثقافية دينية على مستوى طلاب الجامعات المصرية حول الموضوعات الآتية :**

* مصر العروبة والاسلام — دور الازهر فى خدمة الاسلام والعروبة — دور مصر فى تدعيم القيم الروحية على امتداد تاريخها الوطنى والقومى — رؤية لمستقبل العلاقة بين مصر والبلاد الاسلامية فى ضوء الواقع التاريخى .

*** أصدر الدكتور الطيب النجار مدير جامعة الازهر قرارا بتشكيل لجنة احياء التراث الاسلامى وتتولى اللجنة توجيه نشاط الجامعة وهيئات التدريس فى دراسة التراث غير المنشور والبحث عنه واصدار التوصيات اللازمة بالنسبة لما يجب فحصه وتحقيقه ونشره من المخطوطات .**

* طالبت الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية المجتمع الدولى بالنهوض بمسئولياته تجاه قضية القدس كما أدانت استمرار الغزو لأفغانستان ، وطالبت الدول الاسلامية والعربية بتقديم الدعم الكامل للمجاهدين الافغان وقطع علاقاتها بالنظام القائم فى « كابول » وتجميد العلاقات مع الاتحاد السوفيتى فى حالة استمرار بقاء قواته فى أفغانستان . وطالبت الجمعية المجتمع الدولى بمواجهة اصرار اسرائيل على سياسة العدوان وتنكرها لقرارات الامم المتحدة ومجلس الأمن ، ووافقت الجمعية على انشاء بنك للعالم الاسلامى يساهم فى خطط التنمية لتوسيع قاعدة الانتاج فى الدول الاسلامية والعربية .

الكويت :

*** تعتزم وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت اقامة مشروع يتضمن زيادة الاهتمام بدار القرآن الكريم ومعهد الدراسات الاسلامية من أجل تطويرها حتى تكون مركز اشعاع حقيقى للعالم الاسلامى .**

* قرر مجلس جامعة الكويت فى اجتماع عقده برئاسة وزير التربية الرئيس الأعلى للجامعة البدء بتدريس مقرر الثقافة الاسلامية

كمتطلب جامعى اختيارى اعتبارا من الفصل الدراسى ٨١/١٩٨٢ م .

المملكة الاردنية الهاشمية ..

* أقيم فى الجامعة الاردنية مؤخرا معرض للكتاب الاسلامى ضم مختلف الكتب الاسلامية من فكرية وفقهية وعلمية بجانب عدد من اللوحات الاسلامية . واستطاع طلاب الجامعة اصدار مجلة اسلامية بعنوان « صوت الاسلام » تضم الانشطة الاسلامية والعلمية فى الجامعة وبعض المواضيع الدينية القيمة .

البحرين :

* قررت البحرين تكوين متحفا يتضمن مجموعات فريدة من الترجمات لمعانى القرآن الكريم وجميع النسخ التى طبعت فى مختلف العصور ومن جميع انحاء العالم وكل ما يتصل بالتفسيرات الحديثة باللغة العربية .

المالديف :

* تقيم زهرة الطلاب المتحدين بجزر المالديف بمشيئة الله المسابقة القرآنية الثالثة خلال شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠١ هـ لطلبة وطالبات منطقة « ادو أتول » بجزيرة هندو بالمالديف .

بريطانيا :

* يسعى اتحاد المنظمات الاسلامية فى بريطانيا للحصول على الاعتراف الشرعى بالدين الاسلامى من الحكومة البريطانية ويقدر عدد المسلمين فى بريطانيا بحوالى مليون ونصف مليون مسلم . ويطالب ممثلو المنظمات الاسلامية بالاعتراف الرسمى بالاسلام كثانى أكبر تجمع دينى فى بريطانيا كما حدث فى بلجيكا والنمسا . وتتلخص أهم مطالب المسلمين فى :

— أن يكون لهم الحق فى بناء المساجد فى المناطق التى تحتاج اليها .

— وأن توضع الانظمة التى تمكنهم من أداء الصلوات الخمس اليومية فى أوقاتها .

— وأن يوضع فى الاعتبار تأمين الاغذية التى لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية فى المدارس والمستشفيات واماكن العمل وفى السجون .

— وأن يعترف بعيدى الفطر والاضحى كعطلة رسمية للمسلمين المقيمين فى بريطانيا .

أخبار العالم

ـ وان تخصص لهم اراضى من أجل دفن موتاهم ٠

الولايات المتحدة الامريكية :

*** أوضح السيد غازى يحيى خان مدير اذاعة صوت الاسلام فى الولايات المتحدة الامريكية أن هناك ضغوطا صهيونية وحملات مكثفة تشن ضد الاسلام والمسلمين ٠ وقال السيد خان : أنه واجه كثيرا من الصعوبات منذ الخطوات الاولى لتأسيس اذاعة صوت الاسلام التى سوف تؤدى رسالتها على أكمل وجه بإذن الله ٠**

* تقوم الهيئات الاسلامية فى امريكا بنشاطات ملموسة فى سبيل دعم العمل الاسلامى واقامة المزيد من المراكز والمساجد والمدارس الاسلامية ٠ ففى مدينة جيرس سيتى بولاية نيو جرسى قامت جمعية عباد الرحمن بشراء مبنى كبير فى شارع رئيسى من أجل تحويله الى مسجد ومدرسة اسلامية

كما سيضم هذا المركز الاسلامى معهدا للدراسات الاسلامية ودارا للحضانة ومستوصفا اسلاميا خيريا ومكانا لتجهيز موتى المسلمين ، وقاعة للاجتماعات والمناسبات وعقد الزواج وفقا للشريعة الاسلامية ٠

اكسفورد :

*** انتهى فريق من الباحثين المصريين والامريكيين من اعداد أول موسوعة للعملات الاثرية الاسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى العصر الحديث لتبدأ طباعتها فى أكسفورد بانجلترا باللغة العربية والانجليزية ٠ وهى مرتبطة طبقا للتسلسل التاريخى للدول الاسلامية فى مختلف العصور ٠**

المانيا الغربية :

*** سيتم باذن الله انشاء مركز ثقافى اسلامى يضم مسجدا ومكتبة ومدرسة فى بون عاصمة جمهورية ألمانيا الاتحادية ٠ وقد اختارت لجنة سفراء الدول الاسلامية قطعة الارض التى قدمتها مدينة بون ٠**

* تقرر تأسيس معهد بحوث للدراسات الاسلامية وتاريخ العلوم الاسلامية فى العالم العربى يكون مقره فرانكفورت بألمانيا الاتحادية وسيكون أول معهد وأول مشروع من نوعه خارج البلاد العربية حتى الآن ٠

اوغندا :

*** تفيد الأنباء الواردة من أوغندا ان هناك**

العالم الإسلامى

محاولات مستمرة لضرب وتصفية الاسلام والقضاء على المسلمين فيها . والهدف من وراء هذا الاضطهاد هو تحويل أوغندا الى دولة غير اسلامية .

فرنسا :

* قام أربعة الاف مهاجر مسلم يعيشون بمدينة « مانت » الفرنسية والتى تبعد عن العاصمة باريس بستين كيلو متر بجمع التبرعات لبناء مسجد ومركز اسلامى بالمدينة التى يعيشون بها . وكان المسلمون قد أنشاوا جمعية دينية هى الاتحاد الاسلامى . وتقوم الجمعية بدور كبير فى نشر الوعى الاسلامى بين أفراد هذه الجالية الاسلامية .

رومانيا :

* يتم فى رومانيا بناء مسجد ومركز اسلامى وثقافى فى العاصمة الايطالية وقد تمت هذه الموافقة على بناء هذا المسجد الاسلامى فى أحدى المناطق التى تقع فى اطار المدينة « روما » وقد وافق مجلس مدينة روما على بناء المسجد .

جنيف :

* تم تأسيس دار المال الاسلامى لخدمة الاقتصاد الاسلامى وتنمية المجتمعات الاسلامية ، ولتستجيب للطلب الملح والناجم من رغبة المسلم العميقة فى تطبيق اسلامه ، ورغبة الأجيال الناشئة من أن ينتقل الاسلام من مجرد خطب وكلمات تلقى الى ممارسة وتطبيق يومى فى حياة الانسان .

ودار المال الاسلامى . كانت مرحلتها الاولى عندما أصدر المؤسسون الفخريون عهدا ونداء للأمة الاسلامية تعهدوا فيه بالجهد فى سبيل نشر ودعم المؤسسات الاقتصادية الاسلامية . أما مرحلتها الثانية فقد بدأت بالاكتتاب الخاص لكبار رجال المال فى الامة الاسلامية . ومرحلتها الثالثة ستبدأ باذن الله بعد عيد الفطر المبارك حيث يبدأ طرح الاكتتاب العام لجمهور الامة الاسلامية ، وسوف يفتح الاكتتاب فى ٢٤ دولة اسلامية .

أخبار الأزهر

مد الاعارات للعاملين بالأزهر

*** أصدر فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر قرارا يقضى بالتجاوز عن مدد الاعارة أو التعاقد الشخصى لأعضاء هيئة التدريس أو غيرهم من الوعاظ أو الموظفين بالازهر المعارين أو المتعاقدين الى البلاد العربية أو الاسلامية وغيرها من البلاد والمنصوص عليها بقرار شيخ الازهر رقم ٢٢ لسنة ١٩٧٧ وذلك بشرط طلب جهة الاعارة أو التعاقد أو الندب التى يعملون بها .**

وفد من الأزهر الى اليابان — الفلبين — سرى لانكا

*** وافق فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر** على سفر كلا من **السيد الاستاذ / احمد عصمت محمود ابراهيم** وكيل أول الوزارة المشرف العام على مدينة ناصر للبعوث الاسلامية رئيسا .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد السيد شاهين مراقب البعوث الاسلامية عضوا

والسيد / محمد ثروت محمد حلمى عبد اللطيف مراقب شئون المنح الدراسية والاسكان بمدينة البعوث الاسلامية عضوا

الى اليابان الفلبين سرى لانكا

وذلك للقيام بزيارات ميدانية لدراسة بيئة وأحوال وظروف معيشة الطلاب الوافدين على الطبيعة والعمل على تقوية الروابط بين الازهر وخريجيه والتعرف على الهيئات والمنشآت الاسلامية بهذه الدول وما يمكن أن يقدمه الازهر لها من منح أو أى معونات أخرى .

اخبار الامتحانات بالأزهر

* صرح فضيلة الشيخ عبدالله كريم وكيل الوزارة لشئون المعاهد الازهرية بأن نتائج امتحان الشهادتين الاعدادية والثانوية الازهرية سيبدأ اعلانها فى منتصف شهر يوليو القادم وأن عدد الطلاب الذين تقدموا لامتحان الشهادتين قد بلغ ٥٥ ألف طالب وطالبة من بينهم٢٣ ألف طالب وطالبة بالشهادة الاعدادية و ٣٢ ألفا بالثانوية .

وأضاف أنه تقرر الغاء مسابقة قبول طلاب الاعدادية العامة بالمعاهد الازهرية الثانوية هذا العام نظرا لكفاية هذه المعاهد من طلاب الاعدادية الازهرية . وقال انه يجرى حاليا دراسة تشكيل مكاتب تنسيق بالمعاهد الازهرية الثانوية تتولى توزيع الطلاب بهذه المعاهد وفقا لاحتياجات الجامعة من التخصصات المختلفة .

* صرح السيد الاستاذ / عبد العزيز قريش الامين العام لجامعة الازهر بأن الجامعة ستقبل هذا العام نحو ٢٦ الف طالب وطالبة ٠

* تقرر الغاء الاسئلة من مادة النحو فى امتحان الثانوية الازهرية والخارجة عن المقررات المعمول بها هذا العام وذلك لكثرة شكاوى الطلاب فى القسمين العلمى والادبى على مستوى الجمهورية ٠ وصرح فضيلة الشيخ عبد الله كريم وكيل الوزارة لشئون المعاهد أنه سيشكل لجنة للتحقيق مع واضعى هذه الاسئلة ٠

* استقبل فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر الشيخ / تنزيل الرحمن رئيس مجلس الفكر الاسلامى بباكستان وبرفقته السيد سفير باكستان بمصر ، وحضر اللقاء فضيلة الدكتور وكيل الازهر ٠ وفضيلة الاستاذ حلمى محمود وكيل الوزارة ، وفضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ٠

ودار البحث حول الشئون الاسلامية وأحوال المسلمين فى باكستان وتبادل اللقاءات بصفة مستمرة وتدعيم العلاقة الدينية بين البلدين كما دار البحث حول زيادة المنح الدراسية لطلاب باكستان وزيادة عدد المبعوثين من الازهر ٠

● يعقد فى الفترة من ٢٩ الى ٣١ أغسطس ١٩٨١ القادم المؤتمر السنوى الثلاثينى للاتحاد العام للجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا فى مدينة تورنتو ـ انتاريو ـ بكندا ويناقش المؤتمر موضوع « الاسلام الدين الحنيف فى ماضيه وحاضره ومستقبله » هذا وسيحضر المؤتمر وفدا يمثل الأزهر ٠

شيخ الازهر يستقبل رئيس المسلمين فى اليابان

* كما استقبل فضيلته / الحاج عبد الكريم سايتو رئيس المسلمين فى اليابان وتم بحث موضوع اشتراك الازهر الشريف بمندوبين فى مؤتمر الديانات والعقائد العالمية المزمع اقامته فى طوكيو يوم ٢٣ يونيو الجارى ٠

* كما استقبل فضيلته وفدا من اليمن الشمالية برئاسة الاستاذ / احمد عبد ربه جراده وكيل وزارة التربية والتعليم ودار الحديث حول تدعيم العلاقات الثقافية بين البلدين وقد طلب الوفد أكثر من ١٧٠٠ مدرس للعلوم الشرعية والعربية وقد وعد فضيلة الامام بتلبية كل احتياجاتهم ٠

* كذلك استقبل فضيلته مستشار وزارة التربية والتعليم الاسلامى لمنطقة شمال غانا وتم فى هذه المقابلة بحث تزويد المدارس الغانية بالمدرسين الازهريين والكتب الثقافية والدينية وزيادة عدد المنح الدراسية وكذلك زيادة عدد المبعوثين وقد أبدى فضيلة الامام تفهما لهذه المطالب ٠

الشيخ الشعراوى يتنازل عن مكافآته من البحوث الاسلامية لصالح طلاب الازهر

* تسلم فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر التنازل الخاص بمكافاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عضو مجمع البحوث الاسلامية ٠

وكان قد تنازل فضيلة الشيخ الشعراوى عن مكافاته التى يتقاضاها من المجمع لصالح طلاب جامعة الازهر مدى الحياة ٠

ردود القراء

الأخ · عبد الفضيل عرفان عثمان — وكيل المدرسة الانجيلية بنات — ملوى — المنيا ·

كتب الينا يقول قرأت كثيرا عن الذين ترجموا للامام الشيخ محمد عبده من أمثال الاستاذ العقاد والدكتور محمد عماره عرفت منها حياته كلها من الميلاد حتى الوفاة وللأسف الشديد لم يذكر أى كاتب من هؤلاء المكان الذى دفن فيه ·

ولذلك أطلب من سيادتكم افادتى عن مكان مثواه الاخير ·

*** نفيد سيادتكم بأن الشيخ محمد عبده (توفى بالاسكندريه فى سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥ م ونقل الى القاهرة لتشييع جنازته وقد صلى عليه فى الجامع الأزهر · ودفن فى قرافة المجاورين · تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته) (١) ·**

كتب الينا الاخ قابس قدور — الجزائر — بلدة لرجام ·

يسرنى ويسعدنى كثيرا أن أتقدم الى سيادتكم بطلبى راجيا أن تقدموا لى كتب من أى نوع يعجبكم ولكم الاختبار ·

*** يا اخ قابس · مجلة الأزهر لا يوجد فيها كتب للاهداء ولكن توجد الكتب بمجمع البحوث الاسلامية ·**

وعليك أن تتصل بمجمع البحوث الاسلامية وتطلب ما تريده من الكتب مجمع البحوث الاسلامية — مدينة نصر — القاهرة ·

---

(١) تاريخ الامام محمد عبده للاستاذ/محمد رشيد رضا — الجزء الاول ص ١٠٤٩ ·

كتب الينا الاخ · التوينسى عانس — تونس ·

يريد أن يعرف كيفية الاشتراك فى المجلة — وعن قيمة الاشتراك لمدة سنة كاملة ·

ويشكو من قلة الاعداد التى تصل اليهم وأنها لا تكفى القراء ·

*** نفيد سيادتكم بأننا قد أخطرنا قسم توزيع الأخبار الذى يتولى ارسال المجلة الى تونس لكى يزود الكمية التى ترسل الى تونس شهريا ·**

وبالنسبة لطلب اشتراككم فى المجلة فعليكم الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الأخبار · وعنوانه ·

جريدة الأخبار — القاهرة — ٣ أ ش الصحافة ·

فهو الذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته ·

وقيمة الاشتراك عن سنة كاملة هو (٣٠٠ر٣) ثلاثة جنيهات وثلاثمائة مليم ·

الأخ القارىء لمجلتنا باسوان ·

*** وصلتنا رسالتك التى تفيد بأن مجلة الأزهر لم تصل الى اسوان فقد أخطرنا المسئولين بتوزيع الأخبار الذى يتولى توزيع المجلة فى أنحاء الجمهورية بشكواكم وسنتخذ اللازم نحو تزويد الكمية المرسلة الى اسوان · وعليكم متابعة وصولها اليكم والحصول عليها فى أول كل شهر عربى · وننتهز هذه الفرصة لنشكركم على غيرتكم نحو مجلتنا والاسلام)**

كتب الينا الاخ — معيزة عبد القادر — الجزائر ·

يشكو من عدم وصول المجلة الى الجزائر ويريد أن يعرف كيفية الحصول عليها وفى أى مكان توجد ·

*** نفيد سيادتكم بأن مجلتنا تصل الى الجزائر بوكالة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر ·**

ويمكنكم الحصول عليها من هذه الوكالة ·

ونشكركم على اهتمامكم بالمجلة والسعى الى قراءتها ·

عبد الفتاح السيد عبد السلام

معذرة .. لهذه الأخطاء

مجلة الازهر ، مجلة لها سمة خاصة ، وما ينشر فيها له طابع متميز ، ومن ثم تحرص أسرة التحـــرير على التدقيق الكامل فى اختيار المقالات من الناحيــة العلمية وتصــحيحها من الناحية اللغوية تصحيحا دقيقا .

ومع ذلك أفلتت من مصــــحنا عدة فلتات فى الملزمة الاولى من عــدد رجب الماضى ، أسفنا لها كثيرا .

وحرصا منا على سمعة المجلة ننبه الى هذه الاخطاء فيما يلى :

١ ــ (أ) جاء فى حديث فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الازهر ص (١١٤٧) خلال حديثــه عن الازهر فى حفــل افتتاح مؤتمر البحوث والدراسات الســكانية بجامعة الازهر الذى حضره السيد الرئيس محمد أنور السادات .

« فكان (يعنى الازهـــر) ولايزال بحمد الله الكعبة الســامية للاســلام » والصحيح أن فضيلة الدكتور النجار قال **« فكان الازهر ولايزال الكعبــة الثانية للاسلام »** .

(ب) كما جــاء فى نفس الحــديث (ص ١١٤٨) أن فضيلته قال « ورسالة الازهر هى رسالة العلم والايمان الذى حملتهم رايته ووليتهم قيادته وزعامته» .

والصحيح أن فضيلته قال : **« ورسالة الازهر هى رســالة العلم والايمان الذى حملتم رايته ووليتم قيادته وزعامته »** .

(جـ) وفى (ص ١١٤٨) جـــــاء « يا ســيادة الرئيس ادفعهم الى الامام بيدك القوية الامينة » وذكر فضــيلة الدكتور النجار انها يد قوية **« لا لأنها يد رئيس جمهورية بل لانها يد راع أمين يعرف الله ويخشـــاه ولا يخشى أحدا سواه »** .

٢ ــ وفى (ص ١١٤٩) وكان الدكتور عبد اللطيف خليفة نائب رئيس جامعــة الازهر لشــئون الطلاب ونحن نأسف للاســـتاذ الدكتور خليف والصحيح **« وكان الدكتور عبد اللطيف خليف »** .

ونحن نعتقــد ان الازهر كله يعرف الدكتور عبد اللطيف خليف ومن هنا كانت غلطة مصححنا .

٣ ــ كما جاء فى (ص ١١٥٨) « عن جابر بن الله » ونحن نستغفر الله تعالى ســبحانه فالصحيح **« عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه »** .

أمساكية
شهر رمضان المعظم
سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

أيام الأسبوع	تواريخ قمري رمضان ١٤٠١	تواريخ ميلادي يوليو ١٩٨١	مدة ساعات الصوم ق	مدة ساعات الصوم ت	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت	سحور ق	سحور ت	إمساك ق	إمساك ت	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت
الجمعة	١	٣	٧	١٦	··	٧	٣٢	٨	٥٣	١٢	٥٣	٢	١٣	٣	٥٨	٤	٥٩	١١	٣٥	٣
السبت	٢	٤	٧		··		٣٢		٥٣		٥٣		١٣		٥٨		٥٩		٣٥	
الأحد	٣	٥	٦		··		٣٢		٥٤		٥٤		١٤		٥٩		٥٩		٣٥	
الإثنين	٤	٦	٦		··		٣٢		٥٤		٥٤		١٤		٥٩		٥٩	١١	٣٥	
الثلاثاء	٥	٧	٥	١٦	··	٧	٣١	٨	٥٥	١٢	٥٥	٢	١٥	٣	٥٩	٤	··	١٢	٣٦	٣
الأربعاء	٦	٨	٥		··	٧	٣١	٨	٥٥	١٢	٥٥	٢	١٥	٣	··	٥	··	١٢	٣٦	٣
الخميس	٧	٩	٤		··	٧	٣١		٥٦		٥٦		١٦		··		··		٣٦	
الجمعة	٨	١٠	٣		٥٩	٦	٣١		٥٦		٥٦		١٦		٠١		··		٣٦	
السبت	٩	١١	٢		٥٩		٣١		٥٧		٥٧		١٧		٠١		··		٣٦	
الأحد	١٠	١٢	١		٥٩	٦	٣١		٥٨		٥٨	٢	١٨	٣	٠٢	٥	··	١٢	٣٦	٣
الإثنين	١١	١٣	٥٩	١٥	٥٨	٦	٣٠		٥٩		٥٩	٢	١٩		٠٣		٠١		٣٧	
الثلاثاء	١٢	١٤	٥٩		٥٨		٢٩		٥٩		٥٩		١٩		٠٣		٠١		٣٧	
الأربعاء	١٣	١٥	٥٨		٥٨		٢٩		··	١ صباحًا	··	٣	٢٠		٠٣		٠١		٣٧	
الخميس	١٤	١٦	٥٦		٥٧		٢٨		٠١		٠١		٢١		٠٤		٠١		٣٨	
الجمعة	١٥	١٧	٥٦	١٥	٥٧		٢٨	٨	٠١	١	٠١		٢١		٠٤		٠١	١٢	٣٨	
السبت	١٦	١٨	٥٥		٥٧		٢٧		٠٢		٠٢		٢٢		٠٥		٠١		٣٨	
الأحد	١٧	١٩	٥٣		٥٦		٢٦		٠٣		٠٣		٢٣		٠٦		٠١		٣٨	
الإثنين	١٨	٢٠	٥٢		٥٦		٢٦		٠٤		٠٤		٢٤		٠٦		٠١		٣٨	
الثلاثاء	١٩	٢١	٥٠		٥٥		٢٥		٠٥		٠٥		٢٥		٠٧		٠١		٣٨	
الأربعاء	٢٠	٢٢	٤٩		٥٥		٢٤		٠٦		٠٦		٢٦		٠٧		٠١		٣٨	
الخميس	٢١	٢٣	٤٧		٥٤		٢٣		٠٧		٠٧		٢٧		٠٨	٥	٠١		٣٨	
الجمعة	٢٢	٢٤	٤٦		٥٤		٢٣		٨		٠٨		٢٨		٠٨		٠١		٣٨	
السبت	٢٣	٢٥	٤٤		٥٣		٢٢		٠٩		٠٩		٢٩		٠٩		٠١		٣٨	
الأحد	٢٤	٢٦	٤٤		٥٣		٢١		٠٩		٠٩		٢٩		١٠		٠١		٣٨	
الإثنين	٢٥	٢٧	٤٤		٥٢		٢٠		١٠		١٠		٣٠		١١		٠١		٣٨	
الثلاثاء	٢٦	٢٨	٤٠		٥١		١٩		١١		١١		٣١		١١		٠١		٣٨	
الأربعاء	٢٧	٢٩	٣٩		٥١		١٨		١٢		١٢		٣٢		١١		٠١		٣٨	
الخميس	٢٨	٣٠	٣٧		٥٠		١٧		١٣		١٣		٣٣		١٢		٠١		٣٨	
الجمعة	٢٩	٣١	٣٥	١٥	٤٩	٦	١٦	٨	١٤	١	١٤	٣	٣٤	٣	١٣	٥	٠١	١٢	٣٨	٣
السبت																				

صلاة العيد الساعة ٥ ت ٣٨ ق افرنجي صباحًا

مع تحيات الأزهر

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● **القيم الدينية والحياة المعاصرة**	
لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصـــار شيخ الجامع الأزهــــر	١٥٦٢
● **حديث الشهر**	
بقلم رئيس التحرير	١٥٦٨
« دراسات قرآنية »	
● **المنهج القرآني في بناء الانسان**	
للدكتور / محمد السيد جبريل	١٥٧٦
● **علم التصريف موضوعه وتطوره**	
للدكتور محمد ابراهيم البنا	١٥٨٥
● **رد على مقال الدكتور عبد القادر القط**	
النقد العربى القـــديم والمنهجيـــة	١٥٨٨
دراسات لغوية	
● **اللغة والمجتمع**	
للدكتور عبد الغفـــار حامد هلال	١٥٩٧
فى التشريع الاسلامى	
● **الصيام متدرجا**	
للدكتــورو محمد محمد الشرقاوى	١٦٠٦
● **رمضان شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر**	
للمســتشار / محمد عزت الطهطاوى	١٦١١
● **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده**	
للأســتاذ / موسى محمد على	١٦١٦
● **وأن تصوموا خير لكم**	
للأســـتاذ / على عبد العظيم	١٦٢٣
● **صوم رمضان وليلة القدر**	
للأســتاذ / مصطفى محمد الحديدى الطير	١٦٢٧
● **رأى الدين والقانون والاقتصاد**	
بقلم زكريا عامر المحامى بالنقض	١٦٣٣
● **كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان**	
للأستاذ / عبد العزيز حسن قريش	١٦٣٨
من حضارة الاسلام	
● **الاسلام ومشكلات المسلمين فى ألمانيا**	
للدكتور محمود حمدى زقزوق	١٦٤٤
● **من مآثر الحضارة الاسلامية « أفكار غربية مردودة »**	
بقلم محمد كمـــال الدين	١٦٥٤
● **تاملات حول فلسفة الصوم فى الاسلام**	
للدكتور فؤاد العقلى	١٦٥٨
● **البيض والسود ٠٠ حوار مع الجاحظ**	
للأستاذ / السيد حسن قرون	١٦٦٢

فهرس العدد

[stamp]

صفحة

فتح مكة المثل الكامل للاستراتيجية الحربية
للواء محمد جمال الدين محفوظ ١٦٧٠
● جلال الماضى . حجة الالزام فى الحاضر
للدكتور محمد كمال جعفر ١٦٧٧
● رمضان مشرق الرسالة .. ووعاء الانتصارات
للدكتور السيد رزق الطويل ١٦٨١

أعلام الاسلام

● من أئمة الحديث النبوى الامام الترمذى
للدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ١٦٨٦
● من أعلام الاسلام ابن هبيرة
للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ١٦٩٠
● موقف ابن تيمية من الصوفية
للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى ١٦٩٧
● بقى بن مخلد ، امام مدرسة التفسير بالأندلس
للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد ١٧٠٢
● شخصية فى سطور
بقلم سعيد عبد الحى ١٧٠٩
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧١٠
● كتاب الشهر
اعداد حمدى الليثى ١٧١٢
● ضموا القلوب
للأستاذ / حامد الجوجرى ١٧١٧
● الفتاوى
اعداد عبد الحميد السيد شاهين ١٧١٨
● قالت الصحف
اعداد عاطف زهران ١٧٢٠
● هكذا يكتب القراء
اعداد عبد العزيز أحمد جبره ١٧٢٣
● أخبار العالم الاسلامى
اعداد عبد الرحيم السايح ١٧٢٦
● أخبار الأزهر
اعداد الأستاذ الشافعى الراضى ١٧٣٠
● ردود على القراء
اعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام ١٧٣٣

طبع بمطابع روز اليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر
عربى

رئيس التحرير:
د. حلمى محمد بيومى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر السنة الثالثة والخمسون
• شوال ١٤٠١ هـ •
• اغسطس ١٩٨١ م •

كلمة لتحرير

عام وأنتم بخير

مع مطلع **عيد الفطر المبارك** وقد فرح المسلمون بفرحتى الصيام والفطر، نزف اليهم التهنئة مع هذا العدد الجديد من **مجلة الأزهر** •

وقد خطت المجلة هذه الخطوة الكبيرة فى تقدم الشكل وأصالة الموضوع •

فلعل القارىء الكريم رأى ما أحرزته المجله فى الشهر الماضى وفى هذا الشهر **من فنون الاخراج الصحفى للموضوعات الأصيلة التى تضمنته** •

وبودنا أن يوافينا القراء الكرام بأى اقتراح يرونه مناسبا لتطوير هذه المجلة أكثر مما تطورت به •

ونحن نعد من أسرة تحرير هذه المجلة كل مسلم على امتداد العالم الاسلامى كله يهتم بأمور المسلمين وانماء **فكرهم** وتقدم علمهم •

فما دامت غايتنا واحدة فطريقنا واحد وأملنا فى الله أن نحقق ما نصبو اليه •

التحرير

صورة الغلاف

جامع صلاح الدين
القاهرة

حديث الشهر

٣

فى فلسفة الحضارة

الاطار العام

كشف فضيلة الامام الأكبر فى مؤتمره الصحفى الذى عقده بعد عودته من رحلة طويلة الى شرق آسيا ، عن أبعاد المعركة الفكرية والدينية التى يخوضها باقتدار المسلمون فى شرق آسيا خاصة فى (ماليزيا وأندونيسيا) :

وفى هذه المعركة يروج أعداء الاسلام شبهة يزعمون فيها أن الاسلام يعوق حركة التنمية الاقتصادية لأنه يضع عقبة فى طريق الاستثمار ، حين يحرم نظام الفائدة التى تشكل أساسا فى نظم التنمية الرأسمالية .

ورغم أن فضيلة الامام الاكبر طمأن المسلمين على قوة موقف اخوانهم فى تلك البلاد وقدرتهم على مواجهة هذه الشبهة باقامة الجمعيات الاقتصادية التى تستثمر رءوس الأموال بطرق اسلامية تستبعد نظام الفائدة السنوية تماما وتدر عائدا أفضل من مايدره الربا الا أن المسألة كما وجه الامام تحتاج الى أن تتجه الأبحاث الى بيان موقف الاسلام من التنمية ، هذا الموقف الذى يقوم على تشجيع التنمية وتنشيط الاستثمارات ، ضمن الاطار العام لفلسفة الاسلام فى الحياة ومناشطها العديدة .

ويقوم هذا الاطار العام للفلسفة الاسلامية فى التنمية على عدة أسس أهمها :

١ ــ ان أساس هذا الاطار العام « أساس أخلاقى » ينبع من الايمان بالله واتباع تعاليمه ومراقبته مراقبة دقيقة .

٢ ــ الربط الشامل لجميع توجه الحياة وجوانبها الاجتماعية والاقتصادية على هذا الأساس الأخلاقى .

٣ ــ التوازن بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد .

بقلم : رئيس التحرير

لفلسفة الإسلام في التنمية

٤ ــ اطلاق الحرية أمام المواهب والملكات ٠

٥ ــ ضرورة تحقق العدالة فى تكافؤ الفرص فى العمل وعدالة التوزيع والحيلولة دون طغيان الجشع وحب المال ٠

أساس الاطار الاسلامى :

١ ــ ففيما يتعلق بالأساس الأول يضع الاسلام الايمان بالله وتقواه سبيلا الى بركة الرزق ووفرة الدخل ونماء الثروة ٠

يقول تعالى : « **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (١) ٠

ويقول سبحانه « **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » (٢) ٠

كما يقول تعالى : « **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** » (٣) ٠

وفى المقابل من ذلك يجعل الله سبحانه الكفر سبيلا الى الفقر ومكابدة

---

(١) سورة الاعراف الآية (٩٦) ٠ (٢) سورة النحل الآية (٩٧) ٠ (٣) سورة الطلاق الآية ٣ ٠

الضنك .

يقول سبحانه : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ».(١) بل ينبه الله سبحانه الى أنه قد يصيب العصاة بالفقر وضيق العيش لعلهم يعتبرون فيقول تعالى : « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ » (٢) .

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « قال ابو اسحاق عن جابر بن حيوة كانت النخلة لا تحمل الا ثمرة واحدة » (٣) .

وهذا مصداق قول الله فى آية أخرى : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا » (٤) .

واذا كان بعض الماديين لايستطيعون أن يفهموا تأثير الايمان فى اكثار البركة وزيادة الرزق ، وتأثير الكفر فى جدب الأرض ومحق الخير ، فانهم لا يستطيعون أن ينكروا أثر الايمان فى الارتباط بالشرائع التى يؤمن بها الفرد وتلزمه بأعمالٍ معينة قد تكون هى نفسها مؤثرا فى تحقيق الرخاء وجلب الخير وزيادة الانتاج ، فهذه الأعمال أثر للايمان مؤثرة للانتاج وبذلك يكون الايمان هو المؤثر الحقيقى فى مجال العمل .

الاسلام كل متكامل :

٢ ــ أما الأساس الثانى فمن المعلوم أنه على رأس الأعمال التى يلتزم بها المؤمن فى مجال الاقتصاد اعتقاد المؤمن أن مجال الكسب والانفاق والاقتصاد بشكل عام لا ينفك عن مجالات الحياة الأخرى ، لأن الحياة فى النظام الاسلام مترابطة الجوانب متداخلة لا ينفك جزء منها عن بقية الأجزاء .

فاكسب له ضوابط والانفاق له حدود ، فضوابط الكسب تقوم على أساس تحرى الحلال والطرق المشروعة التى لا يحيف فيها أحد على مال أو حقه ؛ وحدود الانفاق تقوم على رعاية الضعاف والتزام حدود الاعتدال بلا سرف ولا مخيلة « وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًامَحْسُورًا» (٥) وبذلك يتحقق التوازن بين حاجات الانسان المادية والتزاماته

(١) سورة طه الآية ١٢٤ .|(٢) سورة الاعراف الآية ١٣٠ (٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ ط دار الفكر بيروت
(٤) سورة الاعراف الآية ٥٨ . (٥) الاسراء ٢٩

الخلقية وكل ذلك يختلف عما تشرعه المذاهب الاقتصادية المادية التى لاتضع فى حسابها اعتبارا للجانب الأخلاقى .

ومن ثم تتهافت هذه المذاهب فى مجتمعاتها وتتناقض فيما بينها فلا تحقق التنمية المنشودة ولا تهيىء للانسان أدنى ظروف الأمن .

فالمذهب الرأسمالى لايهتم الا بالتكاثر ولايعبأ بالضعاف فى جلسة التنافس والمذهب الشيوعى لايهتم الا باشباع الحاجات الضرورية للفرد ولايضيع فى حسابه الحاجات الأخرى التى تحقق حرية الانسان وكرامته .

التوازن :

٣ ــ كذلك يقوم منهج الاسلام على تحقيق التوازن بين الناس جميعا ومصالحهم والتوازن بين الفرد والجماعة حتى لا تطغى احداهما على الأخرى .

ولقد تعبت البشرية كثيرا من النظم الاقتصادية التى تنحاز الى الفرد كالرأسمالية أو تنحاز الى الجماعة كالشيوعية فلم تستطع الرأسمالية أن تتفادى الأزمات والمصاعب التى خلقتها الفردية وتقديس الملكية الفردية وجعل الهدف الاساسى ارضاء غريزة التملك وحدها على حساب الغرائز والرغبات الأخرى .

ويعتبر ظهور النظام الشيوعى دليلا على فساد الفكرة الرأسمالية القائمة على الملكية الفردية ويعتبر العالم الرأسمالى مسئولا عن انبثاق الحركة الشيوعية لأن فقدان التوازن فى المجتمع الرأسمالى بين صالح الفرد وصالح الجماعة آذى شعور الناس وأفسد عليهم الحياة وأفقدهم الشعور بالكرامة مما دفع المفكرين والساسة الى تعديل هذا النظام بين آونة وأخرى أو الانحياز الى النظام الشيوعى .

ولقد بات المجتمع الرأسمالى على قلق من الحياة والمستقبل نتيجة للأزمات المستمرة المتوالية عقب كل أزمة مما يفقد المجتمع الرأسمالى أدنى حاجات الأمن والاستقرار .

وليس حال المجتمع الشيوعى الذى تبنى مصلحة المجموع على حساب مصلحة الفرد أو الملكية العامة على الملكية الخاصة بأفضل من المجتمع الرأسمالى، لأنه بذلك حارب أهم خصائص الانسان وهى الحرية فى العمل والحرية فى التصرف فى ناتج هذا العمل واختصاصه بهذا الناتج كدافع له على تنمية الحياة ، والاقبال على مزيد من العمل لان الانسان فى المجتمع الشيوعى لا يشعر بالحرية فى التملك لنفسه ولا لمن يرثونه وبذلك فقد الرغبة فى العمل ومن هنا اضطر القائمون على التوجيه الاقتصادى فى البلاد الشيوعية الى فرض الرقابة على الأفراد لسوقهم سوقا فى مجالات التنمية لتحقيق العائد الذى تسعى الدولة

الى تحقيقه فتحول الأفراد بذلك الى أدوات انتاج تحركهم الدولة ولا تدفعهم الرغبة .

يقول الاستاذ : « ماهرنسيم » فى كتابه « القومية العربية والشيوعية » (١)

« لما كانت القوة العاملة لا تعدو أن تكون فى نظر الشيوعية مجرد عامل من عامل الانتاج . فان الطبقة الشيوعية الحاكمة بحكم ما تتمتع به من احتكار مادى وسياسى لكل الممتلكات القومية تستخدم الطبقة العاملة على النحو ذاته تقريبا الذى تستخدم به شتى السلع القومية وشتى عناصر الانتاج الاخرى ، بل أنها تعامل الطبقة العاملة على النحو ذاته الذى تعامل به الآلات الجامدة ضاربة بالعنصر الانسانى عرض الحائط .

ويقول :

وهكذا تعود بنا الشيوعية الى عهود العبودية ، حين كان الرق هو النظام الاجتماعى السائد (٢) .

ولئن أباحت بعض الدول الشيوعية صور من الملكية الخاصة فان هذه الصور مازالت ضئيلة محدودة ولا تشبع غريزة التملك ولا تعطى الحرية للعامل فى امتلاك العائد مما يعمله واستثمار لنفسه مما يعوق حركة التنمية فى المجتمعات الشيوعية ، ونودى الى هبوط مستويات الانتاج ، والاجادة وهنا نصل الى تقدير الاسلام لحرية العمل .

٤ — فان هذه الحرية مكفولة للاقرار والطريق مفتوح أمام ملكاتهم للاجادة والاحسان فيه ، بل ان العمل فى الاسلام واجب دينى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أكل أحد طعام قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده (٣) .

واحترام قيمة العمل وأجرته واجبة الأداء ، قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » وقال عليه الصلاة والسلام « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته . رجل أعطى بى ثم غدر ؟؟ ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطى أجره » (٤) .

كما تتجلى احترام قيمة العمل بجعل الاسلام عائد العمل ملكا للعامل بما يقتضيه العدل بين الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« من أحيا أرضا ميتة فهى له »** .

---

(١) ص ١٣٦ . (٢) نفس المصدر ص ١٥٤ . (٣) متفق عليه . (٤) متفق عليه .

وعن أسمر بن مضرس قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فبايعته فقال **مَن سَبَقَ إلى مَا لَم يَسْبِقْ إليهِ مُسلمٌ فَهُوَ لَه** • قال : فخــرج الناس يتعادون (١) يتخاطون (٢) •

والاســـلام يصون الملكية الفردية لصـــــاحبها ويعتبرها حقا من حقوق الانسان بل ان الاسلام يجعل الحفاظ على المال كالحفاظ على النفس والعرض •

قال صلى الله عليه وسلم «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُــوَ شـَــهِيد • وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَــــهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ اهْلِهِ فَهُـوَ شـَــهِيدٌ** » (٣) •

كما قال عليه الصلاة والسلام يوم حجة الوداع « **ايهَا النَاسُ إنَّ دِمَاءَكمْ وَأمْوَالَكمْ حَرَامٌ عَلَيكمْ كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا** » •

ومع حفاظ الاســـلام على الملكية الفردية فانه يترك الحرية لصاحبهـــا فى الاستمتاع بها وتوجيهها حيث يريد ، دون قيد الابتغاء وجوه الانفاق التى لاتعود بالضرر على الآخرين •

نفى حرية الاستمتاع يقول الله عز وجل : « **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّــهِ الَتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (٤) ويقول سبحانه : « **يَاَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أنْفِقُــوا مِنْ طَيِّبَـــاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ** »(٥) •

ويقول عز وجل : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** (٦) •

واذا كانت هذه التشريعات تعد تشجيعا على التنمية ومزاولة العمل المؤدى اليها فان الاسلام جمع الى ذلك تحريم التبطل والاكتناز والقعود عن الاستثمار •

فعن تحريم التبطل يقول رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم « اذا قصر العبـــد فى العمـــل ابتلاه الله بالهم » • ومن تحريم الاكتناز وحبس المـــال عن الاستثمار والانفاق ورد الوعيد الشديد فى القرآن والسنة حيث يقول الله تعالى:

---

(١) (٢) اى يتسابقون فى وضع الخطوة على الارض (٣) رواه احمد فى مسنده وابن حبانه فى صحيحه النص الجامع الصغير ج ٣ ص ٣١٠ •

(٤) سورة الاعراف الآية ٣٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٦٧ .

(٦) سورة البقرة ١٦٨ .

« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » (١) •

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه فى كل ليلة ينزل ملكان الى سماء الدنيا فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » •

ولكى تنمو الحياة وتزدهر ويجد المنفقون ما ينفقونه ويعيش المجتمع فى ظل الرخاء والوفرة فقد حرم الاسلام تعطيل مصادر الانتاج عن الانتاج سواء كانت أرضا أو غيرها •

فقد اتفق الفقهاء على أن من حجز أرضا ضرب له أجل ثلاث سنوات فاذا لم يحيها بعد هذا الأجل انتزعت منه وأعطيت لغيره •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عادى الأرض لله وللرسول ثم لكم من بعده ، فمن أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » •

وتطبيقا لهذا المبدأ أخذ عمر بن الخطاب أرض العقيق وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطاها بلال بن الحارث المزنى فلما كان زمن عمر قال لبلال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجزه عن الناس ، وانما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى (٢) •

وهكذا تكون الملكية الفردية فى الاسلام وظيفة اجتماعية تؤدى دورها فى انماء الجماعة وتحسين سبل الحياة لأن المال الذى انتقل الى صورة العامل بعمله أى هو مستخلف فيه من قبل الله • يقول سبحانه : **« وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ »** •

*** وفكرة الاستخلاف هذه من شانها أن تضع فى وجدان المستثمر عقيدة أساسية هى اقامة العدل ، فما دامت الحرية قد كفلت له فى الكسب فعليه ألا يستخدم الحرية فى ظلم غيره أو تسخيره بغير وجه حق أو أخذ المال منه بالباطل •**

عبد المعطى

(١) سورة التوبة الآية ٣٤ ، ٣٥ . (٢) كتاب الخراج لابى يوسف ص ٧٠ ، ٧١ ط المطبعة السلفية بالقاهرة .

دراسات قرآنية

● خلق الإنسان في القرآن

● عجل الذهب

● بين العقاب والعفو

دراسات لغوية

□ اللغة والمجتمع

□ المادة المعجمية

خلق الانسان

فى أعداد سابقة قدمنا بعض آيات خلق الانســـــان اجمالا وآيات الخلق والتزاوج وآيات الخلق الاول والاعادة وآيات الخلق من التراب الخ واســـتتباعا للموضـــوع نقـــدم .

١ آيات خلق الانسان من الأرض أو مما تنبته الأرض

• قال تعالى : **« ســـبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفســـهم ومما لا يعلمون » ٣٦ يس .**

لقد أمر الله الناس أن ينزهوه عن الشريك ، ومعنى التســـبيح : التنزيه ، فما ينبغى لعاقل أن يشرك أحدا مع الله الذى خلق الازواج كلها من الانسان والحيوان والزواحف والحشرات وغيرها وجعل خلق كل ذلك منحصرا فى ثلاثة :

(أ) أنها خلقت ممـــا تنبتـــه الأرض : من النبات والثمار والأعشاب والأعلاف وكل ذلك يعيش عليه الحيوان والاسماك والطيور ومن كل ذلك يتغذى الانسان والحيوان وغيرهمـــا ومن ذلك الغذاء تتكون نطف الرجـــل وبويضة الأنثى ومنهما يكـــون الوليـــد الانســـــانى والحيوانى والطائرى وغير ذلك .

(ب) أنها من أنفســـهم : أى من النطفـــة التى هى أساس الخلق .

(جـ) أنها ممـــا لا يعلمـــون : من أقطـــار السموت وتخـــوم الأرض : من الأكســـوجين والمياه والأملاح وما يتغذى به النبات والشجر والثمار من مواد الأرض التى يحتاجها البناء

فى القرآن

للدكتور محمد محمد خليفة

الانسانى والحيوانى وغير الانسانى الحيوانى مما خلق الله .

• وقال تعالى : **(هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إذ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأرْضِ وَإذْ أنتُمْ أجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أمَّهَاتِكُمْ) ٣٢ النجم .**

بين الله فى الآية أن علمه محيط بالانسان حين خلقه من تراب الأرض فهو أعلم بكل الجزئيات التى تكون منها الانسان ومهمة كل جزء فى هذه الخلق فلا يخفى عليه شىء فيمن خلق ، وأشار فى الآية الى الأصل الانسانى وهو الأرض وترابها ليدرك الانسان أنه خلق مما يدوسه فيعرض عن التعالى أو عن الاعراض عن عبادة خالقه والخطاب فى الآيه للموجودين حين نزلت بعدها .

كما أن علمه محيط بكم وأنتم أجنه فى بطون أمهاتكم ، وهذا يدل على بيان قدرته وعلمه النافذ بين ظلمات البطون يعلم بأحوال الأجنة وكيفياتها وأغذيتها وصحتها وحركاتها وسكناتها ، وبطون الأمهات غاية الظلمة والذى يعلم كل ما فى تلك الظلمات لا يخفى عليه شىء من أحوال الناس بعد خروجهم من ظلمات البطون .

فالله أعلم بالانسان فى حالتيه : حين أنشأه من الأرض وحين وجوده فى ظلمات بطون الأمهات ولعل الانسان حين يذكر علم الله به فى حالتيه يقلع عن عصيان ربه ويدرك أن المنشىء العالم بدقائق الانشاء ودقائق حياته قادر على بعثه واعادته وانه ليعلم كيف يعيد أجزاء الانسان ثم يركبه كما كان ليثيبه على طاعته أو يعاقبه على عصيانه .

• وقال تعالى : **(واللهُ أنبَتَكُمْ مِنَ الأرْضِ نَبَاتًا . ثم يُعِيدُكم فِيهَا ويخرجكم**

خلق

دراسات قرآنية

اِخْرَاجًا) (١٧) نوح •
هذا تفسير وبيان لما قدمه فى قوله تعالى : **(خلقكم أطوارا)** فبين فى هذه الآية أنه خلقهم من الأرض ، ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها يوم البعث وقوله : أنبتكم من الارض : اما أن يراد : أنبت اباكم ادم اى خلقه من تراب الأرض ، وقد قال الله : ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب)
واما ان يراد : انه أنبت أبناء ادم جميعا من الأرض لانه خلقهم من نطفة الرجل وبويضة الانثى وهما متولدتان من الدم والدم متولد من الاغذية والتغذية متولدة من النبات أو مما يعيش على النبات والنبات متولد من الارض فمرجع الخلق الى الارض ، والتقدير : أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا •
ثم يعيدكم فى الارض بعد الموت ثم يخرجكم منها اخراجا يوم تزلزل الأرض زلزالها وتخرج اثقالها •

❷ آيات خلق الانسان من طين

• قال تعالى : **(هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ)** ٢ الأنعام •
اما أن يكون المراد من الآيه اثبات الصانع بذلك الدليل •
واما أن يراد اثبات الدليل على المعاد والبعث •

وعلى المراد الأول : فقد ذكر الله الدليل على قدرته وصناعته بخلق السموات والأرض والنور والظلمة ، ثم أتبع ذلك بدليل من خلق الانسان فذكر أنه خلقه من طين ليقف الانسان على مدى قدرة الله من خلق البشر بألوانهم من تلك المادة الطينية •
وكما بينا فى الآية السابقة أن المراد قد يكون خلق آدم وقد يكون المراد كذلك خلق أبناء آدم لأنهم من نطف بويضات ومرجع ذلك الى الارض والطين •
وعلى المراد الثانى من أن الآية دليل على البعث ، فانه اذا ثبتت قدرة الصانع على خلق الانسان من هذه المادة الطينية وأنه سوى من ذلك الطين بشرية الانسان بأعضائه ودماغه ومخه وعقله فاذا اثبت أنه الصانع لكل ذلك فليس بمعجز له أن يعيد ذلك الانسان على صورته وشكله الذى كان عليه فى دنياه **(ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون)** •

المراد بالقضاء : اما الحكم . قال تعالى : **(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه)** أى حكم
او المراد : الاعلام ، قال تعالى : **(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب)** اى أخبرناهم وأعلناهم •
أو المراد : صفة الفعل قال تعالى : **(فقضاهن سبع سماوات فى يومين)** •
واما الاجل : فهو الوقت المضروب لانقضاء

الإنسان فى القرآن

الأمد ، وأجل الانسان : الوقت المضروب لانقضاء عمره واختلاف المفسرون فى بيان الاجل والاجل المسمى :

فقال بعضهم : الأجل الأول : أجل الماضين ، والأجل المسمى : أجل الباقين •

وقال بعضهم : الأجل الأول : أجل الموت ، والأجل المسمى عند الله : هو أجل القيامة •

وقال بعضهم : الأجل الأول : منذ يولد الانسان الى أن يموت ، والأجل المسمى من الموت الى الساعة وهو حياة البرزخ وعلى الرغم من ظهور الأدلة على وجود الصانع فأنتم أيها المعاندون تشكون فى قدرة الله على أن يبعثكم ويحيى العظام وهى رميم •

• وقال تعالى : **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا)** ٦١ الاسراء •

ان قصة ابليس وأمر الله له بالسجود لادم ذكرها الله فى سور سبع من القرآن : فى البقرة والأعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص •

واختلف المفسرون فى كيفية السجود الذى أمر الله به الملائكه وابليس : هل هو : وضع الجبهة على الأرض أو التحية ؟

وهل المسجود له : الله وآدم كان كالقبلة أو المسجود له آدم ؟

وهل الملائكة الذين أمروا بالسجود : هم جميع الملائكة أو ملائكة الأرض وأما ملائكة السماء فيخرجهم قوله تعالى : **(وله يسجدون)** فهم لم يؤمروا بالسجود لغير الله ؟

وقد قامت حجة ابليس فى الامتناع عن السجود لآدم على أساس أنه خلق من طين وابليس من النار ، والنار فى نظر ابليس أشرف من الطين ، ولهذا استنكر أن يسجد الأعلى شرفا للاقل والاستفهام فى قوله : أأسجد لمن خلقت طينا للانكار ، ثم استفهم ثانيا فى قوله : **« أرأيتك »** بمعنى أخبرنى وأعلمنى عن هذا الذى فضلته وكرمته على وأنا خير منه •

ثم أقسم وحذف القسم وأما جوابه فقوله :

« لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته » وأصل الاحتناك : الاستيلاء والسيطرة » والمعنى والله لأقودن ذريته الى المعاصى ولأسيطرن عليهم فأعزهم وأخدعهم عن العبادة الحقة والتقوى الحقة الا القليل منهم ممن يعجزنى اخضاعهم أو قيادتهم الى العصيان وهم المؤمنون المستمسكون بدين الله وحبله المتين •

وهكذا يقسم ابليس على اغراء بنى آدم واغوائهم وتضليلهم فكيف لا يتحدى الناس ابليس فيحولون بينه وبين اضلالهم ليثبتوا بذلك أنهم أقوى منه ومن ذريته وأن الكثير

خلق الإنسان..

والكثير منهم فيه القدرة على التمسك بحبال الله

وقال تعالى : (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**) ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ المؤمنون .

ذكر الله فى هذه الآية المراتب التى يتنقل فيها الانسان من النشأة الاولى الى البعث ، وتلك المراتب التسع التى قدمها فى الآية هى

الأولى : خلق الانسان من سلالة من طين ، والسلالة هى الاجزاء الطينية المبثوثة فى الانسان بما تحمل من الاملاح والمعادن الارضية التى يحتاجها البناء الانسانى المراد فى الآية : هو آدم عليه السلام حيث سل من الطين وجعلت ذريته من الماء المهين ، وقيل التعبير بالانسان فى الآية كناية عن ولد آدم ، لان الانسان يشمل آدم وولده ، وتولد ولد آدم من الطين مرجعه الى أن ذرية آدم من النطفة وهى من الدم والدم من الغذاء والغذاء نباتى أو حيوانى مرجعه الى الأرض وطينها فكأن ولد آدم كذلك مرجعه الى السلالة الطينية .

الثانية : أنه خلق الانسان من نطفة قذفت فى قرار مكين **(ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين)** ومعنى ذلك أن الله حول الطينية الى نطفة منشؤها فى أصلاب الرجال ثم قذفت فى الارحام فنقلتها البويضة المتولدة من ترائب المرأة فصار الرحم قرار مكينا للانسان المتخلق من النطفة البويضة وقد وصف الرحم بأنه قرار مكين لا يقتحم فيه على الجنين برد الشتاء ولا وهج الصيف ولا المشاعر التى تهز الام من الآلام والاحزان ففى هذا القرار المكين حفظه الله ورعاه .

الثالثة : تحويل النطفة الى علقة ، ومعنى ذلك أن الله حول النطفة عن صفاتها التى كانت فيها الى صفات العلقة فكانت دما **(ثم خلقنا النطفة علقة)** .

الرابعة : تحويل العلقة الى مضغة **(فخلقنا العلقة مضغة)** ومعناه جعلنا ذلك الدم مضغة أى قطعة من اللحم .

الخامسة : تحويل المضغة الى عظام **(فخلقنا المضغة عظاما)** أى صيرنا قطعة اللحم الى عظام .

السادسة : كسوة العظام باللحم : **(فكسونا العظام لحما)** لان اللحم لما ستر العظم فكأنه كساه .

السابعة : انشاء الانسان خلقا آخر **(ثم أنشأناه خلقا آخر)** مباينا للخلق الأول من حيث خلق الأعضاء والأجهزة : الهضمى والتنفس والعصبى والجنس ، وقوله : أنشأناه

يشير الى بث الروح فيه عندما نفخ فيـــه من روحه وأودع فيه الحيـــاة وجعل له السـمع والبصر والفـؤاد والقـــدرة على الحـركة والشـعور .

الثامنة : الموت بعد الحياة التى قدرها الله له من السعادة أو الشقاء والصحة أو المرض والرزق وكل ما قدر له الله فى الحياة **(ثم انكم بعد ذلك لميتون)** .

التاسعة : البعث : حيث يبعث الله الانسان ليحاسبه ، ثم يسوقه الى جزاء عمله اما الى الجنة واما الى النار **(ثم انكم يوم القيـــامة تبعثون)** .

وقال تعالى : **(فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِب)** الصافات

قدم الله فى الآية السابقة على هذه ما يدل على قدرته فى خلق السموات والأرض : ولئن سألتهم من خلق الســموات والأرض ليقولن الله ، واذا اعترضوا بذلك فسلهم يا محمد : أهم أشد خلقا أم من خلقنـــا من الســموات والأرض والمشارق والمغارب والملائكة والجن فاذا كان قادرا على خلق كل ذلك فانه لا تعجزه اعادة الحياة وبعث الانسان يوم القيامة عـــلى نحو ما كان عليه فى الدنيا **(أَوَ لَيسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالارْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم)**

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلمأن يسأل منكرى البعث : أهم أشد خلقا أم الأشياء التى خلقها ومن بينها السموات والأرض وما فيهما من عوالم ثم أتبع السؤال بالاخبار بأصـــل خلقهم فى قوله : **(انا خلقناهم من طين لازب)** وقد اشـــتهر عند الجمهور : أن آدم خلق من الطين اللازب ، ثم صوره الله وســـواه بشرا وعلى ذلك يكون آدم هو الذى خلق من الطين اللازب وآدم أبو البشر فاذا كان الأصـــل من الطين فالفرع كذلك .

أو المراد : أنا خلقنا كل انسان من طين لازب على أن الانسان خلق من النطفة ومرجعها الى الغذاء والغذاء مرجعه أخيرا نباتيا أو حيوانيا الى ذلك الطين الذى تكون من الماء والتراب .

واللازب : اللاصق أو اللزج ولزوجته انما تكون من اختلاط التراب بالماء وقيـــل : الطين اللازب :المتماسك الأجزاء .

وقال تعالى : **(اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَـــةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونْ . اِلَّا اِبْلِيسَ اسْـتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينْ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِى اسْـتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينْ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَــــهُ مِنْ طِين)** من ٧١ ــ ٧٦ ص .

لقد حكى الله ما نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفســـه من علمه بالملأ الأعلى وما يدور فيه فى الماضى والحاضر فى الآية التى قبل هذه الآية فى قوله تعالى : ما كان لى من علم بالملأ الاعلى ثم بين أن علمه بشىء من ذلك مقصور على ما أوحاه الله اليـــه ، واســـتطرد

فذكر من الماضى قصة خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له ، وامتناع ابليس عن السجود حسدا لآدم ، وهنالك خلاف فى كيفية السجود هل كان بوضع الجبهة على الأرض أو الدلالة بأية صورة على التعظيم ، وهل كان السجود لله وآدم بمنزلة القبة أو كان السجود لآدم ، وهل كان السجود تحية أو تعظيما ، وهذا خلاف لا يمت بموضوعنا أما الذى له صلة بالموضوع فى الآية فهو اخبار الله لملائكته أنه خالق بشرا من طين ، وكأن الله بين للملائكة أن ذلك البشر خلق جمع بين البهيمية والسبعية والشيطانية والملائكية ، وذلك الذى جمع بين كل ذلك خلقه من الطين ، ثم بين مراتب ذلك الإنسان الطينى ومرتبة تسوية أعضائه ومرتبة النفخ فيه من روحه ، وان تخليق البشرية قد تم بالتسوية وهى بدنية كما تم بنفخ الروح فيه وهى روحية وبهذين أكمل الله بشرية الانسان حيث كون البدن والروح ، ولقد أضاف الله الروح الى نفسه فى قوله : **« ونفخت فيه من روحى »** وهذا يدل على أن الروح جوهر قدسى لانه من الله وهو شفاف نورانى أودعه الله بدن الانسان يسرى فيه فيمنحه الحياة سريان الضوء ، أما كيفية النفخ فعلمها عند علام الغيوب والتعبير بالفاء وفى قوله : **« فقعوا له ساجدين »** بعد النفخ يدل على أنه حين نفخ الله فى آدم من روحه أمر الملائكة فى ذلك الحين بالسجود لآدم .

واختلف المفسرون فى الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم : هل هم الملائكة جميعا .. قال بذلك البعض مستدلا بقوله تعالى : **« فسجد الملائكة كلهم أجمعون »** .. فلفظ الكل والتأكيد باجمعين يدل على سجودهم جميعا .

وقال البعض : ان الذين أمروا بالسجود هم ملائكة الأرض .

واختلفوا كذلك فى ابليس هل كان من الملائكة أو لم يكن منهم وذلك خلاف طويل لا مجال له هنا ، ثم جاء سؤال الله لابليس : **(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)** وفى هذا ما يدل على عصيان ابليس لأمر الله فى السجود وفى التعبير بقوله : **(لما خلقت بيدى)** اشارة الى أن الخالق هو الله وأن ذلك الخلق كان بيده سبحانه لا بيد غيره ، وبهذه الآية ونحوها استدل من أثبت الجوارح لله من نحو اليد فى قوله : **« يد الله فوق أيديهم »** والسمع والبصر فى قوله : **(وهو السميع البصير)** ، اما كيفية تلك الجوارح فعلمها عند الله .

وسأل الله ابليس ثانيا منكرا عليه موقفه : **(استكبرت أم كنت من العالين)** وأداة الاستفهام محذوفة والتقدير : **« أأستكبرت »** وهكذا يسأل الله أبليس : أكان امتناعك عن السجود استكبارا أم ادعاء للتعالى ؟

ولجأ ابليس الى جواب اعتمد فيه على الموازنة بين أصل خلقه وأصل خلق آدم ليثبت أنه أفضل منه وأن تلك الأفضلية التى يراها تمنعه من الانصياع لأمر الله **(قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين)** فأثبت لنفسه الأفضلية أولا ثم بين وجهها فى أصل خلق كل منهما ، وفى قوله : خلقتنى وخلقته اعتراف بأن الله خالق كليهما ولكن أصلهما يختلف فابليس خلق من نار وآدم خلق من طين والنار لطيفة والأرض كثيفة ، والنار مشرقة والأرض مظلمة ، والنار فيها نور والأرض فيها ظلمة ،

واعتمادا على كل هذا رأى ابليس أنه أشرف من آدم ولا مبرر لأفضليته على آدم حتى يسجد له .

وقد قيل : ان الأمر بالسجود لم يكن للوجوب وانما كان للندب ، ولنفرض أنه كان للندب فكيف يعصى الأمر وهو أمر الله .

وقيل : أنه لم يكن من الملائكة والامر بالسجود كان للملائكة ، وهنالك خلافات طويلة عرضت لبيانها كتب التفسير فى هذه الآية وغيرها فليرجع اليها من أراد ، والذى يهمنا هنا : اخبار الله أنه خالق بشرا من طين وتفضيل ابليس نفسه على آدم لأنه مخلوق من نار وآدم من طين .

وقال تعالى : **(الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)** ٧ ، ٨ ، ٩ السجدة .

بعد أن ذكر الله فى الآيات السابقة من هذه للانتفاع بهما فجعل الارض صلبة لتنبت ويتماسك نباتها ، وجعل الهواء خفيفا لاستنشاق ما فيه من أوكسوجين ، وجعل الماء سائلا ليتحرك الى حيث ينتفع به ، وجعل الشمس مضيئة للانتفاع بضوئها وحارة لينتفع الانسان والنبات والحيوان بحرارتها .

السورة خلقه السموات والأرض وتدبير أمرهما ليدلك بذلك على وحدانيته وقدرته قدم دليلا من الانفس فقال : الذى أحسن كل شىء خلقه فقد أحسن الله كل شىء والسموات والارض من خلقه وقد أحسن الله خلقهما

ثم قال : وبدأ خلق الانسان من طين : ويراد بالانسان آدم أو آدم وأبناؤه ، والطين مكون من تراب وماء ومنهما ينمو النبات الذى يعيش عليه الحيوان والنبات ومنهما غذاء الانسان الذى يكون دما ثم يتحول الى ماء الرجل ويوضة المرأة ومنهما يكون الانسان ، وقد جعل الله نسل آدم من سلالة من ماء مهين وتلك السلالة هى الجزئيات التى تكون فى نطفة الرجل وبويضة المرأة ثم سواه الله ونفخ فيه من روحه ، وذلك النفخ يشمل آدم وأبناءه ، وسبحان الله الذى خلق الانسان من طين وجعل نسله من ماء مهين .

وقد أضاف الله الروح الى نفسه فجعل الانسان نفخة من روح الله .

ومن عجب أن يستكبر ذلك الذى خلق من ماء مهين على عبادة خالقه ، أو كيف يشرك به غيره ؟ أو كيف لا يؤمن بأن الذى خلقه من ذلك الماء المهين يقدر على اعادته ليحاسبه على عقيدته وسلوكه ومواقفه فى دنياه من أوامر ربه ونواهيه ومن سلوكه مع الناس الذين يعيش معهم فى مجتمعهم .

السموات والارض والانسان خلق الله **(هَـٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ)** .

من كتاب الله تعالى :

" وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ "

صدق الله العظيم

قال الله تعالى :

« .... قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ » .

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ، قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَناً ، أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي .

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ، وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ، فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ . فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ .

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي .

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

قَالَ يَا هَرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي .

قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ، إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ .

عجل الذهب

د. عبد الباقى أحمد سلامه

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي .

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ، وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا .

« إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا »*.

*(سورة طه ٨٥ ــ ٩٨) .

بنو اسرائيل :

دخل اسرائيل مصر ، وهو يعقوب بن ابراهيم علهما السلام استجابة لرغبة يوسف عليه السلام ، وكان معه أهله ، قال تعالى

« اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ » (١) .

وبعد موت يعقوب ويوسف ، نموا فى أرض مصر وتكاثروا جدا ، حتى امتلأ قلب فرعون غيرة عليهم واجتهد فى ابادتهم ، وزعموا أن هذا التكاثر كان على سبيل المعجزة .

روى عن ابن عباس رضى الله عنه : أن يعقوب عليه السلام دخل فى مصر فى ٧٢ انسانا ، فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ٦٠٠٠٠٠ (٢)وهذا العدد هم الذين خرج بهم

(١) سورة يوسف ٩٣ .

(٢) تفسير القرطبى حـ ٨ ص ٣٦٩ .

موسى عليه السلام . والمدة بين دخولهم مصر وخروجهم منها حوالى ٢٠٠ سنة .

كان ملوك الهكسوس يحكمون مصر . وكان يوسف عليه السلام وقومه مقربين منهم وذوى نفوذ عندهم . وسيطروا على الناحية الاقتصادية فى البلاد دون المصريين . وأحبوا المال بكثرة . وعددوا الزوجات بغير قيد أو شرط فكثروا ، وقوى أمرهم .

فلما طرد أحمس الهكسوس : قضى على نفوذهم . وأخذ فى اضطهادهم واذلالهم . ولم يرد اخراجهم أو افناءهم . بل أبقاهم ليكونوا خدما وعبيدا . فحارب تكاثرهم بقتل ما يلدون من ذكور . لأن الذكور هم القوة . ثم رأى أن الاستمرار فى ذلك يؤدى الى ابادتهم . فكان يقتلهم سنة ويستحييهم أخرى .

حتى أراد الله أن يرسل نبيه موسى عليه السلام . ليرد فرعون الى الصواب ويبطل دعواه الألوهية . وليخلص بنى اسرائيل من ظلمه واضطهاده لهم .

هرون عليه السلام :

ولد هرون فى العام الذى لا يذبح فيه الغلمان . فولدته أمه علانية . وكانت مريم (أخته) أكبر منه .

أما موسى عليه السلام . فكان أصغر من هرون . قيل ولد بعده بسنة . وقيل بثلاث سنين . فى العام الذى تذبح فيه الغلمان .

وكان أحب الى بنى اسرائيل من موسى لأنه كان لين الغضب (١) .

(١) تفسير القرطبى ﺣ ٧ ص ٢٨٩ .

وأشركه الله تعالى فى الرسالة مع موسى .

قال تعالى : **(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)** (٢) .

موسى عليه السلام :

اسم أعجمى . والقبط يقولون للماء « مو » وللشجر « شا » أو « سا » . فلما خافت أم موسى عليه بعد ولادته . جعلته ــ بأمر الله ــ فى التابوت وألقته فى اليم . بين أشجار عند بيت فرعون فلما وجد بين ماء وشجر سمى « موسى » .

كان عليه السلام شديد الغضب . لكنه كان سريع الفيئة . فتلك بتلك . قاله ابن العربى .

وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : كان موسى اذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ، ورفع شعر بدنه جبته (٣) .

الفتون :

سئل ابن عباس رضى الله عنه . عن قوله تعالى فى شأن موسى عليه السلام : « **وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً** » (٤) فقال : (٥) .

لما حملت أم موسى به وقع فى قلبها الهم والحزن . (وذلك من الفتون) .

ولما سمع الذباحون بمولده وقصته واحتضان امرأة فرعون له أقبلوا اليها بشفارهم ليذبحوه . (وذلك من الفتون) فقالت لفرعون « **قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ**

(٢) سورة القصص ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) تفسير القرطبى ﺣ ٧ ص ٢٨٧ .
(٤) سورة طه ٤٠ .
(٥) حديث الفتون طويل . وقد نقلت بعض فقرات منه . يراجع ابن كثير ﺣ ٣ ص ١٤٣ وما بعدها .

لَا تَقْتُلُوهُ » (١) فقال لها : لك . فأما لى فلا حاجة . قال صلى الله عليه وسلم : والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته ، لهداه الله كما هداها . ولكن حرمه ذلك .

ولما قالت أخته « هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ » (٢) قالوا : وما نصحهم ؟ هل تعرفينه ؟ وشكوا فى ذلك . فقالت نصحهم له : شفقتهم عليه ورجاء منفعة الملك . (وهذا من الفتون) .

وحمله فرعون مرة . فتناول موسى لحية فرعون ومدها الى الأرض . فغضب فرعون وأرسل الى الذباحين ليقتلوه . فقالت امرأة فرعون : انه لا يعقل . فخيره بين جمرتين ولؤلؤتين . فتناول موسى الجمرتين . اذ صرفه الله عن اللؤلؤتين لحفظه . (وهذا من الفتون) .

« وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ» (٣)

فلما قتل موسى الفرعونى أرسل فرعون فى طلبه ليقتله . فجاء الى موسى رجل من شيعته من أقصى المدينة واختصر طريقا وسبقهم « قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ » (٤) فخرج الى مدين . (وهذا من الفتون) .

ولما جاوز موسى ببنى أسرائيل البحر قالوا له : انا نخاف أن لا يكون فرعون قد غرق . ولا نؤمن بهلاكه . فدعا ربه . فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه .

ثم يقول ابن عباس : ومروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم « قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » (٥) .

وأنزلهم موسى منزلا . وقال لأخيه هرون « اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ » (٦) وقال لهم : **انى استخلفت هرون عليكم فأطيعوه — انى ذاهب الى ربى** — (٧) وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع اليهم .

فلما أتى ربه بعد ثلاثين يوما وليلة كان قد صامهن مواصلا الليل والنهار . كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح الصائم . فتناول موسى شيئا من نبات الأرض فمضغه . فقال له ربه : لم أفطرت — وهو أعلم بما كان — قال : رب انى كرهت أن أكلمك الا وفمى طيب الريح . قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك . ارجع فصم عشرا ثم ائتنى . ففعل موسى ما أمر به . فرأى قوم موسى أنه لم يرجع فى الأجل وهو ثلاثون . « وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » (٨) .

وهذه الأربعون هى شهر ذى القعدة وعشر من ذى الحجة . على المشهور بينهم . وقيل هى ذو الحجة وعشر من المحرم .

(١) سورة القصص ٩ . (٣) سورة القصص ١٥
(٢) سورة القصص ١٢ (٤) سورة القصص ٢٠

(٥) سورة الاعراف ١٣٨ .
(٦و٨) من سورة الاعراف ١٤٢ .
(٧) من حديث الفتون بتصرف .

وقال بعض المفسرين أن قوم موسى عدوا ٢٠ ليلة ، ٢٠ نهارا وقالوا هــذه أربعــون • ولم يعد • فقد مات •

وانما خصت الليالى بالذكر • لما أن الليــل مقدم على النهار رتبة •

وقد واعده الله أن يأتيه بعد أن يصوم هذه المدة مواصلا •

وبهذا استدل الصــوفية على الوصــال فى الصوم • وأن أفضله أربعون يوما (١) •

ذهب العجل :

أشــار القرآن الكريم الى أنهم اتخــذوا العجل من حليهم •

« **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا** » (٢) والحلى تشــمل الذهب والفضة • وهى فى الذهب أشهر • وقد قيل فى معنى جسدا : أنه أحمر • فيكون من ذهب •

ولكن من أين جاءتهم الحلى ؟ وقد خرجوا من مصر فــارين خــائفين ولم يحصــل لهم استقرار • ولم يطب لهم مقام • فكيف هان عليهم القاء حليهم بسهولة ؟

يحدثنا القرآن الكريم بأن هــذه الحلى لم تكن ملكا لهم • بل اجتمعت لديهم من القوم • وهم القبط • قال تعالى « **وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ** » (٣) وفى تسميتها بالأوزار ما يشير الى أن اقتنــاءهم لها • وبقاءها فى أيديهم غير مشروع •

يقول الألوسى (٤) : الاضافة فى (حليهم) لأدنى ملابسة لأنها كانت للقبط • استعاروها منهم قبــل الغرق فبقيت فى أيديهم وقيــل : ملكوها بعد غرقهم وألقاها البحر على الساحل فالتقطوها أو ملكوها بعــد أن اســتعاروها منهم ثم غرقوا • فصارت لهم •

قال الامام : رؤى أنه تعالى لما أراد اغراق فرعون وقــومه • أمر موسى بنى اسرائيل أن يستعيروا حلى القبط • ليخرجوا خلفهم لأجل المال فيغرقهم • أو لتبقى أموالهم فى أيديهم • وليس ذلك غنيمة • فالغنائم لم تحــل لأحــد قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم •• وليس أخذا لمال الغير بغير حــق : لأنهــا فى مقابلة استعبادهم واستخدامهم وأخذ أموالهم وقتل أولادهم • فملكها الله لهم • على أن ما نقل عن القوم فى سورة طه • من قولهم (**حُمِّلْنَــا أَوْزَارًا مِنْ زِينَــةِ الْقَــوْمِ**) يقتضى عــدم الحل • اهـ بتصرف •

وقيــل : كــان لهم عيــد يتزينــون فيــه ويستعيرون الحلى من القبط فاستعاروا لذلك اليوم • فلما أخرجهم الله بقيت تلك الحلى فى أيديهم • وقيل جمعوها باسم عرس لهم •

وقيل ان هرون قال لهم ان الحلى غنيمة • وهى لا تحل لكم فاجمعوها فجمعوها فى حفرة حتى يرجــع مــوسى ويرى رأيه (٥) فجــاء السامرى وصنعها عجلا له خوار • استدراجا ومحنة (٥) •

ومن حديث الفتون لابن عباس • قال :

كان هرون قد خطبهم : انكم قد خرجتم من مصر • ولقــــوم فرعون عنــدكم عــوارى وودائع • ولكم فيهم مثل ذلك • فــانى أرى أنكم تحتسبون مالكم عندهم • ولا أحل لكم وديعة استودعتموها • ولا عارية • ولســنا برادين اليهم شيئا من ذلك • ولا ممســـكيه

(١) تفسير القرطبى حـ ١ ص ٣٩٦ •
(٢) سورة الاعراف ١٤٨ • (٣) سورة طه ٨٧ •
(٤) تفسير الالوسى حـ ٩ ص ٦٢ ، ٦٣ •

(٥) قول السدى بتصرف • يراجع تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ١٦٢ •

لأنفسنا فحفر حفيرا • وأمر كل قوم عنـــدهم متاع أو حلية أن يقذفوه فيها • ثم أوقد عليه النار فأحرقته • فقال : لا يكون لنا ولا لهم •

وجاء السامرى قابضا شيئا • فظنه هرون متاعا أو حلية • فقال للسامرى : ألق مـــا فى قبضتك أيضا • فقال : لا ألقيها حتى تدعو لى الله أن يجعلها ما أريد • فدعا له • وألقاها • فقال : أريد أن يكون عجـــلا • فصـــار ما فى الحفيرة عجـــلا وكان ما فى قبضـــــته هــــو التراب الذى قبضه من أثر الرســـول (كما سيأتى) (١) وهو عجل أجوف ليس فيه روح ولا خوار (١) •

وذكرت المصادر اليهودية : أنهم عملـــوا على سرقة المصريين قبــل مغـــادرتهم مصر • وزعموا أن هذا كان بوحى من اللـــه • فقـــد زعموا أن الله أمرهم : فيكون حين تمضـــون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امـــرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضـــــعونه على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين •

(خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢) (٢) •

عجل الذهب :

انما سميناه بهذا : لأنه ليس عجـــلا بقريا حقيقيا • كالذى يعبده الهنود • فعبادة البقر فيهم • ولكنها أبقار حقيقية وليست من صنع الانسان •

وأيضا للاحتراز عن عجل « أبيس » الـــذى اتخذ منه الفراعنة فى مصر رمزا للخصـــب • وقدسوه (٣) •

وعجل الذهب هذا هو الـــذى اتخذه بنـــو اسرائيل من حليهم وقالوا « **هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ** » (٤) أو اتخـــذه لهم الســـامرى من حليهم • وبطلب منهم • واتفقوا معـــه على أنه الهم وآله موسى • الـــذى يبحث عنـــه • وذهب ولم يعد • وتأخر بحثا عنه •

وقد تقدم : أن هرون : دعاهم الى التجرد من هذه الحلى لأنها أوزار وآثـــام ولا تحـــل لهم • فجمعوا فى حفرة • واستغل السامرى الفرصة وألقى عليها ما فى قبضـــته • وفعـــل فعلته •

ولكن قيل : ان السامرى ـــ وكـــان مطاعا فيهم • ويعلم رغبتهم فى اتخاذ اله ـــ دعاهم الى جمع الحـــلى ليصـــنع لهم منهـــا الها • فأعطوه • وعن الحسن البصرى : هذا العجل اسمه : بهموت •

وكان السامرى • قد رأى جبريل على فرس اسمها (الحياة) وكانت لا تضع قدمها عـــلى شىء الا أخضر ودبت فيه الحياة • فقبض من أثرها قبضة• واحتفظ بها لتساعده على صنع اله • وأخفى هـــذه القبضـــة وأسرارها على هرون •

وكان السامرى من قوم يعبدون البقر (٥) وكان بنو اسرائيل قد تأثروا من عبادة المصريين للعجل « أبيس » ومما شاهدوه بعد خروجهم من البحر من عكوف قوم على أصناف لهم •

فاتفق هوى السامرى مع هـــوى الـــذين وافقوه واتخذوا العجل معه •

الســـــامرى :

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : كان الســـامرى رجـــلا من أهـــل باجرما (٦) وكان من قوم يعبدون البقـــر (٧)

---

(١) يراجع تفسير ابن كثـــير حـ ٣ ص ١٥١ وهذا راى ابن عباس .

(٢) يراجع كتاب الارتباط الزمنى ص ١٦١ .

(٣) أبيس : كلمة اغريقية للاســـم المصرى القديم (حب) فحـــل البقـــر : المعجم الكبير حـ ١ ص ٦٩ .

(٤) سورة طه ٨٨ .

(٥)(٧) اى من الهند كما ورد فى بعض الاخبار ــ انظر القرطبى حـ ١١ ص ٢٣٣ .

(٦) باجرما : قرب الرقة من ارض الجزيرة . معجم البلدان حـ ١ ص ٣١٣ .

عجل الذهب

ووقع فى أرض مصر • وأظهر الاسلام مع بنى اسرائيل • واسمه موسى بن ظفر •

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : كان من كرمان (١) وقال قتادة : كان من سامرا (٢) •

وقال القرطبى : ينسب الى قرية تدعى سامرة بالشام (٣) وأخفته أمه فى كهف جبل فغذاه جبريل • فعرفه لذلك • وأخذ القبضة حين عبر جبريل البحر على فرس وديق (٤) • وكان مطاعا فى بنى اسرائيل (٥) •

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنه : رأى السامرى جبريل يوم فلق البحر على فرس فعرفه لما أنه كان يغذوه صغيرا حين خافت عليه أمه فألقته فى غار (٦) •

وذكر ابن جرير : أنه فى الكتب الاسرائيلية أنه كان اسمه هرون أيضا (٧) •

وقيل : أن السامرى كان مثل بنى اسرائيل ممن يستحيل فرعون قتلهم فى المهد • فأخفته أمه فى كهف فى جبل • خوفا عليه من أن يقتله فرعون • فجاء جبريل عليه السلام • فجعل كف السامرى فى فم السامرى • فرضع العسل واللبن • فاختلف عليه • فعرفه من حينئذ •

وقد سمعنا قديما قولهم :

فموسى الذى رباه جبريل كافر •• وموسى الذى رباه فرعون مؤمن والظاهر مما تقدم :

أن السامرى ليس من بنى اسرائيل • ولكنه أظهر الاسلام مثلهم • وخرج من مصر معهم• وكان يعامل من قوم فرعون كما يعامل بنو اسرائيل • حيث لم يكن — مثلهم — مصرى الأصل • وكانت الوثنية متأصلة فيه • حتى أثمرت بوضوح فى اخراج هذا العجل• بهذه الطريقة العجيبة الفريدة • وضل بضلاله الألوف العديدة من البسطاء والجهال •

وكأن مثله • كمثل ابليس • تزعم الضلال والاضلال • واستعمل علمه وذكاءه فى الشر •

فصار حديث السامرى فى الناس مسرى حديث ابليس •

ذكر جوانب من قصة العجل :

فى أثناء مناجاة موسى عليه السلام لربه عز وجل فى جبل الطور • اتخذ قومه من بنى اسرائيل عجلا مصنوعا من الذهب والفضة وعبدوه من دون الله • لما رسخ فى قلوبهم من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية فى مصر •

أقول : بل وفى العالم كله منذ ما قبل ابراهيم ونوح • عليهما السلام • الى أن جاء الاسلام • الى أن تقوم الساعة • فلن تقوم حتى لا يقال فى الأرض : الله الله • وحتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة (٨) •

والى ما اتخذه بنو اسرائيل يشير قوله تعالى : «وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ» (٩) •

فاتخاذهم العجل كان بعد ذهاب موسى للقاء ربه •وصنعوه من الحلى التى كانت معهم • حسب ما تقدم •

والعجل : ولد البقر • والمراد : صنعوا ما يشبه العجل •

(١) كرمان : من بلاد فارس •
(٢) سامرا • أو • سرى من راى : بالعراق •
(٣) لا أعرفها بالشام • ولكن هى بالعراق • فلعل فى كلامه تجوزا •
(٤) وديق : يشتهى الفحل •
(٥) يراجع القرطبى حـ ٧ ص ٢٨٤ •
(٦) تفسير الالوس حـ ١٦ ص ٢٥٣ •
(٧) تفسير ابن جرير حـ ٣ ص ١٦١ •

(٨) الحديث متفق عليه : وذو الخلصة صنم لدوس وهى قبيلة فى اليمن •
(٩) سورة الاعراف ١٤٨ •

والجسد : هو الجثة فقط . لا يعقل ولا يميز . قاله أبو اسحق (٩) . وقيل : جثة ذا لحم ودم . أو جسد من ذهب لا روح فيه (٢) . فقد وقع الاختلاف : هل صار هذا العجل لحما ودما وله خوار ؟ أو بقى ذهبا ويدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر ؟ روى الأول عن قتادة والحسن . والثانى قول مجاهد .

ومن قال ان الحياة حلت فيه : عللوه بأن جبريل حين جاوز ببنى اسرائيل البحر . أو عند نزوله على موسى . راكبا فرسا . ما وطىء بها أرضا الا حلت فيها الحياة واخضر النبات . فأخذ السامرى من أثرها قبضة . فنبذها فى جوف تمثال العجل فصار حيا له خوار . ثم قال صاحب تفسير المنار (٣) الروايات فى حياة العجل لا يصح فيها شىء ولذلك وقف الحافظ ابن كثير فلم يرجح أحد القولين . وعن السدى : كان يخور ويمشى .

خُوار العجل :

أثبت الله تعالى الخوار لهذا العجل « **له خُوار** » (٤) والخوار صوت البقر . واختلف فيه هل كان مرة واحدة . أو تكرر ؟ وهل خواره حقيقة أو مجاز ؟

الذى روى عن السدى : أنه كان يخور ويمشى . وسر ذلك أن جبريل سرت منه الى ذلك التراب قوة باذن الله تعالى لأمر يريده تعالى من فتنة القوم « **فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ** » (٥) .

وعن الضحاك : خار خورة واحدة ولم يثن (٦) . وذهب الحسن الى أن العجل صار من لحم ودم وله خوار حقيقة (٧) .

والذى ذهب اليه الجمهور : أنه يشبه العجل فى الصورة والشكل . ونسبة الخوار اليه مجاز (٧) .

وليس فى الآية ما يدل على حركته (٨) .

وقال جمع من مفسرى المعتزلة : ان العجل بلا روح (٧) .

وقال ابن عباس — فى حديث الفتون : المتقدم — الا والله ما كان له صوت قط . انما كانت الريح تدخل فى دبره وتخرج من فيه .

وكان ذلك الصوت .. فتفرق بنو اسرائيل .

فقالت فرقة : ما هذا ياسامرى ؟ قال هذا ربكم .

وقالت فرقة : لا تكذب حتى يرجع الينا موسى .

وقالت فرقة : هذا من عمل الشيطان وليس بربنا .

وأشرب فرقة فى قلوبهم الصدق بما قال السامرى فى العجل .

وقال سفاؤهم : أخطأ موسى ربه (**لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ**) .

وفى رواية لابن أبى حاتم : قال السامرى : اللهم انى أسألك أن يخور فخار . فكان اذا خار سجدوا . واذا خار رفعوا (٩) .

معنى — نسى :

قال الضلال من بنى اسرائيل (**هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ**) (٩) أى نسيه موسى ههنا وذهب يتطلبه . قاله مجاهد عن ابن عباس . وعن عكرمة عن ابن عباس : (**نسى أن يذكركم أنه الهكم**) (٩) .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : نسى السامرى . أى ترك ما كان عليه من الاسلام (٩) .

●●●●

(١) تفسير المنار . مجلد ٩ ص ٢٠١ .
(٢) يراجع تفسير الالوسى حـ ١٦ ص ٢٤٧ .
(٣) مجلد ٩ ص ٢٠٢ .
(٤) سورة طه ٨٨ .
(٥) سورة طه ٨٥ .
(٦) تفسير المنار مجلد ٩ ص ٢٠٢ .
(٧) تفسير الالوسى حـ ١ ص ٢٥٨ .

(٧) تفسير الالوسى حـ ٩ ص ٦٤ بتصرف .
(٩) تفسير ابن كثير حـ ٣ من ص ١٤٨ بتصرف

بين العقاب والعفو

* اســتوقفتنى ، أثناء تلاوتى ــ آية من سورة الشورى ‥ هى قوله تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » ‥ ففيها قراران ، يبدوان للنظــرة العابرة متناقضين ‥ قرار يعطى الاذن بمعاقبة المسىء ‥ وقرار العفو عن المسىء ‥ فما السر فى هــذا ؟! ‥ ولماذا لا يحب الله الظالمين ؟ ثم يطلب من المظلومين أن يصفحوا عنهم ، ويتجاوزوا عن سيئاتهم ، ويصــلحوا ما بينهم ‥ الى غير ذلك مما دار بخاطرى ، وجعلنى فى حيرة من أمرى ‥ !!

* وانى لأعلم أن المؤمنين حقا ، يبسارعون الى طاعة الله ، والى تنفيذ كل ما يصــدر عن الله من قرار ‥ بلا مناقشة ، وبغير اعتراض ــ ماداموا قد آمنوا من قبل بالله صــــاحب القرار ‥ وليس من حقهم بعــــد ذلك أن يتوقفوا عن الطــاعة ، أو التنفيــذ لما يطلب منهم ، حتى يعلمهم الله بحكمه وأسرازه التى قد تعلو على عقولهم ، وتسمو على مداركهم وأفهامهم ‥ فعقل الانسان محدود ، وعلمه كذلك محدود ‥ والعقــل المحدود ، لا يدرك كنــه علم الله غير المحــدود ‥ انه وحــده لا شريك له ــ هو الذى أحاط بكل شىء حكمة وعلما ، ووسع كل شىء رحمة وفضلا ‥ انه وحــده علام الغيــوب ‥

« وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » ‥ !!

حول آية من كتاب الله

للأستاذ عبد الحميد الفضالى

❋ فماذا أصابنى ؟ !!

❋ انه مع ايمانى بضعفى ، واعترافى بعجزى ، وتسليم قيادى لربى — رغبت فى أن تكون نظرتى ، فى حدود طاقتى — أكثر عمقا ، وأعمق فهما •• وسألت الله أن يهدينى سبيل الرشاد ، لأستشف من الآية بعض معانيها ، وأكتشف شيئا قليلا ، مما خفى فيها •• وأسجل جانبا متواضعا ، مما قد يفتح الله به على •• لأفيد وأستفيد ، وأنفع وأنتفع •• فالانسان مايزال طالب علم ، حتى يموت •• وخير فائدة ، فى مجال المعرفة — ما كان نابعا من كتاب الله ، وهدى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم •• فهما الأثران الخالدان اللذان ما ان تمسكنا بهما ، واهتدينا بهديهما — لن نضل أبدا •• وهما اللذان لن تصلح الحياة ، ولا تنتظمْ أمورها الا بهما — ما بقيت الحياة •• والى أن يرث الله الأرض ومن عليها •• !!

❋ ودار نظرى حول الآية •• وامتد الى ما قبلها ، وإلى ما بعدها ، مما هو متصل بها •• فشدتنى آية سبقتها هى قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »

ـ حيث تجلت فيها صـــفة عظيمة خاتمة ، للصفات الفاضلة ، المتمثلة فى المؤمن حقا •• وهم بها حمــدهم الله وأثنى عليهم بذكرها ، وسردها فى آيات رضاه عنهم •• تلك الصـــفة الخاتمة ، هى وصف هؤلاء المؤمنين بالشجاعة والقوة ، والأنفة والعزة ، والغيرة على الحق ، والثورة على الظلم ، والانتقام من الظالمين ، بالانتصار عليهم ، وأخذ الحق منهم •• وذلك يتصل بموضــوعنا ـ **« وجزاء سيئة سيئة مثلها •• » •• !!**

* واذن ، فمن حق المظلوم ، بل من واجبه ـ مادام قادرا وعادلا ـ أن ينتصر لنفسه ، وأن يعمل ما اســتطاع ـ على ايقاف الظالم عند حده ، وحرمانه من ثمرة بغيــه •• وأن يكتفى باسترداده لحقه ، دون زيادة عليه ••!

* وذلك ، هو بعض ما ترشد اليه الآية فى مفهومها ومضـــمونها •• فهى آية فى معرض الثناء على المؤمنين الذين يســـــارعون فى الخيرات ، ويبادرون الى الانتقام والانتصار من الباغين ، فى حدود ما لهم من حقوق •• فالله قد أثنى عليهم •• ويستحيل على الله أن يثنى على مؤمن تجاوز حــده ، أو أخذ فوق حقه •• علاوة على أن تســـجيل رضاء الله عنهم ، وثنائه عليهم ـ يوحى بأن الله يدعو كل مؤمن قادر ، بل يحثه ويحرضـــــه على الانتصـــار والانتقام ، من هؤلاء الباغين ، معتادى الاجرام ، حتى يلزموا حــدودهم ، ويثوبوا الى رشـــدهم ، ولا يتمادوا فى غيهم وبغيهم وعدوانهم ، فالله أعلم بهم ، ولا يَفُلُّ الحديد الا الحديد •• وأمثالهم لا يســتألون العفو ، ولا يستحقون الصفح والغفران •• !!

* ونلاحـــظ أن الآيـــة تعطى الأقـــوايا المؤمنين ، ما لا تعطيـــه لضـــعفائهم ، لانهم الاقدر على ضــبط النفس ، وتحقيـــق ميزان العـــدل ، وهم ينتصرون •• ولانهم الذين لا يخشون أحدا الا الله ، ولا يرتضون المذلة لســـواه ، ولا يظلمـــون الناس فى هــذه الحياة •• !!

* أما الآية التالية ، **« وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ »** ـ فهى تتنــاول أكثر من موضـــوع •• وهى امتداد لســـابقتها ، واستكمال لموضوعها ، وبيان لحق المظلومين ، والمعتدى عليهم ، والمساء اليهم ، فى أية صورة من صــور الاعتداء ، وفى أى لون من ألوان الاســـاءة •• فهى تخاطب القادرين على الانتصار والانتقام من الباغين •• وتخاطب غير القادرين •• وهى تعطى الاهتمام بمسألة المجازاة بالمثل ، بجعلها فى مكان الصـــدارة منها ، كما تعطى اهتمامها كذلك بموضـــوع العفو والصـــفح والاصـــلاح •• فهما أمران مطلوبان ، لتحقيق الخير ودرء الشر ، باختيار أحدهما وفق طاقة المختار ، ووضعه فى مكانه المستطاع •• !!

* فهى تبين أولا — أن من حق كل ومساء اليه ، أو معتد عليه — أن يجازى المسىء بمثل اساءته ، والمعتدى بمثل عدوانه ، والباغى بمثل بغيه ، تماما ، وبلا زيادة فى رد الاساءة ، أو رد الاعتداء .. وبذلك يكون المساء اليه ، قد استوفى حقه ، ولا لوم عليه ، ولا مؤاخذة ، فى انتصاره بعد ظلمه .. « وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .. !! « الشورى ٤١ ، ٤٢ » .

* وقد قال بعض أشياخنا (رحمهم الله) : ان مقابلة الاساءة بمثلها فى الكلمة مثلا — هى أن يرد على المسىء بنفس الكلمة التى أساء بها ، دون زيادة عليها .. والا كانت الزيادة منه عدوانا جديدا ، يصير بها من كان مظلوما ظالما ، ومن كان مبغيا عليه باغيا .. وضربوا لذلك مثلا .. فاذا قال المسىء (أخزاه الله) ، يكون رد المساء اليه بالمثل ، (أخزاه الله) .. وهكذا فى سائر ألوان الاساءات التى يمكن فيها مجازاة المسىء بمثل اساءته ، منعا للمسىء والباغى من التمادى فى الاساءة والبغى ، وللعادى من الاستمرار فى العدوان .. !!

ويؤكد هذا المفهوم ، ما كان من قول السيدة عائشة للسيدة حفصة — فى معرض الفخر ذات مرة — : « أنا بنت أبى بكر » ، فقال الرسول لحفصة : « قولى لها : وأنا بنت عمر » !!

* وفى الناس كثيرون .. لا يوقفهم عند حدودهم الا أولئك القادرون على مجازاتهم بالمثل — جزاهم الله خيرا ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، ولم يرض لها أن تهان .. فان من هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون .. وماذا يتبقى للانسان بعد قبوله لاهانته ، وفقدانه لحقه وحريته ، وكرامته وانسانيته .. ؟ ! وما قيمة الحياة اذا غاث فيها المفسدون فى الارض ، ولم يجدوا من يردعهم ، أو يطهر الحياة منهم ؟ ! عندئذ تكون بطن الارض خيرا من ظهرها .. !!

* ولذلك ، فانا نجد الله تبارك وتعالى يؤكد لعباده قرار المجازاة بالمثل ، دلالة على أهميته ، وحرصا من المشرع على تنفيذه ، اذا استطاع الغاضبون لكرامتهم ، والرافضون لاهانتهم أن يطيعوا وأن ينفذوا .. فقد ذكر الله القرار ، وأعاد ذكره بفعل الامر مرتين : مرة فى سورة البقرة ، فى قوله تعالى : « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ .. » ومرة أخرى فى سورة النحل ، فى قوله تعالى : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ

مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ٠٠ » ٠٠ ولم يكتف الله بذلك ، بل شجع الذين ينتصرون بعد ظلمهم على طاعة الأمر وتنفيذه ، ووعدهم بنصره اذا ما بغى عليهم مرة أخرى ٠٠ وذلك فى قوله تعالى ، من سورة الحج : « ذَٰلِكَ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ » ،

فهى تفيد أن الذين ينتصرون لحقهم ، وينتقمون لظلمهم ، ويعملون قدر جهدهم ، على ايقاف الباغين عند حدودهم ــ سينصرهم الله اذا ما بغى عليهم مرة أخرى بعد أن عاقبوا الباغين بمثل ما عوقبوا به ٠٠ ومادام الله قد وعدهم بنصره ، فهو ناصرهم ولن يخذلهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ٠٠!!

ألا ، فليطمئن المنتصرون لحقوقهم ، اذا كانوا مستعدين وقادرين على مقابلة الاساءة بمثلها ٠٠ !!

* هذا ، وان من يقوم بتنفيذ المثلية فى المجازاة ــ مطيع لا شك لله ، فيما أمر به ودعا له ، ولن يخذله الله أبدا ، وسيحقق له الخير فى دنياه ، والمثوبة فى أخراه ٠

وقد ورد فى الكشاف للزمخشرى ، ما يفيد أن العفو عن المسىء مندوب اليه ٠٠ وأن الامر قد ينعكس فى بعض الاحوال ، فيرجع ترك العفو مندوبا اليه ، اذ احتيج الى منع زيادة البغى ، وقطع مادة الأذى ٠٠ ثم ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ــ ما يدل عليه ٠٠ وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته ٠٠ وكان صلى الله عليه وسلم ينهاها فلا تنتهى ٠٠ فقال لعائشة : « دونك فانتصرى » ٠٠ صلى الله وسلم عليك يا سيدى يا رسول الله ، فانك بحق بشر رسول ٠٠ !!

وقصة جبلة بن الايهم مع الاعرابى الذى لطمه جبلة أثناء الطواف ، لانه داس رداءه ــ معروفة ومشهورة ٠٠ وفيها أصر عمر رضى الله عنه ــ على القصاص منه ٠٠ فقال لعمر : « كيف تقتص منى وأنا ملك وهو سوقة ؟! » فأجابه عمر : « ان الاسلام سوى بينك وبينه » ٠٠ وهى تدل على مدى حرص الاسلام على القصاص ، وأن فيه حياة ٠٠ كما تدل على العدالة الكاملة المشرقة فى الاسلام الذى يسوى بين الملك والسوقة ، فى الانتصار للحق ٠٠ !!

***

* **من أجل الأمان فى الاختيار ٠٠**

الانسان منا يخطىء ويصيب ٠٠ من ذا الذى ما ساء قط ٠٠ ومن له الحسنى فقط ؟ !!

ومن أجل أن نتحاشى أخطاءنا ــ بقدر المستطاع ــ أثناء سيرنا وسلوكنا ومعاملاتنا ــ يجب أن يكون لنا رصيد ايمانى ، نخشى به الله ، ونطلب رضاه ٠٠ ولا يكون ذلك الا بطهارة نفوسنا ، واخلاص نياتنا وأعمالنا ، وتسليم قيادنا لربنا ٠٠ مع الانتفاع بتجارب

الصالحين من عباد الله ، أولئك الذين أمدهم الله بعونه ، فى أمور الدين والدنيا معا •• فوضعوا على طريق الحياة مشاعل تضىء جنباته ، وتؤمن عثراته ، وتأخذ بيد السالك فيه الى بر الأمان •• !!

ومما عرفوه ، وأعلمونا به — أن الطبائع مختلفة ، والطاقات متفاوته ، والاخلاق متباينة •• وأن ما يصلح لانسان قد لا يصلح لآخر ، وما ينفع هنا قد يضر هناك ، وأن ما يبدو فى ظاهره حسنة ، قد يكون فى باطنه سيئة ، وما يبدو شرا ، قد يكون فى أعماقه خير كثير •• فالنار مطهرة ومصلحة ومنضجة •• والكى قد يكون هو الدواء المطلوب •• وفى الشر خيار حين لا ينجيك احسان •• وأن الانتقام من المسىء ، قد يعطى فى مجال التأديب من المثمرات الطيبة ، ما لا يعطيه العفو والصفح •• والقوة فى مجال الاصلاح ، قد تعطى من النفع والخير ، ما لا يعطيه الرفق والملاينة •

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما

فليقس أحيانا على من يرحم

والله تعالى يقول : **« وجزاء سيئة سيئة مثلها »** ••

فيجب أن نكرم كرام الناس فى معاملاتنا لهم •• أما اللئام فان معاملتهم بالكرم تأتى بأسوأ النتائج •• ومن سداد الرأى الا نسوى فى المعاملة بين كرام الناس ولئامهم •• فالكرام يناسبهم الكرم •• واللئام لا يناسبهم الا الشدة معهم ، ورفع السيف فى وجوههم ، أما اكرامهم فيزيدهم لؤما وتمردا ••

ورحم الله من قال :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف العلا

مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وهنا يقول الحكماء والمصلحون :

ان من الحكمة والاصلاح أن نضع الشىء فى موضعه الصحيح ، وفى مكانه المناسب •• وضربوا لذلك أمثلة ، فقالوا : بصدد الفضائل والرذائل :

ان الاقدم فى موضع الاقدام ، والاحجام فى موضع الاحجام — فضيلة وشجاعة وحكمة •• وان الحلم عن العاجز الضعيف — سماحة ومروءة ونبل •• وعن غير العاجز القوى — خوف وجبن ولؤم •• وان الصفح عن الكريم المحتاج اذا أساء — كرم ومحمدة واصلاح •• وعن اللئيم المستبد — نقيصة وضعف وافساد •• وان العفو عن الباغين وعتاة المجرمين — ضعف وخسة ونذالة •• أما الانتقام منهم وحرمانهم من ثمرات بغيهم — فهو العزة والاباء والقوة والمضاء والامن والايمان •• وصدق الله العظيم : **« وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »** •• !!

* والله تبارك وتعالى قد شــاءت حكمته وعدالته ورحمته ــ أن يبصر عباده بالخير ، ويرشدهم اليه ، ويدلهم عليه ، وأن يعطيهم حرية الاختيار فيما فيه اختيــار ، ليختــاروا ما يناسب ظروفهم وأحوالهم وقــدراتهم فى حدود طاقاتهم ، وعلى هدى من ربهم ، تحقيقا لأمنهم وأمانهم •• لا تظلمــون ولا تظلمــون •• لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت •• ولكل انســـان جزاؤه وثوابه ، واستحقاقه وعقابه •• جزاء وفاقا •• وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأمره على الله ، انه لا يحب الظالمين •

* فالامر هنــا لا عسر فيــه ولا الزام ، ولا مشـــقة فيه ولا اجبار •• وتتجلى فيه حقيقة المجــازاة بالمثل ، وحقيقة العفــو والاصـــــلاح •• وأنه لا تناقض بينهما ، ولا اختــلاف فى الغاية منهما •• فكل عنــد اختياره ، وحسن استعماله ــ موصل للخيرات ومانع من المنكرات •• ولكل دواعيه ، ومكانه الذى يوضع فيه ، ورجاله الصـــالحون له ، والقادرون عليـــه •• وانما الاختـــلاف والتناقض بين الذين يخاطبون به ، ويدعون اليه ، فى القوة والضعف ، وفى الشدة واللين ، وفى الصلاح والفساد ، وفى درجات التقوى ، وفى الصبر والاحتمال ، وفى تقــدير الظروف والاحوال ، وفى ســـوء الاختيار وحسن الاختيار ••

*** تحقيق المثلية فى المجازاة :**

* أما تحقيق المثلية فى المجــازاة ــ فأمر لا يقــدر عليه ، الا من أقدرهم الله عليه •• وان فيه لعسرا شــديدا ، ومشـــقة بالغة ، الا على الذين هــدى الله ، فمنحهم من قوة الارادة ، وضبط الاعصاب ، والاكتفاء بما هو من حقهم ومبــاح لهم ، وهم قلة من المؤمنين •• رضى الله عنهم وأرضاهم •

* * *

أما الكثرة من النــاس ، فهم لايملــكون مشاعرهم عند الغضب ، ويستبد بهم الانفعال والحقــد ، فيضلون الطــريق ، ويتجاوزون حدودهم عند الانتقام لانفسهم ، والانتصــار لها •• فينقلبون ظالمين بعد أن كانوا مظلومين ويؤججون بحماقتهم نيران الفتن والبغضــاء فيستفحل الشر وينذر بالويلات والثبور • !!

فالمجازاة بالمثل عند هؤلاء الحمقى ، غــير مأمونة العــاقبة •• وخــير لهم أن يعفــوا ويصــفحوا ويصلحوا ما بينهم وبين الــذين بدأوا الاساءة اليهم •• !!

* وان من الاســاءات اساءات لا يستبيح فيها لنفسه انسان مؤمن كريم ، أن يجــازى بمثلها ، حتى لو استطاع •• فلن يتركه اللــه دون حساب شديد وعذاب أليم •• وذلك فيما اذا قتل معتد أثيم ابنا لمعتدى عليه ، أو أمــا له أو أبا ، أو بغى باغ خسيس وغصبا عــلى

امرأة لمبغى عليه أو أخت له أو بنت ، أو ماشاكل ذلك من الفواحش والمنكرات التى يستحيل على مؤمن صادق الايمان أن يفكر بشأنها فى الانتصار والانتقام ممن أساء بمقابلة السيئة بمثلها .. وما أظن أن اباحة الاخذ بالمثل تدخل فى مثل هذه الامور .. وانما هى متروكة للحاكم المسلم ، والقضاء المسلم ليحكم فيها بحكم الله وشريعته بقتل القاتل ورجم الزانى وبما يستحق من قصاص وعقاب .. !!

وان من يرتكب أ.ؤ هذه الجرائم الفاحشة تحت ستار المجازاه بالمثل — لمعتد أثيم ومجرم خطير ، ليس فى قلبه مثقال ذرة من ايمان .

* ومن أجل هذا وأمثاله .. جاء قوله تعالى : « **انه لا يحب الظالمين** » ليدل على أمور كثيرة .. منها :

* الدلالة على ان تنفيذ حق المظلومين فى الانتصار لانفسهم فى حدود المثلية المطلوبة — غير مأمون العاقبة ، ومحفوف بالمخاطر ، وأنه يؤدى غالبا الى ظلم جديد ، يصير به المظلومين ظالمين .

* انذار للحمقى من الطرفين .. من المنتقمين ، ومن المعتدين على سواء ، وتخويف لهما من غضب الله عليهم ، وسوء عاقبتهم فى الدنيا والآخرة بظلمهم .

* الترغيب فى اختيار الأسلم عاقبة وأعظم أجرا .. وهو العفو عن المسيئين ، والصفح عن الباغين ، وايثار الاصلاح فيما بينهم .. وهذه أمور لا يقدر عليها ولا يطيقها الا الصابرون الذين يؤثرون السلامة وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة ، ويخشون الله ويرجون مثوبته .. فهو القائل : (**وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا** (وما يقدر عليها) **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**) .

* **ثم ان الله لا يحب الظالمين ..**

لان الظلم أبغض شىء الى الله ، فيه تفسد الحياة ، ويختل ميزان الحق والعدل فى هذا الوجود العظيم .. والله سبحانه هو الحق والعدل .. وبالحق والعدل حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين الناس محرما ، حتى لا يتظالموا .. ومن هنا كان أسوأ الناس عاقبة فى الدنيا والآخرة هم الظالمون .. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .. وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا .. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

ومن شدة حب الله للعدل ، وبغضه للظلم — ينصر الدولة الكافرة اذا كانت عادلة ،

بين العقاب والعفو حول آية من كتاب الله

.ويهلك الدولة المؤمنة اذا كانت ظالمة ــ كما يشير الى ذلك حديث شريف .. ثم يقول سيدنا رسول الله : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ..

*وإذن ، فأحسن للذين لا يملكون أنفسهم عند الغضب ، والذين يرون العفو أسلم وأجر الله أعظم ــ أن يؤثروا العفو عن المسيئين ، والاصلاح فيما بينهم ــ تأمينا لحياتهم ، وحصولا على عظيم أجر الله الذى جاء فى الآية الكريمة مبهما ، فى قوله **« فأجره على الله »** دلالة على عظمه وأنه أجر غير محدود .

* وحسبنا فى هذا المقام ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة نادى مناد : من كان له على الله أجر فليقم . قال : فيقوم خلق .. فيقال لهم : ما أجركم على الله ؟! فيقولون : نحن الذين عفونا عمن ظلمنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة باذن الله .. وبغير حساب .. !!

ونقل فى ايثار الصبر والمغفرة ما قيل من أن رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن (رحمه الله) ، فكان المسبوب يكظم غيظه ، ويعرق ، فيمسح عرقه .. ثم قام وتلا قوله تعالى :

« وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » ، فقال الحسن : عقلها والله وفهمها ، اذ ضيعها الجاهلون .

جعلنا الله من العافين عن الناس ، ومن المحسنين .. اللهم آمين ..

عبد الحميد الفضالى

دراسات لغوية

اللغة والمجتمع

٥ ٧

عرضنا فى مقالاتنا السابقة صورة واقعة لما يعرض للغة جماعة انسانية ، ورأينا أنها تنشأ تلبية لحاجاتهم الاجتماعية ، ووفقا لظروفهم ، فهى تمثلهم حضاريا وثقافيا وفكريا ، ثم أن الفاظها المعبرة عن مقصودهم ، تاخذ الطابع المميز لتلك الجماعة الانسانية ، وتتطور حسب احتياجاتهم ، وما يعرض لهم من ظروف جديدة قد تطرأ عليهم فى انقساماتهم الاجتماعية داخل المنطقة التى يعيشون فيها، او نتيجةاتصالهم بالشعوبالاخرى للتجارة او الهجرة أو الحرب،أو غيرها من وسائل الاتصال المتعددة ، ويمكن أن تبدو لذلك آثار بعيدة المدى فى سلوك اللغة،واتجاهاتها ، بين الجماعات الانسانية المختلفة وتبدو ملاحظاتنا فى صور تعبر عن الجانب الاجتماعى ، واثره فى السلوك اللغوى وهى كما يلى :

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

اللغة والمجتمع

أولا — اللغة صورة لحياة الأمة :

ليست اللغة أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذى تعيش فيه ، بل هى صورة له ، نابضة بالحياة ، فاذا كان المجتمع متخلفا ظهرت آثار التخلف فى لغته ، فهى متخلفة معه، واذا كان مجتمعا راقيا بدا الرقى فى لغته كذلك ، فالشعوب البدائية يتكلمون لغة مادية لا تعرف الفكر ، أو المعانى الكلية ، انها لاتعرف أكثر من المحسوس ، لتعبر عنه ، فالهندى الأحمر فى أمريكا — فى تعبير لغوى — أن يجد اسما للشجرة ، دون أن يعرف لونها الأحمر ، أو الأسود ، فى شجر معين كالبلوط ، وبعض العشائر البدائية ، لا تسعفها لغتها على التعبير ، فيلجأون الى الاشارات بأيديهم ، وأرجلهم ، وأعينهم حتى انهم اذا أرادوا التحدث ليلا أوقدوا النار ، ليرى المخاطب حركاتهم ، فيعرف ما يريدون ، وهذا اللون من اللغات يقل فيه التفرع اللغوى ، كالاشتقاق ، وغيره مما يعبر عن المعانى المجردة •

أما الشعوب الراقية ، ذوات الثقافة والفكر، فتحمل لغاتها سمات حياتها العامة ، والخاصة، كاللغات الهندية والأوربية ، واللغات السامية ، التى تستطيع أن تعبر فى صور متعددة ، وعبارا تلا تحتاج الى الاشارات كتلك السابقة لها ، بل ان اللغة العربية تجنح الى العقلية والخيال ، بالتعبير عن الشىء منظورا اليه من جهات متعددة •

فاللغة سجل يسعى حضارة الأمة على مدى تاريخها الطويل ، ويمكن على هذا الأساس فهم طبيعة حياتها ، ومعرفة الكثير من وجودها الحضارى •

فالعربية — فى أول حياتها — كانت تعيش حياة بدوية خالصة فى صحراء الجزيرة ، ولذا تحمل ألفاظها سمات تلك المرحلة ، فكلمة (الفصاحة) — أخذت — أساسا — من اللبن الفصيح — وهو الذى زال رغوه — وكلمة (البلاغة) اخذت من البلوغ الى غاية السير وكلمة (المجد) اخذت من امتلاء بطن الدابة بالعلف ، وكلمة (القطار) كانت تطلق على عدد من الابل تسير فى نسق واحد •

فاذا درسنا تلك الألفاظ ، وتطوراتها ، وجدنا أن اللفظين الأولين (الفصاحة والبلاغة) استعملا فيما بعد لحسن الكلام ، وجودته ، ثم استعملا مصطلحين لاجادة النطق ، فى علم البلاغة الذى ظهر بعد وضع قواعد اللغة ، وعكوف العلماء على دراستها ، فى عصر يدل على نضج تفكير الأمة ، وادراكها لقيمة لغتها •

وبعد تحضر العرب نقلوا لفظ (المجد) من معناه القديم ، فأصبح يطلق على امتلاء حياة الشخص أو الجماعة بالمعانى النبيلة ، ولما تطورت الحياة عند العرب فى العصور الحديثة، واستخدموا الآلات الصناعية فى نقل البضائع، والأحياء من بنى الانسان ، وغيرهم من مكان الى آخر نقلوا اسم آلة السفر التى كانت للصحراء — وهى (القطار) من الابل — للقطار من العربات المعهود الآن •

فلو تتبع الباحث اللغوى دلالات الألفاظ ، واشتقاقاتها ، وتراكيبها اللغوية لعرف تطور الحياة ، والفنون عند الجماعة الناطقة بها •

ثانيا — اللغة تتغير تبعا لظواهر الاجتمـاع :

للظواهر اللغوية وتغيرهـا أثر فى مفردات اللغة وتراكيبها ٠

أ — أثرها فى المفردات :

١ — معانيها :

لا ريب أن كل جماعة انسانية تضع الكلمات للأغراض التى تريد التعبير عنها ، فيوضع لفظ المعنى ، أو لعدة معـان ، ويوضع غيره كذلك لمعان أخرى ، وهكذا ٠

وتبدأ اللغة البسيطة ثم تتطور ، وتتعمق ، فـالمعروف أن الطفل عندمـا يريد أن يدل على حيوان يخـاف منه فانه يسـميه (هوهو) أو (عو) أو نحو ذلك مما يطلق عليه ، ثم بعد أن يتميز شـيئا فشـيئا يستطيع أن يفصل بعض المعانى عن غيرها ، والمسـميات عن نظائرها ، فيطلق اللفظ المحدود على ما يريد بدقة ، وهكذا فالشـعوب تطلق الألفاظ على ما تريد حسـب طبيعتها ، رقيا ، وانحطاط ، فالألفـاظ البدائية محسوسة المعانى ، والراقية ترقى معها الأفكار التى تحملها ٠

وكلمة (الفرج) كانت لكل شق ، ثم خصصت فى الاسلام بما هو معروف عند الانسـان ، واللمس كان معروفا فى اتصال شىء بآخر ثم كنى به الاسـلام عن الجماع كقوله تعالى : **« أو لامستم النساء »** ٠

ومن هنا نلاحظ تطور المعنى تبعـا لتطور الحياة الاجتماعية ، ومتطلباتها ٠

٢ — أصواتها :

لاريب أن الأصوات التى تتألف منها الألفاظ صورة لحياة الأمة ، فهى جافية غليظة ، فى أمة خشـنة ذات وعورة ، تحيا حيـاتها الأولى ، فمثلا حياة الصحراء تحتاج الى الأصـوات العالية ، لأن الخفوت يضيع وسط هذا الفراغ الهائل ، ولذا كانت خشونة الأصـوات داعية لوصولها الى من يريد ، وعلى هذا كان العرب الصحراويون يأتون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وينادونه بأصواتهم المرتفعة ، فحاول الاسـلام أن يوفق منها فى الحواضر — كمكة والمدينـة — حيث العمـران ، والمدنيـة ، والحضارة ، التى يناسـبها خفض الصـوت ، فنبه القادمين على أن الأصوات العالية لا تليق فى مكـان لا يحتـاج الى علوها ، قال تعالى : **(يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَـوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَـوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِـكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَـالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)** وقال سبحانه : **(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَـكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُـرَاتِ أَكْثَـرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الحجرات** ٠ وقـال سـبحانه **(إِنَّ أَنْكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ)** ٠

ونلاحظ فى الحركات أنها الشكل المنـاسب لحيـاة البـدويين ، والحضريين ، فالحركات القـوية — كالضـمة — يميل اليها البدويون لمناسبتها لحياتهم ، على حين أن حيـاة المدنية الرتيبة الوادعة داعية الى الأصوات الرقيقة ، والحركات المشـاكلة لها كالكسرة ، التى قالوا انها عـلامة المؤنث ، وأمارة الرقة ، وصـغر الحجم ٠

وكلما انتقل المجتمع من حـال الى حـال تتطور الأصـوات اللغوية ، ففى اللهجـات العربية الحديثة وجدنا صوت (القاف) العربية يتطور فى القرى الى صوت (الجيم) مثل : (قال) تنطق (جال) وفى المدن — كالقـاهرة وطنطـا — تنطق (همزة) فتصبح (آل) ،

اللغة والمجتمع

ووجدنا فى القرى (الضحك) ــ بضم الضاد وفى المدن (الضحك) بكسرها ، لأن الضمة تناسب مجتمع الصلابة ، والخشونة ، على حين أن الكسرة لمجتمع الرقة ، والحياة الناعمة. وقد تحدث تبدلات للأصوات عند بعض الناس تبعا للبيئة التى تصبغ الألفاظ بصبغاتها فمثلا نجد فى الصعيد من ينطقون (جاموسة) (داموسة) ، ومن يقول هناك (لع) بدلا من (لأ) فى مجتمع المدينة ، و (لا) فى العربية الفصحى .

وتبدلات الأصوات أحدثت ثورة عنيفة فى اللغة العربية واللغات الانسانية ــ بعامة ــ وتحتاج دراستها الى جهود تكشف عن تطورات الألفاظ ، وعلاقتها ، ومدى تأثرها بالتقدم الحضارى .

وهناك أصوات تخفف حتى تتلاشى ، كأصوات اللين الطويلة والقصيرة فى مثل (على ومحمد حضر امبارح) .

وتلاحظ فى دراسة اللهجات العربية ، القديمة والحديثة ، ما يقيدنا فى هذا المجال ، ويلقى ضوءا قويا على حياة البداوة ، والحضارة فى عصورها المختلفة .

٣ ــ حياتها وموتها :

هناك ألفاظ فى اللغة يكتب لها ان تعيش ، ويستمر وجودها للحاجة اليها ، ولصلاحيتها للتعبير عن مرادها ، وذلك مرهون باستمرار ما يراد منها ، وقد ينتقل معناها تبعا للحاجة الاجتماعية الا أنها تستمر لصلاحيتها لذلك أيضا وقد يموت معناها تبعا للتغيرات الاجتماعية التى تبطل هذا المعنى أو تؤدى الى تغييره فتموت الألفاظ أيضا ، فأسماء كثير من آلات الحرب وغيرها قد بطل نتيجة لبطلان استعمالها ، وكذلك بعض الألفاظ الخاصة بأجزاء الغنائم ، فى الجاهلية التى أبطلها الاسلام ، مثل : المرباع والصفايا وغير ذلك من الألفاظ .

وفى بعض الأحيان يحيا اللفظ بعد موته ، فقد أحيا الأدباء والعلماء فى العصور الحديثة كثيرا من الألفاظ القديمة ، للحاجة الى معانيها ، وتبعا للمخترعات الصناعية التى تستلزم بعض المصطلحات ، ومن هنا وجدناهم يعيدون الى اللغات كثيرا من الألفاظ المهجورة ، وهذا يضيف جزءا كبيرا من التراث اللغوى كان مهملا ، فيعيد الى اللغة جزءا مفقودا من ثرواتنا ، وكثير من الألفاظ التى وجدت فى الغرب تسير على هذا الطريق ، وتشمل مصطلحات متعددة فى الصناعات والفلسفات والعلوم .

ولذا نلاحظ ان اللفظ يحيا فى عصره ويموت فى عصر آخر تبعا للنظم الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية فى أطوارها المختلفة فلفظ (الاشتراكية) كان معروفا فى اللغة الا أنه لم يدر استعماله بمثل ما دار به فى هذا العصر ، ولفظ التراشق بالنيران لم يكن يلاحظ قبل اندلاع حرب السويس ، ولفظ (صاحب المعالى) أو (صاحب السعادة) كان شائعا قبل الثورة ، ثم اختفى منهما بقيامها .

٤ ــ اضافة الفاظ جديدة :

تستحدث اللغة بعض الألفاظ للحاجة اليها ، فقد يكون المجتمع بدائيا ، ثم يتطور ، وتكبر معه المخترعات ، وحاجات الحياة ، وقد لا تنهض ألفاظ اللغة بذلك ، فتخترع ألفاظا تستعمل فى هذه النواحى ، والارتجال ظاهرة لغوية فعالة تحدث عنها العلماء ، وقد قال ابن جنى : ان العربى الفصيح يرتجل ، ويكون ذلك

باحيـاء ألفاظ قديمة ، أو بالاشتقاق منهـا ، ويمكن أن تنشأ بعض الألفاظ دون سابق وجود لها ، وهذا يقع فى اللغات الأجنبية ، وفى لغتنا العربية ، وفى لهجـاتنا العـامية كثير من تلك الألفاظ المخترعة تبعا لحاجات الحياة النامية .

٥ ــ اقتراض الألفـاظ :

تبعا للعلاقات التى أشرنا اليها بين لغة قوم وآخرين ، سلمية كانت أو حربية ، فان ألفاظا من لغات الطرفين تنتقل الى كل منهما، وتستعمل فى التبادل اللغوى ، ويدخل فى ذلك ما يسمى فى العربية ، فاللغة التى تأخذ بعض الألفـاظ تحاول اخضاعها لقوانينها الصوتية، وموازينها البنائية ، حتى تشاكلها ، وتجرى على لسـان أربابها ، فبعض الأصوات لا يوجد فى لغة مـا ويوجد فى غيرها كصوت (أ) فى اللغات الهندية الأوربية ، ففى الفارسية مثلا ــ (بنـدق) عـرب الى (فنـدق) بالفـاء و (برند السيف) الى (فرنده) بالفـاء أو (برنده) ببـاء خفيفة .

وقد يحدث اتصال لغة بأخرى عدوانا على نظمها الصوتية ، وطغيانا على ألفاظها ، فتحل ألفاظ من اللغة الغالبة محل نظائرها من ألفاظ اللغة المغلوبة ، ويكثر ذلك ، فتمزق مجـالاتها اللغةالصوتية وتستولى عليها ،وتقضى عليها فى النهاية ، ويترك هذا الصراع آثارا فى اللغـة الغالبة فتشوه بعض صـوتياتها ، ومفرداتها وهذا يتوقف على حدة الصراع ، وامتداد زمانه بحيث يتناسب معه تناسبا عكسيا .

(ب) أثرها فى التراكيب والقواعد :

الزمن ، والصلات بين المجتمعات ، والحياة بمظاهرها المتعددة ، كفيلة بتغيير الأوضـاع اللغـوية ، وتراكيبها ، فالرجل البـدائى ــ كالطفل ــ لا يملك قوة العبارة ، أو سـلامتها وسلاستها بل يركبها حسبما يشـاء له تفكيره السـاذج ، وتبدو عليها الهلهلة والسـقم ، لأن حياته ليست رتيبة ، ولا نظام فيها ، وعنـدما يسمو تفكيره ، تسمو لغته ، وتصـبح دقيقة التعبير ، متسقة المسالك .

وتراكيب اللغات عرضة للتغير ، وقواعدها النحوية والصوفية عرضة لذلك أيضا ، يقـول بعض الباحثين : أن الأمم القديمة كانت تصنع الجمل فى الوقت الذى تصنع فيه الفكرة التى تحملهـا ، وهى لذلك محتـاجة الى ملاحقـة الجزئيـات ، وأدوات الفصـل والوصـل ، وأنواع الزوائد التى (تتجـاوب مع حركات عقلية جزئية تختلج فى الفكر فى لحظة التعبير على حين أن المتكلم باللغات الحيـة المعـروفة يكاد يفرغ من تكوين فكرته داخليا ، قبل سبكها فى قالب الكلام ، فيقل فيها ما يشعر بهذا الجهد الداخلى فى بناء الفكرة نفسها » (١) ومن هنا ضاع الاعراب فى اللهجات العامية العربيـة ، وفى معظم اللغات البشرية كما هو مشـاهد الآن .

ويذكر الباحث السـابق أن الانتقـال من التركيب المعرب الى التركيب الموقـوف يعـد ظاهرة حتمية فى تطور اللغات (٢) .

كذلك الاوزان التصريفيه عرضة لهذا التبدل والتغير ، فمثلا (غار فهو غائر) ــ من غـار على عرضه بمعنى : تمسك بحمايته ــ يقال : فى التعبير العامى (غيران) ــ على فعلان ــ خلافا للوزن العربى ، وصياغة المضارع اختلفت طرائقها فى القديم والحديث كما نشـاهد فى عامياتنا ، ولغتنا الفصحى .

---

(١) د. حسن ظاظا : اللسان والانسـان ص ١٢١ .
(٢) نفسه ١٢٠ .

اللغة والمجتمع

كذلك الغزو اللغوى يمكن أن يترك آثارا فى أساليب اللغات فيغير بعضها ، مثل ما نسمع فى العامية (هات واحد شاى) وأصله (أعطنى كوبا من الشاى) — (قابلنى اثنين من الشبان) والتعبير العربى (قابلنى شابان) .

ومثله تسرب بعض الأساليب والتعبيرات الأجنبية الى العربية : مثل : (ذر الرماد فى العيون) و (لعب دورا هاما) ونحو ذلك مما يمكن تتبعه فى اللغات الانسانية .

وهذا اللون من الدراسة يكشف عن المنهج الصحيح لدراسة اللغات الانسانية بتتبع سيرها التاريخى ، وما يحدث فيها من تغيرات فى معانيها وأصواتها ،وتراكيبها ،وما يفقد منها ، أو تستفيده بعضها من بعض .

ويمكن للباحث أن يدرك كيف يستطيع المجتمع أن يوجه اللغة الى الطريق الذى يسير فيه ، وأن يخضعها لعوامل المحافظة ، والبقاء ، أو الانقسام والموت .

ويمكن — على هذا المنهج — أن تدرس اللغة فى ظل علم الاجتماع وأن تعرف طرائفها الاجتماعية .

فتدرس اللغة دراسة وصفية ، تتناول الانسان من حيث نشأته ، وتدرجه فى جماعة معينة وأثره فى اللغة — بجانب جماعته التى ينتمى اليها — فى ضوء العوامل ، والظواهر الاجتماعية التى تتصل باللغة ، وبسلوك أفراد الجماعة ، ويدرس اعنى ، والألفاظ فى ظلال التاريخ اللغوى .

ويتناول اللغة من هذين الجانبين الوصفى ، والتاريخى يتبين أن اللغة تعد مميزا فرديا ومميزا طبقيا ، فيمكن أن تدرس اللغة والسياسة — اللغة والاقتصاد — اللغة والدين الخ ، وعلى أثر ذلك نستطيع أن ندرك مراحل التطور اللغوى وصلته بالمجتمع ، وأثار احتكاك اللغات واللهجات .

وقد كان علماؤنا القدامى فى دراستهم للغة يغفلون هذا الجانب المهم ، وهو الجانب الاجتماعى — ومن ثم جاءت تفسيراتهم — فى بعض الأحيان — غير سديدة ، ولكن بعض علماء الغرب تبعا للمدرسة الاجتماعية التى أسسها (اميل دور كيم) أدركوا أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فحاولوا دراستها على هذا الطريق ، وحذا حذوهم بعض علماء العرب فى العصر الحديث .

د / عبد الغفار حامد هلال

دراسات لغوية

الدلالة المعجمية

معناها وتطور بعض ألفاظها الاسلامية

للدكتور أمين فاخر

ولعل ما نقله السيوطى عن الصاحبى فى هذا يوضح لنا مدى ما أحدث الاسلام من تطور فى بعض الالفاظ . يقول : فكان مما جاء فى الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمى المؤمن بالاطلاق مؤمنا ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشىء ، ثم جاء فى الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر ، فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم أبطنوا غير من أظهروه ، وكان الاصل من نافقاء اليربوع ، ولم يعرفوا فى الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش فى الخروج عن طاعة الله تعالى .. ومما جاء فى الشرع الصلاة وأصله فى لغتهم الدعاء ، وقد كانوا يعرفون الركوع والسجود وان لم يكن على هذه الهيئة .. وكذلك الصيام أصله عندهم الامساك ثم زادت الشريعة النية

وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد، ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشرائعه ، وكذلك الزكاة لم يكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده .

وعلى هذا سائر أبواب الفقه ، فالوجه فى هذا اذا سئل الانسان عنه أن يقول فيه اسمان لغوى وشرعى ويذكر ما كانت العرب تعرفه . ثم جاء الاسلام به وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان لغوى وصناعى » (١) .

كما نقل السيوطى (٢) عن الجوهرى فى الصحاح قول ابن دريد : « الصفران شهران فى السنة سمى أحدهما فى الاسلام المحرم » ، وعن المجمل لابن فارس قول ابن الاعرابى : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم فاسق . قال وهذا عجب وهو كلام عربى ولم يأت فى شعر جاهلى » ، وعن الثعالبى فى فقه اللغة قوله : « اذا كان الفرس لا ينقطع جريه فهو بحر شبه بالبحر الذى لا ينقطع ماؤه من تكلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف فرس ركبه » .

ولم يقتصر ذلك على الالفاظ فحسب بل سمعت عبارات كثيرة فى الاسلام لم تكن موجودة قبله ، من ذلك ما نقله السيوطى (٣) أيضا عن الثعالبى فى فقه اللغة : « اذا مات الانسان من غير قتل قيل مات حتف أنفه وأول من تكلم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم » .

وعن ابن دريد « ومن الالفاظ التى لم تسمع من عربى قبله قوله « لا ينتطح فيها عنزان » وقوله : « الآن حمى الوطيس » ، وقوله : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، وقوله : « الحرب خدعة » ، وقوله : « اياكم وخضراء الدمن » .

واذا رجعنا الى كتب الاصول وجدناها تقرن المعنى اللغوى بالمعنى الشرعى الذى اصطلح عليه علماء الاصول ، ولنأخذ مثالا على ذلك كتاب (الاحكام فى أصول الاحكام) لابن حزم ، فهو يقول مثلا فى شرح معنى الايمان : « أصله فى اللغة التصديق باللسان والقلب معا لا بأحدهما دون الثانى ، وهو فى الدين التصديق بالقلب بكل ما أمر الله تعالى به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنطق بذلك باللسان » (٤) ثم يأخذ فى شرح هذا المعنى الاصطلاحى .

وكذلك لفظ الكفر يقول فى معناه « أصله فى اللغة التغطية قال عز وجل « كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ » ، قال لبيد :

ألقت ذكاء يمينها فى كافر .

يريد الليل لانه يغطى على كل شيء ، وهو فى الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الايمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق اليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معا ، أو عمل عملا جاء النص بأنه

(١) المرجع ج ١ ص ١٧٣ ، وانظر الصاحبى ص ٧٨ ومابعدها .
(٢) انظر المزهر ص ١٧٦ وما بعدها .
(٣) المرجع السابق .

(٤) الاحكام فى اصول الاحكام ج ١ ص ٥٥.

مخرج له بذلك عن اسم الايمان .. الخ » (١)

ويقول فى لفظ الشرك : « هو فى اللغة أن يجمع شيئا الى شىء فيشرك بينهما فيما جمعا فيه ، وهو فى الدين معنى الكفر سواء بسواء » (٢) .

ويذكر ابن حزم أن من الاوجه التى تنقل بها الاسماء عن معانيها : « نقل الاسم عن موضوعه فى اللغة بالكلية وتعلقه على شىء آخر كنقل الله تعالى اسم الصلاة عن الدعاء فقط الى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود وجلوس وقراءة وذكر ما ، لا يتعدى بشىء من ذلك الى غيره ، وكنقله تعالى اسم الزكاة عن التطهر من القبائح الى اعطاء مال محدود بصفة محدودة لا يتعدى ، وكنقله تعالى اسم الكفر عن التغطية الى الجحد له عز وجل أو لنبى من أنبيائه .. » (٣)

واذا كان علماء الاصول يوضحون المعنى اللغوى لهذه الالفاظ الاسلامية كما يوضحون المعنى الاصطلاحى الذى اصطلح عليه علماء الشريعة فاننا عند الرجوع الى معاجمنا العربية نجد أن بعضها يذكر المعنى اللغوى الذى هو الاصل ، ولا يغفل عن ذكر المعانى الشرعية التى حدثت أو تطورت بعد مجىء الاسلام ، ومن هذه المعاجم « لسان العرب » الذى يعد أوسع المعاجم العربية ، يقول ابن منظور فى مادة (صلا) مثلا : « الصلاة : الركوع والسجود والصلاة : الدعاء والاستغفار .. وصلاة الله على رسوله : رحمته له وحسن ثنائه عليه .. وتكون الصلاة بمعنى الدعاء ، وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل » قوله فليصل يعنى فليدع لارباب الطعام بالبركة والخير (٤) .. ومن الصلاة بمعنى الاستغفار حديث سودة أنها قالت : يا رسول الله اذا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا فقال لها : ان الموت أشد مما تقدرين . قال شمر : قولها صلى لنا أى استغفر لنا عند ربه .. وأما قوله : «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ» فمعنى الصلوات هنا الثناء عليهم من الله تعالى » .

ثم يقول ابن منظور فى نفس المادة حكاية عن ابن الاثير : « وقد تكرر فى الحديث ذكر الصلاة وهى العبادة المخصوصة ، وأصلها الدعاء فى اللغة فسميت ببعض أجزائها وقيل أصلها فى اللغة التعظيم ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقدس » (٥) .

وكذلك القاموس المحيط يذكر ذلك ولكن باجمال . يقول الفيروزأبادى « والصلاة الدعاء الرحمة والاستغفار والثناء من الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادة فيها ركوع وسجود » (٦) .

ويتضح هذا الاتجاه لبعض المعاجم فى كثير من المواد اللغوية التى تحمل ألفاظا اسلامية

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٥٦

(٣) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ١ ص ٤٧١

(٤) وفى التهذيب للازهرى جـ ١٢ ص ٢٣٦ « قال أبو عبيد : قوله فليصل يعنى فليدع لهم بالبركة والخير وكل داع فهو مصل » .

(٥) اللسان جـ ١٩ ص ١٩٨

(٦) القاموس جـ ٤ ص ٣٥٥

أخرى كالصوم والحج والايمان ونحوها ، ففى اللسان : « الصوم فى اللغة الامساك عن الشىء والترك له ، وقيل للصائم صائم لامساكه عن المطعم والمشرب والمنكح وقيل للصامت صائم لامساكه عن الكلام ، وقيل للفرس صائم لامساكه عن العلف مع قيامه (١) والصوم ترك الأكل ، قال الخليل : والصوم قيام بلا عمل ، قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم » (٢) .

والفيروزأبادى يجمع أيضا بين هذه المعانى فى معجمه ولكنه يجملها فيقول : « صام صوما وصياما واصطام : أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير .. والصوم : الصمت وركود الريح ورمضان » (٣) .

وكذلك فى (حج) يقول ابن منظور « الحج : القصد ، حج الينا فلان أى قدم وحجه يحجه حجا : قصده ، وحججت فلانا واعتمدته أى قصدته ، ورجل محجوج أى مقصود .. هذا الاصل ثم تعورف استعماله فى التوصل الى مكة للنسك والحج الى البيت خاصة تقول : حج يحج حجا ، والحج : قصد التوجه الى البيت بالاعمال المشروعة فرضا وسنة تقول : حججت البيت أحجه حجا اذا قصدته وأصله من ذلك ، وتقول حججت فلانا اذا أتيته مرة بعد مرة فقيل حج البيت لان الناس يأتونه كل سنة » (٤) .

(١) وانظر أيضا التهذيب للازهرى جـ ١٢ ص ٢٦٠
(٢) اللسان جـ ١٥ ص ٢٤٤
(٣) القاموس جـ ٤ ص ١٤٣
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٤٨ ومابعدها

ولكن القاموس لا يجاوزه يذكر المعنى الشرعى دون أن يوضح العلاقة بينه وبين المعنى اللغوى فيقول : « الحج : القصد والكف والقدوم .. وكثرة الاختلاف والتردد وقصد مكة للنسك » (٥) .

ويقول فى (أمن) « وأمن به ايمانا صدقه . والايمان الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة » (٦) .

وقد تذكر بعض المعاجم للفظ عدة معان شرعية غير المعنى الذى اصطلح عليه علماء أصول الفقه منبهة الى أنها قد استعملت فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

من ذلك قول ابن منظور فى (زكا) مثلا : « الزكاة : زكاة المال معروفة وهو تطهير والفعل منه زكى « يزكى » تزكية أدى عن ماله زكاته »(٧) ، ثم يقول حكاية عن غيره من علماء اللغة : « وأصل الزكاة فى اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل فى القرآن والحديث » (٨) .

ويكتفى أصحاب بعض المعاجم أحيانا بالاشارة الى العلاقة القوية التى تربط بين المعنى اللغوى القديم وبين المعنى الاسلامى الجديد ، وهؤلاء عادة من أصحاب الاشتقاق الذى يحاولون دائما ارجاع الكلمات الى أصل اشتقت منه ، وعلى رأس هؤلاء صاحب الجمهرة ابن دريد وهو أيضا صاحب كتاب الاشتقاق ، فهو يذكر فى معجمه مثلا فى مادة

(٥) القاموس جـ ١ ص ١٨٨
(٦) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٩٩
(٧) اللسان جـ ١٩ ص ٧٧
(٨) المرجع السابق ص ٧٨

(ص ل و) أن « الصلاة : العظم الذى فيه مغرز عجب الذنب وهما صلوان ، والصلاة من الواو وتجمع صلوات ، قال بعض أهل اللغة اشتقاقها من رفع الصلا فى السجود ، والصلا : العظم الذى عليه الاليتان وهو آخر ما يبلى من الانسان » (١) .

ويقول فى (ص و م) : « الصوم : الامساك عن المأكل والمشرب ، وكل شىء سكنت حركته فقد صام يصوم صوما ، قال الشاعر النابغة الذبيانى :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

..وصام النهار اذا دومت الشمس فى كبد السماء » (٢) .

ويقول فى (ف س ق) « والفسق أصله من قولهم انفسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ومنه اشتقاق اسم الفاسق لا نفساقه من الخير أى لا نسلاخه منه » (٣) .

وبعد هذه الامثلة التى عرضناها نستطيع القول بأنه ليس بصحيح اذا ما ذهب اليه بعض المستشرقين من أن المعاجم العربية قد خلت من ذكر التطور فى معانى الالفاظ المتفرعة من المواد اللغوية .

كذلك ليس بصحيح ما ذهب اليه بعضهم من أن المعاجم العربية أيضا قد خلت من التنبيه على ما بين الالفاظ بعضها مع بعض وما بينها وأصل المادة من علاقات وروابط ، وأنها لم تذكر معنى عاما للمادة اللغوية ، فالحق أن بعض المعاجم العربية اذا كانت قد أهملت هذا الربط بين الالفاظ فان بعضها الآخر قد عنى بذلك عناية كبيرة فنبه فى معظم المواد اللغوية على وجود معنى عام يجمع بين معانى ألفاظ المادة بحيث يصير كالمركز لهذه الالفاظ وتصبح العلاقة واضحة جلية بين أصل المادة وما تفرع منها من ألفاظ وهذا ما عرف عند علماء اللغة المحدثين بدوران المادة حول معنى واحد ، وهو يعد من خصائص العربية اذ يمثل نظرية تعتبر بحق كما قال أحد الباحثين المحدثين : « ميزة للغة العرب لا توجد فى غيرها من اللغات لان الالفاظ فى اللغات الاخرى يعتريها من التبدل والتغيير ما يزيل هذا الاصل ويستر أصوله ومعالمه » (٤) .

ويعتبر العالم اللغوى أحمد بن فارس الرازى (ت ٣٩٥ هـ) مؤلف معجم مقاييس اللغة أول من فرق — فى معجمه هذا — بين الحروف الاصلية التى تعد أساسا لكل ما تفرع منها من ألفاظ سواء اجتمعت هذه الالفاظ كلها حول معنى واحد أم لم تجتمع وبين ما سماه بالاصل وهو ذلك البناء الذى يتفرع منه ألفاظ تجتمع كلها حول معنى واحد ، ومن هنا نجد الحروف الاصلية قد تكون أحيانا أصلا واحدا كما فى (ب ح ث) مثلا فانها عنده « أصل واحد يدل على اثارة الشىء ، قال الخليل : البحث طلبك الشىء فى التراب ، والبحث أن

(١) الجمهرة حـ ٣ ص ٨٨
(٢) المرجع السابق ص ٨٩
(٣) المرجع السابق (فسق) .

(٤) فقه اللغة د. ابراهيم نجا انظر ص ٣٢

تسأل عن شيء وتستخبر ، تقول : استبحث عن هذا الامر ، وأنا استبحث عنه ، وبحثت عن فلان بحثا . وأنا أبحث عنه ، والعرب تقول : « كالباحث عن مدية » يضرب لمن يكون حتفه بيده ، وأصله فى الثور تدفن له المدية فى التراب فيستثيرها وهو لا يعلم فتذبحه قال :

ولاتك كالثور الذى دفنت له
حديدة حتف ثم ظل يثيرها (١)

قال : والبحث لا يكون الا باليد ، وهو بالرجل الفحص ، قال الشيبانى : « البحوث من الابل التى اذا سارت بحثت التراب بيدها أخرا أخرا ترمى به وراءها .. ويقال بحث عن الخبر ، أى طلب علمه .. قال أبو زيد : الباحثاء ، على وزن القاصعاء : تراب يجمعه اليربوع ، ويجمع باحثاوات » (٢) .

فلما كانت كل هذه الالفاظ أو هذه الصيغ المتفرعة من (ب ح ث) ترجع الى معنى علم واحد هو اثارة الشيء جعلها أصلا واحدا .

وقد تدل الحروف فى بعض الاحيان على معنيين عامين بحيث يرجع الى كل معنى منهما بعض ألفاظ المادة ، وحينئذ نقول ان المادة لها أصلان : وذلك كما فى (ب د ع) مثلا ، ففى المقاييس أيضا : (بدع) الباء والدال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكلال .

فالاول قولهم أبدعت الشيء قولا أو فعلا اذا ابتدأته عن سابق مثال ، والله بديع السموات والارض ، والعرب تقول : ابتداع فلان الركى اذا استنبطه ، وفلان بدع فى هذا الامر ، قال الله تعالى : **« قل ما كنت بدعا من الرسل »** (٣) أى ما كنت أول .

والاصل الآخر قولهم : أبدعت الراحلة . اذا كلت وعطبت ، وأبدع بالرجل ، اذا كلت ركابه أو عطبت وبقى منقطعا به ، وفى الحديث: « أن رجلا أتاه فقال يا رسول الله انى أبدع بى فاحملنى » ، ويقال الابداع لا يكون الا بظلع (٤) ، ومن بعض ذلك اشتقت البدعة » (٥) .

وهكذا نجد الألفاظ المتفرعة من (ب د ع) بعضها يدل على معنى عام هو الابتداء وبعضها الآخر يدل على معنى عام آخر هو الانقطاع والاكلال ، ولهذا اعتبرت أصلين مع أن الحروف الاصلية فى جميع الالفاظ المتفرعة منهما متحدة .

وقد تدل الحروف على ثلاثة معان عامة أى ثلاثة أصول . وقد تدل على أكثر من ذلك : أربعة أو خمسة وان كان ذلك نادرا ، والامثلة على كل ذلك كثيرة جدا فى معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، بل ان هذا المعجم فى شرحه للمواد يقوم على هذه الفكرة التى يطلق عليها

---

(١) البيت لابى ذؤيب الهذلى ، انظر ديوانه ص ١٥٨ ، وحماسة البحترى ص ٢٨٦ ، الحيوان جـ ٥ ص ٤٧٠

(٢) انظر مقاييس اللغة (بحث) جـ ١ ص ٢٠٤

(٣) سورة الاحقاف الآية رقم ٨

(٤) الظلع : الميل فى الشيء

(٥) يبدو أن هذا المثال الاخير راجع الى الاصل الاول بدليل قوله فى المجمل : « لان قائلها ابتدعها من غير مقال امام »

بعض الباحثين : « دوران المادة حول معنى واحد » (١) حيث يرى هؤلاء أن المادة بمعنى الحروف الاصلية ينبغى أن يدل جميع ألفاظها على معنى عام واحد وأن تقسيم ابن فارس المادة الى أصلين أو أصول انما هو عند بعضهم « لون من الترف العقلى أو التزيد العلمى ؛ ربما أراد به ذلك العلامة الجليل أن يظهر قوه ساعده فى تلمس الفروق الدقيقة بين المفردات التى يرجع البحث العلى المنهجى أنها تفرعت من أصل واحد لا من أصول متفرقة » (٢) ، ويرمون هذا العالم — مع دقة مذهبه — بالتكلف حين يذكر مثلا فى (ع ر ف) أن « العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشىء متصلا بعضه ببعض ، والآخر على السكون والطمأنينة » مستشهدين على ذلك بما ذكر فى المقاييس من الكلمات المتفرعة من كل أصل فى هذه المادة ، ذاهبين الى أنه يمكن رجوع أحد الاصلين وما تفرع منه الى الاصل الآخر « فمعنى السكون والطمأنينة فى العرفان والمعرفة والعرف المشموم ، والعرف بين الله والناس ليس الا نتيجة لا نكشاف الشىء وظهوره » (٣) .

ويقرر بعض الباحثين أخيرا أن « امكان الرجعة بالفروع المختلفة — مهما تتعدد صيغها — الى أصل واحد يوحى بالرابط المشترك بينها أمر فى العربية ذو بال يؤكد احتفاظ هذه اللغة بأنسابها مثل ما تحتفظ العرب بأنسابهم ، وأن تجمع الالفاظ العربية فى أصل واحد ينتظم فروعها لما يسهل على الباحث التمييز بين الاصل والدخيل » (٤) .

وهذا الرأى يؤيد قول بعض المحدثين أيضا : « ان الالفاظ العربية كالعرب أنفسهم تتجمع فى قبائل وأسر معروفة الانساب ، وتحمل هذه الالفاظ دوما دليل معناها وأصلها وميسم نسبها ، وذلك فى الحروف الثلاثة الاصلية التى تدور مع ما يتولد عنها ويشتق منها من ألفاظ » (٥) .

ونحن لا ننكر أن كثيرا من مواد اللغة يمكن أن ترجع ألفاظها الى معنى عام واحد كما سبق فى (ب ح ث) الدال على اثارة الشىء ، وكما فى نحو (أ ب ت) الدال على الحر وشدته ، و (أ ف ك) الدال على قلب الشىء وصرفه عن جهته . و (أ ك م) الدال على تجمع الشىء وارتفاعه قليلا ، و (أ ل هـ) الدال على التعبد ، و (أ ى د) الدال على القوة والحفظ ، وغير ذلك كثير جدا لا يمكن حصره هنا ، ولكن القول باطراد ذلك فى جميع مواد اللغة انما هو ضرب من الخيال ، فليس من واقع اللغة فى شىء أن نحكم على كل الالفاظ المتفرعة من حروف

(١) انظر تفصيل هذه المسألة فى كتابنا : ابن فارس اللغوى : منهجه وأثره فى الدراسات اللغوية (مخطوط بكلية اللغة العربية)
(٢) انظر دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ١٩١
(٣) المرجع السابق ص ١٩٢

(٤) المرجع السابق ص ١٩٣
(٥) انظر دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ١٩٣ ، وانظر فقه اللغة للمبارك ص ٥٤ ، وابن فارس اللغوى د. أمين فاخر ص ٢٢٢

معينة بالرجوع الى معنى عام واحـد ، لاننـا حين نرجع الى المعاجم العربية نجد أن مثل هذه الالفاظ قد تختلف أحيانا فى معانيها العامـة اختلافا شـديدا لا يمكن معه بأى حـال امكان وجود نوع من التقارب بينهـا ، فمن ذا الذى يقول مثلا فى المثال السابق (ب د ع) انه يمكن ارجاع معنييه العامين : ابتداء الشىء والانقطاع والكلال الى معنى عام واحد ، أو يقول فى (أ هـ ب) الذى يتفرع منه الاهاب : الجلد قبل أن يدبغ ، والتأهب : منه التأهب لسير ، وأخذ فلان أهبته انه يدل على معنى عام واحد ؟ نعتقد أنه لا يمكن القول بذلك فى كثير من المواد الا بتكلف وتعسف .

ولقد يصل هذا الخلاف بين المعانى العامة فى المادة الواحدة أحيانا الى درجة التضاد أو التناقض أن التقابل ، فعلى سـبيل المثال نجد الحروف الاصلية (ع د ل) تدل على معنيين عامين متقابلين ، أحدهما الاستواء ، والآخر الاعوجاج .

فمن الاول : « العدل : خلاف الجور ، عدل عليه فى القضية فهو عادل » .

وقال الفراء : العدل بالفتح : ما عـادل الشىء من غير جنسه ، والعدل بالكسر المثل .. والعديل : الذى يعادلك فى الوزن والقدر .. وتعـديل الشىء : تقويمه » (١) .. الـخ ، وأكثر كلمات هذا الجزء تدل على هذا المعنى .

ومن الثانى : « عدل عن الطريق : حار ، وانعدل عنه بمثله » (٢) ، ويقال : « عدلت الدابة الى طريقها : عطفتها » (٣) .

وهكذا نجد أنه لا ينبغى حين نريد استخراج العلاقة بين معانى الالفاظ فى المادة الواحدة أن نتكلف أو نتعسف ، بل ينبغى أن نراعى الحيطة والتلطف فى اسـتنباط هذه العلاقة كما فعل علمـاؤنا العرب القـدامى فى بعض معاجمهم اللغوية .

---

(١) الصالح للجوهرى جـ ٢ ص ٨٨
(٢) الصحاح للجوهرى جـ ٢ ص ٨٨
(٣) اساس البلاغة ص ٤١١

د . أمين محمد فاخـر

- ماذا بعد رمضان ؟!
- حلاوة الإيمان
- وسطية الإسلام (٢)
- خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي

في التشريع الإسلامي

ماذا بعد رمضان

فى نهاية رمضان من كل عام يجمل بالمسلم أن يراجع ما حصده فى هــذا الشــهر الكريم من جميل الخــلال وعظيم الأعمــال وجليــل المواقف ونبيل المشاعر : يحسن به أن يســأل نفسه فى شرف وأمانة :

هل استطاع ان يبرهن فى هذا الشهر على ولائه لربه ، وتعظيمه لشــعائره ومحارمه ؟ هل وفق الى علاج ما بدا له من عيوب وأدواء ؟ بل اننى أرجــو أن يسال نفسه فى أمانة :

كم خاطرا جبر ؟ وكم دمعة مســح ؟ وكم بسمة أشاع ؟ وكم بهجة وأملا نشر فى قلوب ونفوس أهله ومواطنيه ؟

ان الاجابة الصريحة الواعية على مثل هذه الأسئلة تحدد له على الفور قيمة طاعته وبلائه فى سبيل الله ، كما توضح فى الوقت ذاته قدره عند نفسه وعند ربه وعند أمته •

وقد نكون من الصراحة والاخــلاص فنجيب بما قد يحز فى نفوســنا ، ويثير فينا الأسى والندم ، اذ قد ندرك تقصيرنا وعدم افادتنــا الكاملة من رمضــان ، وقــد ندرك نعمة الله علينا ، وتوفيقه ايانا فى حسن استثمار هــذا الشــهر الكريم ممــا يثلج صــدورنا ويبهج أنفسنا ، ويحرك ألســنتنا بالشــكر والثناء والتقديس للمنعم الموافق والراعى المتفضــل جل جلاله •

وقد تحرك فينا الاجابة نوعا من الامتزاج الغامض فى المشــاعر والأحاســيس ، فقــد تتقاسمنا مشاعر الفرح مشــوبة بأحاســيس شفافة من الندم الغافى الخفيف •

وربما يكون ذلك كــذلك لأن المشــاعر المتناقضة تتنازعنا ، فتأخذنا جــانب الفرح تارة ، ويشدنا جانب الأسى تارة أخرى •

قد نرى ما فعلناه ماثلا أمامنــا بحســنه وقبحــه ؛ فنفرح لمجــالى الحسن ، ونأسى لشواهد القبح كمن « خلط عملا صالحا وآخر سيئا » ونعتبر مثل هذا الاحســاس نفســه نــوعا من العقوبة المعجلة للمخلطين الــذين يترددون بين اللذه والألم ، والبهجة والأسى مما ينال حقيقــة من اســتقرارهم النفسى ، وطمأنينتهم القلبية ، ولكنها عقوبة هادفة نافعة النتائج شريفة الأهداف ، لأنها تحمل الانسان

للدكتور
محمد كمال جعفر

على لوم نفسه ومحاولة تحسين سلوكها ، وذلك ولا شك من أمارات التقدم والتطور . لكن الذى يجب تأكيده ، هو الحصاد الروحى والنفسى والعقلى والأخلاقى الذى خرج به المسلم من ممارستهواجبات وآداب هذا الشهر الكريم . ان هذا الحصاد هو الزاد الدائم الذى سيمد الانسان بالطاقة الروحية والنفسية والعقلية والأخلاقيه اللازمه له فى دنيا تعامله مع اخوانه وعشيرته وأبناء أمته بقية العام ، وهذا ما يوضح لنا أهمية الدور الذى يؤديه هذا الشهر الكريم فى حياة المسلم البصير .

اننا قد نجد كثيرا من المسلمين وقد تبدلت أنماط سلوكهم الى الأفضل والأحسن والأكمل فى رمضان ، فاذا ولى وانتهى عادوا سيرتهم الأولى ، وشاب حياتهم ما كان يشوبها من شوائب . ومثل هؤلاء غافلون تماما عن الرسالة السامية التى يؤديها هذا الشهر الكريم بالنسبة لهؤلاء الناضجين المبصرين الذين كتب لهم التوفيق فجنوا ثمرة الاخلاص فى عبادة خالقهم وخدمة بنى جنسهم .

ان هؤلاء الناضجين يدركون أن التهذيب الخلقى والصحة النفسية التى تعتبر ثمرة طبيعية لممارسات هذا الشهر هى فى الواقع بعض الحصاد الذى يخرج به الصائم من رمضان .

لهذا لاتعتبر من لم يتغير سلوكه الى الأفضل بعد هذا الشهر ـ لا تعتبره مستفيدا من رمضان ، ان السمو والتطهر الذى نشعر به فى رمضان هو المطلب الأساسى والوجهة الحيوية لكل مسلم أصيل ـ وما رمضان الا أنسب الفرص للعون على تحقيق مثل هذا السمو والتطهير ليدرج عليه الانسان طيلة العام .

ان رمضان قد لقننا دروسا واضحة محددة تعتمد على التجربة الفعلية ، والممارسة التطبيقية التى علمتنا هذه الحقائق الدقيقة والحاسمة فى نفس الوقت .

ولعل أقرب هذه الحقائق الى الادراك حقيقة المساواة الربانية بين النفوس

ماذا بعد رمضان ؟!

والأجناس التى يجب أن تمارس عبادة واحدة متحدة البدء والانتهاء والسمات . وهذه المساواة ليست مساواة شكلية أو سطحية ، ولكنها مساواة حقيقية تؤيدها شواهد المشاعر والمواقف وصور الأداء الفعلى .

ومن هذه الحقائق التى يعلمها رمضان . أن الانسان قابل وقادر على التعالى على التراب وما أخرج ، فترة من الزمن ، امتثالا لأمر الخالق ، وانسجاما محدودا فى الظاهر والباطن مع السمت الملائكى .

ومن هذه الحقائق الهامة : أن المعاناة التى تعرض لأهل رمضان والتى تجمع بينهم يجب أن تحمل القادر على رفع مثل هذه المعاناة عن اخوته بقية العام ، وليس فى هذا الشهر فحسب ، لأن الصائم يحس بموارد الاحسان عليه فى هذا الشهر بصورة ملموسة محسوسة حتى انه ليحلو عنده كل شىء ، ولابد أن يوجه ذلك نظره الى محبة الاحسان بمعنييه الكبيرين : الاحسان من منطلق السخاء والكرم ، والاحسان من منطلق الدقة والاتقان .

ومن هذه الحقائق أن الربط بين رمضان والقرآن انما هو تدريب عملى على معانقة القرآن والالتزام بأحكامه والتمتع بتأمله وتدبره ، لتأنس النفس الى مقتضيات تعاليمه والسير على منهاجه .

ومن البدهى أن مثل هذا الالتزام وهذه الموافقة لا يمكن أن تقتصر على فترة معينة أو زمن محدود وانما تسترسل النفس مع آدابه — بعد أن تكون قد تدبرت — طيلة العام وبخاصة اذا حالفها التوفيق فى شهر رمضان.

ان المسلم البصير عليه أن يتأمل حصاده مدركا تماما أن هذه الحصاد يجب أن تسبقه مرحلة الحرث والزرع والكد والمعاناة ، فمن رأى نفسه بغير حصاد فهو المضيع بين العباد ، وهو الجدير حقيقة بأن يأسى ، وما لأساه من نفاد ، لأنه ضيع الفرصة ، وبلع الغصة ، وحرم نفسه من مائدة أوسع الله فى جوانبها ، وأسبغ على مدعويه منها الآلاء .

ومن رأى حصاده وفيرا فليشكر لربه حسن توفيقه وكريم عونه ، وليستخدم هذا الثراء الأخلاقى والنفسى والروحى فى اسعاد نفسه وأهله واخوته وأمته ليأتى العام القادم وقد ضاعف له الله الأجر ، وأجزل له المثوبه وأمده بالمزيد الذى وعد به فى قوله : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » .

اننا قد انتهينا من شهر الصيانة النفسية والاصلاح الروحى ، فلننطلق بطاقاتنا وملكاتنا وقد شاع فيها ضوء رمضان ونور القرآن وأمرها القوى المنان ، لننطلق بناء وايجابية وفعالية ، آملين فى مزيد عونه ، ودوام نصره وتأييده .

دكتور محمد كمال جعفر

دراسات قرآنية

حلاوة الإيمان

للأستاذ
موسى محمد على

أخرج الامام البخارى فى صحيحه ، عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان :
أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

ان بذل الروح فى الله تعالى ، خير من الحياة بغير الله ، والرجوع الى الله سبحانه ، خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله ، وما يؤثره العبد على الله غير مبارك له ، فى الدنيا والآخرة .

والله سبحانه وتعالى اذا لبس على بصيرة قوم لم ينفعهم نفاذ أبصارهم ، واذا فتح أسرار قوم لايضرهم انسداد بصائرهم .

واذا أراد سبحانه بعبده خيرا مده بنور التحقيق ، وأيده بحسن التوفيق ، فيميز بحسن البصيرة بين الحق والباطل ، فلا يظله غمام الريب ، وينجلى عنه غطاء الغفلة ، فلا تأثير لضباب الغداة فى شعاع الشمس عند متوع النهار .

والايمان : اعتقاد صادق يقينى ، ومحله من النفس هو القوة العاقلة .

حلاوة الإيمان

والكفر : اعتقاد كاذب غير يقينى ، ومحلـه من النفس هو القوة المتخيلة .

وقد تصلح القوة المتخيلة للاعتقاد الصالح، ولن تصلح القوة العاقلة للاعتقاد الكاذب ، ومن الواجب على الانسان أن يعرض جميع ما يسنح لقوته المتخيلة من الأبواب الاعتقادية علـى قوته العاقلة ، ليأمن به آفات الكذب ، غـير أنه ربما كره عرضه عليها تفاديا من أن يعاب بالنقص ، أو يؤنب بالكذب .

وظاهر هذا الحديث الذى نحن الآن بصدده يدل على أن الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية ؟ واختلف العلماء فى ذلك .

فحملها الفقهاء على المعنى ؛ وحملها أهـل السنة على المحسوس ، وأبقوا اللفظ علـى ظاهره من غير أن يتأولوه ، والصواب معهم فى ذلك ، لان ما ذهبوا اليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل ، وهو أحسن مـن التأويل مالم يعارض لظاهر اللفظ معارض .

ويشهد لما ذهبوا اليه ، أحوال الصـحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح ، وأهل المعاملات ، فقد ورد أنهم وجدوا الحـلاوة محسوسة ، ومن جملة ماورد فى ذلك : حديث بلال رضى الله عنه حين صنع به ماصـنع فى الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول : أحـد أحد ، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان .

وكذلك أيضا عند موته ، أهله يقـولون : واكرباه وهو يقول : واطرباه .

غـدا القى الأحبـه

محمـدا وحـزبه

فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ، وهـى حلاوة الايمان .

ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسـه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته ، فقيـل له فى ذلك ، فقـال :

ما كنت فيه أكبر من ذلك ، ومـا ذاك الا للحلاوة التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك .

ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهمـا النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش المسلمين ، فنام احدهمـا وقام الآخر يصلى فاذا الجاسوس من قبـل العدو قد أقبل فرآهما فكبد الجاسوس القوس ورمى الصحابى فأصابه فبقى على صـلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطـع لذلك صلاته ، ثم رماه ثالثة فأصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال :

« لولا أنى خفت على المسـلمين ما قطعت صـلاتى » .

وما ذاك الا لشدة ماوجد فيها من الحلاوة حتى أذهبت عنه ما يجده من ألم السهام .

ومثل هذا ماورد عن كثير من أهل المعاملات يطول الكلام عليه .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « أن يكـون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله عز وجل ، وأن يكـره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار».

هذه الثلاثة ألفاظ ترجـع الى اللفظ الأول منها وهو : « أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » .

لأن من ضرورة المحبة لله تعالى ، ولرسوله

صلى الله عليه وسلم ، أن يدخل من ذكر بعد في ضمنه ، لكن فائدة اخباره عليه الصلاة والسلام أنه يريد به ، أن من ادعى حب الله تعالى ، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليختبر نفسه في حب المرء ، لماذا يحبه ، وفي الاكراه على الكفر كيف يجد نفسه ان ابتلى بذلك ، لأنه قد يسبق للنفوس ادعاء بحب الله تعالى . وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، فجعل عليه الصلاة والسلام هاتين العلامتين تفرق بين الدعوى والحقيقة ، ومثل هذا قوله عز وجل :

« وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

لأن حقيقة الايمان أن يتوكل صاحبه في كل أموره على ربه ، ويعتمد عليه وان كان بغير ذلك ، فانما هو دعوى ، وكذلك من ادعى حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لم يصدق في هاتين العلامتين المذكورتين ، فحبه دعوى لا حقيقة .

ولقد عبر صلوات الله وسلامه عليه عن تناهي الايمان بالحلاوة ، ولم يعبر بغيره ، لأن الله عز وجل ، شبه الايمان بالشجرة في كتابه حيث قال :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » .

والكلمة الطيبة هي كلمة الاخلاص ، وهي أس الدين ، وبها قوامه .

فكلمة الاخلاص في الايمان : كأصل الشجرة لا بد منه أولا ، وأغصان الشجرة في الايمان عبارة عما تضمنته كلمة الاخلاص من اتباع الأوامر واجتناب النواهي ، والزهر في الشجرة ، هو في الايمان عبارة عما يحدث للمؤمن في باطنه من أفعال البر . لما روى عنه عليه الصلاة والسلام :

« من هم بحسنة خرجت على فيه رائحة عطرة فيشمها الملك فيكتب له حسنة » .

والزهر في الشجرة له رائحة عطره ، وما ينبت في الشجرة من الثمر هو في الايمان عبارة عن أفعال الطاعات ، وحلاوة الايمان في الشجرة ، هي في الايمان : عبارة عن كماله وعلامة كماله ما ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث .

لان غاية فائدة الثمرة تناهي حلاوة ثمرها وكماله ، ولهذا قال تعالى :

« تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » .

وأكلها على أحد الآراء دائم ، فثمرة المؤمن من لاتزال أبدا . ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام : نية المؤمن أبلغ من عمله .

ومعناه : أن المؤمن في عمله ونيته عند فراغه كعمل ثان ، فالزهر هو النية ، والثمر هو العمل الصالح ، وبدو الصلاح هو اتباع السنة في العمل لقوله عليه الصلاة والسلام :

« ان الله لا يقبل عمل امرىء حتى يتقنه ، قالوا يا رسول الله وما اتقانه قال : يخلصه من الرياء والبدعة » .

فترك السنة فى العمل عاهة تمنع من بدو صلاحه ، فاذا لم يبد صلاحه فمن باب أولى أن لا يصل الى تناهى الحلاوة ، ويرد على هذا المعنى بحث دقيق ، لان الثمرة اذا لم يبد صلاحهالا يجوز بيعها بمقتضى منع الشارع عليه الصلاة والسلام ذلك والبيع فى هذه الثمرة هو القبول ، لقوله عز وجل :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » الآية ولهذا المعنى أشار عليه الصلاة والسلام بقوله : « ان الله لا يقبل عمل امرىء حتى يتقنه » .

فاذا لحقت العاهة العمل فلا اتقان فلا يكون قبول ، وهذه هى دائرة بعض العوام لجهلهم بالسنة الشريفة المطهرة ، وتناهى الطيب وانما يكون للخواص وكيفية تناهى الطيب فى العمل هو أن يعمل العمل حبا فى الله تعالى ، وفى رسوله صلى الله عليه وسلم ، على ما جاء فى الحديث لا يريد غير ذلك ، فيكون عمله مشكورا لقوله عز وجل :

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا » .

وقوله سبحانه : « وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا »

فلاجل هذه النسبة وهذا الاتحاد الذى بين الشجرة والايمان ، عبر عليه الصلاة والسلام فى الحديث بالحلاوة ، ولم يعبر بغيرها ، ليقع المثال فى كل الحالات .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :

« الناس كشجر ذات جنا ويوشك أن يعود كشجر ذات شوك » .

فشبههم عليه الصلاة والسلام أيضا بالشجرة وهم كذلك لاشك فيه ، لان من تقدم من السلف كان ايمانهم كاملا يتتبعهم للأمر والنهى ، وحبهم لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والنصيحة التى كانت بينهم حتى لقد كانوا اذا التقى بعضهم مع بعض يقولون : تعال نؤمن ساعة ، فكانت شجرة ايمانهم متناهية فى الطيب والحلاوة .

وأما اليوم فقد ذهب ذلك وظهر ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، لرجوعهم كشجر ذات شوك ؛ لعدم اتباعهم للأمر والنهى ، وترك النصيحة بينهم ، والغش الذى فى صدورهم ، فرجع موضع النصيحة غشا ، وموضع الامتثال مخالفة ، فلم يبق معهم من صفة الايمان فى غالب أحوالهم الا النطق بالكلمة ، وما عداها من الافعال بضد ما يقتضيه الايمان ، فبقى لهم الاصل وذهبت ثمرته التى هى الاعمال .

وكما أن من عدم العقل لم يزده السلطان عزا ، فكذلك من عدم الايمان لم تزده الرواية حكمة .

والعوام يقصدون الحسنات فيخطئونها ، لجهلهم بشروطها ، والفجار يقصدون السيئات فيرتكبونها للسرارة التى قد ارتضعوها ، فقد جمعها تنكب الحسنات ، وأحدها رداءة القصد لتعاطى الشر .

وهذا هو حال عامتهم اليوم ، اللهم الا القليل النادر لقوله عليه الصلاة والسلام :

« لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم » .

فهذه الطائفة هى التى أخبر بها عليه الصلاة والسلام ، وهى التى لم تزل ثمـــرة تطعم وتتناهى فى الحلاوة ، كما كان السلف رضى الله عنهم ، ولولاهم ما أمطرت السماء قطـــرة ، ولا أنبتت خضرة ، ولوقع الهلاك بمن تقـــدم ذكرهم ، ولكنه عز وجل يمهلهم لمجاورتهم لاهل الايمان المتحققين .

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ » .

واذ تقرر هذا وقد تبين أن اعتقـــــادات المتدينين راجعة كلها الى الاركان التى هى : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورســـله ، واليوم الآخر ، وأن الواجب علينا أن نقابل كل واحد مما أسسته الملة الحنيفية منها بنظيره من الاديان الاخرى ، ليتضح به شرف الاسلام عليها ، فمن الواجب أن نصرف السعى اليه .

بيد أن دين الاسلام هو دين كريم الصحبة ، يعز من لجأ اليه ، ويستر عيوب من اتصـــل به ، مع ما يدخر له فى عاقبته من الغبطـــة الابدية ، والسعادة الأخروية .

وأحق الاديان بطول البقاء ما وجـــدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين ، ليجد كل من ذوى الطبائع المختلفة ما يصلح به حالـــه فى معاده ومعاشه ، ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته .

وكل دين لم يوجد على هذه الصفة ، بـــل أسس على مثال يعود بهلاك الحرث والنســـل فمن المحال أن يسمى هينا لينا فاضلا .

وفضائل الناس لن تتم الا بامتزاج أحوال الدين والدنيا، واشتباك أسباب الآخرة بالاولى.

ودين الاسلام هو المنتظم لها كلها ، والوافى بعامة أبوابها ، وذلك ظاهر لمن تأمل مواقعهـــا من كتاب الله تعالى ، فانه ما من مكرمة الاوقد جرد ذكرها ، وتحرز فى غير موضع من الآيات موضعها .

ولمقابلة هذا الدين الحنيف بغيره من الاديان الاخرى ، وحتى تكون المقابلة هادفة وذات أثر عميق اخترنا أن تكون المقابلة فيما يلى :

*** اثبات الصانع سبحانه وتعالى :**

فاننا لم نجد أهل دين من الاديان عنـــوا بتقديم المقدمات العقلية ، لاستخراج النتائج النظرية ، فى استخلاص توحيد الله تعالى من شبهات المعاندين ومغالطات المغالطين ، ما عنى به متكلمو دين الاسلام ، فانهم بلغوا فيـــه مبلغا شهد المعنيون بالفلســـفة ، والمحققون من ذوى الحكمة على تقدم شأوهم فى تحصيل الحق منه وسلامتهم عن :

التشبيه الذى اعتقده اليهـود ، والتثليث الذى اعتقده النصارى ، والضد الذى اعتقده المجوس ، والشرك الذى اعتقده عبدة الأوثان، حتى جردوا القول بالتصريح فقالوا :

« تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُـــمْ : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ » .

ثم أجروا كلمة الاخلاص فى دعائهم ، حتى انك تجد العملة ، والصناع ، والمحـــــاربة والحراثين يتنادون بها فى البر والبحر ، والسهل والجهل ، ليلا ونهارا ، مساء وصباحا، مصدقين به لما وصفوا فى الكتب المنزلـة بأنهم يملأون الأرض تهليلا وتسبيحا ، وتكبيرا وتحميدا .
وأهل سائر الأديان لا يذكرونها الا النادر ، وذلك قوله تعالى :

« وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَـا وَأَهْلَهَا » .

*** واما اثبات الرسل :**

فان أحدا من أهل الأديان لم يسلم فى طرف الغلو والتقصير فى شأنهم الا الاسلاميون .
أما الغلو مما ادعته النصـــارى فى عيسى ، والتقصير الذى جحد به اليهود نبوة ابراهيم ، والاقتصاد من وصفه، على أنه كان رجلا صالحا ونسبهم لوطا الى الفجور ببنتيه فى حـــال السكر .

وأهل الاسلام سلموا عن ذلك ، وقالوا فى الانبياء كلهم :

انهم عباد الله مصطفون، وخيار معصومون، ثم رؤوا تجمع كلمة الشهادة وصـــف نبيهم بالعبودية والرسالة ، حرزا عن أبواب الزلل ، حتى ان الخلفاء الذين هم أئمـــة الدين لم يفتتحوا كتبهم الا بقولهم :

« من عبد الله فلان أمير المؤمنين .. الى فلان .. » .

بل جردوا القول فيهم بأن قالوا :

« آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْـــزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْـــقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

*** واما اثبات الملائكة :**

فان أحدا من أهل الاديان لم يســلم من العقائد السقيمة فيهم ، ما خلا الاسلاميين :
وذلك كان دعاء عبدة الاوثان بأنهم بنـات الله ، وادعاء الثنوية والمجوس ما يذكرونه لهم من الرفعة الالهية ، وادعـــاء اليهود أن الواحد منهم قد يجوز أن يرتكب الكفر ، وأن يعاقبه الله تعالى بالمسخ .

*** فاما اهل الاسلام :**

فقد جردوا القول فيهم ، بأنهم عباد اللـــه

المكرمون : لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمـــره يعملون .

*** وأما اثبات الكتب :**

فان دينا من الاديان لن يخلو عنـــه ، فان الرسالة والرسول من المضاف ، ومن شأن كل نبى أن يعرف عن الله ويعبر عنه بما يوحيه اليه بحكم الرسالة .

فالكتب السماوية ، وان كانت كلها جليلة القدر كما قال الله تعالى « **فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ** » فالذى استجمعه القرآن من الفضيلة فى صـــورة الخطاب ، ومن الفضيلة فى نظم الالفاظ ، ومن الفضيلة فى تأليف المعانى هـــو شىء باين به الكتب السماوية أجمع .

فأما صورة الخطاب ، فلأنه على هيئة تدل على أنه خطاب خارج عن ملك مقتدر لعبيـــده فيما يجب أن يلقيه اليهم من عزائم أمره ونهيه، ووعظه وزجره ، ووعده ووعيده .

وليست الحال فى سائر الكتب الاخــــرى كذلك ، بل الخطاب منه خـــــارج على هيئة مضاهية لكلام رجل حكيم ، أنبأ عن حكمتــه بألفاظه وعبارته ، ونسب بعض تلك المخاطبات الى ربه سبحانه وتعالى .

وأما نظم الالفاظ : فلأنه خرج على مثـــــال أظهره لاهل المعرفة بوجوه التأليف ، انه غير مشابه لما ابتذله البشر فيما بينهم ، وأن من رام أن يزيد فيه عدة آيات أعجزه عجيب وصفه وافتضح عند أهل البصيرة . وليس كذلك حال الكتب الاخرى .

وخليق أن يرجع اليه قول الله تعالى :

« **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـــدٍ** »

أما تأليف المعانى فانه خرج مخرجا عجيبا ، يجتمع فى الجزء منه الشبيه بما هو موجود فى الكـــل .

أعنى أنه لا يقرأ الانسان منه عدة آيـــات الا وقد ورد منه على الابـــواب الاعتقادية والعبادية ، والمعاملية ، بل عـــلى الابواب الادبية العقلية ، وأخبار الامم الماضية عـــلى بلاغه ميسرة للذكر ، ووجازة مسهلة للحفظ ، ومعان لو بسطت لاســـتغرقت الاخـــلاد والسجلات ، وليس هكذا حال سائر الكتب .

*** وأما اثبات المعاد :**

فالذى يعتقده الاسلاميون متى أضيف الى سائر ما يعتقده أهل الاديان ، وحكم العقـــل فيه ، ظهر فضـــله .

حلاوة الإيمان

فان بعضا منهم يتعقدون القول بالتناسخ ، وبعضهم يعتقد أن انقلاب النفس الى حالة الضياء والنور هو الثواب ، وضده هو العقاب .

وبعضهم يعتقد أن تخلص الارواح من الاجساد هو الثواب ، وضده هو العقاب .
ثم الذى بنى عليه الايمان هو :

أن العالم منقض بالساعة التى هى « آتية لا ريب فيها » ، وأن الله تعالى يعيد الارواح الى أجساد الموتى ، على تركيب تتحدد به قوتا الحس والعقل ، فتعرف الانفس بقوة العقل أحوالها التى مضت عليها فى حال الدنيا ، وما اكتسبت منه حسنة وسيئة ، وتدرك بقوة الحس اللذات التى تتمتع بها ، والآلام التى تتعذب بها .

وأن الثواب لا محالة يقع فى جنس الملذ ، والعقاب فى جنس المؤلم ، وأن كيفيتها لن تدرك الا بأن يجعل لها عيارا مما شهدته الحواس من أجناس الملذات والمؤلمات ، وأنه لن يجوز أن تكون الاجسام هناك متركبة من الاخلاط الفاسدة ، والامشاج المتضادة فانها لو كانت كذلك لتسلط عليها البلى والانفكاك .

ثم تكون الحواس المضافة اليها مشاكلة لها فى الخلوص والبقاء ، فتنال لذاتها نيلا روحانيا مهذبا عن الثقل والدنس .

وذلك قوله تعالى : « **وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ** » .

وقوله : « **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » .

وبعد : فان الايمان اسم شرعى لثلاث خصال : القول ، والاعتقاد ، والعمل لان ، الوجل وزيادة التصديق من فعل القلب ، والتدبير والتفكر كذلك ، والصلاة والانفاق من أعمال الجوارح ، والتوكل يشتمل على فعل القلب والجوارح .

نسال الله تعالى أن يرشدنا الى طريق الفضل والخير حتى نلاحظ الحقائق بنور الحق واليقين .
وبالله التوفيق .

موسى محمد على

وسطية الإسلام

٢

الدكتور فؤاد خدرجى العقلى

.. فالشيوعية الماركسية هى أخطر المذاهب المادية المعاصرة ، لأنها تقوم على نشرها والترويج لمبادئها ، بل وفرضها على الشعوب بالقوة الغاشمة حينا ، وبالخداع السياسى حينا ، قوة عاتية شرسة هى الاتحاد السوفيتى بما يملك من أحدث مبتكرات الدمار ، ثم لدعوى الشيوعية المزيفة أنها تملك كنوز الرفاهية للشعوب ، وتمسك بمفاتيح الرخاء للطبقات العاملة ، وتستند هذه الدعوى العريضة على عدد من القضايا ، تعتبرها « الماركسية » من المسلمات التى لا تقبل الجدل ، وهى فى حقيقتها ليست الا ضروبا من زخرف القول التى ليس لها من اليقين حظ ولا نصيب .

ففى كتابه « رأس المال » يورد «ماركس» قضايا أربع يحسبها من البدهيات هذه القضايا هى :

١ ـ أن القيمة الحقيقة للسلعة تساوى كمية العمل المبذول فيها ، والزمن المخصص لانتاجها ، وبذلك يكون العامل هو المصدر الوحيد للسلعة ومن ثم فهو مالكها الوحيد .

٢ ـ ان النظام « الرأسمالى » يحرم العامل جزءا من قيمة عمله و « فائض القيمة » هذا ، يستولى عليه صاحب رأس المال ، ويعتبره « ربح المال » وهذا الربح هو الذى يكون رأس المال ، وهو فى نظر ماركس « سرقة متصلة » .

٣ ـ هناك صراع حتمى بين رأس المال والعمل يتمثل فى التنافس بين كبار الماليين وضعافهم من الطبقة المتوسطة ، حيث يقوم الأقوياء بتكوين شركات قوية تجبر الطبقة المتوسطة على الانضمام الى معسكر الفقراء فتقف الطبقتان وجها لوجه . ويحس المعوزون بتضامنهم فى جميع البلدان .

٤ ـ وهنا يتنبأ « ماركس » بالصدام المحتوم ، بين الطبقة العاملة ذات الحق والقوة والعدد ، وبين الماليين الكبار . ولا يزال « ماركس » ينفخ فى أبواق الثورة الحاقدة المدمرة ، ويتنبأ بانتصار « البروليتاريا » أو الطبقة العاملة عن طريق ثورات دموية ، يشعلها « الحقد » ويلهبها « الحرمان » حتى تصفى طبقة رأس المال ، وتسود البروليتاريا . وهو يدعو للتمهيد لهذه الثورات بتكوين أحزاب شيوعية تكون مهمتها الاساسية تكوين « عقلية الطبقة » عند العمال ، وتأليفهم حزبا سياسيا كفيلا بانتزاع السلطة ، واقامة الدكتاتورية العمالية ، كخطوة مرحلية فى الصراع الذى لابد أن ينتهى بتحقيق المجتمع الخالى من الطبقات والكامل الاشتراكية (١) .

* ثم تأتى الخطورة العظمى للماركسية فى الحادها ، وتنكرها لكل دين ، واعتبارها الدين أفيونا للشعوب ، يمنعها من المطالبة بحقها (٢) .

* تلك هى مغالطات الماركسية ، وما أيسر الرد عليها ، ودحضها :

ـ فالاسلام كان ، ولا يزال ، أعظم موقظ للشعوب ، ومنبه لها ومعلمها مالها وما عليها ، وخير مرشد للناس الى حقوقهم وواجباتهم حين علمهم أن وراء هذا الكون الها ، أعلى ، قادرا ، عادلا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويجزى كل نفس بما كسبت من غير ظلم . بذلك تمتنع النفوس الجامحة عن طغيانها وعدوانها على حقوق غيرها ، وبذلك يقوم أعظم توازن بين قوى الانسان المختلفة ، فلا يشبع جسده على حساب قيمه وقواه الروحية ، ولا يحرم نفسه من السعادة الروحية والنفسية التى يتمتع بها حين يشعر أنه يسير فى الطريق المستقيم الذى رسمه له خالق الكون ، وأنه يحظى برضوان رب العالمين ، وأنه سيفوز فى الحساب بين يديه فى يوم الدين ، بما يوصله الى جنات النعيم ، وسعادة الأبد وهنا تبدو « الوسطية »

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم: ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ . (٢) نفس المصدر : ص ٤٠٣ .

الأصيلة فى الاسلام التى تحقق للانسان متعة الروح والجسد ، وسعادة الدنيا والآخرة ، فيعيش فى سعادة الدنيا وينعم بالأمل الأعظم فى السعادة الباقية فى الآخرة .

* ان الماركسية ترمى الدين بدائها ، فانها هى التى تخدر الشعوب بالافكار المزيفة ، والدعاوى العريضة ، والأمل الكاذب فى الفردوس المنشود للمجتمعات الشيوعية ، والواقع والحقيقة يكشفان كذب هذه الدعاوى حين نلاحظ المجتمعات التى ابتليت بتسلط الماركسية عليها وما تعانيه من ارهاب ؛ وما تكابده من حرمان ، وما يجتاح أفرادها من يأس مدمر ، وحقد ومرارة ، ضد السلطة الجاثمة على صدورهم بالحديد والنار .

أما جدل الماركسية القائم على تفسير حركات التاريخ كلها بصراع الطبقات فباطل من أساسه :

١ ــ فان قيمة السلعة لا تحددها فقط كمية العمل وزمانه ، بل يدخل فى حساب القيمة الحاجة الى السلعة ، وكذلك رأس المال الذى ينفق فيها .

٢ ــ ذلك لأن الاسلام لا يعترف برأس المال الا اذا كان مصدره من حلال ، أى مكتسبا بوجه مشروع ، وهذا الوجه لن يخرج عن كونه عملا فى الأصل من الاعمال المشروعة . فما رأس المال الا عمل مدخر فلابد اذن من ادخاله فى قيمة السلعة .

٣ ــ والاسلام يحترم الملكيات مادامت مصادرها مشروعة . وهو فى نفس الوقت يعتبر عمل العامل ملكا له ، يبيعه ، بالأجر المناسب فى غير اهدار لشىء من قيمته ، ولا مغالاة ولا ظلم لمن سيقوم له بهذا العمل ويحذر الاسلام أشد التحذير من الاعتداء على حق العامل فى أجره ، فقد روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة .. وذكر منهم « ورجل استأجر أجيرا ، فاستوفى منه ، ولم يعطه أجره » رواه البخارى (١) .

٤ ــ وبدلا من الصراع الدموى الحاقد ، وافناء طبقة من المجتمع لطبقة أخرى ، فان الاسلام يوجب تكافل طبقات المجتمع ، وتعاطفهم وتراحمهم ، وتعاونهم . نقرأ فى ذلك قول الحق تعالى : «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (٢) . وقوله عز وجل «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» (٣) وقوله سبحانه : «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (٤)

وقوله صلى اله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » (٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

---

(١) رياض الصالحين : للنووى : ص ٥٢٥ .

(٢) الحجرات : ١٠ . (٣) التوبة : ٧١ .

(٤) المائدة : ٢ .

(٥) صفوة صحيح البخارى : ج٤ : ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

رواه البخارى ومسلم (١) . والاسلام بفرضه الزكاة ، وتوزيعه للارث ، وايجابه كفالة القادرين لغير القادرين ، انما يسعى الى توزيع الثروات توزيعا عادلا ، ومحاربة تكتل الأموال لدى طائفة دون طائفة .

نقرأ فى ذلك قول الله تعالى : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٢)

وقوله تعالى عن المال : « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (٣) .

* فالاسلام يحقق التوازن بين طبقات المجتمع ، بما أقامه من عدالة توزيع للثروة ، وبما شرعه من رعاية حقوق الآخرين ، وبما أشاعه من تكافلوتراحم وتعاون بين الطبقات ،حتى تشيع المحبة والاخوة المثمرة البناءة بدلا من الصراعات الحاقدة الهدامة .

* كما أن الاسلام حقق التوازن بين الأفراد والدولة حين قرر حقوق الافراد ، وحقوق الدولة ، ونظم العلاقة بين الفرد والدولة على أساس احترام الدولة لحرية الفرد الشخصية والاجتماعيةوالدينية والسياسية ، واحترام الفرد لامن الدولة وسلامتها ، وأمن المجتمع وسلامته . والكل ملتزم بمنهج الله ، بضبط سلوكه وتصرفاته طبقا لشريعة الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، أَطِيعُوا اللَّهَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » (٤) .

* كما أن مذاهب المنفعة التى تسود المجتمعات الغربية المعاصرة ، ما هى الا أوجه وصور متشابهة من مذاهب اللذة عندأبيقور وهوبز واضرابهما . حلت فيها « المنفعة » محل « اللذة » وصارت الاخلاق والسياسة والسلوك تابعة للمنفعة . مع أن ربط الاخلاق بالمنفعة يولد الصراعات بين الافراد والجماعات ، حين تتصادم المنافع ، وستنهدم المثل والقيم والواجبات اذا لم تظهر المنافع العاجلة ، وسينسى الناس الجوانب الروحية والاخلاقية الانسانية فى سلوكهم ومعاملاتهم ، بينما يجعل الاسلام المحرك لسلوك الانسان هو الايمان بكل ما يمثله من قيم ، ويحتوى عليه من مثل عالية ، وبكل ما يحققه من منافع عاجلة وآجلة .

* أما الوجودية التى تلح على الغرائز ، وتحرض الانسان على أن يحيا لنفسه ، ولنفسه فقط ، لمتعه ، ولشهواته ، ولغرائزه ، دون رعاية لاى قيمة أو قيود دينية أو اجتماعية ، ودون رعاية للاخرين ، وليذهب الاخرون الى الجحيم . فان الاسلام يعلو عليها بما يحققه للفرد ، وللمجتمع من سعادة ، وما يضمنه للجميع من كرامة ، فيحقق التوازن بين سعادة الفرد وسعادة غيره .

(١) رياض الصالحين . ص ٩٥ .
(٢) التوبة : ٣٤ .
(٣) الحشر : ٧ .
٤ النساء : ٥٩ .

في التشريع الإسلامي

خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي

للدكتور سعد الدين السيد صالح

جاء الاسلام بمنهج متكامل للحياة فى كل شأن من شئونها ، السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية .

فقد أتى الاسلام بالنظام السياسى الذى ضمن حقوق الحاكم والمحكوم معا ، كما أتى بالنظام الاجتماعى الذى لو طبق لما أصبح فى المجتمعات الاسلامية جائع ولا محروم ، كذلك عنى الاسلام بالاقتصاد الذى هو عصب الحياة ، ووضع فيه نظاما متكاملا لا نبالغ أن قلنا أنه أفضل النظم الاقتصادية ملائمة لطبيعة الانسان ، لانه لم يكن من وضع بشر وانما من وضع خالق البشر الذى هو اعلم بأمراض الانسانية وعلاجها «**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**» .

النظام الاقتصادى

ولا نريد أن نتحدث عن النظرية الاقتصادية الاسلامية فهو موضوع طويل يحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وقد تكاتفت جهود الاقتصاديين المسلمين فى اظهار النظرية الاقتصادية الاسلامية فى صورتها اللائقة • وانما نريد أن يتحدث عن فلسفة النظام الاقتصادى الاسلامى وخصائصه •

ولكى نحدد هذه الخصائص لابد أن نلقى نظرة سريعة على الانظمة الاقتصادية الاخرى التى تعايش النظام الاسلامى •

والمشاهد الآن أن هناك نظامان اقتصاديان يقتسمان العالم :

الاول : هو النظام الاقتصادى الرأسمالى •

والثانى : هو النظام الاقتصادى الشيوعى •

وهناك بعض الانظمة الاقتصادية الاخرى مثل الاشتراكية العربية أو الاشتراكية الديمقراطية ، وهى فى حقيقة أمرها انما تعود الى هذين النظامين الاساسيين •

اما النظام الرأسمالى : فانه يقوم على أساس الملكية الخاصة للافراد دون حدود أو قيود • فالفرد فى ظل هذا النظام من حقه أن يمتلك ما يشاء من الاموال والعقارات وسائر الاعيان ، وأن يستثمرها فيما يشاء ، وأن ينفقها فيما يشاء •

وهكذا فالفرد حر حرية مطلقة فى •

- اكتساب امواله •
- وفى استثمارها •
- وفى انفاقها •

وقد ادت هذه الحرية المطلقة الى الاستغلال والاحتكار وتركز رؤوس الاموال فى يد قلة قليلة استطاعت ان تثرى على حساب غيرها وأن تتحكم فى مقدرات المجتمع ، وتوجه الانتاج والاستهلاك حسبما تشاء وقد أدى هذا النظام الى الحقد والانانية وانعدام التعاون بين طبقات المجتمع •

وأما النظام الشيوعى : فقد قام على أساس الغاء الملكية الفردية الغاء تاما وتحولها الى ملكية عامة • كما قام على أساس الغاء حريات الافراد وتقييدها تقييدا تاما •

وبذلك ناقض الفطرة الطبيعية فى الانسان ، فهو مفطور على حب التملك كما أدى هذا النظام الى حالة من اللامبالاه ، لان الفرد مادام لا يملك شيئا ، وكل شىء هو ملك للدولة التى تتمثل فى حفنة من الافراد هم أعضاء اللجنة المركزية ، فما هو الداعى الى الكد والعمل والاجتهاد وهكذا أصبح النظام الرأسمالى والشيوعى على طرفى نقيض ، فلكل نظام منهما خصائص مناقضة تماما لخصائص النظام الاخر ومع ذلك يدعى صاحب كل نظام أن نظامه هو الامثل والافضل •

والغريب أن ما يعده أصحاب النظام الرأسمالى مزايا يعده أصحاب النظام الشيوعى عيوب ومساوىء ، وما يعده أصحاب النظام الشيوعى محاسن يعده أصحاب النظام الرأسمالى مساوىء وعيوب •

اما النظام الاقتصادى الاسلامى : فقد كان نظاما فريدا فى ذاته ، وفى خصائصه لا علاقة له بالرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية . ولا بغيرها من المذاهب الانسانية •

فهو نظام يكفل للانسانية السعادة فى الدنيا والآخرة ، ومع أن الانظمة الاخرى قد تتفق مع الاسلام فى خاصية أو أخرى الا أن ذلك

لا يدعو الى وصف النظام الاسلامى بأنه نظام اشتراكى أو رأسمالى ، فهو نظام فريد فى ذاته وضعت فيه الاسماء على المسميات وضعا محددا مما أغناه عن استيراد اسم أو مسمى من غيره ، وقد جمع النظام الاسلامى محاسن كل الانظمة البشرية ان كان فيها محاسن ـ أو قل هى التى أخذت محاسنها منه ـ وفى نفس الوقت نفى مساوئها وخبائثها .

ذلك انه أباح الملكية الخاصة

وهو ما يستفاد من قول الحق سبحانه وتعالى «**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**» فقد أضاف المال الى الافراد وهى تفيد اباحة الملكية الفردية وبذلك ساير الاسلام الفطرة البشرية . واشبع غريزة حب التملك عند الانسان ، ولكنه فى الوقت ذاته يجعل منفعة المال منفعة عامة لكل محتاج ، ويذكر المالك بذلك فيضيف المال الى الله فى آية اخرى « **آتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ** » أى ان ملكية المال الخاصة تتحول الى ملكية عامة لكل محتاج والقرآن دائما يذكر أصحاب الاموال بأنهم لا يملكون شيئا وهم مجرد خلفاء عن صاحب المال « **وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** » « **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** » فالله هو المالك للمساجد حتى وان كان الافراد قد ملكوها تنازلوا عنها وحولوها الى مسجد فان ملكية الافراد تزول نهائيا وتبقى المساجد ملكية عامة للجماعة وعلى غرارها المرافق العامة .

غير أنه فى الاسلام لا يصح ان تنتزع الملكيات الخاصة قهرا من أصحابها لكى تتحول الى منفعة عامة ، بل أن صاحب المال يخرج زكاة ماله وصدقته وانفاقه عن طيب خاطر ، اللهم الا اذا كانت هناك حاجة ماسة لجماعة المسلمين الى انتزاع هذه الملكية فلا بأس .

وبذلك راعى الاسلام مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة معا ، خلافا للنظام الرأسمالى الذى قضى على الفرد فى سبيل مصلحة الجماعة .

وبذلك تكون **أول خصائص** النظام الاقتصادى الاسلامى :

أنه نظام متوازن سوى يراعى مصلحة الفرد والمجموع معا .

وثانى خصائص هذا النظام : أنه نظام ملتزم يقيد الفرد بمجموعة من القيم والمثل العليا التى تجعل منه نظاما انسانيا اخلاقيا وتجعل المال وسيلة لاسعاد الناس فى الدنيا والآخرة ، لا وسيلة لافسادهم :

ـ فمن حيث البداية قيد الاسلام ملكية الفرد بأن تكون من طريق حلال طيب « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا** » وبذلك لا يعترف الاسلام بأى ملكية تأتى من طريق حرام أيا كان أسلوبه .

وفى التقييد بالحلال الطيب اشارة الى أن أحكام القرآن فى مجال الاقتصاد أحكاما انسانية ، فالانسان اذا أكل ماليس بحلال فهو الحرام ، وحينئذ اما أن يسرق الناس واما أن يستغلهم وفى ذلك فساد للمجتمع . ومن هنا لم يكتف القرآن بالقيد الأول وهو الحلال وانما وضع قيدا آخر وهو الطيب بحيث لا

النظام الاقتصادى

تشوبه شائبة الحرمة .

ومن هنا كان حث الاسلام على العمل والسعى والضرب فى الارض ، واحياء الموات « هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الواقعى فى ذلك فقد كان يأكل من كد يده فعمل بالتجارة مع عمه ابى طالب ، كما عمل لخديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها .

ــ كما حدد الاسلام مجال استثمار الاموال ، فقد أباح استثماره فى أى مجال من مجالات الحياة ، ولم يحظر منه الا ما فيه اعتداء على حرية الآخرين « فالمسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده » وبذلك لا يصح أن يستثمر المسلم ماله فى مجال صناعة أو تجارة تضر اخوانه المسلمين .

فلا يصح مثلا أن يستثمر ماله فى مجال صناعة الخمور والمسكرات أو التجارة فيها . أو أن يستثمرها فى بناء نادى للرزيله أو القمار أو غير ذلك مما فيه ضرر المجتمع المسلم .

وهكذا فهناك قاعدة عامة وهى « ان كل عمل أو صنعة أو تجارة فيها أذى لمسلم أو خطر على جماعة المسلمين ، فهو حرام » .

ــ كذلك ألزم الاسلام صاحب المال بأن يعطى عماله أجورهم كاملة وقبل أن يجف عرقهم ، وبذلك منع الاسلام من استغلال أصحاب رؤوس الاموال لعمالهم ، وفى الوقت ذاته يطلب الاسلام من العامل أن يتقن عمله « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه وأن يكون امينا » « إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ » وغير ذلك من الصفات الاساسية التى تجعل نظام العمل فى الاسلام نظاما أخلاقيا ينفى الحقد والخيانة والاستغلال .

واذا كان النظام الرأسمالى قد ترك لاصحاب رؤوس الاموال الحرية المطلقة فى استثمار أموالهم بأى طريق وفى أى مجال ، فان الاسلام يضع مجموعة من القيود التى تحيط هذا الاستثمار بسياج الحلال الطيب .

ــ فقد منع الاسلام صاحب المال التاجر من الغش والتدليس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من باع عيبا لم يبينه لم يزل فى مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه) .

ــ كما منعه من الاحتكار . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو عاص » ويقول « بئس العبد المحتكر ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح » .

بل ويحث الاسلام على البيع بسعر اليوم ويرفعه الى درجة الصدقه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جلب طعاما فباع بسعر يومه فكأنما تصدق به » .

واذا كان صاحب المال فى ظل النظام الرأسمالى حد فى تسخير ماله حسب مصالحه الخاصة ، وفى المشروعات التى تدر عليه ربحا أكثر ، ويترك له النظام حرية التحكم فى السلع والاسواق ، ويحتكر منها ما يشاء انتظارا لربح أكثر من غير مراعاة لحاجة المستهلكين ، فان الاسلام يحارب الاحتكار بكل صوره ، حتى أن المحتكر ليبرىء الله منه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من

احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

ــ واذا كان الاسلام قد حرم الغش والاحتكار ، فقد حرم الكذب والخيانه وخلف الوعد والماطلة واستغلال الظروف وغير ذلك من الصفات الذميمة التى تحول النظام الاقتصادى من نظام انسانى يراعى الصالح العام الى نظام شخصى أنانى لا يراعى الا مصلحة الفرد يقول رسول الله (ص) « ان أطيب الكسب كسب التجارة الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا أئتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا ، واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا » .

ــ واذا كان الاقتصاد الاسلامى قدقام على أساس مبادىء الاخلاق فانه قد حرم الربا ــ الذى هو أساس الاقتصاد الرأسمالى ــ لما فيه من استغلال لحاجات الناس ، واخذ لمال انسان محتاج بغير عوض وبدون وجه حق ، ولما فيه من انعدام للتعاطف والرحمة والتماسك فى المجتمع ، وغير هذه من المساوىء العظام .

ومن أجل هذا كله أقام الاسلام نظامه الاقتصادى على أساس من تحريم الربا ، وتحليل انواع اخرى للاستثمار مثل البيع والشركة والمضاربه وغير ذلك من الطرق المشروعة الحلال .

ــ كذلك يمتاز النظام الاقتصادى الاسلامى بأنه نظام يحقق العدالة والتوازن فى المجتمع فانه ان كان قد سمح بالملكية الخاصة مهما كان حجمها مادامت من طريق حلال ، فقد ألزم أصحاب الملكيات الخاصة بأن تكون منفعة هذه الملكية عامة للفقراء والمحتاجين فألزمهم بدفع الزكاة وجعلها حق معلوم فى أموالهم يجب عليهم اخراجه للفقراء والمساكين وسائر الاصناف التى حددها الاسلام « **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** » وقد حدد الاسلام قيمة الزكاة ، وجعل نصابها قليلا لكى يشترك فى اخراجها قطاع كبير من الناس . وبذلك تتسع دائرة التكافل الاجتماعى كما جعل مقدارها ضئيل ٥ر٢٪ من النصاب ليسهل دفعها ، كما جعلها الاسلام عاملا هاما من عوامل استغلال الثروات وعدم تكديس الاموال ، ونشر الالفة والمحبة فى المجتمع وازالة الضغائن والاحقاد من نفوس الفقراء مما يؤدى الى التعاون الذى هو أساس النظام الاقتصادى السليم .

بل ان الاسلام لم يكتفى بالحق المعلوم الذى هو الزكاة ، وانما جعل المال كله حق للفقراء « **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** » والعفو هو كل مازاد عن حاجة الانسان ، وبذلك يكون الانسان مطالب بانفاق كل مازاد عن حاجته ، ولكن ليس الزاما وقهرا وانتزاعا ــ كما هو الحال فى ظل النظام الشيوعى ــ بل تفضلا واحسانا ، يخرجه الانسان طواعية وتقربا الى الله سبحانه وتعالى .

وهكذا قام النظام الاقتصادى الاسلامى على أساس واضح هو التكافل الاجتماعى

خصائص النظام الإقتصادى الإسلامى .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم » ويقول « أيما أهل عرضة اصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى » .

وهكذا نستطيع ان نوجز خصائص النظام الاقتصادى الاسلامى فيما يأتى :

اولا ــ هو نظام الهى ومن هنا جاء متكاملا لا عيب فيه ولامسالب كما هو الحال فى الانظمة البشرية التى وضعتها عقول البشر ففاقت عيوبها محاسنها .

ثانيا ــ نظام انسانى يراعى مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ولا يقبل أن يضحى باحدهما من أجل الآخر .

ثالثا ــ هو نظام اخلاقى روحى لا يقوم على اساس الاهتمام بالجانب المادى فى الانسان وانما يشبع المادة والروح معا ، ويؤكد على مبادىء الاخلاق والمثل العليا التى ترتقى بالانسان من طين المادة الصماء الى علياء القيم المثلى التى هى الحق والخير والجمال .

رابعا ــ هو نظام واقعى ، بمعنى أنه لم يأت بقيود يصعب على الانسان تحقيقها والالتزام بها ، بل على العكس هى مثل عليا يمارسها المسلم بحرية تامة دون أن يشعر أنها مفروضة عليه ومقيدة لحريته لأنها نابعة من ذاته وضميره .

خامسا ــ أنه نظام متكامل مؤسس على قواعد اجتماعية لانظير لها فى أى مذهب من المذاهب الحديثة .

ألا ما أحوج المسلمين فى الوقت الراهن الى تطبيق منهجهم الاقتصادى الذى يضمن لهم السعادة فى المعاش والمعاد ويخرج بهم من مساوىء هذه الانظمة البشرية ، والتى جربوها طويلا ولم تأت بشىء اللهم الا الفقر والحرمان ، والاستغلال والطبقية الصارخة وانعدام التكامل الاجتماعى .

د . سعد الدين السيد صالح

- الإسلام ومشكلات المسلمين
- وسائل إعداد الدعاة

من حضارة الإسلام

- دراسة
في الخدمة الاجتماعية

١٨٠٧

من حضارة الإسلام

الإسلام و

محمد صلاح

٤ مشكلة المدارس القرآنية وتعليم الدين الإسلامي في ألمانيا الغربية

من المؤسف ان ادارات التعليم الالمانية لم تدرك الا (١) مؤخرا أن التعليم الدينى بالنسبة للاقلية الاسلامية هو بمثابة الحفاظ على الذاتية (٢) • ففى الاسلام ترتبط ذاتية أتباعه بالدين ، الامر الذى لا نجد له نظيرا فى مجالات الحضارات الاخرى • والاطفال المسلمون فى ألمانيا الغربية يتعرضون بوجه خاص لخطر ضياع ذاتيتهم كما هو معروف الآن(٣) ويتعرض القسم الاكبر من الشباب الذى ينمو فى منطقة الاقلية الدينية لخطر الوقوع فى الالحاد دون أن تكون قد أتيحت له قبل ذلك فرصة التعرف بطريقة صحيحة على دين آبائه وقد أكد هذا منذ عام مضى تقريبا السيد أمين برنسى وهو عضو فى حركة نورد شولوك(٤) • (Nurdschuluk)

وقد تم اجراء بعض الاستبيانات فى أوساط المسلمين فى ألمانيا الغربية ، وعلى أساس هذه الاستبيانات توصل الدكتور صلاح عيد — وهو من المصريين المسلمين الذين يعيشون فى ألمانيا الغربية — توصل الى النتيجة التالية التى نشرتها صحيفة FAZ (٥) فى ٧٦/٣/١٣ « ان

1) Plus, 26.3.80.
2) Abdullah, 1.c.
3) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80
4) Abdullah, 1.c.
5) Frankfurter Allgemeine Zeitung.

٢

مشكلات المسلمين

للدكتور محمود حمدى زقزوق

الشباب المسلم فى ألمانيا الغربية ليست لديه القدرة على الاجابة على الاسئلة التى توجه اليه بشأن هويته الدينية ، أما الآباء والامهات فانهم مثقلون فى الغالب بأعباء أعمالهم وليس لديهم الوقت الكافى لتعليم أولادهم الدين أو اللغة فضلا عن أنه تنقصهم فى الغالب المعارف فى هذا الشأن » .

وتقول السيدة فاطمة هيرين — وهى مدرسة ألمانية اعتنقت الاسلام — « ان الاطفال المسلمين لا يتلقون فى المدارس الالمانية دروسا فى الدين الاسلامى ، وكثيرون من الآباء والامهات — والاتراك منهم بوجه خاص — ليسوا فى وضع يؤهلهم للقيام بمهمة تربية أولادهم طبقا للتعاليم الاسلامية ، كما أنهم لا يفهمون — بوجه خاص — اللغة العربية التى هى لغة القرآن »(١) .

أما أنه لا يوجد هناك تعليم للدين الاسلامى فى المدارس الالمانية فهذا ليس صحيحا تماما على الاقل من الناحية النظرية . فهناك فى أغلب أقاليم المانيا الغربية مادة الدين الاسلامى كمادة نظامية للاطفال المسلمين . ولكن ذلك للاسف يكاد أن يكون مجرد أمر نظرى فالحقيقة أن تدريس هذه المادة لايحدث الا فى القليل النادر جدا ، بسبب عدم وجود المدرسين المؤهلين والكتب التعليمية والاشراف الضرورى على محتوى المادة وعلى الطرق التربوية(٢) . ويقال ان ادارات التربية الالمانية قد اتصلت مرارا من أجل ذلك

1) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80.
2) Wanzura, 1.c.

بالمسئولين الاتراك . ولكن هناك فى تركيا ذاتها عجزا فى مدرسى الدين الاسلامى يبلغ الآلاف(١) .

وافتقاد تعليم الدين الاسلامى لا يقتصر فى عواقبه ـ كما هو معروف الآن ـ على المسلمين أنفسهم فحسب وانما تشمل هذه العواقب أيضا ألمانيا الغربية ذاتها ومن أجل ذلك يقول الاب فانتسورا « لقد آن الاوان لكى يهتم المسلمون أنفسهم اهتماما جديا وفى تعاون مع الجهات الالمانية المسئولة بالبحث فى امكان تعليم الاطفال المسلمين الدين الاسلامى بطريقة نظامية . وذلك لان الامر هنا لا يدور حول حق التثقيف الدينى فحسب وانما يدور أيضا حول مشكلة سياسية اجتماعية يمكن أن تصاغ على النحو التالى :

كيف وطبقا لأية معايير أدبية ومقاييس خلقية سيحكم الاطفال المسلمون من أبناء الجيل الثانى والثالث وكيف سيتصرفون اذا ما وصلوا الى مرحلة الشباب والنضج دون أن تكون لديهم أية معرفة أو خبرة بالمعايير الاخلاقية التى يتضمنها دينهم(٢) .

والآن ما هو الدور الذى تلعبه المدارس القرآنية فى ألمانيا الغربية فى هذا الصدد ؟ هل هى قادرة على سد الثغرة القائمة بسبب انعدام تعليم الدين الاسلامى فى ألمانيا الغربية ؟ وهل تكفى هذه المدارس لمتطلبات التعليم الدينى الشامل المنظم ؟

لقد اختلفت الآراء بصدد قضية المدارس القرآنية اختلافا حادا وتعددت المواقف حتى بين صفوف المسلمين أنفسهم . ويعترف الجانب الالمانى نفسه باستمرار بأنه ليس من الصواب الحكم بالادانة العامة لهذه المؤسسات وذلك على الرغم من ارتفاع الاصواتبالهجوم العنيف فى الصحافة الالمانية على المدارس القرآنية لعدة سنوات حتى الآن ، وهو هجوم موجه من جوانب مختلفة ويرجع فى دوافعه الى حد كبير الى أسباب سياسية وقد جاء فى مقال نشر فى عام ١٩٧٧(٣) : أن الاطفال الذين يتلقون دروس القرآن ويتحتم عليهم أن يقضوا الساعات الطوال فى حفظ سور من القرآن يأتون الى الدروس فى المدارس النظامية وقد أنهكت قواهم . وأن أسباب سوء هذه الاوضاع يرجع تارة الى نقص كفايات المعلمين وتارة الى قصور الفهم واتخاذ موقف رافض ازاء المجتمع الالمانى . ولكن المقال يحذر فى الوقت نفسه من «الادانة العامة لهذه المبادرة من جانب المسلمين للوصول الى تربية دينية » . لان الكثيرين من الاطفال الاتراك لا يصل اليهم التراث الدينى للاسلام الا عن طريق هذه المدارس القرآنية

1) Hannover Allgemeine, 12.7.77.
2) Wanzura, I.c.

3) Frankfurter Rundschau, 9.8.77.

ويشير المقال فى الوقت نفسه الى ازدياد أهمية ادخال التعليم الدينى الاسلامى المنظم فى المدارس الالمانية • وقد انبثق هذا المقال على أساس مبادرة من جماعة تدعى «جماعة العمل الاسلامى المسيحى لبحث مشكلات الاجانب» •

أما المدارس القرآنية فقد أنشأتها الجماعات الاسلامية فى ألمانيا الغربية وتقوم هذه الجماعات نفسها بالانفاق عليها[1] • وهناك اختلافات كبيرة جدا حول الاهداف التى يجب أن تحققها هذه المدارس • فبينما يرى البعض أن هدف هذه المدارس يتمثل بوجه خاص فى تعليم الاطفال بعض آيات من القرآن باللغة العربية ، يرى آخرون أن هدفها يجب أن يكون الوصول الى تعليم شامل ومتقن للدين الاسلامى • والامر الهام الذى يجب ابرازه باستمرار هو أن المدرسة القرآنية تعتبر فى الغالب الطريق الوحيد للتعليم الدينى الاسلامى بالنسبة للكثيرين من أبناء المسلمين فى ألمانيا[2] •

ويؤكد امام المركز الاسلامى فى كولونيا[3] أن التعليم فى المدارس القرآنية يجب أن يتم أثناء الدراسة فى المدارس العامة لان الغالبية من الاتراك يسافرون الى بلادهم فى الاجازة المدرسية ويعتبر هذا التعليم ضرورة لا غنى عنها لان الاطفال ـ كما يقول هذا الامام ـ يجب أن يتلقوا دروس الدين والاخلاق حتى يصيروا أناسا صالحين • ويعترض الجانب الالمانى على ذلك على أساس أن ذهاب الاطفال الى المدارس القرآنية يمكن أن يعرقل هذا الهدف « لان الطفل التركى هنا يتحتم عليه أن يتعلم أكثر مما يتعلم فى تركيا ، أى يجب عليه هنا أن يتعلم الالمانية والتركية والقرآن ، وبهذا التكليف الذى يفوق طاقة الطفل يصبح حصوله على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية فى المدارس العامة أكثر صعوبة ، وبدون شهادة اتمام هذه الدراسة لا يوجد أمامه مكان للتدريب المهنى • وبذلك يكون قد تم التخطيط مسبقا الى الانحدار الاجتماعى الذى يمكن أن يؤدى الى الاجرام » •

ولكن هذه الاعتراضات التى هى تبسيط معكوس وخطير للوضع تخطىء تماما الوصول الى صلب الموضوع ، فخطر الانحدار وخطر فقدان الهوية بالنسبة للاطفال المسلمين لا يكمن فى التعليم الدينى الذى يتلقونه فى المدارس القرآنية رغم ما قد يكون فيه من قصور ، وانما يكمن هذا الخطر فى انعدام أى تعليم دينى • وبصرف النظر عن ذلك فان هذه الاعتراضات تشتمل على مبالغات حادة لان « تعليم الاطفال بعض سور القرآن ليس شيئا كثيرا ولا يشكل عبئا على الاطفال » كما يقول امام المركز الاسلامى فى كولونيا فى

1) Koelner Stadtanzeiger, 29.6.77.
2) Wanzura, I.c.
3) Frankfurter Rundschau, 29.6.77.

معرض اجابته على هذا الاعتراض .

ومما لا شك فيه أن النزاع حول المدارس القرآنية قد اتخذ طابعا سياسيا ، وأصبح النقاش حولها نقاشا حاميا ، وعلى وجه الخصوص عندما قامت رابطة المدرسين الاتراك بمدينة دورتموند فى ١٩٧٨/٣/٢٠ بتقديم شكوى الى حكومة اقليم نورد راين فستفاليا(١) ، وقد جاء فى هذه الشكوى أن المدارس القرآنية تجعل التعايش بين الاطفال الاتراك والاطفال المسلمين فى المدارس فى ألمانيا الغربية أمرا بالغ الصعوبة ، وأنها بوجه عام تشكل خطرا محتملا . فالمدارس القرآنية ليست الا معسكرات للتربية الخاصة للاحزاب التركية الرجعية ، وهى أحزاب محظور عليها أن تمارس أى نشاط دينى أو سياسى فى تركيا .

ولكن هذه الحملة ضد المدارس القرآنية — كما لاحظ الجانب الالمانى فى أحد المقالات الصحفية(٢) — « ليست الا من قبيل الضرب فى الماء » . والامر المؤسف هو أن خصوم المدارس القرآنية من الاتراك ان كان لهجومهم أثر فانه لم يكن شيئا آخر غير زيادة تقوية الاحكام المسبقة والاوهام الراسخة عن تأخر الاتراك .

وهناك الآن فى ألمانيا الغربية حوالى أحد عشر ألفا من الاطفال الاتراك يذهبون الى المدارس القرآنية . وعليهم أن يحفظوا — خلال ثلاثة شهور يذهبون فيها الى هذه المدارس — من خمس الى عشر من قصار السور باللغة العربية .

وقد تبين للمراقبين الالمان أيضا أنه لا يبدو اطلاقا أن هؤلاء الاطفال يعطون انطباعا بالخوف أو الرعب — كما يشاع — . وتضيف هذه المقالة(٣) : « أن واجب الآباء والامهات يحتم عليهم أن يعلموا أولادهم الدين . واتباع هذا الواجب الذى هو غير غريب على الاديان الاخرى يعنى بالدرجة الاولى ممارسة عملية للحق الثابت فى حرية العقيدة . وهذا أمر يبدو أنه لا يجد الا القليل من الاهتمام فى المناقشات العامة حول المدارس القرآنية» .

ويضاف الى ذلك ما يقوله امام المركز الاسلامى فى كولونيا : « لقد أقمنا فى فروعنا دورا لرياض الاطفال لاننا نريد أن نحمى الاطفال من الشارع نظرا لأن الآباء والامهات غالبا ما يكونون مشغولين بأعمالهم » . وفى هذا الصدد نشرت أيضا واحدة من كبريات الصحف اليومية الألمانية مقالا (٤) جاء فيه أن أحد المسلمين المحافظين فى ألمانيا لديه ستة أطفال وأنهم يذهبون بسرور الى المدارس القرآنية ، ويعبر هؤلاء الأطفال عن ذلك بقولهم : « ان لنا هناك أصدقاء وأنه يسمح لنا هناك أيضا باللعب » .

1) Stuttgarter Zeitung, 1.6.78.
2) Plus, 26.3.80.
3) Ibid.
4) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80

وليست هناك دراسات احصائية دقيقة عن موقف المسلمين فى ألمانيا الغربية ازاء المدارس القرآنية . وتقول فيلما اشتورم فى مقالها الذى سبق أن أشرنا اليه : ان الذى يهم المسلمين المحافظين فى الغالب هو حصول أولادهم على تعليم دينى ، أما المدارس القرآنية بأسلوبها الذى لا يقوم على خبرة وتخصص فلا يعلقون عليها الا آمالا قليلة .

وهناك تقييم آخر مختلف تماما لضرورة المدارس القرآنية ورد فى مقال نشر حديثا فى احدى الصحف اليومية(1) . وهو مقال يقوم على دراسة لمجموعة العمل الاسلامية المسيحية . وقد جاء فى هذا المقال أن على الطوائف الاسلامية أن تقوم بتنظيم دروس تجعل تعلم القرآن وتعلم السلوك الدينى أمرا ممكنا اذا ما أرادت أن تحافظ على الهوية الحضارية والدينية للاطفال المسلمين والاسر المسلمة . ولكن المقال يضيف الى ذلك أنه لم يكن هناك استعداد لا من جانب أولياء أمور التلاميذ ولا من المدرسين ولا من المدارس للعدد المتزايد من الاطفال المسلمين فى المدارس الالمانية . ففى عام ١٩٨٥ سيكون بين كل عشرة أطفال فى هذه المدارس طفل مسلم ،وفى بعض المدارس سيكون بين كل ثلاثة طفل مسلم . ومن أجل ذلك أصبح التخطيط من جانب الادارات المدرسية أمرا ضروريا حتى يمكن وضع حد للصراعات المتوقعة . ومن بين الاقتراحات المطروحة اقتراح بأن يكون تدريس الدين الاسلامى باللغة الالمانية فى المدارس العامة « وبذلك يمكن الحصول على منطلق يساعد على تأمل وفهم للمضمون الدينى والحضارى للاسلام فى محيط مسيحى » .

ولكن مثل هذه المقالة الاخيرة ليست الا بصيصا ضئيلا من نور فى خلفية النزاع الذى لا يزال مستمرا حول الاسلام فى ألمانيا الغربية . ويقول أحد المسلمين من أبناء الطائفة الاسلامية فى جنوب ألمانيا : « اننا بالعودة الى الاسلام نستطيع أن نستعيد احترامنا لذاتنا ، وبالثقة بالنفس تتحطم الكراهية أيضا » . ونستطيع أن نضيف الى ذلك أننا لو نظرنا للامر نظرة فلسفية فسنجد أن احترام الذات هو فى الوقت نفسه أساس للاخلاقيات .

وعلى الضد من ذلك يعبر أحد كبار رجال الدين البروتستانت وهو يورجن مكش عما يقول عنه « انه القلق الذى له ما يبرره من أن يتطور الاسلام فى ألمانيا الغربية الى حركة رجعية وقومية وبذلك يسقط فى دائرة مغلقة مثل حارات اليهود »(2) . ولا ينفرد الاب يورجن مكش وحده بهذه النظرة التشاؤمية قصيرة النظر ككل أنواع التشاؤم .

ويعبر السيد م.س. عبد الله عن المشكلة

1) Frankfurter Allgemeine, 25.10.80.

2) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80.

فى صياغة دقيقة بقوله : « أن المسألة الاساسية بالنسبة للشباب المسلم الناشىء فى ألمانيا الغربية هى : كيف يمكن للمرء أن يحافظ على هويتهم الدينية والحضارية فى مجتمع صناعى غربى ، وفى الوقت نفسه يعمل على تطورهم انسانيا واجتماعيا تطويرا يتناسب مع هذا المجتمع ؟ »(١) •

وهذه المسألة الهامة المتعلقة بتكيف الاسلام مع المجتمع الحديث المتفوق فى العلم والصناعة تخرج للاسف عن نطاق هذه المحاضرة • ونكتفى هنا بالقول بأنه « ليس هناك شك فى أن المسلمين الذين يعيشون فى محيط غير اسلامى مطالبون فى هذا الصراع مع الحضارة الغربية العلمانية بمحاولة البحث عن أسلوب جديد يتعاملون به مع الحياة فى هذه المجتمعات ويتفق فى النهاية مع تعاليم الاسلام • والشرط الضرورى لذلك هو بدون شك تعليم الدين » وان كان شرطا غير كاف •

ويمكننا أن نقول ــ فى نهاية الحديث عن موضوع المدارس القرآنية ــ : أن هناك اعترافا يتزايد باستمرار من الجانب الالمانى وبوجه خاص من الجانب الكنسى بضرورة التعليم الدينى الاسلامى وضرورة دروس القرآن للاطفال المسلمين فى ألمانيا الغربية • وعلى الرغم من ذلك فان تحقيق هذا المطلب لا يزال بعيدا • فطالما أن الاسلام فى ألمانيا الغربية غير معترف به اعترافا قانونيا عاما فان مثل هذه المشاكل لن يمكن حلها فى واقع الامر ولهذا نريد فى الفقرة الختامية من هذه المحاضرة أن نوجه اهتمامنا بشىء من التفصيل لمسألة الاعتراف القانونى العام بالاسلام فى ألمانيا الغربية •

٥ ــ مشكلة الاعتراف القانونى العام بالاسلام فى ألمانيا الغربية :

ان مما يجعل وضع المسلمين فى ألمانيا الغربية أمرا بالغ الصعوبة هو أنهم بوصفهم طائفة دينية ليست لهم أية حقوق(٢) أما الاسس القانونية القائمة بالنسبة للمسلمين فانها لا تتناسب بأى حال من الاحوال مع الاوضاع والظروف الحقيقية • فالقوانين عرجاء كما هى فى غالب الاحيان ، وهى قوانين متخلفة تخلفا بعيد المدى عن الاوضاع الواقعية ، كما يشير الى ذلك أيضا الاب فانتسورا • ويبدو أن الاسلام ليس له وجود بالنسبة للمشرعين وللبيروقراطية الالمانية ــ كما يشير الى ذلك هورست هوهمان فى مقال له بعنوان « هؤلاء القادمون من الشرق»(٣) والآن وبعد مرور خمس سنوات على هذا المقال فان الوضع بالنسبة للمسلمين لم يتغير فى جوهره للاسف، على الرغم من أن بلجيكا مثلا وهى دولة مجاورة لالمانيا قد اعترفت بالاسلام منذ عام ١٩٧٤ وأصبح المسلمون هناك متساوين فى

١) Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.79.

٢) Christ und Welt, 27.2.76.

٣) Ibid

الإسلام ومشكلات المسلمين

الحقوق مع الكنائس المسيحية والطوائف اليهودية .

واذا صرفنا النظر عن مواقف الرفض المبدئية المعروفة تجاه الاسلام ، فان المرء يحق له أن يسأل : ما هى الاسباب الخاصة لرفض الاعتراف بالاسلام حتى الآن فى ألمانيا الغربية اعترافا قانونيا عاما ؟

وما هى الاسباب التى تجعل المسلمين هناك يعتبرون الاعتراف القانونى العام بالاسلام أمرا ضروريا ؟ ان الطوائف الاسلامية فى أوضاعها الحالية فى ألمانيا الغربية لا يحق لها مثلا أن تقوم باصدار أية وثائق يعترف بها بصفة رسمية فى مجالات الاحوال الشخصية والاسرية ، وانه لمن الصعوبة بمكان على من يدخلون فى الاسلام أن يثبتوا ذلك لاخوانهم فى العقيدة الاسلامية . والامر الاكثر أهمية من ذلك هو انه لا يجوز للمسلمين أن ينشئوا أية مؤسسات اجتماعية مثل المستشفيات والمدارس ومعاهد العلم ورياض الاطفال وهذا أمر مؤسف بالنسبة للجانب الاسلامى ، وعلى وجه الخصوص لان المسلمين بهذا الشكل لا يستطيعون أن يكون لهم أى تأثير على التطور المدرسى لأولادهم ولا على تعليمهم تعليما دينيا(١) وقد سبق أن أشرنا الى أن انعدام التعليم الدينى بالنسبة للاطفال المسلمين ينذر بعواقب وخيمة .

وقد طالب الجانب الاسلامى منذ وقت طويل بالاعتراف بالاسلام فى ألمانيا الغربية (٢) واعتبار اتباعه طائفة دينية لها حقوق عامة على أساس أن يوضع بذلك المسلمون المتمسكون بشعائر دينهم فى نفس المرتبة مع نظرائهم من المواطنين المتمسكين بعقائدهم . وحينئذ يستطيع المسلمون أن يشكلوا جمعيات دينية لها ممثلون يتحدثون باسمها ، كما يمكن تدريس الدين الاسلامى للتلاميذ المسلمين بصفة ثابتة وعلى أسس سليمة ، ويمكن أيضا اصدار الوثائق واتمام عقود الزواج والطلاق واقامة مراسيم الجنائز وغير ذلك على أسس اسلامية .

وهناك سبب رئيسى آخر يدعو الى الاعتراف بالاسلام وهو أن الاعتراف بالطائفة الاسلامية بوصفها هيئة لها حقوق عامة سيساعد بالتأكيد على ازالة الشعور بالظلم الذى يشعر به المسلمون بسبب هضم حقوقهم الدينية ، هذا الشعور الذى يضاف اليه بالنسبة لهم ادراكهم بأنهم مغلوبون على أمرهم فى ألمانيا الغربية من الناحيتين المادية والاجتماعية .

ولكن فيلما اشتورم تقول فى مقال لها عام ١٩٧٦ : ان الحكومة التركية ليس لديها أى اهتمام لحدوث مثل هذه التغييرات . وهذه الحقيقة التى تشكل الخلفية لهذه الحملات

---

1) Christ und Welt, 27.2.76.

2) Frankfurter Allgemeine, 13.3.76.

الكثيرة المحمومة ضد المدارس القرآنية بوصفها مؤسسات غير شرعية تثبت أيضا انها تمثل واحدة من العقبات الاساسية امام الاعتراف القانونى بالاسلام فى ألمانيا الغربية. فسياسة المنظمات الاسلامية التركية فى ألمانيا الغربية والتى ترفض الجمهورية التركية فى صيغتها الحالية وتؤيد بدلا منها اقامة جمهورية اسلامية ـ هذه السياسة ليس لها فى تركيا ذاتها ـ على المستوى الرسمى ـ أو نصير ، فان مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك قد جعل هناك فاصلا حادا بين السياسة والدين ، وحد بطريقة متطرفة من تأثير الاسلام فى المجتمع ، هذا التأثير الذى كان يسود الحياة كلها آنذاك ولم يتغير شىء من ذلك منذ أتاتورك حتى اليوم وهكذا نجد ان الطوائف التركية الاسلامية تتناقض من حيث المبدأ مع الدستور التركى .

ولكن على الرغم من كل هذه الصعوبات (أو ربما بسبب هذه الصعوبات) فقد تزايد تجمع المسلمين فى ألمانيا الغربية فى السنوات الأخيرة فى جماعات تسعى للاهتمام بالحياة طبقا للتعاليم الاسلامية . ولكن لم يكن امامهم من الناحية القانونية امكانية أخرى غير صيغة (رابطة مسجلة) .

وتحت هذه الصيغة أيضا فى العام الماضى (١٩٨٠) تسجيل اتحاد العمال المسلمين فى أوربا ومقره مدينة كولونيا بألمانيا الغربية . وتحدد المادة الثانية من دستور هذا الاتحاد هدف هذه الرابطة على النحو التالى : « يهدف الاتحاد الى توثيق ونشر التصور الاسلامى الصحيح والسلوك الاسلامى القويم بين العمال المسلمين فى أوربا ويتخذ الاتحاد لتحقيق هذا الهدف الوسائل والاساليب الموافقة للشرع الاسلامى » (١) .

ويصف السيد م . س . عبد الله الوضع الذى كان قائما حتى وقت قريب داخل الجمعيات الاسلامية فى ألمانيا الغربية بقوله « ان المأزق الذى يحيط بالمسلمين وجمعياتهم فى ألمانيا الغربية يتمثل فى تمزقهم وعدم اتحادهم » (٢) ومن أجل ذلك فان الجانب الالمانى قد استطاع باستمرار وحتى قبل وقت قصير أن ينتهى من موضوع الاعتراف القانونى العام بالاسلام بالاشارة الى أنه من الامور التى تخص المسلمين أنفسهم فى نهاية الامر أن يقدموا الدليل على أن جماعاتهم الدينية فى ألمانيا الغربية قادرة على أن تمثلهم

---

(١) نشرة النشاطات لاتحاد العمال المسلمين فى أوربا رقم ٤ (اغسطس ـ سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٠) .

2) Die Praesenz des Islam in der BRD (Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80.)

أمام الدولة كطرف مقابل • وقد كان من السهل نسبيا على المسئولين هناك ان يشيروا الى تفرق الجماعات الاسلامية ، هذا التفرق الذى أصبح فى تزايد مستمر — علامة سلبية للوجود الاسلامى فى المانيا الغربية (١) •

ولكن يبدو أن هذا الحال قد بدأ يتغير تغيرا ايجابيا • ففى ١٩٧٩/٣/١ تقدم المركز الثقافى الاسلامى فى كولونيا — والذى يعتبر المركز الرئيسى لحركة السليمانلى التى هى أكبر الطوائف الاسلامية فى المانيا الغربية — تقدم هذا المركز بطلب الى المسئولين فى اقليم نوردراين فستفاليا الذى يضم منطقة الرور الصناعية والذى يعيش فيه أكثر من نصف مليون من العمال المسلمين — يلتمس فيه المساواة القانونية للاسلام بالكنائس المسيحية والطائفة اليهودية • وجاء فى هذه الوثيقة « ان المركز الثقافى الاسلامى فى كولونيا على استعداد للتعاون المشترك مع المؤسسات الحكومية وأنه يشعر بالتزامه بالنظام الديمقراطى الحر فى ألمانيا الغربية • ولا يرى المركز أى تناقض فى التزامه بالشريعة الاسلامية من ناحية ولائه للدولة وللمجتمع الذى تقوم عليه من ناحية أخرى •• والهدف الواضح هو اندماج المسلمين الاجانب فى المجتمع الالمانى بما يترتب على ذلك من حقوق والتزامات ونحن نرفض الوجود المنغلق مثل حارات اليهود (Getto) ونرفض الانغلاق الحضارى والتعصب والتطرف » وأكد امام المركز الاسلامى فى كولونيا فى حديث له على الحياد السياسى لمنظمته و « أوضح أن جماعته ستتمسك بنموذج الاندماج رغم المعارضة والهجوم المتواصل ، وذلك لأن الجماعة لا تريد أن تضيع مستقبل الاسلام وأتباعه فى المانيا • ولكنه لا يريد أن يفهم احد ان الاندماج يعنى محو الهوية فالاندماج كما يقول — يعنى بالنسبة لنا ادماج أو انتظام المسلمين الاجانب فى المجتمع الالمانى مع الاحتفاظ والعناية بالاستقلال الحضارى والدينى واللغوى (٢) •

أما الجماعات الاسلامية الأخرى والتى تمثل المجموعة الرئيسية فى ألمانيا الغربية — كما اشرنا الى ذلك فى بداية هذه المحاضرة — فان البعض منها يسعى أيضا الى الاعتراف القانونى العام بالاسلام ولكنهم يرفضون التعاون المشترك مع أجهزة المجتمع الالمانى • وفضلا عن ذلك فقد أعاد ممثلو هذه المجموعة الى الاذهان التأكيد على أنه ليس هناك أى

1) Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.79.

2) Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.79.

مجال للتعاون مع الجماعات الدينية الأخرى غير الاسلامية (١) •

أما رد فعل الصحافة الألمانية على طلب الاعتراف القانونى العام بالاسلام فقد كان سلبيا بشكل يكاد يكون اجماعيا • وسرعان ما أعادت الصحافة من جديد فى تناولها لهذه القضية كل الصيغ المصبوبة فى قوالب هجومية ضد الاسلام من أمثال « المتعصبون الدينيون ، السليمانلى — جمعية غير شرعية محظورة فى تركيا ، التخلف واضطهاد النساء ، معلمو المدارس القرآنية يضربون التلاميذ ، وماشاكل ذلك • وقد جاء على سبيل المثال فى مجلة (Spiegel) الواسعة الانتشار فى ٣١/١٢/١٩٧٩ — أن نقابات العمال الالمان تبدى قلقها لأن المسلمين فى المانيا الغربية فى حالة الاعتراف بالاسلام لن يعترفوا الا بسور القرآن ، وأنه لن يمكن حينئذ استبعاد حدوث « ارهاب دينى مكشوف على كل المواطنين الاتراك » وجاء فى المجلة المذكورة أيضا أن المركز الاسلامى فى كولونيا يعترف على الورق فقط بالنظام الديمقراطى الحر فى المانيا الغربية وأنه يخشى بوجه خاص أن يؤدى الاعتراف العام بالاسلام الى ثراء قيادات المسلمين واحساسهم بالقوة وجعلهم متحدثين باسم ثالث أكبر الطوائف الدينية فى ألمانيا الغربية وحينئذ يستطيعون — كما يقال أن يطلبوا ضرائب دينية من اخوانهم المسلمين • ويتحتم على الادارات المالية الحكومية فى هذه الحال أن تقوم بتحصيل هذه الضرائب لهم كما هو الحال لدى كل من الطائفتين الكاثوليكية والبروتستانتية •

ويقول المسئولون فى حكومة نوردراين فستفاليا الذين يقومون بفحص طلب الاعتراف بالاسلام — انهم يقفون امام عالم جديد أو أرض جديدة تماما •ولكن المرء يحق لنا هنا أن يتساءل : كيف تغلب المسئولون فى بلجيكا — مثلا — على نفس المشكلة ؟

ان المسئولين فى حكومة اقليم نوردراين فستفاليا لا يعلمون — كما يقال — ما اذا كانت حركة السليمانلى تمثل الاسلام فى ألمانيا بوصفه دينا عالميا أم أن الامر يدور هنا فى هذه الحركة حول أقلية متطرفة • وتسجل مجلة (Spiegel) فى دهشة حقيقة مؤداها ان الجهات الكاثوليكية المختصة بالاتصالات بغير المسيحين تؤيد موضوع المسلمين وانه حتى الماسونيين يطلبون من رئيس وزراء الاقليم « الاسراع فى بحث طلب الاعتراف ببنى وطننا — كما يقولون — والبت فيه بطريقة ايجابية » •

وعلى كل حال فانه سرعان ما يضاف الى ذلك ان السفارة الالمانية فى أنقرة قد حذرت وزارة الخارجية الالمانية من عواقب الاعتراف بالاسلام ، وان اتحاد نقابات العمال الالمانى يخشى من حدوث « صعوبات خطيرة فى السياسة الخارجية » مع الحكومة التركية ويذكر فى هذا الصدد أن نائب الممثل الاعلى للاسلام فى تركيا قد قال « اذا استجاب المسئولون الالمان لطلب الاعتراف فانه

1) Ibid.

سيترتب على ذلك مشكلات كثيرة ونحن نرفض الاعتراف بهذا المركز » (أى المركز الاسلامى فى كولونيا) (١) •

ولكننا اذا نظرنا الى القضية نظرة أعمق فان السؤال الوارد هو ما اذا كانت ستحدث هناك مشكلات أكثر اذا لم تتم الاستجابة لطلب الاعتراف بالاسلام •

وردا على الاتهامات والمخاوف التى عبرت عنها الصحافة الالمانية يجب أن نقرر أنها تقوم على تصور معكوس تماما للاسلام وعلى تجاهل تام للبواعث الحقيقية للمسلمين فى المانيا ، وهى بواعث دينية بحتة وليست بواعث سياسية • والاسلام دين السلام وليس دين الارهاب وقد أثبت باستمرار سلمه وتسامحه وانفتاحه خلال تاريخه الطويل • ومن أجل ذلك فان الاسلام لا يساند الارهاب بأى حال من الأحوال فى أى شكل من أشكاله سواء كان هذا الارهاب من جانب المسلمين أو ضدهم •

ويشير (Heinz Metlitzky) الى أن هناك أسبابا سياسية للحملة ضد الاسلام ، ويقول فى مقال نشر فى شهر مايو من العام الماضى (٢) : « •• فى نهاية الأمر يراد للاسلام بوصفه قوة محافظة أن يلزم حدوده واذن فليس هناك أيضا اعتراف بالمسلمين كطائفة لها حقوق عامة مثل الحقوق التى للكاثوليك والبروتستانت واليهود ، وأيضا مثل الحقوق التى حصلت عليها فى الآونة الأخيرة طوائف أخرى مثل المعمدانيين وجيش الخلاص وغيرهما » • ويوضح ميتليتسكى بطريقة موضوعية البواعث غير السياسية التى يقوم عليها طلب الاعتراف ويقول : « يريد المسلمون هذا الاعتراف لانه بجانب المركز الأدبى الذى سيحققه هذا الاعتراف للطائفة الاسلامية سيجعل لها أيضا تأثيرا على تعليم الدين الاسلامى فى المدارس ويفتح أمامها الطريق الى لجان الاشراف فى المؤسسات العامة ، وبذلك يجعل لها تأثيرا على برامج الاذاعة والتليفزيون الموجهة للاتراك • ولا يرغب المسلمون فى أن تقوم مكاتب الضرائب بتحصيل أية ضرائب دينية لهم لأن هذا — فى نظرهم — أمر لا يتفق مع الاسلام • وكهيئة لها حقوق عامة يستطيع المسلمون من الناحية النظرية أن يعقدوا اتفاقا مع الدولة حول تحصيل هذه الضرائب • وقد رفض المسلمون منذ وقت قصير فى أحد برامج التليفزيون المركزى الالمانى أن تقوم الدولة بتحصيل أية ضرائب لهم » •

وهناك أيضا أقوال أخرى هى فى جوهرها أكثر تعقلا وأكثر بعد نظر من تلك الأقوال المثيرة ضد الاسلام والتى سبقت الاشارة اليها • ومن بين هذه الأقوال المتعلقة ما يقوله الأب يورجن مكش (Miksch) عن ضرورة مساعدة أولئك المسلمين الذين لا يدعون للحرب المقدسة ضد الغرب (٣) •

ولكن الحديث عن الحرب المقدسة ضد الغرب هو — فى حقيقة الأمر — حديث

1) Vorwaerts, 31.1.80.

2) Rheinischer Merkur, 2.5.80.

3) Frankfurter Rundschau, 8.2.80.

لا يستند الى الواقع • ويبــدو للأســف أن الجانب الالمانى لا يزال ينظر الى حل المشكلة فى استمرار اضطهاد الإسلام فى تعصب ظاهر بدلا من الأخذ بموقف ايجابى ازاء الجماعات الاسلامية التى أبدت اســتعدادها للتعــاون المشترك •

وفى ٣٠/٦/ ١٩٨٠ م نشرت احـــــدى الصحف (١) خطابا لأحد القراء وهو طالب فى جامعة ماربورج يدرس علوم الأديان وآداب الهند وآداب الاتراك • ويقف هذا الطالب فى خطابه فى صف مطالبة الحــكومة الاتحــادية بالاعتراف بالاســلام ، لأن هــذا الاعتراف سيتيح امكانية انشاء مؤسسات عامة للتثقيف والتدريب وامكانية الاشراف عليها أيضا بهدف تخريج مدرسين أكفـــاء لتــدريس الــدين الاسلامى • وجاءت الاجابة على هذا المطلب فى نفس الصحيفة بتاريخ ٢٢/٧/١٩٨٠ م بــأن الاسلام يشكل خطــرا كبيرا على النظـــام الأساسى الديمقراطى الحر فى المانيا الغربية• فالاسلام مثلا يتناقض مع الدستور برفضــه للمساواة بين الرجل والمرأة •ومن أجــل ذلك فانه لا يمكن أن يتصور حصول الاســلام فى المانيا الغربية على حقوق عامة • وتعقيبا على ذلك يمكننا أن نقول : ان النظرة الفاحصة لهذا الموضوع تبين لنا ان القضية ليست هى قضية الخطر المزعوم الذى يشكله الاســـلام على النظام الاساسى الديمقراطى الحر فى المانيــا الغربية ، وانما القضية هى ــ كمــا يقــول السيد/ عبد الله أيضا ــ ما اذا كان المجتمع الالمانى حرا بدرجة كافية لكى يضمن للأقليــة الاسلامية انطلاقا حــرا لقــواهم العقليــة وملكاتهم الفكرية ومدى استعداده لكى يحترم مالهم من خصـــائص دينيــة وحضـــارية واجتماعية • وهذا أمر يتطلب سلفا أن يطرح المرء فى المانيا الغربيــة وراء ظهره الأوهــام والأحكام المسبقة عن الاســلام والتى ظلت منتشرة قرونا طويلة • ومثل هذا الاســتعداد سيخرج الأقلية الاسلامية من الحلقة المفرغة من انعدام الثقــة والخــوف ، وبذلك ينفتح الطريق أمام الأعداد الغفيرة من الأطفـــال المسلمين للاندمــاج فى المجتمع الالمانى (٢) • ومثل هذا الاستعداد سيعطى أيضــا فرصــة للسلام لكلا الجانبين •

ولكن لابد فى النهاية من أن نعترف بالحقيقة التالية : فى حين كان الاسلام يبدو للمسئولين الالمان فى بادىء الأمر على أنه لا وجود لــه أصلا وأنه يمثل حركة معــادية فان الكنيســة الكاثوليكية تسعى الآن لاتخاذ موقف ايجابى ازاء الاســـلام • فالمسلمون ــ كما تقــول سكرتارية الفاتيكان المختصــة بشـــئون غير المســيحيين (٣) ــ « هم رفقـــاء نريد أن نشاركهم بوصفهم أصدقاء متساوين معنا أعز ما نملكه فى وجودنا » وهــو الايمــان بإلــه واحد •

1) Frankfurter Rundschau.
Allgemeine Zeitung, 13.3.76.

2) Wanzura, 1.c.
3) Frankfurter

ومشكلات المسلمين

وعلى الرغم من كل الصعوبات والملاحقات المتعصبة فان المسلمين فى المانيا الغربية مستمرون فى الكفاح باصرار من أجل حقوقهم وممارسة شعائر دينهم والاعتراف بالاسلام • وهم ليسوا حركات متطرفة تريد أن تعيد تشكيل المجتمع الالمانى طبقا لمعتقداتها وانما كل ما يهمهم هو تحقيق قيم ومطالب دينية أصيلة • وعلى الرغم من كل المعارضات (وربما من أجلها) فانهم يحققون أيضا باستمرار مكاسب فى مساعيهم للوصول الى اتحاد بين الطوائف الاسلامية المتفرقة • ومن أجل ذلك تم منذ وقت قريب فى مدينة دورتموند تأسيس اتحاد للطوائف الاسلامية فى اقليم نورد راين فستفاليا • ويضم هذا الاتحاد كلا من المركز الاسلامى فى كولونيا والطائفة الاسلامية فى دورتموند وجماعة المسلمين الناطقين بالالمانية فى اقليم نوردراين فستفاليا وجماعة نورد شولوك • وهذا الاتحاد « يمثل مصالح الطوائف المنضمة اليه أمام المؤسسات الحكومية والكنسية وكذلك أمام المجموعات الاجتماعية الأخرى » (١) •

وتبقى لنا فى نهاية هذه المحاضرة كلمة أخيرة ، وهى نداء نوجهه الى دول العالم الاسلامى لتتحمل مسئوليتها تجاه الأقليات الاسلامية فى دول العالم المختلفة وتستخدم مالها الآن من نفوذ فى السياسة الدولية لما فيه مصلحة هذه الأقليات • وهذا الاهتمام ليس أمرا ثانويا وانما هو واجب حذر النبى صلى الله عليه وسلم من اهماله حين قال :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » • وقد عبرت عن هذا الاهتمام احدى توصيات المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى عقد فى الدوحة فى شهر المحرم من العام الماضى (١٤٠٠ هـ) ، وقد جاء فى هذه التوصية ما يلى :

« يهيب المؤتمر بدول العالم التى توجد بها جاليات اسلامية أن تعترف بالاسلام ضمن الأديان المعترف بها رسميا فى مجتمعاتها وأن تكفل لمعتنقيه كافة الحقوق المقررة لأتباع الأديان الأخرى بما فى ذلك حقوق التعبد والتعليم والأحوال الشخصية وفقا لأحكام الاسلام » كما اتخذ مؤتمر القمة الاسلامى الذى عقد فى مكة فى الشهر الماضى توصية مماثلة •

ومثل هذه التوصيات لن يمكن ترجمتها الى واقع ملموس الا بالمواقف الايجابية الفعالة التى نامل أن تكون هى السمة البارزة للعمل الاسلامى فى العصر الحاضر • والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

أ• د• محمود حمدى زقزوق

1) Frankfurter Allgemeine Zeitung, 19.3.80.

وسائل إعداد

وسائل إعداد الداعية

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله • والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين •• أما بعد ،

فان حاجة الانسانية الى نور الفجر تشتد كلما لفها الظلام وحجبها عن سعيها • وكذلك تكون حاجة الانسانية أشد الى نور الحق كلما لفها ظلام المادة وانفصل الجسد عن الروح • وكذلك اذا انتشر الظلم تكون الحاجة الى العدل يرعى حقوقها ويصون كرامتها • وهكذا يبحث الانسان دائما عن راحة باله وهدوء سره ومنهاج حياته الذى يوصله الى طريق السعادة ويصله بالله عباده وبالناس تعاملا كريما • والانسانية لم تمر فى عصر من عصورها وهى تعيش على بركان الحمم الذى يوشك أن يقضى عليها كما هى الآن ذلك لان حضارة المادة سيطرت على النفوس وأيقظت فى الانسان نوازع الهوى وبسبب ذلك تقطعت روابط الاخوة والمحبة بين الناس • وسيطر الهوى الكذوب وحلت الانانية الجشعة محل التعاون • ان الانسان فى دنيا حضارة المادة ضائع بين سهر الليل وتعب النهار • شارد بعقله وراء لقمة العيش يسيطر عليه خوف فى يومه ثم هو يتوجس من غد لانه يتوقع الشر أكثر من يومه أن التقدم الحضارى والازدهار المادى والتقدم التكنولوجى لم يسعد الانسانية ولم تسترح فى ظلال كل هذه الاشياء لاننا نجد الضمير العالمى فى هيئة الامم ينظر الى قضايا الشعوب من خلال المنافع المادية التى تعود على شعب العالم أو صاحب الرأى فالمنفعة المادية حتى ولو كانت استغلالا للاخرين ولمقدرات الناس هى هدفه فهو يدافع عنها باعتبار ذلك لمصلحة بلاده ولو كان من وراء ذلك الموت للاخرين ان دوافع الماديين دائما ترتبط بمنافعهم ولذلك لم تسعد الانسانية فى ظل تلك المؤسسات • ثم نحن نرى أن وسائل الاعلام بمختلف أنواعها قد قربت المفاهيم وطوت المسافات وحطمت

الدعاة

للأستاذ منصور الرفاعى عبيد

الفوارق ومحت الزمن وأصبح من السهل أن تعيش فى مصر وتنظر الى أخبار أمريكا وتسمع أنباء موسكو وتعرف آخر مبتكرات اليابان فى وقت اذاعة الخبر هناك . لان القمر الصناعى بكل مقوماته ينقل اليك ما ترجوه . فأنت عندما تحرك مؤشر الراديو أو تقلب مفتاح التليفزيون أو تقوم بتركيب شريط الفيديو الذى يسترجع لك ما قدم من زمن ترى وتسمع ما تشاء كل ذلك يجعلنا نطيل الوقفة ونحن نتكلم عن وسائل اعداد الدعاه . لان هذا العصر هو عصر التطور السريع . والانسانية خلال كل ذلك يسيطر عليها الفزع والاضطراب والقلق لان عنصر الايمان قد فقد من حياتهم وعندما نتكلم عن الايمان نقصد به الايمان الذى يؤصل القيم الاخلاقية ليتحقق فى دنيا الناس العدل والحق والبر والصدق .. اننا فى حاجة الى دعوة صادقة تبدد ظلام الخوف . وتقيم دعائم الثقة فى نفس الانسان ليتحقق له مطالب جسمه وفضائل روحه .

اننا نريد أن ننشر الدعوة التى تبقى على الانسان سيدا فى الارض خليفة لمالك الملك لتتصل الارض بالسماء ويتدرج الانسان فى مدارج الكمال فيمشى على الارض بخلق السماء ويتطلع الى السماء بحسن السعى فى الارض .

وفى ظل ذلك يحيا الناس فى أمن وأمان ومحبة وسلام الكل يتمتع بخير الله الذى أودعه فى الكون . فهم جميعا شركاء فى ضوء الشمس ونورها كما هم شركاء فى الماء والهواء والكلام ثم بينهم تكافل اجتماعى فى الغذاء فالغنى يساعد الفقير لان فى ماله حقا معلوما للسائل والمحروم كل ذلك لتلاقيهم على فطرة

واحدة فهم أبناء أب واحد خلقه خالق الشمس ورب العالمين وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ليظهره على الدين كله فالدين فطرة الله التى فطر الناس عليها فكما يتلاقون على الانتفاع بما فى الكون كذلك يتلاقون على كلمة الحق والعدل والاعتراف لله بالربوبية فاذا فهموا ذلك دخلوا فى عبادة خاشعة ودخول الناس فى العبادة ليعيشوا فى الكون مؤمنين بالله مستشعرين آياته فى خلقه تستمع آذانهم للسان الكون بذراته وهو يسبح بحمد الله الواحد وليس للكون ما يحفظ أمنه ويصونه وليس للسلام ما يدعمه ويرعاه وللامن ما يحقق أهدافه ويثبت دعائمه الا الايمان بالله والالتزام بعبادته والوقوف عند حدوده والخشية منه والاستعداد للقائه بذلك تصفو النفس فيأمن بجوارها الجميع ويردد الكل « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ » . وهذا هو مفتاح السعادة والاستقرار وهو الطريق الذى نعد له القادة الذين هم مشاعل الهداية للبشرية الحائرة فى وسط الصراع الرهيب وما على الانسانية الا أن تقترب من الدين وتخفى أطماعها وتبرز خصائصها الاصيلة من كرم النفس وسماحة الخلق وسعة الصدر ولين الكلام وحسن التفاهم فى ظل أخوة بارة ومحبة صادقة وساعتها تشبع البطون وتنام العيون بعد أن عملت الايدى لصالح الجميع والبشرية لن تفهم هذا الا من فم المصلحين والهداة المرشدين الذين يسيرون على هدى الله ويلتزمون بنهج رسوله الكريم فى توجيه الناس وارشادهم وتوجيههم الى فعل الخير بالكلمة الهادية الطيبة والموعظة الحسنة والتبصير بما يجب على الفرد أن يفعله والجماعة وواجبها للحفاظ على سلام البشرية وأمن الانسانية .

هل نحن مقبلون على عصر جديد ؟؟
سؤال يتردد فى فكر كل محب لخير الانسانية ولأمته ووطنه والدافع لهذا السؤال ما تراه من قلق على مصير الانسانية .

لان الدول المتقدمة الغنية تعيش فى رعب لذلك فهى تحاول أن تغرق أبناءها فى الترف المادى والبطش بالاخرين عن طريق سبق التسلح ثم فى الدول النامية قلق كذلك لما تعانيه من حرمان وما تحمله من أعباء فأنت ترى قلقا هناك من التقدم العلمى وقلقا هنا سببه الخوف من استخدام التقدم العلمى الذى أصبح سوط عذاب فى يد القوى فى مواجهة الضعيف .

عالمنا هذا يموج بالصراعات وكل شىء فيه آخذ فى الزيادة ــ العلم ــ المال ــ الانتاج ــ لقد أصبح الطعام ترفا لحيوانات مدلله بينما يحرم منه بعض البشر ويموت كذلك أطفال من قلة الطعام . لقد أصبح من ثمار العقل الانسانى وكشوفه المستمرة أن جعل من خبرات البر والبحر والسماء أسلحة خطيرة فى يد تجار الحروب .

ان المادة الغشوم تتوعد الانسان فى ليله ونهاره بالحرب المدمرة والظلام المسيطر . لقد سلبت الحضارة المادية قوت الانسان وتركته طريد بؤس وعبد شقاء ثم انطلقت المادة باسم القوم فى تجربة أخرى حيث أشاعت بغبارها

الموت البطيء لا للانسان فحسب • بل للانسان والحيوان والنبات ومن وراء ذلك فتت الجماد ـ قنابل ذرية • صواريخ عابرة للقارات • وأين أخلاق القوم ؟ انها وضعت فى مخازن البارود ومن هنا فالانسانية اليوم يغمرها طوفان الهوى وتلاحقها أمواج الباطل فى ظل الحضارة المادية •• فما هو العنصر المفقود الذى يجعل العلم والمال والانتاج لخيرات الانسانية تسعد بها كما تسعد بشعاع الشمس وضياء القمر وجريان الماء وجمال الزهور وتغريد الطيور •

ان هذا العنصر هو الايمان بالله • ورسله وكتبه المنزلة • واليوم الآخر • والحساب والجزاء •

ايمان بالاخوة الانسانية • ايمان بالحرية والعدل والسلام • ايمان دعا اليه كل نبى ورسول • وهتف بلغته الصالحون واستشهد فى سبيله الابرار الاتقياء • ايمان يتردد من فوق المآذن ويسرى صداه من بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس ليكون لهم سفينة نجاة فى الارض «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» • هذا الايمان عريق فى الانسانية لانه نزعة فطرية بل هو روحها الذى بدأت معه نشأتها الاولى •

أنت وأنا وكل انسان • أبدعته يد الله الذى خلقه من طين لازب ثم نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا سويا واستخلفه وذريته فى الارض لينظر كيف تعملون بهذه النفحة التى صارت بين جوانحك نورا كرمك الله بها على جميع المخلوقات والنور يدعوك دائما الى حب الانسان وتكريمه لا عصبية للون ولا لجنس لاننا كلنا أخوة لاب واحد : هو آدم والام حواء يقول الله سبحانه : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» وكذلك «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» • وجاء فى اعلان حقوق الانسان الذى أقرته الامم المتحدة عام ١٩٤٨ (يولد الناس أحرارا متساويين فى الكرامة والحقوق وكلهم قد وهب الرشد والضمير • وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح من الاخاء لكل انسان الحق فى الحياة والحرية والامن الشخصى من خلال هذا ترى أن الانسان الذى منحه الله الروح وأضفى عليه نعوت الجمال ووهبه ملكة التفكير والحرية يرى هذا الانسان أن عنصر النجاة فى هذه الحياة المضطربة هو الايمان بالله الذى أحسن كل شىء خلقه وأودع فى كل شىء مقوماته • وجعل انسانية الانسان هى التى تسيطر على كل شىء • «سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ • وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» ولهذا يقول الحق «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» فاذا أفاض الله على الانسان بالمال فعليه أن يرعى حق الله فيه يمد يد العون ويسهم فى كل تقدم يخدم قضية الايمان ويحقق على الارض الامن وينشر فى

وسائل إعداد

ربوعها السلام ولهذا قلل الحق عقب الآية الماضية «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» .

لذلك فان الانسانية مقبلة على عصر جديد من السلام والامان اذا هى ركبت سفينة الايمان فان اليأس يطرد من قلبها والطمأنينة تستقر فى النفوس والاحداث تبنى الانسان ولا تهدمه لانه يعتمد على الله الذى يؤمن به ربا خالقا قادرا له ملك السموات والارض وما بينهما وهو على كل شىء قدير . ولقد أراد الحق سبحانه أن يجعل فى تاريخ الانسانية سفينة نجاة تجرى بالمؤمنين فى موج كالجبال وتوصله الى بر الامان ليعرف الانسان قدر الايمان بالله الذى ينجيه من المهالك ويدرك أن الطبيعة زمامها بيد الله الذى لا يقع فى ملكه الا ما أراد ولكنه سبحانه يقول «وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» ويقول «وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» .

وقيام الامر على هذا يجعلنا نتقبل الحياة بكل ما فيها مع الاخذ بعزائم الامور والسير على حسب نهج الله والانطلاق فى الآفاق للبناء والتعمير وفق شريعة الله لان امره الينا «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» . ذلك لان الحياة الدنيا تمهيد لغاية سوف نرحل اليها ان عاجلا أو آجلا ويومها تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، وكذلك «ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا» ولم أر جمعا توجه الى غاية واحدة فتوحد قصدا واتجاها وعملا مثل ركب المؤمنين المتوجهين الى الله فالجلال يحف بهم والبهاء فى مقدمتهم «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» .

لذلك فركبهم تخشى ذئاب الهوى أن تقترب منه وتأبى نوازع الشر ان تنزل بساحته . لان الايمان بالله أيقظ ضميرهم فهم يقولون الحق ويعدلون به مع الصديق والعدو يوفون بالعهد ويجيرون من استجار بهم حتى يسمع منهم كلام الله ثم يبلغ مأمنه بلا أذى ولا اكراه وشعارهم «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ» . ان الايمان بالله يربط بين معتنقيه برباط وثيق يجمع ولا يفرق يشيع الايثار والحب والاخاء ويقضى على عوامل الاثره والبغض والحقد فمن قول نبيهم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» وهذا هو العصر الذى ندعوا اليه . عصر الايمان بالله الذى يدعو الى حفظ انسانية الانسان ورعاية حقوقه ويجعل الحياة ندية بيقظة الضمير وخشية الخالق . فيسعد هو بصلته بربه ويسعد الخلق لانه كف أذاه

عن الناس وسلموا من لسانه ويده وأمنه الناس كذلك على دمائهم وأموالهم وأعراضهم . وهذه الساحة الربانية الهدف تدعو الناس جميعا الى الدخول فيها ليسعدوا تحت لواء الخير الذى ينشره الله على المؤمنين « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » وقضية الايمان بالله فى الدين الاسلامى ليست بمعزل عن الحياة تصاغ فى نظريات فلسفية أو كلمات مبهمة لا يفهم معناها ولا يدرك مغزاها . أو أن ذلك الايمان يدعو معتنقيه الى رهبنة وعزلة عن المجتمع والتنكر لغرائز الانسان . لا .. فالايمان قواعده سهلة ميسرة وكلماته واضحة لا تعرف الالتواء ولا الغموض . يقول الحق سبحانه : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » . فقضية الايمان كذلك تدخل الى حياة الفرد . مع نفسه . والاسرة . والمجتمع . والانسانية بأسرها قضية الايمان هى أن يتسق الانسان مع هذا الكون فيقوم بعمله فى المصنع : الاتقان والاحسان ويقظة الضمير وفى الحقل بالجد والاجتهاد وفى المعمل بالابتكار لكل ما يخفف آلام الانسانية ويسهم فى بعد شبح الخوف عن مجتمعها كل ذلك يسبقه ويتخلله ويعقبه . صلاة لله فى محراب العبادة تضفى عليه سكينة النفس وراحة البال وهدوء الاعصاب وشعوره بالانتماء الى بنى جنسه . فيصون بذلك فرجه بزواج كريم لتستمر الحياة فى مسيرتها ويعيش مع الناس عفيف العين بار اليد طاهر اللسان سليم القلب وهو كذلك فى السلم والحرب قوى العقيدة ثابت اليقين . شعاره فى النصر ما قال الحق : « الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ » وفى السلم : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

لذلك ندعو الانسانية والعقلاء منها أن يحكموا عقولهم للوصول الى الحق لتنعم الانسانية فى ظلاله وتجد نفسها تحت لوائه وتنعم بخير الوجود .

الداعية

ولعل قائلا يقول . ما لتربية الداعية وهذه المقدمة . ونبادر فنقول . ان من نافلة القول أن نقول انه لابد للامام أن يعيش زمانه ويتعرف على ما يجرى حوله وأن يكون واسع الافق — دائرة معارف — ثم يدرس مشاكل بيئته ويتعرف على لهجاتها وأفكار قومه وما يسيطر عليهم من مذاهب ويتحكم فى سلوكهم من دوافع . لان مهمة الامام ان يعبر بالناس دنياهم ليصلهم بالله ويشدهم الى القيم الاخلاقية ويؤصل فيهم نوازع الخير ويدفع بهم الى كل عمل اجتماعى يخدم البيئة ويربط بين الجميع برباط الاخوة الصادقة

والمحبة الطاهرة والايثار . ولن يتمكن الامام من ذلك الا اذا أحاط بظروف البيئة اقتصاديا واجتماعيا وفكريا ليقوم بالدراسة الكاملة المستفيضة فيسهم من وراء ذلك الفهم بحل المشاكل ونشر الامن والسلام واحلال التعاون فى نفوس الجماهير .

الاسلام :

هو رسالة الله الى الانسانية منذ درجت على الارض الى أن ختمت الرسالات على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصبحت الرسالة كاملةلا نقص فيها ولا خلل ولا اضطراب . وصلاحيتها لكل زمان ومكان والوصول الى الكمال من الطبيعى أن يتم بالتدرج لهذا سبق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنبياء لكن رسالتهم كانت محدودة الزمان والمكان ثم كان من رحمة الله وفضله أن استوعبت رسالة الاسلام الخالدة الخاتمة أصول الرسالات السابقة . لذلك فهى تتحدث عن الرسل الذين حملوا الرسالة قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتصفهم بأنهم جميعا يأخذون من مشكلة واحدة ودعوتهم واحدة لانهم يدعون الى الايمان بالله الواحد الاحد . وتعد الايمان بهم أصلا فى الايمان بها . قال الله تعالى : « **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** » . وقال سبحانه : « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** » . والاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس جميعا وللعالمين « **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** » . وهذا الارتضاء تمكين لخلافتهم فى الارض وتيسير لضروراتهم ووفاء بحقهم وتكريم لانسانيتهم واشاعة للحق والعدل فيما بينهم « **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** » . لذلك كانت الفرقة فى الدين من صنع الاهواء واشباع الرغبات وهذا يبرأ منه الانبياء لذلك جاء فى القرآن الكريم «**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**» . وعلى كل مصلح كذلك أن يدعو الى الوحدة وينفر من الفرقة . كذلك لابد من ابراز دور اندجالين الذين يكتبون الكتب بأيديهم ويقولون هى من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا . وكذلك من يلحد فى آيات الله ويلوى زمام الكلمات ليخرج بها عن مقصودها ومغزاها وما لنا نذهب بعيدا واليوم لا يفرق الناس بين الكثير من الكلمات ومعانيها مثل ــ خول ــ وعلق ــ ــ وخدوجه التى أطلقوها على غير أصولها ومدلولها وجرت على ألسنة العامة والخاصة . واذا قلنا ذلك فان علينا أن نبرز دور الاستعمار وكيده المستمر وتحطيمه للغة الامة المغلوبة التى

يسيطر عليها حتى يكون هناك اندماج فى لغته وبالتالى التعاطف معه ليبقى كما هو يستنزف أموال وخيرات تلك الشعوب . كذلك لا يغيب عن بالنا دور المستشرقين والمبشرين وأساليبهم والكيد المستمر لدين الله الخالد .

وقفة لابد منها :

ربما يتبادر الى ذهن انسان ما أن الاسلام لا يقر التطور والتقدم وانه قد يقف امام الانتاج التليفزيونى والسينمائى وما شاكل ذلك معارضا وانه يعلن الحرب عليه بلا هواده وأنه ضد وسائل الاعلام جميعها **والحقيقة** – لا – لان الاسلام هو دين الانسانية الذى يتلاءم مع كل عصر ومكان لذلك فهو لا يصطدم مع التطور أبدا وانما يدعو الى ترشيد وسائل الاعلام خاصة التليفزيون والسينما ولما كان للكلمة المرئية والمسموعة والمقروءة من أثر فعال فى نفوس الناس كان الواجب علينا فحصها بدقة وحذف الهابط منها والابقاء على الجيد وعلينا أن نعمل على تهيئة المناخ الكريم لاذاعتها أو كتابتها . ان الاسلام هو دين العلم حث أتباعه على البحث والتنقيب فى العلم المادى والروحى ليرعى الانسان جانبيه – جسده .. وروحه .. والعلم فى الاسلام يصون النفس أولا من غوائل الهوى ويعصم الفكر من الغرور . ثم هو يدعو المسلمين الى العلم المادى كذلك مصحوبا بالاخلاق والقيم الكريمة فالايمان بالله عن طريق التأمل والتفكر واقامة الدليل العقلى وهو يذكرنا بالآيات المنتشرة فى الكون والتى تعود علينا بالمنفعة وفى هذا جاء قول الحق : « **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** » وقوله سبحانه : « **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ** » والاسلام وهو يحث أتباعه أن يتعلموا فانهم يعترفون بجهد السابقين وينطلقون الى المستقبل ويترتب على ذلك أن تأخذ من السابقين لتستعين به وتبنى وترتفع بصرح العلم .. « **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** » « **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** » ان الاسلام وقد أعلى قدر العلماء الذين يؤصلون القيم وينقبون فى طبقات الارض ويستخرجون الكنوز كل فى مجال تخصصه هؤلاء يقول الله فيهم « **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** » وفى الاثر اطلبوا العلم من المهد الى اللحد « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » ومن هذا انفهم انطلق المسلمون الى المعارف بشتى انواعها فأسسوا حضارتهم والذى يقرأ العلم يقف على

جهود ظافرة ويبصر دعائم حضارة مادية ومعنوية شامخة أتت أكلها وأثمرت بالخير وهى تفى لدنيا الناس بالامن والطمأنينة والسمو والرخاء وتحملهم الى أخرتهم على ضوء أعمالهم من خير الى نعماء ان هم أحسنوا الاخذ بتوجيهات الاسلام • لقد نعم الفرد وسعدت الجماعة فى ظل العلم الذى وجه اليه الاسلام ـ علم يخدم الجسد •• ويفى للروح بمطالبها ـ أما اليوم فقد وصل الانسان الى القمر وامتطى الريح وسخر المادة ولكن هل جلب كل ذلك له السعادة التى يبحث عنها •• لا •• لأن الانسان الذى يرى الدنيا غايته لابد أن تتحكم الدنيا بشهواتها وادياتها فى سلوكه فلا يرى من أمره الا التنافس عليها وأصبح ما طلبناه خدمة للانسان هو سبب شقائه • ولو عقل هذا الانسان لعلم أنه جسد وروح وأن الدنيا ستعقبها آخرة وأن الموت بعده بعث والبعث بعده حساب وجزاء ومن هنا يحدد الاسلام غاية الانسان الذى ان كان عظيما عظمت غايته •• وغايته هى التى تتحكم فى سلوكه وسعيه •

ولما كانت الغاية • الى ربك الرجعى • كان على الانسان أن ينطلق فى حياته وعلمه من هذا المنطلق وهو فى سعيه سيبنى ويعمر ويعمل بجد واجتهاد ويتسلح بالعلم والمعرفة لأن الاوامر تصدر اليه باسم الله وهو ينفذها بطيب نفس وسخاء يد ونزاهة فكر وطهارة قلب يبذل جهده ويعمل بيده ويستمر فى عطائه لأنه يشعر بالانتماء الى مجتمعه وأنه ان حرم الجزاء فى دنيا الناس فلن يحرم من ثواب الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا •

ان الاسلام يقدر قيمة العلم والعمل وفى نفس الوقت لا يبخس الناس قدرهم ولا يحرمهم من الثواب العاجل ليشعر الانسان براحة النفس •

الأستاذ / منصور الرفاعى عبيد

دراســة فى
الخدمة الاجتماعية

من القرآن الكريم
والسنة الشريفة

أهمية الخدمة الإجتماعية

للأستاذ محمد أحمد بدوى

كثر تداول هذا الاصطلاح فى الصحافة والتأليف والتشريعات العمالية والضمان الاجتماعى والهيئات الاجتماعية ، وعلى ألسنة الناس ، وتم انشاء مدارس عليا وكليات للخدمة الاجتماعية فى أنحاء العالم ، ويخيل للناقد أن الخدمة الاجتماعية من مبتكرات العصور الحديثة ، وانها أعلى ما وصل اليه حب الخير للناس ، والأخذ بيدهم بطريقة علمية منظمة . لكن الأمر على خلاف ذلك - ولو على الاقل - فيما يختص بالاسلام .

ما هى الخدمة الاجتماعية ؟

هى مجموعة الجهود التى يبذلها الافراد والجمعيات الاهلية والدولة التى ترمى الى :

(أ) اسعاف الحالة المحتاجة الى المساعدة ، واغاثتها اغاثة عاجلة .

أهمية الخدمة الإجتماعية

(ب) علاج الحالة علاجا يستمر أثره بعد ذلك .

(جـ) مساعدة وقائية لمنع الحالة من الانتكاس ، أو منع مثلها من الحدوث .

ولنضرب مثلا بحالة عامل أصيب فى مصنع أما الاسعاف فاعطاء أسرته المساعدات السريعة من مال أو عينات تموينية ، ويأخذ الاسعاف الطبى طريقه أيضا بواسطة الحكومة أو الهيئات الأهلية . أما المساعدة العلاجية فهى اكمال معاش العامل من الحكومة أو التأمينات الى الحد الذى يكفى أسرته ، وتأهيله لعمل آخر . أما المساعدة الوقائية فتتمثل فى وقاية للآلات أو تدريب العمال على الوقاية أو اعطاء كميات من الأغذية أو الادوية فى بعض الصناعات . وأعمال ما فى الأسرة من امكانيات كتدريب البنين والبنات على بعض الصناعات ، أو المضى بتعليمهم الى ما يؤهلهم لهم ذكاؤهم وقد راتهم .

فلسفة الخدمة الاجتماعية : ــ

هى اجابة على السؤال الآتى : ــ ألا تكفى الخدمات الحكومية العادية فى تحقيق الاسعاف والعلاج والوقاية لمثل الحالة المفروضة ؟ ان النظم الحكومية عامة ــ حتى فى أحسن أحوالها ــ تصلح لافادة الأحوال العادية ، لكن توجد حالات خاصة تحتاج الى توصيل خدمات الحكومة التى تقصر بطبيعتها عن الوصول اليها ، فقد يتأخر صرف المعاش لسبب أو لآخر ، وقد لا يكفى المعاش الحكومى لكبر حجم الأسرة ، وقد يطول المرض ويستنفد الاجازات التى بأجر ، فليس للمساعدة قواعد ثابتة لا فى نوعها ولا فى كميتها أو كيفيتها .

ومما يساق مساق الاستدلال على مرونة الخدمة الاجتماعية وتنوعها ، وقصور الخدمات الحكومية عن توفيرها أن أسرة كبيرة العدد لم يكن لمشكلتها علاج سوى أن تحضر لها جمعية من جمعيات الخدمة الاجتماعية سيارة يذهب بها هو الى عمله ، وأولاده الى مدارسهم . وقد وجدت الجمعية أن هذا أفضل من تأجير منزل له فى المدينة ، أو مساعدته ماليا بانتظام على الانتقال اليومى . ومن فلسفة الخدمة الاجتماعية أن المساعدة بالمال أقل وجوهها فائدة فى أغلب الحالات .

موضع الخدمة الاجتماعية من فروع علم الاجتماع : ــ

كعادة كل علم فى الانقسام والتفرغ كلما كثرت فيه المباحث وتنوعت ــ تفرع علم الاجتماع الى الفروع الكبرى الآتية : ــ

علم الاجتماع النظرى : الذى تفرع بدوره الى فروع كثيرة ، وهو يدرس المجتمعات والظاهرات الاجتماعية دراسة وصفية تقريرية ترمى الى اكتشاف القوانين التى تحكم هذه الظاهرات ــ والظاهرات الاجتماعية هى كل ما يترتب على معيشة الناس فى جماعة من ألوان النشاط الذى يكفل ــ أو يحاولون به أن يكفل ــ لهم حياة سعيدة . ومنها كيفية تكوين المجتمع والجماعات التى تدخل فى تركيبه مثل الأسرة والهيئات الحكومية

والأهليــة ، ومنهــا النظم الاجتمــاعية من اقتصادية وســياسية وقانونيــة ومن عــرف وتقاليد . ومنها الأحوال التى تعترى الجماعات من فقر وبطالة وجريمة .

ومن القوانين الاجتماعية التى سبق اليهــا القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فهـــذه صيغة لم تصل الى دقتها صياغات فلاســفة علم الاجتماع بل لم تتم لها معرفة ولا صياغة أوربية الا فى العصر الحديث .

علم الاجتمــاع التطبيقى : ويســتفيد من القوانيين الاجتماعية الالهية التى يكتشفهــا الغربيون بينما يعمى عنها أصحابها الاصليون ، يستفيد منها فى التخطيط الاجتماعى العــام ، واصلاح ما يختل من النظم الاجتماعية مثــل رسم خطة وقائية من الامراض ومثل خطــة لنشر التعليم أو للتصنيع الريفى .

الخدمة الاجتمــاعية : ــ وتعنى بتطبيق السابق من الخطط العامة ، وتطويعه للحالات الفردية وتوفير الخــدمات للحـــالات التى لا يمكن للتخطيط العام أن يصل اليها .

والآن نسأل : ما مــدى اســهام العلــوم الثلاثة ، وما مدى تعاونهـــا فى الحـــالات الجزئية ؟ وبالذات فى حالة هــذا المصــاب ؟ الاجتماع النظرى وصل الى القــوانين التى تحكم الأسرة مثل : (الأسرة قوام المجتمع قوته من قوتها وضعفه من ضعفها ، والرجــل كان ولا يزال وسيظل عماد الأسرة) ويشترك علم الاجتماع التطبيقى برســم خطط عــامة للمحافظة على الأسرة من الانهيــار ، وتأهيل المرأة أولا وبالأساس ــ أو مع أى تأهيل آخر ــ لتربية الأبناء لأنهم الثروة الحقيقية للأمة دعك من البترول والفحم والحــديد ، وليس لليابان منها شىء ورأس المال الفعال هناك هو الشعب وانتاجه . والعامل الذى نشىء بتربية صحيحة يستطيع أن يحــافظ على نفســه من الاصابة بتعوده على اليقظة وعدم الاهمــال وتعوده على بذل الجهد فى الانتاج ، ويستطيع أن يتكيف بسهولة بتأهيل جديد بعد الاصابة . أما الخدمة الاجتماعية فهى تذلل كل الصعاب أمام توصيل الخدمات الحكومية والأهلية الى الحالة ، وكشف امكانات الأسرة وتشــغيلها لتنهض الأسرة بعبئها دون حاجة لمســاعدة خارجية .

أقسام الخدمة الاجتماعية : ــ

(أ) الخدمة الاجتماعية الفــردية : ومعنى الفردية هنا أوسع من معناها اللغوى ، اذ قــد يكون المحتاج فيها فردا أو أسرة . وســميت كذلك لأن الباحث يبحث كل حالة من الحالات التى يوكل اليه بحثها على حدة لمعرفة جميع العوامل التى تحيط بها ، واكتشاف الامكانات التى يمكن أن تخــرج الى حيــز العمــل . ولا يلجأ الأخصائى الاجتماعى الى الامكانات الخارجية الا بعد أن ييسر لكــل امكاناتها أن تعمل ، وهذا من أدق نواحى فلسفة الخــدمة الاجتماعية ، وهو ما سيظهر للاســلام فيــه سبق فضل كما سيلى .

أهمية الخدمة الاجتماعية

(ب) خدمة الجماعة : هى العمل التربوى الشامل الذى لا يقتصر على ناحية واحدة من نواحى التربية : الجسمية والعقلية والخلقية والمهنية ، وهى عمل الأخصائى الاجتماعى فى مجموعة من الأطفال أو الشباب فى ملجأ أو ناد اجتماعى أو مجلة اجتماعية أو مدرسة •

مناهج بحث التراث الاسلامى

وقبل بيان أصول الخدمة الاجتماعية ومصادرها الاسلامية ، أرانى بحاجة الى بحث المناهج التى تستخدم فى بحث التراث الاسلامى والتنقيب عن كنوزه ، ومراحل تطورها •

للمشتغلين ببيان روح الاسلام ونصوصه ، وتطبيقاتها العملية فى عالمنا المعاصر لصلاح ديننا ودنيانا مناهج تطورت فى مراحل ثلاث هى : ــ

المرحلة الأولى : ــ مرحلة استخدام المقاييس التقليدية فى عرض هذا التراث بسرد محاسن الاسلام وما فيه من كنوز بالعناوين المذكورة فى كتب الحديث والفقه (عدا البخارى ففيه أصالة ومعاصرة) ومن أشهرها وأوفاها بالكنوز الاجتماعية رياض الصالحين للنووى • وتذكر هذه الدراسات أخطر المبادىء وأقواها لصلاح الدين والدنيا تحت عناوين ثابتة لا تستهوى المتعلمين تعليما مدنيا حديثا ، عناوين قد فقدت رنينها وبريقها الذى كان لها فى عصر تأليفها • فبجانب الزكاة والصدقة والاحسان ، تذكر فضل تشميت العاطس وفضل دخول المسجد والمنزل بالرجل اليمنى أعلى ما يؤثر فى كيان الأمم والجماعات بجانب الآداب والمندوبات ، وفى كل خير ولكن الخير فيها متفاوت • والعناوين التقليدية تبعد القارىء الحديث عما يندرج تحتها مما هو مساو للجديد أو هو أحسن منه •

وقد قاسى الاحسان من هذا المنهج لارتباطه فى أذهان الناس بالتسول للأخذ والتعالى للمعطى ، ولأنه وسيلة لاغراء الناس بالكسل ، بينما يندرج تحت هذا العنوان مبادىء خالدة ، وطرق للخدمة الاجتماعية تفوق ما يفتخر به الغربيون الآن •

المرحلة الثانية : تحت الحاجة الى استقطاب المتعلمين تعليما مدنيا ، والذين استهوت كثيرا منهم مدنية الغرب وعلومه ــ ولهم العذر ــ ، استخدم الغيورون على الاسلام لغة العصر ومقاييس الغرب • وتتلخص المنهج فى عملية استخراج لآلىء النظم الثمينة المختفية فى غالات كثيفة من الاصطلاحات والعبارات التقليدية ، وكثيرا ما تكون فى غير مواضعها التى يسبق للذهن وجوده فيها وفى كتب تبعد أسماؤها عن مسمياتها • ، وابراز هذه اللآلىء بلغة العصر •

وعنى المنتهجون لهذا المنهج ــ وأغلبهم من المثقفين بالثقافة الغربية ، ثم أضافوا اليها تثقيفا ذاتيا من المنابع الدينية التقليدية •. عنى هؤلاء بالتماس التشابه بين هذه اللآلىء وبين ما درسوا من علوم الغرب ونظم الغرب • فاذا وجدوا تشابها بين الشورى فى الاسلام

وبين الديموقراطيــة ، قلنــا : ديموقراطية الاسلام ، واذا درسنا حديث : (من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهــر له .. الخ) قلنا اشتراكية ، وكتبت كتب تحمل هذه العناوين ، واذا درســنا حرمــة الملكيــة فى الاسلام ، قلنا رأسمالية الاســـلام ، واذا اكتشفنا أن الاحسان فى الاســـلام ليس هو الاحسان بمعناه الضيق والذى نخاف منــه ، قلنا : الخدمة الاجتماعيــة فى الاســـلام أو التكافل الاجتماعى فى الاسلام .. ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن هذا المنهج أكثر تقدمية من سابقه ، وأنه قد حقق فــوائد كبرى ، اذ قرب ــ مع عــوامل أخرى ــ شــبيبتنا من الدين ، وعطف الى حقل الدراسات الاسلامية أناسا كانوا بعيدين عنه ، بل كانوا محــادين له ، وقد مهد هذا المنهج للمرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة اكتشــــاف مقاييس خاصــة بنا وقــوالب من تراثنــا ، نستطيع أن نصوغ فيهــا ما نخلصــه من تبر تراثنا المطمور فى الكتب التى كان ذنبهــا أن اللون الاصفر من الأوراق كان هــو المتــاح لطبعها ، وهى مرحلة الدراسة العميقة الصابرة المجاهدة المنهجية فى المخطــوطات المخزونة فى مكتبات أوروبا ومتاحفها متسربة من أيــدى السفهاء منا ، وفيما هو فى أيدينــا ولا ندرى بكل ما فيه والذى يتنــدر بكــونه فى أوراق صــفراء .

فالمنهج الذى يتبلر الآن فى الدراســـات الاسلامية والذى اتضحت قسماته ، انما هــو لاظهار ما فى تراثنا من أصالة وابتكار وتقدمية فى النواحى الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وتشريعية والذى به ستكتمل ذاتيتنا الخاصة بنا ، والذى به سيتحقق استقلالنا الفكرى .

وقد ظهر بهذا المنهج مبتكرات اســــلامية كثيرة ، ومبادىء وقواعد وتشريعــات ، قــد تشابه ما عند الغرب ، وقد تخالفــه ، وقــد تفوقه ، فلا يزدهينا الفرح بمــا يشــــابه ، ولا نبتئس لما يخالف ، ولا نبطر بما يفوق .

وقد مضى بهذا المنهج ووضوحه والدربــة على استخدامه الوقت الذى كنا نعتذر فيه عن تعدد الزوجات ، وعن الطلاق بما يكــاد ينفى وجودهما فى الاسلام . أما اليوم فاننا نقول ــ وبقدرة على التدليل ــ أن التعدد والطلاق نظامان أكثر صــلاحية للبشر من النظم التى تحرمها ، وقد تكون فى هذه المرحلــة اطــار واضح السمات هو أن الاسلام نظام شــامل للحياة فى كل نواحيها ، وطوع لنا الوصول الى هذه المرحلة اعتزازنا المنهجى بتراثنا وقوميتنا اعتزازا علميا يمتاز عن الاعتزاز الأجوف الذى عشناه زمنا . لقد أصبح اعتزازنــا بالتراث مبنيا على منطق قوى ، وبراهين عقليــة ذات كفاءة عالية ، وقد أصبح للتقدمية معنى جديد هو اظهار ما فى تراثنا من كل مبتكر وأصيل ، وتنميته والمضى به ومنه ، والأخذ من الثقافات

أهمية الخدمة الاجتماعية

الأخرى بما هو مفيد ، وأصبح للجامد والمتقدم معنيان جديدان • فالجامد هو من يجمد على القديم كله خيره وشره ، ومثله سواء بسواء من يجمد على الجديد كله خيره وشره ، وشر من الاثنين من يجمد على القشور من كل من الجديد أو القديم • واقصد بالقديم ما نحن عليه الان من عوامل التخلف ، والمنحدر الينا من العصور الوسطى • أما القديم بمعنى ما كان عليه السلف الصالح فهو الجديد القوى دائما ، وقد صار جديداً لطول عهد الناس بالانصراف عنه • أما الشخص المتقدم فهو شخص يجد فى القديم خيرا كثيرا فيكتشفه ويبقيه وينميه ، ويجد فى قديم العصور الوسطى شرا كثيرا فيهمله ويلغيه ، فهو فى الجرأة على الجديد الوارد ، وقديم العصور الوسطى على منهج سواء ، هو الشخص الناقد البصير الذى يأخذ عن بينة ويدع عن بينة •

منهج البحث فى الخدمة الاجتماعية فى الاسلام

هو مزيج من منهجين ، فهو يهدف من جهة الى اظهار المشابهة بين ما سبق اليه الاسلام فى ميدان الخدمة الاجتماعية وبين ما وصل اليه الغرب ، ويهدف من جهة أخرى الى تنمية مقاييس خاصة بنا ابتغاء اظهار السبق والابتكار والتفرد ، فقد سبق الاسلام الى كثير من أحدث ما وصلت اليه الخدمة الاجتماعية سواء فى فلسفتها أم فى وسائلها ، وتنوع ميادينها ، وشرع أنواعا منها ، وزاولها مما لم يصل اليه الغرب الى الآن •

وقد مشى الغرب طريقا طويلا شاقا محفوفا بالثورات والدماء ، ومملوءا بالحقد والبغضاء بين الطبقات حتى وصل بالتأمين الاجتماعى والضامن الاجتماعى والخدمة الاجتماعية الى الأوضاع الحالية • وقد تعثر الاحسان فى طريقه فى الغرب مدى قرون قبل أن يتبلر فى الخدمة الاجتماعية الحديثة • فقد كان أمره متروكا للأفراد دون أى تنظيم ، واحتالت الكنيسة على ابتزاز الناس باسم الاحسان ببيع صكوك الغفران •

ثم جاء النشوئيون فسادت فلسفتهم فى المجتمع الغربى الى الآن ، وهوجمت فضيلة الاحسان ، وعدها النشوئيون وانتطوريون رذيلة ، والعجزة والضعفاء فى نظرهم لا يستحقون الحياة ، ثم استبدلت القوانين الوضعية بكلمة الاحسان كلمات الضرائب الاجتماعية ، وكان كل تشريع اجتماعى اما نتيجة لثورة من الثورات الدموية ، واما استجابة لأناس امتازو ببعد النظر ، وأدركوا الخطر الكامن فى حقد الطبقات الفقيرة والكادحة • فكل تشريع اجتماعى فى الغرب قد تم لم يكن مبعثه الكرامة الانسانية ولا الاخاء الانسانى •

ثم نشأت بعد هذه التشريعات وأثناءها فى أوروبا وأمريكا جمعيات خيرية وسعت أغراضها فى المساعدات ، واهتدت الى ان اعطاء المال للفقراء ليس هو المثل الأعلى للمساعدة ، والى أن ايجاد الاعمال لهم هو الأفضل ، وتوسع الغربيون فى مسئولية الدولة ، فبعد أن كانت

مهمة الدولة قاصرة على منع الاعتداء الخارجى والداخلى ، اتسعت مهمتها فصارت توفر الخدمات من صحة وتعليم ومرافق ، ووجدت التأمينات الاجتماعية وأنظمة الضمان الاجتماعى .

فلسفة الخدمة الاجتماعية ومبادئها فى الاسلام

نجد ذلك فى حديث نبوى رواه الامام أحمد فى مسنده . عن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم . فشكا اليه الحاجة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . ما عندك من شىء ؟ فأتاه بحلس وقدح ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من يشترى هذا ؟ فقال رجل : أنا آخذها بدرهم. قال : من يزيد على درهم فسكت القوم ، فقال : من يزيد على درهم ؟ فسكت القوم فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين . قال : هما لك . قال : ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاث : ذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع . ومما أحفظه ولا أتذكر مصدره أن الرسول صلى الله عليه وسلم . أمر الرجل أن يشترى بدرهم طعاما وبدرهم فأسا وأمره بأن يحتطب ولا يتسول .

فى هذه القصة فلسفة الخدمة الاجتماعية وعناصرها المذكورة فى أول المقال . فهنا أولا بحث الحالة التى تتقرر على ضوئه المساعدة ، والذى يفتخر به الغربيون ، ويعدونه من مبتكراتهم فى تنظيم الاحسان ، وهنا ثانيا اثارة الامكانات الموجودة لتعمل ، والطعام هو الاسعاف والاحتطاب هو العلاج والوقاية .

ثم وهنا أسئلة تشكل اجاباتها هيكل الاعجاز والاصالة والابتكار فى الخدمة الاجتماعية فى الاسلام ــ لم لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم . المتسول يتسول ؟ لم لم يعطه صدقة ؟ لم لم ينصح أحد الحاضرين بمساعدته ؟ لم لم يقتصر على نهيه عن التسول ؟ لم نصحه بالاحتطاب ؟ لم وقف نفسه ووقته وفكره حتى باع الحلس والقدح ؟ ان الانسان ليحار حين يجيب على تلك الاسئلة ، ولكنه التناول الالهى الحكيم لمشاكل الانسان وكفى .

وقد تطور الاسلام بالاحسان فى مرحلتين :

المرحلة الأولى : الندب الى الاحسان باسم الاخلاق والرحمة التى أودعها الله تعالى قلوب عباده ولم يجعلها فى هذه المرحلة فرضا . وذلك تمكينا لهذه الرحمة من الازدهار والثبات والعمل اذ قرن البر بالتقوى ، فقال تعالى : **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)** وتوسع فى معنى البر ، فقال تعالى : **(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى**

أهمية الخدمة الاجتماعية

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ..) .

المرحلة الثانية : باسم الحقوق المعلومة المقادير والأوقات والمصارف ، فقال تعالى : (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) وفرضت الزكاة وفصلت حتى صارت نظاما كاملا لم يترك تفصيلا الا وفاه .

وتقرير الاحسان كحق من الحقوق سبق به الاسلام الغرب بقرون ، فان المساعدة الاجبارية على الدولة لم تقرر الا فى نظم الضمان الاجتماعى والتأمين الاجتماعى الحكومى . أما التوسع فى دائرة المساعدات الذى يتسم به الطابع الحديث للخدمة الاجتماعية ، فقد سبق اليه الاسلام فى قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)

وقوله تعالى : (وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ) يعبر عن جهات غير محصورة أدخل فيها الأئمة وجوه الخير من بناء الجسور والحصون والمستشفيات وجميع المصالح العامة للمسلمين . وقد توسع الاسلام فى مفهوم المساعدة فأدخل فيها المساعدات غير المالية . فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له . قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل . رواه مسلم فى كتاب اللقطة .

الخدمة الاجتماعية الفردية :

لقد سبق اليها الاسلام ، فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم . اعانة الصانع والصنع لمن لا يصنع بديلا من عتق الرقبة لمن لا يستطيعه ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ــ كما روى الشيخان ــ أى الرقاب أفضل؟ قال : أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمنا . قال السائل : فان لم أفعل ؟ قال : تعين صانعا أو تصنع لأخرق ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم . المساعدات البدنية والمعنوية من ضمن الصدقات التى يزكى بها الانسان عن عافيته وقواه العقلية ، فقال : على كل مسلم صدقة قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق . قال : قيل له : أرأيت ان لم

يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير .. الخ رواه الشيخان واللفظ لمسلم وقال أيضا : كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس . قال : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ... الخ . رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

الضمان الاجتماعى فى الاسلام :

روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ... أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن توفى من المؤمنين، فترك دينا ، فعلى ، قضاؤه ، ومن ترك مالا ، فلورثته . وكتب سيدنا على الى سيدنا خالد : أيما شيخ عجز عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ان كان ذميا ، وطرحت زكاته ان كان مسلما ، وأعين من بيت مال المسلمين . ياللعجب !! اعفاء من الضرائب من غير تفرقة بين دين ودين ! ثم أعانه من الدولة ! .

وجاء فى خطاب لسيدنا على الى واليه فى مصر : الله الله ! فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ، فان فى هذه الطبقة قانعا ومعترا ، وتعهد أهل اليتم ، وذوى الرقة فى السن ممن له حيلة له ، ولا ينصب نفسه للمسألة .

وقد شاهد عمر امرأة تجبر رضيعها على الفطام ، وهو يصرخ . فلما سألها ، قالت له : ان عمر لا يفرض الا للفطيم ، فقال لاصحابه : يابؤسا لعمر ! كم قتل من أطفال المسلمين ؟ ثم أصدر قرارا ، وأمر مناديا يعلن : لا تعجلوا أولادكم فى الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام .

وحين تعجز الزكاة عن رفع عبء الفقر عن الناس ، صار للحاكم حق اقتضاء ما يرفعه من الاغنياء . قال ابن حزم : فرض على الاغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات ولا فى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف مثل ذلك ، وبسكن يقيهم من الشمس والمطر وعيون المارة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى الأمصار أن

أهمية الخدمة الإجتماعية

يرفعوا اليه كل أعمى ، ومقعد ، أو من به فالج ، أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام للصلاة ، فأمر لكل أعمى بقائد ، ولكل اثنين من الزمنى بخادم ، وأمر بأن يرفعوا اليه كل يتيم ، ومن لا أحد له ممن جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية ، وفرض لعوانس الفقيرات .

والأوقاف الاسلامية تبين مدى الاتساع فى ميدان الخدمات الاجتماعية الاسلامية ، فقد أوقف الناس على النساخين للكتب وورقهم فى المكتبات العامة للتشجيع على العلم بجانب الأوقاف على ملاجىء اليتامى وأدوات تزين العرائس ، وتزويج بنات الفقراء واليتيمات ، واستبدال الملابس الجديدة بالملابس الرثة عند الفقراء . هذا وكثير مما لا نستطيع حصره لم يصل اليه الغرب حتى الآن .

وقد سبق الاسلام الى جعل المساعدات شاملة لجميع المواطنين بدون تفرقة ترجع الى اندين . وقد سبقعلى ذلك دليل ، وهنا دليل آخر ، فقد رأى عمر شخصا ذميا يتسول ، فقال له : يا هذا قد أخذنا منك الجزية صغيرا واضعناك كبيرا . افرضوا له من بيت المال .

بحث الحالة قبل المساعدة :

أما مسكالختام فى السبق الاسلامى الى تنظيم الاحسان والخدمة الاجتماعية ، فهو عدم اعطائها جزافا ، بلا بحث للحالة لمعرفة مدى استحقاقها وما ذا تستحق . وقد سبق الكلام عليها فى حديث الامام أحمد مع صاحب الحلس والقدح . وقد روى مسلم فى صحيحه عن قبيصة بن مخارق ، قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسأله فيها ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها . قال : ثم قال : يا قبيصة ان المسألة لاتحل الا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ، ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو قال : سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال : سدادا من عيش . فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا . والحمالة ما يتحمله الانسان من دية أو غرامة ليصلح ذات البين . والعبرة المقصودة هنا آن الصدقة لا تعطى جزافا ، بل لابد من بحث واستقصاء لمعرفة وجه حق السائل فى المساعدة . أما السبب فى قصر الشهادة على حالة الفاقة فلخفائها الا على ذوى الألباب فى المجتمع الساهرين على مصلحته . أما الحمالة والجائحة فمشهورتان عادة لا تحتاجان الى استشهاد .

هذه جولة فى الخدمة الاجتماعية فى الاسلام : فلسفتها ومبادئها وعناصرها ، وها هو ذا سبق الاسلام لمثل ما هو عند الغرب ، ولما هو أرقى منه . فهل يستقيم لنا المنهج فى استلهام تراثنا لاصلاح حياتنا واثرائها ؟؟

محمد أحمد بدوى

أعلام الإسلام

- من أئمة المحدثين الإمام النسائى
- المنحى الإسلامى عند العقاد
- رائد النقد الأدبى فى مصر
- الولاية والأولياء عند ابن عربى

من أئمة المحدثين

الإمام النـ

هو

الامام الجليل ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شـعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسـائى القاضى ، صاحب السنن الصغرى والكبرى والمحدث الشهير .

ولد « بنساء » « من بلاد خراسان » سنة خمس عشرة ومائتين ، ونشـأ كغيره من أئمة الحديث محبا للعلم والعلماء ، نهما الى المعرفة والتحصيل ، ورحل الى بلاد كثيرة فى سـبيل ذلك ، من أشهرها الحجاز والعراق ، والشام ، ومصر ، والجزيرة ، وسمع من الكثيرين بهـذه الاقطار ، وتعرف على مناهجهـا المختلفـة فى دراسة الحديث ، واستطاع بمواهبه الطبيعية وجهوده الكسبية ان يصل الى درجة عالية من الحفظ والاتقان والفهم والمعرفة ، حتى لقد قيل (انه أحفظ من مسلم بن الحجاج صـاحب الصحيح) . وقد شـاء الله لمصر أن تنعم بصـحبته ، وشـاء له أن ينعم بالاقامة فيها فاستوطنها ، واستمر يمارس نشـاطه العلمى بها حتى قبيل وفاته .

للدكتور الحسيني هاشم

شيوخه وتلاميذه :

ومن أشهر من أخذ عنه ، واستعاد منه من الشيوخ قتيبة بن سعيد الذى ارتحل اليه فى سن الخامسة عشرة ، وأقام عنده سنة وشهرين وشارك فى السماع منه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأبى داود .

وسمع من الأئمة المشهورين ، كأبى كريب وسويد بن نصر ، محمد بن النضر المروزى ، ومحمود بن غيلان ، وحمد بن بشار ، وهناد بن السرى ، محمد بن عبد الاعلى ، وأبو داود السجستانى ، والترمذى صاحب الجامع وغيرهم من كبار رجال الحديث .

أما من أخذ عنه العلم فكثيرون من أشدهم أبو القاسم الطبرانى وأبو جعفر الطحاوى ، وابراهيم بن محمد بن صالح ابن سنان ، وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى ، ومحمد بن معاوية بن الاحمر الاندلسى والحسن بن رشيق ، ومحمد بن عبد الله بن حيوية ، وحمزة الكتانى وغيرهم من مشاهير العلماء .

ملامح من شخصيته

وثناء الأئمة عليه :

كان شخصية جذابة . وكان معتنيا بصحته ، ومطالب جسمه الى جانب عنايته بخلقه ومطالب روحه ، وكان مجتهدا فى العبادة مكثرا من الطاعة حتى لقد قيل : كان يصوم يوما ويفطر يوما .

وقال الحسن بن مظفر الحافظ : سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والأمانة ، ويصفون اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار ، ومواظبته على الحج والجهاد .

لقد كانت عنايته بصحته ليستطيع اعفاف نسائه ، والقيام بحق الله عليه من العبادة ، وأداء واجبه فى الجهاد ، لقد كان شجاعا متمرسا بالحرب وأساليب القتال ـــ خرج مع أمير مصر غازيا ، فوصفوا من شهامته وشجاعته ، واقامته السنن المأثورة فى فداء المسلمين ، واحترازهم من مجالس الامير « الذى خرج معه » الشىء الكثير .

لم تكن مطالب جسمه وبيته تدفعه الى التزلف الى الحكام ، أو التساهل فى الحلال

نساء

الإمام النسائي

والحرام ، لقد شغل مناصب عامة فى الامور الدنيوية بجانب مكانته الدينية ، فكان أميرا لحمص ، كما روى الطبرانى فى معجمه الاوسط قال : حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص ، وفى ذلك ما يدلنا على أن خروجه للجهاد مع أمير مصر ، انما كان السبب ما مارس منه أساليب الحرب وتعرف من طرق السياسة ، وأنه كان فى جهاده من كبار المقاتلين فجمع الى العلم العمل ، والى الآخرة الدنيا ، وكان مثلا حيا للعلماء .

لذلك كثر الثناء من الأئمة عليه ، قال الحاكم عن الدارقطنى « أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره ، وكان الدار قطنى يسمى كتابه : « الصحيح » وقال أبو على النيسابورى : « للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم ابن الحجاج وكان من أئمة المسلمين ، واذا لاحظنا أن أبا على هذا هو الذى قال : ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج، وأثار ذلك الاتجاه المضاد فى الموازنة بين البخارى ومسلم وأخذنا رأيه هنا بشىء من الاحتياط ، وعذوناه بأن ذلك اجتهاد منه قد يخطىء فيه وقد يصيب ، وقد رأى فيه ما لم ير غيره — وقال أيضا : هو الامام فى الحديث بلا مدافعة ، .

ونقل أبو الحسن محمد بن مظفر الحافظ ثناء المشايخ بمصر عليه وشهادتهم اه بالتقدم والامامة والاجتهاد فى العبادة ..

وكان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ، ولم يحدث عن غير النسائى وقال : رضيت به حجة بينى وبين الله ، وقال منصور الفقيه ، وأحمد بن محمد ابن سلامة الطحاوى : أبو عبد الرحمن النسائى امام من أئمة المسلمين . وقال ابن يونس : كان النسائى اماما فى الحديث ثقة ثبتا حافظا وسأل ابن طاهر سعد بن على الزنجانى عن رجل فوثقه فقال له : قد ضعفه النسائى ، فقال : يا بنى ان لابى عبد الرحمن شرطا فى الرجال أشد من شرط البخارى ومسلم أ هـ . ولعنه لم يستعمل هذا المنهج فى تأليفه لسنن ، وانه كان يظهر من معرفته الوثيقة بالرجال خاصة لتلاميذه ما جعلهم يحكمون له بذلك .

وليس أدل على تحريه ودقته من تركه أحاديث ابن لهيعة حتى قال أحمد ابن نصير الحافظ : من يصير على ما يصير عليه النسائى ، كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة يعنى عن قتيبة عنه فما صنفها — قال ابن حجر : لم يحدث به لا فى السنن ولا فى غيرها .

وكان يتحرى فى الالفاظ الى جانب تحريه فى الرجال فلا يتساهل فى وضع « حدثنا » مكان « أخبرنا » ونحو ذلك ، ولا أدل على ذلك من طريقة روايته عن الحارث بن مسكين ، وذلك أن الحارث ، كان يتولى القضاء بمصر ، وكان بينه وبين أبى عبد الرحمن « النسائى » شىء لم يمكنه من حضور مجلسه فكان يستتر فى موضع ويسمع حيث لا يراه ، فلذلك تورع

وتحرى ولم يقل « حدثنا » أو « أخبرنا » ولكن قال « الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع » وهذا فوق ما فيه من دلالة على دقة أمانته وكمال تحريه ، فيه مزيد تواضعه وكمال حرصه على العلم وتقديم المصلحة العامة على كل ما سواها من الامور .

وكان الى جانب ما ذكرنا ، فقيها ظاهر الاجتهاد حتى لقد قال قطنى فيه « وكان أفقه مشايخ عصره فى مصر وأعلمهم بالحديث والرجال » وقال الحاكم أبو عبد الله : أما كلام أبى عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ، ومن نظر فى كتابه « السنن » تحير فى حسن كلامه .

وقد كان له انتقاء للتراجم ، وانتقاء لمختاراته من الاحاديث تدل على وعى عميق ، وخبرة تامة فى الحديث رواية ودراية ومتانة فى النقد الداخلى « نقد المتن » وفهم واع بما يدل عليه الحديث .

وذكر ابن الاثير أنه كان شافعى المذهب ، وله مناسك ألفها على مذهب الامام الشافعى ، ومن المعروف أن الانتساب الى مذهب معين لايحرم المجتهد من فضيلة الاجتهاد ، انما يحدد مجال اجتهاده فى اطار اجتهاد امامه .

آثاره :

وترك النسائى آثار خالدة ، وذكريات عطرة فى ميدان البحث والفكر وفى ميدان العمل والاجتهاد ومن أشهر مؤلفاته :

١ ــ **السنن الكبرى** .
٢ ــ **السنن الصغرى** .
٣ ــ **الخصائص** .
٤ ــ **فضائل الصحابة** .
٥ ــ **المناسك** .

سنن النسائى :

ألف النسائى كتابين فى السنن ، أحدهما الكبرى ، والآخر الصغرى . قال السيوطى : سنن النسائى الذى هو أحد الكتب الستة أو الخمسة هى الصغرى دون الكبرى ، صرح بذلك التاج بن السبكى ، وقال : هى التى يخرجون عليها الاطراف والرجال .

ورأيت بخط الحافظ أبى الفضل العراقى : أن النسـائى لما صنف الكبرى « أى سـننه » أهداها الامير الرملة فقال له : « كل ما فيهـا صحيح ؟ قال : لا .. فقال : ميز لى الصحيح من غيره . فصنف له الصغرى » ا هـ .

وقد سـماها « المجتبى من السنن » وريثة على الابواب الفقهية كبقية كتب السنن ، واذا نسب الى النسائى حديث ، فانما يعنون روايته فى السنن الصغرى المسماه « بالمجتبى » وهو أقل السنن بعد الصحيحين ضعيفا ، فهو مقدم على سـنن أبى داود وسـنن الترمـذى لان النسائى يمتاز عنهما بشـدة تحريه فى الرجال حتى قيل : انه كان أحفظ من « مسـلم بن الحجاج » . قال أحمـد بن محجوب الرملى ، سمعت أبا عبد الرحمن بن شعيب النسـائى يقول : « لما عزمت على جمـع كتاب السـنن ، استخرت الله تعالى فى الرواية عن شيوخ كان فى القلب فيهم بعض الشىء فوقعت الخـيرة على تركهم ، فنزلت فى جملة من الحديث كنت أعلو فيه عنهم » ا هـ .

وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة مع أن أحمـد قد أكثر من الرواية عنه ، وكان قاضى مصر ومن كبار حفاظها الا أنه اختلط فى آخر عمره .

وهذا التحوط البالغ انما سار عليه فى تأليف أو استخراج سننه الصغرى من سننه الكبرى ولذا كان كتابه بهـذه الدرجة ، ولقد بلـغ التحرى بالنسـائى أن تحرج من التخريج عن رجال أخرج لهم الشيخان .

قال بن حجر . « كم من رجـل أخـرج له أبو داود والترمذى ، تجنب النسـائى اخراج حديثه ، بل تجنب النسـائى اخراج حديث جماعة من رجال الصحيحين » ، وقال الحافظ أحمد بن نصر شيخ الدراقطنى :

من يصير على ما يصير عليه النسائى ، كان عنده حديث بن لهيعة ترجمة فما حدث عنه بشىء وبين ذلك من حجر فقال : « وكان عنـده حاليا عن قتيبة عنه ، ولم يحـدث به لا فى السنن ولا فى غيرها » وفى هذا ما يدل على أن سـننه الكبرى أيضـا لا تخلو من تحر ودقة ، ولكن سننه الصغرى كان غاية فى هاتين الناحيتين .

وروى محمد بن معاوية الاحمر عن النسائى قال : كتاب السنن كله صحيح وبعضـه معلول الا أنه لم يبين علته ، والمنتخب المسـمى « بالمجتبى » صحيح كله .

وقد ذكر بن الصـلاح فى مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد ابن سعد البارودى يقول : « كان من مذهب أبى عبد الرحمن النسائى أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه » ثم قال : فمراده ـ والله أعلم ـ صـنيعه فى السن الكبرى . واذا نسب الى النسـائى حديث ، فانما يعنون روايته فى السنن الصـغرى وهى

« المجتبى » الا ما كان من صنيع بعض المؤلفين فى الحديث ، كما نبه على ذلك صاحب (عون المعبود) فى آخر أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشرة ١٠ أحاديث موضوعة فقد نازعه فى مختصره ، وقول المزى فى الاطراف : الحديث أخرجه النسائى • فالمراد به السنن الكبرى للنسائى ، وليس المراد « السنن الصغرى » الذى هو مروج الآن فى أقطار الارض » ثم قال : فالحديث الذى قال فيه المنذرى والمزى أخرجه النسائى — وما وجدته فى السنن الصغرى فاعلم أنه فى الكبرى ، ولا تتحيز لعدم وجدانه ، فان كل حديث فى الصغرى موجود فى الكبرى ولا عكس ، ويقول المزى فى كثير من المواضع أخرجه النسائى فى التفسير وليس فى الصغرى تفسير • اهـ • وفعل مثل ذلك السيوطى فى جامعه وغيره ممن فهرسوا كتب الحديث وجمعوه ، والواقع أن سنن النسائى الصغرى فى منتهى الدقة ، ولا يكاد يوجد فيها موضوع ، وان قال أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشر أحاديث موضوعة فقد نازعه فى ذلك السيوطى فى كتابه « التعقبات على الموضوعات » ، وعلى فرض التسليم بذلك فهذا عدد قليل جدا بالنسبة الى كتاب ككتاب السنن ، وقد اختلف الناس فى صحة كل ما فيه •

فقال الدارقطنى وابن منده وابن السكن ، وأبو على النيسابورى وأبو أحمد بن عدى : كل ما فى السنن صحيح ، ووافقوا فى ذلك النسائى وقال غيرهم بغير ذلك — كابن كثير فى كتابه « الباعث الحثيث » حيث قال « وقول الحافظ أبى على بن السكن ، وكذا الخطيب البغدادى فى كتاب السنن للنسائى : انه صحيح فيه نظر •• وكذا القول بأن له شرطا فى الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم (مقبول) فان فيه رجالا مجهولين ، اما عينا أو حالا ، وفيهم المجروح وفيه أحاديث ضعيفة ، ومعللة ومنكرة •

ولعل المراد من الكل فى قول العلماء وقول النسائى ، كل ما فيها صحيح « معظمها » •

أو لعل ابن كثير يتحدث عن السنن الكبرى للنسائى •

وعلى كل فهذا الخلاف مرجعه الى اختلاف الانظار فى الجرح والتعديل والاختلاف فى شروط التصحيح والتحسين والتضعيف قوة وليونة •

دكتور الحسينى هاشم

المنهج الإسلامي

٣

للدكتور محمد رجب البيومي

ظهرت مؤلفات قيمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بدأ بها المغفور له الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وتلاه الدكتور هيكل والدكتور طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم والأستاذ محمد فريد وجدى وغيرهم من كبار المفكرين والأدباء ولكن هذه المؤلفات وما لحقها بعد ظهور كتاب (عبقرية محمد) لن تغنى عما كتبه الأستاذ العقاد فى شىء ، لأن العقاد لم يكتب السيرة النبوية على نهجها المعهود وانما كتب سيرة رسول الله بالحق الذى يثبت له الحب فى قلب كل انسان ، وليس فى قلب المسلم وكفى — كما قال فى مقدمة الكتاب — وبالقياس الذى يفهمه المعاصرون ، ويتساوى فى اقراره المسلمون وغير المسلمين ، ليقيم البرهان على أن محمدا عظيم فى كل ميزان ، عظيم فى ميزان الدين وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ، ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية ، وهذا المنحى الذى قصده العقاد واضح لا لبس فيه ، ولكن نفرا ممن يسوؤهم أن يظهر كتاب عن نبى الاسلام بهذه الجهارة الساطعة عز

عند العقاد

عليهم أن يسبق العقاد فى مجال السيرة النبوية وتاريخ الخلافة الراشدة ، فقال انه لم يفهم ما كتب العقاد ! قال ذلك بعد أن لقى العقاد ربه ، وأصبح حديثا يروى لا أسدا يزأر فيرعب فيخيف ، وقد اضطر المدافعون عن العقاد أن يبرزوا من آثار هذا الناقد ما يدل على مديح مفرط كتبه محتفلا منوها فى رسالة يبعث بها للعقاد ، وقد أنصف الأستاذ توفيق الحكيم كتاب عبقرية محمد حين قال عنه :

« من الفصل الأول أدركت أن الأستاذ العقاد لديه ما يقول ، وأن الكلام الذى عنده يرغمنا على أن نضحى اليه وأن كل ما عرف من قبل عن النبى محمد لن يغنينا عما عند العقاد ، لأن العقاد قد درس وفكر ، واستنتج لنفسه ثم صنع للنبى صلى الله عليه وسلم صورة (قلمية) لايمكن أن يرى نظرها فى صفحات مثل صفحات كتابه المتوسط الحجم انه ما قرأ ليكتب سيره ، كما فعل الذين سبقوه ، ولم يرولنا قصة ، ولم يسرد تاريخا ، ولكنه رسم ملامح وخط قسمات ، وأبرز ذلك الوجه الشريف الجليل .. على أن الحرى أن نلتفت اليه هو الطريقة التى جرى عليها العقاد

فى تحقيق غرضه ، فهو لم يكتف باستخراج الوقائع من بطون كتب السيرة لأنه يعلم أن هذه الوقائع قد أصبحت معروفة لأكثر الناس ، بما ظهر من كتب حديثة العرض عصرية الأسلوب ، فنراه قد استخدم هذه الوقائع استخداما آخر جديدا ، واستنطقها معانى أخرى طريفة، ولم يرض أن يسير خلفها لتقوده كما فعل أكثر الرواة ، بل تناول هو زمامها وقادها بيدين من المنطق السليم والتفكير المستقيم ، فى طريق كله ضوء ونور ، وفى الحق أن أظهر ظاهرة فى الكتاب هى قوة الاستنتاج العقلى التى تستولد من الحوادث الصماء خصائص ومقومات لتلك الشخصية الانسانية الكاملة ، وجاوز الاستاذ العقاد التمحيص والاستقراء الى البحث المقارن فى أغلب الامور، عارضا حال الامم الاخرى فى مختلف العصور، ليبين على وجه التحقيق مركز الفكرة التى يجليها من التاريخ الانسانى العام (١) .

وما قاله الاستاذ توفيق الحكيم عن عبقرية محمد يصدق على العبقريات جميعها ، لان منهج الكاتب الادبى واحد فى تناول هذه الشخصيات البارزة فى التاريخ الانسانى بعامة ، وقد أشار العقاد الى هدفه حين ذكر فى مقدمات كتبه أنه لا يكتب سيرة ولكن يكشف عن نفسية عظيمة تصلح أن تكون موضع القدرة ، ومع وضوح هذا القول تقريرا وتطبيقا ، فقد وجد من يتجاهله عن غيظ تعرف بواعثه الدفينة فزعم زاعم أن العقاد بكتابه العبقريات الاسلامية يتجه الى (الميتافيزيقيا) أو الى ما وراء الطبيعة بدلا من الاتجاه الى الطبيعة والمجتمع ! وهذا خطأ كاذب لان سير العظماء الذين مثلوا أعظم أدوار الانسانية فى اتجاهها الصحيح ليست خروجا عن عالمنا المعاصر الى ما وراء الطبيعة ، ولكنها ولوج فى صميم المجتمع اذ يقدم الكاتب الا نموذج الانسانى الاعلى للحياة ، وقائل هذا الزعم لا يعنيه أن تصلح الحياة باحياء هذه النماذج الصالحة للقدوة ، ولكنه يضيق ذرعا بابطال الاسلام ويرى فى الاشادة بهم تضييقا على ما يتسع له فى محيط التبذل من اسفاف وسقوط ، وفى محيط التعامل من غدر وخيانة ودس وكيد ! فكيف يطيق أن يذكر هؤلاء البررة ليكونوا بمثابة لعنان تصب عليه ، كما زعم زاعم آخر أن العقاد يبتسر التاريخ ابتسارا ليخدم أغراضا خاصة على حساب الحقيقة . وقائل هذا الزعم لا يحب الحقيقة التى يتظاهر بالدفاع عنها ، لان العقاد لم يذكر حادثا واحدا غير حقيقى حتى نزعم أنه يتيسر التاريخ لاغراض خاصة على حساب الحقيقة ، فكل ما ذكره العقاد من الاحداث والوقائع حق لا مبالغة فى سطر واحد من سطوره بل فى لفظ واحد من ألفاظه ! ولكن الزاعم المضطغن لا يريد الترحيب بأبطال الاسلام قدر ما يريد الاشادة بأناس لوثوا تاريخ الحياة سقوطا وانحرافا ، وكأنه وازن بين من يحيهم ، ومن يتحدث عنهم العقاد فرأى الفجرة من الاتساع بحيث لا يجوز أن تشتمل النقيض ونقيضه فى مجال واحد ، هو مجال الاغراز والاكبار ، بل يجب أن يكون اكبار الفضلاء باعثا حقيقيا على احتقار الهابطين

(١) مجلة الثقافة العدد ١٧٥/٥/٥/١٩٤٢

من ذوى الاهواء ! وقد عرف العقاد أن أعداء اتجاهه سيفترون الاقاويل تشويها لمحاسن ما أبدع فى العبقريات • فاضطر الى أن يبسط وجهة نظره فى مقدمة عبقرية الصديق ، مع وضوحها الساطع لدى دارسى العقاد وقارئى ما أبدع من روائع قبل أن يكتب هذه المقدمة ، قال العقاد (١) :

اننى لا أكتب ترجمة للصديق رضى الله عنه ولا أكتب تاريخا لخلافته وحوادث عصره ، ولا أعنى بالوقائع من حيث هى وقائع ، ولا بالأخبار من حيث هى أخبار ، فهذه موضوعات لم أقصدها ، ولم أذكر فى عناوين الكتب مايعد القارىء بها ، ويوجه استطلاعه اليها ، ولكنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به وتجلو لنا خلائقه ، وبواعث أعماله ، كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين فلا تعنينا الوقائع والاخبار الا بمقدار ما تؤدى أداءها فى هذا القصد الذى لا مقصد لنا غيره ، وهى قد تكبر أو تصغر فلا يهمنا منها الكبر والصغر الا بذلك المقدار •• ومن همنا أن تكون الصورة صادقة كل الصدق فى جملتها وتفصيلها فليس من غرضنا التجميل الذى يخرج بالصورة عن حقيقتها ، ولسنا نريد أن يطلع القارىء على تلك الصورة فلا يعرفها ، ولا يعرف أبا بكر منها ولكن تجميل الصورة شىء وتوقير صاحبها شىء آخر ، فانك اذا صورت أبا بكر ورفعت صورته مكانا عليا لم تكن أضفت اليه جمالا غير جماله، أو غيرت ملامحه النفسية بحيث تخفى على من يعرفها ، فهذا التوقير الذى لايخل بالصورة ولايعاب على المصور ، وليس هو بالتجميل المصطنع الذى يضل الناظر عن الحقيقة) •

وموضع الفصل الحاسم فى هذه القضية أن نطلب من هؤلاء الذين يزعمون أن العقاد قد جاوز الحقيقة الى الخيال ، أن يبرزوا لنا موقفا واحدا فى كتبه الاسلامية لم يكن واقعا صريحا لا لبس فيه ، ولم تكن كتب السابقين قد تداولت تسجيله مؤرخا عن مؤرخ ، فاذا كان الامر كذلك ، ففيم اللجاج ، من أقلام تدعى القيامة على النقد ، وتخدع القارىء بالبهتان ، لحاجة فى نفس يعقوب •

وقد فهم بعض من يدعون القدرة على التفسير والتوعية أن العقاد يكتب فى تمجيد البطولة والأبطال ، لخدمة اتجاه سياسى خاص يدور فى فلكه • ويتقدم هؤلاء خطوة أخرى فيزعمون أنه يريد بذلك محاربة الشيوعية التى تنكر دور الفرد وتوجه الاهتمام الى المجتمع والعقاد يحارب الشيوعية دون هوادة بما لاشك فيه ، ولكنه يعتقد أن الشيوعية حين تلغى دور الفرد لاتهتم بالفرد ولا بالمجتمع ! فالمجتمع الذى أوجدته فى مدى نصف قرن مجتمع خائف هائب مزعج لايستطيع أن يتنفس وللفرد دور فيه ، ولكن أى فرد ، هو من يملك الحكم أو يدور فى فلك من يملك من المقربين الى رؤساء التنفيذ أما ماعدا هؤلاء فهم الجمهرة المقهورون أو العقاد أيضا لايدور فى فلك الغرب حين يكتب العبقريات اعترافا بمكانه العظماء ، لأنه يعلم أن الديمقراطية الغربية ذات عيوب بارزة وأن المساواة لديها لايتحقق على السنن المأمول ، لأن الحزب الحاكم يخضع لرئيس يوجه الأعضاء ، ويكسب الأصوات بالدعاية والاعلام فى منهج تضل به الحقائق ، واذن

(١) عبقرية الصديق ــ مقدمة الكتاب •

فالعقاد لا شرقى ولا غربى حين يكتب العبقريات ، ولكنه مسلم آمن بعظمة نبى الاسلام وخلفائه عن بحث صارم ، وعزم جاد ، وأمانة مطمئنة ، فرأى أن يبرز مبررات هذا الايمان فى خلال مايكتب عن أبطال دينه ! وهذا ما أوقد اللهيب لدى الموتورين ، وانهم لكثير .

وقد تعود الذين يكتبون تاريخ الرجال أن يتشحوا بالعدالة حين يفردون بابين فى مايكتبون ، يتحدث أحدهما عن محاسن الانسان وثانيهما عن مساويه ، ويرون ذلك آية العصمة والنزاهة وقد أشار العقاد الى ذلك فى مقدمة كتابه (عبقرية عمر) فقال :

« فالناس قد تعودوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين أن يحبذوا وينقدوا ، وأن يقرئوا بين الثناء والملام وأن يسترسلوا فى الحسنات بقدر ، لينقلبوا من كل حسنة الى عيب يكافئها ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها فان لم يفعلوا ذلك ، فهم اذن مظنة المغالاة والاعجاب المتميز ، وهم اذن أقل من الكتاب المنصفين الذين يمدحون ويقدحون .ولايعجبون الا وهم متحفزون لملام !!

عرض لى هذا الخاطر ، فذكرت قصة العاهل الذى تحاكم الى قاضيه مع بعض السوقة فى عقار يختلفان عليه ، فحكم القاضى للسوقة بغير الحق ، ليغنم سمعة العدل فى محابية الملوك ، وعزله العاهل ، لأنه ظلم ، وهو يبتغى الرياء بظلمه ، فكان أعدل عادل » .

وليس معنى ذلك أن العقاد لم يخالف أحدا ممن تحدث عنه ــ حاشا رسول الله . فى موقف بل انه أبدى رأيه فى كل ما تعرض لتمحيصه من المواقف ، وأعلن مخالفته فى أشياء ، لم تكن موضع ارتياحه وننقل عن عبرية خالد قوله الصريح عن موقف ابن الوليد من مالك ابن‌نويرة بعد أن عرض الكاتب الناقد الموضوع من كافة وجوهه عرضا وافيا لاخفاء فيه ــ قال العقاد (١) .

وحسبنا من هذه الأقوال جميعها أن نقف منها على الثابت الذى لانزاع فيه ، والثابت الذى لانزاع فيه ، أن وجوب القتل لم يكن صريحا قاطعا فى أمر مالك بن نويرة ، وأن مالكا كان أحق بارساله الى الخليفة بين زعماء فزارة الذين أرسلهم خالد بعد موقعة البزاخة، وأن خالدا تزوج امرأة مالك وتعلق بها ، وأخذها معه الى اليمامه بعد لقاء الخليفة .

وأوجب مايوجبه الحق علينا بعد ثبوت هذا كله أن نقول : ان موقعة البطاح صفحة فى تاريخ خالد ، كان خيرا له وأجمل لو أنها حذفت ولم تكتب على قول من جميع تلك الاقوال لانها لم تضيف الى فخاره العسكرى كثيرا ولا قليلا ، وأهدفته لملام أحمد ما يحمد منه أن له عذرا فيه يقبله أناس ولايقبله آخرون، ويجب تقرير هذا عند تقدير خالد لانه الحق الذى لايعلو على ميزانه ميزان ، فى ترجيح

(١) عبقرية خالد ص ١٤١ ط ١٩٧٠ م

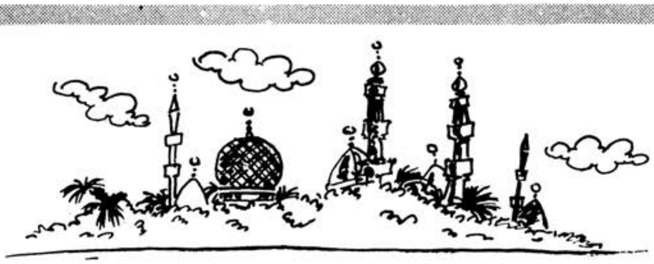

الرجال والاعمال ، ولأن الرجل الذى يخشى على قدره من تقرير أخطائه رجل لايستحق أن يكتب له تاريخ اذ معنى الخشية عليه من أخطائه أنه فقير فى الحسنات والعظائم ، وأنه من الفقر بحيث تعصف الأخطاء بعظائمه وحسناته ، ولم يكن خالد بن الوليد كذلك ٠

وأجمل ما فى العبقريات افحام العقاد الملزم لمن يحاولون تشويه التاريخ الاسلامى فى عهده الأول بمفتريات كاذبة يرددونها عن عمد مع وضوح بطلانها ، ومع ايضاح وجه الحق فى تفنيدها دون أن يستجيبوا لوضوحه ، وللعقاد فى هذا المجال سطوع ونفاذ واستطراد ، وسطوع العقاد ونفاذه مما يعهده القارئى عنه فى كل مجال ، ولكن استطراده وتدفقه وانسيابه فى مجال القمع الجاسم شىء حميد حقا ٠ لان الاكتفاء باللمح الدال لايسكت أفواها مغرضة تعودت على الصياح دون مبرر ، ويزيد صياحهاكلما كان معارضها رقيق الحاشية معتدل الاقناع ، ولابد اذن من سيل جارف يقتلعها اقتلاعا ، ونمثل لذلك برده على الفرية الكاذبة التى زعمت وجود مؤامرة بن أبى بكر وعمر وأبى عبيده عند وفاة رسول الله لتكون الخلافة من نصيب أبى بكر دون على ، فبعد أن أوضح أن الروايات التاريخية الموثوق بها لم تشر الى شىء من ذلك ٠ وأن خلائق الابطال الثلاثة كما يعهدها المسلمون بمنأى عن التآمر الموهوم ، وأن منطق الاحداث ــ وقد شرحه العقاد شرحا وافيا ــ يدل على أن الأمر قد وقع منهم جميعاً موقف المفاجأة التى لم يتدبروها الابعد وقوعها وأن أمارات استخلاف أبى بكر كانت ظاهرة من طلائعها الأولى قبل مرض رسول الله ، ولم تكن هناك اشارة ما تدل على أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن تكون الخلافة فى بنى هاشم ، أقول بعد أن أوضح العقاد ذلك كله فى اقناع ملزم لاحيله للمعارض فيه استطرد استطرادا مكتملا طريفاً ، وانما نجعله استطرادا وهو من صميم الموضوع لأنه ماسبق به كان ذا غناء ملزم ، ولكن الكاتب جاء به على القارىء مشبعا ممتعا مقنعا فقال متسائلا (١) :

« كيف كانت الخلافة صائرة الى غير ما صارت اليه وهى محصورة فى قريش ؟ والى من كانت تصير ؟ ان الذين تولوها بعد أبى بكر من صحابة النبى هم عمر وعثمان وعلى ومعاوية فأى هؤلاء كان أظهر حقا ، وأقرب طريقا ، وأدنى من الصديق الى اتفاق المسلمين عليه ؟

أهو عمر ؟ لقد كان أصغر من أبى بكر بنحو عشر سنين ، ولم تكن له سابقة فى الاسلام وصحبة النبى ، ولم تكن ألفة الناس له كألفتهم لأبى بكر ، وليس هو بأقوى عصبية منه بين بطون قريش ، وليس هو بالذى يشغب على أبى بكر ويعصيه لطمع فى الخلافة اذا تقدم اليها بل كان هو الذى بايعه وحث الناس على بيعته ٠

(١) عبقرية الصديق ص ٢٤ ط ١٩٦٥ م

المنحى الإسلامي عند العقاد

أفكانت تصير الى عثمان ؟ ان عثمان رضى الله عنه أسلم على يدى أبى بكر ، وقد كانت معه عصبية بنى أمية وهى عصبية قوية ، ولكن زعامة تلك العصبية كانت فى يد أبى سفيان يوم ذاك ، ولا طريق له الى الخلافة ، وان طمع فيها • وقد تنزه عثمان أن يركن الى العصبية لينازع أبا بكر فى حق لاينكره ولا ينفسه عليه•

أفكانت تصير اذن الى على بن أبى طالب ؟

انما كانت تصير اليه بحجة بنى هاشم . وهى الحجة التى اتقاها النبى جهده كما قدمنا ، وكان بنو هاشم مع هذا لا يتفقون على اختيار واحد من رؤسائهم الثلاثة ، العباس وعلى وأخيه عقيل ، ولم يكن على بعد هذا وذاك قد جاوز الثلاثين الا بسنوات قلائل ، وهى عقبة من العقبات التى لا يسهل تذليلها فى أمة ترعى حق السن ومكانة الشيوخ ، الا بوصية من النبى عليه السلام ، ولم تكن هناك وصية من هذا القبيل كما اتفق عليه كل سند وثيق أفتكون الى معاوية ؟ انه نفسه لم يدر بخلده أن يرشح نفسه فى تلك الآونة •• الخ •

وأمثال هذا النقاش الملزم الطريف كثير فيما كتب الأستاذ العقاد عن الاعلام •

وبعد ••

فقد كان اتجاه الكاتب الكبير فى مجال الحديث عن الاسلام متشبعا ممتد السبل والآفاق ، وقد ألمعنا الى أشد هذه الطرق وضوحا ،وأكثرها اتساعا ،حين اوجزنا الحديث فى هذا المجال ، وقد بقى مجال كبير لاستدراك كثير مما لم نلم به • ولسنا فى مقام الاستقصاء ولكننا نشيد بعبقرية كاتب اسلامى مناضل، دافع عن الحق بعيدا عن الغرض ، ووقف فى الميدان فارسا معلما ينازله مئات الخصوم فيبارزهم فى ثقة ثم يعود مكللا بالنصر متوجا بالنجاح رضى الله عنه وأرضاه •

الدكتور محمد رجب البيومى

الولاية والأولياء عند ابن عربى

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى

حـــديث ابن عربى عن الولاية والاوليـــاء حديث متشـــعب متعدد الاطراف والذيول لان من عادة ابن عــــربى اذا ما تناول فكرة من الافكار أن يستوعب كل ما قيل فيها ثم يحاول أن يبرزها فى ثوب جديد عليه لمسأته ونسج يديه ولا تتسع هــذه الصــفحات لاستيعاب ما قاله فى هــذا الموضــوع وانمــا ســنعنى فى عرضنا لافكاره بامور ثلاثة اعطاها مفهوما جديدا غير ما وقف عنده الحكيم الترمذى (١) : وهى النبوة العامة ونبوة التشريع واكتساب مقام النبوة وختم الولاية العامة والخاصة ويتلخص رأيه فى هذه النقاط فيما يلى : النبوة

(١) الرسائل والمسائل جـ ١ حقيقة مذهب الاتحادين ص ٥٧ .

الولاية والأولياء عند ابن عربي

مقام عند الله يناله البشر وهو مختص بالاكابر منهم ، ويعطى هذا المقـــام للنبى المشرع ، ويعطى كذلك للتابع لهذا النبى المشرع الجارى على سنته ويستدل على رأيه هذا بقوله تعالى فى حق موسى عليه السلام « **وَوَهَبْنَا لَهُ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا** » (١) وبنى على ذلك ان مقـــام النبوة ينال بالكسب مثلما ناله هارون باتباعه لموسى الا أننا حينما تتأمل الآية الكريمة التى استدل بها ابن عربى على أن النبوة تنـــال بالكسب نجد انها لا تشهد لما ذهب اليـــه بل الواضح منها أن نبوة هارون عليه الســـلام جاءته تفضلا من الله ومنه وليس له فيهـــا أى كسب ويؤكد هذا الاستنتاج لفظ « وهبنا » الذى ذكر فى الآية الكريمة والهبة منحـــة من الحق سبحانه لابد للعبد فيها وليست أجـــرا على عمل قام به .

ويرى ابن عربى أن النبوة نوعان : نبـــوة التشريع والنبوة العامة أما نبوة التشريع فقد انقطعت بنبوة محمد صلى الله عليه وســـلم بمعنى أنه لا نبوة تشريع بعد النبى ولا شرع بعد شرعه وهذا النوع من النبوة هو المقصود من قول النبى صلى الله عليه وســـلم لا نبى بعدى والمقصود أن ليس هناك شرع يأتى بعد شرعه أما النبوة العامة أو مقام النبوة ويقصد ابن عربى به مكان القـــربة فانه لم يســـد ولم ينقطع والذى دعا ابن عربى الى هذا التفصيل ــ فيما أظن ــ مـــا يعتقده من أن عيسى عليه الســـلام سيأتى فى آخر الزمان ولا خلاف فى نبوته وأنه سيأتى بعد زمن محمد فلهذا كان لابد أن يكون المقصـــود من حديث النبى « لا نبوة بعدى » نبوة التشريع لان عيسى حينمـــا يأتى سيحكم بشرع محمد فيكون تابعا من هذه الجهة .

ويؤيد ابن عربى وجهة نظـــره هذه التى تقول بعـــد انقطـــاع النبوة العامة التى هى منزلة القربى بـــأن المقـــربين يدخل فيهم الأنبيـــاء والاولياء والملائكة ، والقرآن يقول « عينـــا يشرب بها المقربون » ووصف عيسى بأنه من المقربين فقال « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » وكذلك وصفت الملائكة أيضا بالقربى « ولا الملائكة المقربون » وقد كان جبريل ينزل بالوحى على النبى صلى الله عليه وسلم وهو من وصفوا بالقربى ولم يقل أحد أنه نبى (٢) .

ويذكر ابن عربى أن الغزالى قد نسب اليـــه انه يقول باكتساب النبوة ويعلق عـــلى ذلك بقوله ان المقصود من قوله هو مقام القربة التى ينالها المقربون من أنبياء وسواهم وقد قال ابن عربى ان الغزالى قد تناول هذا الموضـــوع فى كتابه « كيمياء السعادة » ولكن حديث الغزالى فى كيمياء السعادة لن يتناول هذا الموضـــوع

(١) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣ .

(٢) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣ .

مطلقا وإنما هو منصب على المعارف التى تدرك عن طريق النبوة أو أجزائها كالالهام وغيره من وسائل المعرفة التى أفاضها الله على عباده الذين أخلصوا العبادة له وجدوا فى الطريق اليه (١) ولم يشر الغزالى من قريب أو بعيد الى اكتساب النبوة أو مقامها وانما كان على عرضه للفكرة من خلال محاولته ايضاح تحصيل المعرفة عن غير الطريق العادى ويقصد به طريق الكشف الالهام اللدنى •

ثم يتحدث عن النبوة والولاية مرة ثانية فى كتاب النصوص فقول : أعلم ان الولاية هى الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع ولها الانباء العام وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة ، وفى محمد صلى الله عليه وسلم انقطعت فلا نبى بعده يعنى مشرعا أو مشرعا له ولا رسول وهو المشرع ، وهذا الحديث قصم ظهور أولياء الله لانه يتضمن انقطاع ذوق العبودية الكاملة التامة فلا ينطلق عليها اسمها الخاص بها ، فان العبد يريد الا يشارك سيده — وهو الله — فى اسم ، والله لم يتسم بنبى ولا رسول وتسمى بالولى واتصف بهذا الاسم فقال الله ولى الذين آمنوا « وقال وهو الولى الحميد » وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة الا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التى لا تشريع فيها وأبقى لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت الاحكام وأبقى لهم الورثة فى التشريع فقال : « العلماء ورثة الانبياء وما ثم ميراث فى ذلك الا فيما اجتهدوا فيه من الاحكام فشرعوه فاذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث ولى وعارف ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع فاذا سمعت أحدا من أهل الله يقول أو ينقل اليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل الا ما ذكرناه أو يقول أن الولى فوق النبى والرسول فأنه يعنى بذلك فى شخص واحد وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولى أتم من حيث هو نبى رسول لا ان الولى التابع له أعلى منه فان التابع لا يدرك المتبوع ابدا فيما هو تابع له فيه ، اذ لو أدركه لم يكن تابعا له فافهم مرجع الرسول والنبى المشرع الى الولاية والعلم ألا ترى أن الله تعالى قد أمر بطلب الزيادة من العلم لا من غيره فقال له آمر « وقل رب زدنى علما » وذلك انك تعلم ان الشرع تكليف بأعمال مخصوصة أو نهى عن أفعال مخصوصة ومحلها هذه الدار فهى منقطعة والولاية ليست كذلك اذ لو انقطعت لا نقطعت من حيث هى كما انقطعت الرسالة

(١) المنقذ الضال وكيمياء السعاد ص ٨٦و٨٧ و٨٨ تعليق الشيخ محمد جابر •

من حيث هى واذا انقطعت من حيث لم يبق لها اسم والولى اسم باق لله تعالى فهـــو لعبيده تخلقا وتحققا وتعلقا .

والنبوة والرسالة خصوص رتبة فى الولاية على بعض ما تحوى عليه الولاية من المراتب ، فيعلم انه أعلى من الولى الذى لا نبوة تشريع عنده ولا رسالة ، ومن اقترنت عنده حالة اخرى تقتضيها أيضا مرتبة النبى النبوة (١) .

وأما فكرة ختم الولاية فهو يرى ان الختم ختمان لا ختم واحد ، والختم واحد فى الزمان بمعنى انه لا يتكرر فى الازمنة ، بل هو واحد فى العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون فى الاولياء المحمديين أكبر منه ، وهنـــاك ختم آخر يختم الله بالولاية العـــامة من آدم الى آخر ولى وهذا الذى يختم به الولاية العامـــة هو عيسى عليه السلام يقول ابن عربى عنه : هو ختم الاولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر أمة محمد صـــلى الله عليه وسلم ويحشر رسولا مع الرسل عليهم السلام (٢) .

وختم الولايه المحمديه ليس آخر الاولياء وانما هو أرفعهم منزلة وأن الاوليـــاء الذين يأتون بعده لا يرثون من النبوة المحمـــدية ، وانما يرثون من النبوات السابقة فهناك أولياء يرثون من آدم وآخـــــرون يرثون من نوح وآخرون يرثون من ابراهيم وهكذا هنـــاك وارثون من كل نبى من الانبياء وقـــد أفاض الحديث فى هذا الموضوع فى الجزء الثانى من الفتوحات المكية (٣) .

وقد تناول نفس الفكرة بصورة أكثر جرأة فى كتابه نصوص الحكم فقال : أعـــلى مراتب العلم الذى ينشأ عن التجلى لا يكون الا الاعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه أحد من الرســـل والانبياء الا من مشكاة الرســـول الخاتم ولا يراه احد من الاولياء الا من مشكاة الولى الخاتم ، والى هنا فكلام ابن عربى يمكن قبوله والتسليم به الا أن ما يقرره بعد ذلك كلام على كاتب كبير من الخطورة والجرأة ولا شـــك ان شيئا مثل هذا كان سببا مباشرا وحجة قائمـــة فى رأى عالم كابن تيمية أن يتهم ابن عـــربى لمثل هذا الأقوال بالكفر والخروج على الدين ــ وذلك انه يقول عقب ما سبق ان قـــرره « حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء ، فان الرســـالة والنبوة أعلى نبوة التشريع رسالته تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أوليـــاء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاوليـــاء وان كان خاتم

(١) انظر شرح نصوص الحكم شرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

(٢) الفتوحات جـ ٢ ص ٩ .

(٣) الفتوحات جـ ٢ ص ٤ ــ ٢٣ .

الاولياء تابعا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا ينقاض ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أعلى (١) ولســت أدرى كيف تورط ابن عربى هنا فى الحـــديث عن ختم الاولياء فان أحدا لا يوافقه على ما ذهب اليه هنا والامر المحير حقيقة أن حديث ابن عربى فى أماكن أخرى واضح كل الوضـــوح فى أن الرجل لا يفضل غير الانبياء على الانبياء مهما كانت منزلتهم كما رأينا فيما نقلناه عنـــه فى الصحيفة السابقة من نفس كتابه نصـــوص الحكم ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ ، ولعل هناك لبسا أو تحريفا من الناسخ للمخطوط نشأ عنه هذا التضارب فى رأى ابن عـــربى وأدى الى اتهامه بالكفر من ابن تيمية ٠

واذا أردنا أن نشير بايجاز الى رأى الحكيم الترمذى وابن عربى هنا فانا نقول ان الحكيم يعتبر ان الولاية مقام روحى عام يجتمـــع للنبى مع النبوة أما ابن عربى فـــانه وان كان يردد ما قاله الحكيم الا انه يقفى عليه فيقول : ان الولاية نبوة عامة والنبوة التى بها التشريع نبوة خاصـــة ٠

والدارس لرأى ابن عربى يتبين له بوضوح أن الرجل لا يقول بوجود نبى بعد محمد، وانما هو يبحث الفكرة فى ضوء النظرة الصـــوفية المجردة والذى دفعه الى القول بعـــدم انقطاع النبوة العامة انه يعتقد بنزول عيسى عليـــه السلام وقد فتح حديثه هذا الباب للمدعيين ان يدخلوا على الاسلام ما ليس منه واتخـــذت طائفة مثل القاديانية من رأيه ركيزة ينطلقـــون منها الى الترويج لفكرتهم التى تقول ان من الممكن أن يوجد نبى بعـــد محمد ويـــرددون نفس تعبيرات ابن عربى فى نبوة التشريـــع والنبوة العامـــة ٠

---

(١) نصوص الحـــكم شرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ص ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ ٠

رائد النقد الأدبى

من أعلام الأزهر

٢

تحدثنا فيما سبق عن كتابى دليل المسترشد ، والوسيلة الادبية — لنظهر بالدليل الملموس جهد عالم أديب ناقد ، ذى حس مرهف ودراية لطبائع النفوس واتجاهاتها ، فهو يسلك اليها أقرب الطرق ، وأوضح المناهج ليصل بينها وبين الادب العربى على اختلاف فروعه وتشابك أفنانه .

لقد رأينا الشيخ المرصفى يعمد فى تربية الذوق البلاغى وتقويم اللسان الى روائع الادب ، كما رأيناه يعتمد فى تنمية الاحساس بموسيقى الشعر على غمر الطالب فى مختارات من الشعر تمثل جميع بحوره حتى تعتادها اذنه ، ويتجاوب معها حسه ، قبل أن يغرق فيها عقله .

وذلك لانه يرى أن تلك العلوم جميعا ان هى الا وسائل تجعل الانسان أديبا ، اذ الادب فى رأيه أسمى من أن يكون وصفا لفظيا ، أو نسقا لغويا فحسب ، وانما هو الى ذلك مؤثرات نفسية ، تكسب صاحبها عادات سلوكية حميدة، وتنعكس على لسانه وقلمه فتتراءى فى صورة كلام يناسب موقعه الذى يتطلبه ليحقق الروابط الاجتماعية الوثيقة بين الناس . فقد عرف الادب بقوله « ان الادب معرفة الاحوال التى يكون الانسان المتخلق بها محبوبا عند أولى الالباب الذين هم أمناء الله على أهل أرضه من القول فى موضعه المناسب » (١) .

فالأديب لا ينقطع بأدبه عن الناس ، ولكنه يتوسل به ليقترب منهم ، ويشدهم اليه ، فمجمل الادب أن يكون الانسان بحيث يرضى عن غيره ، ويرضى عنه غيره (٢) .

ومن هذا المنطلق يرسم — فى ايجاز — للمتأدب طريقه الى هذا المرتقى فى قوله :

« فان لكل قول موضعا يخصه ، بحيث يكون وضع غيره خروجا عن الادب » (٣) .

ثم يخلص من ذلك الى أنه يلزم المتأدب ليتمكن من وضع الشىء فى موضعه اجتهاد عظيم فى طلب مواضع الاشياء ليأمن كثيرا من

---

(١) الوسيلة الأدبية جـ ١ ص ٤ .

(٢) دليل المسترشد فى فن الانشاء ص ٧ من المجلد الأول .

(٣) الوسيلة الادبية جـ ١ ص ٤ .

في مصر

الشيخ حسين المرصفي

للدكتور ابراهيم عوضين

الغوائل ومكـــدرات النفوس ، والنقص الفاحش (١) .

ولا يترك الانسان لهذا المنهج العام المجمل، بل يعود ليرسم له خطوطه بشيء من التفصيل ويحدد له أبعاده ، ويقفه على الموازين النقدية التى يستصحبها فى مساره الادبى فى قوله :

« الطريقة المثلى ـ كما سبق تنبيهك عليه وارشادك له ـ أن يبتدىء الطالب بتحصيل الفنون الأصلية صافية نقية من الشبهات والاعتراضات . وايراد العبارات المنقوضة تحفظا لها وعملا بها فيما يرد عليه أثناء ذلك من الكتب التى يتعلم بها ، والاشعار المضمنة فيها ، فاذا أتقن ذلك ، واعتاد لسانه أن ينطق بالكلم العربية كما كانت العرب تنطق بهـــا ، انتقل الى معرفة الفنون البلاغية التى يستفيد بها دقائق المعانى الاشارية الملحوظة وراء المعانى الاصلية ، ليبلغ ذلك درجة اتقان الانشاء حسب اقتضاء الاحوال ، فارقا بين كل مقام وغيره ، فخطبة المنبر غير خطبة عقد الصلح ، وهما غير خطبة رفع المهادنة ونبذ العهد ، وهى غير خطبة الاملاك . والعبارات عن صيغ

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٥ .

العقود والشهادات والمشارطات غير عبارات التعزيات والتهنئات والبشارات وهكذا ، وطريق الوصول الى ذلك معرفة الفنون البلاغية، وكثرة القراءة فى منشآت المتقدمين على اختلاف أنواعها ، بتعقل لسياقتها ومسالكها ومبادئها وأوساطها وغاياتها ، مع الصبر على ذلك ، والتأنى فى تعقله » (١) .

لقد كان الشيخ حريصا أبلغ الحرص على أن يجنب تلميذه الزلل والخطأ ، ويبعده عن مواطن القبح المختلفة التى تنجم عن وضع الشىء فى غير موضعه فى مجال اللغة والنحو والبلاغة والعروض والقافية الى غير ذلك .

ولم يكتف فى هذا السبيل بما قدم من نماذج أدبية ، وتوجيهات نقدية ، بل رأى أن يعقد بعض الموازنات النقدية بين الاعمال المتشابهة ليكشف من خلال ذلك ما يمتاز به عمل عن عمل ويقفنا فى أثنائه على بعض المقاييس النقدية التى يرى فيها ضوابط ومقومات لابد منها للأديب حتى يسلم عمله ، ويخلص من العيوب. ومن أبرز هذه الموازنات النقدية ما عقده الشيخ بين معارضات البارودى لقصائد الفحول من شعراء العربية القدماء كما صنع فى رائية البارودى التى عارض بها أبا نواس .

والناظر فى هذه الموازنات يلاحظ أن المرصفى كان لا يقف عند حد الموازنة بين القصيدتين ، بل كان يتخذ منها منطلقا يستعرض خلاله الاعمال الادبية فى دراسة ناقدة متأنية تكشف عن المعانى المطروقة فى القصيدة على نحو ما نراه فى وقفته مع رائية أبى نواس التى مدح بها الخصيب بن عبد الحميد العجمى أمير مصر من طرف الرشيد ، وكان قد قصده من بغداد وفى مطلعها يقول :

اجارة بيتينا أبوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

ففى أثناء شرحه القصيدة استوقفته بعض معانيها التى شارك فيها أبا نواس شعراء آخرون فأجال النظر فيها ، وقارن بين هذا وذلك . فقد وقف فى قصيدة أبى نوَاس مثلا — عند الرحلة لكسب المال ارضاء للحبيبة ، فأورد عددا من الابيات التى تعرض المعنى نفسه لشعراء آخرين مثل قول أحدهم :

دعينى أطوف فى البلاد لعلنى
أصادف حرا أو أموت فاعذرا

وقول الآخر :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا
وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

كما استوقفه من أبيات القصيدة ما كثر لفظه وقل معناه مثل قوله :

فما جازه جود ولا حل دونه
ولكن يسير الجود حيث يسير

الذى رأى الشيخ أن ألفاظه أكثر من معناه، وأن الشاعر قد أخذه من قول الشنفرى :

---

(١) نفس المصدر جـ ١ ص ٢١٤ .

ظاعن بالحـــزم حتى اذا ما
حل ، حل الحزم حيث يحل

ولكن أبا نــواس لم يســـتطع مجــاراة الشنفرى ، فأساء الاخذ ، اذ وضــع الجــود موضع الحزم والفارق بينهما كبير .

ويواصل السير على هذا النمط من الشرح والتعليق والنقد حتى اذا انتهى من قصـــيدة أبى نواس ، تناول قصيدة البارودى بالشرح والموازنة والتعليق . وفى النهاية يجمل ما فصل ويجمع ما تناثر فى هيئة تقريظ للبارودى ، ولكنه تقريظ يلفت النظر بما تضمن من آراء نقدية جديدة وذلك قــوله : « انظر هــداك اللــه لابيات هذه القصيدة فأفردها بيتا بيتا تجــد ظروف جواهر أفردت كل جوهرة لنفاســتها بظرف ، ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق ، فأنك لا تجد بيتا يصح أن يقــدم أو يؤخر ، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأكلك الى سلامة ذوقك ، وعلوهمتك ان كنت من أمثل الرغبــة فى الاستكمال لتتبع هــذه الطريقة المثلى » (١) .

والذى يلفت النظر فى هذا الاجمال ، أنه تضمن رأيا فى القصيدة لم نقف عليه من سابقيه ولا معاصريه ، حيث جعل القصـــيدة كيانا متكاملا ، وبناء متناسقا لا يصح أن يقـــدم فيه بيت عن موضعه ولا يؤخر ، ولا تغير فيه هيئة البناء بأى تغيير .

(١) الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٤٧٤ وما بعدها .

ولا ريب فى أن هذا يذكرنا بما عرف فيمــا بعد ذلك بنحو نصــف قرن باســم الوحــدة العضوية للقصيدة ، وقام عليه العقاد وصاحبه المــازنى ، واشتهر به أو اشتهر هو بهمــا ــ وان يكن سبقهما اليه خليل مطران على نحــو ما أوضحته فى كتـــابى فى الادب العربى المعاصر (٢) ــ فالمرصفى يمدح شعر البارودى بقيامه على تلك الوحدة حيث لا تجـــد فى القصيدة بيتا يصح أن يقدم أو يؤخر ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث .

بيد أن الشيخ لا يقف عند حد الوحـــدة العضوية للقصيدة ، ولكنه يطلبها الى جــوار وحدة البيت ، فالبيت فى القصيدة كيان جزئى لابد من أن يقدم الشاعر به معنى جزئيا يمكن أن يتفرد بجماليات التعبير وسحر البيان، ولكنه ليس تفرد الاستقلال ــ كمـــا توهم بعض الناقدين ــ انما هو تفرد الجزء مع مراعــاة الكل ، فتكامل البنية لا يمنع من التنبه الى أحد أعضائها من تشويه أو يشتمله من تناسق وجمال .

ومن ثم يتقرر أن المرصفى سبق الى الوحدة العضوية فى هذا العصر خليلا والعقاد والمازنى ولعل هؤلاء دعوا اليها بعد اطلاعهم على ما جاء فى وسيلة المرصفى التى كانت مرجع كل باحث ودارس فى مطالع هذا القرن .

(٢) فى الأدب العربى المعاصر القســم الثــانى ص ٩٤ ، ١٦٦ .

ومن عجب أن الدكتور مندور بعد عرضه لسبق المرصفى الى الوحدة العضوية فى القصيدة يعود فيقول : « ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نزعم أن الشيخ حسين المرصفى قد جدد أصول النقد الادبى على نحو ما فعل صاحبا الديوان » وصاحب « الغربال » فيما بعد ، فالشيخ حسين نفسه لا يزال يقرر أن للبيت مثلا وحدة شعرية مستقلة بذاتها ، حيث يقول فى مستهل حديثه عن الشعر : انه كلام مفصل قطعاً متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة ، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه رويا وقافية . وينفرد كل بيت بافادته فى تركيبه كأنه كلام وحده ، مستقل عما قبله وما بعده ، واذا أفرد كان تاما فى بابه ، فى مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل فى افادته ، ثم يستأنف فى البيت الاخير كلاما آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن الى فن . ومن مقصود الى مقصود ، بأن يوطىء المقصود الاول ومعانيه الى أن يناسب المقصود الثانى ، ويبعد الكلام عن التنافر ، كما يستطرد من التشبيب الى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف، ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره، ومن التفجع والعزاء فى الرثاء الى التأثر ، وأمثال ذلك » .

ومن البين أن مثل هذا المنهج النقدى لا يخرج فى شىء عن منهج النقد التقليدى عند العرب ، وهو يعتبر اليوم قديما باليا بالنسبة الينا بعد أن اتسعت آفاقنا النقدية وأصبحنا نبحث فى فلسفة الادب وأهدافه ومصادره ووظائفه فى الحياة و فى خصائصه الجمالية ومبادئه الفنية ، وأصالته المتميزة(١).

وموطن العجب فى هذا الرأى أن الدكتور مندور جعل وصف المرصفى للشعر عند العرب وحديثه عن منهجهم فيه .. جعل هذا رأيا للشيخ فى الشعر يحسب عليه ، ويغفل بسببه ما صرح به من احتفال بالوحدة العضوية مندور من كلام المرصفى رأيه النقدى فى الشعر لما كان هناك داع لان يقول : « وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا .. » فكلمة (عندهم) تنبه الى أن الشيخ انما يصف لتلاميذه منهج الشعراء العرب السابقين . حتى لا يغيب عن الناقد مفهوم الشعر لديهم ، فيزن شعرهم بموازينهم لا بموازين العصر .وليست كلمة (عندهم) فى عبارة الشيخ وحدها التى

(١) الشيخ حسين المرصفى والوسيلة الادبية . مقال للدكتور محمد مندور فى مجلة « المجلة » العدد التاسع والعشرين مايو ١٩٥٩ ص ٤٧٣ .

تشير الى مقصوده هذا بل ان سياق العبارة كله يومىء الى ذلك .

وكأنى بالشيخ يقرر أن الناقد الحقيق بهذا اللقب لابد له من موازين مختلفة تمثل أطوار الادب فى بيئاته المتعددة فيزن نتاج كل بيئة بلائمه من الموازين النقدية .

وليس هو الذى يحمل ميزانا واحد ليقيس به الاعمال الادبية كلها مهما تباين أصحابها ومهما اختلفت البيئات وتباعدت الأزمان ، فهو لذلك يضع أمام تلاميذه مفهوم الشعر عن السابقين من الشعراء والعرب وناقديهم ؛ وليس أدل على ذلك من اعتراض الشيخ على تعريف العروضيين للشعر بأنه الكلام الموزون المقفى ، ليس بحد لهذا الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا . فلابد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول : ان الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » .

وتزداد دهشتى حين أجد الدكتور مندور ينقل اعتراض الشيخ هذا مدللا به على أنه فطن الى خاصية أساسية تميز الادب عامة والشعر خاصة عن غيره من الكتابات وهى التصوير البيانى بدلا من التعريف الجاف . بينما يغفل عن كلمة (عندنا) فى قول الشيخ عن تعريف العروضيين « فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا » ومدلولها هنا يعزز مدلول (عندهم) هناك ، بالقدر الذى يعفى الدكتور من التناقض فى الحكم على الشيخ ، ويحميه من الحيرة التى أبداها فى قوله .

* * *

لقد جمع المرصفى بين موهبة الفنان . واستيعاب العالم ، وتمكن اللبيب الاريب ، فانساب بين عقول تلاميذه فى أناة وتعقل بآرائه النقدية ونظراته الفاحصة ليحولهم من الاستسلام تماماً الى ما كان عليه الاقدمون ، من آبائهم ، دون أن ينقطعوا عن أصولهم ، أو يخرجوا على اطارهم فأضاف الى ما تقدم دعوته الصريحة الى ترك ما لا يتلاءم مع ذوق العصر مما ورثنا عن الاقدمين ، فى قوله : « انه لا يصح تقليد العرب فى جميع ما نطقوا به ، فقد عرفت مما سلف أن بعض كلامهم يجب اجتناب مثله ، وأنهم لا يتابعون الا فيما كان أوفق للغرض من الكلام وهو التفاهم ، وفى خصوص الشعر والانشاء من التأثير فى الطباع ، وتحويلها الى الميل الذى يريده الشاعر

والكاتب » (١) .

ولم يقف عند ذلك الحد ، بل رأى أن يكون أكثر صراحة ، وأشد وضوحا ليتجه بتلاميذه الوجهة التى يراها أمكن لناقد الادب ودارسه فقدم لهم ناقدى الادب الاقدمين فى تقسيم كاشف محدد ، ليعرفهم من خلال ذلك بالمنهج النقدى الذى يرتضيه ، ويطلعهم على أبعاد الآراء النقدية ، ومدى الاخذ بها ، والنظر فيها ، فالنقاد فى رأيه صنفان . الصنف الاول الشعراء والكتاب ورواة المنظوم من العلماء لغرض التعليم والتأديب . والصنف الثانى علماء البلاغة الذين تكلموا فى اعجاز القرآن ووضعوا فى ذلك مصنفاتهم . والشيخ يرى أن نقد الصنف الاول موضوعى ، لانهم — مهما أخذوا على العمل الفنى من التعقيد والحشو والتطويل والخطأ فى المعانى . واستعمال ألفاظ لائقة بمقام فى غيره — يتسامحون فى أشياء ليست بتلك المنزلة لادراكهم القصور الطبيعى الذى عليه بنو البشر . أما الصنف الثانى فالشيخ لا يقبل منهجهم النقدى لانهم يفرقون بين الكلام البرىء من كل عيب جل أو دق ظهر أو خفى — وهو كلام من لا يخفى عليه خافية — وبين كلام الناس الذين هم موضع السهو والنسيان (٢) .

وهكذا يقدم الشيخ الى تلاميذه اضافة نقدية جديدة ، حيث يأخذ على الناقد موازنته بين عملين أدبيين دون أن يراعى مصدر كل عمل على حدة ، فالعمل الادبى لا ينقطع عن مصدره بأى حال . ومن ثم لم يقبل أن يوازن بين كلام الخالق وكلام المخلوق كما صنع الباقلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » حيث عقد فيه مقارنة بين القرآن الكريم وبعض الاعمال الادبية المشهورة يتفوقها . مثل معلقة امرىء القيس .

ويستطرد الشيخ فى هذا السبيل ليقدم لتلاميذه ما يأخذه على الباقلانى فى نقده الذى تحامل فيه على امرىء القيس فى كثير من آرائه (٣) .

* * *

وبعد فان الناظر الى الشيخ حسين المرصفى يرى فيه الناقد ذا الشخصية المستقلة المتعقلة التى لا تنفصل عن جذورها ولكنها لا تستسلم تماما لسطوتها وسلطانها ، فليس « كل تركيب صدر عن العرب وغيرهم من المشاهير جيدا ،

(١) الوسيلة الأدبية جـ٢ صـ ٤٧٣ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٢٩ .

(٣) راجع الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٤٢٩ — ٤٤٤ مقارنا بما جاء فى اعجاز القرآن للباقلانى فى ص ٢٤١ وما بعدها بتحقيق السيد صقر .

فربما تعسف الواحد منهم اغترارا بفهم نفسه، وغفلة عن رعاية غيره ، ومسارعة بايراد ما ظهر من المعنى (١) •

وان مظاهر تلك الاستقلالية لتبدو :

أولا : فى نظرته الى القصيدة الشعرية كما ينظر الى البنية المتكاملة ذات العناصر المتعددة التى يقوم كل عنصر فيها مقام العضو فى جسم الكائن الحى •• على نحو ما تقدم تفصيله •

ثانيا : فى حرصه على مناسبة الالفاظ والمعانى وذلك لان « جودة الكلام تعتمد صحة المعنى وشرفه ، وتخير الألفاظ فى أنفسهم ومن جهة تجاورها وموافقتها للمقام واجادة التركيب على ما شرح فى علم المعانى وغيره ، بحيث تكون الالفاظ سلسة فى المنطق ، خالية من التنافر وشدة الغرابة ، يألف بعضها بعضا، حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة ، وتكون الالفاظ التى نوردها فى مقام الحماسة ليست كالالفاظ التى نوردها فى مقام الغزل والتشبيب ، فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها ، ولذلك تسمعهم يقولون :

« الجزل الرقيق • واجادة التركيب بسلامته مما يبعد فهم المعنى منه » (٢) •

(١) الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٤٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

أى أن الجمال فى نظر المرصفى يقوم على التناسب والتلاؤم الشامل للالفاظ بعضها مع بعض ، وللالفاظ مع المعنى والسياق •

ثالثا : فى دعوته الى التخلص مما وقع فيه بعض الأقدمين حين نظروا الى الوسائل الادبية نظرهم الى المقاصد ، ووقفوا عند ذلك الحد ، فدرسوا القواعد اللغوية والبلاغية لذاتها ، وليس للتوسل بها الى التعبير الصادق ، أو النقد الواعي الدقيق •

رابعا : فى أخذه من الأقدمين ما يتفق مع اتجاهه ، ورفضه ما يختلف معه ، كما نراه فى موقفه من ابن خلدون • حيث أخذ كثيرا من مقاييسه الادبية والجمالية ، حتى اذا وصل الى الذوق الفنى استعرض رأى ابن خلدون فى تفسيره ، ثم عقب عليه بقوله :

« وأما قوله فى تفسير الذوق فأبين منه ما سألقيه عليك ، وذلك أن بين الاشياء تناسبا بحيث متى استوفت عند اجتماعها حظها منه قامت منها صورة يتفاوت الناس فى ادراك حسنها طبعا وتعلما ، فمنهم من لايدرك ذلك ولا يلتفت اليه ، وليس مدركوه سواء فيه ، فمنهم من يقنع بادراك ظواهر الأشياء ومنهم من ينتهى ادراكه الى اعتبار دقائقها وخوافيها وتعتبر ذلك بما تشاهده من شدة سرور بعض الناس عند رؤيتهم للاشياء المناسبة التى

تلائم بعضها بعضا ، وشدة نفرته وانقباضه عند رؤية خلافها ، لا يختص ذلك بشىء دون شىء ، فتراه يتأمل الابنية وأوضاعها وما اشتملت عليه من مكملات للانتفاع بها ، فاذا أدرك فيها التناسب اللائق بها رأيته قد انشرح صدره ، وتجدد سروره ، وأخذ فى نعتها والثناء على صناعها ، وذلك مثل تعتبر به غيره ، وتتأمل تفاوت الناس فى ذلك الادارك ، فالادراك الذى يتعلق بتناسب الاشياء ، ويوجب الاستحسان والاستقباح هو المسمى بالذوق ، وهو طبيعى ينمو ويتربى بالنظر فى الاشياء والاعمال من جهة موافقتها للغاية المقصود منها (١) .

خامسا : فى ربطه بين العمل الادبى وصاحبه ـ وهو المنهج المعروف حديثا بالمنهج النفسى ــ بحيث لا يقف الناقد فى عمله عند حد تناول ما فى النص الادبى من جمال فنى ، وسلامة لغوية ، وصور بلاغية ، بل يتجاوز ذلك الى صاحب العمل الادبى نفسه ، وما ينطوى عليه من عوامل داخلية تؤثر فى نظراته وأخيلته وعباراته (٢) .

والمرصفى فى ذلك وان يكن مسبوقا اليه بطائفة من قدامى الناقدين العرب أمثال ابن طباطبا العلوى ، وابن سلام ، وابن قتيبة ، وعبد القاهر ، وابن خلدون ــ له فضل التعميق والتفصيل ، والوقوف الموجه الملح على هذا المنهج ، بيد أنه لم يضع ذلك تحت عنوان الاتجاه النفسى على نحو ما عرف فيما بعد .

سادسا : فى اقامة النقد الادبى على المنهج الفنى ، لا على المنهج التاريخى ، ولا على التقسيم الاقليمى ، فقد قسم الشعراء الى طبقات فنية ، يجمع كلا منها التبريز فى فن أو منهج فنى بعينه ، دون مراعاة للبيئة الزمانية أو المكانية الا بقدر .

وعلى منهجه هذا جعل الشعراء ثلاث طبقات .

الاولى منها طبقة الجاهليون والاسلاميين من المهلهل الى بشار بن برد ، ومن هذه الطبقة « عدى » الملقب بالمهلهل لانه هلهل الشعر أى رققه وأطاله ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن امرىء القيس أول من جود الشعر وأطال القصائد وجعلها مشتملة على أصناف من المعانى فامرؤ القيس يذكر معه من أصحاب المعلقات وغيرهم أئمة الشعر الذين يقتدى بهم ، ويصنع على ما تمثلوه ، اذ كانوا هم المخترعين ، وكانت عباراتهم حكاية عن

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) المرجع السابق .

الواقع وصنعه للمشاهد . لم تكن الصنعة غالبة عليهم ، كما هو شأن المتأخرين عنهم ، لذلك قيل لشعرهم أنه مطبوع ولشعر المتأخرين أنه مصنوع » (١) .

والطبقة الثانية طبقة المحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ويجتهدون فى سلوك طوائفهم من أبى نواس الى قبيل القاضى الفاضل ومن شعراء هذه الطبقة مسلم ابن الوليد ، وأبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى والسعدى والشريف الرضى وتلميذه مهيار الديلمى .

ويطيل المرصفى وقفته مع شعراء هذه الطبقة ، فيقدم عنهم دراسة دقيقة تعتمد على كثير من أشعارهم (٢) .

أما الطبقة الثالثة فطبقة الشعراء الذين غلبت عليهم استعمال النكات ، والافراط فى مراعاة البديع ، وهم من القاضى الفاضل الى يوم تأليف الكتاب سنة ١٨٧٢ ، ومن شعراء هذه الطبقة محمد بن نباتة المصرى ، وعبد العزيز بن سرايا الحلى ، وهى طبقة تهتم بالبديع والصنعة الشعرية وليقرر هذا

(١) الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٢٢ .

استعرض طائفة كبيرة من نماذج شعرائها، ودرسها دراسة دقيقة ، تدل على قدرته الفنية المرهفة وتمكنه من اللغة العربية وعلومها (٣) .

وهكذا وضع الشيخ حسين المرصفى نفسه بين رواد البعث الادبى والدراسات الادبية فى العالم العربى المعاصر ، ليكون منارة توجه الدارسين والباحثين فى الفنون الادبية والنقد الادبى الى يومنا هذا (٤) .

دكتور ابراهيم عوضين

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٦٦ .

(٤) انظر تاريخ علم الأدب للويس شيخو وجبرائيل اده اليسوعى ، حيث ينقلان راى المرصفى فى صفات الخطيب جـ ٢ ص ٣١٢ ــ ٣١٤.

شخصية في سطور

سعيد عبد الحى

*** هو عثمان بن عفان من عبد شمس ولد فى السنة الخامسة من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

* أسلم عثمان بن عفان فى سن الثلاثين وهو من أوائل المسلمين وقد سعى وراء الاسلام وذهب مع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عيه وسلم وشهر اسلامه .

*** وكان رضى الله عنه محبوبا من الناس جميعا .. هينا .. لينا .. سهلا .. سمحا .. وكان يمتاز بعقل راجح ورأى سديد ومنطق سليم .**

* وقد كان اسلام عثمان مبعث فرح للمسلمين .. ومصدر حزن لقريش ..

*** وكان عثمان رضى الله عنه زوجا لابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رقيه ، أم كلثوم وكان أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة هو وزوجته رقية .**

* وكذلك كان عثمان أول سفير فى الاسلام فقد بعثه الرسول الكريم الى قريش عندما اراد دخول البيت الحرام هو واصحابه لاداء العمرة وبعثه الرسول يوضح لهم الأمر فكان بذلك أول سفير فى الاسلام .

*** ويكفى عثمان انه رفيق النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة فقد جاء فى الحديث « لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان » .**

* وكان عثمان أسخى الأمة الاسلامية الأولى وأكرمها وأكثرها نفقه فى سبيل الله .. ومما يدل على ذلك أنه اشترى بئر ماء يسمى بئر رومى وكانت البئر لرجل من بنى غفار وكان يبيع القربة منها بمد .

ويوم قدم النبى مهاجرا استنكر اصحابه المهاجرون ماء المدينه فأرسل النبى الى صاحب البئر وقال له تبيعها بعين فى الجنة : فقال الرجل يا رسول الله ليس لى ولا لعيالى غيرها فبلغ ذلك عثمان فاشترى البئر بخمس وثلاثين ألف درهم ثم ذهب الى النبى وقال له اتجعل لى ما جعلته له فقال النبى نعم : فقال عثمان .. قد جعلتها للمسلمين .

*** وفى غزوة تبوك (العسرة) جهز عثمان ثلث الجيش وكان الجيش فى هذه الغزوة ثلاثين الفا .**

* وعثمان رضى الله عنه ثالث العشرة المبشرين بالجنة : واشترك عثمان فى جميع غزوات النبى ما عدا غزوة بدر وكان ذلك باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبره الرسول من جند بدر .

*** وقد اختاره الرسول ليكون كاتب وحيه وكاتم سره وتلك شهادة كبرى بأمانته وعفته .**

* وقد تصدق عثمان رضى الله عنه بألف بعير محملة قمحا وزيتا وزبيبا وذلك عندما

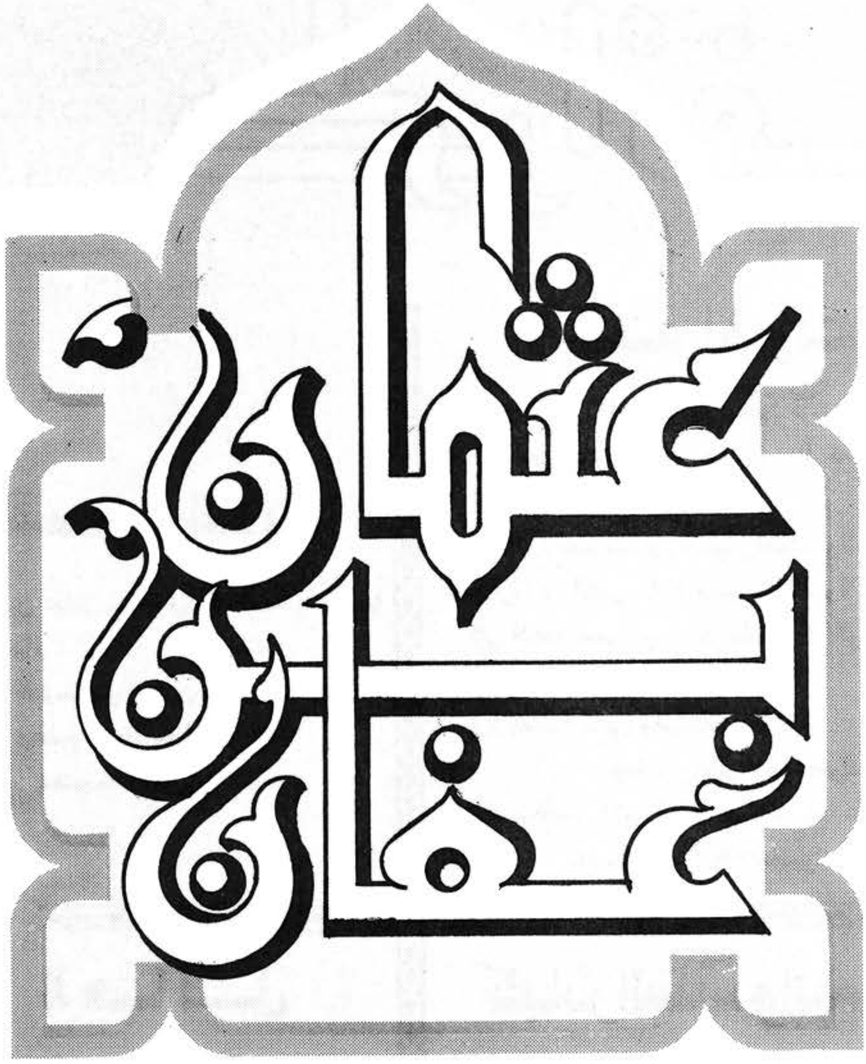

أصاب المسلمين قحط فى عهـد أبى بكر رضى اللـه عنـه .

❋ وعثمان رضى الله عنه اسس أول أسطول بحرى فى الاسلام .

❋ ومن أهم أعمال عثمان جمع المصـحف الشريف فقد قام بجمعه عندما اختلف أهـل حمص وأهـل الكوفـة وأهـل البصرة وقال كـل فـريق ان قراءتى خـير من قراءتهم فبلـغ عثمان ذلك فقام بجمع المصـحف وكان ذلك افضل شىء قام به عثمان رضى الله عنـه .

❋ وقد استشهد عثمان سنة ٣٥ هـ فى الفتنة الكبرى وعمره يومئذ اثنتان وثمانون عاما قضى فيها اثنى عشر عاما فى الخلافة .. رضى الله عن عثمان وأرضاه .

طرائف

أقسام الدنيا

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ الدنيا ثلاثة أقسام :

قسم للمؤمنين يتزودون به الى الآخرة ٠

وقسم يتزين به المنافقون !٠

وقسم يتمتع به الكافرون ٠

عند الموت

فى مرض الموت توجه صديق لزيارة الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟

قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولاخوانى مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، ولا أدرى الى الجنة تسير روحى فأهنئها ، أم الى النار فأعزيها ثم قال

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما

العاقل

العاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الامر قبل أن يقع فيه فاذا وقع فيه رضى وصبر ٠

كبائر القلب واللسان

قال ابن مسعود : الكبائر أربعة فى القلب وأربعة فى اللسان ٠

أما كبائر القلب فهى : الشرك بالله ، والاصرار على معصيته ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكره سبحانه ٠

وأما كبائر اللسان فهى : شهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الباطل ، والسحر ٠

وموافف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عيد الحليم

مواصفات الدعاء

« للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب »
فأركانه : حضور القلب مع الله ، والخشوع لله ، والحياء من الله ورجاء كرم الله ٠
وأجنحته : الصدق وأكل الحلال ٠
وأوقاته : الفراغ والخلوة ٠
وأسبابه : الصلاة على النبى ، فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ٠

ثلاث خصال

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان :
حلم يرد به جهل الجاهل ٠
وورع يحجزه عن المحارم ٠
وخلق يدارى به الناس ٠

حقًا

لاتعادوا حتى تروا ، ولا تفخروا حتى تفعلوا ، قصص الاولين مواعظ الاخرين البحث يوضح الحق ، ليس مع الحسد سرور ، ولا مع الحرص راحة ، ولا مع السخط غناء ٠٠ من لزم الصحة والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة ٠

مناجاة

اللهم اجعلنى من الذين اذا أعطيتهم شكروا ، واذا منعتهم رضوا ، واذا امتحنتهم تفكروا ، واذا ذكرتهم ذكروا ٠

صلوات

إِيَّاك يا رب الخــــلائق نعبـدُ ... ولنور وجهك يا مدبر نســـجدُ
مَنْ خالق مَنْ راحمٍ من قــــادر ... فى الكون غيرِك نرتجيه ونقصد
مافى الوجود سواك يا رباه إلا ... وهم عقل قاصــــر يتجسَّــد
لا شىء الا أنت يا نور الوجود ... وان تعامى عن ســناك الملحـد
لولا ضياؤك ما رآنى مبصــــر ... فالذر فى ألــق الاشــعة يُشهد
إنى أُحِقُّك فى خفائك ظاهـــرا ... للروح والوجـدان أنى أعمـد
فى الأرض تطلع كل زوج مُبْهِج ... دانى القطوف اذا ذوى يتجدد
فىالشمس تفتن الحرارة والسنا ... فى السحب تُبرق فىالسماءوتُرعد
فىوحشة الليل البهيم وفىتباشير ... الصباح تفيض أنســا يســعد
فىعزة الجبل الاشم وفىالسفوح ... وفى هدير الموج يرغـــو بزبد
فى صحوة الاحياء تسعى للحياة ... وحين تســـــلم للرقاد وتُخلد
والكائنات عظيمها ودقيقهـــا ... شـــــهدت بأنك يا مهيمن أَبَدُ
آمنت يا ربى بكل مشـــاعرى ... وجوارحى حقا بأنك أوحـــد

شعر محمد عبد الرحمن صان الدين

أصدقاء الحياة

تحاصرنى الحيـــاة بكل صـــعبٍ ... وأرفض أن تلين لها قنـــاتِى
وقال النـــاس منعزل كتــــوم» ... فقلت لهــم ولم أفقــد ثبـاتِى
دعوت اللــــه أن يرضى عليكم ... وعشـــت محلقا فى أدعيـاتى
أنا رجل يحب الناس طــــرًّا ... وأفخـــر أننى أنكـــرتُ ذاتى
وسوف أَظَـــلُّ انسانا وفيـًّا ... غنيـًّـا بالرضـا والتضحيات
صلاتى خمس مـــراتٍ دوائى ... وفيهـــا كــل أسرار النجـاة
ثــلاثة أصدقاءٍ فى حيـــاتى ... وهم ذخرى وأغلى أمنيـــاتى
كتاب الله ان واجهت كربـًـا ... يفرج كربتى فى الحــــادثات
وقول عن رسول اللــــه يروى ... فيجذبنى الى نيل الصـــفات
وثالث صـــاحب ديوان شــعرٍ ... تطيب به وتحلو أمســـياتى
وعمر المرء فى الدنيا قصــيرٌ ... ويبقى ذكــره بعد المـــات

شعر محمد عبد الفتاح حمـــاده

كتاب الشهر

الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله

تأليف : ـ عباس محمود العقاد

التعريف بالمؤلف :

لا أحد يستطيع أن يقدم الاستاذ عباس محمود العقاد الى القارىء والمكتبة الاسلامية سوى كتابته وعلمه •

ولذلك فان خير مايقدم هذا الكتاب هو ماكتب فيه من مؤلف عملاق منهج المؤلف فى تأليف كتابه : ـ أثار المؤلف عدة تساؤلات حائرة رددها الكثيرون من المسلمين بل ومن غير المسلمين ومن علماء الغرب المتخصصين فى أبحاث العقائد الدينية المختلفة •

فى عرض متسلسل وبحث عميق ، يجيب العقاد بالحقائق والاسانيد المثبتة على :

كيف ولماذا :

ـ انتصر الاسلام فى سنواته الاولى على أقوى دولتين فى العالم وقتذاك هذا الانتصار الساحق ؟

ـ كيف ولماذا :

ـ انتشرت العقيدة الاسلامية حتى عمت هدايتها معظم أرجاء العالم المعمور بعد سنوات قلائل من بدايتها مع وفرة العقائد والأديان والعبادات فى ذلك الوقت ؟

كيف ، ولماذا :

سلحت العقيدة الاسلامية ، وثبتت أمام الحرب الضارية الطويلة التى شنها عليها أعداؤها فى وقت كانت فيه الامة الاسلامية جميعا لها مشاعا للمستعمرين ؟

ثم السؤال الملح :

ما هو موقف العقيدة الاسلامية التى انتشرت وصمدت وآمن بها الملاين على مر الاجيال والقرون ، ماهو موقفها ومستقبلها بين التيارات العقائدية التى تتجاذب العالم اليوم وتسعى الى السيطرة عليه ؟

عرض لمحتويات الكتاب

قوة غالبة

قوة غالبة لم تصمد لها قوة :

قوة نجمت من حيث لا مخافة ولا فطنة • فما هى تلك القوة ؟ وليست قوة دولة ولا قوة سلاح ••

ويجيب العقاد عن هذا التساؤل :

قيل فيما قيل انها خشونة البادية غلبت ترف الحضارة ونعمة الرخاء ، ولكن الدولتين اللتين انهزمتا معا « دولة الأكاسرة ، ودلة المغرب وهى دولة القياصرة • فارس وبيزنطة » •

قد كانت تحكمان الملاين ممن لا يعرفون من العيش غيرخشونته وشظفهوكانت فارس تحكم من حولها قبائل لم تعرف غير الجبال والقتال • وكانت بيزنطة تحكم على تخومها أشباه تلك القبائل فى خشونتها وقوة مراسها وظلت تحكمها وتهزمها كلما أغارت عليها من غربها أو شمالها بعد أن تلاحقت هزائمها فى وقائعها من أبناء البادية العربية وسلمت بالهزيمة بعد الهزيمة تسليم الخيبة والاضطراب •

عرض وتقديم حمدى الليثى

فى القرن العشرين

ومستقبله

تأليف عباس محمود العقاد

– وقيل فيما قيل انه احتقار العرب للعجم وكل الناس عجم عند من ينطقون بالضاد .

ولكنه سلاح كان ينبغى أن يصدق من الجانبين وأن يغلب به العجم فى بعض ميادينهم ان لم يبلغوا به فى الميادين كافة حيثما التقى الخصمان المتساويان فى ذلك السلاح . بل لعل العجم كانوا أشد احتقارا للعربى فى تلك الحقبة على التخصص ، وقد حدث فى احدى وقعات العراق أن زعيما عربيا ممن يلوذون بدولة فارس عرض على مهران قائد الفرس أن يتولى عنه حرب خالد بن الوليد لأن العرب أعلم بقتال العرب فغضب جنود مهران لأنهم سمعوه يقول لذلك الزعيم العربى : « صدقت . لأنتم أعلم بقتال العرب وأنتم مثلنا فى قتال العجم » وثاروا به يستعظمون أن يقول « لذلك الكلب » ما قال ولم يرضوا عن هذه المجاملة لمن يريد نصره حتى قال لهم : « دعونى . فانى لم أرد الا ماهو خير لكم وشر لهم .. فان كانت لهم على خالد فهى لكم . وان كانت الاخرى لم يبلغكم أعداؤكم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء .

ألا أن هذا الاحتقار سلاح موفور فى المعسكرين فان كان للعرب نصيب كبير منه فما كان عند العجم منه فهو نصيب غير صغير على أن العرب الذين حاربوا الفرس والروم وانتصروا عليهم لم يكونوا جميعا من أبناء البادية ولامن الناشئين على الشظف والشدة بل كأن منهم أبناء نعمة وثراء ، وكان قائدهم الأكبر – خالد بن الوليد الذى قال الزعيم العربى لقائد الفرس مهران انه أعلم بقتاله – مخزوميا من أغنى السروات فى بنى مخزوم ذوى الجاه العريض والثراء المستفيض . اذ كان جده المغيرة بن عبد الله الذى كان الرجل من بنى مخزوم يؤثر أن ينسب اليه فيسمى المغيرة تشرفا بالانتساب الى الفرع الذى أناف على الاصول .

ويستطرد العقاد بكتابه :

لاننس أن الجيوش الاسلامية لم تصل الى ميادين العراق وفلسطين حتى كانت قدانتصرت على جيوش عربية من البدو والحضر قد نشأت مثل نشأتها وتدربت على القتال مثل تدريبها وعرفت من الترف والخشونة مثل ما عرفته فى بداوتها وحضارتها .

ولاننس أن الظاهرة قد تكررت حيث لاعرب ولا روم ، وحيث كان الفرس فى صفوف المنتصرين مع أمراء الاسلام .

ويختم المؤلف الفصل بذكر السبب الذى أدى الى انتصار المسلمين على أكبر دول العالم بقوله :

لا مناص اذن من الرجوع بها الى السبب

الذى اتفق عليه المؤرخون أو كادوا بعد التعلل لها بجميع الاسباب .

لا مناص اذن من الرجوع بها الى العقيدة التى حفزت أولئك المجاهدين على اختلاف الاقوام والأزمان .

غير أن الرجوع بها الى العقيدة لايختم المطاف ولا يغنى عن مزية فى هذه العقيدة تمتاز بها بين العقائد الكثيرة التى سبقتها أو لحقت بها ولم تنبعث منها قوة كهذه القوة ولا ظاهرة كهذه الظاهرة بعد تجريدها من العوامل الاخرى .

فما كانت جيوش الفرس ولا جيوش الروم خلوا من عقيدة يؤمنون بها ويقبلون على الموت فى سبيلها. وما كانت قبائل الهند أوآسيا الوسطى تجهل الدين أو تهمله فى معيشتها اليومية فضلا عن المراسم التى نصحت المتدين من مولده ولا تفارقه مدى الحياة .

أيقال انها دفعة الدين الجديد ميزت عقيدة الاسلام على سائر العقائد فى ذلك التنازع بين الدول والاديان ؟أن دفعة الدين الجديد ولاشك سبب لا يهمل فى هذا المقام ، وقد يسبق الى الخاطر لتفسير قوة الدعوة فى القرن السابع للميلاد وفى القرن الثانى عشر يومكان القائمون بالدعوة فى آسيا الوسطى أقواما من الافغان والترك دخلوا حديثا فى الدين .

لكن كم من عقيدة جديدة صنعت مثل هذا الصنيع ؟ وكم ظاهرة كهذه الظاهرة تكررت فى تواريخ الدول والأديان ؟

وقوة صامدة

ويذكر المؤلف أن أسباب انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ــ عند فريق من هؤلاء الباحثين أو المبشرين ــ أنه لا يمنع تعدد الزوجات ولا يحول بين الرجل الافريقى وطلاق زوجاته ــ أو الاحتفاظ بما شاء منهن كما يشاء .

ومن أسباب انتشار عند الباحثين فى سرعة الاقبال بين الهنود أنه سوى بين الطوائف المنبوذة وغيرها من طوائف السادة والأشراف . فأقبل المنبوذون عليه زرافات وبلغوا به من المكانة الاجتماعية ما لم يكونوا بالغيه بالعقيدة المفرقة بين الطوائف والطبقات .

ومن هذه الأسباب عند الباحثين فى سرعة انتشاره بين الأندلسيين أنه صادف ثمة شعبها فقيرا ساءت ظنونه بساداته من رجال الدنيا والدين وأنكروا من أولئك السادات الدنيويين والدينيين تعاليا عليهم واشتغالا عنهم بلذتهم وأبهتهم فرحبوا بأصحاب الدين الجديد .

ومن هذه الأسباب أنه دين بسيط سهل القواعد والأصول لا يحوج المتدين به بعد الايمان بالواحدانية وفرائضه العبادات الى شىء من الغوامض والمراسم التى يدين بها اتباع العقائد الأخرى ولا يفقهون ما فحواها .

ويعقب العقاد على هذا بقوله :

أن هذه الأسباب كلها أسباب محلية أوأسباب موقوفة تصلح لتعليل انتشار الدين فى بيئة معينة أو فى زمن معين ولكنها لا تلازم انتشاره فى جميع البيئات والازمان . ومشكوك مع هذا فى صدق تعليل بعضها فى البيئة الواحدة كما قيل عن تعليل شيوع الاسلام بين الافريقيين وقلة اقبالهم على العقائد التى تحرم تعدد الزوجات .

عقيدة شاملة

ويقول العقاد : لقد ظهر الاسلام فى ابان دولة الكهانة والمراسم وواجه أناسا من

الوثنيين أو من أهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الجمود الى حالة كحالة الوثنية فى تعظيم الصور والتماثيل والتعويل على المعبد والكاهن فى كل كبيرة أو صغيرة من شعائر العبادة ، ولاح للناس فى القرن السابع للميلاد خاصة أن « المتدين » قطعة من المعبد لاتتم على انفرادها ولا تحسب لها ديانة أو شفاعة بمعزل عنه ، فالدين كله فى المعبد عند الكاهن . والمتدينون جميعا قطع متفرقة لا تستقل يوما بقوام الحياة الروحية ولا تزال معيشتها الخاصة والعامة تثوب الى المعبد لتتزود منه شيئا تتم به عقيدتها ولا تستغنى عنه مدى الحياة .

لا دين بمعزل عن المعبد والكاهن والأيقونة، سواء فى العبادة الوثنية أو فى عبادة أهل الكتاب الى ما بعد القرن السابع بأجيال متطاولة .

فلما ظهر المسلم فى تلك الآونة ظهر الشمول فى عقيدته فى نظرة واحدة ، ظهر أنه وحدة كاملة فى أمر دينه يصلى حيث شاء ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد من الكهان وهو مع الله فى كل مكان تولوا فثم وجه الله .

ويذهب المسلم الى الحج فلا يذهب اليه ليستتم من أحد بركة أو نعمة يضيفها عليه ، ولكنه يذهب اليه كما يذهب الألوف من أخوانه. ويشتركون جميعا فى شعائره على سنة المساواة بغير حاجة الى الكهانة والكهان . وقد يكون السدنة الذين يراهم مجاورين للكعبة خداما لها وله يدلونه حين يطلب منه الدلالة ويتركهم ان شاء فلا سبيل لأحد منهم عليه .

ويشتمل الكتاب على بقية الفصول التالية :

ــ الاسلام والمسلمون فى القرن التاسع عشر .

ــ أمم غير مستقلة .

ــ أمم أخرى ــ وادى النيل ــ البلاد العربية ــ الهلال الخصيب ــ أفريقيا الشمالية ــ مسلمو الحبشة ــ السودان ــ التبشير على الاجمال ــ الدعوات ونهضات الاصلاح ــ الدعوة الوهابية ــ السنوسية ــ طرائق أخرى ــ المصلحون المعلمون ــ الساسة المصلحون ــ المهديون ــ الدعوات ونهضات الاصلاح ــ الاسلام فى نظر الغرب ــ آسيا وأفريقية .

ويختم عباس محمود العقاد كتابه بقوله :

والغد غيب مجهول ولا حاجة بنا الى التنجيم عن حوادثه وصروفه فانه بأية حال لن يخلو من الحوادث والصروف ولن تخلو حوادثه وصروفه من سلم وحرب ونصر وهزيمة ودول تعلو ودول تهبط وعلاقات تتصل وعلاقات تنفصل وصداقة تنقلب الى عداوة وعداوة تنقلب الى صداقة ــ وتكرار على نسق الماضى وبدع جديد كأنه من الماضى المتكرر ــ فما خلا زمن قط من بدع جديد .

هذا وجزى الله المؤلف عن الاسلام خيرا وتقبله من الصالحين .

حمدى الليثى

الفتاوى

* رجـل غاب من عام ١٩٥٦ م ثم حكم بوفاته عام ١٩٨٠ م · وخلال المدة مـن (١٩٥٦ الى ١٩٨٠) توفيت أمـه واحدى زوجاته قبـل الحكم بوفـاته فهل يكون لامه وزوجته اللتان توفيتـا الحق فى الميراث ؟ علمـا بأن له زوجـة وأولادا ذكورا واناثا ·

ومن يرث وما نصيب كل ؟

ج : لزوجته الموجودة أثنـاء الحكم بوفاته الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده تعصـيبا للذكر مثـل حظ الأنثيـين ولا شىء لأمه ولا لزوجته اللتين توفيتا قبـل الحكم ، بل كان من حقـه أن يرث فى أمه اذا كانت لها تركة وكذلك فى زوجته كذلك ··

س : فضل عبد الرحمن حسنى · أوسـيم جيزة ·

أ ـ الصلاة على النبى بعد كل آذان جهرا هل هى سنة عن الرسول أو بدعة ؟

ب ـ وهل قراءة القرآن فى المساجد جائزة أم حرام ؟

ج : أ ـ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الآذان مشروعة يقـول الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ·· الحديث رواه مسلم ـ ورفع الصوت بالصـلاة جائز للتعليم وعلى المـؤذن أن يخفض صـوته عند الصـلاة على النبى للفرق بينها وبين ألفـاظ الآذان ·

ب ـ وقراءة القرآن فى المسـاجد مشروعة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب اللـه ويتدارسـونه بينهم ··· الحـديث الا نزلت عليهم السـكينة وغشيتهم الرحمـة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم ·

وعلى القارىء ألا يقرأ بصوت فيه تشويش على المصلين والا منـع · والصـوت الـذى يشوش على المصلين هو الصوت المرتفع المزعج الذى يؤثر على المصلى فيخلط فى قراءته ·

س : دسوقى فهيم

* ما حـكم الشرع فى شريكـين فى تجارة الخمور واحد منهما تاب الى الله ويريد أن يبدأ حياة طاهرة فترك الشركة غير أن المحـل يسـاوى ألف جنيـه وزجاجات الخمر تساوى ٩٠ ألف جنيـه فكيف يتخلص من هذه الشركة ويبدأ من جـديد ؟

ج : نفيد بان الخمر مال غير محترم تجب اراقته والتجارة فى الخمر حرام يقول الله تعالى (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحامله والمحمولة اليه · رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه وزاد أكل ثمنها) وما تحصل من تجارة الخمر مال خبيث لا يصح تملكه وعليه أن يوجهه الى الفقراء ومصالح المسلمين ولا ثواب له فى ذلك ·

وأما نصيبه من العقار وما فيه من زجاجات فارغة فانه حلال له أن يأخذ نصيبه ويبدأ به تجارة فى حلال والله المسئول أن يتقبل توبته وأن يبارك له ·

س : توفيق على البسيونى ـ شبرا ـ القاهرة

* هل يجوز بناء قطعة أرض ملحقة بالمسجد كجمعية فئوية تدر دخلا على المسجد ؟

ج : يجوز نظرا الى وجود هذه القطعة جنوب خط القبلة ونظرا الى أن أكثر الأئمة لا يجوز تقدم المأموم عن الامام فلهذا يجوز بناءها وتأجيرها بالمزاد على أن يكون المؤجر ممن يحرصون على احترام المساجد ويتجنبون فى عملهم أحداث الضوضاء والازعاج للمصلين بحيث يؤدى المصلون صلاتهم فى خشوع وحضور قلبهم ·

س : رمضان عبد السميع محمد · دكرنس دقهلية

* بنى مسجد بالجهود الذاتية وبعد تمام البناء أقيمت الصلاة فيه لفترة من الزمن ثم ثار موضوع تحديد القبله وفعلا تم تحديدها بجهاز البوصلة فوجد أن القبلة المبنية منحرفة عن القبلة الفعلية بمقدار ثلاث درجات فما حكم الصلاة فى المدة الماضية وهل نغير من وضع المسجد أم نتركه على حاله ؟

ج : الصلاة فى الفترة السابقة كانت عن اجتهاد فهى صحيحه وحيث تغير اجتهادهم بواسطة جهاز البوصلة الذى أظهر أن القبلة منحرفةبعض الشىء فعليهم أن يعملوا بالاجتهاد الثانى · ويلزمهم وضع علامة ترشد المصلين الى الاتجاه الصحيح ولاداعى لهدم القبلة ·

والله اعلم ··

عبد الحميد شاهين

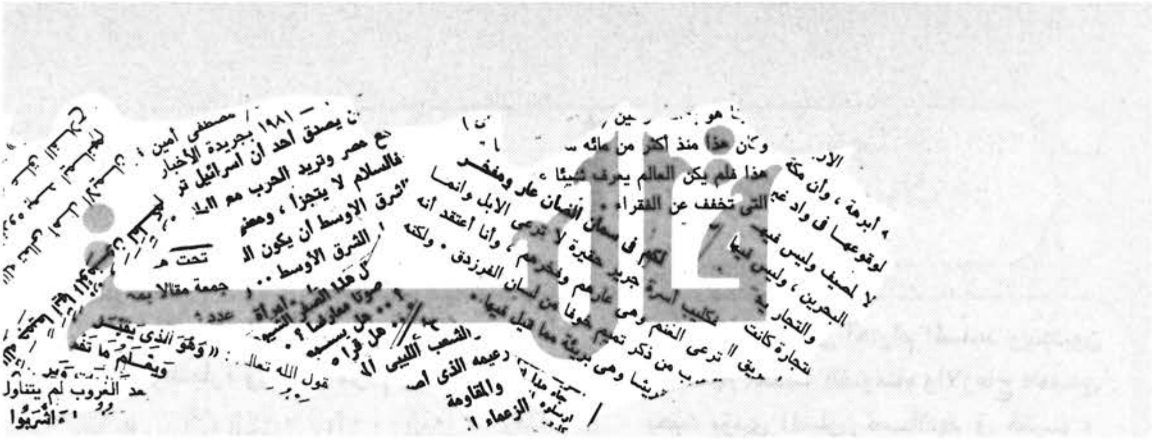

● جــــرائم الشيوعية فى أفغانستان

*** نشرت جريدة (نداء الجهاد) التى يصدرها مجاهدو أفغانستان فى بنجشير فى عددها الاخير تقول :**

فى أيام نحسات من أيام تاريخ أفغانستان الاسلامية • وفى هجمة شرسة لم تعرف الانسانية لها نظيرا • استولى الشيوعين فى أفغانستان بمساعدة وتدخل الاستعمار الروسى الاحمر وطائراته ودباباته على الحكم • ومنذ ذلك اليوم • توالت الحكومات الشيوعية على أفغانستان المسلمة التى أبت الا أن تجاهد الى آخر قطرة دم من دماء أبنائها المسلمين • وفعلت كل حكومة شيوعية بالشعب الافغانى المسلم مافعله ستالين وغيره من أقطاب الروس بالشعوب التى تولوا أمورها من القتل والتنكيل والتعذيب وهتك الاعراض • ودفن البشر أحياء مما يندى له جبين الانسانية •

ويكفى أن نعرف أن احدى الحكومات الشيوعية قد كشفت عن قائمة المثقفين والعلماء الذين استشهدوا على أيدى الحكومة الشيوعية التى سبقتها فكان عدد رجال الدين والمثقفين والعلماء وأساتذة الجامعات والصحفيين والطلبة الذين قتلوا فى سجن كابول المركزى على أيدى تلك الحكومة (١٢) ألفا حينذاك • ولكن الدهشة التى تتملك الانسان قد تزول حين يعرف أن عدد الذين قتلوا فى السجون والبيوت وجبهات القتال يبلغ حوالى مليونا من الشهداء الابطال خلال السنتين والنصف من الحكم الشيوعى فى أفغانستان • الى أن وصل الامر بالاطفال الذين فقدوا آباءهم أن يطوفوا بالشوارع فى كابول وهم يصرخون : اقتلونا •• اقتلونا كما قتلتم آباءنا • ولكن لن نستسلم • الله أكبر والعزة للمجاهدين المسلمين •

ودارت المعركة البريئة بين تلك الوجوه البريئة وبين أحدث الدبابات الروسية وطائراتها النفاثة المقاتلة التى ضربتهم بكل العنف وكانت النتيجة استشهاد مئات الاطفال الابرياء • الذين رووا بدمائهم الطاهرة أرض أفغانستان الاسلامية • وكتبوا بتلك الدماء واحدة من أعز وأشرف صفحات تاريخ الجهاد الاسلامى • (١)

● الماسونية وصراع الأجيال

*** كتب الاستاذ / عبد الستار كمال مقالا بجريدة الاهرام يوم ١٩٨١/٦/٣ م تحت هذا العنوان قال فيه :**

دار فى الايام الاخيرة حديث غريب •• قيل ان بعض كليات التجارة تنوى أن تقسم الدراسة فيها قسمين • قسم للعاديين من أبناء الشعب يتلقون فيه تعليمهم باللغة العربية ، وقسم لخريجى مدارس اللغات • ويتلقون تعليمهم بالانجليزية •• ويعين الممتازون منهم معيدين بالكلية !! وذلك للوصل بين التجاريين والثقافة العالمية •• ونسوا أن اللغة العربية لغة عالمية !!

ان تحقير العربية نزعة ماسونية • طردناها من مصر ولكنها تريد العودة •

الماسونية العالمية هى أم الشرور ، وأم المذاهب الهدامة •

والشيوعية العالمية ، والماسونية العالمية تحاربان اللغات والاديان والعادات والتقاليد لأى أمة باعتبارها من مقومات الاستقلال • لقد استهوت الماسونية الدكتور طه حسين فى شبابه • فقلد المستشرقين فى التشكيك فى التراث العربى ، والثقافة الاسلامية • ولم تكد تمر عشر سنوات على صدور كتابه (فى الشعر الجاهلى) حتى وضع كتابه عن (مستقبل الثقافة فى مصر) دافع فيه عن اللغة العربية • وهاجم مدارس اللغات وصد الذين يعرضون علينا تعلم اللغات الاجنبية •

فهل ستطل علينا الماسونية مرة أخرى • ونرى دعاتها ممن تعلموا فى المدارس الاجنبية •• ويعملون لحساب الدوائر الاجنبية ، ويحقرون اللغة العربية والثقافة القومية ، وفئات الشعب ، ودولة العلم والايمان • ؟؟

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » •

التوازن والوسطية

فى أحكام الشريعة الإسلامية

*** كتب الدكتور : عبد السلام العبادى تحت هذا العنوان مقالا بمجلة هدى الاسلام الاردنية العدد الثانى لسنة ١٤٠١ هـ قال فيه :**

يمزج الاسلام بين تهذيب الروح وتنظيم المجتمع .. بين تربية النفوس ووضع القواعد العملية التى تنظم حياة الناس . مما يجعل منه النظام الكفيل بحل مشكلات البشرية يقول جاك أوسترى فى كتابه « الاسلام والتنمية الاقتصادية » .

« الاسلام هو نظام الحياة الحقيقية والاخلاق المثالية الرفيعة معا . وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبدا . ومن هنا يمكن القول : ان المسلمين لا يقبلون اقتصادا علمانيا ، والاقتصاد الذى يستحدثونه من وحى القرآن يصبح بالضرورة اقتصادا أخلاقيا » ا . هـ .

- ومظاهر الحضارة المعاصرة واضحة لكل دارس فى الجانب الانسانى . لذا رأينا عددا من المفكرين الغربيين يشكون من اهمال الجوانب الروحية ، ويوضحون كيف تسير هذه الحضارة الى السقوط والانهيار ، لانها كما يقولون تطير بجناح واحد . ومهما علت فان مصيرها السقوط . لانها تعتمد على الجانب المادى ، وتهمل كل ما له علاقة بالله سبحانه وتعالى . وله صلة بالقيم الروحية والخلقية . أو تتخذ منه موقفا عدائيا منددا ومنكرا . وان بعض العقلاء يضجون من هذا ، وينظرون بشوق الى نظام يجمع بين المادية والروح .

ولقد أدان — سولجنستن المفكر السوفيتى — الحضارة المادية المعاصرة سواء فى جانبها الشرقى أو الغربى وأوضح أن انهيار الغرب وشيك لانه يتخذ من القيم المادية مثلا يعيش من أجلها .. وهى مثل زائفة لانها تتخذ من الانسان غاية لها .. وهو مخلوق عاجز خلق ليموت .. وقال :

« عندما يتخلى الانسان عن صلته بالله تتحول الدنيا الى غابة يحميها القانون » .

وقد عدد فى كلمة له مجموعة من أمراض الحضارة المعاصرة نذكر منها : المادية غير المنضبطة .. والسعى نحو مزيد من الرفاهية وبشكل غير منضبط . مما جعل هذه الحضارة حضارة أشياء ، وليس حضارة قيم ، ومنها الفراغ الروحى ، والتسرع ، والتفاهة ، والبعد عن الموضوعية فى كثير من صور الحياة المعاصرة . وصدق القائل سبحانه :

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا .. » .

عاطف زهران

أخبار العالم الإسلامي

إعداد محمد عبد الرحيم السايح

القاهــــرة

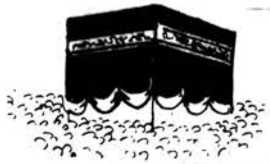

المملكة العربية السعودية

* دعت جامعة الشعوب الاسلامية والعربية جميع المصريين ليكونوا أمناء عـــلى وحدتهم الوطنية ، متصدين لعوامل الفتنة ٠٠ لان مصر جزيرة الامان والتقدم والاستقرار فى الشرق الاوسط تتحدى القوى العدوانية الاجنبيـــة ، والنزعات المتطرفة الفردية ٠

– تقيم مؤسســـة الاهـــرام بفنــــدق سان استيفانو معرضا للكتب الدينيـــة وكتب الاطفال طوال موسم الصيف ٠

* دعت الامانة العامة الدائمة للاعــــلام الاسلامى الى العمل على حماية الشباب المسلم من التيارات الاعلاميـــة الملحدة التى تستهدف محاولة النيل من الاسلام الحنيف ٠٠ جاء ذلك فى الخطاب الذى وجهته الامانة العامة للاعلام الاسلامى الى أصحاب المعالى وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية فى العالم الاســــلامى ، وناشدتهم تنفيذ القرار الذى اتخـــذه المؤتمر العالمى الاول للاعلام الاسلامى لحماية عقيدة الشباب المســـــلم ٠٠ وناشد فيه البلـــــدان والمنظمات الاســـــلامية منع دخول وطبـــــع الصحف والنشرات والكتب التى تعادى الفكر

أخبار العالم

الاسلامى أو تؤثر فى عقيدة الشباب المسلم وكذلك حجب الاعلانات والدعم التجارى عن وسائل الاعلام المعادية للاسلام .

* لجنة نشر القرآن الكريم برابطة العالم الاسلامى تعمل على اعداد مشروع انشاء معهد للدراسات القرآنية فى مكة المكرمة ودرست اللجنة مشروعا لتعليم القرآن الكريم بالمراسلة بواسطة الاجهزة السمعية والبصرية .

* طلبت الامانة العامة الدائمة للاعلام الاسلامى من منظمة المؤتمر الاسلامى دراسة امكانية انشاء أقسام للصحافة بالجامعات الاسلامية لتخريج الصحفيين المدربين والمؤهلين للقيام بجميع فروع العمل الاعلامى اضافة الى انشاء معهد لتخريج الكوادر العليا.

البحرين

* حث مؤتمر وزراء الاوقاف الاسلامى الحكومات الاسلامية على تنمية روح الجهاد واقامة معسكرات للشبيبة لتدريب المتطوعين من أجل الجهاد .. وأوصى المؤتمر باقامة مصانع حربية لجعل العالم الاسلامى مستقلا عن المصادر الاجنبية للاسلحة . ودعا الوزراء الى اقامة بنك دولى للاوقاف بفروع فى جميع البلدان الاسلامية لتوحيد استخدام مخصصات الاوقاف فى نشر الدين الاسلامى .

الامارات العربية

* أصدرت حكومة الامارات العربية عدة وانين تتعلق بحقوق المرأة فى الدولة وفق لشريعة الاسلامية .

الخليج الاسلامى

* دعا خبراء تربويون خليجيون الى اعتماد الثقافة الاسلامية كمنهل لدول الخليج لاسلامى لاعداد مناهجها التربوية التعليمية بحيث تتناسب مع جميع دول المنطقة . وكان الخبراء قد عقدوا سلسلة من الاجتماعات والندوات فى المركز العربى للبحوث التربوية لدول الخليج ، حيث أقروا مجموعة من الاهداف التربوية .

اليمن الشمالية

* أكد وزراء العدل العرب فى مؤتمرهم الذى عقد بصنعاء .. أن الشريعة الاسلامية هى أفضل السبل لانقاذ المجتمعات من جميع الانحرافات وانها الضمان الوحيد لتحقيق العدل .

الإسلامى

سنغافورة

* أقامت جمعية الدعوة الاسلامية بسنغافورة معرضا للكتاب الاسلامى ، وقد لاقى نجاحا منقطع النظير ، كما أن رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة شاركت فى المعرض بمجموعة من الكتب والمطبوعات الاسلامية .

باكستان

* أكد الرئيس الباكستانى عزمه على تطبيق وتقنين الشريعة الاسلامية فى باكستان .. وقال : ان بلاده ملتزمة بوعدها الخاص بتقنين الشريعة الاسلامية ، واعادة تكوين المجتمع على أسس جديدة .

ماليزيا

قررت وزارة التربية والتعليم فى ماليزيا أدخال قضية القدس ضمن المناهج المدرسية فى ماليزيا ، تمشيا مع التوجيهات والتوصيات التى انبثقت من الندوة العالمية للاسراء والمعراج التى أنعقدت فى عمان .

الولايات المتحدة الامريكية

* جماعة أمة الاسلام بالولايات المتحدة الامريكية تعمل على اتمام مشروع انشاء مكتبة اسلامية لنشر الفكر الاسلامى الصحيح .

* **الاتحاد العام للجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ينظم برنامجا هادفا للدعوة الاسلامية ، ويعمل على توضيح مفاهيم الاسلام للمسلمين وغيرهم .**

لندن :

* ستقيم الجالية الاسلامية فى لندن مسجدا يسع ألفى شخص يضم المسجد غرفا للاجتماعات وفصولا دراسية ومكتبة ومدفنا ومحال تجارية يستخدم عائدها فى الانفاق على المسجد .

تنزانيا ..

* **وافق مجلس ادارة مركز التنمية الريفية المتكاملة للدول الافريقية على اعتبار اللغة العربية أولى اللغات الاساسية التى تستخدم فى بحوث ومطبوعات المركز .. وكان المجلس قد عقد أول اجتماع له فى مدينة أروشا بتنزانيا .**

أخبار العالم الإسلامي

الهنـــــد ..

* أفتى زعماء المسلمين فى سائر أنحـاء الهند بأن القاديانيين غير مسـلمين وخارجين على الاسلام .. وقد اتخـذ هــذا القرار بالاجماع فى مؤتمر حضره زعماء المســلمين وأعضـاء مجلس قانون الاحـوال الشخصية لسائر الهند بهدف العمل على حماية قانـــون الاحوال الشخصية للمسلمين فى الهنـــد .. ويأتى هذا القرار متمشيا مع ما يراه جمهـور الائمة وعلماء المسلمين فى مذهب القـاديانيين بشبه القارة الهندية وهم اتباع المزيف المدعو ميرزا غلام أحمد الذى ساعده الاحتـــلال البريطانى على نشر دعوته الفاسدة بهـــدف التشويش على الدين الاســـلامى الحنيف ، واستنزاف جانب من الدعوة الاســلامية فى محاربة مثل هذه الاكاذيب والاضاليل . وأعلن الشيخ منة الله رحمـانى أمين عـام مجلس الاحوال الشخصية للمسلمين فى الهنــد أن المؤتمر الذى عقد على مدى الايام الماضـية قد حذر الحكومة الهندية من فرض أى تشريع ينتهك قانون الاحوال الشخصية للمسلمين ، وأكد موقف المسلمين من التصدى لاى اتجاه لتغيير هذا القانون .

بلغ عدد الهندوس فى منطقة «مينا كشييورام» فى جنوب الهند الذين أشهروا اسـلامهم على مدى السنوات العشر الماضية ثمـانية آلاف شـخص . وذكرت صـحيفة « نواف وقت » الباكستانية التى نشرت النبأ : أن المبررات التى قدمها هؤلاء الهندوس لاعتناقهم الاسلام هى: أنه يقدم الامن الاجتمـاعى للفـرد ، ويحقق المساواة الكاملة بين الانسان وأخيه الانسـان بصورة لا تتحقق فى الاديان الاخـــرى . وســوف تقوم الجمعية الاســـلامية لجنوب الهنـد بالاشراف على تعليم هـؤلاء المسلمين الجدد وتبصيرهم بشـــئون الدين الاسلامى الحنيف ..

جنيف ..

*** تعمل المؤسسة الثقافية الاســـلامية بجنيف على نشر الفكر الاسلامى من خــلال المحاضرات التى تلقى خلال موسـمها الثقافى الحـالى .**

هكذا يكتب القراء

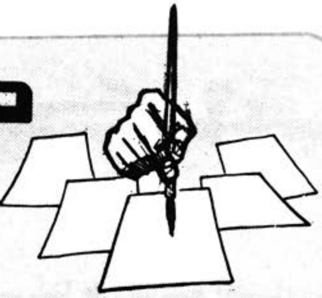

اعداد عبد العزيز أحمد جيرة

منجم الصوفية

تحت هذا العنوان كتب القارىء مرزوق محمد ربيع مدرس بمدرسة ببا التجارية يقول :

يقول الاستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالى فى مجلة التصوف العدد (٢٥) « ان التصوف منجم ملىء بالذهب والتراب ومن النـاس من يغوص فى اعماق المنجم ليخرج منه وقد حمل التراب وحده وترك الذهب » .

نعم : لقد طفى الزبد على السطح وطغى بين دخل الأدعيـاء ودخن الجهـلاء واندس فى صفوف المتصوفين الدخلاء عليه فأخفى التراب الذهب ولكن نبقى الحقيقه الخالدة تشهد بأن المعين لا ينضب والنبع لا يغيض . مصـداقا لقول ربنا تبارك وتعـالى : **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَايَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ** ». صدق الله العظيم .

وساقنى الاقدار يوما هنا فى قـاع الريف المصرى الى مجلس من مجالس رجال الطريق فوجدت المجلس يعج بالمثقفين فلفت ذلك نظرى وكدت أنصرف بعد قليل فأوقفنى سؤال أعقبه جواب أنقله بغير تزويق ولا ترويق .

سأل المريد شيخه ما هو الطريق الذى تراه لانتشـال أبنـاء الطرق جميعـا من وحـل الاوهام الى نور الافهام ؟ فأجاب الشيخ على الفور منشدا .

نرجو الطـريق صراطـا لا انحـراف به
ويهتـدى فيـه بالقـرآن وادينـا
طريقنـا اللـه والقـرآن منهجنـا
وسـنة المصـطفى نـور يوالينـا

هكذا يكتب

نريدها الحجة العصماء لا دخل
على محجتها البيضاء تردينا
نريد ميدانها للحق صولته
وللشريعة فرسانا ميامينا
فأن دعونا فالقرآن دعوتنا
انا اليه سمعناه منادينا

وان مضينا على شط الحياه ففى
نور من السنة العصماء ساعينا

فقلت حقا أنه منجم ٠٠ من غاص فيه بجهل خرج بالطين ومن غاص فيه بعلم خرج بنور ٠ اليقين وفقنا الله واياكم للعمل الصالح واتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠

الاحتشام في الملبس والزينة

تحت هذا العنوان كتب الاخ محمد عبد الغفار : « الاحتشام فى الملبس والزينة »

* « أنعم الله تعالى على الناس بنعمة الثياب سترا لعوراتهم » ٠

وجعل منها انواعا فاخرة يتزينون بها وامتن عليهم بهذه النعمة فقال تعالى : —
« يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا » ٠

فأباح لهم أن يتمتعوا بما يسترهم ويزينهم منها فقال تعالى **« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ »** ولكن الله حرم علينا ان نسرف فى زينتنا أو فى مطالب حياتنا ٠

* واباح الدين للمرأة أن تلبس الحرير وتتحلى بالذهب كما أباح لها أن تتطيب وتتجمل فى غير تبرج ٠

أما تبرج المرأة بأن تبدى محاسنها وزينتها امام من لا يحل له أن يرى ذلك منها فهو حرام ٠

وقد أمر الله تعالى النساء بغض أبصارهم عن غير أزواجهن فقال تعالى : —

« وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ » ٠

ان الاسلام يدعو الى الجمال والكمال فللناس أن يتزينوا بالثياب والزينة ولكن فى غير سرف ولا عجب ، ولكل من الرجال والنساء اللائق بهم وحرام على المرأة ان تتبرج بتزيينها أو تكشف من جسمها ما يعده الشرع من عوراتها ٠

الحجاب

● **تحت هذا العنوان كتبت القـــارئة وفاء مختار يونس قسم اللغة العربية ـ بكلية التربية جامعة المنوفية تقول :**

الحجاب الذى حدده الاســلام أمر محبب للنفس به تحاط الفتاة بوقار وتحترم ذاتهـــا ويحترمها الآخرين ولذلك أمر به رســول الله صلى الله عليهوســـلمان يأمر به أزواجه ونساء المؤمنين عامة وذلك فى قـــوله تعالى (**يَا أَيُّهَـا النَّبِيُّ قل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـاءِ الْمُؤْمِنِـينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ**) الآية منسورة الاحزاب ٠

نداء من الله لنبيه بأن يأمر أقرب الناس اليه وهم ازواجه وبناته بالالتزام بالحجـــاب لكى ينعكس الأمر النبوى على النساء المؤمنـــات بقبوله بدون تأويل أو تفسير وتستطرد القارئة فى رسالتها قائلة ان هناك فرق بين الحجـــاب والتحجب فالحجاب الاسلامى معروف لعـــامة الناس أما التحجب بهذا الحجاب يرجع للفتاة المسلمة حقا فلابد ان تلتزم الفتاة بالســلوك الاسلامى فى بيتها ووسط مجتمعها ولا يتـــأتى ذلك الا باقتناع داخلى بالحجاب ٠

ولذا يقول الرسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم حينما رأى أسماء وقد ظهر شىء مـــن جسدها غاضبا اذا بلغت المرأة الحلم لا يظهر منها الا كفيها وكعبيها وهما ليس بعورة ٠

وتقول القارئه أن ما نراه اليوم فى المجتمع الاسلامى تخرج المرأة فيه عارية أو شبه عارية انما هو مفسد للاخلاق وضياع للقيم الدينية السامية وبعدا عن الدين وهنا يقول الرســول صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن ٠

ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة نســـاء كاسيات عاريات وتدعو القارئة فى نهاية رسالتها جميع النساء المسلمات بالالتزام بالزى الاسلامى ففيه تحترم وتحترم ذاتها ٠

وفق الله الجميع لعمل الخير

اعداد / عبد العزيز أحمد جبرة

ردود

● أرسل الاخ مرزوق عبد الجواد ٠ الصف ـ جيزة ٠

رسالة يسأل فيها عن قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة ٠

فهو يريد أن يعرف من هم الصابئون ؟ وهل هناك ديانة لهم واذا كانت لهم ديانة فهل لهم رسول ؟ ومن هو ؟

* والصابئون هم قوم يؤمنون بالله وأنه هو الخالق وهو واحد منزه عن كل نقص وهو الموجد لكل الاشياء ولكنهم أخطأوا فى عبادة الله حيث أنهم كانوا يتقربون لله بعبادة الكواكب والافلاك زاعمين أنها أقرب الاجسام اليه وأنها حية خالدة ناطقة وأن كل مايحدث فى العالم يكون على حسب ماتجرى به الكواكب حسب أمر الله لها فعظموا هذه الكواكب وجعلوا لها تماثيل وأصناما ترمز اليها ٠ فهم كالمشركين الذين عبدوا الاصنام لتقربهم الى الله ٠ وبما أن الله تعالى لم يقبل من المشركين اعترافهم به خالقا مع اشراكهم معه غيره فى العبادة فكذلك الصابئة لا يقبل الله منهم اعترافهم بأنه هو الخالق مع اشراكهم غيره معه فى العبادة قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ٠

وفى الحديث القدسى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه) فليست لهم ديانة ولا رسول أرسل اليهم ولا يوجد دين قائم على وجه الارض يعترف به غير الاسلام كما أخبرنا الله

على القراء

بذلك ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . هذا والله أعلم .

● كتب الاخ . عبد الرحمن موسى عايد ــ الجزائر ــ الجحار ــ عنابة :

يسرنى ولأول مرة أن أكتب اليكم هذه الرسالة لأعبر فيها عن اعجابى وتقديرى لمجلتكم (الازهر) لما فيها من فوائد خلقية ودينية وأدعو الله أن يكافئكم على ماتقومون به من عمل فى سبيل الدين والاسلام . لقد أصبحت هذه المجلة مالكة لقلبى وقلب كل مسلم قارىء لها . ولا أستطيع أن أعبر لكم عن مدى فرحتى عندما أحصل على مجلتكم فى مطلع كل شهر .

لذا أرجو أن تزودوا الكمية التى ترسلوها الى الجزائر لانها لا تكفى القراء وانها تنفذ من السوق بسرعة .

*** شكرا لك على هذه المشاعر نحو مجلتنا ونتمنى لك مستقبلا باسما تتحقق فيه كل أمانيك .**

وسنتصل بتوزيع الاخبار لكى تزاد الكمية التى ترسل اليكم لأنه هو المسئول عن توزيع المجلة .

● كتب الاخ . محمود محمود ابراهيم ــ امبابة ــ مدينة العمال :

أعجبنى التطور الذى دخل على هذه المجلة الازهر أولا من ناحية الطباعة والورق وثانيا من ناحية الموضوعات التى تقدمها أو معالجتها لكل الاحداث ومعايشة لها وفى هذا التطوير الذى صارت عليه المجلة أخيرا وحرصا على معالجة مشكلات المسلمين فاجأتنا المجلة بقضية من أخطر قضايا المجتمع ، وهى قضية الاسراف والتبذير والبذخ والانفاق على

المعدة واجابة طلباتها من أكل وشرب وأغفل الناس للدين تعاليمه وأن المسلمين ملتزمون بتطبيق هذه التعاليم انها تذكرة رائعة ووجبة شهية لكل من أراد أن يعرف تعاليم الدين ، ولعل هذا كان مناسباً • لأن الدولة تدعوا الى ترشيد الانفاق ، ولكن دون جدوى • وأرجو أن يضع المسئولين هذه التعاليم نصب أعينهم •

فتحية اعجاب لكل باحث وصاحب قلم يقدم لامته الاسلامية نفعا يقوم على العلم والدين ولكم منى الشكر والتقدير داعيا الله أن يوفقكم •

*** نشكر لك هذه الكلمات التى تنبض بالصدق • ونشكرك على مشاعرك الرقيقة وغيرتك الصادقة على الاسلام والمسلمين وسترى تطويرا أكبر فى الأعداد القادمة إن شاء الله •**

كتب الينا الاخ • ندى الشامى ــ لبنان ــ بيروت ــ ص ب ١٤٥٦٧٦ :

يريد أن يعرف كيفية الاشتراك فى المجلة ، وعن قيمة الاشتراك لمدة سنة :

*** ياأخ ندى عليك الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الاخبار والعنوان • جريدة الاخبار ــ القاهرة ــ ٣ (أ) ش الصحافة •**

فهوالذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته وقيمة الاشتراك عن سنة كاملة هو (٣٫٣٠٠) فقط ثلاثة جنيهات وثلاثمائة مليما •

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● حـــديث الشـــهر	
للدكتور/رئيس التحـــرير	١٧٣٨
دراســـــات قرآنية	
● خلق الانسان فى القرآن	
للدكتور/محمـــد محمـــد خليفة	١٧٤٦
● عجـــل الذهب	
للدكتوز/عبد الباقى أحمد ســـلامة	١٧٥٤
● بين العقاب والعفو	
للأستاذ/عبد الحميد الفضـــــالى	١٧٦٢
دراســـــات لغـــوية	
● اللغة والمجتمع	
للدكتور/عبد الغفار حامد هـــــلال	١٧٧١
● المادة المعجمية	
للدكتور/أمين فاخر	١٧٧١
التشريع الاســـــلامى	
● ماذا بعد رمضان	
للدكتور/محمد كمـــال جعفر	١٧٨٦
● حـــلاوة الايمـــان	
للأستاذ/موسى محمـــــد على	١٧٨٩
● وســـطية الاســـلام	
للدكتور/فؤاد خدرجى العقـــلى	١٧٩٧
● خصائص النظام الاقتصادى الاسلامى	
للدكتور/سعد الدين السيد صـــالح	١٨٠١
من حضـــــارة الاســـــلام	
● الاسلام ومشكلات المسلمين	
للدكتور/محمود حمـــدى زقزوق	١٨٠٨
● وسائل اعداد الدعاة	
للاستاذ/منصـــــور الرفاعى عبيد	١٨٢٢
● دراسة فى الخدمة الاجتماعية	
للأستاذ/محمد أحمـــد بدوى	١٨٣١

فهرس العدد

صفحة

أعلام الاسلام

● الامام النسائى
للدكتور/الحسينى هاشم ١٨٤٢
● المنحى الاسلامى عند العقاد
للدكتور/محمد رجب البيومى ١٨٤٨
● الولاية والأولياء عند ابن عربى
للدكتور/محمد ابراهيم الجيوشى ١٨٥٥
● رائد النقد الأدبى فى مصر « الشيخ حسين المرصفى »
للدكتور/ابراهيم عوضين ١٨٦٠
● شخصية فى سطور
بقلم/سعيد عبد الحى ١٨٧٠
● طرائف .. ومواقف
بقلم/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٨٧٢
● صلوات
للأستاذ/محمد عبد الرحمن صان الدين ١٨٧٤
● أصدقاء الحياة
للاستاذ/محمد عبد الفتاح حمادة ١٨٧٥
● كتاب الشهر
عرض وتقديم/حمدى الليثى ١٨٧٦
● الفتاوى
اعداد الأستاذ/عبد الحميد شاهين ١٨٨٠
● قالت الصحف
للأستاذ/عاطف زهران ١٨٨٢
● أخبار العالم الاسلامى
اعداد/عبد الرحيم السايح ١٨٨٥
● هكذا يكتب القراء
اعداد/عبد العزيز احمد جيره ١٨٨٩
● ردود القراء
اعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام ١٨٩٢

طبع بمطابع روز اليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر
عربى

رئيس التحرير:
د. عبد المعطى محمد بيومى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● ذو القعدة ١٤٠١ هـ ●
● سبتمبر ١٩٨١ هـ ●

الجزء العاشر — السنة الثالثة والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

منذ ان ظهرت مجلة **الازهر بثوبها الجديد** ، وظهرت مجلة **رسالة الازهر الاسبوعية** حتى انهالت الرسائل التى تشجع هذا التطوير وترى فيه تحولا جديدا **الى الافضل** .

ولكن الناس فيما يعشقون مذاهب ونحن نتوقع ذلك لان هذه طبيعة الاشياء فمن بين سيل الرسائل المعجبة التى ننشر بعضا منها فى اعداد المجلة وصلت رسالة من قارىء يعتب فيه على رفع صورة **الجامع الازهر** من واجهة الغلاف ويرى ان العودة الى نشر الصورة على الغلاف كل شهر ولو امتد ذلك **قرونا** افضل من تجديد الغلاف كل شهر .

ونحن نقدر عاطفة الازهريين **وحبهم الشديد لمعهدهم العتيق** الا أن الفن الصحفى الذى يسود فى عصرنا يقضى على الازهريين أن يستفيدوا منه فى عرض دعوتهم ومبادئهم **بأسلوب العصر ، وحبنا للازهر** يقضى علينا أن لا نقتله فى افئدة الناس بعرضه غلاف لكل عدد .

وعلى كل حال .. فرسائل الاغلبية من القراء وكشوف التوزيع هى الضوء الذى يحدد الاسلوب .

ونحن نشكر صاحب هذه الرسالة رغم انها الوحيدة فنحن نحترم الرأى الآخر بقدر احترامنا للرأى الاول ، وأمرنا شورى بيننا ان شاء الله ونلفت النظر الى ان **صورة الازهر** مازالت على ظهر الغلاف **كل عدد** .

التحرير

صورة الغلاف
غار حراء

● من هنا بدأ الطريق حيث كان النبى عليه الصلاة والسلام يتعبد فجاءه الوحى لاول مرة ..

٤ حديث الشهر

فى فلسفة الحضارة
العدل

وإقامة العدل تقتضى :

* تحريم الفائدة الربوية ، لانها استغلال بغير حق .

* رعاية الطبقة العاملة وضمان حقوقها فى حلبة الصراع بين أصحاب رءوس الاموال والعمال ، ومن ثم تهذيب الطبقية ، وبذلك يتلافى نظام الاسلام مساوىء النظم الأخرى .

على أن كلا من هذين الامرين ــ تحريم الفائدة الربوية ، ورعاية الطبقة العاملة يهم فى تحقيق الرخاء والوفرة .

فدعوى أن تحريم الفائدة يعوق حركة التنمية دعوى باطلة للاوجه التالية :

* ان ضمان فائدة زائدة عن رأس المال يشجع أصحاب رءوس الاموال على ايداعها فى البنوك طمعا فى الفائدة ، ومن ثم يقل حجم الاموال المستثمرة فى وجوه النشاط الانسانى فى غير البنوك .

* كما أن ضمان الفائدة تشجيع على القعود عن العمل والعجز عن سلوك طرق الابتكار والاكتشاف وتقليص لروح المخاطرة والاقدام .

* كما أن نظام الفائدة الربوية يشجع الافراد على الاستغلال وينمى فيهم روح الانانية واللامبالاة بالروح الاجتماعى العام وتضعف الاخلاق التى تؤدى الى ترابط المجتمع وتحقيق التكافل والتعاون بين أفراده (١) .

على أن مدارس علم الاقتصاد تقدمت وتطورت أبحاثها لتثبت أن الفائدة الربوية المرتفعة لاسيم فى حركة التنمية على عكس ما كانت تظنه المدارس الكلاسيكية .

---

(١) راجع الدكتور : احمد النجار . المعاملات المصرفية فى اطار التشريع الاسلامى . بحث نشرته مجلة المسلم المعاصر عدد ٨ .

بقلم : رئيس التحرير

التنمية وأثره في

يقول الدكتور : أنور اقبال قرشى :

* ان الخرافة القائلة بأن نسبة متدنية من الفائدة لا تساعد على التوفير قد افتضح أمرها باختبارات الحرب الاخيرة عندما تمكنت الولايات المتحدة من أن تؤمن التوفير بفائدة ٢٪ • أكثر مما تمكنت تأديته بنسبة أكثر ارتفاعا ، وبينت النظرية الحديثة للاقتصاد ان التوفير لا يقرر مصيره نسبة الفائدة وحسب ، بل على العكس فان الذى يقرر مصيره هو نسبة التثمير (١) •

وقد أوضح اللورد « كينيس » مدى الخطأ فى النظريات القديمة التى كانت تذهب الى أن الزيادة فى التوفير تؤدى الى الزيادة فى التوظيف ، لان فردا زيد توفيره ينقص حتما من توظيف الآخرين فعلى قدر ما يزيد انسان ما توفيره بتخفيض انفاقه تهبط حتما دخول الآخرين ، فيوفرون بمقدار ما يوفر هو أكثر (٢) •

فالعبرة اذن بالتوظيف لا بنسبة التوفير •

وهكذا تتلاقى نظرية اللورد كينيس هذه حين تؤكد انه بمقدار ما يوفر انسان ما أكثر يوفر غيره أقل مع النص القرآنى الذى يعد الربا الزائد عن أصل المال زيادة غير حقيقية لانها زيادة فى أموال الناس التى أخذها بغير حق •

يقول تعالى : « **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ** » (٣) •

(١) الاسلام والفائدة . تحليل اقتصادى ص ٦٢ بحث ضمن كتاب الاسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة وبأقلام عشرة من علماء الاسلام . دار الكاتب العربى ببيروت .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣ . (٣) سورة الروم الآية (٣٩) .

والاسلام حين يمنع تحديد الفائدة انما يطلق حركة الاستثمار من قيد التحديد ويفتح المجال أمام أى نسبة قد يصيبها العمل الجاد المخلص فى سبيل التنمية من قبل الافراد أو الشركات .

وخطورة النظام الرأسمالى حين يرفع سعر الفائدة ليغرى اصحاب رءوس الاموال بايداعها فى البنوك أن البنوك تمتص الاموال وتأخذها فى حوزتها وحينئذ تتركز الثروة فى يد مؤسسة واحدة من مؤسسات النشاط الاقتصادى وهى البنوك على حساب الشركات التى لا تستطيع أن تقف فى المنافسة ، اذ تهيمن عليها البنوك حينئذ وتستغلها محاولة منها أن تحقق أكبر عائد على حسابها لكى تعوض الفائدة المرتفعة التى التزمت بها هذه البنوك للمودعين .

ويلاحظ كذلك أنه كلما ارتفعت الفائدة على الايداعات ارتفعت فى الوقت نفسه على القروض الاستهلاكية والانتاجية على حد سواء .

فالقروض الاستهلاكية مضطرة الى دفع فائدة مرتفعة ترهق المقترض ارهاقا شديدا لانه ما اقترض الا ليستهلك ما هو فى أشد الحاجة اليه فعندما يجد نفسه مضطرا الى اعادة أصل المال الذى اقترضه مضافا اليه سعر الفائدة المرتفع فان ذلك يكون اعناتا له .

والقروض الانتاجية وان كانت تحقق من الربح ما يغطى الفائدة أو جزءا منها على الاقل فانها بالقطع لا تحقق الربح الذى كان يمكن أن تحققه أو أن استثمار القرض كان على سبيل المشاركة .

فلو فرضنا أننا اقترضنا مبلغ مائة جنيه بفائدة ١٧٪ وحقق هذا القرض فائدة فعلية ٣٠٪ فان الفائدة الحقيقية هنا ستكون ١٣٪ بعد دفع الفائدة المحددة من قبل البنك ، أما لو استثمر هذا القرض على سبيل المشاركة فان النسبة الفعلية للفائدة ستكون ١٥٪ بدلا من ١٣٪ .

ويحتمل فى بعض الاحوال أن لا تصل نسبة الفائدة الفعلية للقروض الانتاجية الى النسبة المسماه من قبل ، وحينئذ تكون خسارة المقترض والتزامه بأن يسدد ما فقد من رأس المال الاصلى وقد لا يجد سبيلا الى ذلك .

ومن هنا كانت حكمة الاسلام فى تشجيع التنمية باعطاء المدين فرصة من الاجل للسداد دون فائدة محدودة مشروطة . واسقاط الدين عنه وجعله صدقة ان امكن .

وأثره فى التنمية

قال تعالى : « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (١) .

والعجيب بعد ذلك كله أن الاقتصاديين يعلمون أن الربح فى الاعمال التجارية ، مرتبط بعوامل كثيرة معقدة ، ويتكيف مع أوضاع السوق ولذلك فان هذا الربح يتأرجح بين ظرف وآخر بسبب تأرجح هذه العوامل والاوضاع ، فمن العدل والمنطق الا تحدد هذه الارباح تحديدا مسبقا لان ذلك يتنافى بداهة مع تغير أوضاع السوق والعوامل المرتبطة بالعمل التجارى .

ومن كل ذلك نستطيع أن نخلص الى القول بحق أن تحديد الفائدة مسبقا يضر كما رأينا بالعمل الاقتصادى ويعوق حركة التقدم العالمى على المستوى الاقتصادى والمستوى الاخلاقى والانسانى .

واذا كانت اقامة العدل فى المنهج الاسلامى تقتضى تحريم الفائدة الربوية فانها تقتضى أيضا : التعاون ورعاية الطبقة الفقيرة مما يحل مشكلة الصراع الطبقى .

ولقد حار الفكر البشرى بمذاهبه العديدة ازاء هذه المشكلة ولم يستطع مذهب منها أن يقدم لها حلا يفيد التقدم البشرى بل ان المذاهب التى حاولت حلها حتى الآن أسهمت فى تفاقمها .

فالرأسمالية أسهمت فى تفاقم الطبقية حين جاملت رءوس الاموال وأعطتها الحرية على حساب الطبقة العاملة التى لا تملك رأس المال ، ويقع عليها عبء العمل وتتعرض لاخطاره كما تتعرض لاخطار البطالة كلما تقدم العلم وتطورت المكائن والآلات فكلما انتجت الثورة الصناعية آلة جديدة استغنى فى مقابلها عن عشرات من العمال ، وكلما ازداد عدد هذه الآلات الجديدة ، كلما استشرت البطالة وكثر المتعطلون الذين لا يجدون ما ينفقون .

ولما قامت الشيوعية فى مواجهة هذا الفساد الرأسمالى نظرت الى المشكلة نظرة تحتوى على جانبين :

الجانب الأول : تشجيع الصراع الطبقى بين العمال وأصحاب رءوس الاموال للقضاء على الاقطاعيين وأصحاب العمل .

ومن أجل ذلك عملت الشيوعية على غرس مشاعر الحقد والانانية والبغض

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٠ .

فى نفوس العمال لاستخدام هذه المشاعر فى العنف الثورى وازكاء ناره لتحطيم النظام الاجتماعى .

يقول لينين « ان الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون تحطيم جهاز الدولة البورجوازى بالعنف » (١) .

كما يقول ماركس :

« الشيوعيون لا يبشرون بأية أخلاق على الاطلاق ، انهم لا يضعون للناس الأمر الخلقى أحبوا بعضكم البعض ، ولا تكونوا أنانيين ... الخ .

بل بالعكس . انهم يعرفون تماما أن الانانية مثل التضحية هى فى ظل ظروف معينة ، بالشكل الضرورى لصراع الفرد من أجل البقاء » (٢) .

وأعجب من هذا يقول لينين :

« لا نحتاج الى الحب ، بل اننا أحوج الى البغض والاحقاد يجب علينا أن نتعلم البغض وأن نرضعه مع اللبن » (٣) .

٢ ـ اما الجانب الثانى بعد ازكاء الصراع الطبقى واستخدام العنف ضد الاغنياء ، تعمد الشيوعية الى ازالة الفوارق بين العمال فهى توجب الصراع بين الطبقة العاملة وأصحاب العمل ، وتحرمه بين العمال بعضهم البعض .

والقاعدة الشيوعية « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » كانت تهدف الى تذويب الفوارق الطبقية واعطاء الجميع ما يحتاجونه دون السماح بالتفوق الطبقى لفئة على فئة فى المجتمع العمالى .

واذا كان ظاهر ذلك الرحمة فان باطنه الاضرار بمصالح العمال أنفسهم وبمصالح المجتمع واضرار بالانتاج فى الوقت نفسه لانه مادامت الماركسية ستسوى بين الغبى والزكى وتجعل الناس سواء دون النظر الى مواهبهم وكفاياتهم ، فانها ستغمط حقوق النابغين وتشجع العاجزين والكسالى .

ولذلك تراجعت الماركسية تراجعا محدودا ازاء هذه القاعدة وسمحت ببعض الميزات وبعض الممتلكات الشخصية ، لكن ذلك لم يفد الا قليلا ، لانه دون ما تتطلع اليه المواهب ويرضى الملكات .

---

(١) اسس اللينينية : ستالين ص ٦٦ الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت .

(٢) اوجين كامنطا ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد . الاسس الاخلاقية للماركسية ص ١٦٧ ط ١ سنة ١٩٧٩ . دار الآداب ـ بيروت .

(٣) نقلا عن أنور الجندى . الفكر العربى المعاصر ص ٣٩٧ .

أما الاسلام فانه نظر الى مشكلة التفاوت الطبقى نظرة واقعية جمعت بين :

١ ـ انصاف النابهين وتقدير العاملين .

٢ ـ محاربة الظلم واحلال التعاون بدل التصارع .

نعم اعتبر الاسلام التفاوت الطبقى حقيقة واقعة لا منجاة منها ولا سبيل الى تلافيها فمادام الناس مختلفين فى الذكاء وفى الطموح ، مختلفين فى الرغبات وفى الميول ، فلابد أن تختلف بينهم الطبقات والدرجات .

ولكن القرآن جعل هذا التفاوت الطبقى اغراء من مغريات العمل والسعى الدائب والتنمية ليتنافس الناس فيما بينهم فى اجادة العمل والسعى الدائب للترقى من درجة الى درجة فى العلم والعمل والمستوى الاجتماعى والاقتصادى .

فنظام الطبقات فى المفهوم الاسلامى نظام كونى ليخدم الناس بعضهم بعضا ، وليجد العامل العمل عند صاحب العمل ، هذا بماله وذلك بعمله .

يقول تعالى : « **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا** » (١) .

كما يقول تعالى : « **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ** » (٢) .

ونظام الطبقات سبيل الى تدعيم التكافل الاجتماعى ليعطف الغنى على الفقير بما فرض الله عليه من حقوق للمحرومين .

يقول تعالى : « **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ** » (٣) .

يقول ابن كثير : أى ليختبركم فى الذى أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغنى فى غناه ويسأله عن شكره ، والفقير فى فقره ويسأله عن صبره .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون » (٤) .

---

(١) سورة الزخرف الآية (٣٢) .
(٢) سورة النحل الآية (٧١) .
(٣) سورة الانعام الآية (١٦٥) .
(٤) تفسير ابن كثير ص ١٤٢ جـ ٢٧٣ دار الفكر ببيروت .

ويعتبر التكافل فى الاسلام من أهم عوامل التنمية وأهم ضوابط التقـــــدم الحقيقى لانه يفتح مجالات التعاون الرحبة بين أفراد المجتمع ويقضى على نزعات الشح والاحتكار والانانية •

يقول رســول الله صلى الله عليه وسلم « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » كما قال تعالى : « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِـــــهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (١) • وايجابية التكافل فى تحقيق التنمية انما تتجلى فى كثـــــير من الاجراءات العملية المترتبة على بعض الاوامر الاسلامية • مثل انظـــــار المعسر واسقاط الدين عنه ان أمكن •

قال تعالى : « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (٢) •

والترغيب فى القرض الحسن بعد تحريم القرض الربوى •

قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٣) •

... ...

هذه هى الخطوط العريضة والاسس العامة لفلسفة الاســـلام فى التنمية وليس فيها كما رأينا مبدأ واحدا يمكن أن يعوق حركة التنمية والتقـــدم •

من أجل ذلك نعتقــد أن العالم الحــديث الذى يبحث عن نظــام اقتصادى جديد بديلا عن النظم المعاصرة التى لم تستطع ان تجنبه القلق والازمات المتوالية ، لن يجد أفضل من الاســلام ••

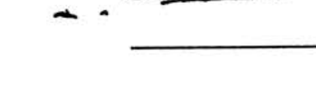

---

(١) سورة الحشر الآية (٩) .
(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٠) .
(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٥) .

دراسات قرآنية

- ومن آياته أن خلق لكم
من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها .

- عجل الذهب
غضب موسى من قومه

- الخليل ابراهيم
يجمع العرب على التوحيد

- الباحث عن الحقيقة

- الميزان الصرفي
والميزان الصوتي

- رد على مقال
النقد العربي القديم والمنهجية

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ أَزْوَاجًا

للزوج فى لغة العرب دلالات كثيرة فهو يطلق على الاثنين ، وهو يطلق على الرجل المتزوج وعلى المرأة المتزوجة ، فيقال فلان زوج فلانة ، وفلانة زوج فلان وهذا الاطلاق فى دلالاته المتعددة يشير الى معنى دقيق ، ومغزى عميق هو أن المرأة خلقت من الرجل وأنها جزء منه كما يظهر ذلك واضحا فى قوله سبحانه : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » وقوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً » .

والزوجان الذكر والانثى هما أساس الحياة فى هذا الكون ودعام العمران والنظام فيه ، وكلاهما يتخم الآخر ولا يعيش بدونه سواء فى ذلك الانسان والحيوان والنبات .

ولقد كرم الله الانسان بالعقل وجعل الرابطة بين الزوجين من بنى آدم لا تقوم على صراخ الغريزة وسعار الشهوة فحسب ، ولكنها قبل ذلك تقوم على مبادىء سليمة وتهدف الى غاية كريمة هى اسعاد الزوجين ليكون المنزل الصالح ، ثم لتكون الاسرة الصالحة ثم ليكون المجتمع الصالح الرشيد ، والى ذلك يشير الله عز وجل فى قوله : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يلاحظ أن الثمرة الحقيقية المرجوة من الزوجية هى السكن والطمأنينة النفسية المتبادلة بين الزوجين وذلك انما يكون اذا عرف كل من الزوجين حقوقه وواجباته وأداها كاملة غير منقوصة ، وحينئذ تسير الحياة الزوجية فى منهجها السليم وطريقها المستقيم . وتنمو المودة وتزدهر الرحمة على جانبى الطريق فى جو سعيد مشوق بالامن والاستقرار .. ومادامت المودة والرحمة التى جعلها الله بين

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» صدق الله العظيم

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

الزوجين مرتبطة بالحقوق التى منحها الله لهما والواجبات التى فرضها الله عليهما فلابد من رعاية هذه الحقوق من الجانبين معا حتى ينتظم شمل الاسرة وتؤدى رسالتها فى المجتمع الانسانى بناءة معمرة لا هدامة مدمرة .

وأن الرجل الذى يغدو الى عمله كادا كادحا، ويمكث الساعات الطويلة فى العناء المرهق والمتاعب المضنية لهو أحوج الناس حينما يروح الى بيته أن يجده مشرقا بالسعادة والنعيم ، وأن يتنفس فيه ملء رئتيه من الهدوء والصفاء ، والمرأة المؤمنة العاقلة هى التى تهيىء لزوجها حياة منزلية سعيدة فاذا اعترضتها المشاكل والعقبات أحسنت التصرف فحلت ما تستطيع حله من تلك المشاكل بنفسها . ولا تلجأ الى اخبار زوجها الا فى الامر الجليل والشأن الخطير .

فمن حق الزوج على الزوجة أن تكون أمينة بكل ما تدل عليه كلمة الامانة من معان وما تستلزمه من واجبات .. أجل . تكون أمينة على أمواله فلا تضع قرشا واحدا فى غير موضعه . ولا تضيع قرشا واحدا من مال زوجها بغير اذنه ورضاه . وكل زوجة تستطيع أن تقدر طاقة زوجها المالية فلا تكلفه بما لا يستطيع ، ولا تطالبه بما يزيد عن حاجتها ويخرج عن قدرته .. فزوجة الرجل الفقير أو الموظف الصغير لا يصح أن تطلب من زوجها أن يلبسها أثواب الحرير . أو يملأ بيتها بالفراش الوثير . أو يجملها بالحلى الفاخر كما هو الشأن عند زوجات الموظفين الكبار والأغنياء ذوى النعمة واليسار ، بل ان زوجات الاغنياء ذوى النعمة والثراء لا ينبغى لهن أن يبعثرن الاموال ذات اليمين وذات الشمال فى الكماليات أو فيما هو أقل من الكماليات . بل لابد من التوسط والاعتدال . فان الدهر بالناس قلب ، ان دام يوما لشخص ففى غد يتقلب ، والله عز وجل يقول :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا » .

« ومن واجب الزوجة نحو زوجها أن تكون أمينة ــ كذلك ــ على أبنائه الصغار تقوم اعوجاجهم . وتحقق رغباتهم بقدر ما تستطيع

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم

على أســـاس من العقل والحكمة ، وتراقب سلوكهم وتصرفاتهم وتأخذ بأيديهم الى الخلق الكريم والادب القويم » .

ومن واجب الزوجة نحو زوجها أن تــكون أمينة ـ كذلك ـ على أقواله وأخبـــاره وأن تكون صـــدرا يحفظ السر ويحيطه بالكتمان والستر حتى يتيسر لزوجها قضــــاء مآربه ولا يتمكن منه أعداؤه .. ومن واجب الزوجة أولا وآخرا أن تحافظ على عرضها أن يتلوث أو يتــدنس حتى تكون ممن قال اللـــه عنهن : **« فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ »** وحتى يتحقق فيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتهـــا أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « اذا صلت المرأة خمسها . وحفظت فرجها . وأطاعت زوجهـــا قيل لها : ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت » .

والاسلام الذى جعل للزوج هـــذه الحقوق قد رسم له حدودا معلومة ومنهاجا وســـطا يحفظ عليه كرامته وهيبته وهو فى الوقت نفسه يحفظ للمرأة حقها فى الحياة الهادئة والعيشـــة الراضية .. فالزوجة فى نظر الاســـلام ليست آلة مســـخرة يحقق الرجل بها رغبة أو يقضى منها وطرا ومأربا فحسب . ولكنهـــا شريكة الرجل وعماد « أســـاسى » فى اقامة المنزل ، وهى المدرسة الاولى التى يواجهها الطفل منذ فجر حياته فتغذيه بأخلاقها وترضـــعه من طبائعها وعاداتها ، وواجب الزوج أن يشعرها بكيانها وخطرها ، ويبين لها قيمة رسالتها وعظم مسئوليتها ، ويمنحها من الحرية ما يســمح به الدين الحنيف ، ولا يتنــــافى مع العقـــــل والحكمة .

واذا كان الاسلام قد جعل الرجال قوامين على النســـاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فان هـــذه القيامة والافضـــلية من جانب الرجل لا تبيح له أن يتحكم فى المرأة كما يتحكم المالك فى الســلعة والمتاع .. ذلك بأن الاســلام قد قيد الرجل بقيود ورسم له المنهاج وأوضـــح بين يديه الحدود .. ومن ذلك ما جاء عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجـــر الا فى البيت » . ومعنى لا تقبح . لا تخاطبها بالكلام القبيح ولا تهجر الا فى البيت أى المضاجعة أما الكلام فلا تهجرها فيه ..

وقد بين الله عز وجل للازواج أن يتدرجوا مع زوجاتهم فى التهذيب والتأديب اذا ما علموا من الزوجة النشوز والعصيان . فيبدأ الـــزوج أولا بوعظ الزوجة مبينا لها عاقبة ســــفهها وطيشها وما يترتب على ذلك من تشتيت الشمل

مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وتفريق الوحدة وضياع الابناء ويضرب لها من الامثلة ما يجعلها تلمس بيديها عاقبة الطيش والغرور • فاذا لم يفد ذلك فعليه أن يلجأ الى هجرانها فى المضجع • ثم الى الضرب غير المبرح • فان أفاد • والا كان الفراق عن رضى واتفاق وفى ذلك يقول الله تعالى : « **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا** » •

« ولقد كرر الرسول صلى الله عليه وسلم التوصية بالنساء وشدد على الرجال فى ذلك لما يعلم من أن تكوين الرجل واستعداده وتجاربه فى الحياة تجعله أقدر على الصبر والاحتمال من المرأة فقال صلى الله عليه وسلم ــ كما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع • وأن أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء » • وجاء فى الصحيحين ــ كذلك ــ : « المرأة كالضلع ان أقمتها كسرتها • وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » • وثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان المرأة خلقت من ضلع لن يستقيم لك على طريقه فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج • وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » •

ومن تلكم الاحاديث الشريفة يتجلى لنا أن واجب الزوج أن يكون أرحب صدرا وأوسع أفقا من الزوجة • وأنه لا ينبغى أن يحاسب الزوجة على هفواتها الصغيرة وزلاتها اليسيرة • بل يتغاضى عن مثل هذه الزلات والهفوات حتى يعيش فى جو هادىء بعيد عن الآلام والمنغصات » •

« وحينئذ يمكن أن يفهم المقصود من قوله سبحانه : « **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** » فالعلاقة بين الزوجين آية من آيات الله اذا عرف كل من الزوجين حقوقه وواجباته ، ولن يتوفر السكن والطمأنينة وتتحقق المودة والرحمة الا على هذا الاساس الحكيم •• هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق » •

رئيس جامعة الازهر

أ• د• محمد الطيب النجار

عجل

من كتاب الله تعالى

غضب موسى عليه السلام وموقفه من قومه

كان موسى عليه السلام مشغولا بمناجاة ربه . ويأخذ عنه الألواح . بينما ضل أكثر قومه باتباع العجل وعبادته .

ولما أخبره الله تعالى الخبر « قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ » (١) غضب غضبا شديدا لحرصه عليهم . وخوفه من تعرضهم لعقاب ربهم . ولان الشرك بالله أعظم الخطايا وأخطرها « فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا » (٢) .

وبدأ عليه السلام بسؤالهم ومعاتبتهم وتعنيفهم .

« قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا . أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي » (٣) .

---

(١) سورة طه ٨٥
(٢) سورة طه ٨٦
(٣) سورة طة ٨٦

المراجع

كتاب الله تعالى

تفسير القرآن العظيم	لابن كثير	المكتبة الشعبية
تفسير فتح القدير	الشوكاني	دار الفكر
تفسير القرآن الحكيم (المنار)	محمد رشيد رضا	دار المعرفة
تفسير الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	دار الكاتب
تفسير روح المعاني	الألوسي	دار احياء التراث
تفصيل آيات القرآن الحكيم	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الكاتب
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الكاتب
الارتبار الزمني والعقائدي بين الرسل	د. محمد وصفي	المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

الذهب

د. عبد الباقى أحمد سلامه

وقال لهم « بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى » (١) . « أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ » (١) .

اعتذار قومه ..

« قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا . وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا » .

حاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة : كما يقول الحسن البصرى : أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم . وعبدوا العجل . فتورعوا عن الحقير وفعلوا الكبير . كما جاء فى الحديث الصحيح عن ابن عمر : أنه سأله رجل من العراق عن دم البعوض اذا أصاب الثوب . يعنى هل يصلى فيه أولا ؟ فقال ابن عمر : انظروا الى أهل العراق . قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى الحسين . وهم يسألون عن دم البعوضة (٢) .

ولهم اعتذار ثان .

« وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا : لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣) .

فلجأوا الى الاعتذار وطلب الاستغفار .

فقال الله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ » (٤) .

فاستغفر لهم موسى عليه السلام فى سبعين رجلا من قومه .. ذهبوا معه واختارهم لميقات ربه .. فأخذتهم الرجفة فماتوا .. فدعا موسى ربه فأحياهم : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا .. فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ .. أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .. إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ » (٥) وقال تعالى « فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ

(١) سورة الأعراف ١٥٠ وظنوا ان الموعد قد بلغ . فظنوا موته ! فبدّلوا

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ١٦٢

(٣) سورة الأعراف ١٤٩

(٤) سورة الأعراف ١٥٢

(٥) سورة الأعراف ١٥٥

بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ »(١) فلم يقبل الله توبة لهم الا أن يقتلوا أنفسهم .. « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ .. »(٢) .

فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : فقال الله تعالى ان توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من لقى من والد وولد فيقتله بالسيف ولايبالى من قتل فى ذلك الموطن .... وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول .

وقال قتادة : أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل .. فجعل لحيهم توبة وللمقتول شهادة (٣) .

وقال السدى : اجتلد الذين عبدوا العجل والذين لم يعبدوه بالسيوف حتى كانوا أن يهلكوا . حتى قتل منهم سبعون ألفا .

وقال ابن اسحق : لما رجع موسى الى قومه وأحرق العجل وذراه فى اليم خرج الى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦
(٢) سورة البقرة ٥٤
(٣) تفسير ابن كثير ح ١ ص ٩٢
وتفسير القرطبى ج ١ ص ٤٠١

فسأل موسى ربه التوبة لبنى اسرائيل من عبادة العجل فقال : لا الا أن يقتلوا أنفسهم .. قال : فبلغنى أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله .. فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده .. الخ (٤) .

جهلهم :

بين الله سبحانه وتعالى أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذ العجل وأن اندفاعهم فى هذا التيار جهل وحمق .. ولو أنهم فكروا قليلا .. ونظروا يسيرا ما وقعوا فيما وقعوا فيه .

« أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ » (٥)« أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً » (٦) « قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ » ٧ .

فعبادة غير الله لا تنبع من عقل أبدا .. وانما هو تقليد واتباع .. وانقياد للشيطان .

وحب التقليد آفة فتاكة .. فنجد بعض النساء يتشبهن بالرجال .. وبعض الرجال يتشبهون بالنساء .. وبعض المسلمين يتشبهون بالكافرين .. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه .

ولا خير أبدا فى شىء نهى عنه الشرع ... ومع ذلك فالناس يدخنون ويشربون الخمر ويفعلون الفواحش .. تقليدا .. لا اقتناعا .

(٤) تفسير ابن كثير ح ١ ص ٩٢ ، ٩٣ .
وتفسير القرطبى ح ١ص ٤٠١
(٥) سورة الأعراف ١٤٨
(٦) سورة طه ٨٩
٧ سورة البقرة ٩٣

موقف موسى من هرون عليهما السلام :

لقد خشى موسى عليه السلام أن يكون أخوه هرون عليه السلام قد تهاون أو ضعف أو جبن أمام هؤلاء الذين ضلوا فاتخذوا العجل .. وليس بمعقول أن يتهمه بالاهمال أو المداراة أو الموافقة لهم على ما فعلوا . أو حتى السكوت عليهم .. فان ذلك بعيد عن مقام الرسالة .

ولشدة غضب موسى عليه السلام لحق الله نجده يتخذ مع هرون موقفا صلبا .

« قَالَ يَا هَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى » (١) « وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ » (٢) .

لقد أخذ موسى بلحية هرون وذؤابته : على العادة والعرف اكراما لا اذلالا . ولا شكا فى أنه مال مع بنى اسرائيل .

أو فعل ذلك ليسر اليه بنزول الألواح عليه .

أو ليعرف منه ما لديه .

وانما كره هرون ذلك : لئلا يظن بنو اسرائيل أنه يهينه .. فيشمتوا فيه .. وهم أعداء .. وما أقسى شماتة الأعداء .

وهرون عليه السلام فى حلم واتزان .. يجيب أخاه بموسى بالحق المقنع .. والبيان الصريح : **« يَا ابْنَ أُمَّ : لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِى .. إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى» (٣) « ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا .. يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (٤) .**

لقد كانا شقيقين ولكن قال له : يا ابن أم استعطافا .. وتذكيرا بحق أمه التى قضت عمرها بين المخاوف والشدائد (٥) وقال له : انى لم أقصر فى الانكار عليهم والنصح لهم . لكنهم استضعفونى وقاربوا قتلى ولم يمتثلوا أمرى . **« وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى »** ٦ .

وانما لم يطيعوه لأنه لم يكن فى قوة ارادة موسى عليهما السلام وشدة عزيمته .. والآية دليل على ذلك .. وقد اتفق عليه العلماء وأهل الكتاب ٧ .

وقد كانت اجابة هرون مقنعة ومرضية .. واطمأن لها موسى عليه السلام .. وأثرت فيه فتحول عن المعاتبة والمؤاخذة و **« قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى »** ما أغلظت عليه به من قول وفعل **« وَلِأَخِى »** ما عساه يسمى تقصيرا فى مؤاخذة القوم لما توقعه من الايذاء حتى القتل .. **« وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ »** التى وسعت كل شىء **وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »** ٨ .

وبذلك يكون القرآن الكريم قد برأ هرون عليه السلام من التقصير فى الانكار على متخذى العجل وعابديه من قومه .

---

(١) سورة طه ٩٢ ، ٩٣ (٣) سورة طه ٩٤
(٢) سورة الأعراف ١٥٠
(٤) سورة الأعراف ١٥٠
(٥) يراجع تفسير الألوسى ج ١٦ ص ٢٥١
٦ سورة طه ٩٠
٧ تفسير المنار مجلد ٩ ص ٢٠٩
٨ سورة الأعراف ١٥١

عجل الذهب

براءة هرون عليه السلام من اتخاذ العجل :

ادعى اليهود أن هرون هو الذى اتخذ العجل لهم .. ونسبوا ذلك الى التوراة « فى الفصل ٣٢ من سفر الخروج » : (١)

١ ــ لما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من مصر لا نعلم ماذا أصابه .

٢ ــ فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذانكم وآذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها .

٣ ــ نزع كل الشعب أقراط الذهب التى كانت فى آذانهم وأتوا بها الى هرون .

٤ ــ فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .

٥ ــ فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ونادى هرون وقال : غدا عيد للرب .

٦ ــ فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب .

٧ ــ فقال الرب لموسى : اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر.

٨ ــ زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يااسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .. الخ .

هذا مافى توراتهم المحرفة . وقد جاء القرآن الكريم مخالفا لما فيها من اتهام هرون . وبرأ الله هرون فى القرآن . وهو مهيمن على كل الكتب .. يصدق منها مايكون صادقا . ويخالف ما يكون محرفا .

وان صح أن السامرى كان اسمه هرون أيضا ــ كما ذكر ابن جرير (٢) ــ فيكون هو صانع العجل .. واختلط عليهم .

أو يقال : ان اسناد الاتخاذ الى هرون عليه السلام مجازى .. لانه دعا للسامرى وقال : اللهم اعطه ما سألك على مافى نفسه .. وذلك لان السامرى قال لهرون : لن ألقى مافى قبضتى حتى تدعو لى بذلك .. وكان هرون يظن أنه يقبض على مثل مايقبض عليه القوم من الحلى .

أو أن هرون مر على السامرى وهو يصنع. فقال له : ما تصنع ؟ فقال : أصنع شيئا ينفع ولا يضر فادع الله لى على مافى نفسى .. فدعا له .. فكان . فنسب الفعل الى هرون مجازا . والفاعل هو السامرى .

وهذه اجابات احتمالية .. والقرآن صريح فى براءة هرون مما ادعته اليهود ونسبته للتوراة . « وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ » (٣) لكنهم عصوه وكادوا أن يقتلوه وقالوا « لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ » (٤)

---

(١) تفسير ابن جرير حـ ٣ ص ١٦١
(٢) سورة طه ٩٠
(٣) سورة طه ٩١
(٤) تفسير المنار مجلد ٩ ص ٢٦٠
الارتباط الزمنى ص ١٦٦

غضب موسى عليه السلام

موقف موسى عليه السلام من السامرى .

هذا ثالث المواقف لموسى عليه السلام ... وكان الاول بينه وبين قومه .. والثانى بينه وبين أخيه هرون .. وسيأتى له موقف رابع مع العجل .. ذلك الاله المزيف المهزوم .

« قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ » (١) .

فأجاب فى استكبار . وعلو . وتعصب وافتخار .

« بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ .. فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي » (٢) .

فاعترف بأنه فعل ذلك عن عمد وعلم واقتناع نفسى وعقيدة راسخة .. ومصر على الاستمرار فى عبادة عجله .. اذ لم يبد عذرا كما اعتذر قومه .. ولم يعلن توبة كما أعلنوها .. ولو قال كما قالوا **« لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣)** . ولو أنه صبر على عذاب الدنيا كما صبروا وقتلوا أنفسهم : لغفر الله له وتاب عليه .

لكنه رضى الخسارة لنفسه .. فقال له موسى **« فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ .. وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ (٤)** .

فنفاه موسى عليه السلام عن قومه .. وأمر بنى اسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولايكلموه .

قال الحسن : جعل الله عقوبة السامرى ألا يماس الناس ولا يماسوه الى يوم القيامة .

ويقال : انه خاف من موسى فهرب فجعل يهيم فى البرية مع السباع والوحش لا يجد أحدا من الناس يمسه .

وقال قتادة : بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك — لا مساس — وان مس واحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما فى الوقت (٥) .

وللسامرى بعد ذلك مع العذاب موعد ... لا يتخلف هذا العذاب .. ولا يختلف موعده .

نهاية العجل .

لو كان العجل الها .. أو حتى يرضى عنه الاله .. ليسلم من التحريق والتفتيت .

لكنه عمل غير صالح .. وبقاؤه شر على الناس .. فلابد من زواله والتخلص منه .

« وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً . لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً » (٦) .

شأن الذهب أن يتحول من جامد الى سائل لا الى رماد .. لكن الله تعالى عرف موسى عليه السلام كيف يصير الذهب رمادا .. فأحرقه حتى صار رمادا .. ونثره فى البحر .

أو برده بالمبرد .. حتى فتته ثم نسفه فى اليم نسفا .

وقال السدى : ذبح العجل .. فسال منه كما يسيل اذا ذبح . ثم يرد عظامه بالمبرد .. وحرقه .. واللحم والدم اذا أحرقا صارا رمادا .. فيمكن تذريته فى اليم » (٧) .

التعريف بالاله الحق :

والآن حصحص الحق وبطل ما كانوا يعملون .

« إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً » (٨) .

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة طه ٩٥
(٢) سورة طه ٩٦
(٣) سورة الأعراف ١٤٩
(٤) سورة طه ٩٧
(٥) تفسير القرطبى حـ ١١ ص ٢٤٠
(٦) سورة طه ٩٧
(٧) تفسير القرطبى حـ ١١ ص ٢٤٢
(٨) سورة طه ٩٨

دراسات قرآنية

الخليل ابراهيم

قال تعالى ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)) سورة الحج : ٢٧ — ٢٨ .

البيان

كان العرب مشتتين فى أرض الحجاز الجرداء ، يرحلون بابلهم وأغنامهم الى مهابط الامطار ، ومستقر السيول المنحدرة من الجبال والتلال ، فيرعون ماشيتهم فى الاعشاب التى انبتها الله بمياهها ، ويأوون الى أكنان مصنوعة من أوبارها وأصوافها ، حتى اذا استوعبت ماشيتهم خضراءها ، ارتحلوا بها الى منابت أخرى للكلأ والعشب فى الوديان .

وكانت أفكارهم فى رب هذا الكون ساذجة الى أبعد حدود السذاجة ، فلهذا عبدوا الاوثان وأشركوها فى العبادة مع الواحد الديان ، وقد شاءت عناية الرحمن الرحيم ، أن يجمعهم بعد شتات ، وييسر لهم الارزاق بعد صعوبة ، ويفتح قلوبهم وعقولهم على شواهد بديع السموات والأرض ، حتى يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، ويجعل منهم أمة مسلمة لرب العالمين ، تحمل مشاعل الحق فى ليل الجهالة والشبهات ، فتضىء للناس سبيل الهدى والرشاد .

فلهذا أمر نبيه ابراهيم أن يرحل بولده اسماعيل وأمه هاجر الى أرض الحجاز ، وأن ينزل بهما فى مكان معين منها ، شاءت عنايته أن تنشأ فى مكة المكرمة ، ليكون مشرق الهدى ومبعث الايمان والعرفان ، ففعل ابراهيم ما أمره الله به ، ولما أراد الانصراف دونهما عجبت هاجر فسألته : الى من تكلنا ؟ قال الى الله تعالى ، قالت : الله أمرك بذلك ، قال نعم ، قالت اذن لا يضيعنا ، فما أعظم ايمان هذا البيت الكريم برحمة رب العالمين .

ولما انصرف ابراهيم عائدا الى فلسطين ، أخرج الله لهما عين زمزم ، وأفاض الماء

يجمع العرب على التوحيد

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

حـولها غزيرا حتى ملأ البقـاع ، فحومت الطيور فوق الماء ، فلما رأت قبيلة جرهم من بعيد ، تلك الطيور تروح اليها وتغدو أرسلوا رائدهم اليها ، فرأى ما لم يكن يراه من قبل ، رأى سيدة كريمة معها رضيعها والماء يستبحر من حولها ، فسألها عن أمرها وأمر الماء الذى لم يشاهد قبل مجيئها ، فلما أخبرته بقصتها ، عرف أنها من بيت كريم على الله ، وأن هذا الماء من بركاته ، وأن هذا الحـدث الجليـل يخفى وراءه أسرارا سـوف يظهرها رب العالمين .

ولما حـدث الرائد قومه بما رأى وعلم ، أقبلوا على أم اسـماعيل فى فرحة غامرة وتكريم عظيم ، وسـألوها المقـام حولها لينتفعـوا بتلك العين المبـاركة ، وليقوموا بخدمتهـا ورعايتها وطفلها ، حتى يترعرع ويبلغ مبلغ الرجال ، فأذنت لهم .

وكان ابراهيم عليه السلام يتعهدها ويأتيها من آن لآخر ، حتى كبر ولده اسماعيل ، فأمره أن يبنى كعبة يحج الناس اليها ليعبدوه حولها ولا يشركوا به شـيئا ، ويكون من وراء ذلك جلب الارزاق لأهل هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا شجر ، فاسـتجاب لربه وبنى البيت الحرام بمعونة ولده اسماعيل ، وكانا يدعوان الله تعالى أثناء بنائه قائلين :

« رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنكَ أنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

فأنت ترى أن الغرض الاول من بنائه هو انشاء أمة مجتمعة ، مسلمة لله وحده لا شريك له ، تنحدر من اسماعيل بعد تزوجه من قبيلة جرهم ، والغرض الثانى هو أن تتجه هـذه الامة المسـلمة الى هذا البيت لتقيم الصلاة

الخليل إبراهيم يجمع العرب

لرب العالمين وحــده لا شريك له ، والغرض الثالث أن يحج اليها الناس من مختلف البقاع لاداء المناسك ، ويتبع ذلك أن يجلبوا الارزاق الى المقيمين حوله ، وقد جاء ذلك واضحا فى آية أخرى فى سورة ابراهيم عليه السـلام **« رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » (٣٧) .**

والغرض الرابع أن يكون هـذا البيت منطلقا لدعوة للاسلام يقوم بها رسول منهم ، يتلو عليهم آياته تعـالى ويعلمهم الكتـاب والحكمة ويزكيهم ، ويشاء العليم الحكيم أن يكون هذا الرسـول هو محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وهو منحدر من سلالة اسماعيل واحدى العقائل من قبيلة جرهم .

وتحقيقـا لتلك الاغراض أمر الله ابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج ، وفى ذلك يقول الله تعـالى **« وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا »** أى مشاة **« وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ »** أى وركبانا على كل بعير مهزول من طول السفر **« يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »** أى طريق بعيد **« لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ »** عظيمة القدر ، مفيدة لهم فى الدنيا والآخرة .

روى ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عبـاس قال : « لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال : رب قد فرغت ، قال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يا رب وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البـلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل : ياأيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والارض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الارض يلبون » .

« وجاء فى رواية أخرى أنه عليه السـلام صعد أبا قبيس فوضع أصـبعه فى أذنيه ثم نادى : ياأيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية فى أصـلاب الرجال وأرحام النساء ، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس هناك حاج يحج من يومئذ الى أن تقوم السـاعة الا من أجاب يومئـذ ابراهيم » .

وقد اسـتجاب الناس فى عهد ابراهيم واسـماعيل الى دعوة التوحيد ، ونبذوا الاشراك وعبادة الاوثان الى عبادة الواحـد الديان ، وكان طوافهم بالبيت تمجيـدا لرب البيت لا لذات البيت .

تحويل كعبة التوحيد الى بيت للاوثان

وبعد فترة من عصر اسماعيل عليه السلام ، نسى أهل هذه البقعـة المباركة توحيد الله فى حجهم وسائر عباداتهم ، ورجعوا الى عبادة الاوثان التى أبطلتهـا شريعـة ابراهيم واسماعيل عليهما السـلام ، وكانوا يزعمون أنهم يتقربون بها الى الله مع أن الله تعـالى أقرب اليهم منها ، وحولوا الكعبـة من قبلة لعبادة الرحمن ، ومطاف يذكر حوله اسم الله ، حولوها الى بيت للاصـنام ، ومطاف تذكر حوله أسماء الاوثان .

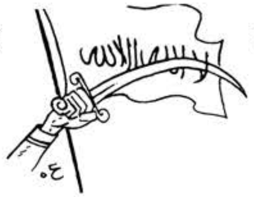

أسباب تحويل التوحيد الى الاشراك

يقول الكلبى فى كتابه (الأصـــنام) : ان اســـماعيل بن ابراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتفســحوا فى البلاد التماس المعاش •

وكان الذى ســلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجـــارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحــــرم ، وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصـــبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبـــة ومكـــة ، ويحجـــون ويعتمـــرون عـــلى ارب ابراهيم واســـــماعيل عليهما الســـــلام • ثم ســـــــلخ ذلك بهم الى أن عبــــــدوا ما اســـــتحبوا ، ونســــــوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واســـماعيل غيره ، فعبدوا الاوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم ــ ثم قال ــ وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل ينســـــكون بها ، من تعظيم البيت والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة ، واهــداء البدن والاهلال بالحج والعمرة ، مع ادخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت نزار تقول اذا أهلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، الا شريك هو لك ، تملكه وما ملك •

ثم قال الكلبى : وكانت ربيعة اذا حجت نقضت المناسك ، ووقفت فى المواقف ، نفرت فى النفر الاول ولم تقم الى آخـــر التشريق ، فكان أول من غير دين اسماعيل عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة •

وكانت أم عمرو بن لحى تسمى فهيرة وهى بنت عمرو بن الحـــارث ، وكان الحـــارث هو الذى يلى أمر الكعبة وهو من قبيلة جرهم ، فنازعه عمرو بن لحى وقاتله ببنى اســـماعيل فظفر بهم وأجـــلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم •

ثم انه مرض مرضا شـــــديدا فقيل له ان بالبلقاء من الشـــــام حمة ان اتيتها برأت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الاصنام فقال : ما هذه ؟ فقالوا نســـتقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة الى آخر ما ذكره الكلبى ••

قضاء الاسلام على عبادة الاوثان

ولما بعث الله خاتم المرســلين ســـيدنا محمدا ، استجابة لدعوة أبيه ابراهيم ، كان أهم الاغراض فى رسالة القضـــاء على الشرك والوثنية ، وتوجيه الناس الى عبادة الواحـــد الصـــــمد •

وقد استمر صلى الله عليه وسلم يجاهد فى سبيل ذلك ، حتى نصره الله على أهل مكة حماة الشرك فى الجزيرة العربية ، فانهـــارت حصونه وخضع أهله للاسلام والحمد لله رب العالمين •

ولما دخل الرسول مكة سنة ثمان من الهجرة

الخليل إبراهيم

بعد أن دانت له ، أمر أصحابه بتطهير الكعبة وما حـولها من الاصـنام ، فأخـرجوها وحطموها ، وأخرجوا صـورتين لابراهيم واسـماعيل وفى أيديهما الأزلام ، فقال صلى الله عليه وسـلم « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » ونادى منادى الرسول بمكـة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فلا يدع فى بيته صـنما الا كسره ، ففعلوا ، وأرسل خالد بن الوليد الى شـجرة العزى فقطعها وهدم بيتها ، وكانت معبـودة قريش وجميع بنى كنـانة ، وكانت أعظم آلهتهم فى نظرهم ، ثم بعث عمرو بن العاص فى سرية الى سـواع فحطمه — وكان معبود هزيل — ثم بعث سعد بن زيد بن عبد الاشـهل الى مناة معبودة الاوس والخزرج وغسـان وغيرهم فهدمها ، الى غير ذلك .

وبالقضـاء على عبـادة الاوثان بمكـة وما حولها ، سـقطت دولة الشرك فى جميع البلاد العربية ، لانها معقل الوثنية فيهـا ، والمركز الاول لتقديسـها .

الكعبة أول بيت وضع للناس

كانت الكعبة أول مبنى أمر الله بانشـائه ليتجه الناس اليه حين عبادتهم لرب العالمين ، ولما زعمت اليهـود أن بيت المقـدس هو أول بيت أنشىء لذلك ، كذبهم الله تعـالى فأنزل قوله سـبحانه « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُـدًى لِلْعَالَمِينَ » وأقام على ذلك أدلة ثلاثة ذكرها فى قوله « فِيـهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَـبِيلاً » .

فمقام ابراهيم هو المكان الذى كان يقوم فيه للصلاة ، وهو الآية الاولى على كون هذا البيت بناه ابراهيم ، فان الناس توارثوا هذه التسمية خلفا عن سلف ، فدل هذا التواتر على أن ابراهيم كان يقوم للصلاة فيه أثناء بنائه الكعبة أو زيارته لاسماعيل وأهله .

والآية الثانية أن من دخله كان آمنا ، وذلك من شرع ابراهيم ، توارثه العرب عنه جيـلا بعد جيل ، فقد جعله ملاذا للخـائفين ، فاذا أقام خائف فى رحابه ، أمن على نفسـه من أعدائه ولو كانت بينه وبينهم دماء ، وفى ذلك يقول الله تعالى « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » .

والآية الثالثـة أن الناس يحجـون اليه استجابة لدعوة ابراهيم وأذانه ، فتلك آيات ثلاث على أن الكعبة أول بيت وضـع للناس وليس بيت المقدس ، فهى شـاهدات بأن منشـئها هو ابراهيم عليه السلام ، أما بيت المقدس فقد أنشأه حفيده سليمان ، وبينهما زمان طويل .

حكمة اسـتقبال الكعبة

قد يقول قائل : ان اسـتقبال قبلة معينة أثناء العبادة ، ربما يشعر أن المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجـه الناس اليها ، مع أنه

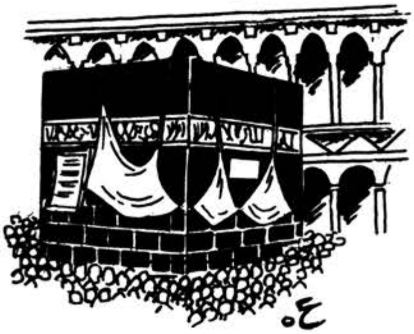

تعالى مكون الأكوان ، فهو أجـل وأعظم من أن يكون له مكان ، فكيف يحل فى هذا الحـيز الصغير ، والحيز مطلقا عليه محـال « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ » وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك .

الجواب على هذا السؤال أنه ليس المقصود من اتخاذ القبلة أن يواجه المصـلى ذات ربه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل المقصود توحيد مظهر العبادة من أهل الملة الواحـدة ، فكما اتحدوا فى عقيدتهم وأقوالهم وأفعـالهم أثناء عبادتم ، يتحدون فى قبلتهم أثناء أدائها، حتى يتميزوا عن سواهم من أهل الباطل ، كما تميزت عبادتهم عن عبادتهم .

ومن الامور المقررة فى الاديان السـماوية قبل أن يلحقها التبديل والتحريف ، أن اللـه تعالى لا يحل بمكان ولا يمر عليه زمان ، فهـو موجود قبل خلق الزمان والمكان .

فعلى كل متدين أن يستقبل القبلة وهو يعلم أنه تعالى ليس حالا فيها بذاتـه ، بـل يحيط علمه بها وبمن يطوفون حولها ، وهـذا هـو المقصود من قوله تعالى « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » .

فضل الحج وأسراره

دعا الله تعالى عباده لحج بيتـه الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليهـا ، هى مائـدة الغفران والرحمة والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال فى سبيل تلبيـة هـذه الدعوة المباركة ، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » وبسندهما عنه قال : قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم « الحج المبرور ليس لـه جزاء الا الجنـة » وأخرج البزار عن أبى هريرة أيضـا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم الله فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى صاحب الضيافة والحاج أو المعتمر لا يراه ، فلهذا يطوف ببيت ضيافته كما يفعل المحب الهائم مع المحبـوب الذى يرى نعمه ولا يرى ذاته ، وأنت فى طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظم رب البيت الذى لا تراه ، اذ تقول وأنت تطـوف بـه :

الخليل ابراهيم

يجمع العرب على التوحيد

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وتدعو الله بما شئت ، وبهذا تحول الطواف من تقديس الاوثان ، الى تقديس رب الاكوان.

وأنت حين تستلم الحجر الاسود وتقبله ، لا تجعل منه شريكا لله تعالى كما كان المشركون يصنعون ، بل أنت تعبر بذلك عن أشواق القلب وعظيم الحب لله الذى لا تراه ، ولهذا تقول حين استلامه: اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك .

وبهذا التلوين فى الذكر تحول ما كان عليه المشركون فى الطواف الى تعظيم الله وتوحيده، وهكذا سائر المناسك التى اصطبغت فى الاسلام بصبغة التوحيد ، وعادت الى شريعة ابراهيم الخالصة لله رب العالمين ، بعد أن حولها أهل الجاهلية الى شريعة الاوثان .

ولقد أكثر القرآن الكريم فى سورة الحج من التحذير من الشرك ، وحسبك قوله تعالى فيها « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ » .

ومن حكم الحج وأسراره أنه يجمع وفود أهل الارض على توحيد الله تعالى وأن يكون موسما لتبادل الرأى فيما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، ووقايتهم شرور أعدائهم ، وتأكيد الوحدة الدينية والفكرية التى تجمعهم ، والعمل على ازالة أسباب الفرقة بينهم ، ولهذا ذكر الله من حكم تشريعه أن يشهدوا منافع لهم ، الى غير ذلك من الحكم والاسرار ، ولو أمكن استغلال موسم الحج كما أراده الاسلام ، لكان سببا لعزة المسلمين ومنعتهم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير

دراسات قرآنية

القرآن

وفلسفة المنهج

للدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر

* بادىء ذى بدء — فى معالجة هذا الموضوع — نضع فى تقديرنا : أن القرآن الكريم ليس كتابا فى الفلسفة بعامة — أو المناهج العلمية بخاصة . كما أنه ليس كتابا متخصصا فى أى علم من العلوم . وانما هو كتاب الهداية الالهية للانسان « ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » البقرة : (٢) .

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » الاسراء : (٩) .

ومادام القرآن هو كتاب الله الخالق الى الانسان المخلوق فانه — من البديهى — أن تكون تلك غايته ، وذلك هدفه .

ومن هذا المنطلق — حينما نقرأ القرآن — نجده يرسم للانسان طرق هدايته التى تدعم علاقته بكل مافى الوجود ، وفى مختلف الأبعاد وشتى المجالات . سواء فى ذلك ما بينه وبين نفسه .

أو فيما بينه وبين الله خالقه .

أو فيما بينه وبين أخيه الانسان .

القرآن وفلسفة المنهج

أو فيما بينه وبين تلك العوالم الأخرى التى يعايشها : جمادية كانت ، أو حيوانية أو نباتية .

والقرآن — فى كل هذا — يركز تركيزا أساسيا على دعوة العقل الانسانى الى التفكير السليم ، والنظر الحق . بعيدا عن الأهواء والأغراض . وبعيدا عن العادات السيئة ، والمعتقدات الفاسدة الموروثة .

ولهذا تراه : ينعى على المقلدين تقليدهم الأعمى . لأن فى ذلك التقليد . اتباعا للهوى بل خضوعا لمعتقدات موروثة ضالة مضلة .. وهذا ما عابه القرآن على المشركين وسجله عليهم بحكايته عنهم « **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ** » الزخرف (٢٢)

ويؤكد القرآن . أن ذلك التقليد المقوت هو دين الماديين الملحدين . وتلك عادتهم دائما وذلك بقوله :

« **وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ** » الزخرف (٢٣).

هذا ما سجله القرآن عليهم فى سوره المكية . أما فى سوره المدنية فحسبنا تلك الآية من سورة البقرة :

« **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** » **البقرة (١٧٠)** .

وكثيرا ما تقرع الآيات البينات سمع الانسان تحضه على سلامة التفكير ، والنظر والتدبير بقولها : « أفلا يتدبرون ، أفلا يعقلون ، أفلا يتذكرون ، وهكذا ، بل أكثر من هذا لقد أنذر القرآن ذلك الصنف من البشر الذين يهملون عقولهم .. وينقادون للاهواء . وللتقاليد العمياء . أنذرهم وتوعدهم بجهنم . لانهم — بذلك — قد كفروا بأجل نعمة الله عليهم . وفى ذلك قوله تعالى من سورة الاعراف :

« **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ . أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** » الاعراف ١٧٩ ان الأنعام هكذا خلقت خلوا من نعمة العقل والتفكير — أما الانسان فقد أكرمه الله تعالى بتلك النعمة — فاذا ما أهملها وغفل عنها — فانه — حينئذ مصير أضل من ذلك الحيوان الأعجم .

المنهج القرآنى .

ان القرآن الكريم بدعوته العقل الى التفكير لا يقف عند هذا الحد فحسب بل يمتد أمره الى ما هو أبعد من ذلك . حيث يصبح هذا

التفكير السليم أمرا مشروعا يعاقب الانسان على اهماله حسبما دلت على ذلك الآية السابقة •

يضاف الى هذا أن القرآن حينما ــ ينهى عن التقليد الأعجمى ، وعدم الخضوع لتلك المعتقدات البالية الموروثه ــ انما يرشد بذلك الى نقطة خطيرة فى المنهج السليم • تلك هى اطراح الأهوان والاغراض • وحتى يتمكن الانسان من الوصول الى الحق والصواب بتفكير هادىء رزين •

وهذا ما دعى اليه المشركين للنظر الصائب فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تقول سورة سبأ •

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ • قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٍ »

سبأ ٤٦ ، ٤٧ •

والمنهج القرآنى ــ بعد ذلك ــ ينطلق بالانسان ــ فى تفكيره الهادىء السليم ــ الى شتى الطرق التى تأخذ بيده الى الحق • وتهديه الى الخير • ويصل بها الى المعرفة الصحيحة المبرأة من الشوائب والادران •

ولقد عرف الانسان ــ فى عصوره الحديثة ــ تلك المناهج العلمية المعروفة •

* **المنهج الاستنباطى •**
* **المنهج التجريبى •**
* **المنهج الاستردادى أو التاريخى •**
* **المنهج الجدلى**

وقد زعم بعض المفكرين المسلمين ــ أن تلك المناهج لم تعرف الا من خلال الحضارة الأوربية الحديثة •

ولكننا ــ بعين الحق والانصاف ــ نقرر :

أن القرآن ــ وهو كتاب الهداية الربانية ــ قد أرشد الانسان الى تلك المناهج • ودفعه اليها دفعا •

وحسبنا ــ فى هذا المقام ــ أن نقف مع القرآن وثقة مسيره ــ مع المنهج التجريبى • حسبما أشار اليه فى آياته البينات •

نعلم أن المنهج التجريبى يعتمد على :

الملاحظة العلمية • والتجربة المعملية •

والملاحظة العملية • يلجأ اليها الانسان ــ خاصة عند ملاحظة الأشياء التى لا يمكنه اخضاعها للتحكم فيها ، واجراء التجارب عليها •

والقرآن الكريم قد لفت نظر الانسان كثيرا الى تلك الملاحظات • ليرى بنفسه دلائل القدرة الآلهية ، والعظمة الربانية فى هذا الكون ــ وهذا النوع من المنهج الحسى ــ يتفق وعامة الناس • ومن ثم استعمله القرآن

القرآن وفلسفة

كثيرا فى سوره المكية والمدنية على حد سواء .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة .

« إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » البقرة ١٦٤ .

وفى سورة عبس وهى مكية :

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » عبس : ٢٤ ــ ٣٢ .

وهذا النوع من المنهج ــ كما أشرنا ــ كثير استعماله فى القرآن الكريم .

أما التجربة المعملية فانها تستعمل فى الأشياء التى يمكن للانسان اخضاعها للتجربة حيث يتأكد من فحصها ، وتكرار التجربة عليها مرات ومرات ــ ليصل الى النتيجة المطلوبة .

ولقد أشار القرآن الى ذلك النوع من المنهج العلمى فى أمر من أخطر الأمور فى عقيدة المسلم . وطالما حاول المشركون والماديون فى شأنه ــ ذلك هو البعث ، وعودة الانسان فى حياة أخرى يلقى فيها جزاؤه على ما قدم من عمل فى الدنيا : ان خيرا فخير وان شرا فشر .

فى سورة البقرة يعرض القرآن الكريم لصورتين أو تجربتين من هذا القبيل . ذلك فى صفحة واحدة يقول فى الأولى :

« أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .

قَالَ : أَنَّى يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا .

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ .

قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ .

قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .

قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ . فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ .

وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) البقرة : ٢٥٩ تلك تجربة حية لم يتدخل فيها الانسان . ولكنه عنصر منها ــ وشاهد عليها .

المنهج

أما التجربة الاخرى • فتلك التى طلب فيها ابراهيم الخليل من ربه أن يريه كيف يحيى الموت ويصورها القرآن هكذا •

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ؟

قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن •

قَالَ بَلَىٰ • وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي

قَالَ • فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا • ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (البقرة ٢٦٠) •

وهناك صورة ثالثة تتمثل فى قصة أهل الكهف ولها سورة قرآنية خاصة باسم «سورة الكهف»

المنهج التجريبى اذن منهج قرآنى بمعنى أن القرآن أرشد اليه الانسان ولكن ليس بالاسلوب العلمى المعروف ــ لأن القرآن ــ كما أشارنا ــ ليس كتابا متخصصا فى علم من العلوم •

فلسفة المنهج •

ان أى انسان لا يصدر فى فكره ، وسلوك حياته عن منهج سليم ــ لهو انسان ضحل وسقيم •

وان أية أمة من الأمم لا تصدر فى عملها عن منهج صحيح لهى أمة فاشلة حقا •

وقيمة الحضارة تقاس ــ فيما تقاس ــ بمنهجها وفلسفته التى نبع منها •

فمثلا الحضارة المادية تقوم على المنهج التجريبى ــ ولكن فلسفتها فى ذلك المنهج تعتمد على أنه هو الوسيلة الوحيدة الموصلة الى المعرفة • وأن الغرض من تلك الحضارة • خدمة الانسان فى جانبه المادى الحيوان • وتحقيق صفة المادية بكل قوة •

ومن هنا كانت الحضارة المادية حضارة فاشلة فى تدعيم القيم الانسانية • ولما كانت الحضارة الأوربية من هذا القبيل • فقد فشلت ــ تماما ــ فى تدعيم انسانية الانسان ، وتحقيق كرامة الانسان •

أما المنهج التجريبى من خلال الرؤية القرآنية فهو محكوم بعقيدة ايمانية تربط الانسان بخالقه •

ثم هو محكوم بغاية نبيلة يستهدفها : أنها خدمة الانسان فى انسانيته وكرامته وقيمه أولا ــ وبالتالى تحقيق المنع المادية ــ لينتفع بها ويحمد الله عليها •

ومن هنا ــ كان المنهج التجريبى ــ كسائر أعمال الانسان ــ منوطا بالنية والخلقية التى تحكمه • وفى ذلك ما رواه الامام البخارى عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما الاعمال بالنيات • وانما لكل امرىء ما نوى » •

ولنا فى الموضوع بقية ان شاء الله ،

د : أحمد عبد الحميد الشاعر

من الباحث عن الحقيقة

المرحوم محمد عبد الحليم عبدالله

٥

***تختلف القصة التركيبية عن الرواية التحليلية ، من حيث ان الأولى قد تلعب المصادفةفيها دورا كبيراأوصغيرا على النقيض من الرواية التحليلية التى قد تعتمد التاريخ وتعول عليه ، فليس فى هذه محل للمصادفة ، أو مجال للاتفاق .**

وتتطلب الفنية الروائية من الكاتب أن يكون واعيا بأبعاد عمله ، فلا يعمد الى تلك المصادفات يسوقها واحدة تلو أخرى ، فالمصادفة — متى كانت على هذه المثابة — تخرج العمل الروائى عن النطاق الفنى المرسوم له ، ويصبح العمل الفنى هزيلا ذاويا لانحس فيه نضرة الفن أو رواءه .

على أن الكاتب لايستطيع بعبقرية فنية أن يجعل المصادفة طبيعية بما يضفيه عليها من لمساته ومنطقه ، والا كان من الحتم أن تتحول روايته الى عمل باهت ، فاقد الأصالة ، ممسوخ الغاية ، وذلك ماينبغى للفنان أن ينأى عن مزالقه ومهاويه ..

وأما شخصيات الرواية فقد وظفها توظيفا فنيا رائعا ، واستطاع أن يدانى بينها ، وأن يخلق جوا من الألفة ينتظم تلك الشخصيات ، ولعله بلغ حدا كبيرا من التوفيق فى هذه السبيل ، لأنه تمكن بحاسته الفنية أن يتفهم خواطرها ومايجرى بداخلها ، واخال أننا أومأنا الى ذلك فى تضاعيف الأحاديث السابقة ، لتؤكد أن الركائز الفنية فى معمارية الرواية انما تقوى وتصيب حظا من الفنية والجودة متى كان الكاتب الروائى ذا قدرة على اختيار الشخصيات المناسبة لعمله الفنى المبدع ، فاختيار الشخصية — لاريب — ملمح يدل على رسوخ قدم الكاتب وضلاعته ، وامتلاكه لزمام فنه ..

والبطولة فى شخصية « سلمان الفارسى » — رضى الله عنه — بطولة الشخصية المتمردة (١)

(١) انظر مجلة « الثقافة » عدد يونيه (١٩٧٩)

منظور الفن الروائى فى الأدب العربى

الدكتور فتحى محمد أبو عيسى

التى تمردت على ماحولها بعد أن استشـعرت تغييرا من الداخل •

وتأتى نظرة الروائى الراحل بعيدة الى عديد من شخصيات الرواية ، حين يربط بينهم برباط قوى ، ويجمعهم فى اطار واحد ، لانرى غضاضة فى أن نطلق عليه اطار « التعادلية » ، ففى هذا الاطار تتعاون الشخصيات على نحو هندسى ، حتى ليبدو أن الشخصيات وتآلفها خلقت من هذا العمل الروائى بناء متماسكا لاتعتوره نتوءات تودى بجماله ، وتشوه من روعته ، تستوى فى ذلك الشخصيات الاساسية والشخصيات الثانوية •

وهاك لقطة أو موقفا ، يدل فيما يدل عليه على الالتئام بين هذه الشخصيات :

وساد صمت ، ثم سمع دق على الباب •• دق متواصل ملح قلق ، فقام الفارسى وفتح ، وكان يحمل معه مصباحا ، وعندما وقع وجه الطارق على وجه الشاب تراجع الطارق وهو يهمس : هل أنا مخطىء الى هذا الحد ؟

وتلفت حوله ، يريد أن يقول : ليس هناك صومعة أخرى •• فسارع الفارسى قائلا :

لا ، نه هنا ، وأنا ضيف عنده ، ادخل •

كان رجلا فى منتصف العمر ، تبدو عليه هيئة لتجار ، وعلى سحنته الخزى والثورة •• ودخل الى العابد فى حجرة « المنسج » ، والفارسى ينير الطريق بالمصباح ، فلما وصل اليه جلس متهالكا ، وأخذ يتكلم وهو هائج :

أفتنى يا سيدى فانى سازل ، انى حزين القلب والعقل معا ••

رد العابد فى اطمئنان كأنما ليهون الأمر :

معايا أبى •• لقد جئت اليك من « الموصل » حيث هناك يشتهر اسمك •

مرحبا بك ، ولكن كيف تبكى ؟

ابنى مات فى « مصر » ، ذهب الى هناك يحمل من المنسوجات ما يتجر فيه ، فقتل •• لقى ربه •

ان هناك فتنة يا أبى تقوم حول عبادة « العذراء » ، نسينا حقيقة ديننا ، من هذا

الذى سيضع الحد لهذا كله ؟

قال العابد (فى همس) : السماء (١) .

ذاك موقف يجمع بين شخصيات ثلاث : « سلمان » و « العابد » وهذا القادم الذى يود أن يلتمس عنده الجواب الشافى .. ومن عجب أن هذه الشخصية الأخيرة لم تحتل من رواية الكاتب سوى هذا الموقف ، ثم ابتلعتها زحمة الأحداث ، فاحتجبت عن الظهور ثانية ، غير أن التعاطف والتآلف والاتساق وحدت هؤلاء الثلاثة أو بمعنى آخر ظهرت شخصياتهم فى بوتقة واحدة ، وكلهم يقرأ أفكار الآخر ، ويتحسس مافى نفسه .

فأما « سلمان » فأمره جلى شهير .. أقام عند هذا العابد وهو مفعم النفس بأشواق ساقته الى ملأ ود أن يحيا فيه ، كما تريد له نفسه بعد أن جاء ساعيا اليه يقطع المهامه والدروب ..

وشأن هذا القادم الجديد على « العابد » شأن « سلمان » ، اذ قادته قدماه الى الرجل عينه رجاء أن يسمع منه كلمة الخلاص فيما ساد الجو من فتن تلعب بعقائد الناس ، وتعبث بأفكارهم ، وكأن العقول — عندئذ — أضحت مهيأة لتلقى الأنباء الجديدة ، عسى أن تستأصل الداء العياء الذى سرى هنا وهناك ، وقد زاغت العقائد ، وتفاقمت الأهواء وعظمت الخطوب .

هو — اذن — التناغم الروحى والفكرى ، والاتساق الشعورى والعاطفى ، فوق الدلالة على وحدة الغاية والهدف والتطلع الى المصير .

والمتأمل فى شخصيات «الباحث عن الحقيقة» لايتردد فى الحكم عليها بأنها شخصيات نامية فى العمل الروائى ، يتتابع اطرادها وتطورها من خلال المواقف وفقا للأحداث ذلك أن الشخصيات التى يمكن أن تقوم عليها أية قصة نوعان :

« نوع يمكن أن نسميه « الشخصية الجاهزة » ، وهى الشخصية المكتملة التى تظهر فى القصة — حين تظهر — دون أن يحدث فى تكوينها أى تغيير ، وانما يحدث التغيير فى علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب ، أما تصرفاتها فلها — دائما — طابع واحد .

والنوع الثانى يمكن أن نسميه « الشخصية النامية » ، وهى الشخصية التى يتم تكوينها بتمام القصة ، فتتطور من موقف لموقف، ويظهر لها فى كل موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب منها » (٢) .

ولئن كان « عبد الحليم » قد وفق فى تصوير الشخصيات ، ان ذلك — فى تقديرى — راجع الى أن أحداث التاريخ عنده اكتست صبغة نفسية ،حولتها من أحداث وقعت فى غابر الزمن الى أحداث « طازجة » بما تشتمل عليه من تحليل يستلهم الواقع ولايبتعد عنه .

وآفة القصة أو الرواية التاريخية — على وجه

(١) الباحث عن الحقيقة ٧١

(٢) الأدب وفنونه ١٩٢ د . عز الدين اسماعيل ط : السابعة

الاجمـــال ــ تكمن أولا فى السرد دون الغوص والتحليل ، والاستنباط الدقيق ، والافادة من التاريخ فى رسم الشخصية ، وهكذا •• فــاذا استطاع الروائى أن يعى أحداث التـــاريخ ، وأن ينظر اليها نظرة نفسية ، جاء عمله الفنى محكما ، يتسم بالحيوية والنبض •

وقد تأتى الرواية التاريخية وشخصياتها ــ عند نفر من الكتاب ــ باهتة شاحبة ، لما تنطوى عليه من « خطأ التعميم الذى يقع فيه الكاتب حين يتناولهم بالوصف وسطحية التحليـــــل النفسى •• لذا كان أول مايطـــالب به القاص والمسرحى معا : أن ينفخ الحياة فى أبطاله ، فلا يدعهم كالدمى متشـــــابهة الخطوط ، مموهة الصورة ، وحيوية الأشخاص فى القصة مرتهنة بمعـــرفة الكاتب لدقائق النفس وطبـــائعها وانفعالاتها ، وبالقدرة على ضبطها واظهارها ، لا بالتحليل النظرى والوصف المباشر ، فذلــك أبعد ما يكون عن عمل القاص ، وانما عليه ــ انسجاما معغرض الرواية وطبيعتها المعمارية ــ أن يرسم دواخل النفوس بالتصرفات المسلكية بالحركات والاشارات والكلمات » (١) •

والحق أن « عبد الحليم » كان فنانا ، له من النظرات النفسية فى التاريخ ما نقرؤه عـــلى لسان الشخصيات فى « الباحث عن الحقيقة » •

وحول « الأسلوب » الــذى ينبغى للكاتب الروائى أن يستخدمه : نقــرر ــ بادىء ذى بدء ــ أن الاسلوب هو الاطار الخارجى الذى ينقل خبرة الكاتب ــ أيا كان ــ ومعايشـــته لموضوعه ، الا أن أسلوب الرواية يختلف عــن أسلوب المقال والبحـــوث : أدبية كانت أو علمية ، كما يختلف كذلك عن كثير من الأنمــاط الكتابية ، ككتابة الخبر الصحفى ، وصـــور الأحداث ، وما اليها على النحو الذى سنتبينه•

والكاتب القدير فى ذلك غير الكاتب الفج ، فالأول يعتمد على الفكرة الداخلية والثــوب الذى تلبسه ، وذلك يقتضى أن يجهد نفسه فى استواء عمله الفنى ونضجه ، أشـــبه مايكون بالشىء ينضج على نار هادئة خافتة ، وأيمـــا عجلة أو تسرع فى ذلك يقضى عليه بالقصـــور أو الغثاثة ان فى الشكل أو فى المضمون •• وأما الثانى فقد يأتى عمله مبتسرا مبتورا من حيث انه ضئيل الخبرة ، وقد يكون استعداده غــير موات ، أو موهبته ليست متأصلة •• كل أولئك وما ماثله قد يقلل من عمله أو يعصف به •

ولعله الجدير بالتنويه أن نؤكد أن الروائى الذى لايستطيع أن ينقل أفكاره ووسوســات نفسه فى منطقية تتقمصها شخصياته ، وأسلوب يصور الدخائل والأعماق ، وفنية تمكنه من ذلك لايستأهل أن ينتظم فى عـــداد الكتاب ، اذ « ما الفن الا منطق فى رداء جميل « بيتهوفن » فى عالم الأصوات هو سيد المنطقيين بلامراء•• انه « أرسطو » الموسيقى أنغامه تنســـاب فى

---

١) الفن والأدب ١٥٢ د . ميشال عاصى ط : بيروت

الباحث عن الحقيقة

منطق عجيب خلاب » (١) .

وللقالب القصصى من المرونة مايجعل الروائى فى سعة تبسط أمامه منادح القول ، وتهيىء له سبله ومسالكه ، على عكس كاتب « المسرحية » ، فانه ملزم بقالب لايعدوه أو يجاوزه ، ومعنى هذا أن الروائى فنان طليق يتعامل مع عمله الروائى فى أسلوب لا تستعبده السدود أو القيود ، فالغاية التى يتحراها هى أن يحقق الاثارة والمتعة ، بالاضافة الى ما يصيبه عمله من هدف وضعه نصب عينيه منذ البداية ، فحيث وقع عند تلك الغاية فلا عليه أن يصطفى الأسلوب الذى يراه ويمليه الموقف .

« ومن أجل هذا التنوع الواسع فى القصة ، أصبحت أهم نوع أدبى فى عصرنا ، لأنها تستطيع بصورها المختلفة أن تمثل الحياة ، وتبلورها فى شتى وجوهها ، اذ لايستعصى عليها أى خط من خطوطها . ولابد أن تغدو كل قصة بناء متكاملا ، تترابط وحداته ترابطاً عضويا ، فهى ليست كلاما من هنا وهناك يملأ فراغا من الصحف ، وانما هى عمل أدبى تام ، تراصت جزئياته كما تتراص اللبنات فى البناء المحكم ، وقد يطول البناء حتى يصبح مجلدات » (٢) .

واذا كان الأسلوب الذى نعنيه فى هذا المقام ينسحب أيضاً على سمات التعبير والخصائص الفنية واللازمة اللفظية ، فان ضروريا أن يتجنب الروائى الشكل الركيك الذى يقوم على المحسنات البلاغية أو انزخرف والبهرج ، فواضح أن كل ذلك — مالم يأت عفوا — قد يكون سببا فى الغض من العمل الفنى ، كما أن من الحتم أيضا ألا يلجأ الى الاسلوب المعقد فكلا الأسلوبين يجشم القارىء ألوانا من المعاناة ، تسلمه فى النهاية الى أن يصدف عن القراءة ويزور عنها ، وهو مايتجافى مع القصة أو الرواية الناجحة ، الذى جاء أسلوبها يصافح المشاعر ، ويعانق الوجدان ، دون ما احساس بالضجر أو الملل .

ولن يتأتى للكاتب أن يكون كذلك الا اذا نأى عما يسمى بالتعبيرات الجاهزة أو «الكليشيهات» التى تتكرر على ألسنة بعض الكتاب وتغزو أعمالهم .

فماذا كان موقف الروائى (محمد عبد الحليم عبد الله) من تلك الخطوط الفنية البارزة فى رائعته « الباحث عن الحقيقة » .

ذلك مانرجو الاجابة عنه بمشيئة الله فى الحلقة القادمة .

(يتبع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

---

(١) فن الأدب ٢٤٨ للأستاذ توفيق الحكيم (المطبعة النموذجية)

(٢) فى النقد الأدبى ٢٢٦ د . شوقى ضيف

دراسات لغوية

رد على مقال:

النقد العربي القديم والمنهجية

للدكتور محمد محمد ابو موسى

مما لا ريب فيه أننا لا ندرك منهج الدارس ومواضع اهتمامه ، وما يندس فى قلبه وعقله من أصول فكرية وأدبية توجه بحثه ، وتحليله ، وتذوقه ، وحكمه ، الا بالصبر وطول المراجعة وكذلك لا نستطيع أن نتعرف على طبع شعر شاعر الا بطول التأمل والقراءة الواسعة العميقة المتأنية فى تاريخه ، وبيئته ، ومثيراته ، وأحداثه ، وماعاناه من أحوال ، وما يتصل بذلك وهو كثير ولازم ، ثم تفلية ألفاظه ، وتراكيبه ، وصوره ، وطريقة نسجه ، وكيفية رصفه ، واقامة هيئة كلامه ، وعمود شعره ، وقد ذكروا أن لكل شاعر سمتاً بنفسه ، ورفتا برأسه ، وأن من الشعراء من يسلك فى ألفاظه وصياغاته ومعانيه سبيل سواه ، ويجعل غيره قدوة له ، ومنهم من هو متكىء على نفسه ولكنه يطور فى الاحيان بجنبات كلام سواه(١) والحكم فى ذلك صعب شديد والفصل فيه شاذ بعيد . فاذا كنا نتكلم فى أدب أمة ، أو فكر أمة فناهيك عما يحتاجه ذلك من دراسة واحتشاد .

ومما لا ريب فيه أن معاهد العلم عندنا لم تتهيأ فيها الظروف الملائمة لتكوين أجيال من العلماء وأهل الدراية بثقافة الامة ، وتاريخها ، وفلسفتها ، وحكمتها وما ترامت به خواطرها فى حومة الصراعات الفكرية والادبية

(١) ينظر اعجاز القرآن للباقلانى ص١٢٣ وسمعت الكلام وجهه ومذهبه . ورفته مقاطعه ويطور بجنباته اى يحوم حوالين ويقترب منه

رد على مقال :

النقد العربي القديم والمنهجية

والسياسية وغيرها مما حفل به التاريخ ، ولا يزال كله فيما يكتبه أكثر كتابنا كالحكمة الخرساء لم تفهم أسرارها .

وهذا شيء واضح أدركه طلاب العلم في هذه المعاهد وسجلوه ، وذكروا أنهم أعدوا اعدادا وصل بهم الى أعلى الدرجات العلمية في غيبة تراثهم وتاريخهم وحضارتهم (١) .

وقد ذكر الاستاذ صلاح عبد الصبور في مقال نشرته مجلة الدوحة عدد مايو سنة ١٩٨١ وصفا لحال جيله في هذه المعاهد وأنهم تناموا عقليا وذوقيا وقد وقر في أذهانهم أنه لا خلاص الا بادراك ما عليه الفرنجة من علم وفن وذوق رغم أنهم كانوا طلابا في قسم اللغة العربية ، وأن الاسماء التي كانت تقرع آذانهم كل صباح معظمها كانت أسماء أجانب ، قال وكفى بالفرع العاتي من المستشرقين دليلا على ذلك وذكر أن أشواقهم العلمية ، وطموحاتهم الفكرية في هذه المرحلة المتوهجة من العمر توزعتها المذاهب الغربية في الفكر والفن ، وأن هذه المذاهب كان يحملها اليهم رواة غير حفظة . ومنهم من كان يفسد كثيرا مما يروى وأنهم أدركوا ذلك لما اتصلوا بالثقافة الغربية من غير حاجة الى هؤلاء الوسطاء . فأى دراسة علمية منظمة راضت هذه العقول الذكية المتعطشة الى التعرف على مسالك الابصار في دراسة تراث الامة ؟ وأى أستاذ لهم أغراهم بعطاء علمائهم ؟ وقد كان شيوخهم الذين يعلمونهم أدب العرب لا يروضونهم على الطريق الذى يلج بهم عالم الخليل ، وسيبويه ويونس والاخفش ، وقطرب ، والمازني ، والزمخشري ، وأشباههم . وانما يغرونهم بقراءة نلينو وجويدي كما يقول الاستاذ صلاح لانهم والفرع العاتي من المستشرقين أعرف بأسرار أدب العربية ، واقترنت أسماء الاعلام بما يثير الاستخفاف ، فكثيرا ما ذكر الاخفش وسيبويه والزمخشري في غير سياق المراجعة ، وجلال المدارسة ، هذا فضلا عما ارتبطت به عقلية التراث كله من أوصاف صارفة كالعناية بالجزئيات وتكرار الشاهد ، واختراع المثال ، والتزوير في الشعر لتصح القاعدة ، والكذب في الرواية وما يشبه ذلك من ضلالات شاعت وغبرت هذه الوجوه المجاهدة .

ثم ان هذا الجيل صارت اليه خلافة شيوخه ، وصاروا قوامين على الادب والفكر ، وسحقت أسماؤهم ، ونسى الناس أو جهلوا أن الوشائج بينهم وبين تراث الامة وشائج ضعيفة أساسها الجهل والمعاداة . ونسى هؤلاء في غمرة الزهو وخلافة الاسماء الساطعة أنهم لم يدرسوا هذا التراث دراسة علمية منظمة تعينهم على كشف أسراره ، واستخراج غوامضه ، وأن هذا ليس قادحا فيهم ، فقد أفرغت طاقاتهم في الفكر الغربي قديمه وحديثه كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود وصارت

١) ينظر مقدمة كتاب تجديد الفكر العربي للدكتور زكي نجيب محمود.

لهم منازلهم المعروفة فى التحشية حول أعلام الفكر الغربى أو الاستلال منهم ، وان كان أصحاب هذا الفكر لا يعتدون بغير عقليتهم فى التحشية على فكرهم وأدبهم • أباح هؤلاء لانفسهم أن يقولوا فى التراث ما يعين لهم من غير مراجعة ، وليس هناك من يدفع مقالتهم لان أسماءهم حلقت فى دنيا الفكر والادب ، والذى ذكره الاستاذ صلاح عبد الصبور من أنهم نموا نموا عقليا وذوقيا فى هذا الزمن ، وقد وقر فى أذهانهم « انه لا خلاص لنا الا بادراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن وذوق » قد وقر حقا فى الاذهان وتلبس بها ، وصار من مسلماتها ، واذا أنكرته أنكرك الناس ، مع أنه باطل لا ريب فى بطلانه ، وحقيقة أمره أننا نعيش مرحلة تاريخية ذليلة ، نرى فيها نفوسنا ضئيلة ، وتاريخنا ضئيلا ، وتراثنا ضئيلا فى كمه وكيفه • وهذا الشعور الخاطىء الذى غشينا كان يجب الا يركب عقول أهل العلم ، وانما عليهم أن تظل عقولهم صحيحة ، ترى الاشياء بأحجامها الحقيقية ، والا تتضاءل تحت شراسة ضغوط هذه المرحلة ، وكان عليهم أن يقرروا فى أذهان طلابهم أن الامة قادرة على أن تنمو نموا فكريا وحضاريا من خلال معاناتها لتراثها ، وتاريخها ، واستخراج مضمراته ، وأنه لابد أن يغمس أهل العلم عقولهم فى هذا التراث فيستخرجوا من الحقيقة القديمة حقيقة جديدة ، وأن تفجر أقلامهم من السطور القديمة سطورا جديدة • وأن هذا ما عليه الامم التى مرت بما نمر به ، فالحق فى هذه القضية هو عكس ما قر فى الاذهان وهو أنه لا خلاص لنا بادراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن •

والرواد الذين لا يكذبون أهلهم يؤكدون فى أذهانهم وقلوبهم النفرة من الانغماس فى تراث الغالبين ، ويدعونهم دائما الى العودة الى ذوات نفوسهم وأن يستخرجوا نسجهم الجديد مما بين أيديهم ، حتى يتهيأ لهم أن يظلوا متميزين •

ولما كانت الثقافة الاسلامية غالبة يوما ما وجد فيها المغلوبون من قوة الفكر وسداده ، واستقامته وجلاله ، وكثرته فى كمه وكيفه ، ما أغراهم بها ، فانصرفوا اليها ، وأداروا ظهورهم لتراثهم ، فصاح فيهم روادهم ولفتوهم الى هذا الخطر الموبق لهم حسب اعتقادهم •

وهذا صوت من هذه الاصوات •

يقول البرو القرطبى • لما وجد قومه الاسبان منصرفين الى العربية وأدبها ، وتراثها ، ومنصرفين أيضا الى محاكاة النمط الاسلامى فى السلوك كما نحاكى الآن النمط الاوربى ، « ان اخوانى فى الدين يجدون لذة كبرى ، فى قراءة شعر العرب ، وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين ،

النهج العربي القديم والمنهجية

والفلاســـفة المسلمين ، لا ليردوا عليها ، وينقضـــوها ، وانما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميــلا ، صحيحا ، وأيــن نجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الاناجيل المقدسة ؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراســـة كتابات الحواريين ، وآثار الانبياء والرسل ، يا للحسرة !! **ان الموهوبين من شـــباب النصـــارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب ، ويؤمنون بها ، ويقبلون عليها في نهم ،** وهم **ينفقون أموالا طائلة ، في جمـــع كتبهـــا ، ويصرحون في كل مكان بان هـــذه الآداب جـــديرة بالاعجاب فاذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بانها غــير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم ،** يا للألم !! لقد نسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الالف منهم واحدا يســـتطيع أن يكتب الى صاحب له كتابا سليما من الخطأ ، **فاما عن الكتابة في لغة العرب فانك واجد فيهم عـــددا عظيما يجيدونها في أســـلوب منمق ، بل هم ينظمون في شعر العرب ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا » (١) .**

وهذا نص مهم جدا لانه يصف أثر الموقف الحضـــاري في تشكيل الاراء ، وفي رؤية الاشياء ، فالثقافة الاسلامية اليوم عند بنيها ضئيلة في كمها وكيفها ، وحين كانت غالبة ، — **وهي هي — أقبل غـــير بنيها ليفيـــدوا منها المنهج الســـديد ورأوا فيهـــا حيـــوية وتوهجا أطفأ وهج النصرانية في صـــدور النصارى أنفسهم . الذي وقر في أذهاننا من أنه لا خلاص لنا الا بادراك ما عليه الفرنجة** باطل قد يلتبس على أذهان البسطاء من أهـــل الثقافة والادب ، والذي آلم هـــذا النصراني الغيور من انصراف شبيبة النصارى الى ثقافة المسلمين **هو ما حضـــنا روادنا عليه فأغروا** شباب المسلمين بثقافة النصارى ، وصرفوهم عن تراثهم وصـــار لا يقرأ أصول الثقافة الاسلامية وأمهات مصادرها الا قلة ضـــئيلة لم تستطع أن تبعث بنص الحياة والتدفق في محيطهـــا العميق الذي ركـــد منذ زمن غير قريب .

والقافلة لاتزال تســـير وعقابيل الرواذ وخلفاؤهم هم حداتها . ولن تستقيم لنا حياة أدبية — كما يقول شـــيخ أهل العلم — وهو الرائد الحق — مولانا الاستاذ محمود شاكر — **ولن تصح ولن يرجى لها صـــلاح حتى تقوم على قواعد راسخة ثابتة من طلب الحق صرفا ، ثم الابانة عن الحق بلا مداجاة ، ثم الافصاح عن حقيقـــــة ما في النفس بلا مـــواربة ، بلا تخوف ، بلا ترقب ، القائل بالحق لا يحتاج الى التنصل من ارادة الاساءة ، فان المخطىء وان جل شانه ، والمصيب مصيب وان خفى في الناس مكانه » .**

***

كان رجال التاريخ الذين اجتمـــع حولهم العلماء والشعراء يدركون أن أهم ما يحرصون عليه هو مواصلة حيوية البحث والمراجعة في

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة الدكتور حسين مؤنس والنص مقتبس من مجلة عالم الفكر المجلد الثاني عشر ابريل — مايو ، يونيو سنة ١٩٨١ ص ١٨ مقال اثر الأندلس على أوربا للأستاذ عباس الجراري .

شتى فروع المعـــرفة ، لانهم كانوا من أهل الثقافة المســـتنيرة الحقة ، وتاريخهم عامر بأخبار اقبالهم على العالم ، والمشـــاركة فى فروعه ، حتى ان بعضهم برع فى علم النغم ، واســـتخرج من الكـلام لحونا عى عـــن استخراجها الخاصـــة من أهل الصبغة ، كان العلم والادب أساس ســلطانهم • ولو كانوا اقطاعيين فسدة مفســـدين كما يقال عنهم لما قاموا رعاة وحراسا على تأسيس حضـــارة لها فى تاريخ الانسانية ما لها ، فقد تأسس كل جانب من جوانب هذه الحضارة تحت أعينهم ، وبمشاركتهم أحيانا •

وكان هؤلاء الرجال يدركون أن اللغة صورة نفوسهم ، ولسان تاريخهم ووعاء حضـــارتهم ورسالتهم ، فلابد من الحفاظ عليها صـحيحة فصـيحة ، واللحن فيها كبيرة مفزعة • روت كتب الادب عن النضر بن شميل المازنى أحـد شـــيوخ النحاة ، أنه أجرى الحديث مع المأمون ، حتى أخذ المأمون فى ذكـر النســاء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها ســداد من عوز » وفتح السين من ســداد • قال المازنى فقلت صـــدق يا أمير المؤمنين هشيم ثم روى الحديث عن طـريق آخر وكسر السين من ســـداد ، قال وكان ــ يعنى المأمون ــ متكئا فاستوى جالســا ، فقال يا نضر كيف قلت سداد ؟ قال النضر : قلت يا أمير المؤمنين الســـداد بالفتح ههنا لحن • قال ويحك ؟ أتلحننى ؟ قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت الســـــداد ــ بالفتح ــ القصـــــد فى الدين والسبيل والســـداد ــ بكسر السين ــ البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد ــ قال وتعرف العرب هذا قال نعم ، قال العرجى •

أضـــاعونى وأى فتى أضـــاعوا
ليـــوم كريهـة وســـداد ثغـر

قال قبح الله اللحن ، ثم أطرق مليا •• ثم سأل النضر عن ما له فأعطاه خمسين الف درهم وكتب بذلك للفضل بن سهل فلما عرف الفضل القصة أمر للمازنى بثلاثين الف درهم فأخـــذ المازنى ثمانين ألف درهم لتصـــــحيح هذه اللفظـــة (١) •

ولم يكن المأمون رجلا طائشــا ولا قريب الغور ، حتى نقول ان هذا ســـفه اقطاعى ، وانما هو داهية من دواهى التاريخ ، ولكنــه موقن أن عزة سلطان الامة وريحها منعكس فى لغتها ، وأن التهاون فى لسان الامة تهــاون فى تاريخها وحضارتها وذات نفسها ، وهذا معنى بدهى عند رجال السياسة الذين فقهوا تاريخهم وحضـــارتهم ، ورســالتهم ، والامم فى ذلك سواء ، ولهذا ترى أن لسان أهل الرأى فى كل أمة ينزع دائما الى اللغـــة العالية ، وكأنهم يبينون بفصـــاحتهم عن فصـــاحة تاريخهم ، ويكشفون ببيانهم عن جوهر عزتهم ، ولا ترى غير ذلك الا حيث يكون التفريط فى الجليل • والحياة الفكرية والادبية الان فى حاجة ماسة الى كبير قادر على معـــرفة قدرها فيرعاهــا ، ويستنقذها من أحضان الموت ، فقد عى الناس وانبت ما بينهم وبين الفكر والادب والنور • والعناية بالشـــعر عند هؤلاء الرجال ليس

---

(١) ينظر ديوان المعانى جا ص ١٠

لانه يصفهم بالشجاعة والجود والجمال أحيانا كما يقال ، وانما لانه هو الوسيلة القادرة على استخراج أدق ما فى اللغة من سحر وجمال فهو الذى يثير من اللغة أعذب أنغامها وأشف وأشجى لحونها ، وأصفى وأرق صورها وصياغاتها • الشعر يصقل اللغة ، ويكشف ما انطوت عليه من قدرة رائعة تندس فى غوامض النفس فتستخرج هواجسها ونوازعها ، واثارة هذه الطاقات ، واشاعتها بواسطة الشعر حتى تلامس كل قلب شىء لو تأملناه جليل • لانه ارتقاء بأخص خصائص الانسان وهى البيان وتصفية لها وتسام بها ، وهذا باب من أبواب الرقى الحضارى لا يفضله غيره • ثم هو من وجه آخر مهيىء النفوس بملكاتها البيانية الحية لتلقى كلمة الله ، ودوام الارتباط بها •

كان الخلفاء الاقطاعيون الفسدة المفسدون يدركون ذلك ويصطنعون هذا الفن الراقى فى ترقية الوجدان وصقل الفطرة ، ولذلك أجازوا على الشعر جوائز سخية ، يستوى فى ذلك شعر الوصف ، والنسيب والمدح والهجاء ، واذا كان المبتدئون فى دراسة الادب يفهمون أن الجائزة كانت موقوفة على شعر المديح فلا يجوز لشيوخه أن يغفلوا روايات التاريخ العديدة التى تحكى جوائز رجالات الامة لغير شعر المديح ، وأنها كانت تتوخى السداد والتفوق ، وحسن الاصابة ، وكأنها كانت تمنح للموهبة ، وليس ثمنا للشعر ، بل انهم — حفاوة بالشعر فى ذاته — أجازوا رواته واحتفوا بكل حفى به ، وأخبار ذلك مستفيضة • واذا جاز للبسطاء أن يفهموا أن شعر المديح هو مدح بالجود والشجاعة وجمال الوجه ، فلا يجوز لشيوخ الادب أن يغفلوا ما فى شعر المديح من فيض زاخر فى وصف أحوال النفوس وهواجسها ، والمواقف والبطولات وأن أعظم ما فى الشعر ، وأقدره على صياغة النفس وبنائها بناء شامخا متينا هو ما فى شعر المديح ، وأن أشيع ما يروى لكبار الشعراء مما مازج قلوب الناس ، وعلق بألسنتهم ، واستجاشوا به نفوسهم نحو الفعل أو الترك ، انما هو من قصائد المديح ، والفخر والهجاء ، وهذا باب واسع كما قلت فى الماضى ومحتاج الى دراسة مستفيضة تستخرج الرحابة الفسيحة والعمق الجليل ، المنطوق فى شعر المدح •

واذا جاز الأشباه العامة أن يفهموا أن هؤلاء الخلفاء الاقطاعيين الفسدة المفسدين كانوا يهتزون اهتزاز الغض تحت انبارح عندما يسمعون زائف المدح وزورة من تشبيههم فى الشجاعة بالأسد وفى الجود بالبحر ، فلا يجوز لأهل العلم أن يغفلوا مافطر الله النفوس عليه انقباضها حين سماع كذب المديح وزائفه ، وخاصة اذا كان متورما يصف البخيل بأنه أكثر فيضا من البحر ، والرعديد بأنه يصرع الأسد• ثم ان هؤلاء الخلفاء كانوا يشيرون الى

منهاج المديح اذا ضله الشعر ،تروى كتب الأدب أن الأخطل النصرانى . دخل على عبد الملك ابن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاسمع منى ، فقال ان كنت شبهتنى بالصقر والأسد فلا حاجة لى بمدحيك ، وان كنت قلت كما قالت أخت بنى الشديد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل ، وما قالت يا أمير المؤمنين ؟ قال هى التى تقول :

فما بلغت كف امرىء متناولٍ
بها المجدَ الا حيث مانلتَ أطولُ
ولا بلغ المهدون فى القول مدحة
ولو أطنبوا الا الذى فيك أفضل

فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول(١)

واضح أن هذا توجيه المدح الى تسجيل المساعى الحميدة ، وبعث أشواق النفوس اليها وأن على الممدوح الا يكون أقل فى جليل فعاله وكريم خصاله مما يصفه المدح ، وأن المدائح تتفاضل ليس بما فيها من تورم ومبالغات ، وانما تتفاضل بأقدار الممدوحين وسوابقهم فى الخير ، وعطائهم لمجتمعهم وأمتهم ، ولهذا المعنى قلنا فى المقال السابق اننا لم نر الشعر احتفل بالمغاليك المهازيل ولوكثر المال فى أيديهم وأننا لم نره يغمض عن رجل يذكر ويعد ولهذا ترى البحترى ــ وهو من كبار شعراء المديح ــ يمدح الفتح بن خاقان بتسع وعشرين قصيدة ، والفتح بن خاقان يعرفه من يعرف التاريخ وهو أفضل مما وصف البحترى مع جليل وصفه وقل مثل ذلك فى المتنبى ومدائحه

(١) ديوان المعانى جـ١ ص٢٦

لبدر بن عمار وسيف الدولة (٢) .

القول بزيف شعر المديح ، وأنه لعراقته فى الزيف زيف طبائع الشعراء ، وأفسد عليهم وعلينا الشعر كله حيث صيره زيفا ، وامتد ذلك الى النقد الذى استمد معظم قضاياه من تلك الاوضاع الشاذة . قول فيه من التطرف والمخالفة مايجعله يسقط وحده ، هذا فضلا عما عرف عن نقده الكلام من المعرفة الدقيقة بأحواله ويعدهم بخفى اسراره ولهم فى هذا معارف راقية بلغوا فيها شأوا عجيبا ، فقد أدركوا أن لسان الشاعر كريشة المصور يصف تلك النفس الحزينة وراء الوجه الضحوك ، والنفس المستبشرة وراء الوجه الباكى . وأن الكلمات كالصور تعكس ماوراءها من صدق الضمير وتزييف الخواطر ، فقد ترى الصورة بهجة طروية فاذا أمعنت رأيت خطوطا خفية وغمغمات بعيدة ، جرت بها يد المصور الصناع فأنبأتك عن خفى مكنون وراء هذا الظاهر ، وقد تكون الصورة مكتئبة داكنة فاذا راجعت لمحت

(٢) راجع دراسة مدائح المتنبى لبدر بنى عمار وسيف الدولة فيما كتبه . وسوف تجد وجها مفردا فى تحليل شعر استاذنا الأستاذ محمود شاكر المديح وتذوق بلاغته يخالف ما جرت عليه الدراسات السطحية التى اشاعت فيه مقالة السوء

خطوطا وتسمعت لحونا أنبأتك عن خفى آخر ، هكذا التصوير ، وهكذا الشعر فقد يبكى الشاعر وهو طروب وأهل الصنعة يعرفون ذلك فى لحنه ، وقد يضحك وهو حزين ونقدة الكلام هم الذين يلتقطون نغمة حزنه من بين ضجيج طربه ، قال أبو بكر بن الطيب « وقد أجمعوا أن من أحزن المصورين من صور لك الباكى المتضاحك ، والباكى الحزين ، والضاحك المتباكى ، والضاحك المستبشر . وكما أنه يحتاج الى لطف يد فى تصوير هذه الأمثلة فكذلك يحتاج الى لطف فى اللسان والطبع فى تصوير ما فى النفس للغير (١) .

ويذكر الهيلى أن نقدة الكلام يتوسمون الفاظه توسم أهل الفراسة فيعرفون حقائق معانيه ، وأن المعانى أرواح تسكن داخل الألفاظ واذا كان أهل البصيرة يتعرفون بالنظر فى الأجسام على صفات الأرواح وأحوالها وطبائعها ومنازعها فكذلك نقدة الكلام كل ذلك بنحائز النفوس وقوة خواطرها (٢) .

وكانوا يفرقون بين دقائق تلتبس عند الكثير فهناك من هو قادر على اخفاء صنعته وكده ومشقته التى يبذلها فى بناء شعره حتى يظهر كأنه مطبوع . وهناك من ترى مطبوعه كالمستعمل المصنوع، قال أبو بكر «هذا أمر وان دق قلة قوم يقتلونه علما ، وأهل يحيطون به فهما ، ويعرفونه اليك ان شئت ، ويصورونه لديك ان أردت ، ويجلونه على خواطرك ان أحببت ، ويعرفونه لفطنتك ان حاولت ، وقد قال القائل للحرب والضرب أقوام لها خلقوا وللدواوين كتاب وحساب ولكل عمل رجاله ، ولكل صنعة ناس . وفى كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ، ولكن قل من يميز فى هذا الفن خاصة ، وذهب من يحصل فى هذا الشأن الا قليلا » (٣) .

هذا بعض ماهو قائم فى صدور أهل العلم فلا يجوز لنا أن نعتقد أنهم ظلوا يحككون فى زيف ويمضغون فى زيف ، ويتذوقون ويستعذبون الزيف ، وأنهم كلما أمعنوا وجدوا فى الصنعة ازدادوا اقبالا على الزيف واستحسانه .

ونسال الله العصمة من مثل هذا انه من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ولاحول ولا قوة الا بالله ، والى أن نلتقى ..

دكتور محمد محمد أبو موسى

(١) اعجاز القرآن للباقلانى ص١١٩
(٢) راجع نتائج الفكر للسهيلى ص ١٣١
(٣) اعجاز القرآن ص ١٢٥

من قضايا اللسان العربى

الميزان الصرفى و الميزان الصوتى

للدكتور السيد رزق الطويل

منذ فجر الحضارة العربية فى ظلال الرسالة الاسلامية الخاتمة شغل العلماء والباحثون بقضايا الاعراب ، والتراكيب كما شغلوا بقضايا التصريف ، وقد برز البصريون فى الجانب الاول كما سبق الكوفيون الى الجانب الثانى ، ولم تنل القضايا الصوتية نصيبا يذكر من عناية القوم فى هذه المرحلة ، ويرجع ذلك فى تقديرى الى أسباب عدة :

منها : أن أول ظاهرة انحراف فى اللسان العربى كانت فى الاعراب ، ولذلك شلغوا أول ما شغلوا بقضاياه ، ولم تظهر صورة الانحراف فى الاداء الصوتى بالصورة المزعجة ، التى يتجرد لها القوم .

ثانيها : قراء القرآن الكريم ، وما يعرفونه للقرآن من أداء معين ، يتطلب الاخذ بخصائص صوتية معينة مثل المد بكل أنواعه ، والاظهار ، والادغام ، والاخفاء ، والاقلاب واخراج

اللسان فى الذال والظاء والثاء مما عرف فيما بعد بهذه المصطلحات باسم تجويد القرآن هذا كله ملأ القلوب طمأنينة من هذه الناحية ، ولم يجعلهم يتصورون وقوع خطر على القرآن من هذه الناحية •

ثالثها : الدراسة الصوتية لابد أن تقوم على دراسة عضوية مستمدة من علم وظائف الاعضاء وأعضاء النطق أو مخارج الحروف هى اللبنة الاولى للدراسة الصوتية ، ولم يكن هذا النوع من المعرفة قد توافر للعرب فى هذه الآونة •

وكل ما لهم من دراسات هى دراسات وصفية تحكى اختلاف اللهجات العربية ، ومنها ظاهرة قراءات القرآن التى أقرها الرسول عليه الصلاة والسلام وورد بها سند صحيح وفيها جانب كبير يتصل بالدراسة الصوتية مثل التفخيم والترقيق ، والقلقلة ، والروم ، والاشمام ، وتحقيق الهمزة وتسهيلها والامالة •

فلما تقدم الزمن بالحضارة الاسلامية أخذت الانظار تتجه للدراسة الصوتية ، والبحث فى قضايا اللغة الاساسية مثل معنى اللغة ، ونشأتها ، واختلاف اللهجات •

واذا كانت قضايا الصوت العربى من ناحية الحروف وأوصافها ، وقضايا البذ (١) والتزمين(٢) لا تلفت نظر اللغويين الاوائل ، وكانوا نحاة ، ومن الموالى ، وأنى لهم أن يدركوا خصائص

(١) بذل مجهود صوتى معين على مقطع معين

صوتية ليسوا هم من أهلها فان هؤلاء — أعنى الموالى — هم أنفسهم الذين تحدثوا فى هذا الباب أن تكاملت الدراسة النحوية والصرفية واستوعى على سوقها ، ومن هؤلاء علامة النحويين واللغويين أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ فى خلافة القادر العباسى(٣) فى كتابيه الخصائص ، وسر صناعة الاعراب •

لقد فجر قضايا لغوية وصوتية بالغة الاهمية ومنها قضية أصل اللغة وربط الدراسة الصوتية بالتصريفية والنحوية ، الشىء الذى نفتقده فى الكثير من دراستنا السابقة لعصر ابن جنى ، وفيما بعد عصره أيضا(٤) •

ومع ادراكنا لأهمية التصريف فى تقديم الابنية الصحيحة ، لتقوم عليها تراكيب صحيحة ، فهو مقدمة للنحو يجب أن نعرف أن الصرف نتيجة للدراسة الصوتية •

(٢) هو عنصر الزمن ومداه فى النطق بحروف اللغة ، والاداء الصوتى لها

(٣) معجم الادباء لياقوت الحموى ، ووفيات الاعيان لابن خلكان

(٤) يقول فى تعريف اللغة : أما حدها فانها اصوات يعبر بها كل قوم عن أعراضهم ، الخصائص حـ ١ ص ٣١

ويقول : وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد ص ٤٥

المرجع السابق • وأشار فى نفس هذا المرجع ص ٥٨ الى قصة طريقة حول اعرابى بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح ، فلما تعب ، قال : كبش أملح ، ليجد فى حرف فرصة ، فقيل له : تنحنحت ، فقال من تنحنح فلا أفلح ، فأعطى لنفسه بتكرير الحاءات الساكنة فرصة للتنحنح . مما يشير الى أن العلم بخصائص الحروف فطرة عند أصحاب هذا اللسان •

مفاعل مقاييس حول افتعل

ومع تقدم الدراســة الصــوتية فى عصرنا الحاضر ، وتلمسنا منــاهج الغرب فى هــذه الدراسة ، ومحاكاتهم فيما ابتكروه من معــامل صوتية ، فإن هناك قضــية يجب أن نضــعها نصب أعيننا هى أن اللسان العربى بما له من خصائص الابانة والوضوح يختلف عن غــيره تماما ، وفيه أصوات يندر ، أو ينعدم وجودها فى غيره ، كمــا أن القــرآن الكريم لا يحفظ اللسان العربى تصريفا واعرابا فحسب ، وانما هو حافظه من ناحية الاداء الصوتى أيضا .

ومن القضايا التى يثيرها اللغويون المحدثون قضية الميزان المقطعى بدلا من الميزان الصرفى على أساس أن الميزان المقطعى يقوم الكلمــة على ما هى عليه ، بعيدا عن النظر فى الاصول ، وأنه يتميز عن الميــزان الصرفى بأنــه يــزن الاسماء المعربة والمبينة ، والافعال الجامــدة والمتصرفة ، كما يزن الحروف أيضا ، وهــذا على نقيض الميزان الصرفى الذى يختص بمــا اختصت به الدراسة التصريفية وهى الاسماء المتمكنة والافعال المتصرفة .

والوزن المقطعى بايجاز هو عبارة عن الرمز للحرف الساكن « بالصاد » وللحركة القصــيرة عليــه بالحاء ، والحركة الطــويلة وهى التى تجلب بعــدها حرف مد واوا أو ياء أو ألفــا يرمزون لها بهذا (ح ح) .

فميزان الفعل « قرأ » على هذا يكون هكذا (ص ح ــ ص ح ــ ص ح) .

والفعل باع (ص حح ــ ص ح) والحرف « لو » على وزن (ص ح ــ ص) .

وأريد أن أناقش هذه القضية قضية الميزان المقطعى أو الصوتى الذى يراه بعض المحدثين أقوم وأهدى من الميزان الصرفى .

وأريد أن أسجل بين يدى هــذا الحوار أن من الصرفيين القدماء من خرجوا عــلى هــذا الميزان الذى يراعى الاصــل ، ويغض الطرف عن الواقع .

يقول الرضى فى الشافية : الا المبدل من تاء الافتعال يعنى تقول فى مثل اضطرب ،وازدرع افتعل ولا تقول : افطعل ، ولا افدعل ، وهــذا مما لا يسلم ، بل تقول : اضطرب عــلى وزن افطعل ، ومخصــط (مخصــت) وزنه فعلط وهراق وزنه هفعل فيعبر عن كل الزائد المبدل منه بالبدل لا بالمبدل منه » الشـــــافية حـ ١ ص ١٨ .

وقال عبد القــاهر فى المبــدل عن الحــرف الاصلى يجوز أن يعبر عنه بالمبدل فيقــال فى وزن قال انه على وزن فال(١) .

وقد تناول الصرفيون ما هو قريب من الوزن المقطعى . ففى حــديثهم عن صــيغة منتهى

(١) المرجع السابق

الميزان الصرفي والميزان الصوتي..

الجموع قالوا انها كل جمع تكسير بعد ألف تكسيره حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن ، وعبر عنها ابن هشام بقوله : الجمع الموازن لمفاعل أو مفاعيل كدراهم ودنانير(١) فنجد تحت هذا الضابط صيغا جمعية كثيرة مثل مساجد ـ فضائل ـ حواجز ـ صياقل مع أن لكل منها وزنا صرفيا خاصا هو على الترتيب : مفاعل ـ فعائل ـ فواعل ـ فياعل وهذا ما أسميه بالميزان النوعي .

ومن هذا الميزان النوعي الخارج عن سنن الميزان الصرفي الوزن التصغيري ، وهو الذي عبر عنه الرضي بقوله : وقد ينكسر هذا الاصل الممهد في أوزان التصغير ؟ اذ قصدوا حصر جميعها في أقرب لفظ وهو قولهم : أوزان التصغير ثلاثة فعيل ، وفعيعل ، وفعيعيل . ويدخل في فعيعل دريهم مع أن وزنه الحقيقي فُعَيْلِل وأُسَيْود وهو أفيعل ، ومُطَيْلِق وهو مُفَيْعِل »(٢) .

ومعني هذا أن علاج الصرفيين القدماء لما أسميه بالميزان النوعي الذي يشمل عشرات الصيغ المختلفة في ميزانها التصريفي يؤكد لنا وعيهم بكل احتياجات العملية التصريفية .

مزايا الوزن الصوتي :

كل ما يتميز به الميزان الصوتي أنه يزن الكلمة كما هي بصرف النظر عن الاصلي منها والزائد فهو مجرد تقدير صوتي للكلمة ، وقد يلتقي مع الميزان الصرفي في بعض الكلمات مثل كتب لكنه يختلف عنه في نحو « قال » و «دعاء» وهو يزن الحروف والجوامد والمبنيات والميزان الصرفي لا يتعرض لها فهو وزن ايقاعي يقرب تماما من وزن العروضيين للشعر .

وهنا أتساءل ما القيمة اللغوية لهذا الوزن الموسيقي ؟ انه لا يوصل الى شيء يعيدني مجال العملية التصريفية ، أو يلقي الضوء على تطوراتها ؟

وهنا أقول ان الميزان الصرفي في ايجاز بالغ يكشف أمام الصرفي عددا من الامور بالنسبة للكلمة الموزونة يترتب عليها نتائج ذات بال .

فمن الامور التي يكشف عنها الميزان الصرفي الاصلي والزائد من الحروف .

والبحث وراء الاصلي والزائد ليس جريا وراء أوهام ، أو سعيا وراء حفريات لغوية يمضي عليها الزمن انما هو كشف لامر نحن في أمس الحاجة اليه اذا أردنا الاتصال بتراثنا العظيم من معاجم اللغة العربية فعندما أقول : استنفد على وزن استفعل معنى هذا أن أصولها هي النون والفاء والدال ومن هنا نكشف عنها في القاموس المحيط في باب الدال فصل النون.

كما يلاحظ الميزان الصرفي حركة الحروف ملاحظة دقيقة ، ويعطي حروف المد وضعها الحقيقي بالنسبة لاصلها ، فالالف مثلا كما

(١) أوضح المسالك ص ٥٦٢ تحقيق الشيخ محيي الدين

(٢) الشافية حـ ١ ص ١٤ تحقيق محيي الدين والزفران ونور الحسن

يقول الرضى : لا تأتى أصلا فى متمكن ولكن عن واو أو ياء »(١) وبناء على هذا يزن الصرفى « باع » على فعل لان الالف أصلها ياء ، وليس هذا نوعا من الحدس وانما هو اعتماد على الصور الاشتقاقية المعروفة للفعل باع ، اذ فيها : يبيع — بيع — مبيع ، فتظهر الباء المنقلبة ألفا حقيقية واقعة أما فى الميزان القطعى فبعدها حرف ساكنا مد مدة طويلة ، وحرف ساكن عليه حركة قصيرة ، فيكون هكذا (ص ح ح — ص ح) •

والميزان الصرفى يراعى ترتيب الحروف ، وبهذا يكشف عن ظاهرة لغوية قديمة هى القلب المكانى « وهى فى تقديرى تعبير عن طور من أطوار التطور اللغوى فى حياة العرب ، ولعل العربى كان يلجأ اليها رغبة فى الخفة ، أو قصد الى التنوع فى صور التعبير اللفظى ، أو أنه صور لاختلاف لهجات القبائل »(٢) •

وبهذا تتضح دقة الصرفيين فى اختيار منهج الميزان الصرفى الذى كان أداة استخدمها النحاة والصرفيون منذ فجر الدراسة اللغوية ، فسيبويه عرض لمسائل التصريف وأوزان الصيغ المختلفة اسمية أو فعلية (٣) والمبرد(٤) كذلك من بعده عرض للميزان الصرفى وذكر قدرا كبيرا من الصيغ والاوزان •

ومن مظاهر دقة الصرفيين اختيار مادة « فعل » لتكون ميزانا لكثير من الصيغ والابنية اذ وراء هذا اعتبارات علمية دقيقة ، بعضها منهجى ، وبعضها صوتى •

أما المنهجى فسأترك الحديث عنه للعلامة الرضى ، اذ يقول فى شافيته : ومعنى تركيب « فعل » مشترك بين جميع الامثال والاسماء المتصلة بها ، اذ الضرب فعل ، وكذلك القتل والنوم »(٥) وهذا يعنى أن مادة « فعل » بما تحمله من طابع العموم وعاء شامل لكل الصيغ التى تلتقى فى هيئتها ، وتختلف فى معانيها •

وأما السبب الصوتى • فمرجعه الى أن مخارج الحروف الاصلية ثلاثة وهى الشفتان واللسان والحلق ، فأخذ من كل مخرج حرفا ، الفاء من الشفتين ، والعين من الحلق ، واللام من اللسان •

وبهذا يتبين لنا أن الميزان الصرفى عمل علمى دقيق ، له آثاره التطبيقية فى الدراسة التصريفية ، ولا حرج فى أن يبتكر اللغويون المحدثون موازين أخرى لظواهر لغوية وتصريفية وصوتية قد تعن لهم ، لكن سيبقى للميزان الصرفى فى تقديرى قيمته العلمية المؤثرة •

والله يهدينا جميعا سواء السبيل •

دكتور السيد رزق الطويل

(١) الشافية حـ ١

(٢) كتابنا ، أبنية الافعال فى اللسان العربى ص ١٠

(٣) الكتاب لسيبويه حـ٤ من ص٢٤٢ الى ص ٢٨٥

(٤) المقتضب للمبرد حـ١ ص١٥١ وما بعدها حـ ٢ ص ٩٨ حـ ٣ ص ٣٨٣

(٥) الشافية حـ ١

● الأشــــهر

● مــن آداب وشــروط الفتــوى

الحـــرم

في الإسلام

في التشريع الإسلامي

الأشهر

هى أربعة أشهر : ثلاثة متتالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب الذى بين جمادى وشعبان .. احترازا عن رجب آخر كان العرب يطلقون عليه هذا الاسم فى غير هذا الموطن بفعل النسىء الذى كان شائعا آنذاك فى الجاهلية ، ويسمى الأول رجب مضر نسبة الى قبيلة مضر التى كانت تتحرى توقيته بكل حفاظ ودقة .

والحكمة فى جعل الثلاثة الأشهر الاولى متتالية هو تأمين طريق الحج وموسمه وذلك بتحريم القتال قديما والاقتتال فيه ولو بوجه حق فى شهر سابق على موسم الحج ، وهو شهر الرحيل والسفر للبيت الحرام فى مكة .. وفى شهر الحج نفسه ، وفى شهر العودة والقفول من مكة الى الآفاق .. وأما رجب فنظرا لتباعد الشقة بينه وبين موسم الحج فقد شرع الكف فيه عن القتال ونحوه ليكون كالواحة الآمنة الوارفة الظل اليانعة الثمر وسط بحر متلاطم الأمواج من لهيب الصحراء ورمالها المتوقدة بلظى الحر .. ولفح الهجير.. وفى هذا نشر للسلام بطريق حكيم .. فقد كانت العرب أهل غارات وحروب ، ومناجزات ومساجلات قتالية .. تحت تأثير البيئة الجافة الطبع ، الغليظة القلوب والاكباد ، الكثيرة الفقر والجدب والامحال .. فكانت المعارك جزءا لا يتجزأ من حياتهم البدوية ، وفطرتهم الصحراوية .. حتى ان بعض القبائل كاد يفنى البعض الآخر كما فى حرب البسوس بين الأوس والخزرج بالمدينة والتى استمرت نيفا وثلاثين عاما مايخبو لها أوار ، ولاتخمد لها جذوة الثأر .. فاقتضت حكمة الله العليم الحكيم أن يصوغ التوقيت الزمنى .. منذ اللحظة الأولى لخلق الكون ، وانشاء توقيته على هذا الوضع المحكم الهادف ، فجعل الدورة القمرية على اثنى عشر شهرا منها أربعة حرم .. تتميز عن الثمانية الأخرى بزيادة حرمة ، وميزة صيانة وقداسة .. فتزيد فداحة سيئات الآثمين فيها عن سيئاتهم فى مثلها .. كما تتضاعف حسناتهم عن حسناتهم فى غيرها .. على مستوى الزمان كله من أوله الى آخره .. وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى :

الحُرُم

للدكتور
محمد محمد الشرقاوى

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) التوبة ٣٩

والمعنى كما فى الجلالين : ان شهور السنة المعتد بها عند الله اثنا عشر شهرا كما كتب ذلك فى اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأرض فيها أربعة حرم وتحريمها هو الدين المستقيم .. فلا تظلموا فى هذه الأشهر بالذات أنفسكم بالمعاصى فانها فيها أعظم وزرا من غيرها وان كان فى غيرها الوزر كذلك ، وقد بين ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع حين خطب الناس فى السنة العاشرة من الهجرة ومما قاله : (ألا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض .. السنة اثنا عشر شهرا .. منها أربعة حرم .. ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) والمعنى كما فى الكشاف جـ ١ : ٣٩٢ : (رجعت الأشهر الى ماكانت عليه ، وعاد الحج فى ذى الحجة ، وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية ، وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة ، وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة ، وتحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه .. سموا رجبا .. الأصم ومنصل الأسنة) لأنه لم يكن تسمع فيه قعقعة السلاح .

والنسىء المحظور : هو تأخير حرمة شهر الى شهر حلال آخر .. بتصرف شخصى بحت .. تبعا لمصلحة الناسىء الخاصة من هذا التأخير، وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا

الأشهر الحرم

جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة .. فيحلون لأنفسهم القتال فيه على أن يحرموا مكانه شهرا آخر .. كصفر مثلا بدلا من المحرم ، مع الحفاظ على عدد الأشهر الأربعة رقميا .. لاتعيينا وتخصيصا.. حتى يواطئوا .. أي يوافقوا العدة .. متجاوزين خصوص الأشهر .. فى حين أن الواجب مراعاة الأمرين جميعا : العدد والخصوصية .. وربما زادوا فى عدد شهور السنة العربية ككل.. فجعلوها ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت اللازم لانجاز حروبهم ، وشفاء غل صدورهم من بعضهم بالتقتيل والتمزيق والابادة ، وفى ذلك يحكى أن كنانة كانت قبيلة مملقة فقيرة تشيع فيها الفاقة والحاجة .. فكانت تكثر الغارة على غيرها من القبائل بحثا عن القوت .. وكان فيهم رجل مطاع الرأى مسموع الكلمة يدعى : جنادة بن عوف الكندى .. فكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول بأعلى صوته : ان آلهتكم قد أحلتلكم المحرم فأحلوه .. ثم يقوم فى العام القابل فيقول : ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه .. فجعل الله هذا النسىء زيادة فى الكفر .. لأن الكافر كلما زاد فى ضلاله زادت كمية كفره .. كما ان المؤمن كلما زادت وجدات ايمانه زادت نسبة ايمانه عن ذى قبل ، وقد حسب الجاهليون هذا النسىء حسنة من حسناتهم ، وبادرة بارعة من بنات أفكارهم .. على حين أنهم فى الضلال سادرون ، والى متاهات الغى والبوار سائرون .. وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ التوبة ٣٧ أخرج ابن جرير عن أبى مالك قال : (كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ،فيجعلون المحرمصفرا، فيستحلون فيه المحرمات ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾) ونستطيع أن نجمل المراحل التى مرت بها الأشهر الحرم فى الجاهلية والاسلام معا فيما يأتى :

١ ـ اشتملت شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام على تحريم الأشهر الحرم المعروفة فى الشريعة الاسلامية ، وسرت هذه الشريعة بأحكامها تلك الى سائر العرب ، وورثوها عنهما ، لأنهما هما اللذان رفعا قواعد البيت الحرام ، وأذن ابراهيم فيه للناس بالحج ليأتوه .. ﴿رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا

اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَارَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) .. فكانت الأشهر الحرم تأمينا للسالكين طريقهم الى الحج .. ذهابا واقامة وعودة .. وفى تفسير الجلالين : (ان ابراهيم عليه السلام بعد أن أتم بناء البيت .. نادى على جبل أبى قبيس : يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا ، وأوجب عليكم الحج اليه ، فأجيبوا ربكم ، والتفت بوجهه يمينا وشمالا ، وشرقا وغربا ، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجالوأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك) .. فكان العرب فى الجاهلية يكفون عن القتال وتوابعه .. حتى يتسامح الرجل مع من له عليه ثأر .. تقديسا لحرمة الأشهر الحرم الأربعة ، واستمر العمل على هذا المنوال .. على الحقيقة مرة ،وعلى النسىء مرات .. حتى جاء الاسلام فأقرهم على ذلك، وسايرهم فيه ، وعاملهم على مقتضاه .. وهذه هى المرحلة الأولى .

٢ ــ والمرحلة الثانية هى مرحلة الاستثناء من قاعدة هذا الخطر العام للقتال فى الأشهر الحرم ، وذلك بمبدأ المعاملة بالمثل بعد الامتناع من جانب المسلمين عن البداءة بالعدوان ،وذلك بقوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَاتَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة ١٩٠ عن الربيع بن أنس رضى الله عنه قال : (هذه أول آية نزلت فى القتال بالمدنية .. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ، ويكف عمن يكف عنه ، وقبل قتال بدر بشهرين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ليترصدوا عير القريش فيها عمرو بن الحضرمى وثلاثة معه .. فقتلوه وأسروا اثنين، واستاقوا العير ، وفيها من تجارة الطائف .. وكان ذلك أول يوم من رجب ، وهم يظنونه من جمادى الآخرة ، فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام .. شهرا يأمن فيه الخائف ، وينذعر الناس الى معايشهم ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير ، وعظم ذلك على أصحاب السرية ، وقالوا : مانبرح حتى تنزل توبتنا ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير الى أصحابها .. كما رد الأسيرين .. فنزل قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ .. قُلْ : قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ .. وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) البقرة ٢١٧ .. وفى الكشاف جـ ١ ١٠٠ قصة عبد الله بن محسن السالفة الذكر.. ومعنى ذلك : أن المسلمين الى ماقبل غزوة بدر بشهرين كانوا ملتزمين بحرمة الأشهر الحرم فيما يتعلق بخطر القتال فيها مطلقا .. حتى نزلت الآيات التى تبيح لهم خرق هذا الحظر بقاعدة المعاملة بالمثل ، وجواز ارتكاب أخف الضررين .. وتأكد ذلك فى عمرة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة .. ففى تفسير الجلالين : (لما صد المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ، ويخلى ولأصحابه مشركو مكة الحرم ثلاثة أيام ليقضوا عمرتهم ، وتجهز الرسول وصحبه لعمرة القضاء .. خاف أصحابه الا تفى لهم قريش بالعهد السابق ، وأن

يقاتلوهم •• مع كراهية المسلمين لقتالهم فى الحرم ، والاحرام ، والشهر الحرام •• فنزل قوله تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة ١٩١ •• وفى هذه المرحلة رفع الجناح عن المسلمين فى القتال فى الأشهر الحرم معاملة للمشركين بالمثل ، وأطلقت يدهم فى قتال الذين يقاتلونهم فى الحرم أو فى الاحرام أو فى الشهر الحرام بشرط عدم الابتداء بالعدوان ، وتأيد ذلك بقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة ١٩٤

والمعنى كما فى الجلالين : الشهر الحرام مقابل بالشهر الحرام فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم فى مثله ، وهو رد لاستعظام المسلمين ذلك ، والحرمات التى يجب احترامها قصاص •• أى يقتص بمثلها اذا انتهكت •• فاعتدوا على من اعتدى عليكم بمثل ما اعتدى ، واتقوا الله بترك العدوان وفى نصركم والله مع المتقين بالعون والنصر وقد فسر الكشاف آية : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ •

بأن القتال فى الشهر الحرام شىء كبير •• ولكن هناك ما هو أكبر منه ، وهو الفتنة المتمثلة فى كبائر قريش •• من صدهم عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام ، وكفرهم بالله ، واخراج أهل المسجد الحرام منه وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه •• فهذا كله أكبر مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن •• ومع هذا فقد ظن قوم أن أصحاب السرية وان سلموا من الاثم فقد حرموا من الأجر •• فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة ٢١٨ •• وهكذا نرى فى تلك المرحلة الثانية للأشهر الحرم أن حظر القتال فيها هو القاعدة وأن المعاملة بالمثل هو الاستثناء •

٣ ــ لما كان الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الدين ، واعزاز أهله قمة العبادات ؛ وذروة الطاعات بعد الايمان بالله والاقرار لرسوله بالبلاغ ، ونظرا لما له من أثر حاسم فى تأمين الدعوة والدعاة وحفظ الأوطان وسلامة العقائد •• حتى تمناه الرسول صلى الله عليه وسلم وتمنى القتل فيه ثلاث مرات بقوله (والله لقد وددت أن أغزو فى سبيل الله ثم أقتل ، ثم أغزو ثم أقتل ثم أغزو ثم أقتل) •• فقد نسخ حظر القتال فى الأشهر الحرم وصار مباحا فى كل شهور السنة لاعلاء كلمة الله تعالى ونصرة المسلمين ، وصار الجهاد ماضيا الى يوم القيامة بلا نسخ ولا توقيت الا على أصحاب العهود والمواثيق : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ •• ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ فان خيف منهم الغدر والخيانة ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ وعلى ذلك تكون المرحلة الثالثة والأخيرة فى الاشهر الحرم هى اباحة القتال فيها لغير المعاهدين وفى الكشاف جـ ١ : ١٠١ :

(أكثر الأقاويل على أن آية (يسألونك عن الشهر الحرام ..) منسوخة بقوله تعالى (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) التوبة ٤ أى اقتلوهم فى أى مكان تجدونهم فيه من حل أو حرم .. وكان المشركون قد تبرأ الله من معاهداتهم ورسوله فى قوله تعالى أول سورة براءة : **(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ..)** ثم قال : **(فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ..)** أى قولوا للمشركين حينئذ .. سيحوا فى الارض آمنين أربعة أشهر والمعنى : أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهم .. أى بعد أن نكثوا عهدهم حين عدت بنوبكر على خزاعة حليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو ابن سالم الخزاعى مستجيرا بالرسول ومنشدا:

لاهم .. انى ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيك الأتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام : (لانصرت ان لم أنصركم) .. كما تم النسخ بقوله تعالى : **(واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل)** البقرة ١٩١ وقد فعل بهم ذلك عام الفتح .. كما تأكد النسخ بقوله تعالى : **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)** التوبة ٢٩ .. وهو عام فى كل الاشهر .. ويقوله تعالى : **(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)** التوبة ٣٦ وفى تفسير الجلالين : أى جميعا وفى كل الشهور .. ولم يخالف فى القول بالنسخ الا عطاء رضى الله عنه .. فانه يرى أن الأشهر الحرم لايجوز فيها القتال ولا الغزو مطلقا ــ الا فى حال رد العدوان ــ وقد روى أنه سئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه ومانسخت جـ ١ : ١٠١ الكشاف .. الا أنا نجد فى تفرد عطاء بهذا القول دليلا غير راجح .. فى مقابلة القول المخالف له عند جمهرة المفسرين والمحدثين والفقهاء .. ومع ذلك فنستطيع أن نقول : ان حرمة الأشهر الحرم مازالت قائمة فى غير القتال .. على معنى أن الحسنة فيها أعظم منها فى غيرها كما ان المعصية فيها أسوأ وأعظم وزرا منها فيما سواها .

وبذلك يبقى للأشهر الحرم اسمها وحرمتها وامتيازها على سائر الشهور.. وهو ما أراده الله لها يوم خلق السماوات والأرض وقد نهانا فيها بالذات عن ظلم أنفسنا .

د . محمد محمد الشرقاوى

من آداب وشروط الفتوى

الفتوى أو الفتيا لغة هى الجواب عما يشكل من الأمور ــ يقال استفتيت فأفتانى بكذا ويقال أفتاه فى المسألة يفتيه اذا أجابه ــ قال تعالى :

١ ــ (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) سورة النساء ١٢٧ •

٢ ــ (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) سورة الصافات ١١ •

٣ ــ ويقول سبحانه حكاية عن أحد ملوك مصر الأقدمين فيما رأى من رؤيا أفزعته (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) سورة يوسف ٤٣ •

أما معنى الفتوى شرعا فهو الاخبار عن حكم الله تعالى بمقتضى الادلة الشرعية على جهة العموم والشمول •

حكم الفتوى

هو فرض كفاية اذا وجد غير هذا المفتى فى الناحية أو بمكان قريب دون مسافة القصر لكن يتعين الافتاء اذا لم يوجد غيره ممن تتضح منه الفتوى فى الناحية •

من يصلح للفتوى من الناس :

لا تصلح مرتبة التبليغ بالفتوى الا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالما بما يبلغ صادقا فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضى السيرة ــ عدلا فى أقواله متشابه السر والعلانية عليه حلم ووقار وسكينة ومعرفة بأحوال الناس والمقصود بالعلم هو العلم بما فى القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكام أو بيان •

خطورة مكان المفتى :

المفتى فى قيامه باصدار الفتوى يخبر عن الله تعالى وعن دينه فان لم يكن خبره مطابقا لما شرعه الله كان قائلا عليه بغير علم ولكن اذا اجتهد واستفرغ وسعه فى معرفة الحق وأخطأ لم يلحقه الوعيد وعفى له عما أخطأه وأثيب على اجتهاده •

لكن مما تجدر الاشارة اليه أن هذا المفتى لايجوز له أن يقول بما أداه اليه اجتهاده ولم يظفر فيه بنص عن الله ورسوله (أن الله حرم

فى الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

كذا ــ وأوجب كذا ــ وأباح كذا) ويحرم على من يفعل ذلك الافتاء .

وكما يحرم كذلك الرأى لم تشهد له النصوص بالقبول يقول جلت كلماته (**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) سورة القصص ٥٠ .

ويقول سبحانه (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**) **سورة الجاثية ١٨ .**

فمن النصوص السابقة يتبين التوجيه الالهى للنبى صلى الله عليه وسلم باتباع شريعة الله المنزلة عليه والعمل بها والامر لأمته باتباعه ونهيه سبحانه عن اتباع الرأى التابع من الهوى .

تحريم الفتوى بغير علم

حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم فى الفتوى والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله فى المرتبة العليا من التحريم قال تعالى :

« **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) سورة الأعراف ٣٣ .

فرتب سبحانه وتعالى المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو (الفواحش) ثم ثنى بما هو أشد منه وهو (الاثم والظلم) ثم ذكر الشرك بالله لانه ظلم عظيم ثم جاء بعد ذلك بما هو أشد تحـ[illegible] كله وهو (القول عليه بلا علم [illegible] ـول على الله سبحانه بغير [illegible] وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه .

من آداب وشروط الفتوى في الإسلام ..

٢ ــ وقال تعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) سورة النحل ١١٦ •

وهذا بيان صريح من الله سبحانه بأنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام الا بما علم أن الله سبحانه أحله أو حرمه بنص قاطع •

٣ ــ ويؤكد هذا النظر ما جاء فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أميره (بريدة) أن ينزل الأعداء اذا حاصرهم على حكم الله وقال (فانك لا تدرى أتصيب فيهم حكم الله أم لا ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك) كتاب أعلام الموقعين الجزء الاول للامام محمد ابن القيم •

فهذا نهى من النبى صلى الله عليه وسلم أن يسمى حكم المجتهد حكم الله والمراد أن الله سبحانه وتعالى حرم القول عليه بلا علم فى أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه •

من يجوز له الافتاء اذا كان مستوفيا للشروط

الفتيا أوسع من القضاء والشهادة ــ ولذا يجوز أن يقوم بها العبد والحر والمرأة والرجل ــ والقريب والبعيد والاجنبى والأمى والقارىء والناطق والاخرس بكتابته والعدو والصديق ــ لكن لا تقبل فتيا من لا تقبل شهادة له كالشهادة •

ما ينبغى للمفتى أن يراعيه عند الافتاء :

ذكر الامام ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين كثيرا مما يجب على المفتى مراعاته نذكر بعضا منها : ــ

أولا : ينبغى للمفتى الموفق اذا نزلت به المسألة أن ينبعث من قبله الافتقار الحقيقى المجرد الى ملهم الصواب ومعلم الخير ــ وهادى القلوب أن يلهمه الصواب ــ ويفتح له طريق السداد ويدله على حكمه الذى شرعه لعباده فى المسألة المعروضة عليه ــ فمتى قرع هذا الباب فقد قرع باب التوفيق ــ فاذا وجد من قلبه هذه المهمة فهى طلائع بشرى التوفيق فعليه أن يوجه وجهه الى منبع الهدى وهو النصوص من القرآن والسنة النبوية المطهرة وآثار الصحابة فان ظفر بذلك أخبر به وان اشتبه عليه بادر الى التوبة والاستغفار والاكثار من ذكر الله فان العلم نور الله يقذفه فى قلب عبده والهوى والمعصية رياح عاصفة تطفىء ذلك النور أو تكاد ولابد أن تضعفه •

ثانيا : **واذا سئل المفتى فى مسألة فاما أن يكون عالما بالحق فيها أو غالبا على ظنه بحيث قد استفرغ وسعه فى طلبه ومعرفته أولا ــ فان لم يكن عالما بالحق فيها ولاغلب على ظنه لم يحل له أن يفتى بما لا يعلم كما قدمنا •**

واذا كان من أفتى بغير علم مرتكبا لأعظم الكبائر فكيف من أفتى بما يعلم خلافه فمن أفتى عما يعلم خلافه فهو كاذب على الله عمدا يقول جلت كلماته (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) سورة الزمر ٦٠ كما يقول سبحانه (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ـ أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) سورة هود ١٨ .

ثالثا : وان كان المفتى يعرف فى المسألة ما قاله الناس ولم يتبين له الصواب من أقوالهم فله أن يذكر للسائل فيقول فيها اختلاف بين العلماء ويحكيه ان أمكنه للسائل .

رابعا : ان كان السائل قد حضره وقت العمل وقد احتاج الى السؤال فيجب على المفتى المبادرة على الفور الى جوابه ولا يجوز له تأخير بيان الحكم له عن وقت الحاجة ـ كما عليه أن يبين الجواب للسائل بيانا واضحا مزيلا للاشكال متضمنا لفضل الخطاب أما اذا سئل عن الحادثة قبل وقوعها فلا يجب على المفتى أن يجيبه عنها ـ وقد كان السلف الصالح اذا سئل أحدهم عن مسألة يقول للسائل هل كانت أو وقعت ؟ فان قال لا لم يجبه وقال دعنا فى عافية وهذا لأن الفتوى بالرأى لاتجوز الا عند الضرورة فالضرورة تبيحه كما تبيح الميتة عند الاضطرار وهذا انما هو فى مسألة لا نص فيها ولا اجماع فان كان فيها نص أو اجماع فعليه تبليغه بحسب الامكان فمن سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ـ هذا اذا أمن من المفتى غائلة الفتوى فان لم يأمن غائلتها وخاف من ترتب شر أكثر من الامساك عنها أمسك عنها ترجيحا لدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما وقد أمسك النبى صلى الله عليه وسلم عن نقض الكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام لأجل حدثان عهد قريش بالاسلام وأن ذلك ربما نفرهم عنه بعد الدخول فيه ـ وكذلك ان كان عقل السائل لا يحتمل الجواب عما سأل عنه وخاف المسئول أن يكون فتنة له أمسك عن جوابه .

خامسا : للمفتى أن يعدل عن جواب المستفتى عما سأله عنه الى ما هو أنفع له منه وذلك من كمال علم المفتى ونصحه ومثاله قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) سورة البقرة ٢١٥ فسألوه عن المنفق فأجابهم بذكر المصرف اذ هو أهم مما سألوه عنه ونبههم عليه بالسياق مع ذكره لهم فى موضع آخر وهو قوله تعالى (قل العفو) سورة البقرة ١٩ وهو ما سهل عليهم انفاقه ولا يضرهم اخراجه .

سادسا : ويجوز للمفتى أن يجيب بأكثر مما سأله السائل وهو من كامل نصحه وعلمه وارشاده ومن غاب ذلك فلقلة علمه وضيق عظته وضعف نصحه ومثاله أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الوضوء بماء البحر فقال لهم (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) .

سابعا : ومن فقه المفتى ونصحه اذا سأله المستفتى عن شىء فمنعه منه وكانت حاجته تدعوه اليه أن يدله على ما هو عرض له منه فيسد عليه باب المحظور ويفتح له المباح وهذا من كمال خلق الرسل وورثتهم من بعدهم ومثاله أن عبد المطلب بن ربيعة بن

من آداب وشروط الفتوى في الإسلام ..

الحارث والفضل بن عباس سألا النبى صلى الله عليه وسلم أن تستعملها فى جباية الزكاة ليصيبا مايتزوجان به منعهما من ذلك وأمر محمية بن جزو وكان على الخمس أن يعطيهما ما ينكحان به فمنعهما من الطريق المحرم وفتح لهما الطريق المباح وهذا اقتداء منه بربه سبحانه فانه يسأله عبده الحاجة فيمنعه اياها ويعطيه ما هو أصلح له وأنفع منها وهذا غاية الكرم والحكمة (أعلام الموقعين للامام محمد بن القيم) .

ثامنا : وعلى المفتى اذا أفتى السائل بشىء أن ينبهه على وجه الاحتراز مما قد يذهب اليه الوهم منه من خلاف الصواب ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (**لا يقتل مؤمن بكافر – ولا ذو عهد فى عهده**) فأتبع صلوات الله وسلامه عليه الجملة الأولى بالثانية رفعا لتوهم اهدار دماء الكفار مطلقا وان كانوا فى عهدهم (**أعلام الموقعين للامام ابن القيم**) .

ومن ذلك قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**) سورة الطور ٢١ .

فلما أخبر سبحانه بالحاق الذرية ولا عمل لهم بأبائهم فى الدرجة فربما توهم متوهم أن يحط الآباء الى درجة الذرية فرفع هذا التوهم بقوله (وما التناهم من عملهم من شىء أى مانقصنا من الآباء شيئا من أجور أعمالهم بل رفعنا ذريتهم الى درجتهم ولم نحطهم الى درجتهم ينقص أجورهم – ولما كان الوهم قد يذهب أنه يفعل ذلك بأهل النار كما يفعله بأهل الجنة قطع هذا الوهم بقوله تعالى (**كل امرىء بما كسب رهين**) سورة الطور ٢١

تاسعا : ويجب على المفتى أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك ولا يلقيه الى المستفتى ساذجا مجردا عن دليله ومأخذه ومن تأمل فتاوى النبى صلى الله عليه وسلم رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم (لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) فذكر لهم الحكم ونبههم على علة التحريم . ورد هذا الحديث حتى لفظ (خالتها) فى صحيح الامام مسلم القشيرى – اما باقى الحديث من لفظ (فانكم الى آخره فقد قال القرطبى ذكره أبو محمد الأصيلى فى فوائده وابن عبد البر وغيرهما) .

عاشرا : واذا كان الحكم الذى يلقيه المفتى مستغربا جدا مما لم تألفه النفوس وإنما ألفت خلافه فينبغى له أن يوطىء قبله ما يكون مؤذنا به كالدليل عليه والمقدمة بين يديه ومثال ذلك ما ذكره سبحانه فى قصة زكريا عليه السلام واخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشبيبة وبلوغه السن الذى لا يولد فيه لمثله فى العادة فذكر قصة مقدمة بين يدى قصة المسيح وولادته من غير أب – فان النفوس اذا أنست يولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب – وكذلك ذكر سبحانه قبل قصة المسيح موافاة مريم رزقها فى غير وقته وغير ابانه – وهذا

الذى شجع نفس زكريا وحركها لطلب الولـــد وان كان فى غير ابانة •

حادى عشر : وعلى المفتى أن يحلف عـــلى ثبوت الحكم عنده ليشعر السائل أنه على ثقة ويقين مما قاله له وأنه غير شاك فيه وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحلف على ثبوت الحق الذى جاء به فى ثلاثة مواضع من كتـــابه •

أحدهما قوله تعالى (**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ**) سورة يونس ٥٣ •

والثانى : قوله تعالى (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـالِمِ الْغَيْبِ**) سورة سبأ ٣ •

والثالث : قوله تعالى (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَـرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**) سورة التغابن ٧ •

وقد أقسم النبى صلى الله عليه وسلم على ما أخبر به من الحق فى أكثر من ثمانين موضعا وهى موجودة فى الصحاح والمسانيد •

وقد كان الصحابة رضـــوان اللــــه عليهـم يحلفون على الفتاوى والرواية ومثاله قـــول على بن أبى طالب كرم الله وجهه لابن عباس فى متعة النساء انك امرؤ تائه فانظر ما تفتى به فى متعة النساء فوالله وأشهد بالله لقد نهى عنها رســـــول الله صـــــلى الله عليه وآله وسلم — ولما ولى عمر رضى الله عنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان رســـول الله صلى الله عليه وسلم أحل المتعة ثلاثا ثم حرمها ثلاثا فأنا أقسم بالله قســـما لا أجـــد أحدا من المسلمين متمتعا الا رجمتـــــه الا أن يأتى بأربعة من المسلمين يشهدون أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم أحلها بعد أن حرمها •

وقد حلف الشافعى فى بعض أجوبته فقـــال محمد بن الحكم سألت الشافعى رضى الله عنه عن المتعة كأن يكون فيها طلاق أو مــــيراث أو نفقة أو شهادة فقال لا والله ما أدرى •

وقال يزيد بن هارون من قال القرآن مخلوق أو شىء منه فهو والله عندى زنديق •

كما حلف الامام أحمد على مسائل من فتاويه مثاله لما قيل له أيزيد الرجل فى الوضوء على ثلاث مرات فقال لا والله الا رجـــل مبتـــلى يعنى بالوسواس وسئل من قال القرآن مخلوق كافر ؟ فقال اى والله •

ثانى عشر : وينبغى للمفتى أن يفتى بلفظ النص مهما أمكنه فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان الصحابة والتابعـــون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحرى أما الرغبة عن النصوص بألفاظ أخرى فانها لا تفى بما تفى به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيـــان — والتقيـــد بألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب •

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلوا عن مسألة يقولون قال اللـــه كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعل رسول الله كذا ولا يعـدلون عن ذلك

من آداب وشروط الفتوى في الاسلام ..

ما وجدوا اليه سبيلا قط فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما فى الصدور .

ثالث عشر : لا يجوز للمفتى اطلاق الفتوى فى مسألة فيها تفصيل الا اذا علم أن السائل انما سأل عن أحد تلك الأنواع بل اذا كانت المسألة تحتاج الى التفصيل استفصله ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم لمن سألته هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت ؟ فقال نعم اذا رأت الماء فتضمن هذا الجواب الاستفصال بأنها يجب عليها الغسل فى حال ولا يجب عليها فى حال .

رابع عشر : على المفتى أن يكون حذرا فطنا ولا يحسن ظنه بكل أحد وهذا ما حمل بعض المفتين على أنه كان يقيد السؤال عنده فى ورقة ثم يجيب فى ورقة السائل — ومنهم من كان يكتب السؤال فى ورقة من عنده ثم يكتب الجواب .

خامس عشر : وللمفتى ان كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغى له أن يشاوره ولا يستقل بالجواب ذهابا بنفسه وارتفاعا بها أن يستعين على الفتاوى بغيره من أهل العلم وقد أثنى الله سبحانه فى سورة الشورى على المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم وقال تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم (**وشاورهم فى الأمر**) سورة آل عمران ١٥٩ .

حكم فتيا الفاسق :

الفاسق ان أفتى غيره لم تقبل فتواه — وليس للمستفتى أن يستفتيه لكن له أن يعمل بفتوى نفسه ولا يجب عليه أن يستفتى .

أما بالنسبة لمستور الحال فيجوز استفتاؤه وافتاؤه ويقول فى ذلك الامام محمد بن القيم فى كتابه أعلام الموقعين تقبل فتوى الفاسق الا أن يكون معلنا بفسقه داعيا الى بدعته فحكم استفتائه حكم امامته وشهادته .

من هو الذى يتخير للفتوى وما يجوز وما لا يجوز له :

والواجب أن يتخير للفتوى الأصلح فالأصلح عنده القدرة على ذلك ويجوز للمفتى أن يفتى أباه وابنه وشريكه ومن لا تقبل شهادته له وان لم يجز أن يشهد له ولا أن يقضى له .

ولا يجوز للمفتى ان يحابى من يفتيه فيفتى اباه وابنه وصديقه بشىء ويفتى غيرهم بضده محاباة فهذا يقدح فى عدالته الا أن يكون هناك ثم سبب يقتضى التخصيص غير المحاباة بأن كان فى المسألة قولان أحدهما بالمنع والآخر بالاباحة فيفتى ابنه وأباه وصديقه بالاباحة ويفتى غيرهم بالمنع — وهذا أيضا لا يمكن أن يقبله عقل فضلا عن عدالة المفتى فان الواجب عليه أن يفتى بأرجح الادلة — ولا يعقل أن يكون الترجيح تارة فى جانب الاباحة وتارة فى جانب المنع والسبب واحد فواجب على المفتى أن يكون المستفتى أيا كان عنده سواء فحكم الله واحد لا يتعدد .

ويجوز للمفتى أن يفتى نفسه كما جاز أن يفتى غيره فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (استفت نفسك وان أفتاك المفتون) كتاب أعلام الموقعين للامام ابن القيم الجزء الرابع.

لكن لا يجوز له أن يفتى نفسه بالرخصة وغيره بالمنع بل يفتى نفسه بما يفتى غيره به

كما لا يجوز له اذا كان فى المسألة قولان قول بالجواز وقول بالمنع أن يختار لنفسه قول الجواز ولغيره قول المنع ٠

ولا يجوز للمفتى أن يعمل بما شاء من الأقوال والوجوه من غير نظر فى الترجيح بل يكتفى فى العمل بمجرد كون ذلك قاله امام أو وجها ذهب اليه جماعة فيعمل بما شاء من الاقوال والوجوه لأنه رأى أن هذا القول يوافق غرضه وغرض من يريد محاباته فيعمل به ويفتى به ويفتى عدوه بعكسه فهذا مما يوصف بأنه حكم بالهوى والتشهى وهو من أكبر الكبائر وحرام باتفاق الأئمة ٠

الفرق بين الافتاء والقضاء :

يشترك علم الفتوى مع القضاء فى أن كليهما اخبار عن حكم عام شرعى — الا أن علم الفتوى لا الزام فيه ولذا يكون المفتى أقرب الى السلامة من القاضى لأنه لا يلزم بفتواه وانما يخبر بها من استفتاه فان شاء قبل قوله وان شاء تركه ٠

والقاضى عليه أن يتبع الحجج التى هى البينة والاقرار ونحوهما بالاضافة الى الأدلة والمفتى يعتمد ويتبع الأدلة التى هى الكتاب والسنة ونحوهما وهو يجرى مجرى الرواية لهذا يدخل المفتى فى حكم الفتوى التى يفتى بها كما يدخل الراوى لكن القاضى حكمه يخص المحكوم له فقط ٠

حكم فتوى القاضى :

لا فرق بين القاضى وغيره فى جواز الافتاء بما تجوز به الفتيا ووجوبها اذا تعينت — ولم يزل أمر السلف والخلف على هذا فمنصب الفتيا داخل ضمن منصب القضاء عند الجمهور الذين لا يجوزون قضاء الجاهل — فالقاضى مفت ومثبت ومنفذ لما أفتى به ٠

وذهب بعض الفقهاء من أصحاب الامام الشافعى والامام أحمد الى أنه يكره للقاضى أن يفتى فى مسائل الاحكام المتعلقة به دون الطهارة والصلاة والزكاة ونحوها من أمور العبادات واحتجوا بأن فتيا القاضى تصير كالحكم منه على الخصم ولا يمكن نقضه وقت المحاكمة ولانه قد يتغير اجتهاده وقت المحاكمة أو تظهر له قرائن لم تظهر له عند الافتاء ٠

فان أصر القاضى على فتياه والحكم بموجبها حكم بخلاف ما يعتقد صحته — وان حكم بخلافها تطرق الخصم الى التشنيع عليه واتهامه بأنه يحكم بخلاف ما يعتقده ويفتى به ٠

ولهذا قال شريح القاضى حين استفتى (أنا أقضى ولا أفتى) ٠

وعلى العموم فان فتيا القاضى ليست حكما منه فلو حكم غيره بخلاف ما أفتى به لم يكن نقضا لحكمه ٠

وجه بطلان الفتوى :

تبطل فتوى المفتى اذا ما خالفت نص القرآن الكريم والسنة النبوية أو خالفت ما أجمع عليه المسلمون أو خالفت قياسا واضحا ٠

من آداب وشروط الفتوى في الإسلام

حكم خطأ المفتى :
اذا ثبت أنه اجتهد فى الوصول الى فتواه باستقصاء الادلة ولم يقصر فى محاولة الوصول الى الحق ومع ذلك أخطأ فى فتواه كان على بيت المال ضمان هذا الخطأ .
أما اذا ثبت تقصيره فى ذلك فعليه ضمان الخطأ لأنه حينئذ تجب معاملته بصفته شخصا عاديا .

آداب الفتوى :
يشترك علم الفتوى مع القضاء فى الآداب المطلوبة فيمن يعمل فيهما : —
فليس للمفتى الفتوى فى حال الغضب الشديد أو الجوع المفرط أو الهم المقلق أو الخوف المزعج أو النعاس الغالب أو شغل القلب المستولى عليه أو حال مدافعة الأخبثين — بل متى أحس من نفسه شيئا من ذلك يخرجه عن حال اعتداله وكمال تثبته وتبينه أمسك عن الفتوى لكن ان أفتى فى حالة من الحالات السابقة بالصواب صحت فتياه .

أول من قام بمنصب الفتيا فى الاسلام :
أول من قام بهذا المنصب هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فكان يفتى بوحى الله رب العالمين وكانت فتاويه صلى الله عليه وسلم جوامع الأحكام ومشتملة على فصل الخطاب وهى فى وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم اليها فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ما لم يكن نقلها متواترا باعتبارها سنة ليس لاحد من المسلمين العدول عنها ما وجد اليها سبيلا — وقد أمر الله سبحانه المسلمين عند حدوث المنازعات بالرد اليها حيث يقول **(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)** سورة النساء ٥٩ .

الفتوى فى عصر الصحابة والتابعين :
ثم قام بالفتوى من بعد النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم فى حضرته وبأمره كما فى فتوى سعد بن معاذ حين حكمه الرسول فى بنى قريظة وهم قوم من اليهود كانوا يقيمون فى ضواحى المدينة نقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم وحاربوا المسلمين وانضموا للمشركين وقد يكون افتاء الصحابة بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدث بعد غزوة الخندق اذ أمر أصحابه الا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فقد رأى بعضهم أن المراد بذلك الاسراع لا تأخير صلاة العصر ورأى آخرون حظر صلاة العصر الا هناك فلم يصلها الا بعد العشاء الأخيرة — ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد منهم مارآى .

وعلى هذا كان اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من التابعين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين منهم وان كانوا يكرهون التسرع فى الفتوى ويود كل واحد منهم أن يكفيه اياها غيره فاذا تعينت عليه بذل جهده فى معرفة حكمها

مسترشدين بما حفظوا من كتاب الله وبما وعوه من أحكام أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عرضت عليه من أقضية وما سئل عنه من مسائل ناهجين منهجه مستنين سنته مستعينين بما مرنوا عليه من استنباط أقرهم عليه دربة اكتسبوها من مراجعة بعضهم بعضا فيما حدث لهم من الأحداث أو نزل بهم من الوقائع ولم يكن ذلك متوافرا فى كل فرد منهم بل اختص به قلة اصطفاهم الله بما أعطاهم من نفاذ نظر وسلامة تقدير ووزن وحسن ادراك ودقة ملاحظة قد هيأ لهم ما صاروا اليه من الأهلية والقدوة والأسوة والمتابعة فيما يفتون فى المسائل التى تعرض عليهم والوقائع التى استجدت فيهم ولم يكن لهم سبيل الى تعرفها الا البحث عن المصلحة التى رآها الشارع فى أحكامه أين تكون لأنها دليل حكم الله فيها وكان بحثهم يقوم ·

(أ) تارة على الحاق الشبه بشبيهه ·

(ب) وتارة على تطبيق قاعدة عامة استنبطوها من أحكام الشريعة العديدة التى قامت عليها واستندت اليها ·

(جـ) وتارة يقوم على مراعاة العرف ومتابعته لأن جريان العرف دليل ارادته وقصده وأن المصلحة فيه حيث لا نص ·

(د) وتارة يقوم على المصلحة المعتبرة من الشارع دون مقايسة أو تطبيق لقاعدة أو مراعاة لعرف بانين نظرهم على اطمئنان النفس بوجودها حيث انتهى نظرهم كما هو

واضح فيما أشار به عمر بن الخطاب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بضرورة جمع القرآن فلما أبى الصديق أن يستجيب الى مادعاه اليه استنادا الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله رد عليه عمر رضى الله عنه بقوله (هو والله خير) ولاشك أنه كان يعنى بالخير ما فيه صلاح الاسلام والأمة فهو قد احتج بالمصلحة ورأى أبو بكر رضى الله عنه أنها حجة سليمة فأقر عمر على فتياه واقتنع بها وطلب من زيد بن ثابت القيام بهذه المهمة ·

من آداب وشروط الفتوى في الإسلام

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد آثر العقل فى كتابه وجعله المرجع فى النظر والاستدلال على أصول الدين وعقائده — وجعل له السلطان الأعلى فى ادراك معانى الخير والحق ودعا الى تحكيمه فى أكثر من (٣٠٠) ثلاثمائة آية من كتابه وعاب الذين لا يحكمون عقولهم وأزرى بهم ازراء شديدا لم يكن من الجائز اهمال العقل فى مجال الأحكام الفرعية اذا ما دل على تخصيص أو تقييد أو عموم أو اطلاق تحقيقا للمصلحة التى جعلها الشارع مناط أحكامه وأصل شرعه كما أن دليل العقل يكون بيانا للنص والارشاد الى تعرف مما يراد منه عنده .

*** كما أن نصوص الشريعة الاسلامية هى مرجع المفتى وعلى ضوئها يصدر فتواه فهى عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه — وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها — وهى نوره الذى به أبصر المبصرون وهداه الذى به اهتدى المهتدون — وطريقه المستقيم الذى من استقام على سواء السبيل — وكل خير فى الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها وكل نقص فى الوجود فسببه من اضاعتها وهى العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا فهى عماد صلاح هذا العالم وقطب الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة يقول ربنا جلت كلماته (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة الانعام ١٥٣ .**

محمد عزت الطهطاوى

من حضارة الإسلام

○ هل هناك فلسفة إسلامية أصيلة ؟

○ التربية الصوفية (٤)

○ مع منهج السيرة لابن هشام تفسير للنبوة

○ وسائل إعداد الدعاة

○ هل يستعيد المسلمون حضارتهم ؟

○ السنة ومكانتها فى الشريعة الإسلامية

قراءة فى رسالة الغفران " دنانير ابن القارح

هل هناك فلسفة

ان هذا السؤال يذكرنا بالحملة العنيفة التى شنها عدد من المستشرقين على الفلسفة الاسلامية ، بل على العقلية العربية والاسلامية على وجه العموم • وهذه الحملة استدعت ردودا تختلف عنفا وهدوءا وموضوعية وسذاجة باختلاف من تناولوا مثل هذه الردود ـ غير أنه من الانصاف أن نقول : ان معظم الذين انتقصوا من قيمة الفلسفة الاسلامية من المستشرقين كانوا ضحية النظرة الضيقة الى جانب واحد أو ميدان واحد من جوانب وميادين الفكر الاسلامى ، ومن هنا فقدوا النظرة الصحيحة الى العطاء والانجاز الاسلامى فى ميدان الفكر •

ذلك أنهم نظروا الى نمط واحد من هذا الفكر ، وهو ما يتصل بالفلسفة المدرسية التى تأست خطا اليونان وعرفت فيما بعد بالفسلفة المشائية أو الاشراقية القائم على الأفلاطونية الحديثة ، ولذلك صغر فى عينهم القدر الذى أضافه المسلمون ولو أنهم نظروا الى ميادين أخرى لهذا الفكر ، تلك الميادين التى منها علم الكلام ، ومنها الأصول ، ومنها التصوف فى جانبيه التجريبى والنظرى ـ لو أنهم فعلوا ذلك لأدركوا مدى الأصالة وقدر الاضافة التى حققها المسلمون •

انهم نظروا فوجدوا فلاسفة الاسلام المعروفين قد سلكوا بدروب الفكر وتفرع المشكلات مسلك اليونانيين فحكموا على الفور عليهم بالتقليد وعلى عقليتهم بالجمود ، وأضافوا الى ذلك هذه الفرية الخبيثة التى أرادوا أن يعطوها مسحة علمية مزيفة وهى فرية العقلية السامية ـ عقلية الجزئيات والمنتثرات ، هذه العقلية التى لا تستطيع فى زعمهم أن تصوغ المذاهب أو تنشىء النظم أو تدرك القضايا والقوانين العامة ، ولم يقتصر طعنهم على العقلية بل تعداها الى الدين نفسه وقد خفتت أصوات هؤلاء الآن بعد هذا الجهد المتوصل من أجيال الدارسين الذين أفلحوا فى القاء الضوء على هذه الزاوية أو تلك من زوايا الفكر الاسلامى •

لقد آن الأوان لكى نعفى أنفسنا من تتبع آراء هؤلاء للرد عليها او تفنيدها ، وبدلا من ذلك نلجأ الى الطريقة الفعالة المقنعة ، هذه الطريقة التى تتبنى المنهج الموضوعى لتضع يد كل منصف على مقومات الأصالة فى الفلسفة

إسلامية أصيلة

للدكتور
محمد كمال جعفر

الاسلامية بشرط أن نحدد مفهوم الأصالة تحديدا دقيقا .

ويجب أن نوضح أول الامر أنه لا يعنى بالاصالة لفكرة ما أو فلسفة ما أنها نشأت عن عدم ، وأنه لم يسبق لمثلها وجود فى حضارة ما بل يقصد بالاصالة أن تتبع الفكرة أو الرأى أو القضية بايحاءات البيئة أو التراث أو الحضارة التى تحيا فيها الأمة ، لتجيب على شىء من مشكلاتها أو تعرض بعض الحلول لها .. حتى وان تكن هذه الفكرة أو تلك الفلسفة موجودة فى أمة أخرى .. وهنا يخدع الذين يأخذون بالمظهر فى التشابه فيقطعون دون فحص بوجود استعارة أو تأثر حتى وان لم تكن هناك صلات تاريخية ، مع أنه يمكن أن تتشابه فكرتان لدى أمتين ولا يكون هناك أخذ أو استعارة اذ قد يكون ذلك كتشابه الموقف الانسانى الذى وقفته كل منهما . وفى هذا الصدد نجد كثيرا من المغالات فى انكار أصالة كثير من الافكار والآراء المضمنة فى الفلسفة الاسلامية ، ومن ثم مبالغة وتطرف فى النتائج التى يتوصل اليها .

لهذا نؤثر أن نجيب فى تحديد ووضوح عن هذا السؤال : ماهى مقومات الأصالة فى الفلسفة الاسلامية ؟

وللرد على ذلك يجب أن نتذكر ما أشرنا اليه سابقا وهو أن للفكر الاسلامى ميادين أربعة هى الاصول ، وعلم الكلام ، والفلسفة التقليدية والتصوف ، واذن فحق السؤال أن يكون : ماهى مقومات الاصالة فى كل ميدان من ميادين الفكر الاسلامى ؟

وقبل أن نجيب فى ايجاز عن السؤال يجمل بنا أن نشير الى حقيقة واضحة تتحدى كل مكابر ، وان أغفلها كثير من المستشرقين ومن شايعهم عن عمد . وهى تتصل بالدور الذى أداه القرآن الكريم فى شحذ وحث العقول على التفكير والبحث والتأمل بشتى الوسائل الممكنة

فقد استعرض القرآن ملكات الفكر ووسائل المعرفة الحسية والعقلية والحدسية ، وأوحى بأهم المناهج فى البحث العلمى ويطول استقصاء أمثلة هذه الظواهر فى القرآن الكريم ولكن يكفى أن نشير الى ما توحى به بعض الآيات بالنسبة لمنهج الاستقرار ذلك المنهج العلمى التجريبى الحديث ، الذى يدعى اكتشافه فى أوربا مع أنه نشأ وتطور ونضج فى المحيط العربى الاسلامى كما برهنت على ذلك دراسة جامعية لدرجة الدكتوراه أشرفنا على اعدادها وتقويمها . وهذا المنهج من حيث انبثاق فكرته قد يكون مدينا لآيات قرآنية كثيرة منها « **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** » ففى هذه الآية يرد الله سبحانه على هؤلاء الذين يصفون الملائكة بأنهم اناث بهذا السؤال المفحم القاضى بأن يكون الاخبار اليقينى عن مشاهدة وملاحظة .. أليست المشاهدة والملاحظة أولى الخطوات فى منهج الاستقراء، يليها التجربة ثم الفرض ثم تحقيقه ثم النظرية ؟؟

ولا نريد أن نسترسل فى الشواهد ولكن نريد أن نصل الى هذه النتيجة .. وهى أن القرآن الكريم كان الحافز الاول والمشجع الاكبر على البحث والاستقصاء فى الدراسة والتأمل والسير فى الكون والدليل على ذلك أن النهضة الاسلامية بدأت بالعلوم التى تخدم القرآن الكريم سواء كانت علوما عربية أو علوما دينية واذن فدعاوى المستشرقين حول حجر الفكر فى القرآن أو فى الدين دعاوى لا أساس لها .

ولنعد الآن الى الاجابة عن هذا السؤال ؟ وهو أين مقومات الأصالة فى الفكر الاسلامى بميادينه الأربعة . والاجابة تبدأ أولا بتحديد « مفتاح الأصالة » ثم تثنى بذكر سور ومقومات هذه الأصالة . أما مفتاح الأصالة فى نظرنا — حتى فى ميدان الفلسفة التقليدية التى نعترض أن تقل فيها صور الأصالة وأمثلتها — فيتمثل فى حرص فلاسفة الاسلام دون استثناء على التفرقة الحاسمة فى الوجود بين الله والعالم أو بين الواجب والممكن لأن هذه النقطة ركيزة الاسلام الأساسية وهى التفرقة بين الخالق والمخلوق يقول الله تعالى « **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ؟** » حتى الفلاسفة الذين جنحوا الى اليونان من حيث قدم العالم لم يفتهم أن يفرقوا بين هذا القدم وقدم الاله وكذلك تفصيل يضيق عنه المقام .

أما صور الأصالة وأمثلتها فعديدة كثيرة فى كل ميدان بل أن هناك ميادين برمتها نشأت وترعرعت وتطورت دون استعانة بحضارة أو فكر أجنبى مثل أصول الفقه ، وعلم الكلام فى مراحله الأولى . لقد أنتجتهما العقلية الاسلامية الخالصة أما الأول فدعت اليه الحاجة الى التشريع واستنباط الأحكام ، فكان علم الأصول بمثابة المنطق الذى يحكم التفكير الفقهى ، كما يحكم المنطق الفلسفة كذلك نشأ علم الكلام نشأة اسلامية خالصة ، اذ كان فى الأصل محاولة للرد على الشبهات التى أثارها الخصوم ، أو أثيرت فى وجه

السذج من المعتقدين ، وهـذا لا يمنـع من أن يكون هذا العلم قد استنار من غيره فى المراحل المتأخرة • فهذان علمان كما قلنا نبتا فى أرض اسلامية وتعهدتهما العقـول بالرى والانماء •

أما التصوف فهو وان كان نمطا من السلوك الفاضل والحياة الروحية الصافية والتعـالى على الماديات ، الا أنه استطاع أن يثرى الفكر الانسانى فى ميادين مختلفة وأن يضـيف الى الحضارة ما تصبح بدونه عاطلة عرجاء •

لقد استطاع الصوفية أن يضيئوا كثيرا من المفاهيم والعبارات وأن يسـلطوا الضـوء الكاشف على النفس الانسانية فى مشـاعرها وهواجسها ووساوسـها ولحظـات ضـعفها وقوتها ، وعتمتها واشراقها وقبضها وبسطها • كما استطاعوا أن يضـيفوا الى التراث الفنى والأدبى أحلى الأشعار وأرق المعـانى وألطف الدقائق لدرجة جعلت الدارسين يعتقدون أنه لا تستطيع أمة من الأمم أن تقتطع من تراثها الأدبى عطاء الصوفية ثم تجد بعد ذلك ما تفخر به على وجه الحقيقة •

ان كارل جوستاف يونج ـ أنجب تـلامذة فرويد فى علم النفس يعترف فى كتابه عن الدين والنفس بدقة التحليلات النفسية لدى صوفية الاسلام لدرجة أنه يقول بالحـرف الواحد ! ان ما نعرضه من تحليلات نفسـية اذا قيس بما عرضه صوفية الاسلام يعتبر بمثابة عرض أطفال يحبون فى حجور هؤلاء •

ويطول استيعاب كافة الجوانب الدالة على الأصالة فى شتى ميادين الفكر الاسـلامى وحسبنا فى هذه العجـالة أن نركز ونوجـز الخلاصة عن أصالة الفلسفة الاسـلامية بقولنا ! نعم هناك فلسفة اسـلامية ، ولكن وصفها بأنها اسلامية لا يعنى بالضرورة أنهـا انبثقت عن الاسـلام مباشرة أو أن كتابهـا التزموا بالأصول الاسلامية ولكننا نصفها بأنها اسلامية من حيث انها سجلت ونبتت فى محيط يظله الاسلام وتسرى فيه نسـائمه المفعمـة بالحرية والسماحة ورحابة الصدر مما مكن أهل هذا المحيط من الانفتـاح على العـالم ، واستقبال كافة التيارات والحضـارات ، غير انهم لم يفقدوا ذاتهم فى هذا الهـدير الزاخر من الأفكار والمـذاهب ، بل انبروا للاختيـار والنقـد والتمحيص والحـذف والتعـديل والاضافة البكر •

لقد أدركوا منهـج الاسـتقراء والمنهـج الرياضى فى ميدان العلوم والفقه ، كما أعادوا عرض قضايا الانسان فى تفرد وتمييز ونقدوا المنطق الأرسطى حين اكتشفوا عقمه ، وأثروا البحث العلمى فى شتى الميـادين بما اخترعوا من تجارب وآلات •

وباختصار شـديد : اسـتقبلوا من الحضارة ما أعادوه جديدا فريدا عتيدا ، ظهر أثره فى أوربا حين تبدلت الأيـام وخفت الضياء فى هذه الأرض ، ليشرق من جديد فى أوربا بعد ظلام دامس دام قرونا •

د • محمد كمال جعفر

دنانير

* ابن القارح واسمه (على بن منصور ولقبه دوخلة) ولد بحلب سنة ٣٥١ هـ ، وكان آخر العهد به حسب رواية معجم الأدباء بتكريت سنة ٤٦١ هـ تلقى علومه الأولى على العالم اللغوى (ابن خالويه) ثم رحل الى بغداد فأكمل تعليمه على يد نخبة من علماء عصره منهم أبو على الفارسى والمرزبانى ، ثم شد رحاله الى مواطن الحضارة فى العالم الاسلامى يؤدب الناشئة بأدبه وعلمه ، وكان أخصب أيامه فى مصر ·

وبعد جولة هنا وجولة هناك ، وحج الى البيت ورحيل الى الموصل عاد الى مسقط رأسه (حلب) وأغلب ظنى أنه لم يجد ما يحب ويهوى فيها · فكان أن كتب رسالة الى أبى العلاء المعرى فى الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى ، وكان جوابها « رسالة الغفران » وفى مقالى هذا أورد عليك شكوى واحدة من الشكاوى التى ملئت بها رسالة ابن القارح وهى خاصة بدنانيره وكيف عالج شيخ المعرة الرد عليها ؟ وكيف أدار الحديث عنها ؟ مما يعطيك صورة عن أدبه الجم وعلمه الغزير ، وذهنه المتوقد ونظرته للحياة · فى شكوى ابن القارح ؟ قال فى رسالته الى المعرى : « ومن طريف الأخبار أن بنت أختى سرقت لى ثلاثة وثمانين دينارا فلما هددها السلطان · وأخرجت اليه بعضها قالت : والا لو علمت أن الأمر يجرى كذا كنت قتلته ، فاعجبوا من هريستى وزبونى » ·

فى ذلك الحين كان ابن القارح قد تخطى السبعين من عمره ولم يتزوج ، وكان فى حاجة الى حسن الرعاية أكثر من حاجته الى القسوة عليه والنكاية به ، بل كان يحب أن يرى مكانه ولكن زامر الحى لايطرب ، فلا حلب احتفلت به ولا أقاربه أنزلوه منزلته · قرأ أبو العلاء شكواه ، وأجابه عن كل سطر فى رسالته غير ما نحن بصدده من الدنانير المسروقة وقد راقتنى هذه الشكوى وراقنى تعليق أبى العلاء عليها لما فيه من طرائف ولطائف ، فهو يعلم أن خير مال جمعه ابن القارح هو من مصر ، حيث

ابن القارح

للأستاذ السيد حسن قرون

كان يقوم بتعليم ولدين (للحسين بن جوهر الصقلى) وأنه بهما نال دنانير الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، نظم شعرا فحمله تلميذه (جعفر بن الحسين) الى الخليفة ، فسأله عن ناظمة فأخبره ، فأجازه بألف دينار خفضت الى خمسمائة لاعتراض أحد جلساء الخليفة ، وناهيك بما كان يناله من ابن جوهر الصقلى ، يعرف أبو العلاء هذا ويعرف أكثر منه ولذا بدأ الكلام عن الدنانير على هذا النهج :

« وسرتنى (١) فيئة الدنانير اليه فتلك أعوان تشتبه منها الألوان ، ولها على الناس حقوق ،

(١) عودة ·

تبر ان خيف عقوق ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : رأيت فى المنام أن القيامة قد قامت ، وجىء بك وقد ألجمك العرق ! فقال معاوية هل رأيت ثم من دنانير مصر شيئا ؟

وهذه — الاشارة الى دنانير ابن القارح — لا ريب من دنانير مصر لم تجىء من عند السوق (٢) ولكن من عند الملوك » وبهذه العبارة غمز أبو العلاء صاحبه ، ودله على أن دنانيره يقال فيها ما قيل لابن العاص فى قيامته ، « هل رأيت ثم من دنانير مصر شيئا ؟ ولأن ابن القارح أديب أريب له فى رواية الشعر نصيب أورد له أبو العلاء أفانين من الشعر محورها الدنانير يستهلها فى الغفران بقوله : لو رآها (المرقس) لعلم أنها أحسن من وجوه حبائبه لما غدا الظاعن بربائبه فقال :

النشر مسك ، والوجود دنا
نير وأطراف الأكف عنم (٣)

وانها لأحسن من الوجوه التى ذكرها (الجعدى) وزعم أن حسنها بدى ، فقال :

فى فتو (٤) شم العرانين أمثا
ل الدنانير شفن (٥) بالمثقال

(٢) الرعية من الناس ·
(٣) ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب ·
(٤) جمع فتى ·
(٥) جلين ·

أخذت من جوائز كرام صيد ، تارة بالخدمة وتارة بالقصيد • وهنا يشير الى طريقة جمع ابن القارح المال فهو يحصل عليه من جوائز العظماء الكرماء ، مرة بالشعر كما فعل مع الخليفة ومرة بالخدمة كما يقوم بتأديب ولدى (الحسين بن جوهر) ، وابن القارح لم يلمح الى هذا فى رسالته ، ولكنى بحثت عن علة قول المعرى فوجدت تاريخ ابن القارح فيه ما نوهت به • ومعنى هذا أن أبا العلاء كان على علم تام بحياة ابن القارح وتنقلاته فى حواضر العالم الاسلامى •• ويستمر أبو العلاء فى الحديث عن الدنانير ، ويذكر أول من ضرب الدنانير فى الاسلام وهو عبد الملك بن مروان • ودنانير ابن القارح جلت عن نقد الصيوف ، وهى الرواجح لدى الميزان الوفى ، حاش بعد أن تكون كما قال الفرزدق :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدنانير تنقاد الصياريف

وهذا البيت ينشد على وجهين : الدنانير والداهيم •

ولاهى من دنانير (أيلة) (١) باع فيها البائع نخيله ، وانما ذكروا دنانير أيلة لأنها كانت فى حيز الروم فتأتيها الدنانير من الشام • قال :

ومــا هيرزىّ من دنانير (أيلة)
بأيدى الوشاة مشرقا يتأكل (٢)

الوشاة : النقاشون الذين يشونه •

وتنثال الخواطر حول الدنانير ، فهى أجمل من قسمات الوجوه ، ومعاذ الله أن تقترن بحوزان (٣) واد ، سقته روائح وغداد ، ولو أخذ منها النادم على بيع كمته لأسكنت البهجة فى بيته وخلده ، وقد نجاها الله من البكور بها الى الحانات فبقيت لصاحبها ذى الحاجات •

« ودنانيره باذن الله مقدسات ، ما هن بالحرج مُلَدسات ، أى مثقلات ، والحزامة من سوسه (٤) وشيمه ، فلا يدفع الى تعارض شيئا من عيمه أى مختاراته ، وفى الكتاب العزيز : « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُم مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ » •

وهذا قيل لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان فى زمانه من يتحرج ، يتضمخ بالمسك ويتأرج ، فأما اليوم فلو أمن كتابى على نمى (٥) لأسرعت اليه الظن اسراع رمى•

وما عنيت بالكتابى من نسب الى توراة وانجيل دون من نسب الى القرآن البجيل •

وينصحه بالصفن بها ، فكل واحد منها دينار أعزه يبعث الرابى على الهزة كما قال سحيم :

تريك غداة البين كفا ومعصما
ووجها كدينار الأعزة صافيا

ويفرغ أبو العلاء جعبته من الأثر والخبر ، فيروى ما قيل فى الدينار لقيس بن الحطيم وربيعة بن مكدم ولا يترك الزهاد فيقول ولو ملكه (مالك بن دينار) مع زهده ، وبلوغه فى الورع أقصى جهده لجاز أن يحجأ به على دينار أبيه • والفكاهة واضحة فى أن مالك بن دينار يبخل على أبيه « دنيار » به مع أن أباه اسمه دنيار • وعلى هذا فدنيار ابن القارح أعلى

(١) على ساحل البحر الاحمر تسمى الآن ايلات
(٢) البيت فى وصف مُرّثى •
(٣) نبات طيب الرائحة زهره أحمر فى أصله صفرة •

(٤) طبعه •
(٥) صغار الفلوس ، رومى •

شأنا من كل دينار ، وسواء أكان دينار الفرزدق أمدينار غيره منالشعراء أمثال الأخطل ، وأبى عمرو الزاهد .

ولا يفوته أن يذكر دنانير المتنبى ، فيصوغ الحديث هكذا . والعجيب لها تفر من بنان السارقفرار دنانير الشارق . وصفها أبو الطيب فقال :

وألقى الشرق منها فى ثيابى
دنانيرا تفر من البنان (١)

والمراد أن الشاعر يصف الأشعة الثاقبة من بين أوراق الشجر مستديرة بأنها دنانير تفر من اليد ، لأن الأشعة لا تثبت ، دنانير ابن القارح كذلك فما ان أخذتها سرقة ابنة أخته حتى أخذها منها بسلطان زمانه فى حلب ، وهى لمحة ذكاء من شيخ المعرة ، يقرن دنانير المتنبى وهى أشعة الشمس بدنانير ابن القارح وهى من الذهب . ومن هذا الصنيع كان حديثه عن عدتها وهى ثلاثة وثمانون دينارا ، فأمسك بالثمانين لينكر أنها أوفت على عدة أصحاب موسى ، لأن أصحاب موسى كانوا سبين ، ولو وقع الانسان فى بئر عمقها ثمانون قامة لأنقذته ، ولو كانت سنو (زهيد) مثلها لما وصف نفسه بالسآمة ولكانت له أنهض قامة والقامة الأعوان . ولو أدركه (عروة بن حزام) وهو يقول :

يكلفنى عمى ثمانين ناقة
ومالى ياعفراء غير ثمان

لجاز أن يرق فيغيثه من هذه الثمانين ببعضها ، أو يسمح له بكلها ، لأنه كريم الطبع ، ، ولو صارت فى يد عروة لبلغ بها الأمنية ، لأن الناقة فى ذلك الزمان كانت ربما اشتريت بعشرة دراهم ، وفى بعض أخبار الفرزدق أن رجلا من ملوك بنى أمية أعطاه مائة من ابل الصدقة فباعها بألف وخمسمائة درهم بعد ما عنى به وزيد فى الثمن ، وقد مرت به الحكاية التى يذكرها أصحاب التاريخ أن الجمل كان يباع زمن أبى جعفر المنصورى بدرهم .. ويتابع حديثه عن الثمانين الى أن يقول :

وهى أنضر من الثمانين التى ذكرها علوى البصرة ــ صاحب الزنج ــ فى قوله :

عبرت اليهم فى ثمانين فارسا
فأدركت منهم بغيتى ومراديا

ولا يترك شيئا مما قاله الشعراء أو الحكماء فى الثمانين الا حشره فى مقاله وربطه بثمانين ابن القارح الى أن يقول : ولعله قد اجتاز فى أرض الموصلبالقرية التى تعرف «بثمانين»(٢) ــ وهى قريبة من الجبل المعروف (بالجودى) فان كانت « ثمانون » القرية وطن أناس ، فهذه تجرى مجرى الوطن فى الايناس كما قال :

الفقر فى أوطاننا غربة
والمال فى الغربة أوطان

« در الذهب من خليل فانه يضىء بظل ظليل ، ويجعل هذه الثمانين قديمة أقدم من قارون وموسىثم يجىء الى السارقة من خالها المغنى فى طلب المال ، والسائح لأجله فى السهول والجبال فيقول عنها ، وتحس عطفه عليها : وأما ابنة الأخت ــ أدام الله لها الصيانة ــ فانها أدلت على الخال ، اذ كان أحد الوالدين ، فهمت أن تأكل بيدين ، ثم

(١) البيت من قصيدة وصف شعب بوان .

(٢) سميت بثمانين لان سفينة نوح نزل منها ثمانون عند جبل الجودى فكانت القرية .

دنانير
ابن القارح

ينفى عنها أن تكون من الذين حاربوا أخوالهم من أمثال (الهجرس) وموقفه من خاله (جساس) الى أن يقول محذرا له ، مخوفا اياه منها ، فقد تكون قد أخذت منه طبعه فى قرض الشعر ، فليتق معرة بيانها أكثر من اتقائه خلسة بنانها ، فهو يعلم أن الشعر ورثه (زهير بن أبى سلمى) من خاله (بشامة ابن الغدير) ولم يكن فى مزينة شعر يذكر ، حضره زهير عند الوفاة فأراد أن يعطيه شيئا من ماله ، فقال بشامة : أما يكفيك أنى ورثتك غرائب القصيد ؟ وربما يكون فى نساء حلب شواعر فلا يأمن أن تكون هذه منهن فطالما كن أجود غرائز من رجالهن ويزيده عبرة أن يقص له قصص شواعر كان لهن شعر يعتد به ويروى الى أن يقول :

وكان لى كرى من أهل البادية يعرف (بعلوان) وله أمرأة تزعم أنها من (طى) فكان لا يعرف موزون الأبيات من غيره ، وكانت المرأة تحس بذلك ، وكانت تتأسف على طفل مات لها يقال له (رجب) وكانت تنشد هذا البيت :

اذا كنت من جَرا حبيبك مُوجَعًا
فلابدَّ يوما من فراق حبيب

فقالت يوما :

« اذا كنت من جَرَّا رُجَيْبٍ موجعا »

تعلمت أن الوزن مختل فقالت :

« اذا كنت من جَرَّا رُجَيْبِنَ موجعا »

فحركت التنوين ، وأنكرت تحريكه بالطبع فقالت :

« اذا كنت من جرَّا رُجَيْبِكَ موجعا »

فأضافته الى الكاف فاستقام الوزن واللفظ ، **ويختم حديثه عن بنت الأخت بقوله :** وفى الكتاب العزيز :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) » .

وهكذا أدار شيخ المعرة حديثه عن شكوى ابن القارح ، وداعبه حينا ، ودارسه حينا آخر ووعظه أثناء ذلك ، وذكره بما له وما كان عليه فى عبارة مواتية ، وطبع مواف ، واطلاع موفور لا يكون الا لأبى العلاء المعرى وكم فى رسالة الغفران من أدب وعلم يفيد الدارس ويسر أصحاب الأخبار .

السيد حسن قرون

---

(١) اية ١٤ سورة التغابن .

من حضارة الإسلام

التربية الصوفية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

٤

الصوفية والعلم

سبق أن عرضت فى مقال نظرة الصوفية الى العلوم العصرية وانتهيت فيه الى أنهم لا يعارضون هذه العلوم مادام الهدف منها الاهتداء الى الله ونفع البشرية واتخاذ الأسباب الى المتعة والقوة التى أمر الله بها فى قوله تعالى « وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ » .

وهذه العلوم تأتى بعد أن يأخذ المتعلم حظه من العلوم الموصلة الى الله . يقول الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الأحياء ما ملخصه : العلم نوعان ، فض عين وفرض كفاية ، ففرض العين ما يدل على الله ، وفرض الكفاية ما يعين على الدنيا ، وفرض الكفاية يسقط عن الانسان اذا قام به بعض الناس ، أما فرض العين فلا يسقط عن الانسان ولو قام به جميع الناس .

وقد نقل الامام الشعرانى فى طبقاته عن الشيخ محيى الدين بن عربى فى رسالته التى أرسلها الى الشيخ فخر الدين الرازى صاحب

التربية الصوفية

التفسير « اعلم يا أخى ـ وفقنا الله واياك ـ أن الرجل لا يكمل عندنا فى مقام العلم حتى يكون علمه عند الله عز وجل بلا واسطة » .

والصوفية هم الذين ينطبق عليهم ذلك ، ويعلق الشعرانى على ذلك قائلا « ينبغى لك يا أخى ألا تطلب من العلوم الا ما يكمل به ذاتك ، وينتقل معك حيث انتقلت ، وليس ذلك الا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة » .

ولم يقصد الشعرانى ـ كما اعتقد ـ الانصراف كلية عن طلب العلوم الأخرى ولكنه يقصد عدم تضييع علوم الآخرة بجانب علوم الدنيا ، فلا مانع اطلاقا أن يجمع الانسان بين العلمية وهو الكمال المطلوب وقديما قال الأدباء : الأدب هو الأخذ من كل فن بطرف ومن تمام الأدب أن يكون للانسان علم بالله يقفه على ضرورة مراعاة الحقوق الواجبة له ويمنعه من تجاوز الحدود التى نبه عليها .

وقديما كان علماء الدين كلهم على علم بالله وخشيته له . وتاريخ الفقهاء يشهد لهم بذلك ، روى المؤرخون أن أبا حنيفة رضى الله عنه سمع أحد الناس يقول عنه : هذا الرجل يقوم الليل كله ، وكان يقوم بعضه . فقال : انى أستحيى من الله أن أوصف بما ليس فى . وظل بعد ذلك يقوم الليل كله .

وما روى عن الفقهاء والعلماء من الأخبار الدالة على خشيتهم وورعهم وصدقهم من الله وأدبهم معه وسلوكهم القويم فى حياتهم يملأ بطون الكتب ويدل دلالة قاطعة على انهم لم يحكموا الدنيا الا بعد أن أحكموا علوم الآخرة .

منهجهم فى التعلم : انهم فى حرصهم على تحصيل العلم مزجوا مناهجهم فى التعليم بالأخلاق لأنها الوسيلة الأساسية فى نظرهم لاكتساب المعارف ، وهم يبنون هذه النظرية على أساس قول الحق تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » لأن التقوى مفتاح العلم وهى المخرج من كل ضيق ، وفى الأثر « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » .

ان للعلم ثماره الجنية طالما تخلق المتعلم بالأخلاق الحسنة المطلوبة للعلم . ومن أجل هذه الثمار الورع والخشية استمدادا من قوله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

وتلك حقيقة واقعة ، فأعلم الناس بالله أشدهم خشية له ، لأنه أدرك مدى سطوته وسلطته وجلال هيبته وعظمته ، .

وأعلم الناس بالله أشدهم حبا له ، فمن عرف الله حق المعرفة عاين حبه لعبده ورحمته به وتفضيله عليه ورضاه عنه فأحبه وازداد حبا له « وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ » .

العلم الحقيقى اذن يثمر خشية الله وحبه ، فيظل متقلبا بين الخوف والرجاء لا ييئسه الخوف من الرحمة ولا يفقده الرجاء التزام الأدب ، ويظل مصدقا لأمر الله متحققا بدعوته

« وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » •

قيل للنورى رضى الله عنه : متى يستحق الانسان الكلام على الناس ؟ قال : اذا فهم عن الله جل جلاله صلح أن يفهم عباد الله ، واذا لم يفهم عن الله كان بلاؤه فى بلاده وعلى عباده •

وفيما يرويه صاحب كتاب اللمع عن ابراهيم الخواص رضى الله عنه قوله : لا يحسن هذا العلم الا لمن يعبر عن وجده وينطق عن فعله •

ومعنى هذا الكلام أن يكون العالم صادقا فيما يعلمه عاملا به ، قال الجنيد رضى الله عنه : كانوا يكرهون أن يتجاوز اللسان معتقد القلب •

القدوة الطيبة :

وهذا هو الورع الحقيقى الذى أثمره العلم • وهذا هو الذى نفتقده الآن فى كثير من معلمينا وواعظينا •

وكيف يثمر العلم ثماره اذا كان خارجا من لسان ليس وراءه وجدان ؟

سئل أحد وعاظ الصوفية ولعل الحسن البصرى رضى الله عنه : ما بالك تعظ فيبكى الناس وواعظ المدينة يعظ ولا يبكى أحد؟ فقال: ليست النائمة الثكلى كالنائمة المستأجرة •

وما ورد فى مطابقة القول الفعل عند الصوفية ما يقصه الطوسى فى اللمع أيضا : جاء رجل الى أحمد بن يحيى الجلاء رحمه الله تعالى وسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعة فلم يجبه ودخل البيت وأخرج اليهمصرة فيها أربعة دوانيق وقال : اشتروا بها شيئا ، ثم أجاب الرجل عن سؤاله ، فقيل فى ذلك ، فقال ، استحييت من الله أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانيق •

وهذه كلمة نهديها الى علمائنا : كان حارث المحاسبى رحمه الله يقول أعز الأشياء فى دار الدنيا عالم يعمل بعلمه • وكلمة أخرى قالها سرى السقطى رضوان الله عليه : من تزين بعلمه كانت حسناته سيئات •

ومن تمام ورعهم فى ذلك ما يروى عن الجنيد رضى الله عنه : قال بعض الكبار للجنيد وهو يتكلم على الناس : يا أبا القاسم ، ان الله لا يرضى عن العالم بالعلم حتى يجده فى العلم ، فان كنت فى العلم فالزم مكانك والا فانزل • فقام الجنيد ولم يتكلم على الناس شهرين ، ثم خرج فقال : لولا أنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : فى آخر الزمان يكون زعيم القوم أرذلهم ما خرجت اليكم •

ولم يكن جلوس هؤلاء القوم الى الناس شهوة للتعرف أو رغبة فى الشهرة ، ولكن حرصا على صالح الناس وقصدا الى افادتهم وهدايتهم ومنفعتهم ، وليس كل أحد يصلح لهذه الرسالة يقول الجنيد : ما تكلمت على الناس حتى أشار الى وعلى ثلاثون من البدلاء

أنك تصلح أن تدعو الى الله عز وجل — والجنيد لم يقل هذه الكلمة على سبيل الافتخار ولكن تحدثا بنعمة الله •

وقد استأذن أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الرازى أبا حفص الحداد وكان أستاذه فى الكلام على الناس ، فقال له أبو حفص : وما يدعوك اليه ؟ فقال أبو عثمان : الشفقة عليهم والنصيحة لهم • فقال : وما بلغ من شفقتك عليهم ؟ فقال : لو علمت أن الله يعذبنى بدل جميع من آمن به ويدخلهم الجنة وجدت من قلبى الرضا به • فأذن له ، وشهد أبو حفص مجلسه • فلما قضى أبو عثمان كلامه قام سائل فسبق أبو عثمان فأعطاه ثوبا كان عليه • فقال أبو حفص يا كذاب اياك أن تتكلم على الناس وفيك هذا الشىء فقال أبو عثمان وما ذاك يا أستاذ ؟ قال : أما كان فيك من النصيحة لهم والشفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السبق ثم تتلوهم ؟

وهذا من تمام العلم وهو أن يكون المعلم عاملا بما يعلم ، والا فلا غناء فى علمه ولا ثمرة تجنى من تعليمه ، وللصوفية فى ذلك رقائق تروى وتؤثر وتحفظ ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف الذى استقيت منه بعض الأخبار السابقة : رأى الحسين المغازلى رويتم بن محمد وهو يتكلم على الناس فى الفقر ، فوقف عليه وقال :

وما تصنع بالسيف
اذا لم تك قتالا ؟
ألا ابتعت بما حليت
هذا السيف خلخالا ؟

عبر بعبارته هذه عن حال ليس فيها ، اذ كيف يدعو العالم الى الزهد وهو ليس زاهدا ان شأنه فى ذلك شأن من يحمل السيف ولا يحسن القتال • قال بعض الكبراء : من تكلم عن غير معناه فقد تحمر فى دعواه قال الله تعالى : كمثل الحمار يحمل أسفارا •

المعصية حجاب عن العلم :

وانهم ليعتقدون أن المعصية حجاب عن العلم ومانعه من الانتفاع بثمرته وعائقة عن الوصول بصاحبها الى الكمال المطلوب • فان من تمام العلم العمل به كما قدمت ، ولا يكون العمل بالعلم الا بالتحلى بآداب ما يعلم من فضائل الصدق والطاعة والاخلاص والورع وغير ذلك من أخلاق وآداب ، وقد ورد فى كلامهم المأثور :

عالم بعلمه لم يعملن
معذب قبل عباد الوثن

وما لنا نبعد وهذا سيد الكلام يؤنب قوما يقولون مالا يفعلون فيقول لهم « **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** » ؟

ضرر ذلك العالم على المجتمع :

وأول ما يتصرف اللوم من المجتمع الى العالم حين يبتعد بعلمه عن الطريق السوى ، وحين لا يراه الناس مثلا أعلى فى نظرهم يقتدون به ويتخلقون بأخلاقه ، وكم ضل ناس كثيرون لأنهم رأوا قدوتهم من العلماء يضلون ويقولون مالا يفعلون • وكثيرا ما نسمع هذا المثل السائر « استشر عالما وبت سالما » بمعنى اعمل

باستشارته وما عليك وزر بعد ذلك مادام هذا العالم قد أفتاك صادقا أو كاذبا وحقا ذلك ، فما ذنب المستشير اذا كان المستشار غير أمين ؟ ولكن متى استغل الناس هذا المثل استغلال سيئا فقد خاب المستشير والمستشار .

وكثيرا ما تمنع المعصية من الانتفاع بنور العلم والوصول الى هدف أسمى فيه ، فقد ورد « أن العلم ينفى خبثه » بمعنى أن العاصى غالبا لا يكتب له الاستمرار فى طلب العلم الذى يهدى الى الله . والمنحرف يجرفه التيار الى الشاطىء دون أن يجنى شيئا يذكر ، ومما يؤثر عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه أشتكى الى استاذه عدم تمكنه من العلوم فى بعض الأحيان فنصحه يلازمه الطاعة ، ونظم الشافعى هذا المعنى شعرا فقال :

شكوت الى وكيع سوء حفظى
فأرشدنى الى ترك المعاصى
وأعلمنى بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصى

ويروى الدميرى فى كتابه حياة الحيوان وصية مالك بن أنس للشافعى رضى الله عنهما قائلا على لسانه : فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت الى مالك فودعته فقال لى مالك حين فارقته : ياغلام ، اتق الله تعالى ولا تطفىء هذا النور الذى أعطاكه الله بالمعاصى . يعنى العلم وهو قوله تعالى **« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِن نُورٍ »**.

هذا والامام الشافعى هو بالمنزلة التى لا تخفى على أحد فضلا وعلما وتقى ، ولكنه رغم ذلك يحدث عن نفسه كثيرا بأنه كثير الذنوب تواضعا منه وحرصا على تحرى الكمال ، وتروى عنه هذه القصة . قال المزنى « دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس الموت شاربا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى الله واردا ، فلا أدرى روحى الى الجنة تصير فأهنيها أو الى النار فأعزيها ثم بكى وأنشد :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوا عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منه وتكرما
فلولاك لم يسلم من ابليس عابد
فكيف وقد أغوى صفيك آدما

وخشية العلماء الصوفية تظهر فى تواضعهم الجم الذى يبدو واضحا فى كلام الشافعى رضى الله عنه الذى لم يترفع أن يصف نفسه بالقسوة وعظم الذنب ، ورغم صلاحه المعروف المتواتر الذى جعله حجة ومنارة يهتدى بها الناس الا أنه من تمام علمه بالله استصغر عمله أمام عظمة الله .

والعارف دائما يقر بالتقصير ويقرن عمله وطاعته بالاستغفار خشية أن يكون فيها مالا يمكنه أن يدركه هو من دقائق الرياء وخفى العلل . والشافعى رضى الله عنه هو الذى يقول « من طلب العلم بعز النفس لم يفلح ومن طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح » ويقول « من أراد الآخرة فعليه بالاخلاص فى العلم » .

العلم بحر لا ساحل له :

والعالم الصوفى كلما ازداد ادراكا بأنه لم ينل شيئا من العلم ، وليس هذا غريبا بل هو

حقيقة واضحة ، فالعلم بحر لا ساحل له ، والله جل جلاله يقول «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا » ويقول « وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » وجل ثناء الله هو العليم الخبير الذى عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر ، وهو الذى يؤدب العلماء بقوله « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » بعد قوله « نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ » .

ويقص الصوفية قصة لقاء موسى مع الخضر قصا يعطى العظة والعبرة وعدم الاغترار بكثرة العلم ، ويقولون ان سبب ابتلاء الله موسى بالخضر هو ادعاؤه أنه أعلم من فى الأرض حين سئل عن ذلك ، فأخبره الله سبحانه وتعالى بأن هناك عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . يروى بعض العلماء : سأل موسى ربه : أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال : فأى عبادك أقضى قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى . قال : فأى عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى . فقال : ان كان فى عبادك أعلم منى فدلنى عليه ، قال : أعلم منك الخضر . قال : اين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة .

واعتقاد الصوفية ذلك ليس غريبا فهو يلتقى مع تأديب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يطلب من الله الزيادة فى العلم « وقل رب زدنى علما » سئل أحد العلماء عن معنى العلم فقال : هو الجهل ، يقصد بذلك عدم الادعاء فيه واسقاط التباهى به واظهار العجز والمواظبة على التعلم .

وحقا ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول : اطلب العلم من المهد الى اللحد . فليس للعلم حد محدود ، أو سن يقف المتعلم عندها ولكنه بحر زاخر لا ساحل له ، ويظل الرجل عالما ما طلب العلم فمتى ظن أنه علم فقد جهل فيما يرويه الأثر الكريم ، ومن يظن فى نفسه الكمال ينقص ، وقد سمعت شيخنا العارف بالله محمد على منصور الأقدمى يردد كثيرا :

عجزت — أجل — عن درك سر وجودى
وجهلت حتى صار جهلى شهودى

وهذا المعنى مستمد من الأثر الذى يقول : العجز عن الادراك ادراك والبحث عن الذات اشراك . ولله در أبى على الثقفى المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة فى قوله « تمام العلم انقطاع الرجاء عن بلوغ كنهه » .

هذا وبالله التوفيق .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

وسائل إعداد الدعاة

للأستاذ منصور الرفاعي عبيد

الداعية ووسائل إعداده

مما لا يختلف فيه اثنان أنه لا دعوة بلا دعاية .. والدعاية سلاح من أسلحة النصر .. والخطابة أهم أداة فى هذا الميدان لأنها سلاح من أقوى الاسلحة بما لها من أثر عميق فى النفوس . لذلك عنى الاسلام عناية بالغة بالخطابة وقد جعلها فرضا فى صلاة الجمعة كما ندب اليها فى صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء كذلك هى وسيلة من وسائل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كذلك قد ينشب خلاف بين الاسر أو بين الدول وقد تقودها الخلافات الى حروب وهذه المواقف تستدعى الخطابة للدعوة الى السلام والقضاء على الخلاف ..

والخطيب يستطيع أن يغير مجرى الاحداث وان ينقل الجمهور من حال الى حال وأن يحدث من الثورات ما يبدل صفحات التاريخ بفصاحته وقوة تأثيره وبلاغة أسلوبه والتاريخ الاسلامى حافل بالخطباء الممتازين الذين غيروا وجه التاريخ .

وقبل هؤلاء كان الانبياء جميعا لان الدعوة لا تنتشر الا بفكر واضح وبيان رائع . وكان سيد هؤلاء جميعا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقد كانت خطبه شموسا تبدد غياهب الظلام وتملأ القلوب بالنور والعرفان ولقد كان ينتظر فرصة قدوم الحجيج الى الكعبة فيقف ويدعوهم الى الاسلام كان يعقد اجتماعات فى البيوت المغلقة تارة والصحراء تارة أخرى

ويذهب الى الطائف ويقابل القادمين وبفضل مرونته وفصاحته وبيانه تكون له الأنصار الذين شدوا أزره واتبعوا النور الذى انزل معه •

لقد كانت الخطابة من أهم أسلحة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوته وفى تأثيره على الناس •

والخطابه • علم • وفن • وأدب • ولابد من التدريب على ذلك لان الداعية هو الذى يستطيع أن يقنع غيره بدعوته • وهذا يحتاج الى تدريب •

والداعية : هو الذى يوصل أهداف الرسالة وأصول العقيدة وأركان الاسلام ومبادىء الأخلاق الى أذهان الناس ويحول الكلام الى عمل واقعى فى دنيا الناس • لأنه يعبر بمستمعيه جسر الخوف الى بر الأمان ويمسح بكلماته النيرة الاكتئاب الفكرى من أفكار الناس • ويبعد شبح التمزق النفسى عن الفرد ويجعله متكامل الشخصية ويرسخ فى أذهان الناس معنى الالتحام بالجماعة والايجابية فى العمل ان على الداعية أن يعبر بمستمعيه على جسر من المعرفة يوصلهم للماضى المشرق ويقص عليهم من أنباء ما قد سبق ويتلو عليهم قرآن الله الذى ينير النفس ثم يعود بهم ليربط بين ذلك وأحداث الساعة ومشاكل البيئة وأسلوب الحل لتكون المعلومة واضحة والفكرة مبسطة •

من هنا كانت وظيفة الداعية من أصعب الوظائف لأنها تحتاج الى فكر يقظ وعمل مستمر وصله بالفكر ولباقة فى العطاء وقدرة على الأداء وسعة فى الافق وعمق فى الدراسة وبعد نظر فى حل المشاكل وفوق ذلك ابتسامة تخفى ما يعانيه من مشاكل ويحبس فى أعماقه ما يحس به أحاسيس وانفعالات قد لا تتفق مع موقفه لكنه يكبت عواطفه وينفعل بما هو فيه وليس هذا من باب التمثيل حاشا أن يكون الداعية فى هذا المستوى ولكنه جودة الاداء وفن التعامل مع الجمهور • لأن الناس لا تتقبل الا من كان يشاركها أحاسيسها لذلك كان من الامثال التى رددها آباؤنا الأوائل « ولا كل من لبس العمامة يزينها » •

لما كان الأمر كذلك فان أهم شىء فى الداعية هو حسن تربيته والعناية به من أول الأمر وألخص ذلك فيما يأتى :

١ ــ التنبيه بفتح فصول لتحفيظ القرآن الكريم تلحق بالمساجد وترصد لها الجوائز ويتم اختيار أفضل العناصر من بين الحفظة والعناية بهم منذ الصغر • ثم المداومة على التعرف على أحوالهم وما يلاحقهم من تطورات أسرية عن طريق بحث اجتماعى كل سنة •

٢ ــ العناية بالمعاهد الأزهرية • الابتدائى والاعدادى والثانوى • وعمل مسابقات بينهم فى حفظ القرآن الكريم ورصد جوائز لكل من يحفظ أكثر من خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب بعض الصحابة والمشهورين من الخطابة فى الجاهلية والاسلام •

٣ ــ رصد جوائز لمن فى القسم الثانوى ويعد خطبة من تلقاء نفسه ويتقدم بها للوزارة وتنال الاستحسان من ناحية الموضوع وحبكته وأدلته والشواهد لما يقول من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح •

٤ ــ العنايه بكليات الأزهر النظرية خاصة كلية الدعوة وأصول الدين • ورصد جوائز لمن يتقدم ببحث عن أفضل أساليب الدعوة •

والعناية بالامثلة الشعبية • والحل للمشاكل المعاصرة وطرق استنباط الفكر والدليل • ولاتغفل عنلهجات الأقاليم واعرافهم وعاداتهم فيجب دراسة هذا اللون فى الكليتين دراسة مستفيضة عميقة لان الله سبحانه يقول «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ».

٥ — التركيز على شخصيات معينة فى الدراسة وتحليل منهجها فى الحياة كسيدنا « على بن ابى طالب » وعرض نصوص له متنوعة • وحسن البصرى • ومصعببن عمير • وواصل بن عطاء • ودراستهم من ناحية خطبهم وتأثيرهم فى قومهم وكيف كان نهجهم فى الخطابة •

٦ — التركيز على دراسة وأساليب وسائل الاعلام والخبر المثير وكيفية ابرازه ومعالجة المواقف وكيفية التخلص وما هى الوسائل التى يحصل بها الصحفى على الخبر ليكون عند الداعية القدرة على التقاط الأخبار وطرق معالجتها • ودراسة علم الاجتماع وعلم النفس وأسلوب التأثر الانفعالى وماشاكل ذلك •

٧ — عمل مسابقات فى القرآن الكريم بصفة مستمرة ودائمة ليكون الداعية على صلة دائمة بكتاب الله •

٨ — عمل مسابقات فى الأحاديث النبوية وعلم مصطلح الحديث ومعرفة السلسلة أو كما يقولون « علم الحديث •• رواية •• ودراية »•

٩ — تاريخ الصحابة حافل بالرجال الا ماجد الذين اسهموا بدور ايجابى فى خدمة الدعوة ولابد من دراستهم لذلك يتم عمل مسابقة كل عام فى عشرين شخصية لدراسة وابراز بعض المواقف الانسانية فى حياتهم ليكون الشخص الذى يؤهل للعمل داعية على فكر دائم وصله بهؤلاء •

١٠ — طرح بعض الكتب للقراءة « أدب الدين والدنيا للماوردى وحديث عيسى بن هشام • والمال لأبى عبيدة والسياسية الشرعية • المهم تنوع القراءة فى الصيف •

لانه من المعلوم أن الأزهر هو الرافد والمصدر الذى يخرج العلماء والدعاة ومثل تلك الموضوعات تصقل الفكر وتنير السبيل •

هذا ولا ننسى أن يكون بكل مدينة وقرية حضانة اسلامية تنشىء النشء على حفظ الكثير من قصص القرآن وأهداف ذلك وأسماء أمهات المؤمنين لان ذلك سيكون من ورائه الخير العظيم وهو الذى يبرز العناصر من الاول ويعطينا النماذج التى يهيئها القدر لمثل هذا العمل •

١١ — من المعلوم أن دراسة اللغات الحية مثل الانجليزية والصينية والفرنسية وما ينتشر فى أفريقيا وكذلك اللغة اليابانية والروسية أمر مهم للداعية الذى نعده والتخصص أمر أهم لذلك نرى تخصيص معهد للغات لدراسة هذا اللون من اللغات بالاسلوب الدينى مع التدريب على الخطابة بها باللغة التى يتعلمها وفى أثناء الدراسة تكفل له الدولة ما لزميله من مرتب فى الوظيفة ونلحظ أن تأثير هذا فى الدعوة يكون أقوى وأعم وأشمل مع توفير المعلومات الكافية عن الدولة التى يدرس لغتها وأهم العادات والافكار التى تروج عندهم حتى اذا خرج كان لديه الفكرة عن تلك الديار ويا حبذا لو تم له رحله أو أكثر أثناء الدراسة والمعايشة هناك

لاسابيع وذلك ما يرشد اليه قوله الله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» .

١٢ — أثناء الدراسة تكون هناك دراسة عن الديانات السماوية والمذاهب والافكار الوضعية مع بيان الاماكن التى تروج فيها تلك الديانات أو المذاهب وعدد المعتقين على وجه التقريب مع دراسة جغرافيا العالم الاسلامى والمناخ الاقتصادى وأهم الحاصلات والصادرات لأنه من المعلوم أن الفقر قرين الكفر وما ذهب الفقر الى بلد الا وقال له الكفر خذنى معك فهذه الدراسة أمر مطلوب ومهم جدا فى حياة الداعية .

١٣ — من المعلوم أن الباطل لا يروج الا فى غيبة الحق وأن أهل الحق كلما قلدوا غيرهم كانوا عالة . والاسلام يدعو أتباعه ليكونوا قادة ، لكنهم اليوم فى آخر الصف أو هم ذيل القافلة بسبب ما خيم عليهم من جهل فكرى ، لذلك فان الدراسة العلمية الموضوعية أمر هام جدا فى حياة الداعية .. ويا ليت التدريب للائمة ينهج هذا النهج فى دراسته المكثفة حول اقتصاد العالم الاسلامى ووسائل مواصلاته لنعرف قدرنا وقدرتنا التى حجبها عنا الاستعمار .

١٤ — ان وسائل اعداد الداعية يتطلب منا وضع منهج له خططه منذ اللحظة الاولى فى حياة الانسان ، فلو أننا رجعنا بفكرنا للماضى لوجدنا أن الكتاب فى القرية كان له أثر عظيم فى خلق شخصية الفرد وتكوين فكره وتثقيف الفرد تثقيفا متكاملا لأن الكتاب مع انه كان يحفظ القرآن الكريم كان كذلك يدرب الشخص على تحسين خطه لأنه كان يقوم بكتابة اللوح المقرر حفظه ثم الحساب لأن مسائل الميراث وما تتناوله من ربع الثمن ونصف وما شاكل ذلك كان يستتبع تعلم الحساب منذ الأيام الاولى فى حياة الفرد .. ولا يغيب عن بالنا هذا الحشد العظيم فى المساجد فى ليالى رمضان والمسابقات القومية التى كانت تقام لاختيار أفضل العناصر الحافظة وابرازها أمام أبناء القرية مما يشجع الكثير على الاقبال للحفظ أكثر وأكثر ، لذلك ندعو الى احياء الكتاب واعطائه الصبغة الرسمية مع منح حفظة القرآن بعض الميزات عند دخولهم الجامعة أو المدارس الثانوية بأن يكون كل جزء له درجات تضاف الى مجموع الطالب وكلما كثر الحفظ يزاد له وهكذا ، هذا الجانب سيفتح الباب أمام الطلائع والشباب للاقبال على القرآن الكريم وحفظه فى الاجازة الصيفية . واستمرارية المتابعة لهذا الطالب الحافظ ومنحه الحوافز والزج به ليلتحق بكلية الدعوة سيكون أفضل بكثير ولا ننسى وضع منهج مبسط يتناول قضايا العصر مع التعرض لدراسة الكون والفضاء وعلم النبات والبحار والثروة المعدنية وجغرافية المجتمع الاسلامى ليكون التفتح على العالم فكريا ودراسة حية ليس بينها وبين المجتمع انفصام .. ان الدراسة كلما كانت حية تعبر عن الماضى وتلمس المستقبل وتمس الحاضر كانت محببة للنفس يقبل عليها الطالب .

ان الدراسة التحليلية للشخصيات الاسلامية

شىء مهم جدا • واذا كان أعـداء الاسـلام يثيرون الآن قضية المرأة ــ والمرأة ليس لهـا قضية ــ لأن الاسلام وضع المعايير لها وحدد المفاهيم الخاصة بشأنها وفصل نهائيا فى هـذا الموضوع • لكن يحلو للبعض عن جهـل من جانبه وعدم فهم من الجانب الآخـر يطـرح هذه القضية ويشغل بها بال المسلمين ويصرفهم عن أهم قضايا الساعة • لذلك • يجب وضع مبادىء محددة مفصله واضحة تدرس للطلبة ووضع نماذج طيبة من فضليات النساء وخاصة أمهات المؤمنين وبيان سيرتهن وأسباب التعدد فى حياة النبى صلى الله عليـه وسـلم • ان الداعية لابد ان يؤهل لزمان غير زمانه ولذلك يجب أن تكون دراسته متقدمة متطورة •

١٥ ــ التدريب فى وقت مبكر وذلك أثنـاء الدراسة الثانوية يكون هناك فتح مجال لمـن عنده قدرة على الخطابة فيتقدم لمعهـده الذى يرشحه لمسجد صغير ويعهد الى شخصية لهـا كيانها العلمى بمتابعته وتوجيهه والأخذ بيده للتقدم فى هذا الميدان •

١٦ ــ اشراك طلبة كلية الدعوة وأصـول الدين فى لجان المصالحات خلال فترة الصيف ومنحهم فرصة لحضور بعض الجلسـات فى المحاكم والاستماع الى المرافعات ثم الاطلاع على ملف القضية تحت اشراف سكرتير عـام المحكمة وكذلك حضور جلسـات الاسـتماع بمجلس الشعب وهـذا تدريب له ولأمثـاله ليتعود النقاش ويتدرب على ممارسة الحكم بين الناس لان الداعية كلمـا اتسـع فـكره والتصق بقضايا عصره كلمـا كان لـه أثر فى تكوين شخصية ممتازة •

١٧ ــ تدريب بعض هؤلاء أثناء الاجـازة الصيفية على العمل القيادى ليكون هناك الصف الثانى فى رسم الخطة ومتابعة العمل ميدانا • كل هذا بجوار العمـل ميدانا فى حقل الدعوة والالتحام بالجمهور •

ولا يغيب عن بالنا ونحن نمهـد الطـريق لايجاد داعية متمرس على العمل يجيد حسن العرض ولباقة الحديث وسعة الافق وقد تزود بالدراسة الملائمة لعصره ••• ان كثيرا منهم يعزف عن العمل فى هذا المجال لكثرة تبعـاته وأعبائه • بل ان البعض منهم يعمل فى جمعية استهلاكية ولا يقبل على العمل العظيم وهـو يعرف منزلة الدعوة الى الله ــ لكنه يشعر بأن العاملين فى حقلها لا يتحقق لهم أى مطلب وهم يدورون فى فلك لا يخرجون من نطاقه وما يبنيه المسجد وامامه خلال سنة يهدمه التليفزيون فى حلقة مدتها نصف ساعة أو ملصقات السينما فى الشوراع • من هنا كان لابـد من التكامل فى العمل الاعلامى قدر الطاقة • نحن لا ننكر أن التليفزيون لابد أن يكون فيه ما يخدش الحياء ويهدم الفضيلة • لكن لو ان ذلك تم مـرة فى الاسبوع أو الشهر لاستطاع الامام ان يضع لها العلاج لكن ذلك يتم فى اليوم والليلة أكثر من ساعتين ارسـال تليفزيون واغـانى تلهب العواطف وتؤجج نار الشـهوة المسعورة أكثر من عشر سـاعات وأكثـر من خمس صفحات بالجرائد والمجلات يوميا فأين موقـع الامام وكيف يستطيع ان يضع العلاج •

ومع ملاحظة ذلك لابد ان يكون أمام اعيننا

◀ وسائل اعداد الدعاة

أن الجمهور قد انصرف عن المسجد لعـوامل اجتماعية ونفسـية • بينمـا المقـاهى تغص بالرواد واحيانا تضيق بمن فيها • لذلك كان العزوف عن عمل الداعية • والامر يتطلب انه مع دراسة وسائل اعداد الدعـاة •• ان يكون وضع خطة لحل مشاكل الدعاة لان الظـروف كلما هيئت لتأدية الرسالة كان الاقبال عليهـا من الاول • لانه من المعروف اننا اذا أردنا أن نهيىء المجرى للماء ازلنا الحشائش من مجرى الماء لينساب فى مسيرته حتى يصل الى هدفه • وهدف الداعية ان يصل الناس بالدين عبادة وسلوكا • فاذا تضافرت عوامل الشر لتطفىء نور الله • ويأتى الله الا أن يتـم نوره كان علينا ان نكون عدتنا بعد الله مع الامام نهيىء له المناخ لان المقادير جملتنا أمانة المسـئولية لذلك على جميع المسئولين على كافة المستويات أن يتعاونوا ويتحدوا لوضع خطة شـاملة • ترفع مستوى الداعية الذى يمـارس عمـله وتعاونه على تأدية رسـالته وبذلك تفتح الباب امام الرواد • أو تزيل الحشـائش من مجرى الماء •• والربط بين تهيئة الوسائل لاعداد الدعاة وبين اتاحة الفرصة لتهيئة المناخ للعاملين أمر مهم جدا •

لذلك أضـع فى نهـاية هذ الموضـوع تلك النوصيات الخاصة بالدعاة العاملين فى حقـل الدعوة الى الله الآن • وليس كل ما قلناه هو الامل ولكن هذا جهد متواضع أسأل اللـه ان يوفق لكل خير وأضرع الى اللـه سـبحانه • ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم •

التوصيات

١ — لما كان رئيس الجمهـورية هـو رب العائلة كان من الضرورى أن يكون لرب العائلة لقاء مع فئة المفروض دينيا وقوميا فيها أنهـا تثقف النـاس فقهيـا وتحثهم على التمسـك بالاخلاق وتعمل بكل طاقاتهـا على تأسيس القيم العالية فى نفوس الناس • ولهذا •

أرى أن يحدد يوم فى كل عام تكرم فيه فئة من الائمة بتوزيع جوائز وأوسـمة عليهم لبروزهم فى أعمال ميدانيـة مبتكرة من خلال المسجد ورسالته والعمل الاجتمـاعى الرائد البناء فى دنيا الناس •

ولقد جرى العرف على تكريم المرأة فى عيد الأم وتكريم العمال فى عيدهم وتكريم المعلم فى عيده والقضاء والاطباء والحـال كذلك الى ان وصل الى رجال التمثيل ومن يدور فى فلكهم اما الأئمة فهم الفئة التى ليس لها يوم يذكر مع أن رسالتهم هى رسالة الحـق والجمـال والعدل والحب والاخاء والتعاون •

ولا ينكر دورهم القيادى أحد : وعطاؤهم المستمر بلا حدود ولكن هل يستطيع أحـد أن يعطى ويعطى دون أن يشعر به أحد : أعتقـد أن ذلك لن يكون : لاننا بشر فينـا أحاسيس وانفعالات تتأثر بالاحداث لذلك كان من آلزم الامور أن تكون هناك لفتة كريمة تسـمح بحنوها تجاعيد الزمن من على الوجه الـذى يتقابل مع الجمهور كل يوم ويواجه الشـعب بكل فئاته يوم الجمعة : وفى ذلك تكريم للدولة التى يظهر نجمها ويبرز دورها القيادى بعدد علمائها الذين أشاد القرآن بهم ونوهت السنة بفضلهم وفى هذا جاء قول الله تعالى «يَرْفَـعِ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » صدق الله العظيم وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » •

٢ — ان الامام ورسالته هى بناء الانسان أخلاقيا والاسهام بقدر الطاقة فى العمل الاجتماعى : وكلما توافرت له سبل الراحة ازداد عطاؤه لهذا كان من أوجب الواجبات توفير السكن المناسب له ذلك لان استثمار وقت الامام خير بكثير من استثمار الاموال لان العلماء هم أعظم ثروة تستطيع الامة بهم أن تؤسس حضارة وتسهم بعقولهم فى كل عمل نافع :ولو أننا وفرنا السكن المناسب للامام لاستطاع أن يشارك بفكره فى دروس الدين واللغة العربية بالمدارس وكذلك مشاركة أهل البيئة أفراحهم والتدخل بينهم لحل مشاكلهم وظهوره فى وسط المجتمع يجعل الجمهور يرتبط به ويأتمنونه على اسرارهم ويشركونه فيما يعن لهم من أراء •

واذا كنا نطالب الامام بالعطاء فعلينا أن نوفر له ما يشعره بالامن والاستقرار •

٣ — توفير الهيبة للائمة يقصر زى معين لهم لا يلبسه الا من تخرج فى جامعة الازهر ويقبل أن يرتدى هذا الزى على أن يمنح لابسه ميزه زيادة فى توفيره واسهاما من الدولة فى احترامه كأن يمنح (أبونيه) مخفضا على جميع المواصلات درجة أولى ولا يسمح باستعماله الا فى حالة ارتداء الزى وهذا من باب التيسير على لابس الزى لسهولة التنقل •

٤ — عمل كادر خاص للأئمة يطبق على الامام بعد مضى فترة من تعيينه وثبوت صلاحيته لهذا العمل وقدرته على العطاء فان ثبتت كفاءته بعد مضى خمس سنوات ينقل لهذا الكادر •

٥ — فتح باب الترقى امام الأئمة وفتح المجالات لانشاء درجات وكيل وزارة يشغلها كل من تدرج فى هذا الميدان بدأ من الامام وأرى أن يكون لمن لهم بفكره فى تقديم بحوث تخدم الفكر الانسانى وعمل الامام وتوسع الدائرة فى كافة الاتجاهات يرقى بالاختيار ويكون مثله كمثل استاذ الجامعة تكون النظرة اليه من خلال عمله وأبحاثه وبهذا نضمن عكوف الامام على القراءة والاستزادة بالمعرفة والاسهام بنتائج فكره فى عمل الامام مع منح حوافز على الاعمال الجيدة •

٦ — عمل دورات علمية يحته تكون الدراسة فيها أكاديمية وتكون على شبه الدورات الخاصة بالقيادات الادارية على أن يتناول الأئمة أثناء هذه الدورة القاء محاضرات فى المساجد الكبرى وأحاديث بوسائل الاعلام ويعقب ذلك التقدم ببحث عن موضوع له مغزاه الاجتماعى والادارى والعلاقات الانسانية والاراء الفقهية ومشاكل البيئة وطريقة حلولها وكل من يشترك فى هذه الدورة يكون له الاولوية فى الاشتراك فى المؤتمرات الدولية •

٧ — تشكيل نقابة عامة لها كيانها المعنوى وهذه النقابة تصدر مجلة أسبوعية تتناول العديد من أخبار العالم وما يجرى على الساحة الاسلامية وتهتم بالمشاكل الاجتماعية

وسائل اعداد الدعاة

وطريقة حلها عن طريق المفاهيم الاسلامية وتقوم بوسائل التعريف بالأئمة الكبار الذين خدموا الحقل الدينى وطرقتهم الاجتماعية ليكونوا قدوة وليتصل الماضى بالحاضر .

٨ ــ أن يكون الامام عضوا بلجان المصالحات ومجالس الجمعيات الخيرية التى تقع فى الحى الذى يعيش فيه ومجالس آباء مدارس الحى ومجلس ادارة المستشفى ومجلس الحى أو المدينة والقرية وما شاكل ذلك .

ولا يجوز الاعتذار بتعدد الأئمة لانه فى حالة صدور التعليمات الخاصة بذلك يمكن تنظيم العمل بحيث لو كان هناك أكثر من امام يتم التوزيع بينهم ولو لفترة زمنية تحدد بسنة مثلا المهم أن يشارك الامام فى كل عمل من شأنه رفع مستوى البيئة علميا وفكريا واجتماعيا وتأدية الخدمات للجمهور الذى يرتبط به من خلال المسجد ورسالته هذا مع ربط قيادات الدعوة الاسلامية بالاتحادات العامة والنوعية كاتحاد العمال والزراعيين والمحامين وغير ذلك ليكون هناك اثراء لكل فكر بما للاسلام من يد بيضاء على هذه الاتجاهات الفكرية التى تخدم صالح الانسانية وتدعم الروابط الاخوية بين الجميع .

٩ ــ اسهاما فى خدمة الدعوة وتيسيرا على الامام أرى انشاء غرفة عمليات بالوزارة تكون فيها المعلومات عن :

(أ) الاحصائيات السكانية لجميع قرى الجمهورية كل وحده على حدة وتوزيع السكان واماكن الكثافة السكانية والتجمعات العمالية والزراعية وما شاكل ذلك .

(ب) دور العبادة والمنطقة المحيطة بها وتجميع عادات وتقاليد كل قرية أو مدينة ووضعها فى كتيبات مبسطة يزود الامام الذى يعين حديثا .

(جـ) وضع خطط لمواجهة التيارات الفكرية مع اعداد نماذج للرد على الاسئلة التى يحتمل مواجهة الامام المعين حديثا لها .

١٠ ــ فتح باب الأبتعات الداخلى أمام الأئمة وذلك بنقلهم على مساجد صناديق النذور بحيث لا يمكث الامام أكثر من سنتين بمسجد النذور ويرقى الى الاعلى مستوى ويكون المثل هنا هو عمداء الكليات حيث أن الواحد منهم يمكث سنتين ثم يتم تغييره ولما كانت صناديق النذور فى مجتمعنا تعطى دخلا طيبا فان من الظلم أن يستمر امام فى الأخذ مع حرمان زميله ونحن بطبيعتنا بشر ونتأثر بالمال بلاشك له أثره فى تهيئة العيشة الكريمة ومنعا من حقد القلوب وانطواء النفوس على البغضاء يتم هذا العمل ليحل محل ذلك الحب المتبادل ثم يؤهل الامام نفسه لانه بعد فترة سينتقل الى مسجد أعلى وجمهور أكثر وفى حالة تنازل الامام عن حقه فى هذه البعثة الداخلية فيتم بحث حالته وتقييم فكره فان كان لاهيا لاعبا يحرم من الترقية الأدبية لمدة سنتين علاوة على حرمانه من مساجد النذور وان كان قدره هو هذا فيكتفى بالحرمان من صناديق النذور .

١١ــ ان الامام ورسالته لا ينكرها الاجاحد أو مكابر لذلك كان من العمل على تشجيع

الامام للاسهام فى كل مجالات الحياة والانتقال الى الناس والالتحام بهم فى تجمعاتهم كان من الضرورى تعيين مساعد لكل امام (مقيم شعائر) مهمة هذا المساعد هو أن يحل محل الامام فى حالة غيابه خاصة فى يوم الجمعة وعمل هذا المساعد فى مسجد مجاور وهذا المسجد يغلق فى يوم الجمعة لينتقل رواده مع المساعد الى المسجد الجامع لتأدية صلاة الجمعة مع خطبة واحد توحيداً للكلمة وجمعا للصف . وفى حالة غياب الامام وعدم قدرته على الخطبة يحل المساعد محله .

ان الامام طاقة ومن الظلم تعطيل تلك الطاقة ومن المعلوم أن الباطل لا يتحرك الا فى غيبة أصحاب هذا الحق ولا تروج الافكار السيئة الا عندما يخفت صوت الحق فلو اننا استطعنا ان نحول الافكار الى عمل بناء لخدمة هذا المجتمع العظيم لاستطعنا أن نبنى حضارة تقوم على المادة والروح تسعد الانسانية فى ظلها وتحيا آمنة تنطلق فى مواكب الخير تؤسس المدنية التى تتقدم العالم بما فيها من خير وخلق وعلم وفكر .

ان الهروب من عمل وظيفة الامام مرجعه الى سبب ذلك الركود والركنة على الرف كما يقولون والناس دائما تحسب مرتب الامام وبكم تكون ركعته فى الصلاة وهذا بلا شك له تأثير نفسى على الامام الذى يفقد الهيبة المطلوبة من جمهوره ومرد ذلك السلبية الموجودة كما أنه يكمن فى ما طرحناه من مشاكل وتوصيات والامر جد خطير يحتاج الى علاج حاسم لهذه الفئة التى ان مكنت بذلت العطاء بكل ابعاده لان رسالتها هى رسالة الحق وهم يرددون دائما قول نبيهم الكريم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » كما ان الصالحين من هذه الامة كما حكى القرآن عنهم تمنوا من الله وطلبوا منه أن يكونوا للمتقين أئمة » وصدق الله العظيم

« وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »

ونحن اذ نتقدم بهذا يحدونا امل ويدفعنا رجاء أن نجد لما قلناه حلا وأن تكون هناك أفكارا غير ما قلناه من شأنها الأخذ بيد الأئمة ليتبوؤا فى دنيا الناس المكان اللائق بهم والحل لمشاكلهم والاستماع لصوتهم ونسأل الله أن يكتب لامتنا عزا ومجدا بقيادة زعيمها وقائد نهضتها ومسيرتها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

الخاتمة : ان المتغيرات الدولية تجعل الفكر الانسانى الآن يسمع اكثر مما تقرأ العين الامر الذى يجعلنا نقول بأن معظم الافكار الوافدة من الشرق أو الغرب والتى يعض عليها بالنواجذ بعض الفئات هى وافدة علينا وليست لها أصول من هنا كان الامر خطيرا للغاية لانه تجعلنا نسمع ونحلل ونضع الرد على ما نسمع وليس الامر بالهين ولا باليسير وانما هو من الصعوبة بمكان لأنه كلما كانت الافكار مدونة استطعنا قراءتها وتمحيصها وليس الحال كذلك بالنسبة للعديد من الاراء لذلك كانت رسالة الامام من أصعب الوظائف ولعل البعض يقول انها رسالة وأبادر فأقول انها رسالة فعلا وهى أعظم رسالة يحملها الانسان ويعمل فى ميدانها لان شرف العمل بعظم قدره وقدر الدعوة الى الله شرف كبير ووسام فخر على صدر العاملين فى حقله لان

سيدنا ابراهيم عندما قال الله له انى جاعلك للناس اماما طلب سيدنا ابراهيم من ربه أن يكون هذا الشرف فى ذريته وأبنائه وأحفاده فقال الله له ان هذا الشرف لا يناله الا التقى ولقد وضح القرآن لنا ذلك فى قول الله تعالى « وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ » ورسالة الامام هى بالمكان الاول الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن خلال هذا تتحول دنيا الناس الى جنة يشعرون فيها بالامن والاستقرار وهذه نعمة عظيمة منحها الله للمؤمنين حيث قال جل شأنه « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ » فالامن والاستقرار دعامتان تبحث الانسانية عنهما لان المجتمع السعيد هو الذى يعمل وبالعمل تتقدم الحياة وتزدهر المدنية والامة العاملة المنتجة يحترمها الغير وينظر اليها نظرة اجلال واكبار والامة لن تتقدم الا اذا كان فيها دعاة الخير ورسل الحق الذين جاء ذكرهم فى قول الله « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » وكذلك قول الحق سبحانه « الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » كل ذلك وغيره كثير يجعلنا نقول بأن الجامعة الازهرية عليها العبء الاكبر فى تهيئة فكر الامام وتوسيع مداركة الفعلية والامام بعد تخرجه يشعر انه بدأ يضع قدمه على سلم يصعد به الى العلوان ان هو اجتهد فى تحصيل العلم والبحث فى امهات الكتب والكشف عن غوامض اللغة والرجوع الى ابيئة لينهل منها لان الحق سبحانه يقول وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فمع البحث والتنقيب لابد من الالتحام بأفكار الناس للتعرف على اتجاهاتهم ومقاييس تلك الاتجاهات وتحليل أبعادها لتكون الموعظة فى موقفها : ولعلنا نذكر فى هذا المقام الحسن البصرى وهو الواعظ المفوه كان يستولى على العقول ويشد انتباه الجماهير • ذهب اليه جمع من العبيد وقالوا له ياشيخنا عظ الناس ان يعتقونا فان قد أصبنا بالكلل والتعب فوعدهم خيرا ومضت مدة ولم يتكلم الامام فى عتق العبيد فذهبوا اليه فوعدهم خيرا ومضت مدة ولم يتكلم فى عتقهم وامتنعوا عن الذهاب اليه لأنهم ظنوا أنه يسوف معهم ولكن وقف هذا الواعظ يوما على المنبر وتكلم فى العتق وفضائله وما له من ثواب وأجر ثم قال وأنا أبدأ بعتق عبدى فلان وبعد الصلاة أعتق

الناس عبيدهم وهلل العبيد وفرحوا لأنهم منحوا الحرية المفقودة وذهب العبيد الى الامام يشكروه وقالوا له لقد أطلت علينا الوقت وكنا قد يئسنا منك فقال لهم لم يكن عندى عبد أعتقه فكنت أجمع الثمن حتى اذا اشتريت عبدى كنت قد تعرفت على اتجاهات الناس وعرفت رأيهم ومن هنا كان لكلامى تأثير فى النفوس •

وهذا مثل يعطينا ما نسميه بالاستقرار فالامام الذى يتعرف على لهجات قومه وأفكار منطقة مسجده ويخاطب البيئة بما يتناسب مع فكرها له تأثير ووقع فى نفوس الناس : وتراثنا الشعبى غنى بالمفاهيم وقبله الدينى بما فيه من فلسفة تتفق مع كل فكر وما علينا الا أن نغوص فى أعماق هذه المفاهيم لتؤثر فى الناس بعد ان تأثرنا بمفاهيم واستخرجنا من خلال ذلك حسن التوجيه وأدب الحديث • وأمتنا اليوم وهى بحق فى حالة انتقال من ماض خيم عليه ما خيم الى حاضر مشرق وحرية ممنوحة علينا ان نبين – للناس ما هو الواجب عليهم أن يعملوه لتسعد أمتهم بهم ورسالة الامام تتطلب أن تعرف الدولة قدره وأن تضعه فى المكان المناسب له وتعمل على راحته وتهيئة المناخ الطيب لاقامته ليستقر فى تحصيل العلم والتزود منه بالقدر الذى يؤهله لهذا العمل العظيم • كذلك ليستطيع المشاركة لجماهير منطقته فى كل عمل بناء يسهم فى رقى البيئة مع افساح المجال له للسفر الى مكان الآثار والوقوف على أحوال الامم السابقة ليستطيع ضرب المثل بعد المشاهدة لأننا لا نستطيع أن نطالبه بالعطاء بينما هو قلق النفس موزع الفكر غير مستقر ان الامر يتطلب النظر فى حل مشاكل الامام ويومها سيعود المسجد مكان العمل الاجتماعى العظيم لأن المسجد مبنى ولابد للمبنى من معنى يدفع به للاسهام فى رقى البيئة وتطورها •

والأمل الآن معقود على الامام ليقوم بدوره المنوط به وعليه أن يلتحم بالناس ليوصل كلمة الخير ويهدى بخلقه وسلوكه وعظاته الى طريق الهدى والرشاد والله يقول الحق ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم •

منصور الرفاعى عبيد

هل يستعيد

* **منذ ستة قرون** والاسلام يتراجع فكرا وقوة ، فالحضارة الاسلامية العادلة الباهرة التى تحقق بها السماء سعادة البشر ، يطوى بساطها الزاهر فى آخر ثنياته عن بلاط غرناطه بالاندلس ، بعدما ضيع الاسلام نزاع ملوك الطوائف واستعداؤهم الفرنجة على المسلمية ولسنا مع المؤرخين الذين يقولون أن سقوط غرناطه المسلمة فى غربى أوروبا عاصرته وعدلت الميزان فيه وثبة الاسلام فى القسطنطينية فى شرقيها وسيطرة خلفاء آل عثمان المسلمين على دول البلقان اذ أنه فى ظل السلاطين الاتراك تراجعت روح العروبة عن نصاعة الاسلام ، وأولى هؤلاء السلاطين ظهورهم للشعوب العربية ، وتهرأ النسيج العربى الاسلامى وسادته الطورانية التركية ، ولم تنجح محاولات جمال الدين الافغانى مع السلطان عبد الحميد فى العمل على التئام العروبة والاسلام ، حتى كانت الطامة على يد أتاتورك فألغيت الخلافة الاسلامية وتقطعت الاواصر بين المسلمين ، بعدما عبثت العنصرية التركية بتقاليد الاسلام وأصول حضارته فى المساواة والعدالة واحترام البشرية الشاملة ، أيا كان لونها أو جنسها أو موقعها أو حتى دينها ، هذه الأسس التى استجابت بها الارض للسماء وانطلقت بها الدعوة الالهية تنشر العدل والرخاء والسعادة فى كل أقطار الارض بلا أدنى تمييز ، فتناثر الخير والرخاء على قدم المساواة بين العواصم وسائر الاقاليم ، اذ كانت أوامر الخلفاء تقضى بانفاق الخراج فى موطن جبايته لعدم حاجة بيت المال اليه ، فلم تكن سيطرة العاصمة الا تنظيما يكفل توزيع الخير بالقسطاس ، وما كان للعاصمة ولا لأهلها أن يستأثروا بما ليس من حقهم ، ولذلك تداولت السيادة بين المدينة المنورة فى الحجاز ودمشق فى الشام وبغداد فى العراق والقاهرة فى مصر وقرطبة فى الاندلس ولم يتميز أهل قطر على آخر ، فالمسلمون جميعا فى ظل الحضارة الاسلامية سواسية كأسنان المشط والعدالة للناس جميعا ، وبيت المال ينفق على الذميين المحتاجين .

وعندما تراجعت الحضارة الاسلامية وسيطرت حضارة الاستعمار الاوروبى فرقوا بين الناس ، وقسموا البشر الى غالبين ولهم الخير كله ، والى مغلوبين وعليهم الغرم كله ، وانطلقت خطى الحضارة الطاغية حتى أصبح العالم عالمين ، العالم الاول الصناعى المتقدم المسيطر ، والعالم الثالث الذى يستنزف حتى الموت .. وكلما تقدم الزمن ازدادت شقة الخلاف واتسع المدى بين الجانبين حتى

المسلمون؟ حضارتهم

طالعتنا اخيرا التقارير الرسمية للامم المتحدة والبنك الدولى سنة ١٩٨٠ لتقول أن فى العالم الثالث (وأغلبه مسلمون) ٦٠٠ ستمائة مليون انسان يعيشون تحت مستوى الفقر المطلق وأن ١٢ اثنى عشر مليون انسان منهم ماتوا من الجوع سنة ١٩٧٨ ، ومازالت طواحين الحضارة المعاصرة تعمل ومازالت غيلانها تتعطش الى الدماء ، وتحتكر التكنولوجيا والعلم الحديث ، ودق ناقوس الخطر ينذر المسلمين .

وقد قامت الحضارة الاسلامية أساسيا على العقيدة ، وتطبيقا للفكر الاسلامى ، وهو فى جوهره يحترم العقل البشرى وارادة الانسان غاية الاحترام ، فالشريعة ــ اذ تضع الاسس وتحدد القواعد العامة ــ تطلق العقل ليحقق ذاته فى محيطه فى كل زمان ومكان وفى مواجهة كل ظروف التطور والتقدم الذى تحض عليه وهى تدفع الى العلم واستثمار كل الامكانات البشرية والمادية لخير الناس كافة ، وهى تحتضن العلم من أجل خدمة الانسان ، فالاسلام لا يجافى حقائق العلم الثابتة ولا يناقضها ، أما التجارب العلمية التى لم تستقر بعد فحقائق الدين اثبت منها ، وهذا هو المنطق كل المنطق وأحكام الاسلام قطعية كانت أم تأويلية لا يناقضها العلم .

أما العلمانية التى ترفع مقاطعة الدين شعارا ، وتنحدر الى مهاوى الالحاد ، وتدعى استهداف العدالة ، والمساواة العمياء بين الجماهير ، فقد فضحتها التجارب العملية حيث أدت الى سيطرة الطبقة على المجتمع كله ، وسيطرت الحزب على الشعب كله ، وتأليه

هل يستعيد المسلمون

الزعامات والقيادات ، وعبادة (المانفستو) والتعاليم ، وتسخير الدول التابعة لخدمة الدولة الام بالقهر والعنف وما أمر المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندة ببعيد • وليس كذلك الاسلام وهو دين حضارة المساواة والعدالة بين أفراد وطبقات الناس كافة ، أيا كان موقعهم اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وجغرافيا.

وأما الحرية التى يدعونها فقد أدت الى سيطرة رأس المال بلا قيد ولا رادع يحد من غلوائه وتسخيره الانسان حتى أمام صناديق الانتخاب ، ثم سيطرة الانسان الابيض على الانسان الاسود ، فى صورة يندى لها حتى جبين تلك الحضارة المدعاة ، فضلا عن استنزاف العالم الثالث وفرض التخلف على الانسان فيه •

هذه هى الثوابت التى يصرخ بها الواقع الحضارى العالمى المعاصر صباح مساء لكل من ألقى السمع وهو شهيد ، والتى لايمكن أن يغفل عنها أى انسان فى أدنى درجة من الوعى ، حتى ولو دوخته تهاويل الدعايات الحديثة ، ووسائل اعلام الفنية المتطورة ، وأغرقته فى دوامة تفقد الانسان وعيه •

هذه هى ايدلوجياتهم وهذه أفكارهم وخططهم وسياستهم وقد وضحت لكل ذى عينين •

أما فكرنا الاسلامى فقد أرست قواعده السماء واجتهدت فى استيعابه الامة الاسلامية فأصابت حينا ثم اخطأت أحيانا ، هذا الفكر عانى بعد صحوة الاسلام من نزعات الهوى وطموحات النفوس الامارة بالسوء ، ولكنه بفضل ما يحمل فى أعماقه من جذور وبذور اليقين ، ظل يغالب النزوات العارمة منذ حمل « معاوية » المصاحف على أسنة الرماح فى الفتنة الكبرى الى معاناة الامام الاعظم « أبى حنيفة » لاشفاقه من مسئولية القضاء ، الى ايذاء الامام « ابن حنبل » فى محنة خلق القرآن ، الى تيسير « أبى يوسف » للفتاوى فى بلاط الرشيد ، الى حملة الامام الغزالى على العقلانية فى (تهافت الفلاسفة) ، الى ردود « ابن رشد » فى (تهافت التهافت) الى الفرق المتصارعة من سنية الى شيعية الى معتزلة الى أشعرية الى أباضية الى زيدية •• الخ ، ثم الى الاتفاق على وقف الاجتهاد بماله وما عليه •

وفى ظل هذا الفكر بما يعانية كان انطلاق الحضارة الاسلامية الكاسحة ، بفضل ما يحمله هذا الفكر من جواهر لا تخبو ، وبفضل ما ترسب فى أعماق المسلمين من أصول ايمان ، دفعهم بالقصور الذاتى الى الحركة العارمة ، فازدهرت الحضارة الاسلامية وعلمت البشرية الكثير ، ومازال « المستعربون » الاسبان وهم مسيحيون ويعيش أحفادهم حتى الآن فى « توليد » و « طليطلة » ، ولهم كنائسهم التى صانها المسلمون فى عهد سيطرتهم ، مازالوا يشهدون بسماحة الاسلام وعدالته وتسامحه، واحترامه لحرية الانسان وعقيدته وكرامته ، ولذلك رفضوا محاربة المسلمين أيام الصراع

حضارتهم

رغم الاغراء والتهديد •

ثم تراجعت الحضارة الاسلامية نتيجة لعوامل متعددة ، منها تراجع الجيوش الاسلامية المتحضرة أمام جحافل (الغال) البدائية المنطلقة من أحراش وسط أوروبا وشمالها ، ومنها تنازع ملوك الطوائف المسلمين حين صار بأسهم بينهم شديدا ، وحين استعانوا بأعدائهم الفرنجةعلى اخوانهم ومنها اضمحلال حركة القصور الذاتى الاسلامية لبعد العهد وتقادم الزمن بالنبع الاول ، ومنها اضطراب الفكر الاسلامى الصافى أمام خلاف الرأى وتباين المذاهب وبلبلة الرأى العام ، ومنها ـ ولعله أهمها ـ تصدى الاعداء وانطلاق الحضارة الشابه الناهضة فى أوروبا ومهاجمتها الاسلام بعد استيعابها أصول حضارته وثقافته وعلمه •

فقد هوجم الاسلام تحت شعار الصليبية فى الشرق ، ثم آزرت أوروبا جيوش « فرناندو » و « ايزابيلا » لتطرد ملوك الطوائف من الاندلس ، ثم لتمحو الحضارة الاسلامية هناك ثم تآمرت أوروبا على الرجل المريض (الخلافة العثمانية) لتتقاسم اشلاء الدولة الاسلامية ، ثم لم تنس بدعوى حمايته أن تحطم الاسطول المصرى المسلم فى (نوارين) فى أرخبيل اليونان ، لتقضى على كل قوة اسلامية تحت أى ادعاء ، وقد تخلت فرنسا عن محمد على رغم تحالفها معه ، ثم انقضت أوربا على العالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الأولى احتلالا واستعمارا وندبا ووصاية ، وبعد الحرب العالمية الثانية اشبعته خداعا وكذبا وتضليلا ، حتى غرست فى قلبه اسرائيل لتعيق خطاه وتشغله وتبدد طاقاته وحتى لقد بلغ الامر اخيرا ان اختلط وتناقض ، بين هل اسرائيل غاية لتحقيق وطن اليهود ؟ أم وسيلة للقضاء على يقظة الشرق والاسلام ؟ وأخيرا وليس آخرا تحالفت الامبريالية الغربية لضرب الحركة العربية المسلمة سنة ١٩٦٧ وتخلت روسيا عن عبد الناصر أيضا رغم تظاهرها بالمساعدة • ألا ما أشبه الليلة بالبارحة •

والآن فان النظرة المجردة الى الواقع المرير للعالم الاسلامى بقدر ما تسمح به هذه العجاله تكشف عن حقائق من جوانبها •

ان القوى العالمية الآن ومنها ثلاثة مراكز هى أمريكا وروسيا واتحاد أوروبا تتشبث بالسيطرة على العالم الثالث ومنه العالم الاسلامى ، ومواصلة فرض الاستغلال والتبعية عليه وهى فى هذا السبيل يأخذ بعضها بتلابيب البعض الآخر ، فى صراع مرتجاوز مدارك البشر ، فالصواريخ الذرية عابرة القارات تتململ من التربص ، وقد يخطئها الحساب فتنطلق ، والطائرات العملاقة تنوء

هـل يستعيد المسلمون...

بالقنابل الذرية ، وتدور ليل نهار فى فلك حول الارض ، وقد تختل موازينها — بغير قصد — فتسقط ، هذا ما نعلمه ، وهناك — على سبيل القطع — مالا نعلمه من اسرار العلم والتكنولوجيا المحتكرة ، وهو كثير .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى بلغ الاستغلال والاستنزاف والقهر والتبعية المفروضة على العالم الثالث الى حد موت الانسان من الجوع كما سبق ، وقدمنا من واقع التقارير الرسمية للهيئات الدولية التى تسيطر عليها أيضا القوى الكبرى ، ولعل ذلك تخطيط يراد به القضاء على الانسان حيث تحل محله الآلات الحديثة .

ومن ناحية ثالثة يعيش انسان العالم الثالث هذا مربوطا بخيط محكم حوله بشدة ، ويقوده فى تبعية واذعان للامبريالية ، يقدم ما عنده بلا ثمن ، ويستهلك ما يقدم اليه بأغلى الاثمان لحساب الانسان المتقدم المسيطر ، وهو — أى انسان العالم الثالث — فى هذا المجال واقع تحت طوفان الدعاية وتيارات الغزو الفكرى ، مما يفرض عليه أنماطا من الحياة المادية يمارسها ويقبل عليها ويعتادها ، وهو يدرى أولا يدرى أنها تكرس تبعيته ، وتقضى على أمل خلاصه ونهضته الذاتية واستقلاله ، حتى أنه ليكاد ينحدر تلقائيا الى المبالغة فى هذه التبعية ، والامثلة على هذا متعددة وصارخة ولايتسع لسردها المجال ، واذا كان لابد من اشارة فهى تتلخص فى أن تعقيدات الاسواق المالية التى تتفنن فيها الأساليب الامبريالية أدت الى زيادة مخزون وفائض البترول فى الوقت الذى انقطع فيه بترول ايران والعراق كما أدت الى أن تصر بعض الدول المنتجة للبترول على تخفيض أسعاره ، والمثل الاشد وضوحا يتمثل فيما يدور فى تجارة الاسلحة ودور الحروب المحلية فى العالم الثالث فى استهلاك الأسلحة القديمة — اذ أن الاسلحة المتطورة جدا ذات الاسرار محتكرة ولا يسمح ببيعها — وذلك بأسعار باهظة لحساب مصانع الاسلحة فى الدول الكبرى ، وأخيرا وأوضح نموذج على هذا ما يجرى الآن فى حرب ايران والعراق ، حيث تحصل ايران على السلاح الروسى من ليبيا ومن سوريا ، والسلاح الامريكى من اسرائيل ليواجه السلاح الروسى الذى يصل العراق مباشرة والسلاح الامريكى الذى يصلها من الاردن والسعودية ، وفى هذه الحالة يستفيد الشرق والغرب على حساب العالم الثالث . ويجرى مثل هذا بين لبنان واسرائيل ، وبين المغرب والجزائر ، وبين تشاد وليبيا .. الخ .

ونعود الى انسان العالم الثالث المسكين المشدود الى ساقية الحضارة المزعومة ، وهو يدور حول نفسه ويتأخر كلما خيل اليه أنه يتقدم ، وهو يملك امكانات ، منها المواد الخام وأهمها البترول ، ومنها فوائض الاموال المكدسة والتى تستفيد منها الامبريالية فى كل مكان ، ومنها القوى البشرية الهائلة التى أصبحت لكثرتها عبئا عليه ، والتى يحاول هو التخلص منها ليتخفف .

وهذه العناصر لو أتيح لها الوعى الناضج ،

حضارتهم؟

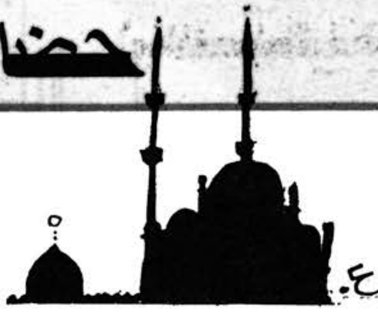

ونحيت عن سبيلها العقبات ، لكان لها فى المسيرة شأن آخر ·

ومن هنا يبرز دور الدعاة ، ولن تصح الدعوة الا اذا ارتكزت على قاعدة سليمة ، واتخذت اسلوبا صحيحا واستندت الى مقدرة لايعوزها الايمان ، وليس كالفكر الاسلامى سبيلا للنجاة ، لا لأنه عقيدة ما يقرب من الالف مليون انسان فحسب ، ولكن لان التجارب العملية واستقراء التاريخ — كما قدمنا — يثبت أنه أقوم السبل لخير الانسان وسعادته ورخائه وتقدمه ·

وخلاصة القول أننا أمام انسان مسلم يعيش غالبيته فى العالم الثالث ، متخلفا مقهورا مستغلا تابعا للامبريالية العالمية ، وهو يزداد تخلفا بالموازين العالمية — كلما خيل اليه أنه يتقدم ، وهو يقع ضحية غزو فكرى ثقافى لاكثر من قرن من الزمان ، وقد ارتبط بحضارة غريبة عنه يتشبث بمظاهرها ويعيشها على وهم ، ولكنه يزداد ارتباطا بها ، وهو واقع تحت ضغط طوفان اعلامى قاهر ·

وهدفنا هو اعادة هذا الانسان الى الجادة اى الى حضارته الأصيلة المتلائمة مع بيئته ، والملتصقة بكيانه ، والمتعانقة مع روحه وفكره ، وفى نفس الوقت غير المنعزلة عن الحضارة العالمية المرتبطة بالتطور العصرى والتقدم الحضارى ·

ومن أهم السلبيات والمعوقات تلك الحالة المتردية جدا التى وصل اليها انسان العالم الثالث من ناحية ، ثم تشبث الامبريالية العالمية المستميت بالسيطرة عليه ، مع توافر كل وسائل التكنولوجيا الحديثة المادية والمعنوية لها من ناحية أخرى ·

ولكن الايجابيات — كما قدمنا — متاحة ، ومنها شهادة تاريخية واقعية بأن الفكر الاسلامى هو أقوم الطرق لخير الانسان ، ثم شهادة معاصرة بذلك ، آيتها ذلك الذعر الذى اجتاح العالم عندما أعلن أن هناك ثورة اسلامية فى ايران ·

ومن الايجابيات كذلك : يقظة انسان العالم الثالث ، وعمق احساسه بالكارثة ، والتفاته الى الدين حيث لا عاصم غيره ، ولهذا هرعت الملايين من الشباب خاصة للاحتماء بالدين ، وان تفرقت بهم السبل ·

ومن الايجابيات أيضا : أنا نمتلك من مقومات الحضارة رؤوس الاموال فى بعض الدول ، والقوى البشرية فى بعضها الآخر · والحصول على التكنولوجيا ليس ببعيد ·

ويمكن أن يدرج بين الايجابيات : كثرة الدعاة ، وغزارة انتاجهم ، وتيسير وسائل نشر الكلمة المطبوعة والمسموعة ، وان كانت الأمية من أبرز سمات العالم الثالث ·

وبقى أن تتركز الدراسات الجادة والمتخصصة والواعية والعميقة حول موضوع الدعوة والدعاة ، مقدرة وكفاءة ومادة وعلما

هل يستعيد المسلمون حضارتهم ؟

ومنهجا وأسلوبا •

والأساس لنجاح الدعوة يكمن فى العودة الى أصول الدعوة الاسلامية ثم مسايرة انتقالها مع الزمن ومعاصرتها للاحداث ومواجهتها للتطور ، عن فهم ووعى يواجه الحاجة ولايخرج على الاصل ، ثم اقامة البناء من هذه اللبنات المضيئة لنلتقى مع واقع الانسان المعاصر بكل ظروفه وحالته التى وصل اليها والتى شرحناها •

ونستطيع أن نقول هنا أن الحاجة ماسة الى جلاء الفكر الاسلامى الصحيح ليلمع ضوءه ويسطع بريقه ، وليست هذه مهمة يسيرة بعدما وصلنا اليه •

ولكنها ليست مستحيلة التحقيق ففى التراث الفكرى الاسلامى على الزمن تلمع جواهر بين ركام القشور والانحرافات ، فاذا استطعنا الوصول اليها وتنقيتها وترتيبها والبناء عليها نكون قد اقتربنا من الغاية قدر الامكان ، المهم أن نرتب الخيوط فى استقامة وأن نجمع الحقائق فى استواء ، وألا تقع فى أحابيل الخلافات الشكلية والأهواء المغرضة ، فنعود الى التشابك والاختلاط ونستأنف الدوران حول أنفسنا ويخيل الينا أننا نسير ونحن فى الحقيقة لانتقدم •

نتبع ذلك فى كل مانصل اليه من آراء وأفكار ونظريات تحيط بحياتنا المعاصرة وتوجهها وتدفعها الى ما فيه الخلاص والخير ، ونتبع ذلك فى كل مانسلكه من سبل لغرس هذه الآراء فى النفوس واقناعها بها وابلاغها الى الجماهير على نهج يعمق الايمان بها ويجعلها السلوك السائد الذى لامحيد عنه ، وليس ذلك أيضا بالأمر اليسير بعدما وصل اليه المجتمع الاسلامى من الوقوع فى براثن الحضارة الغربية عنه والارتباط بها على النحو الذى قدمنا ، الى حد يمكن القول معه ـ بمزيد الأسف ـ ان التغيير أصبح لايقل صعوبة عن تحويل انسان الجاهلية الأولى الى الاسلام •

ولذلك أصبح لزاما على الدعاة أن يعكفوا باهتمام شديد على دراسة وسائل الاسلام الاولى وأسلوب القرآن الكريم فى مختلف المواقف كتحريم الخمر مثلا أو فرض الصيام أو مقاومة الرق ، وأسلوب السنة الشريفة فى القول الرائع « هل تعاهدنى على ترك الكذب ؟ » •

وغنى عن البيان القول بمثالية هذا الاسلوب الرائع ، بما فيه من احاطة وتقدير لاوضاع الناس ، والعادات المتمكنة من نفوسهم ، وارتباطهم بالمجتمع حولهم وتقيدهم بما رسخت فيه من تقاليد ، واستحالة خروجهم مما هم فيه طفرة واحدة ، ثم ملاينة هؤلاء الناس على ماهم فيه من أخطاء ، وتزيين الصواب أمامهم ، وجرهم اليه بخيوط ناعمة محببة الى نفوسهم ، حتى اذا لانت نفوسهم ، واستجاب عصبهم ، حددت لهم القواعد الصارمة وأوضحت لهم الحدود الحازمة ، ورسمت لهم الجادة الصحيحة ، بما يحيط

بجانبيها من ثواب وعقاب ، وهكذا يمكن أن يرتفع الانسان الى المستوى الرفيع درجة فوق درجة وخطوة بعد خطوة ، وذلك السبيل الذى هو أقوم •

وبهذين المقياسين من ناحية جلاء الفكر الاسلامى وايضاح النظرية فيه ، ومن ناحية جذب الناس اليه وأسلوب ربطهم به ، نجد أننا بالرغم من كثرة الدعاة وغزارة انتاجهم لايزال بيننا وبين الهدف الكثير من المدى الواسع •

قرأت أخيرا لداعية كبير مقالا فى صحيفة أسبوعية بعنوان « الدين والسياسة » يستهله بقوله : (لاشبهة فى أن الاسلام لم يرسم للحكومة أو للدولة الاسلامية حذودا تبرز خصائصها التفصيلية ، ومايصلح من قواعد بشأنه فى بلد ، لاينجم عنه الا الفساد فى بلد آخر ، وماتستقيم به الامور فى حين تلتوى وتضطرب فى حين آخر) • وهذه مقولة صادقة فيما تقرره فى الجملة الاولى ، ولكن الحماسة غلبت الكاتب فى الجملة الثانية فعمق المعنى أكثر من اللازم ، وكان يكفى أن يقول « وما يصلح بشأنه من وسائل فى مكان أو زمان قد لايصلح فى مكان أو زمان آخر» وقد يبدو الفرق ضئيلا ، ولكنه ذو تأثير كبير اذا لوحظ ما عليه المجتمع الاسلامى الان وخاصة الشباب من حماسة واندفاع ، قد تزيده هذه الألفاظ العنيفة ثورة ، ثم ندور فى صراع لاينقل لنا الى الامام قدما ، وخاصة أن المقال كله لم يحل القضية التى فجرها وتركها •

مع أن القضية قدم لها الحل الأمثل منذ فجر الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين سأل معاوية فى الشام وقد رآه يلبس الثياب الفاخرة ويتخذ الحراس والحجاب ويركب الخيل المطهمة ، فقال لمعاوية ان هذه تقاليد الاقليم ، فقال عمر فى عظمة المشرع الاسلام الواعى (لا آمرك ولا أنهاك) • وقضى به عمر أيضا على خلاف مع بعض الأئمة فى ترك الأرض فى سواد العراق لأصحابها •

وكان أولى بالداعية الكبير أن يتناول جانبا من جوانب الحياة المعاصرة ، فاذا كان سليما، يشرح كيف يمكن تفسير وتأويل القواعد الشرعية تأويلا علميا سليما لتوافق عليه ، أو يشرح كيف يمكن تغيير هذا الجانب اذا كان خطأ ليطابق القواعد الشرعية ، وأن يكون التناول علميا مقنعا ، فهذا هو مانبتغيه من الدعاة فى هذه المرحلة ، مع التزام الأسلوب الاسلامى الذى سبقت الاشارة اليه •

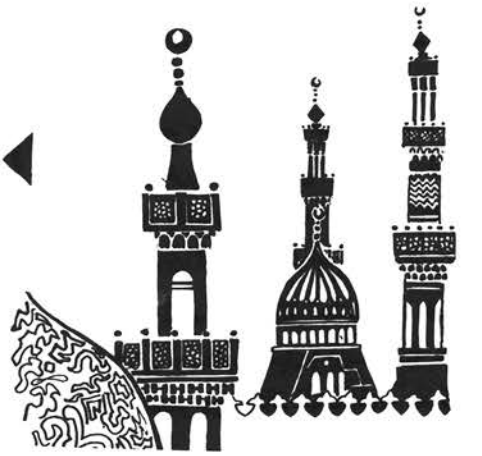

هل يستعيد المسلمون حضارتهم ؟

ومن ناحية مواكبة الفكر الاسلامى للتقدم العصرى وقيادته لهذا التقدم يقال الكثير ، فهناك من الأئمة من فهموا روح العصر وأيقنوا فهم أصول الفكر الاسلامى وألفوا بينهما على نهج رفيع ، وهناك من الدعاة من بصر على النظر الى الوراء وشد المتلقين الى الدوران حول أنفسهم •

يقول الدكتور عثمان أمين فى كتابه « رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده » ص ١٥٩ « يعرض محمد عبده فى تفسير » سورة الفيل « وهلاك جيش أبرهة الحبشى وفيله حين أراد العدوان على الكعبة ، فيفسر هلاك الجيش يرجع الى تفشى داء الجدرى والحصبة فيه ، وهذا الذى نشأ عن سقوط كميات هائلة من الجراثيم حملتها فرق عظيمة من الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم هذه الأمراض ، ويستشهد على صحة تفسيره هذا بما رواه « عكرمة » و « يعقوب بن عتبه » من أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب كان عام الفيل •

قال الامام محمد عبده هذا الكلام منذ مايقرب من قرن من الزمان ، ثم نشر أخيرا كتاب ملحق باحدى الصحف الدينية الكبرى بمناسبة القرن الهجرى الرابع عشر تتناول فيه نفس الموضوع عالمان جليلان ، يقول أحدهما عن أصحاب الفيل (أرسل الله عليهم طيرا من البحر من أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، حجر فى منقاره وحجران فى رجليه — أمثال الحمص والعدس لاتصيب منهم أحد الا أهلكته) • ويقول الثانى (كان موتهم بما تحمله مخالب الطير وكانت تحمل حجارة جهنم لها فعل القذائف الذرية التى لم يكن قد وصل اليها عقل الانسان بعد) •

وقد يقال : انها معجزة والمعجزات خوارق ولايستغرب منها شىء ، وأنها وردت على هذه الصورة فى الغالبية الغالبة من كتب السيرة والمراجع والرواة الثقاة ، والتغيير فيها أمر يشفق منه الدعاة •

ولكن يرد على هذا — مع الاعتراف بالمعجزات — بأن معجزة الاسلام الكبرى هى القرآن الكريم الذى يخاطب الوجدان والعقل والمنطق ويحترم انسانية الانسان وعقله وفكره وحريته ، وأن المنطق والأسلوب العلمى والواقعى محترم ومطلوب فى التعاليم الاسلامية ، وأن التفسير — استنادا الى العلم الحديث وخاصة وأن السند التاريخى موجود فيما رواه « عكرمة » و « يعقوب بن عتبه » بأن الجيش أهلك بالوباء الذى حملت جراثيمه أسراب البعوض والذباب — تفسير منطقى وعصرى يخاطب انسان اليوم بما يماشى مقتضيات حياته ، وأن التفسير بالمعجزة والخوارق بعد مائة سنة من تفسير محمد عبده يعتبر عودة الى الوراء ونوعا من الدوران الذى أفقد المجتمع الاسلامى سيطرته على الحركة الواعية الى الأمام •

هذا بعض من كثير ولنا ان شاء الله لقاء ••

محمد التهامى

مع منهج السيرة

تفسير النبوة

للدكتور محمد إبراهيم الفيومى

يبدو لمن يقرأ تاريخ « السيرة (١) » لابن هشام (٢) : أمر يسيطر على ذهنه ويلح فى السيطرة كلما أمعن فى قراءتها ولايكاد ينتهى منها الا وهو يجد نفسه أمام استفهامات تشده اليها وذلك لما يبدو للقارىء أن ابن هشام تكلف منهجه فى كتابه عن السيرة حين أراد أن يجعل الاحداث ، على مستوى العالم ، وعلى مستوى الجزيرة العربية ، وعلى مستوى القبيلة وعلى مستوى أسرة الرسول : سوابق تاريخية ذات رباط واحد هيأت الذهن البشرى لطلب رسالة الرسول

(١) كتاب « السيرة النبوية » سبق الى تأليفه ابن اسحق ثم لخصه ابن هشام وهو الذى نحيل عليه الدراسة .

(٢) ابن هشام : هو الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى البصرى الأصل المتوفى بمصر ٢١٣ هـ .

تفسير

وتمنى بعثته ؟

كنا نظن كما بدا لنا : أن ابن هشام تكلف منهجه وأفرط فيه افراطا ، جعلنا نستخف ببعضه ، ويجاوزنا الاستخفاف الى انكار كثير منه ولا نلتفت الا الى أقله ، وكانت وسائل تشككنا فى منهجه جعلتنا نظنه أنه تكلف فهم السيرة من وراء نزعة ذاتية استبدت به فبات يرى بها مفهوما جديدا فى التاريخ والسيرة معه دائرة من دوائره ثم طال بنا الخاطر وكدنا أن نقع فى براثنه لولا أننا رجعنا وتشككنا فيما أراد الخاطر أنيفرضه علينا فأخذنا نقلب الرأى لنفهم مفهومه عن التاريخ الذى استطاع به أن يفرض على أذهاننا ألوانا من الخرافات وبقايا من الأساطير •

أراد ابن هشام : أن يقيم بناء متكاملا من الاحداث التى سبقت ميلاد الرسول ليشع ارهاصا ببعثته من غير أدنى نظر نقدى منه لاختبار الحدث اختبارا تاريخيا أو عقليا يقول ابن هشام مبينا منهجه من سيرة ابن اسحق وصنيعه معها : وأنا انشاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ، ومن ولد رسول الله من ولده واولادهم لا صلابهم ، الأول من اسماعيل الى رسول الله ومايعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل على هذه الجهه للاختصار الى حديث سيرة رسول الله ، وتارك بعض ماذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر ولانزل فيه من القرآن شىء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له • ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار ، واشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائر بروايته ، وسنقص ان شاء الله تعالى ماسوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به المهم من وجهة نظره أن يكون الحدث له روايته التى تتفق مع قاعدته التى التزم بها حين بدأ كتابتها وحين اراد تهذيبها — من جهة الرواية — عن ابن اسحق (١) وهذا بلاشك جانب يتسم بالأمانة العلمية •

وكان اتجاهه هذا لا مبرر له سوى أنه أراد أن ينحى بالتاريخ منحى وجدانيا وكانت وسيلته لتحقيق مفهومه هذا عن التاريخ أنه اعتمد على مبدأين : مبدأ حققه من وراء تسجيله لأحداث السيرة وهو : « الترابط بين النبوة والأزمات التاريخية » وهذا ماجعلنا نصف النبى أولا أو الأنبياء : بأنهم مخلصون وعلى مبدأ أخلاقى : وهو التفريق بين القيم وسير الحياة الواقعية ، أو بين الأحداث والقيم •

على هذين المبدأين : قدم ابن هشام نسيجه للسيرة النبوية رابطا بين الاحداث حتى يبرز الرؤية الروحية فى الكشف عن مقدم نبى يفسر

(١) ابن اسحق : هو أبو بكر محمد بن اسحق ابن يسار المطلبى بالولاء ولاءه لقيس بن مخزمة ابن المطلب . وكان جده يسار من سبى : عين التمرسباه خالد بن الوليد . توفى ببغداد ١٥١ هـ
وهو ثبت فى الحديث عند اكثر العلماء . قال ابن شهاب الزهرى من اراد المغازى فعليه بابن اسحق — ذكره البخارى فى التاريخ — وذكر عن سفيان عيينه انه قال : ما ادركت احدا يتهم ابن اسحق فى حديثه . وثقة البخارى ومسلم وذكر له حديثا واحدا .

سيرة التاريخ الذى اشتدت وطأته على الامبراطورير الرومانية أكبر دولة سياسية فى هذا الوقت •

وكنا نلاحظ أن مقدمات السيرة النبوية أو ارهاصاتها انقسمت لديه الى قسمين بناء على المبدأين السابقين •

قسم يشكل الازمات التاريخية التى عاش فيها العالم والجزيرة العربية معه على أمل قلق يتوقع فيه مجىء رسول الاصلاح وتبدأ الازمات من حرب بين القبائل الى عرب بين الدولتين الفرس (١) والرومان •

وقسم يشكل تباشير مبعثه تبدأ من نبوءات اليهود (٢) والمسيحيين الى طلب الدولة الرومانية وفاقها مع المسيحية من حيث هى دين وتم ذلك بعدما بعدت مسيرة الواقع كثيرا عن قيم السماء العليا وفى محاولة الوفاق مع المسيحية مايعنى التقليل من هذا البعد •

وهكذا فى فترات الصراع والشك تبدو الحياة بأجمعها تتأرجح بواقعها بين التبشير بالدعوة والزحف الى قيم جديدة •

من وراء ذلك ، يرى ابن هاشم : أن مسيرة التاريخ تتجه نحو الكشف الروحى عن نبى قرب مبعثه ، ووفق رؤيته الروحية للتاريخ غابت عنه فروض أساسية نحو معالجة رؤيته الروحية وكاد غياب هذه الفروض عنه أن يلغى عمله وهدفه من كتابه السيرة النبوية ولا سيما مقدماتها •

الفرض الأول : أن أهل الجانب العقلى ، قد يقال من قبيل التبرير ، أن ابن هشام قدم سيرته من خلال الرواية التى حفظها عن ابن اسحق التى تقول : ان ابن هشام تصرف فيها بما وفق اليه تصرفا يتناسب مع منهج الرواية ، فهو غير ملتزم ، وليس بعد التلخيص التزام من وراء هذا التصرف كان من الممكن لابن هشام أن يعطينا تعليقا يطرق به عقولنا كما أعلى تعليقاته على ما صح من الشعر رواية أو لم يصح وكان هناك من الروايات ما هى جديرة بالتعليق متنا أى من حيث فحوى موضوعها مثل ــ رواية « شق » و « سطيح » ــ وروايات العرافة (٣) • دون عرافة أهل الكتاب • غاب عنه فرض العقل الذى سوف يرافق القارىء وهو يتتبع صفحات السيرة « وشق » و « سطيح » ربما يكونان رمزا روحيا له قيمته الانبائيه لكن يرتبط رفضهما من خلال عدم كفايتهما فى الأداء والوضوح •

الفرض الثانى : أهمل التناسق فى الأخبار الجزئيةفمثلا : حادثة (٤) الفيل يتصورها المسلم على أنها ليست حادثة ولكنها واقعة حاضرة عقيدته وحقيقة حية لها وجود فعل فى قلوب الناس على الارض كما فى السماء يمكن أن تثمر ثمارها الروحية تحت « مبدأ الايمان »

---

(١) قارن بين ماذكره عن أمر الفرس باليمن ص ١٤٥ حـ ١ وبين ما ذكره عن الحبشه وقصة أبرهه ص ٣٥ ــ ٤٨ حـ =

(٢) راجع : حديث فيميون ص ٣٠ حـ ١ وخبر ابن التامر وطلبه الاسم الاعظم ص ٣٢ حـ ١ وخبر انذار اليهود برسول الله وحديث ابن الهيبان وما بشر به ص ١٤١ حـ = ١ وصفة النبى فى الانجيل ص ١٥١ حـ ١

(٣) قارن : اللهبى العائف ص ١١٨ ط (واخبار الكهان : من العرب والاخبار : من اليهود والرهبان : من نصارى ص ١٣٥ ط !

(٤) راجع حادثة الفيل وأبرهه ص ٤٥ ط !

لو التفت ابن هشام الى بعض عبارات أفسدت تناسقها وأوهنت بنيانها مثل قوله فى قصة الفيل ، فلما وجهوا الفيل الى الكعبة ، أقبل نفيل بن حبيب ، حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : أبرك محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل •

لاشك أن هذا التداخل فيه خلل يدعو الى التساؤل من هو نفيل الذى أسر الى الفيل فبرك ؟ وكيف دخل الى الفيل من بين الجنود ؟ وكيف خرج ؟ وهل يبرك الفيل مثل الجمل ؟ أليس مثل هذا العمل وفيه دلالة خوارق العادات قد يصرف الذهن البشرى المترقب بعثه نبى الاصلاح الى الظن فى نفيل أنه هو المنتظر

والا على أى أساس أجريت خوارق العادات هذه الاستفهامات تعوق المطالع عن الفهم الحقيقى لحدث الفيل • غاب عن ابن هشام أن القارىء سوف يقف كثيرا أمام عدم التناسق فى الخبر الواحد أو المشهد التاريخى الواحد ويلقى باللائمة عليه حين أغفل جانب التناسق فيه فلو افترض أهميته فى قيمة الموضوع لما أغفله •

الفرض الثالث : عدم دقة الشروح لما يريد شرحه من عبارات وذلك يبدو واضحا فى شرحه «**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**» وخاصة أنه أتى بها فى موضعها أى بعد « شمس قريش » على أى حال ان تركه لكثير من الفروض العلمية أضعف كثيرا من قيمة جزئيات تاريخية وردت فى مقدمات السيرة النبوية •

غياب مثل هذه الفروض عن منهجه فى تحرير روايته أضعف كثيرا من قيمة مقدمات السيرة وكانت وسائل كافية لتقوية الميول الشكية لدى الانسان •

وبالرغم من تلك المآخذ : فان المنهج العام لسيرة ابن هشام يشير الى وحدة الغاية وذلك يظهر حين أراد ابن هشام أن يبين فشل التوفيق بين مطلب الفرد الروحى ومطاب المجتمع فانه ألقى أضواء على أفراد مثل : « فيمون » « وعبد الله بن تامر » « والحنفاء » من قريش •••• « وسلمان الفارسى»[1] ثم أبرز معاناتهم فى سبيل حياتهم الروحية وما وقعوا فيه من آلام صبها عليهم مجتمعهم مثل هؤلاء كانوا يرون عزاءهم فى عرفانهم الروحى الذى كان يدعوهم لمجتمع مثالى لزمن يجىء فى المستقبل ملتمسين العذر الجميل لمجتمعهم وادراكه الناقض للباطنية الروحية للتاريخ ومعنى ذلك :

ان رؤيته ليس فيها نزعة التعلق بالماضى أو الحاضر انما تتعلق بالتبشير بالمستقبل الحافل بالحقائق الآلهية من خلال ادراك باطنى لحركة التاريخ التى سوف تحدث تعديلا فى القيم وأشكال الواقعية الوثنية وبذلك بدأ التاريخ فى أنسب الاوقات التخلى عن قضية الوثنية الخاسرة •

فلم تأت سيرة ابن هشام ككتاب «الاغانى» من غير وحدة موضوعية أو « أمالى القالى »

(١) راجع سلمان الفارسى ص ١٤٢ أمر الحمس ص ١٣٤ الحنفاء ص ١٤٥ ، وراجع : فى الفكر الدينى الجاهلى د. محمد ابراهيم الفيومى ــ دار القلم الكويت ط ٢ •

للنبوة

أو غيرها من الكتب لم تأت على هـذا المنوال انما جاءت برباط آخى بين الاحداث التاريخية لخدمة غاية واحدة على أى حال ان ما قصر فيه ابن هشام أو أفرط فيه هذبه السهيلى (١) خير شروح سيرة بن هشام ولعل الـــذى شغل ابن هشام أو كتاب السيرة من بعده عن أن .. يلاحظوا ما حول الاحداث التى سبقت مقـدم النبوة من تهافت يصمها بالافتيات والانتحـال هو : رؤيته الروحية لمضمون الحـــدث دون جزئيات بنائه ، فدائما نسيج الحدث صـور تشبيهية تخضع لعوامل ثقافية تمثل عصرها ـــ فالجن والشياطين والغيلان وبلاد عبقر كـان لها دوراً فى ثقافات عصرها ـــ حتى فى عصرنا مازالت تطل علينا بهمزاتها لكن بصورة مهـذبة عما كانت عليه قبل الاسلام فهى قبل الاسلام كان العربى يتحدث عن علاقاته الجنسية بهـا وعن الذين تواروا فى وادى عبقر فالحـــدث بغايته وليس بجزئياته .

وللغاية ذاتها راح يجند الاحداث لـواجب التبشير التاريخى بالرسول ورسالته .

ومما ينبغى أن نشيد به أن ابن هشام كما حرص على ابراز المعنى الروحى للتاريخ فانـه كان أشد حرصا على الالتزام بمفهوم السـيرة حيث كانت الاضواء مركزة على شـــخصية الرسول ومفرقة بخيوط رفيعة على شخصيات فرعية تساعد على فهم حياة الرسول وتصـور عصره وما فيه من أزمات .

ولا يـــكاد ابن هشام يقتـرب من مبعث الرسول الا وقد أوقفنا على بشائر الانجيـل (يوحنا) « يحنس الحوارى » يقول ولـكن لابد أن تتم الكلمة التى فى النـــاموس أنهم أبغضونى مجانا فلو قد جـاء المنحمنا « أى محمد » بالسريانية هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب ... الخ .

« المنحمنا » بالسريانية بالعبرية البرقليطى.

ثم ينهى ابن هشام رؤيته الروحية للتاريخ بقول الله تعالى :

« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » .

---

(١) السهيلى : هو ابو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن احمد بن ابى الحسن الخشعمى السبيلى المولود بمدينة مالقه ٥٠٨ هـ والمتـوفى بمراكش ٥٨١ هو كتابه هو بالروض الانف : فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشـام .

تفسير للنبوة

وتتضمن الآية معيار الرؤية الباطنية للتاريخ فى تفسيرها للنبوة وهو أمران :

ـ الكتاب .

ـ الحكمة .

الكتاب يشار به الى سلسلة الانبياء السابقين وما نزل عليهم من الوحى الالهى فالكتاب ووجوده بيننا يسيران الى المعنى الحقيقى من سيرة التاريخ وهو :

الاتجاه نحو السمو الإلهى بفضل كمال وحى الكتاب .

والحكمة : هى المعنى الانسانى وهو بعد آخر فى المعنى الآلهى ـ والحكمة هى : ان شئت ، قلت : العقل أو الفطرة ـ وكلاهما مصدق للآخر على مبعث النبوة .

هذان المعياران لا يمكن أن يكون الا معيارا للنبوة فقط لانهما يشيران الى ماض أزلى يتكلم عن مستقبل بلغة اليقين كما يتكلم الانسان بلغة اليقين عن ماضيه ، فمن هنا كانت الرؤية الباطنية للتاريخ مرتبطة بالصدق واليقين .. وهما معا الاسس المعيارية للاقرار الموثق .

ثم ينتقل ابن هشام من المبشرات العامة التى يشير اليها التاريخ الى علامات النبوة الذاتية منها :

* الرؤيا الصادقة أى كان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح .

* حبه الخلوة : وحبب الله اليه الخلوة فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو وحده .

فالرؤيا الصادقة مع حب الخلوة وهما أمران نفسيان يتاح للمرء من خلالهما تذكية نفسه ومحاسبة ذاته غير أن ظهور الهواتف المبشرة بصورها المادية المختلفة لتشده من تأمله الباطنى الى حقيقة وظيفته وهو أنه مبشر بالحكمة الآلهية كيلا يهيم فى أودية الشعراء وأخاديد الخيال فالهواتف التى نقلت بها سيرة ابن هشام ورمزياتها التى صادفت الرسول منذ رحلته التجارية الاولى مع ركب عمه أبو طالب الى أن وافاه الوحى هى المغزى الحقيقى من معنى النبوة حيث أن النبوة هى المعجزة الالهية هى المعرفة الكلية التى تستطيع أن تتكلم بمنطق اليقين عن الماضى ، والحاضر والمستقبل ، بدرجة واحدة وهى غاية التاريخ الدينى والانسانى أيضا .

ونحن اذ نتابع ابن هشام فى سيرته نراه يؤكد طابع البشرية فى الرسول ويشير .. فقط الى بعض روايات تفيد تميزها فى الرسول وتبحث فى النفس مشاعر الولاء لحبه منها :

*** دعوة خديجة له بالقيام على رحلتها التجارية .**

*** حديث ميسرة عنه لها .**

*** زواجه منها .**

*** مشورته بوضع الحجر الأسود .**

هذه الآيات فى فضائله البشرية قبل بعثته تتحدث عنه فى النفس الانسانية بأنه فى مجال البشرية له أسمى فضائلها حتى قال بعض الناس له بعد بعثته : « ماجربنا عليك كذبا ». صلى الله عليه وسلم .

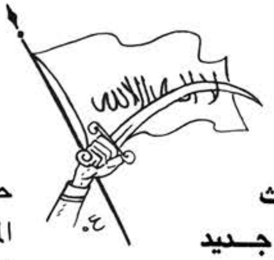

خلاصة البحث
دعوة الى مجال جديد

نخلص فى النهاية الى وجهة نظرنا عن منهج بعض كتاب السيرة حين قدموا الاحداث التاريخية وجعلوها تتحدث — فى شكل ارهاصات — عن مقدم نبى — دراسة هذه المحاولةعلى جانبمن الاهمية وهذه المحاولة — كما لاحظنا — اتخذت طريقين :

*** طريق يتجه نحو الكتب المقدسة لابراز نصوص تتحدث منكمال مسيرة التاريخ الدينى الذى حاول الرومان وقفه باضطهادهم للمسيح وخاصة أن هذا الطريق لفت القرآن النظر اليه حين قالبحكاية عن لسان المسيح : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ » .. وهذا كان قبل ميلاد الرسول .**

* والطريق الثانىيتجه نحو تأويلالأحداث أو بعض الأحداث تأويلا روحيا محاولين بذلك ابراز الرؤية الروحية فى مسيرة التاريخ وهذا بعضه كان قبل الميلاد والآخر بعد الميلاد وقبل البعثة .

وهذا الاتجاه فى نظرنا يعنى الترابط بين النبوة والازمات التاريخية :

والازمات التاريخية بعضها أحاط بجزيرة العرب مثل حملة أبرهة على البيت لهدمه من حيث هو بيت وليس من حيث الدعوة الى المسيحية والبعض الآخر أحاط بأكبر دولة فى التاريخ وهى الدولة الامبراطورية .

هذه الدولة تعقبت الأنبياء ، ومنهم المسيح تلاحظ فى بداية مغيبها أنها اتجهت الىالمسيحية لا نحب أن نستقضى الاسباب والاعتبارات التى وجهتها الى اعتناق المسيحية انما نود أن نقول : أن وفاق الدولة الرومانية مع المسيحية يعنى من وجهة نظرنا أنه عندما بعدت مسيرة الواقع الانسانى عن قيم السماء بدأ الاحساس الانسانى مدفوعا بقلقه الى محاولة التقليل من هذا التباعد بين القيم العليا والواقع الوثنى بدأ يتجه الى الدين ، وهكذا فى فترات الصراع والشدة تبدو الحياة بأجمعها تتأرجح بين التبشير بالدعوة والزحف نحو قيم جديدة .

فمن وراء هذه المحاولات ودراستها ينكشف لنا أن مسيرة التاريخ تتجه نحو الكشف الروحى عن نبى قرب مبعثه .

دكتور / محمد ابراهيم الفيومى

و السنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ، ومن سلك طريقه واتبع سنته الى يوم الدين ..

وبعد :

فالسنة عند المحدثين : أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته التى تتصل بمسائل الدين ، فكل ما ثبت عنه صلوات الله وسلامه عليه ، من قول ، أو فعل ، فهو سنة ، وكذلك من السنة أيضا ما يقوله غيره أمامه من الصحابة أو يفعله ، فلا ينكره عليه أو يبلغه فيسكت عنه ، لأنه عليه الصلاة والسلام : لا ينطق الا عن وحى معصوم ، ولا يقر الا الحق الثابت .

« وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى » .

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

ويرى بعض العلماء : أن من السنة كذلك : أقوال الصحابة وأفعالهم : مستندين الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » .

ورتبة السنة بعد الكتاب فى الاعتبار ، والدليل على ذلك :

١ ـ أن الكتاب مقطوع به والسنة مظنونة ، والقطع فيها انما يصح فى الجملة لا فى التفصيل ، بخلاف الكتاب فانه مقطوع به فى الجملة والتفصيل ، والمقطوع به مقدم على المظنون ، فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنة .

٢ ـ وأن السنة اما بيان للكتاب أو زيادة على ذلك ، فان كان بيانا فهو ثان على الوجه المبين فى الاعتبار ، اذ يلزم من سقوط المبين سقوط البيان ، ولا يلزم « من سقوط البيان

منزلتها في الشريعة الإسلامية

للأستاذ موسى محمد على

سقوط المبين » وما شأنه هـذا فهـو أولى فى التقدم ، وان لم يكن بيانا فلا يعتبر الا بعد أن لايوجد فى الكتاب ذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب ٠

٣ ــ ما دل على ذلك من الأخبار والآثار ، كحديث معاذ الذى أخـرجه داود فى سـننه ولفظه : عن أناس من أهل حمص ، من أصحاب معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، لما أراد أن يبعث معاذا الى اليمن قال « كيف تقضى اذا عرض لك قضـاء » قال : أقضى بكتاب الله ٠ قال : « فان لم تجد فىكتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى اللهعليه وسلم ٠ قال : «فان لم تجد فى سـنة رسول الله صلى الله عليه وسـلم ولا فى كتاب الله « ؟ قال : أجتهـد رأيى ولا آلو ٠ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ، وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لمـا يرضى رسول الله » ٠

وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جـاءك شيء فى كتـاب الله فاقض بـه ، ولا يلفتك عنه الرجال ٠ فان جاءك ماليس فى كتاب الله فانظرسنة رسول الله صلى اللهتعالى عليه وسلم ، فاقض بها ٠ فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ، ولم يكن فيه سنة من رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فانظر ما اجتمع عليـه الناس فخذ به ٠ فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ، ولم يكن فى سنة رسول الله صلى اللـه تعالى عليه وسلم ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك ، فاختر أى الأمرين شئت : ان شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وان شئت أن تتـأخر فتأخر ٠ ولا أرى التأخر الا خيرا لك (١) ٠

وعن عبد الله بن مسعود قال : آتى علينـا زمان لسنا نقضى ولسنا هنالك وأن اللـه قدر من الأمر أن قد بلغنا ما ترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما فى كتاب الله عز وجل ، فان جاءه ما ليس فى كتـاب اللـه فليقض بما قضى به رسول الله صـلى اللـه تعالى عليه وسلم فان جاءه ماليس فى كتـاب الله ، ولم يقض بهرسول الله صلى الله تعالى

(١) أخرجه الدارمى فى باب الفتيا .

السنة ومنزلتها فى الشريعة الإسلامية

عليه وسلم ، فليقض بما قضى به الصالحون . ولا يقل انى أخاف وأنى أرى ، فان الحرام بين والحلال بين ، وبين ذلك أمور مشتبهة . فدع مالا يريبك الى مالا يريبك (٢).

والسنة راجعة فى معناها الى الكتاب ، فهى تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصرة ، وذلك لأنها بيان له ، وهو الذى دل عليه قوله تعالى :

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » .

فلا تجد فى السنة أمرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية ، وأيضا فكل ما دل على أن القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها ، فهو دليل على ذلك ، ولأن الله قال : **« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »** وفسرت عائشة ذلك بأن خلقه القرآن . واقتصرت فى خلقه على ذلك ، فدل على أن قوله وفعله واقراره راجع الى القرآن ، لأن الخلق محصور فى هذه الأشياء ، لأن الله تعالى جعل القرآن تبيانا لكل شىء . فيلزم من ذلك أن تكون السنة حاصلة فيه فى الجملة . لأن الأمر والنهى أول ما فى الكتاب . ومثله قوله :

« مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ » .

وقوله : **« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ »** .

فالسنة اذا ، فى حصول الأمر ، بيان لما فيه، وذلك معنى كونها راجعة اليه .

أما منزلتها فانها الاصل الثانى للدين، لأن القرآن الكريم — كما هو معروف — هو الأصل الأول ، والمصدر الالهى المعتمد ، أنزله الله سبحانه وتعالى شاملا لأصول الشريعة ، وجاءت السنة مفسرة له : تبين مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتفصل أحكامه ، وتوضح مشكله .

روى الامام مسلم فى صحيحه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع:

« خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » .

ورى الامام البخارى فى صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم (١) :

« صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

وتفسير القرآن الكريم ، وبيان أغراضه ، حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن نقرأ قوله تعالى **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »** .

وقوله سبحانه : **« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »** .

وقوله تعالى : **« فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »**.

وقوله سبحانه : **« قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ »** .

ولولا السنة النبوية الشريفة ، لأشكل علينا كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، ولتخبطنا دون الوصول لمعانيها ، كبيان : الصلاة مثلا ، وعدد ركعاتها ، ونصاب الزكاة ومقدارها ،

---

(١) نفس المرجع السابق .

والنصاب الذى يحد فيه السارق ، وغير ذلك من الأحكام التى وضحتها السنة بعد آنجاءت فى القرآن الكريم مجملة •

روى الحاكم فى المستدرك عن الحسن قال : بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال له رجل :

يا أبا جنيد حدثنا بالقرآن •

فقال له عمران :

أنت وأصحابك تقرءون القرآن ، أكنت محدثى عن الصلاة وما فيها وحدودها ؟ أكنت محدثى عن الزكاة فى الذهب ، والابل ، والبقر ، وأصناف المال ؟ ولكن قد شهدت رغبت أنت ، ثم قال :

فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فى الزكاة كذا وكذا ؟

فقال الرجل : « احييتنى أحياك الله » •

قال الحسن : فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين •

ويقول الامام أحمد رضى اللـه عنه : « أن السنة تفسير القرآن وتبيينه » •

وقد تستقل السنة بأحكام التشريع مثل : تحليل ميتة البحر من السمك وتحريم أكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير :

روى الحاكم فى المستدرك ، عن عبد اللـه ابن صالح ، وابن مهدى — كلاهما عن معاوية ابن صالح عن الحسن بن جابر أنه سمع المقدام ابن معد يكرب يقول :

« حرم النبى صلى الله عليه وسلم ، أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الأهلى وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكتـه يحدث بحديثى ، فيقول :

بينى وبينكم كتاب الله فما وجـدنا فيـه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيهحراما حرمناه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » أ هـ•

لهذا كانت السنة حجة بنص القرآن فيما سقناه من آيات ، وفى قوله تعالى :

« فليحذر الذين يخالفون عن أمـره ، أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » •

وكانت حجة كذلك بما رويناه من أحـاديث صحيحة ، ولم يخالف فى ذلك الا من لاحظ له فى الاسلام كما يقول الشوكانى :

ولقد جاء فى سنة الرسول صلى الله عليـه وسلم للشيخ التيجانى رحمه الله تعالى :

« أولئك الذين يهملون السنة ، أو يشككون فيها ، ويدعون الى تركها ، حكموا على سـنة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم — وهى واجبـة الاتبـاع — بالاعـدام ، بل حكموا بالاعدام على أنفسهم ، لأنهم فضحوا جهلهم بالعلم ، والتحقيق ، والامانة ، وقولهم دليـل على جهلهم بالسنة ومكانتها ، وسنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تزل قائمـة ، فانهم لم يعرفوها ، وأراحوا أنفسهم من عناء الاشتغال بها » أ هـ

وقد نبهنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهمية سنته ، وخطـورة شـأنها ، وضرورة العنـاية بهـا ، فيمـا رواه الامام أبو داود عن المقـدام بن معد يكـرب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«ألا اننى أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول :

« عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه »

فواضح أن المقصود بقوله : « ومثله معه » الحديث الشريف .

وقد أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعجابه بمعاذ بن جبل — مبعوثه الى اليمن — حينما سأله كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله .

قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اجتهد رأيى ولا آلو .

قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ، ثم قال :

« الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ، لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

لهذا عنى المسلمون عناية بالغة بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، بما لا مزيد عليه فكانوا يتناوبون السماع وينول الواحد منهم لأخيه وهو فى الطريق لمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تعالى نؤمن ساعة) .

ويعبر سيدنا عمر رضى الله عنه عن اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالسنة الشريفة فيقول :

« كنت أنا وجار لى من الانصار فى بنى أمية ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، واذا نزل فعل مثل ذلك :

وشجعهم رضوان الله عليهم على ذلك ما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه زيد بن ثابت :

« نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى ما هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه » أ هـ .

والصحابة كانوا يعتمدون على الذاكرة القوية فى حفظ السنة ، ولما أمن الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاط الحديث بالقرآن الكريم ، أذن للصحابة بكتابة السنة الشريفة .

ففى مسند الامام أحمد رضى الله عنه قال : حدثنا بن سعيد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال :

« كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » أريد حفظه ، فنهتنى قريش : فقالوا :

« انك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« اكتب ، والذى نفسى بيده ، ما خرج منى الا حق » .

فكتب الاحاديث التى سمعها فى مجموعة سماها الصحيفة الصادقة .

وباتساع الفتوح ، وتفرق الحفاظ فى

الأقطار ، شاعت رواية الحديث ، وازدادت العناية بالتدوين فى عهد عمر بن عبد العزيز ، الذى كتب الى أبى بكر بن حزم نائبه بالمدينة .

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الا أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم » .

ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا .

وكتب مثل ذلك : الى مختلف البلدان .

واستمر الحال الى نهاية عصر بنى أمية ، كما حث أبو جعفر المنصور العلماء على جمع الحديث .

وأشار على الامام مالك بن أنس رضى الله عنه ، أن يؤلف كتاب « الموطأ » .

غير أن التدوين فى تلك الفترة ، وان كان مبوبا ، فقد ضمت الى الحديث فتاوى الصحابة منسوبة لأصحابها كما فعل مالك فى الموطأ ، ولكن فى نهاية القرن الثانى الهجرى عنى العلماء بتخليص الحديث من أقوال الصحابة ، فكان ما يعرف بالمسانيد ، ومن أشهرها مسند الامام أحمد بن حنبل ، رضى الله تعالى عنه .

أما فى القرن الثالث : فقد ظهر أعلام الحديث وأصحاب الصحاح ، حيث اختبروا الأحاديث ونقحوها .

واتبعوا فى ذلك منهجا علميا أقاموه على قواعد تمتاز بالدقة فاشترطوا : بأن يكون رواته ثقات حتى يصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على أن يتوفر فى الراوى : الاسلام ، والبلوغ ، والضبط والعدالة .

وعنوا عناية فائقة بالكشف عن أحوال الرواة ، ووضعوهم تحت منظار : « الجرح والتعديل » حتى تطمئن الامة لتراثها ، فتأخذ صحيحه وتطرح ما ادعاه الزنادقة والمنافقون كذبا على صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

وعلى سبيل المثال نجد الامام البخارى رضى الله عنه ، يشترط اتصال الاستاذ بأن يكون الراوى معاصرا لمن روى عنه ، والتقى به وأخذ عنه .

أما اذا لم تتوفر المعاصرة واللقاء ، فلا تقبل روايته ، على أن يكون الراوى مسلما صادقا ، غير مدلس ولا مختلط العقل ، متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن والاعتقاد قليل الوهم .

وأن يتخلص النص من ركاكة المعنى وضعفه وفساده ، ومخالفته للكتاب الكريم ، أو السنة المتواترة ، أو الاجماع القطعى ، ومخالفة الوقائع التاريخية المقطوع بصحتها ، ولا يكون الحديث صادرا من راو متعصب لمذهبه ، مغال فيه ، ولا يشتمل الحديث على افراط فى الثواب على عمل صغير ، أو مبالغا فى العذاب على ذنب حقير .

كما لا ينفرد بروايته راو واحد فى واقعة لو صح حدوثها لعرفها الناس ورواها كثيرون .

وهذا لا شك : دقة دقيقة مشكورة ، ومنهج واضح يستحق كل تقدير واجلال .

لهذا هدى المسلمون الى الحق فترات طويلة بسبب تفيئهم ظلال السنة النبوية ، فنعموا براحة وسعادة فى متقلب حياتهم .

وما زال المستمسكون بها يحيون حياة طيبة مباركة ، وينعمون باستقرار نفسى ووجدانى ومادى ، يحسدهم عليه الكثيرون .

أما الشاردون عن سنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، فتلفحهم الحياة بحرها القائظ وتبتلعهم متاهات البدع الحمقاء ، والخرافات الجوفاء ، والهوى المتبع ، والادعاءات الباطلة ، التي لا يسندها دليل ولا يدعمها فكر ناضج ، أو منطق سليم ، « فمـاذا بعد الحق الا الضلال ؟ » .

ذلك ان الاقتصار على الكتاب رأى قوم لاخلاق لهم ، خارجين عن السنة اذا عملوا على ما ينبنى عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء . فطرحوا أحكام السنة . فأداهم ذلك الى الانخلاع عن الجماعة ، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله تعالى .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنة أعلم بكتاب الله .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ، ان مما أخشى عليكم زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن .

وعن عمر رضى الله عنه : ثلاث يهدمن الدين : زلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، وأئمة مضلون .

وعن أبى قلابة قال : قال ابن مسعود رضى الله عنه :

عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب بأصحابه ، وعليكم بالعلم ، فان أحدكم لا يدرى متى يفتقر اليه ، أو يفتقر الى ما عنده ، انكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم الى كتاب الله تعالى ، وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم ، واياكم والتبدع ، واياكم والتنطع ، واياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق .

وعن عمر رضى الله عنه : انما أخاف عليكم رجلين : رجل يتأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه » أ هـ .

ولم يكن هذا فحسب ، بل وهناك آثار فى هذا المعنى حملها العلماء على تأويل القرآن بالرأى مع طرح السنة ، وعليه حمل كثير من العلماء قول النبى صلى الله عليه وسلم :

ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .

والكثير من أهل البدع هكذا فعلوا . طرحوا الأحاديث وتأولوا بكتاب الله على غير تأويله ، فضلوا وأضلوا .

وبعد : فان الصراعات التى نمت فى المجتمع الاسلامى ، والفرق التى شوهت بأفكارها سماحة الحق ، تعود بأسبابها الى الانحراف عن السنة النبوية ، والسير وراء الأفكار المستوردة والفلسفات العقيمة ، وما نلاقيه اليوم من قلق واضطراب وما يعانيه عصرنا من متاعب ومشاكل ، مرده الى البون الشاسع بين واقعنا وهدى رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

والخروج من ذلك كله لن يكون الا بالعودة الى كتاب الله الكريم الذى لن يضل من بعده من اتبعه والى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم المشبعة الممتعة :

« تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » .

وبالله التوفيق ..

موسى محمد على

أعلام الإسلام

- من أئمة الحديث النبوى الامام ابن ماجة

- شخصية فى سطور

من أئمة الحديث النبوى

الإمام

*** الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعى القزوينى .**

*** ولد سنة تسع ومائتين من الهجرة .**

*** وكشأن أئمة الحديث فى ذلك العصر توجه بهمته الى مجالس العلم ، وأقبل على حلقاته ، يحصل ما يجد أمامه ، ويلتهم كل ما يقدمه العلماء ، حتى اذا ما أنس فى نفسه قوة على الرحيل هاجر فى سبيل العلم الى كثير من الاقطار ، وعديد من البلاد ، فارتحل الى العراق والحجاز والشام ومصر ، والكوفة والبصرة ، وغيرها من الامصار والاقطار وتعرف على مدارس الحديث المختلفة ، واستفاد من كل المناهج والنماذج حتى صار من أئمة الحديث المعدودين .**

وقد أتاحت له هذه الهمة العالية والعزيمة السامية أن يلتقى بعدد من الشيوخ فى كل قطر وفى كل بلد رحل اليه ، فسمع من شيوخ البلاد كأبى بكر بن أبى شيبة ، ومحمد ابن عبد الله بن نمير ، وجبارة بن المغلس ، وهشام بن عمار ، ومحمد بن رمح ، وداود ابن رشيد وعلقمة بن عمرو الدارمى ، وأزهر ابن مروان ، ومحمد بن بشار وعمرو بن عثمان ابن سعيد وغيرهم من كبار الائمة والعلماء ..

وصح فيه قول أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى :

* ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة وحفظ ..

ثم قال : كان عالما بهذا الشأن صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن وارتحل الى العراقين والشام ومصر ، وصفه الامام الذهبى بأنه : الحافظ الكبير ، المفسر صاحب السنن والتفسير ، ومحدث تلك الديار ومدحه الحافظ ابن كثير .

وقد ذكرنا مؤلفاته فى ثنايا التقديم لشخصيته وهى :

١ ــ كتاب السنن (المتداول الآن) .

للدكتور الحسينى هاشم

ابن ماجة

٢ ـ تفسير حافل للقرآن الكريم كما قال ابن كثير .

٣ ـ تاريخ ممتاز أرخ فيه منعصر الصحابة الى عصره ، ولم يبق من هذه الاثار القيمة الا كتاب السنن .

ولم يقتصر النشاط العلمى لابن ماجه على التأليف ، بل تعداه الى الـدرس والتعليم ، فدرس وأسمع وربى وهذب .

ومن أشهر من روى عنه ابن سيبويه ومحمد ابن عيسى الصغار واسحق بن محمد ، وعلى ابن ابراهيم بن سلمه القطان ، وأحمد ابن ابراهيم ، وسليمان بن يزيد القزوينى ، وأحمد بن روح البغدادى ، وغيرهم من مشاهير الرواة .

وبعد حياة حافلة بالعلموالعمل ، اختاره الله الى جواره فى يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وصلى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الاخر أبو عبد الله وابنه عبدالله ابن محمد بن يزيد ، رحمه الله على ما بذل فى سبيل البحث والتعليم .

سنن ابن ماجه :

من الكتب المشهورة والهامة فى مجال الحديث النبوى ، هذا الكتاب القيم (سنن بن ماجه) وقد عده الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدس المتوفى سنة ٥٠٧ هجرية من الكتب الستة التى هى أصول كتب الحديث . وقبل ابن طاهر هذا كان المتقدمون من المحدثين يعدون عدد أصول كتب الحديث خمسة فقط ، الصحيحين وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وجامع الترمذى، ووافقهم على ذلك كثير من محققى المتأخرين . والسبب فى عدم اختيارهم سنن ابن ماجه ، أنه قد تفرد فيه باخراج أحاديث عن رجال

ابن ماجه

متهمين بالكذب وسرقة الاحاديث ، وبعض تلك الاحاديث لا تعرف الا من جهتهم .

أما سبب اختيار ابن طاهر ومن وافقه ، وعده من الكتب الاصول فى الحديث لما فيه من عظيم النفع وجمال الترتيب وسعة الجمع ، وحسن الانتقاء .

تقييم السنن :

لم يخلص سنن ابن ماجه — كغيره من السنن — للصحيح أو المقبول . لقد اشتمل على الصحيح والحسن والضعيف بل والمنكر والموضوع على قلته .. وهى أقل درجة من كتب السنن الاخرى لكثرة الضعف فيها ، حتى قال المزى :

« ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة ضعيف » .

ولكن الحافظ بن حجر تعقب هذا القول وقال : « انه » — أى ابن ماجه — انفرد بأحاديث كثيرة وهى صحيحة فالاولى حمل الضعيف على الرجال » ا هـ . ولا يلزم من ضعف رجال السند أن يكون المتن (لفظ الحديث) ضعيفا لاحتمال ثبوته من طريق أخرى بسند صحيح ، ورجال ثقات .

وقال الذهبى : سنن ابن ماجه كتاب حسن لولا ما كرره من ذكر أحاديث واهية ، ليست بالكثيرة . وقال فى موضع آخر :

« وانما غض من رتبة سننه — أى ابن ماجة — مافى الكتاب من المناكير ، وقليل من الموضوعات » .

وقد انتقد بن الجوزى بعض أحاديث فى سنن ابن ماجه ، وعدها من الموضوعات ، وعدتها كما ذكر السيوطى فى تعقيباته ثلاثون حديثا .. وقد نازع السيوطى فى التعقيبات فى هذا الحكم ، والحق أن ابن الجوزى ينبغى أن يسلم له الحكم على أكثر هذه الاحاديث بالوضع (ولعلها هى التى انتقدها أبو زرعة) وبعض الاحاديث التى انتقدها مما أجمع الحفاظ على وضعها غلطا مثل حديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » قال الحاكم :

دخل ثابت بن موسى على شريك بن عبد الله القاضى ، والمستملى بين يديه ، وشريك يقول : حدثنا الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » — ولم يذكر المتن — فلما نظر شريك الى ثابت ابن موسى قال : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » وأراد مدح ثابت بذلك لورعه وزهده .. وظن ثابت أن هذا مما يرويه شريك بهذا الاسناد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان يحدث به عن شريك بهذا الاسناد .. ولقد سرقه منه جماعة ضعفاء وحدثوا به عنه .

وقد روى بن ماجه هذا الحديث فى سننه عن اسماعيل بن محمد الطلحى عن ثابت بن موسى الزاهد عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر مرفوعا • فالوضع ليس متعمدا •• ولكنه نتيجة سوء فهم أو ضعف تقدير ، ومع ذلك فقد استطاع خبراء الحديث استخراج الوضع ، ومعرفة سببه ، مما يدل على مدى دقتهم وجسمهم فى الحكم على الحديث •

وقد اشتملت سنن ابن ماجه على أحاديث عالية (قليلة الرجال) حتى صار بين ابن ماجة وبين النبى « صلى الله عليه وسلم » فيها ثلاثة رجال ، وهى ما تعرف بالثلاثيات ، قال الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، وقد وفقه الله لطبع سنن ابن ماجه طبعا متقنا وعدها عدا حاسما وتخريجها تخريجا مناسبا مختصرا « جملة أحاديثها ٤٣٤١ واحد وأربعون وثلثمائة وأربعة آلاف حديث منها ٣٠٠٢ اثنان وثلاثة آلاف حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة أو بعضهم وباقيها ١٣٣٩ تسعة وثلاثون وثلثمائة وألف ، هى زوائد ابن ماجه انفرد بها عنهم (وقد سبق أن ذلك من أسباب اختياره للمرتبة السادسة) وهذه الزوائد منها ٤٢٨ ثمانية وعشرون وأربعمائة حديث ، رجالها ثقات وهى صحيحة الاسناد •

١٩٩ تسعة وتسعون ومائة حديث حسنة الاسناد •

٦١٣ ثلاثة عشر وستمائة حديث ضعيفة الاسناد •

٩٩ تسعة وتسعون حديثا واهية الاسناد•

وعدد كتب السنن سبعة وثلاثون كتابا عدا المقدمة ، وعدد أبوابه خمسة عشر وخمسمائة وألف باب •

ومن هذا يتبين لنا أن سنن ابن ماجه كتاب قيم جدير بما حكم له ابن طاهر ، وان نسبة الضعف أو السقوط فيه قليلة وأنه من دواوين السنة القيمة •

دكتور الحسينى هاشم
الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية

شخصية فى سطور

*** ولد محمد بن جرير الطبرى فى طبرستان سنة ٢٢٤ هـ .**

* يعد بن جرير الطبرى من اشهر المؤرخين العرب الذين كتبوا تاريخ العرب منذ العصور الأولى حتى تاريخ وفاته فى القـــــرن الرابع الهجرى .

*** يعد من أئمة المفسرين لآيات القـرآن الكريم وأصحاب التفاسير المشهورة فى عالـم التفســـير وأخذ عنه كثــير من المفسرين واستشهدوا بآرائه .**

* كان بن جرير اماما فى فنون كثيرة منها، التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات كثيرة تدل على سعة علمه وغزارة فضـــله .

*** عكف الطبرى منذ نعومة أظفاره عـــلى تلقى العلم من العلماء والفقهاء وهو فى ســـن صغير .. وقد تحدث الطبرى عن حداثته فقال « حفظت القرآن ولى ســـبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكتبت الحـــديث وأنا ابن تسع سنين » .**

* رحـــل الطبرى الى شتى الأقطـــــار والأمصـــــار . فرحل الى مدينـــــة (الرى) وما جاورها من بلدان واخذ عن فقهائها ودرس فقه العراق على يد ابى مقاتل .

*** رحل الى بغداد وفى نيته التلمذة عـــلى يد الامام أحمد بن حنبل وفى الطريق وصـــله نبأ وفاة ابن حنبل فاتجه الى البصرة وأخـــذ عن علمائها .**

*** رحل الى الكوفة وأخذ عن علمائها .**

*** ذهب الى بيروت حيث اتصـــل بالعباس ابن الوليد المقرىء .**

* ذهب الى الفســـطاط حيث التقى بأبى الحسن السراج المصرى وكان اديبا متصرفا فى فنون الكلام .

الطبري

سعيد عبد الحي

*** ذكر ابن عساكر عنه « لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه الى الطبري مال كثير فامتنع عن قبوله ، وعرض عليه المظالم فامتنع عن قبولها .. فعاتبه اصحابه وقالوا له : لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد درست »« فانتهرهم وقال لهم : لقد كنت اظن لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه » .**

* ذكر عنه ياقوت في معجمه « كان الطبري كالقارىء الذي لايعرف الا القرآن .. وكالمحدث الذي لا يعرف الا الحديث .. وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه وكالنحوي الذي لا يعرف الا النحو .. وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب .. وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم .. واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وحدت لكتبه فضلا على غيرها .

*** قال عنه أبي حامد الاسفراييني الفقيه : « لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا .**

* وقد قال الطبري : « اني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته » .

*** من أهم ما ألفه الطبري . كتاب جامع البيان في التفسير ، كتاب تاريخ الرسل والملوك وكتاب تهذيب الأثار وكثير غيرها في شتى العلوم انتقل الى ربه سنة ٣١٠ هـ رحمه الله ونفعنا بعلمه .**

طرائف

حسن الصحبة

الصحبة مع اللـــه بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة .
والصحبة مع أولياء الله : بالاحترام والخدمة .
والصحبة مع الأهل : بحسن الخلق .
والصحبة مع الاخوان : بدوام الفرح والسرور .
والصحبة مع الجهال : بالدعـــاء لهم ، والرحمة عليهم .

نعمة العقل

سئل حكيم عن أولى الناس بالسعادة؟
فقال : أنقصهم ذنوبا .
فقيل له : ومن أنقصهم ذنوبا ؟
قال : أتمهم عقلا .

كيف يدخل أهل الجنة الجنة

يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضـــا جعدا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، هـــم على خلق آدم طولهم ستون فى عرض ســـبعة أذرع .

كن على حذر

من الكريم اذا أهنته ، ومن الأحمق اذا مازحته ومن العاقل اذا أغضـــبته ، ومن الفاجر اذا عاشرته .

من ضياع العقل

من استعظم فى الدنيا شـــيئا فبطر ، واستصغر من الدنيا شـــيئا فتهـــاون ، واحتقر من الاثم شيئا فاجزأ عليه واغتر بعدو وان قل فلم يحذره .

حقاً

كل شىء فى الوجود خـــلق من أجلك ، وأنت وحدك خلقت للـــه ، ومن الضلالة أن تشغل بما خلق من أجلك عمن خلقت من أجله .

مواقف

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فقه أهل البيت

أصيب المتوكل بمرض ، فنذر ان شفاه الله أن يتصدق بمال كثير ، فلما برىء سال العلماء عن مقدار ما يتصدق به فاختلفوا فى ذلك .

فقال محمد الباقر : ان نويت الدينار فتصدق بثمانين ألفا أو الدرهم فكذلك . فسئل عن الدليل — فقال : قوله تعالى : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » .

فعدوا وقائع الرسول ، فوجدوها ثمانين .

فلنعرف ذلك

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لاتبقى على أحد
ولايدوم على حال لها شان

« أصدق ما قاله شاعر »

أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وقد أخذ المعنى من قول الله — تعالى- « كل شىء هالك الا وجهه » .

نصيحة

اذا نزل بك خطب مهم ، فانظر فان كان فيه حيلة فلا تعجز . وان لم تكن فيه حيلة فلا تجزع .

حق الزوجة

أن تطعمها اذا طعمت، وتكسوها اذا اكتسيت . ولاتضرب الوجه ، ولاتقبح ولا تهجر الا فى البيت .

من الجواد ؟

سئل حكيم عن الجواد ؟

فقال : من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره .

دعاء

اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى .... وترد بها الفتن عنى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

أين الطريق

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماذا أقول وقد أتت نكراكَ حطمت حُبك أم وأدت هداكَ ؟
ماذا أضيء وليس حولي ومضةٌ أسمو بِهَدْى رجائها لعلاكَ
أأردد النبض القديم وفى دمى بكر الرؤى نضجت بنار هواكَ
لكن بركان الهوى فى خاطرى مازال لا يدرى متى يلقاكَ
أين الطريق اليك فى زمن تنا فس كل ما فيه لمحو خطاكَ
لكنها فى الأرض أصل ثابت وفروعها تتبوأ الأفلاكَا
خطرت على السيف المشتع محبة للعالمين وقوضت أعداكا
فاذا الحياة كما أردت حديقة وثمارها غرس سقته يداكا
وإذا العقول كما بنيت منارة واذا النفوس كما هويت فداكا
تمضى القرون وأنت محمد تهب الوجود المر فيض شذاكا
صنعوا من الصخر الأصم وجودهم فغدوا دمًى لا تستطيع حراكا
ورفضت حتى أن نرى لك صورة فبقيت والقرآن سر بقاكا
ما الخلد أن تبقى أمام عيوننا لكنه أن لا نحب سواكا
ومن المحبة أن تظل قلوبنا برضاك مثمرة وعطر نداكا

***

يا واهب الأكوان خير رسالة إنا نعيش على صدىٍ نجواكا
السارقون النور من أرواحنا ظنوا التقدم مدفعًا فتاكا
هبوا جياعًا والعقيدة صيدهم هل ينصر الديان من عاداكا ؟
قد تمهل الأقدار غرًّا حاقدًا لكنها لا تنصر الإشراكا
إنا نسير على السيوف إليك فى عصر يحرق من يروم هداكا
نار الخليل تحوض أفيائها فى كل يوم والنجاة لقاكا
«وأنا النبى لا كذب ، وأنا ابن عبد المطلب» تتحديان عداكا

الذكرى

شعر د. صابر عبد الدايم يونس

تتحديان المغمضين قلوبهم ... والرافضين سبيل من قواكا
تتكاثران مع الزمان فكلنا ... حرب على من يستبيح حماكا
هى صيحة لك فى حنين حطمت ... جيش الغرور وخلدت دعواكا
كانت بسيف ابن الوليد مضاءه ... والنصر ظل محارب يهواكا
وعلى الأسنة كان نور لهيبها ... حممًا تشل طريق من آذاكا
وتنقلت عبر القرون صواعقا ... سحقت حصون البغى وهى صداكا

يا أيها المسْرى به للمسجد الأقصى أضاع خلافنا مسراكا
كنت الإمام لكل صاحب دعوة ... واليوم واقعنا يضلّ رؤاكا
خارت عزائمنا وغاض يقيننا ... وتشبعت أيامنا بسواكا
حتى فقدنا طعم كل حقيقة ... فمن اليسير اليوم أن ننساكا
ولقد نُسينا والهوان سعى بنا ... للذكريات وما اقتفينا خطاكا
حتى غدونا للذئاب فريسةً ... والغاب شرعة كل من عاداكا
أنظل فى قلب الجليد بلا هدًى ... يحيى موات قلوبنا لتراكا
فالحلم يسخر من تبلد روحنا ... والأمنيات أسيرة لرضاكا
فمتى رضاؤك عن بقايا أمة ... لم تستطع أن تستعيد ثراكا
غابت وراء الشمس وهى حسيرة ... لم تستمع فى بأسها لندَاكا
أنا النبى لا كذب • أنا ابن عبد المطلب : سبحان من قواكا
أين الطريق اليك فى زمن تنا ... فس كل ما فيه لمحو خطاكا
لكنها فى الأرض أصل ثابت ... وفروعها تتبوأ الأفلاكا

فى ظلال العروبة والإسلام

تغنت بهـــا الأكـــوان فى كل بقعـــة ... وأحنت لهـــا الهامات كـــل البريـــة
أجـــل انهـــا فجـــر الحيـــاة لعالم ... أطـــل عـــلى ليـــل عميـــق الدجنـــة
هى البعث هـــدارا هى الشـــعلة التى ... أضـــاءت بأنـــوار الهـــدى والنبـــوة
أموت وأحيـــا فى ســـبيل بقائهـــا ... وأملأ ســـمع الكون عاشـــت عروبتى

***

عروبتى الشـــماء للمجـــد قمـــة ... وروح لأجســـاد من الـــروح جـــدبة
وغصن من الزيتـــون فى الســـلم ناضر ... وكـــل جحيم النـــار يـــوم البليـــة
وعنهـــا روى التـــاريخ كـــل عظيمـــة ... من المجـــد من عـــزم فتى البطـــولة
ومنهـــا صـــاح الكون قد شـــع نوره ... فأفعم بالأنـــوار كـــل البســـيطة
وفجـــر فى الصـــحراء أعظم أمـــة ... فدكت عنى القيـــد فى كل قبضـــة
وهب بنـــوها من عميـــق ســـباتهم ... عمالقـــة التـــاريخ فى كـــل بقعـــة
ولم تك الا أمـــة الحـــق قادهـــا ... نبى بنى فى الكـــون أعظم أمـــة
نبى من الصـــحراء يحـــكم عالمـــا ... بحكم من الرحمن لا حكم شـــهوة
تســـاوى لديه الســـود والبيض لم تكن ... فـــوارق تـــدعى فى بـــلال وحمـــزة

شعر : أبوزيد ابراهيم سيد

فهذا بلال وهو عبد مجاهد ... يقول لغير الله لم أحن جبهتى
أنا المسلم الوثاب ملء جوانحى ... من الله خوف فى منامى ويقظتى
وهذا رسول الله حى بمهجتى ... ومن نوره أفعمت قلبى ومقلتى
ومن قوة الاسلام كانت سيادتى ... ومن عزة الله المهيمن عزتى

***

وهذا يهودى يقول بغلظة ... بعهد به الاسلام صلب الشكيمة
« محمد » لن يعطى طعاما بآجل ... فان رام أخذا فليجىء برهينة
فيعطيه خير الخلق ما كان عنده ... هو الدرع لا مال ببيت النبوة
وقد كان مال الكون طوع بنانه ... وتحت يد المختار أموال أمة
ولكنه الايمان والعفة التى ... بها ساد هذا الدين كل البرية

***

فقد أنجب « الفاروق » عدلا وعفة ... وعنه روى التاريخ أمجد سيرة
يهز ملوك الفرس والروم بأسه ... وان نام فوق الرمل لا فوق بردة
وكم صنع الايمان أمثال « خالد » ... وأمثال « عمار » « وزيد الدثنة »
« وسعد بن وقاص » « وهارون » جالس ... على عرشه يزهو بفتح ودولة
وأبصر فى أفق « العراق » غمامة ... فقال لها والكون يصغى لقوله

فى ظلال العروبة والإسلام

ألا أمطرى فى أى قطر أردته ... خراجك آتينى على أى وجهة
« وطارق » فى الأسبان تزحف جنده ... وتفتح فيها قلعة اثر قلعة
ويزرع أرض الغرب دين « محمد » ... فتورق بالأبطال من كل قمة
وقد كان عرش العرب فى الكون عاليا ... وعرش بنى « التاميز » طى الدجنة

***

وما عرف الاسلام يوما تعصبا ... وما كان فى الاسلام من عنصرية
فعدل وانصاف وجم تسامح ... فكم مسجد يبنى بجنب كنيسة

***

أجل انه الاسلام تحت ظلاله ... تفجر فجر السلم فى كل بقعة
وعانقت الأكوان فى ظل حكمه ... أمانا فلا جور على أى ملة
أما قيل لابن العاص والكون شاهد ... عن الرأس فلتكشف لتصلى بضربة
فيعلنها القبطى « عمرو » مبرأ ... وانى ضربت بن الكرام بدرة
ويكتب تاريخ وتروى عوالم ... عدالة اسلام ومجد شريعة
هم الناس لا استعباد يوما وكلهم ... الى هذه الدنيا أتوا دون فرقة

***

أجل يا رجال السلم والسلم فى الورى ... أمان وأحلام نأت عن حقيقه
فكم من نفوس بالحروب ولوعة ... تفنى على سبيل الدماء بنشوه
وتصنع من حمر الجماجم أكؤسا ... ومن أعين الأطفال خير تميمة
وفى كل يوم للدمار عجائب ... بتطوير صاروخ وتفجير ذرة
وانفاق أموال لازهاق أنفس ... وموتى من الجوع المرير الشكيمة
أذلك مفهوم السلام وروحه ... فناء واذلال الشعوب الوديعة
ولو أنهم لله ردوا نفوسهم ... وجاء المنهاج الالة بعزمه
لكان السلام الحق تحت ظلاله ... تجمعت الأكوان فى خير وحده

أبو زيد ابراهيم سيد
موجه اللغة العربية بادارة
أسيوط التعليمية

رسالة الأزهر

صلاح عبده الحناوى

بالأزهــر المعمــور تيهوا وافخـــروا
فســـناه كالشـــمس المضيئة يظهر
صـــان الشريعة والبيـــان لأمــة
خطبت مآثرها الحســـان الأدهـــر
ومشى بعـــون اللـــه حـــرا ثائرا
والحـــــر بالأحـــداث لا يتـــأثر
قـــد كان فجـــرا للجهـــاد ومشرقا
لمـــا أتاه الفاتحـــون وعســـكروا
أتـــــياخه كانـــوا ليـــوثا فى الحمى
خاضــوا غمـــار الحـــرب لم يتقهقروا
وغـــدوا دعـــاة فضـــائل وقلوبهـــم
أصفى من المـــاء النمـــير وأطهـــر
قـــد ناصروا الحـــق المبـــين أعـــزة
والنـــاصر الحـــق المبـــين سينصر

***

الازهـــر العمـــلاق مد ظـــلاله
فينـــا وها هـــو للرســـالة ينشر
هو زينـــة الدنيـــا وغـــرة عصرنا
والنعمـــة الكبـــرى لمـــن يتبصر
حجت اليـــه من المشـــارق فتيـــة
تبغى ورود العلـــم اذ هـــو اجـــدر
فهـــدوا بـــه والنـــور ملء قلوبهم
والعـــلم من أفـــواههم يتفجـــر
نشروه بـــين العالمـــين فأحســـنوا
والظلـــم من وثباتهـــم يتعثـــر
للازهـــر المعمـــور نـــور ســـاطع
ومحبـــة وكـــرامة لا تنكـــر
ولـــه عـــلى مـــر العصـــور مكانة
شـــمساء لا تمحـــى ولا تتغـــير
مهمـــا تطـــورت الحيـــاة فـــرأيه
فلق يشـــق بـــه العـــلاء ويزهـــر
مازال فيـــه لكـــل صـــاد مـــورد
صـــاف ومنه لكـــل علـــم مصدر
ولقـــد خطى نحـــو الأمـــام وخطـــوه
اضـــحى عـــلى مهج الزمان يسطر
عاشـــت بـــلادى فى حماه عزيزة
يعلو ســـماها بالمفاخـــر أنـــور

صلاح عبده الحناوى
وكيل معهد شربين الثانوى

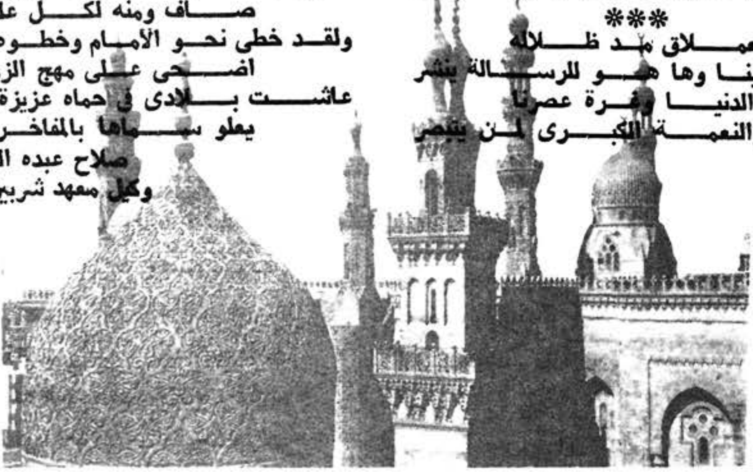

كتاب الشهر

دفاع والشر

الكتاب الذى نقوم بعرضه فى هذا العدد يعتبر مناقشة موضوعية للمستشرق « جولد تسيهر » فى كتابه « العقيدة والشريعة » الذى نقله الى العربية أساتذة لهم أقدارهم بين صفوف علماء الدين .

والذى استطاع المستشرق المجرى أن يستفرغ بين دفتيه كل مافى أحشائه من ضغائن وأحقاد ضد الاسلام .

وقد تولى مناقشة هذا المستشرق كاتب مسلم تمتزج غيرته على الاسلام بكل احساساته وومضات فكره وخلجات نفسه ويرتفع فهمه للاسلام فوق مستوى أفهام الذين لم يتزحزحوا عن الدراسات التقليدية العتيقة أو الدراسات السطحية الضحلة .

والشيخ محمد الغزالى معدود فى الطليعة المؤمنة بين من شهروا أقلامهم الحرة للذود عن الاسلام وقيمه فى تعمق ووعى وجرأة ودأب وعن ايمان واخلاص . ومؤلفاته التى قاربت الثلاثين تعتبر سجلا للدراسات الاسلامية تحتل مكان الصدارة فى المكتبة الاسلامية والكتاب الذى بين أيدينا يعتبر أهم كتب الشيخ الغزالى

ولقد نال هذا المستشرق المجرى المتجنى على الاسلام مايستحق من قلم الأستاذ محمد الغزالى جزاء وفاقا .

منهج المؤلف فى تأليف كتابه : ــ

قسم الشيخ محمد الغزالى كتابه الى ثمانية أجزاء فند خلالها المزاعم التى أوردها المستشرق المجرى جولدتسيهر فى كتابه العقيدة والشريعة .. وناقشه مناقشة علمية ويقول فضيلة الشيخ عن منهجه الذى اتبعه فى تأليف كتابه ردا على جولد تسيهر .

عندما تناولت كتاب العقيدة والشريعة .. لجولد تسيهر منيت النفس بمطالعة بحث جيد فان المؤلف مستشرق لامع الاسم واسع الاطلاع ــ كما بلغنا ــ والمترجمون نفر من الأساتذة النابهين .

ويستطرد المؤلف قائلا :

«أقصى ما رجوت أن أقرأ بحثا كثير الصواب قليل الخطأ ، خفى الدس أو ماكره .

عـرض وتقـديم

حمـدى الليثى

عن العقيدة بعيدًا ضد مطاعن المستشرقين

ويقول فضيلة الشيخ :ـ

لكنى ماكدت أنتهى من الصحائف الأولى حتى ساورتنى الشكوك فلما مضيت فى متابعة المؤلف استولت على الدهشة وأوغلت فى القراءة وقد تكشف لى الأمر .

ويستطرد المؤلف قائلا .

« جولد تسيهر » منذ شرع بخط السطور الأولى فى كتابه لم يكن يملك ذرة من روح العالم المنصف . كان يخطىء فى النقد والفهم والحكم . وليعذرنى القارىء اذا قلت اننى غالبت مرارا شعور الاحتقار لهذا الرجل فعجزت لطول ما رأيت من اغراقه فى الحيرة والشرود ولطول ما يئست أن يتجرد للحق فى فصل من فصول كتابه ويقول فضيلة الشيخ لقد حرصت فى الرد على هذا المستشرق أن استوفى الحقائق العلمية التى توضح ما عماه أو غاب عنه .

تأليف الشيخ محمد الغزالى

عرض لمحتويات الكتاب

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا هو الجزء الأول من الكتاب الذى بين أيدينا وقد نفذت الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب وهذه هى الطبعة الثالثة .

كتاب الشهر

والكتاب يشتمل على ٣٥١ صفحة بدأ بكلمة للناشر ومقدمتين وضعها المؤلف •

وقد رد المؤلف ردا علميا مقنعا على جميع الشبهات التى أوردها جولد تسيهر فى كتابه « العقيدة والشريعة » والذى اشتمل على ٤٠٠ صفحة وفى هذا الجزء تمكن المؤلف بالحجج العلمية دحض جميع محاولات جولد تسيهر للمز شخصية رسول الله والوحى •

والمؤلف يذكر ، رأى المستشرق ثم يقوم بالرد عليها •

ويقول جولد تسيهر عن محمد « ص » صفحة ٢١ من «كتابه العقيدةوالشريعة» فتبشير النبى العربى ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثرا عميقا ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية على أوسع نطاق فى ميدان الاعتقاد والتشريع •

وبهوى هذا الافتراء أمام قلم المؤلف :

فيقول ردا على هذه الاكذوبة :

هذا كلام باطل ، فان محمدا ــ بلغة عصرنا ــ قبض على الفكر اليهودى والنصرانى ، وقدمه الى الضمير العالمى متهما بالتزوير على أوسع نطاق فى ميدان الاعتقاد والتشريع •

ولم يكن هذا الاتهام مبهما ولا مجملا ، بل واضحا مفصلا • ذكر فى أعقاب دعوة مسهبة حارة لتوحيد الله ، واصلاح العمل ، وترقية السلوك الفردى والجماعى • دعوة لا نظير لها فى الكتب الموجودة بأيدى من ينتسبون لموسى أو لعيسى • ويتساءل الشيخ فكيف بعد المصوب المرشد ناقلا عن المخطئين الشاردين ؟

ويقول المؤلف • والمستشرق الذكى لما لمس حرارة الاخلاص ، وقوة الصدق ، ونبل الغاية فى سيرة محمد ، أراد أن يوفق بين وفرة هذه الخلال وبين ما نسبه اليه من اختلاق الرسالة واستقاء أفكارها من الناس فقال :

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل الى أعماق نفسه وأدركها بايحاء قوته التأثيرات الخارجية • فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا الهيا فأصبح ــ باخلاص ــ على يقين بأنه أداة لهذا الوحى •

أى أنه تخيل فخال • وتصور أن المعانى التى تجىء فؤاده لامنبع لها الا الوحى فاعتقد ــ مخدوعا أنه رسول وأنه مصطفى من السماء • والحقيقة أنه لا وحى ولارسالة ، هكذا يحدثنا المستشرق المجرى « جولد تسيهر » •

ويتساءل الشيخ الغزالى :

هل هذا المستشرق ينكر الوحى جملة ؟

ويقول فضيلة الشيخ :

ان كان الأمر كذلك فلا نبوات البتة •

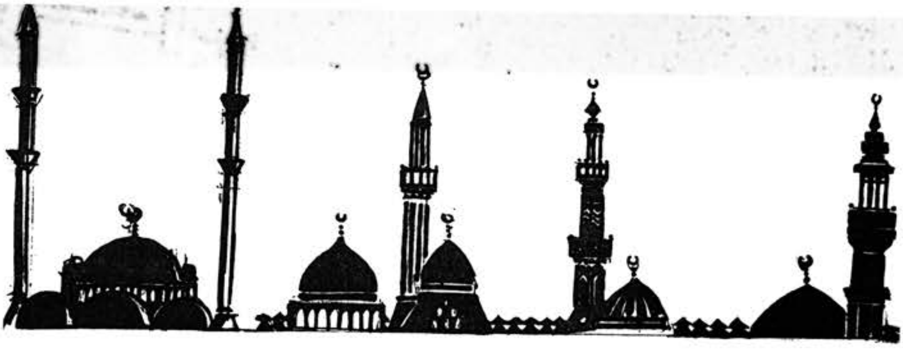

وسقطت ديانته قبل أن تســـقط الديانة التى يهاجمها وارتفعت الثقة بكل انســان زعم يوما أن ملكا جاءه ، وأن وحيا نزل عليه ، فكلهم كذبة وان كان يؤمن بالوحى ويصدق أنبياء اليهودية ــ أو النصرانية وحدهم قلنا لهــم : ما سر هذه التفرقة ؟

أهو تعصب لما ورثت عن آبائك وقومك ؟

لك ذلك ، ولكن لا تســم هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدا .

وان كان اتهام نبى بالكذب ، ووصف آخر بالصدق نتيجة تقليب لدلائل الاثبات وتمحيص لحقيقتها ، فهذا مجالنا الذى لا يغلبنا فيه أحد فهات ما عندك .

ويقول الشيخ الغزالى

ان محمدا ترك بين أيدينا مايشهد بنبوته ، فما الذى تركه غيره ؟ أعنى أن جمهور الأنبياء مات من دهر بعيد ، وقد وصلت الينا أسماؤهم ومواريثهم الروحية والفكرية فقط وأنا والمسيو « جولد تســيهر » وغيرنا من الناس لا يعرف قيم هؤلاء الرجال الا من خلال النظر الفاحص لكتبهم وتعاليمهم .

وانى لأقولها صريحة لا تتحمل لبســـا ولا التـــواء اننى آمنت بمحمد بعد ثقة من أن تعاليمه طابقت ثمرات العقل الحر .

واننى لم أومن بعيش وطهارة نسبه وعفاف أمه الا لأن محمدا الذى استيقنت من صـــدقه هو الذى أكد لى ذلك .

ويستطرد الشيخ الغزالى قائلا :

ولولا احترامى للاســلام احتراما نابعا من جهد عقلى محض لما قبلت الى قيام الســـاعة أن أستمع لقصـــة عيسى بن مريم على النحو الذى جاءت به .

ثم أن لمحمدا كتابا ، أرى أنه من عند الله ، ويرى المستشرقون أنـــه من عند نفســه . فلماذا لموسى وعيسى ؟

ونختم هذا العرض بهذه الكلمات التى بدأ المؤلف بها كتابه .

المستشرق المجرى ألف كتابه عن الاســلام اسهاما منه فى النشاط الأمريكى لخدمة المسيحية واجابة لرغبة احدى اللجان العاملة فى هــذا الميدان ــ والامريكيون منذ دخلـــوا ميدان التبشير والاستشراق ، زادوا القــوى المناوئة للاسلام شراسة واصرارا . وأمدوها بسيل موصول من المال والرجال .

ومادمنا نتحدث عن مستشرق يعين بكتابته النشاط التبشيرى الأمريكى . فلتعلم أن النشاط هو محور الجامعات الأمريكية بالقاهرة وبيروت والآستانة .

وهذا النشاط أخرجته الظروف فكشف عن وجهه القناع فى بيروت لما هاج الطلبة المسلمون هناك على محاولات تنصيرهم وفرض دخول الكنيسة يوميا •

ان المسئولين عن التبشير يعملون فى غموض وتخفى واطراح الطابع المسيحى العلنى مؤثرين الوصول الى أغراضهم تحت عناوين عائمة مثل التجديد ، الفن ، النهضة ، الحرية الخ وتحت أسماء رجراجة المفهوم أمكن الوصول — عن طريق الصحافة الى الحاق خسائر جسيمة بالاسلام والعاملين له •

ليست لهم كتب من الطراز أو بالتعبير الصحيح لم تصل الينا عن طريقهم كتب بهذا الميسم المبين غاية ما هنا لك صحائف كتبها أناس كثيرون تضمنت نتفا من تعاليم أولئك النبيين وقيمة هذه الصحائف من ناحيتى السند والمتن تشبه — معالتجوز قيمةبعض الأحاديث المروية عن الرسول محمد « ص » وهى الاحاديث التى لم ير «جولد تسيهر» أى حرج حينا وابداء الريبة فيها حينا آخر •

ويشتمل الكتاب على بقية الأجزاء التالية

الجزء الثانى تطور الفقة الاسلامى

الجزء الثالث والرابع التطور فى العقيدة

الجزء الخامس الزهد والتصوف

الجزء السادس الفرق

الجزء السابع حول الوحدة الاسلامية

الجزء الثامن المسلمون بين الاستعمار والصهيونية •

ويختم المؤلف كتابه بقوله

ولرعاة الكنائس أن ينشدوا السلام وأن يسعوا جاهدين لاقراره بيد أن كل سلام على حساب قضايا المسلمين لن يكون له وزن ولا دوام فان المسلمين أولا سيتفانون فى الدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم •

ونحن باسم الاسلام — ما نود أن تنشب الحرب بيننا وبين أهل الكتاب لكن اذا رأينا الأحقاد كالحة والغدر بيننا فمابد من أن نذود عن حياضنا وندافع عن ايماننا • ويقررفضيلة الشيخ الغزالى حقيقة بقوله بيد أن السلام ممكن بين المسلمين وبين المسالمين الوادعين من النصارى واليهود •

يقول الدكتور عمر فروخ فى كتابه « التبشير والاستعمار » نقلا عن مضابط مؤتمرات التبشير •

« يعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثرمما استطاعوا فى أى بلد اسلامى آخر •

لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية ، اما مأجورة فى أكثر الأحيان أو بلا أجرة فى أحوال نادرة » والمعركة بيننا وبين هذه الصحافة لن تهدأ ما بقيت مسرحا لتلك الدسائس ضد الاسلام وساحة للنيل من العاملين له والمحامين عنه •

حمدى الليثى

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

س : من الاستاذ عبد الحميد شاهين مراقب البحوث الاسلامية بالازهر بعد زيارته لسريلانكا .

اعتاد المسلمون فى « سريلانكا » على أنه اذا مات الميت وتم تكفينه شدوا الكفن وتركوا رأس الميت ووجهه مكشوفا ووضعوه على منضدة وتحلق الناس حوله يقرءون الادعية المأثورة وغيرها ، وكلما فرغت جماعة دخلت جماعة أخرى ....

كما أنهم يؤجلون دفن الميت الى مابعد العصر ... فما الحكم فى كل هذا ؟

ج : بعد التحقق من موت الميت يسن التعجيل بالتكفين بعد الغسل ثم الصلاة عليه ودفنه .

والتأخير قد يكون فيه مهانة للميت .

كما أن كشف الوجه والرأس غير جائز .

س : من المهندس جوى رفعت عز الدين المليجى .

أعمل مهندسا عضو هيئة قيادة أساسى للطائرة ، ولا يمكن أن تقلع الطائرة بدونى .. فهل تقع على حرمة بسبب الخمور الموجودة فى الطائرة وحملها وتقديمها للركاب لاننى مهندس جوى .. وما الحكم ؟

ج : يحرم على كل مسلم أن يشارك أو يعين على معصية ، ومن ذلك تقديم الخمور للراكبين وواضح أن هذا الحكم يشمل المهندس الجوى ولا يعفيه من المسئولية تعليمات الشركة بتقديم الخمور للركاب ، لانه أمر فيه معصية لله تعالى ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

س : من السيد فؤاد عبد الرءوف الرفاعى .

وافقت السيدة زوجتى على أن تستمر معها فى المسكن والدتى المطلقة وأختى الآنسة ورفضت بقاء أخى الشقيق الاعزب معها فى مسكن الزوجية باعتبار أن هذا مخالف للشريعة الاسلامية .. فما هو رأى الشرع فى هذا ؟

ج : من حق الزوجة على زوجها النفقة والكسوة والسكن الخاص فى مكان تأمن فيه

الفتاوى

على نفسها وعلى متاعها ، ويمكنها من الاستمتاع بالحياة الزوجية الكاملة مع المحافظة على شرفها وسمعتها .

واستمرار سكن أخ الزوج فى سكنها الخاص بالزوجية لا يوفر لها ذلك ولا يتفق مع مبادىء الشريعة الاسلامية .

س : من السيد الحاج كاش الله .

تزوجت امرأة ودخلت بها ، ثمسافرت سفرا طويلا مدته سبعة وعشرون عاما وتركتها حائضا ، ثم علمت بأنها قد وضعت طفلا بعد سفرى بنحو سنة ومات صغيرا .

وبعد عودتى قال لى أهل زوجتى : ان زوجتك قد أتت بطفل بعد سفرك بأربع سنوات ويريدون الحاق نسبه الى فما الحكم ؟

ج : الولد الثانى ليس توءما للاول لانه تخلل بينهما ستة أشهر فأكثر فليس من الحمل الاول . وحيث ان الولد الثانى قد أتت به بعد أربع سنوات من وضعها للاول وكان الزوج مسافرا سفرا طويلا وبعيدا ولا يمكن تلاقى الزوجين معا . فلا يصح الحاق نسب الولد الثانى بالزوج . لان شرط الحاق الولد بالفراش امكان تلاقى الزوجين .. وبذلك فيجب على الزوج نفى هذا الولد الثانى ، حتى لا يلحق به زورا .. وهذا هو مذهب الائمة الثلاثة : مالك ، والشافعى ، وأحمد رضى الله عنهم .

س : من السيدة زينب على .

هل للأب حق منع أولاده من زيارة أمهم المتزوجة من شخص غيره ، علما بأنه متزوج من أخرى .

ج : على الاب أن يمكن أولاده الذكور من زيارة أمهم على العادة بحيث لا يؤثر ذلك على سيرهم فى أداء واجباتهم المدرسية والدينية ، بشرط أن تكون الزيارة مأمونة من المخاوف على السلوك .

وعليه أن يمكن الام من زيارة بناتها على العادة ، بحيث يهيىء لها مكانا صالحا يرتضيانه تتمكن فيه من الخلوة ببناتها ، بشرط الامان والمحافظة على الاخلاق والسلوك .

س : وهل يجوز للابناء مطالبة أمهم بالطلاق من زوجهـــا الثانى لتعيش معهم بدون زوج فى الوقت الذى تعيش فيـــه آمنة مستقرة مع زوجها ؟

ج : هـــذا الطلب من الاولاد لا يحق لهـــم ولا يصح منهم أن يتكلموا فيه اطلاقا ، اذ أن هذا تدخل منهم فى شأن غيرهم،واللجنة تنصح الام بألا يكون لهذا الكلام تأثير على علاقتهـــا مع زوجها •

س : منالسيد محمد محمد عبدالرحيم هل الاكل والشرب فى الجنة حقيقـــة أم معنوى ما رأى فضيلتكم فى ذلك ؟

ج : علينا أن نؤمن بما ورد فى النصـــوص القرآنية والاحاديث النبوية بشـــأن الجنة ؛ « و فىالجنة ما لا عين رأت ولا اذن ســـمعت ولا خطر على قلب بشر » وأن « فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » •

والله أعلم

عبدالحميد السيد شاهين

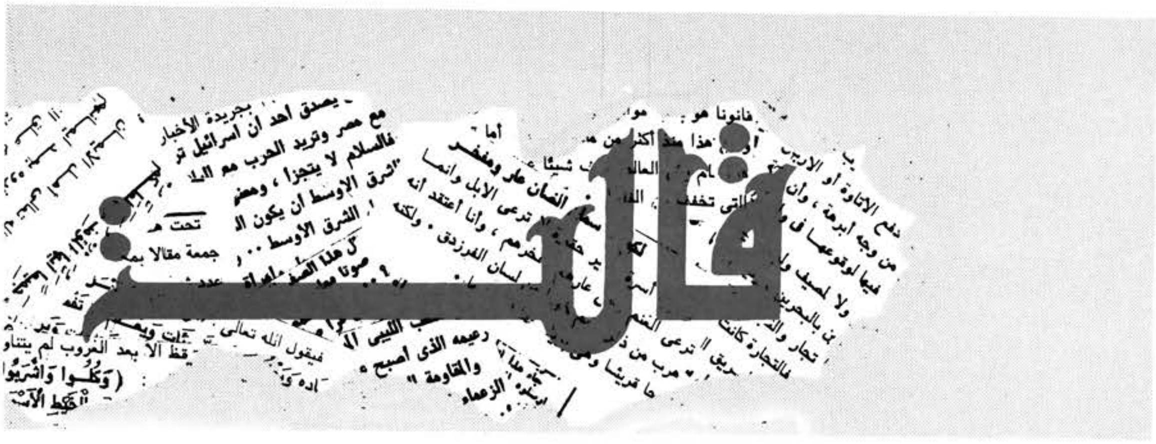

○ حضارة العرب

*** كتب الأستاذ/أحمد بهاء الـدين مقالا بمجلة العربى العدد ٢٧٠ مايو سنة ١٩٨١ تحت هذا العنوان قال فيه :**

كالخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر ــ الذى لا ترى العين أيهما من الآخر بسهولة ويسر ــ كذلك فى مسارات الحضارات • ذلك الخيط الذى يفصل بين قمة التعوج وبداية الهبوط •

الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر يختلط على العين ثوانى أو دقائق قليلة •• ولكن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود فيما يفصل بين وصول الحضارة الى قمة النضوج وبداية دبيب الانحلال فيها قد يستغرق أجيالا وقد يختلط على العين عدة قرون ، ومع ذلك قد لاتميزه العين فى الوقت المناسب •• وذلك لتقدم عوامل التقدم فى عوامل الفناء •

ان الأمر هنا كالعصا التى كان يستند عليها سليمان ــ عليه السلام ــ فلم يعرف الناس موته الا حين سقطت العصا فجأة وتحولت من خشب الى تراب • ذلك أن النمل كان يأكلها من الداخل • دون أن ترى العين ذلك •

وانجلترا ــ فى تقدير الكاتب ــ هى أهم ترمومتر للحضارة التى اصطلح على تسميتها بالحضارة الغربية المسيحية • فهى أهم مهد لهذه الحضارة فىصناعتها . ونظمها ومؤسساتها وقوانينها ، وهى اذا كانت قد تراجعت عبر الحروب عن قوتها القديمة حين كانت تحكم وحدها خمس العالم ، الا أن أمراضها وأزماتها هى مؤشر الى أمراض وأزمات كل العالم الذى يشاركها فى صفة الحضارة الغربية المسيحية •

وفى العقل الغربى لاتستخدم معانى

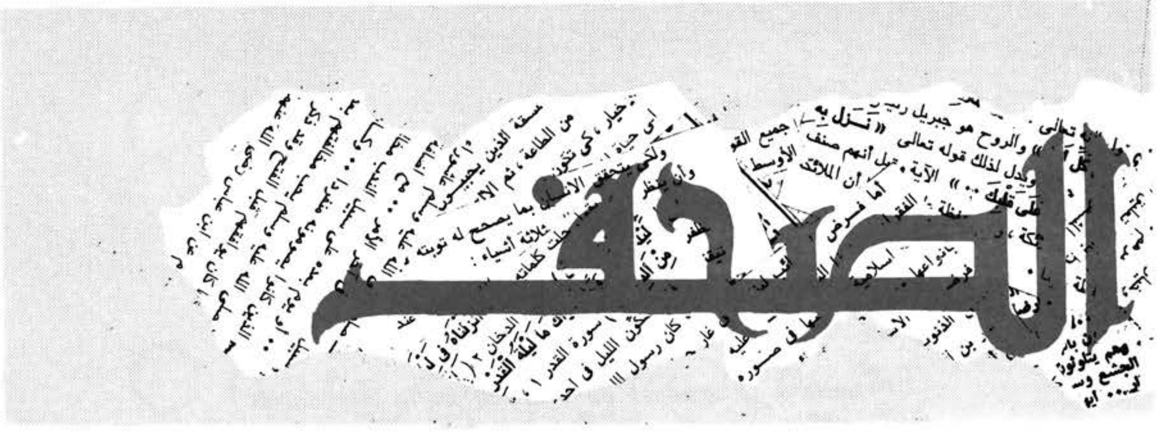

بين السماحَة والإبَاحَة

السماحة والاباحة الا فى مجال الجنس .

ولاشك أن هناك فرقا بين وصول تفسير الحرية الشخصية الى أقصى مداها ، وبين أن يكون الجنس سلعة معروضة فى «الفترينات» ودور السينما ، وكل مكان عام . وأن ينشر كخبر عادى أن فلانة الممثلة الشهيرة أو بنت الذوات المرموقة قد أنجبت من فلان . وانها لذلك قد قررت الطلاق من زوجها !!

هل زادت السماحة فوصلت الى منطقة الاباحة . السماحة قمة قوة والاباحة بداية ضعف ؟

فالاضرابات الكثيرة . وكثرة عدد الجواسيس فى مراكز حساسة لحساب روسيا سماحة أم اباحة ؟

ان انجلترا مجتمع متحضر فيه كل مزايا التحضر وآفاته . فيه عناصر البقاء والفناء تسير على حبل مشدود بين السماحة التى تخلقها الحضارة والاباحة التى كانت دائما مقبرة الحضارات .. هل هو الخيط الأبيض مع الخيط الأسود ساعة فجر تطور جديد .. أو ساعة أفول وغروب ومغيب ، وللفجر والغروب لونان متقاربان ؟

الفتوحات الإسلامية

*** كتب الأستاذ : محمد فهمى عبد اللطيف فى يومياته بجريدة الأخبار مقالا تحت هذا العنوان يوم ٨١/٧/٨ م قال فيه :**

لم تكن الفتوحات الاسلامية حروب غزو واستعمار وكسب للأسلوب والغنائم • وانما كانت جهادا فى سبيل الله • وتحريرا للشعوب من عبادة الطغيان • فالجيوش الاسلامية التى دخلت الشام والعراق ومصر وبلاد أفريقية كانت غايتها تحرير شعوب تلك البلاد من الاستعمار ، وانقاذها من ذله وهوانه •

ولقد خرجت الجيوش الاسلامية من الجزيرة العربية تحمل الدعوة الى ماجاورها من الأقطار والأمصار • هداية لأهلها وتحريرا لهم من استعمار الروم والفرس الذى جثم على صدورهم مئات السنين •

ونستطيع أن نلخص أسباب هذا الفتح وحقيقته كلها مجتمعة فى كلمة قالها الخليفة أبو بكر الصديق لقائده أسامة حين قال يوصيه هو وجيشه •

« لاتخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تغدروا ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ولابقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » •

هذه هى دعوة الاسلام التى قام عليها ومن أجلها الفتح الاسلامى • وكانت فيه السبب والوسيلة والغاية قبل كل شىء •

فتفسير الفتح الاسلامى تفسيرا اقتصاديا، وربط دوافعه وأهدافه بالحرص على الأسلاب والرغبة فى الغنائم هو فى منطق الحق والانصاب تفسير مغرض تنقض كل الشواهد والدلائل التاريخية ، كما تنقض كل البواعث والظواهر النفسية التى تجلت من وقائع هذا الفتح وسلوك قادته وجنوده •

○ اللغة العربية وجامعة الشعوب الإسلامية

*** كتب الدكتور/كريم حسام الدين مقالا تحت هذا العنوان بجريدة الأخبار يوم ١٥/٥/١٩٨١م قال فيه :**

ان اللغة العربية هى الرباط المتين الـذى يربط المسلمين شرقا وغرباً ، وهى اللواء الذى يوحد صفوفهم ، ولم يكن غريبا أننا وجدنا القوى المعادية للاسلام تبدأ هجومها أولا على اللغة العربية ، وتعمل على اضعاف مكانتها فى نفوسنا .

وكلنا يذكر مافعله الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، ومحاولة الانجليز الترويج للعامية فى مصر على سبيل المثال .

ان خطورة اللغة كسلاح استراتيجى هام جعلت الغرب يهتم بنشر لغاته .

وكلنا يعرف نشاط المراكز الثقافية الفرنسية والانجليزية والألمانية وغيرها فى أنحاء العالم .

ان فرنسا تعفى الشاب من الخدمة العسكرية اذا قام بتدريس اللغة الفرنسية خارج فرنسا .

لقد طلب منى أستاذ هندى مسلم ابلاغ رجاء ملايين المسلمين فى الهند وآسيا لتقوية ارسال الاذاعة الموجهة وانتى تقوم بتعليم العربية بالراديو .

ان جامعة الشعوب الاسلامية والعربية من أهم الاجهزة التى يجب أن تحمل هذه الرسالة ويجب أن تضع هذا الهدف نصب عينها لخدمة المسلمين . ولابد أن تبدأ بعمل جاد يقوم عليه المتخصصون فى تعليم العربية للأجانب وفق خطة محددة تبدأ بتعليم العربية للناطقين بلغات قريبة من العربية كالأندونيسية والماليزية والتركية ، والهاوسا والحبشية وغيرها ، من اللغات التى لها تراث ثقافى مشترك يربطها بالعربية .

ان العربية هى أقرب اللغات الى نفوس جماهير المسلمين فى أنحاء الأرض . وهى قادرة على جمع أمة الاسلام . ولتكن هذه رسالة جامعة الشعوب الاسلامية .

عاطف زهران

أخبار العالم

القاهـــــرة

* قرر بنك فيصل الاسـلامى المصرى أن يفتح عدة فروع فى أسيوط ، وميدان الأزهر ، والاسكندرية • ويقوم بنك مصر الاسـلامى بافتتاح فروع فى محافظات مصر لمواجهـة الاقبال الشديد والمتزايد فى استثمار الأموال وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية •

القاهرة ••

* كلية أصول الدين بالقاهرة تصدر قريبا مجلتها السنوية الحافلة بمختلف الموضـوعات لكبار أساتذة الكلية لمعالجة قضـايا الأمة الاسلامية المعاصرة ، ومعرفة حركة التجـديد فى العالم الاسلامى •

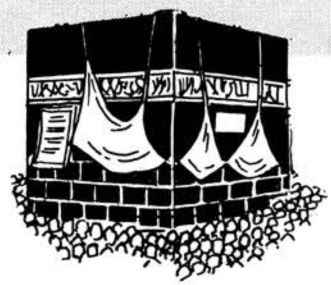

المملكة العربية السعودية

* الشركة السعودية للابحاث والتسـويق تصدر باللغة العربية جريدة الشرق الأوسـط ومجلة « المجلة » ومجلة سـيدتى ومجـلة « المسلمون » وسوف تصدر باذن الله فى ذى الحجة القادم ، لمواجهة التحديات التى تواجه المسلمين ، وتقديم الفكر الاسلامى الصحيح •

السودان ••

* منعت محافظتان من محافظات السودان الخمور وقررتا تطبيق الحد فى شارب الخمـر شرعا وجدير بالذكر أن مجلس الشـعب السودانى يبحث فى تشريع يكون أكثر شمولا لضمان تحشم الزى والتزام سلوك الجنسين فى الاماكن العامة •

الإسلامى

إعداد محمد عبد الرحيم السايح

باكستان ..

* انخفض مستوى الجريمة فى باكستان بعد تطبيق بعض قوانين الشريعة الاسلامية صرح بذلك وزير الداخلية الباكستانى . وذكر وزير الداخلية أن الباكستان فى حاجة الى المساعدة لتعميم تعليم اللغة العربية فى كل باكستان . وقد قررت الحكومة الباكستانية ادخال مادة الاسلاميات فى المدارس الحكومية .

سلطنة عمان ..

*** وافقت الحكومة بسلطنة عمان على ادراج خطة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لانشاء ألف مدرسة جديدة لتعليم القرآن الكريم فى مختلف مدن وقرى السلطنة جنبا الى جنب مع المعاهد والمدارس المتخصصة .**

ماليزيا ..

* قررت وزارة التربية والتعليم فى ماليزيا ادخال قضية القدس ضمن المناهج الدراسية فى مختلف مراحل التعليم .

سيراليون ..

*** عقدت جمعية شباب المسلمين الوطنية بسيراليون بغرب افريقيا ، مؤتمرا اسلاميا تحت شعار « التعاليم الاسلامية الحقة تأكيد للايمان والعقيدة » وقد أكد المؤتمرون : أن الشباب السيراليونى والذى يقود نشاطا مكثفا فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، قادر على انجاح خطته وتخطى العقبات التى تلاقيه رغم ضيق الامكانيات المتاحة لتحركه . وجاء فى بيان الجمعية الذى صدر فى ختام مؤتمره :**

« أن الاسلام هو دين الحق والسبيل الى حفظ كرامة الانسان ، وتحقيق اهداف الانسانية ، وللمحافظة على القيم والاخلاقيات التى يفتقدها عالم اليوم • وفى هذا الصدد يقوم الأئمة والعلماء المسلمين فى سيراليون بالاضافة على عدد كبير من الشباب المتخرج من بعض الجامعات الاسلامية ، بدور بارز فى نشر الدعوة الاسلامية فى أوساط المسلمين الذين تبلغ نسبتهم تسعين فى المائة من مجموع السكان » •

أمريكا ••

* ناقش المؤتمر التاسع عشر لاتحاد الطلاب المسلمين بأمريكا وكندا والذى عقد أخيرا بجامعة « انديانا » ناقش موضوع « حقوق الانسان فى الاسلام » •

كندا ••

* عقد مجلس الجماعات الاسلامية فى كندا ، مؤتمره السنوى الثامن • وذلك فى جامعة « تورنتو » العريقة ، والشهيرة بمركزها الصناعى والعلمى والعمرانى ، ومدينة « تورنتو » يتواجد فيها خمسون ألف مسلم من العالم العربى والاسلامى وخاصة من لبنان وسوريا وفلسطين وباكستان • وهدف المؤتمر السنوى هو : المساهمة فى بناء مجتمع كندى تتحقق فيه المبادىء الاسلامية المثلى من العدالة والمساواة والاخاء ، ونشر الحضارة والثقافة الاسلامية ، لبناء مجتمع اسلامى كندى متين •

تنزانيا ••

* الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد ، تعتزم اقامة دورة للدعاة فى مدينة « ابادن » بتنزانيا ، لمدة شهر ولثلاثمائة داعية ، وذلك لمواجهة ازدياد الداخلين فى الدين الاسلامى •

سويسرا ••

* وافق المجلس الاستشارى للمعهد الدولى للعمل ، التابع لمنظمة العمل الدولية على ادخال الدراسات الاسلامية المتعلقة بالاقتصاد والعمل والشئون الاجتماعية ، ضمن برامج المعهد لأول مرة وذلك خلال اجتماعه الذى عقد مؤخرا فى « جنيف » •

البرازيل ••

* تم افتتاح المدرسة الاسلامية « بسانتو امارو » فى « سان باولو » بالبرازيل ، وهى تابعة للجمعية الاسلامية ، وتضم المدرسة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة • وثم تسجيلها لدى وزارة التعليم العالى البرازيلى • وتعتزم الجمعية الاسلامية اقامة احتفال كبير لوضع حجر الأساس للمسجد التابع للمدرسة •

أحمد عبد الرحيم السايح

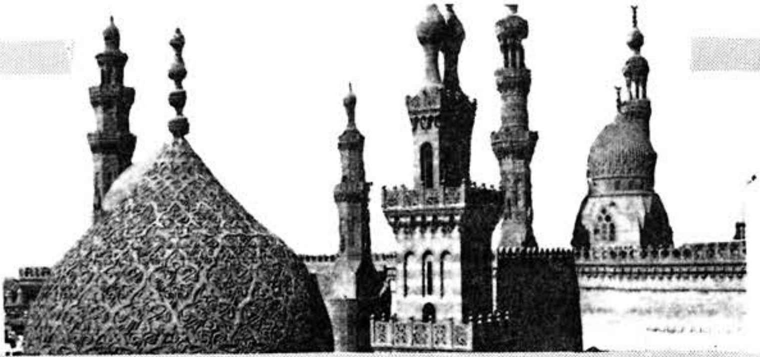

أخبار الأزهر

الدكتور فؤاد محيى الدين يسلم القلادات والأوسمة لعلماء الأزهر

* أناب السيد رئيس الجمهورية السيد الدكتور أحمد فؤاد محيى الدين نائب رئيس مجلس الوزراء بتسليم القلادات والاوسمة الى علماء الازهر الشريف الذين كرمهم السيد الرئيس محمد أنور السادات بمنحهم هذه القلادات والاوسمة فى زيارته الماضية لجامعة الازهر . وقد قام الدكتور فؤاد محيى الدين مساء يوم السبت ١٥ شوال الماضى بقاعة الاجتماعات بالازهر بتسليم قلادة النيل العظمى لاسم المرحوم الشيخ محمد عبده .. وقام بتسلمها أحد ورثته .

* ثم سلم فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر قلادة الجمهورية من الطبقة الاولى .

وتسلم فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر وسام الجمهورية .

* وعقب هذا الحفل عقدت اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر اجتماعها الثانى برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر وناقشت الاقتراحات المقدمة من اللجنة التحضيرية للعيد الالفى للأزهر .

أخبار الأزهر

● اقتراحات اللجنة التحضيرية للاحتفالات بالعيد الألفى للأزهر :

*** تقدمت اللجنة التحضيرية للاحتفال بالعيد الالفى للازهر بعدد من الاقتراحات قام فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس هذه اللجنة بعرضها على اللجنة العليا للعيد الالفى . للنظر فيها واختيار ما تراه مناسبا ومن هذه الاقتراحات :**

١ ــ يبدأ الاحتفال فى الجمعة الاولى من شهر رمضان ١٤٠٢ هـ القادم بصلاة الجمعة فى الجامع الازهر ويدعى الى هذه الصلاة السيد رئيس الجمهورية وقادة الامة الاسلامية بدعوة من الامام الاكبر الذى يؤم المسلمين فى هذه الصلاة الجامعة .

٢ ــ قد يرى أن يكون هذا الحفل مناسبة مواتية لجمع قادة المسلمين وتوحيد كلمتهم فى ظل قيم الاسلام ومبادئه .

٣ ــ الاعداد من الآن لاصدار « ألفية الازهر : الازهر فى ألف عام » باللغة العربية وغيرها من اللغات الحية على أن يوزع قبل بدء الاحتفال على الجامعات والهيئات العلمية والسفارات والمراكز الثقافية والاعلامية فى مختلف أنحاء العالم .

٤ ــ يكون العيد الالفى للأزهر مناسبا لاصدار قرارات العمل بقوانين الشريعة الاسلامية .

٥ ــ التراث : يكون العيد الالفى للأزهر مناسبة طيبة لدعوة الدولة لتخصيص ميزانية كافية ليتولى الازهر نشر كتب التراث الاسلامى والعربى وتيسيرها للتداول .

٦ ــ يقترح اتخاذ الاجراءات من الآن لاصدار طوابع بريد وعملات تذكارية من فئات مختلفة ذهبية وفضية ومعدنية تخليدا لهذه الذكرى التى لا تتكرر الا كل ألف عام كما يتخذ الاجراء أيضا من الآن لاعداد ميداليات ونياشين توزع بهذه المناسبة .

٧ ــ يوزع رئيس الجمهورية على الاعلام من رجال الازهر السابقين والعاملين أوسمة ونياشين تقديرا لجهودهم الواضحة المتميزة فى خدمة الازهر .

٨ ــ يتم التنسيق مع أجهزة الاعلام المختلفة لتشارك مشاركة فعالة فى هذا الاحتفال بتخصيص سهرات رمضانية فى الاذاعة المسموعة والمرئية لتقديم دراسات تعرف بتاريخ الازهر وبأعلامه اظهارا لدورهم التاريخى علميا وسياسيا ولتقديم بحوث تضع حلولا اسلامية لمشكلات الحياة المعاصرة فى جوانبها المختلفة وللاعلان عن مسابقات فى حفظ القرآن الكريم على المستوى الوطنى والعالمى كما تخص برامج اذاعية موجهة الى كل الجهات فى العالم بلغاتها تعرف بالازهر وبقيم الاسلام ومبادئه .

تقوم دور النشر باصدار الكتيبات التى تتقدم لها من اللجان المختصة بالازهر لتوزع على كافة المستويات فى مصر والعالم بأسعار رمزية

كما تفسح الصحف صفحات لمقالات وبحوث في التعريف بالازهر ودوره التاريخي على مدى أيام الاحتفالات •

٩ ــ تعد لكبار المدعويين برامج لزيارة مناطق مصر السياحية الاسلامية •

١٠ ــ اتخاذ كافة الاجراءات من الآن لاعداد الجامع الازهر والجامعة والمناطق المحيطة بهما والمناطق الاسلامية التاريخية اعدادا يلائم جلال الاحتفال صيانة وترميما ونظافة وتجميلا •

١١ ــ يعد من الآن لاقامة مهرجانات ومسابقات ومباريات رياضية عقب عيد الفطر المبارك يدعى للمشاركة فيها شباب الجامعات والمعاهد المصرية والاجنبية على أعلى المستويات •

١٢ يقترح أن تقوم السفارات والقنصليات المصرية فى الخارج بالاحتفال بهذا العيد الالفى فى مقارها أو مقار المراكز الاسلامية يوم الجمعة الاول من رمضان تاريخ بدء الاحتفال ويدعى اليه كبار رجال الدول كما يدعى اليه المهتمون بالحياة العلمية من رجال الجامعات •

١٣ ــ مشاركة كافة المحافظات باقامة احتفالات اقليمية بالعيد الالفى للازهر بالتنسيق مع المناطق التعليمية الازهرية وفروع جامعة الازهر •

١٤ ــ تمنح جامعة الازهر بهذه المناسبة الدكتوراه الفخرية لبعض الملوك والرؤساء وقادة الفكر الاسلامى •

١٥ ــ دعوة الجامعات والهيئات الاسلامية والعالمية الى مصر للاشتراك فى الاحتفال بالعيد الالفى للازهر •

١٦ ــ اعداد معارض علمية وثقافية وفنية اسلامية تظهر حضارة الاسلام فى كثير من مجالات الهندسة والصناعة •

الدفعة الأولى من حركة المعارين والمبعوثين

*** اعتمد فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر الدفعة الاولى من حركة المعارين والمبعوثين الى الدول العربية وشملت هذه الحركة :**

* السعودية : ١٢٨ مدرسا للابتدائى و١٥٦ مدرسا للثانوى •

* اليمن الشمالية : ١٢٤٣ مدرسا •

* قطر : اثنين فقط •

* الكويت : ٢٧ مدرسا •

* دولة الامارات العربية : ٢٠ مدرسا •

* هذا ويتوالى اعلان الدفعات الاخرى حسب احتياجات الدول العربية والاسلامية من المدرسين الازهريين •• بالاضافة الى المدرسين المتعاقدين تعاقدا شخصيا والحاصلين على أجازات بدون مرتب •

*** يسافر السيد الدكتور / محمد حمد حسن بدراوى الاستاذ المساعد بقسم النسا والتوليد بكلية طب الازهر بنين على رأس وفد الى انجلترا فى الفترة من ١٦ ــ ١٨ سبتمبر الحالى •• وذلك لحضور مؤتمر الرضاعة بأدنبرة •**

*** كماسافر السيد الدكتور محمد محمد حسين الذهبى المدرس بكلية الصيدلة جامعة الازهر الى بلفاست بايرلندا فى الفترة من ١٨ ــ ٢٩ أغسطس الماضى حيث حضر مؤتمر الصيدلة العالمى المنعقد هناك •**

هكذا يكتب

أيامنا

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ / صبرى عليوه أحمد ـ أمين خزنة بصيدلية بنها يقول :

ان أيامنا التى نعيشها مقسمة الى خمسة أيام وهى كالآتى :

١ ـ يوم مفقود
٢ ـ يوم مشهود
٣ ـ يوم موعود
٤ ـ يوم مورود
٥ ـ يوم ممدود .

ثم بدأ يعرف كل يوم على حده حيث أن لكل يوم منهم دلالة ومضمون معين ينطبق عليه فمثلا عندما بدأ يعرف **« اليوم المفقود »** فقال : أنه أمسك الذى فاتك مع ما فرطت فيه من جنب والعبرة من أمسك الذى فاتك هو أن تنشر صحيفة عملك اليومية أمام عينيك لكى ترى وتنظر وتحاسب نفسك قبل أن تحاسب من الله عز وجل وحسابك لنفسك بأن تتساءل أكنت فى هذا الامس مطيعا لربك حق الاطاعة محسنا الى نفسك حق الاحسان لم ترتكب اثما ولم تأت منكرا أو كبيرة من الكبائر وهذه حالة وأما الحالة الثانية وهى ان ترى أمسك ملىء بالاوزار والذنوب والاثام وعمل المنكرات والمحرمات وهنا ندمت أشد الندم على ما فرطت فى جنب الله وان كنت فى أمسك مستقيما مع ربك وعقيدتك وشريعتك ودينك الاسلامى الحنيف حمدت الله وطلبت ودعوت لنفسك بالاستمرار والزيادة فى الطاعات وعمل الصالحات وعقدت النية على أن يكون أمسك هو باذن الله يومك وغدك وبعد غدك الى ان ترحل من الدنيا الفانية الى الدار الآخرة وهى الباقية .

« وأما اليوم المشهود » هو اليوم الذى أنت فيه فتزود فيه بطاعة الله وقربك منه بعمل ما هو صالح أى أتبع ما أمر الله به وأبعد عما نهى الله أيضا عنه وعليك أخى المسلم أن تكون فى يومك هذا أشد ايمانا وتمسكا بالله من أمسك المفقودوانظر الى هذا الامس وتفحصه بعين نافذة بصيرة وكل ما لم يسعفك عمله فى أمسك المفقود تحصله من يومك المشهود ولا يحملنك التزامك بالطاعات وعمل الخيرات طول الامل فتترك وتؤجل من الاعمال الصالحة

القراء

اعداد :
عبدالعزيز أحمد جيرة

الى غد فما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير .

« وأما اليوم المورود » هو : اليوم الآت أى الغد وحذارى ان تنتظره لكى تقدم فيه لله الاعمال الصالحة وترضيه سبحانه وتعالى فرب مؤملا أملا لا يبلغه ومنتظر غدا لا يدركه فكما لا تؤجل عمل اليوم المشهود الى اليوم المورود فأيضا تذكر ان هناك ..

« اليوم الموعود » وهو : آخر أيامك فى دنيا الحياة الفانية وان هذا اليوم ليس بعد للانسان من دار الا الجنة لمن اتقى وعمل صالحا وتزود من دنياه لآخرته والنار لمن عصاه وابتعد عن شريعته التى شرعها له فى كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم وفى هذه الحالة لا ينفع ندم ولا استغفار حيث يكون ..

« اليوم الممدود » : وهو يوم الدين والحساب والجزاء والثواب والعقاب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم أدى ما فرض عليه وينتظر الاجر والحصاد فى هذا اليوم الذى تترهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب شديد لان حالة الانسان اما نعيم دائم أو عذاب مخلد فيه ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصى ابى ذر الغفارى من هذه الايام قائلا (جدد السفينة فان البحر عميق وأكثر من الزاد فان السفر طويل وخفف الحمل فان العقبة كئود وأخلص العمل فان الناقد بصير) فليأخذ كل منا العبرة والعظة لنفسه من نفسه من أمسه ليومه ومن دنياه لآخرته ومن شبابه لشيخوخته وفى النهاية من أحسن وعمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ودعائى بالنجاة من هول هذا اليوم أمين يا رب العالمين .

التقدم المادى والروحى

*** تحت هذا العنوان كتب القارىء أحمد محمود من أبناء محافظة أسيوط يقول :**

فى حقيقة الامر ان الحديث عن التقدم الروحى والمادى ليحتاج منا فى البداية

التقدم المادي والروحي

التصديق بهذه القضية وهى (أن التقدم المادى اذا لم يصحبه التقدم الروحى انتهى الى ماهو شر من التأخر) وهذه قضية صادقة فى جملة بليغة موجزة تحوى فى مضمونها الكثير لاننا نعلم تمام العلم والمعرفة ان شريعة ديننا الحنيف تنظر دائما الى حياة أفضل ومستقبل منير لا خوف عليه ولا رهبة منه وذلك لمن اتخذها شريعة تجمع القواعد والاسس والقوانين التى تنظم حياته وعلاقته بربه ومجتمعه وأهله وذويه أى أنها بمعنى أعم وأشمل وزارة عدله فى ظلمه أو وزارة حياته فى عمره .

لان هذه الشريعة السمحاء كما نعلم جميعا أنها منزلة فى كتاب مقدس من عند الخالق الكبير الذى يعلم ماتبدون وما تكتمون فهو الذى خلق هذا الخلق بكل ما فيه من كائنات حية وغيرها وبالتالى نزل للانسان كتابا كريما ينظم له هذه الحياة التى يعيشها لانه يعلم طبيعة هذه الكائنات وهذا الانسان الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وحينما نأتى لننظر فى هذا الكتاب وتلك الشريعة السمحة نجدها كاملة لا نقص ولاعجز فيها فهى تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه أى الكتاب (القرآن الكريم) الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أنظر معى أخى المسلم : فضل الله الانسان على جميع خلقه وكرمه وجعل له هذا الدستور ليتعامل مع بنى خلقه من البشر لا مفاضلة بينهم لجنس أو لون أو سلطان على الآخر الكل سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى والعمل الصالح .

ونظرا لان هذا الدستور جاء من عند الله فقد منح الانسان القوانين التى تجعله يعيش منعما اذا أتبع هذا الدستور فى منهجه أعطى لربه حقه ولنفسه حقها أى أعطى للدنيا نصيبها وللآخرة أيضا نصيبها ولكن اذا اختل الامر وأصبح الانسان دنياويا لا شىء يهمه سوى متاع الحياة الدنيا خسر دنياه وآخرته لان متاع الحياة الدنيا فان والآخرة خير لمن اتقى.

فعلى المسلم أن يعطى لكل ذى حق حقه حتى يصل بنفسه فى النهاية الى ما هو طيب وخير وينال الفوز بالجنة فى الآخرة يوم لا ينفع فيه مالا ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وهذه كلمة موجزة نبدأ فى شرحها فى العدد القادم ان شاء الله .

بلدى

بلدى بالعلم و « بالأزهر » … فى كل الكون هو الأنور
مفتاح العلم وقبلته … وملاذ الدين على الأعصر
شمخت فى الجو مآذنه … تدعو لله هو الأكبر
بلدى فى الروعة لا يحكى … سبحان الخالق قد صور
بستان الكون اذا أضحى … وعروس الليل اذا أقمر
بلد التاريخ هنا بلدى … والوطن الحر به نفخر
الفن ترعرع فى بلدى … وبلاء الحرب له يذكر
بلدى بالحب سنحفظه … حصنا للوحدة لا يقهر
بالسلم ستسعد يا بلدى … بقيادة قائدنا « أنور »

أحمد قاسم أحمد
رئيس قسم الامتحانات بادارة قنا التعليمية

ردود

* كتب الأخ : أحمد أبو دهان ــ المغرب ــ أزغنقان ــ مراكش

تحية اسلامية عربية مغربية خالصة من أخيكم .

اننى بعد اطلاعى باستمرار على مجلة الازهر واعتزازى بمستواها الرفيع انتاجا وفنا ــ يسعدنى أن أبعث اليكم برسالتى هذه وأقترح عليكم بأن أكون من كتاب هذه المجلة ــ على أن أراسلها اذا وافقتم من حين لآخر بمقال أو بحث أو تحقيق أو دراسة ، تتناسب ومستواها المشرف باعتبارها ميدان من ميادين الفكر الاسلامى اجتماعيا واقتصاديا انطلاقا من تراثنا الحضارى واخذا بواقعنا المعاصر الحالى موضوعيا وأيدلوجيا نقدا وتحليلا ــ خدمة منا ومنكم للثقافة والفكر والعقيدة السمحاء نقلا وعقلا علما ومنهجا .

* نشكرك يا أخ أحمد على هذا الشعور الطيب نحو مجلتنا واعتزازك بها . ونحن نرحب بكل مقالات ترسلها الينا على أن تتناسب مع رسالة مجلة الازهر على أن ترسل بالبريد المسجل على العنوان التالى :

جمهورية مصر العربية ــ القاهرة ــ ادارة الازهر ــ مجلة الازهر .

* كتب الاخ . ربيع عمر بشير ــ مكة المكرمة ــ السعودية ــ ص. ب ٢٢٢٨ .

تحية طيبة وبعد ..

أرجو التكرم بافادتى بقيمة الاشتراك السنوى فى المجلة بالبريد الجوى وكيفية الاشتراك ولكم منى فائق الاحترام والتقدير .

على القراء

* نشكرك يا أخ ربيع على اهتمامك نحو مجلتنا وعليك الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الاخبار .

والعنوان : جريدة الاخبار ـ القاهرة ـ ٣ أ ش الصحافة ـ فهو الذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته وقيمة الاشتراك السنوى هو مليمـ جـ

(٣٫٣٠٠) فقط ثلاثة جنيهات وثلاثمائة مليما .

* كتب الاخ حنبلى عباس عمر ـ الوزن ـ نيجيريا ـ ص. ب. ٥٣ .

كتبت اليكم هذه الرسالة طالبا منكم المساعدة وأرجو منكم أن ترسلوا الى بعض الكتب من الحديث والتفسير وكتب التوحيد والسيرة النبوية والكتب الادبية وغيرها من الكتب المفيدة .

لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) .

* يا أخ حنبلى المجلة ليست فيها كتب للاهداء وعليك الاتصال بمجمع البحوث الاسلامية فهو الذى يتولى اصدار الكتب والعنوان ـ مدينة ناصر ـ القاهرة ـ مجمع البحوث الاسلامية .

* كتب الاخ . محمد الامير أحمد ـ القاهرة ـ حدائق حلوان .

أرجو التفضل بالافادة عن جواز الاقتراض من وزارة الاسكان بفائدة حددتها الوزارة بـ ٥ ٪ تحصل المبلغ على مدة ٢٥ سنة أو ٣٠ سنة لبناء شقة بمنزلى لاسكان أحد ابنائى الذى بلغ من العمر ٣٥ سنة وتعطل زواجه تبعا لذلك . هل يمكن اعتبار تلك الفائدة مصاريف تحصيل ادارية أسوة بما تفعله وزارة

الاوقاف فى القرض الحسن اذا كانت اجراءات تلك الوزارة جائزة شرعا .

* أجاب فضيلة الشيخ أحمد حسن مسلم عضو لجنة الفتوى بالازهر ـ فقال كل قرض بفائدة ربا والربا حرام شرعا ـ وخير للسائل أن يتصرف بالحكمة فى حدود الواضح من الاحكام الشرعية مما يرضى الله ورسوله فيبيع ما يمكن بيعه مما يملكه فيما لا حاجة تدعوا لبقائه حتى يستطيع أن يدبر أمره الحالى المتعلق بمثل ما سأل عنه . واذا صدقت النية وصح الاتجاه الى الطريق المشروع فان الله سبحانه وتعالى يجعل للمتقين من كل ضيق فرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون اقرأ من قوله تعالى **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)** .

عبد الفتاح السيد عبد السلام

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

● حـديث الشـهر
بقلم رئيس التحرير ١٨٩٨

دراسات قرآنية

● ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها
لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار ١٩٠٦

● عجـل الذهب
للدكتور عبد الباقى أحمد سلامة ١٩١٠

● الخليل ابراهيم يجمع العرب على التوحيد
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير ١٩١٦

● القـرآن وفلسـفة المنهج
للدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر ١٩٢٣

دراسـات لغـوية :

● الباحث عن الحقيقة
للدكتور فتحى محمـد أبو عيسى ١٩٢٨

● رد علي مقال النقد العربى القديم والمنهجية
للدكتور محمـد محمد أبو موسى ١٩٣٣

● الميزان الصرفى .. والميزان الصوتى
للدكتور السـيد رزق الطويل ١٩٤١

فى التشريع الاسلامى

● الأشـهر الحـرم
للدكتور محمـد محمـد الشرقاوى ١٩٤٨

● من آداب وشروط الفتوى
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ١٩٥٤

من حضارة الاسلام

● هل هناك فلسفة اسلامية أصيلة
للدكتور محمد كمـال جعفر ١٩٦٦

● دنانير ابن القارح
للأستاذ السـيد حسن قرون ١٩٧٠

● التربية الصـوفية
للأسـتاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى ١٩٧٥

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

- **وسائل اعداد الدعاة**
  للأستاذ منصور الرفاعى عبيد . . . ١٩٨١
- **هل يستعيد المسلمون حضارتهم**
  للمستشار محمد التهامى . . . ١٩٩٢
- **تفسير للنبوة**
  للدكتور محمد ابراهيم الفيومى . . . ٢٠٠١
- **السنة ومنزلتها فى الشريعة الاسلامية**
  للأستاذ/موسى محمد على . . . ٢٠٠٨

من أعلام الاسلام

- **الامام ابن ماجة**
  للدكتور الحسينى هاشم . . . ٢٠١٦
- **شخصية فى سطور « الطبرى »**
  بقلم سعيد عبد الحى . . . ٢٠٢٠
- **طرائف ومواقف**
  اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم . . . ٢٠٢٢

شعر :

- **أين الطريق اليك**
  للدكتور صابر عبد الدايم يونس . . . ٢٠٢٤
- **فى ظلال العروبة والاسلام**
  للأستاذ أبو زيد ابراهيم سيد . . . ٢٠٢٦
- **كتاب الشهر**
  عرض وتقديم حمدى الليثى . . . ٢٠٣٠
- **الفتاوى**
  اعداد عبد الحميد السيد شاهين . . . ٢٠٣٥
- **قالت الصحف**
  للأستاذ عاطف زهران . . . ٢٠٣٨
- **أخبار العالم الاسلامى**
  للأستاذ/أحمد عبد الرحيم السايح . . . ٢٠٤٢
- **أخبار الأزهر**
  للأستاذ الشافعى عبد الراضى . . . ٢٠٤٥
- **هكذا يكتب القراء**
  للأستاذ/عبد العزيز أحمد جيرة . . . ٢٠٤٨
- **ردود على القراء**
  للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام . . . ٢٠٥٢

طبع بمطابع روز اليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن:
مجمع البحوث الاسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر
عربى

رئيس التحرير:
د. عبد المعطى محمد بيومى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢/ ٩٠٥٥٠٦

ذو الحجة ١٤٠١ هـ
اكتوبر ١٩٨١ م

كلمة التحرير

فى هذه الكلمة القصيرة نحاول أن نلقى نظرة على محتويات هذا العدد ومدى مناسبتها للعصر وواقع الأمة الاسلامية .

ففى هذا العدد يتحدث حديث الشهر عن مستقبل الاسلام بين الحضارات العالمية ، ويورد من الاسباب العلمية الواقعية مايبعث على التفاؤل الجاد والثقة بهذا المستقبل .

وفى هذا العدد أيضا عدة مقالات تتحدث عن بعض مناسك الحج وما يحتاج اليه الحاج فى رحلة العمر ومنها مقال أشبه بأن يكون « مؤتمرا عاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه فى حجة الوداع ، اذ كان المسلمون يسألون فى أهم أمور حياتهم والرسول صلى الله عليه وسلم يجيب :

وأهمية هذا المؤتمر أن الأسئلة الاسلامية والاجوبة النبوية اشتملت على أهم ما يلزم للحياة الاسلامية فى كل عصر منذ حجة الوداع وحتى الآن .

وبهذا يتفوق هذا المؤتمر النبوى على أحدث مؤتمر صحفى يمكن أن يعقد فى العالم المعاصر .

هذا الى جانب مؤتمر عقد بين أساتذة جامعة الأزهر وبعض الباحثين الايطاليين حول الاسلام وقضايا العصر وغير ذلك من الأبواب الثابتة .

التحرير

صورة الغلاف
الكعبة المشرفة

الجزء الثانى عشر ـ السنة الثالثة والخمسون

حديث الشهر

٥

فى فلسفة الحضارة

مستقبل

فى مقالات سابقة حاولنا أن ندرس فلسفة الحضارة فى ضوء الواقع العالمى المتغير ودور الاسلام الذى يمكن أن يؤدى الكثير لانهاض العالم وتقدمه علـــى أساس سليم يزاوج بين المادية والروحية ويرأعى احتياجات الانسان جميعـــا لا يغفل منها ولا يعلى حاجة منها على حساب حاجة واستندنا فى كل هـــذا على القرآن الكريم والسنة النبوية فهما المصدران الأصليان قبل تفرع الآراء وتنـــوع الاجتهادات .

وفى هذا المقال نحاول أن نلقى نظرة على مستقبل الحضارة الاسلامية بين حضارات العالم المعاصر .

ولكى نستطلع مستقبل دين ما أو حركة اجتماعية أو سياسية لابد أن نوازن موازنة موضوعية بين عناصر ثلاثة :

١ ــ الواقـــع .

٢ ــ العقبـات .

٣ ــ الامكانات .

وعلى ضوء هذه الموازنة نستطيع أن نرى مستقبل الاسلام ولسنا بحاجـــة الى القول أن واقع الاسلام الآن يفرض نفسه ويفرض مفاهيمه على بقاع العالم الذى يتطلع بشوق ولهفة الى معرفة الاسلام والاقتراب أكثر من ذى قبل .

ولست أيضا فى حاجة الى تأكيد هذا ، فالمتتبع للأحداث العالمية وتطلعـــات الكتاب والمفكرين فى أنحاء العالم يدرك مدى حرص الجميع على معرفة حقـــائق الاسلام خاصة بعد أن ظهرت بعض التيارات الســــياسية التى تعلن أنها على

بقلم رئيس التحرير

النهضة الإسلامية

الاسلام وبعضها حق وبعضها مدع بالباطل وبعضها يفيد الاسلام وبعضها الآخر يلحق بالاسلام أكبر الأضرار .

ولعل آخر ما يمكن الاستئناس به هنا ما قاله نائب رئيس تحرير «الفيجارو» الفرنسية فى لقاء معه أثناء زيارته لكلية أصول الدين بالقاهرة يوم ١٤/٩/٨١ فى محاولة منه لمعرفة حقائق هذا الدين العجيب قال :

« أنتم هنا تقومون بعمل عظيم » كما قال « نريد أن نفهمكم وأن نعرف الاسلام والعالم الاسلامى عن قرب » .

فالقوائع العالمى اذن ممهد لعرض الاسلام وتعريف حقائقه والمقارنة بينه وبين الحضارات الأخرى .

ـ واذا كانت هناك عقبات أمام انتشار النهضة الاسلامية وانتشار الفهم الحقيقى للاسلام فهى عقبات يرجع معظمها فى الحقيقة الى الذين يعرضون هذا الدين ويمثلونه وليس صعبا أو بعيدا أن يدرك هؤلاء أن عرض هذا الدين يتطلب شيئا من سعة الأفق وعرض ما فى الاسلام من يسر وسهولة وملاءمة للفطرة الانسانية وبعد عن الغلو والتضييق والعمل على فهم الحقائق العالمية التى تفرض أسلوبا معينا من الدعوة الرقيقة الحانية التى تركز على بناء الانسان

والمجتمع بناء فريدا .

أما المبادىء الاسلامية التى يقوم عليها الاسلام فليست أمامها عقبة على الاطلاق لأن هذه المبادىء ملائمة للانسان فى كل مكان وزمان ويستطيع الاسلام بمبادئه الكلية وقواعده العامة أن ينشىء أمة فاضلة ومدنية تتضاءل أمامها جميع المدن المثالية فى الفكر العالمى ، فى جميع حقبه وعصوره .

فالعقبات التى تعترض طريق الاسلام اذن عقبات يمكن التغلب عليها بدرجات متفاوتة .

هـذا عن الواقع والعقبات ..

أما عن امكانات النهضة الاسلامية فهى امكانات عديدة ومتنوعة فهى :

* **امكانات ترجع الى المسلمين أنفسهم .**
* **وامكانات ترجع الى الاسلام ذاته .**
* **وامكانات أخرى ترجع الى الظروف العالمية .**

فالمسلمون يمثلون كتلة ضخمة من السكان بلغت حوالى ألف مليون نسمة يقطنون أرضا متصلة وهم فى هذه الآونة أصبحوا أكثر استقلالا فى مجال الاقتصاد بفضل ما توفر لهم من أرصدة نجمت عن عوائد البترول وبالتالى أصبحوا أكثر حرية فى اتخاذ القرار الذى يحسن أوضاع بلادهم على الأقل كما أصبحوا أكثر استعدادا لاقامة المؤسسات التى تساعدهم على النهوض بمجتمعاتهم وتقويتها .

بل ان المسلمين فى هذه الفترة أصبحوا قوة ضغط تعمل لها القوى الكبرى الحسابات والخطط .

كذلك ازداد الوعى بين الشعوب الاسلامية نتيجة انتشار التعليم عن ذى قبل وازدياد الاحتكاك بين أبناء المسلمين وغيرهم من شعوب العالم ، وبذلك أصبحوا أكثر ادراكا لقضية التخلف وضرورة التقدم .

مستقبل النهضة الإسلامية

ومن ناحية أخرى فان كثيرا من الشعوب الاسلامية قد أصبحت متطلعة أساس الاسلام ، وبذلك أصبحت هذه الشعوب مهيأة أكثر من أى وقت مضى لحركة الاصلاح على أساس الاسلام .

أما فيما يتعلق بامكانات التجديد التى ترجع الى الاسلام ذاته فمن المعلوم أن الاسلام احتوى على خاصيتين :

*** الخاصية الأولى : أنه دين ختم الله به النبوات ولم يعد أمام العقل الإنسانى أن ينتظر من تأخذ بيديه لحلول مشكلاته ولم يعد أمامه لحل هذه المشكلات وتشكيل الحياة وتخطيطها الا النصوص ألتى تركها الرسول صلى الله عليه وسلم لارشاد الناس الى ما يقيم حياتهم على الأفضل .**

*** الخاصية الثانية : بالاضافة الى ختم النبوة هى العموم والشمول فالاسلام رسالة شاملة لكل أغراض الحياة عامة لكل البشر فى كل الأوقات .**

ولذلك جاءت نصوص القرآن نصوصاً عامة لاتقف عند التفاصيل والأحكام الجزئية ، لأن هذه التفاصيل تتغير من وقت الى وقت ومن بيئة الى أخرى وبالتالى فان الاسلام يضيقعلى المسلمين بالتفاصيل والاحكام الفرعية بل يتركها لاختياراتهم وظروفهم طالما ساروا على ضوء القواعد الكلية وفى اطارها خاصة فى أمور المعاملات والنظم وشئون الحياة المتغيرة .

بل ان السنة النبوية الشريفة التى أحال عليها القرآن بيان وتفصيل ما أجمله كما قال تعالى : « **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » .

ولم تقيد الناس بشكل خاص فى أمور المعاملات ونظمها الجزئية الدنيوية الا ما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن فيه ضررا على الحياة البشرية كتحريم الربا واباحة السلم والاجارة .. ألخ ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

حديث الشهر

القواعد العامة : وهذه العمومية فى النصوص تشكل فى حد ذاتها امكانية كبرى للاجتهاد الذى يمثل هو الآخر مصدرا لاستمرار الاحكام بعد الكتاب والسنة مباشرة وهو ضمانة مؤكدة لاستمرار الاسلام لأن وقائع الحياة وأحداثها المتجددة لا تنتهى ، ونصوص الدين متناهية ولا يمكن قياس اللامتناهى مع المتناهى الا بالاجتهاد واستخلاص الحلول للأمور اللامتناهية من القواعد الشرعية العامة .

ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قاضيه على اليمن معاذ ابن جبل عندما سأله بم تقضى : قال : بكتاب الله . قال : فان لم تجد : قال : فبسنة رسول الله . قال : فان لم تجد : قال : أجتهد . قال : اجتهد رأيى ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدر معاذ قائلا الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يحبه الله ورسوله .

وقد حمل أئمة الاسلام عبر العصور واجبهم ازاء ضرورة الاجتهاد فقدموا الحلول لمشكلات عصورهم وبيئاتهم فساروا بالاسلام موجهين للحياة ، ولم يغلق باب الاجتهاد الا عندما ضعفت الهمم عن العلم وكلت العقول عن الحرية والتحصيل .

ولكن استعادة العلماء لدورهم فى هذه الفترة وتحملهم أمانة الاجتهاد أصبح أمرا مقدورا عليه بفضل التعاون بينهم وامكان الاجتهاد الجماعى فيما بينهم اذا تعذر الاجتهاد الفردى .

وقد بدت بالفعل ملامح الاجتهاد فى هذا العصر فى أكثر من موقف منها تخطيط النظام الاسلامى العام فى الباكستان وتقنين قانون المعاملات المدنية فى الاسلام فى مصر وغير ذلك وبما يمهد الطريق أمام حركة التجديد والنهضة .

ــ أما امكانات التجديد التى ترجع الى الظروف العالمية ، فان القوى العالمية الآن فى موقف مناسب للنهضة الاسلامية اذا أحسنت استغلال الظروف والاستفادة من المتغيرات .

مستقبل النهضة الاسلامية

فالحضارة الغربية من ناحية بدأت تشيخ وتهرم ويتبين فسادها ولم تعد المسألة بالنسبة لها الا مسألة وقت بمقدار ما يظهر النظام الاسلامى بشكل واضح وجلى .

لأن هذه الحضارة بعد أن وفرت الوفرة والرخاء فى الجانب المادى وقفت عاجزة عن أن ترضى مطالب الروح والسكينة للانسان ، وبذلك عجزت عن أن توفر الاستقرار المنشود للبشرية ، وقد تنبأ بهذه النهاية فلاسفة الغرب أنفسهم .

اذ قال برتراند راسل « انتهت حضارة الرجل الابيض » ومن ناحية أخرى فان أمريكا بدأت تعانى من عجز عام وضعف فى مواجهة الظروف العالمية وكأن عقدة فيتنام وهزيمتها هناك أمام مجموعة من المجاهدين الذين لايملكون الا الاصرار أعطاها الدرس لامكانية تكرار هذه الهزيمة فى مواجهة شعوب أخرى .

وقد اتضح عجز الولايات المتحدة فى الفترة الأخيرة وضوحا تاما أمام بعض الظواهر والمواقف فى أفغانستان وايران ومواجهة خطط الاتحاد السوفيتى الرامية الى التوسع والسيطرة .

أما الاتحاد السوفيتى فقد أخذ هو الآخر يفقد أعصابه بعد أن تعددت محاولاته للسيطرة والنفوذ مرة بالفكر الايديولوجى ومرة أخرى بمحاولات اغراء الشعوب بالمساعدات المشبوهة حتى اذا فشلت هذه المحاولات جميعا لم يبق أمامه الا استعمال القوة والزحف بها على الشعوب كما فعل مؤخرا فى أفغانستان المسلمة .

ولكن هذا الأسلوب نفسه يثير حركة النهضة الاسلامية ويعجل بقيامها لأنه يثير الشعوب الاسلامية للمقاومة ويشحذ همتها للجهاد والتجمع ويوقظ الشعور الدينى .

وهذا الأسلوب سبق أن جربه الاستعمار الاوربى من قبل ففشل ولذلك لن يفيد الاتحاد السوفيتى فى محاولة ايقاف حركة الاسلام .

ونعتقد أن تجربته فى أفغانستان لن تكون أحسن حظا من تجربة أمريكا فى فيتنام لأنه لا يمكن أن نغفل هنا تأثير الاسلام فى اشعال روح الجهاد .

هذه أهم الامكانات المتاحة أمام النهضة الاسلامية وهى كما نرى امكانات يكفى بعضها فقط لبعث نهضة كبرى فى العالم ينتظرها العالم ويأمل فيها .

على أن هناك شروطا قد تعجل بالافادة من هذه الامكانات اذا لاحظها الدعاة والراغبون فى التجديد .

* **اذا تعاملوا مع الأحداث بذكاء ووعى .**
* **اذا لم يمكنوا أعداءهم منهم وعطوا بقدر امكانهم على تقليل الدعاية ضدهم عن طريق سد الذرائع أمام الدعاية المضادة .**
* **اذا نجحوا فى ترويض القوى العالمية التى لا تريد كتلة ثالثة تؤثر على التوازن الدولى بين القوتين الكبرتين .**
* **اذا لم يتعجلوا قطاف الثمر قبل الأوان واذا أخذوا أمتهم الى حيث يريدون برفق وأناة « فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .**
* **اذا تجنبوا التشدد والمغالاة فى حركة اليقظة فان الغلو من شأنه أن يصرف الذين اعتادوا أنماط الحياة الغربية زمنا طويلا .**

وعلى ضوء هذه الامكانات والشروط نستطيع أن نثق فى مستقبل الاسلام فى مطلع القرن الخامس عشر من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

عبد المنعم ...

دراسات قرآنية

- ترتيب القرآن الكريم حكمة وإعجاز
- نظرات ابن هبيرة في التفسير والحديث
- معجزات متجددات
- الإسلام والشعر

حكمة ترتيب

اختص الله القرآن الكريم بأن جعل له صورتين : صورة مسموعة متلوة ، وصورة مكتوبة مجموعة فى المصحف ، فالاولى لها طرق فى الاداء الصوتى خاصة بها ، والثانية لها رسم املائى خاص بها وكذلك كان لترتيب القرآن الكريم صورتان : الاولى : هى ترتيبه بحسب النزول ·· الذى امتد الى نيف وعشرين سنة ·· والثانية : هى الترتيب الخاص بالمصحف بالنمط الذى هو عليه الآن بين أيدينا ··

مقاصد الترتيب :

فترتيب النزول كان له مقصد تؤكده طبيعة الدعوة ·· فهو فى ذلك منهج اعداد وتوجيه يتخذ منه الداعى أسلوب عمل فى دعوته ·· وفيه تثبيت لفؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ·· وفيه مراعاة لحال المقبلين على الدين الجديد ، واجابة على ما يجول بأذهانهم من الخواطر والتساؤلات ولو أننا تتبعنا منهج الدعوة الاسلامية فى سنواتها المكية لوجدناها تركز أهدافها فى ترسيخ مفهوم العقيدة السليمة فى قلوب الناس ·· ورفض عبادة الاصنام والطواغيت ·· مستخدمة أسلوب الدعوة الى التفكر والتدبر فى ملكوت الله تعالى وخلقه ، ملقية بضوء الموعظة والعبرة · من خلال قصص الانبياء والرسل ، وفوز المؤمنين وهلاك وخسران المشركين ··

وفى المدينة كان الاستقرار ، فكان منهج النزول تأسيسا لدولة وبيانا لاحكام ونظم يتم بها التعايش فى اطار المنهج الالهى ·

أما ترتيب القرآن الكريم على ما هو عليه فى المصحف اليوم فهو ترتيب لمنهج حياة مستقرة تستمد منه الامة المؤمنة نظمها ·

والقرآن الكريم كما يقول محقق كتاب « أسرار ترتيب القرآن » : « وهو الكتاب الذى يعطيك من كل وجهة من وجهتى ترتيبه منهجا عالميا جامعا مانعا محكما ، لا يأتيه

القرآن الكريم وإعجاز

للأستاذ رشدى محمد إبراهيم

الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو فى ترتيبه النزولى منهج لتأسيس دعوة وأسلوب اقناع بعقيدة وطريقة تبشير وانذار ، ودحض كامل لمنطق الالحاد المريض ، وهو فى ترتيبه المصحفى أسلوب حياة ، وبناء حضارة •• ودستور للعالم كله محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه •• أحكم ترتيبه من هذا الوجه ليكون هداية للمؤمنين » •

علم المناسبات :

ولقد عرف سر ترتيب القرآن قديما بعلم المناسبات وما عرف منه فانما هو مافى ترتيب المصاحف ، أما أسرار ترتيب النزول فلم يتعرض لها أحد فى كتاب •• وعلى الرغم من أن ما كتب فى علم المناسبة قليل الا أن بعض ما كتب فيه يعد نموذجا •• وهو مندرج تحت قائمة التراث من ذلك كتاب « نظم الدرر » للبقاعى وكتاب « البرهان فى مناسبة ترتيب القرآن » لأبى جعفر بن الزبير ، ثم كتاب « تناسق الدرر فى تناسب السور » للسيوطى •

ونحن ــ من فوق هذا المنبر ــ نستنهض همم الباحثين فى جامعاتنا أن ينفضوا ركام السنين عن هذا التراث ، ويعيدوا اليه الحياة ، فالمكتبة القرآنية فى حاجة الى كل كلمة واعية ، والى كل دراسة ناهضة •• وجهد مخلص ••

الترتيب توقيفى :

ولقد جرى نقاش حول ترتيب القرآن الكريم فى المصاحف التى لدينا الآن •• هل هو ترتيب توقيفى من الله تعالى ، أو هو توفيقى من اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم ونحن مع أصحاب الرأى الاول •• لان التلاحم الاكيد بين سور القرآن وآياته •• والتسلسل الذى

ترتيب القرآن الكريم

تمليه السلاسة .. ويقره منطق البيان ، ويزيد أوجه الاعجاز اعجازا لايمكن أن يكون الا من عند الله تعالى يؤكد ذلك أن جبريل عليه السلام كان يعرض القرآن على الرسول عليه الصلاة السلام فى رمضان .. وأنه عرضه عليه فى آخر مرة عرضتين .. ولاشك أن هاتين العرضتين كانتا على الترتيب الذى أثبته عليه زيد بن ثابت فى المصحف الامام لان زيدا كان صاحب العرضة الاخيرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ..

نماذج لأسرار الترتيب :

ثبت لدينا أن الترتيب أمر توقيفى من الله تعالى لا تظهر أسراره الا للمتأمل ولو أخذنا نموذجا تطبيقيا على هذا الترتيب المبنى على التسلسل والتلاحم ، والترابط الأكيد ، لأدركنا أن هذا ليس فى طوق البشر .

والنموذج الذى اخترناه من قصار السور . وهو يبدأ بسورة الزلزلة فالعاديات ، فالقارعة فالتكاثر ، فالعصر ، فالهمزة ، فالفيل ، فقريش وأخيرا سورة الماعون .

هذه تسع سور من القصار ، ولو تتبعنا التناسب بينها لوجدنا أنه لا يخفى على صاحب عقل مابين قوله تعالى فى الزلزلة « **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** » وقوله فى العاديات « **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ** » من المناسبة والعلاقة ، كما أنه ذكر فى الزلزلة جزاء الانسان على الخير والشر وذكر فى العاديات أن الانسان بطبعه يحب الخير ويغالى حتى الهلاك ، وهذا الحب هو الذى يوجهه الى ما فيه فلاحه أو هلاكه . وغدا نكتشف عن نواياه الخفية « **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ** » ..

ثم تأتى سورة القارعة ، لتزيد الامر تفصيلا ، فأعمال الانسان التى أجملها فى الزلزلة وذكر مصدرها فى العاديات أبرزها — هنا — موزونة والموازين اما ثقيلة ، واما خفيفة .. وأيضا لما ختم سورة العاديات بقوله « **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ** » كأنه قيل : وما ذاك ؟ ما حقيقة هذا اليوم ؟ .. فأجاب « القارعة » وتقديره ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنه بقولى « **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ** » .

ثم تجىء سورة التكاثر وهى بمثابة التعليل المباشر لخاتمة القارعة كأنه لما قال هناك « **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** » قيل ما علة ذلك ؟ فجاء الجواب لانكم « **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** » فاشتغلتم بدنياكم وملأتم موازينكم بالحطام فخفت موازينكم بالآثام .

ولهذا جاءت سورة العصر بعد التكاثر لتبين أن الانسان فى خسر وهذا بيان لخسارة تجارة الدنيا ، وربح تجارة الآخرة ، ولهذا أعقبها بسورة الهمزة .. للتوعد فيها بمن جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده .. ثم تأتى سورة الفيل .. ويظن القارىء أنه لا صلة بينها وبين سابقتها .. حيث أن هذه تروى حدثا تاريخيا شهدته الجزيرة العربية .

حكمة وإعجاز

لكنك اذا أنعمت ، وكررت البصر تجد أن الله تعالى لما ذكر حال الهمزة اللمزة الذى جمع المال وعدده ، وتعزز بماله واشتد ساعده ، أعقب ذلك بذكر قصة أصحاب الفيل ، الذين كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالا ، وعتوا . وقد جعل كيدهم فى تضليل ، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه ، وجعلهم كعصف مأكول ، ولم يغن عنهم مالهم ولا عزهم ولا شوكتهم ولا فيلهم شيئا .. فمن كان عزه وقوته بالمال والهمز للناس باللسان فهو أقرب الى الهلاك والمذلة والمهانة .

ثم تأتى سورة قريش بعد الفيل وهى شديدة الاتصال بها لتعلق الجار والمجرور فى أولها « لايلاف » بالفعل فى آخر الفيل ، فكأنه فعل ذلك بأصحاب الفيل لايلاف قريش ، ولتأمين طريق تجارتهم فى رحلتى الشتاء والصيف وقد كان من أهداف أبرهة فى حملته حرمان قريش من تجارتها هذه .

وأخيرا تأتى سورة الماعون مرتبطة بسورة قريش فانه لما ذكر الله تعالى فى سورة قريش « **ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ** » ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام المسكين ، فهى ترشد الى الطريق السليم لاستعمال المال وبذله فى عون اليتامى ، واطعام المساكين فسمى مانع الماعون مكذبا بالدين .. وأيضا لما قال هناك « **فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ** » ذكر هنا من سها عن صلاته ، وتوعده بالويل .. والله أعلم .

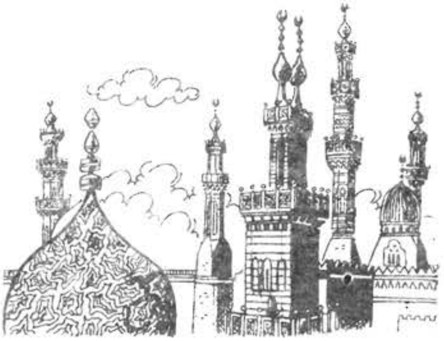

فهل يبقى بعد هذا الترابط الذى الذى لمسناه ، والتسلسل الذى وجدناه، والحكمة السامقة ، والحجة الماحقة للمعجزة الخارقة ، ما يحيك فى الصدر أو يوغره ، اللهم الا ما كان عن كبر أو الجهل مصدره .

أعاننا الله من شرهما .. آمين .

رشدى محمد ابراهيم

نظرات ابن هبيرة في التفسير

*** سبق أن عرضنا فى مقالة سابقة لمعالم حياة الوزير العادل ابن هبيرة وشيوخه ، وأخلاقه ، وآثاره العلمية وثناء العلماء عليه وتخصص هذه المقالة لبيان نظرات ابن هبيرة فى التفسير وفقه الحديث .**

وقد كان ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ يعقد فى داره بعد صلاة العصر[1] من كل يوم مجلسا يجتمع فيه مع الفقهاء والمحدثين والادباء ويتداول معهم فيما يعترضه من مشكلات علمية وعملية ، ويفصح لهم بما يفتح الله عليه فى التفسير والحديث والفقه ، وقد حفظ لنا ذلك تلميذه الامام ابن الجوزى فى كتاب صنفه بعنوان « المقتبس من الفوائد العونية » ذكر فيه الفوائد التى سمعها من الوزير ابن هبيرة ، واشار فيه الى مقاماته فى العلوم .

ونعرض لبعض نماذج من تفسيراته ، فيها دلالة قاطعة على تدبره للقرآن وعمق نظرته فيه :

* ففى تفسير قوله تعالى (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ**

فقه الحديث

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلاَتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام : الآيات ١٥١ ــ ١٥٣).

يقول ابن هبيرة : هذه الآيات محكمات ، وقد اتفقت عليها الشرائع . وانما قال فى الآية الاولى (لعلكم تعقلون) وفى الثانية (لعلكم تذكرون) وفى الثالثة (لعلكم تتقون) ، لان كل آية يليق بها ذلك ، فانه قال فى الاولى (أن لاتشركوا به شيئا) والعقل يشهد ان الخالق لاشريك له ، ويدعو العقل الى بر الوالدين ، ونهى عن قتل الولد ، واتيان الفواحش ، لأن الانسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته ، فكذلك هو ، ينبغى ان يجتنبها ، وكذلك قتل النفس ، فلما لاقت هذه الامور بالعقل ، قال (لعلكم تعقلون) .

ولما قال فى الآية الثانية (ولا تقربوا مال اليتيم) والمعنى : اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيما ، واذكر عند ورثتك ، لو كنت الموروث له ، واذكر كيف تحب العدل فى القول ؟ فاعدل فى حق غيرك ، وكما لا تؤثر ان يخان عهدك فلا تخن ، فلاق بهذه الاشياء التذكر فقال (لعلكم تذكرون) .

وقال فى الثالثة : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) فلاق بذلك اتقاء الزلل ، فلذلك قال (لعلكم تتقون) .

* وفى تفسير قوله تعالى (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا

نظرات في التفسير وفقه الحديث

إِلاَّ مَاكَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (التوبة : الآية ٥١) يقول ابن هبيرة :

لم يقل « الله » ماكتب علينا ، لانه أمر متعلق بالمؤمن ، ولا يصيب المؤمن شىء الا وهو له ، ان كان خيرا فهو له فى العاجل ، وان كان شرا فهو ثواب له فى الآجل •

* وفى تفسير قوله جل شأنه (**لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**) (الكهف : الآية ٣٩) يقول ابن هبيرة رأيت لها ثلاثة أوجه :

أحدها : ان قائلها يتبرأ من حوله وقوته ، ويسلم الامر الى مالكه •

والثانى : أنه يعلم أن لاقوة للمخلوقين الا بالله ، فلا يخاف منهم ، اذ قواهم لاتكون الا بالله ، وذلك يوجب الخوف من الله وحده•

والثالث : أنه رد على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى فى الاشياء بطبيعتها ، فان هذه الكلمة بينت ان القوى لايكون الا بالله •

* وفى تفسير قوله عز وجل (**أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا** ••) (الفرقان الآية ٨)

يقول ابن هبيرة : العجب لجهلهم حين أرادوا أن يلقى اليه كنز أو تكون له جنة • ولو فهموا علموا ان كل الكنوز له وجميع الدنيا ملكه أو ليس قد قهر أرباب الكنوز ، وحكم فى جميع الملوك ! وكان من تمام معجزته أن الاموال لم تفتح عليه فى زمنه لئلا يقول قائل : قد جرت العادة بأن اقامة الدول ، وقهر الاعداء بكثرة الاموال • فتمت المعجزة بالغلبة والقهر من غير مال ولاكثرة أعوان • ثم فتحت الدنيا على أصحابه ، ففرقوا ما جمعه الملوك بالشره، فأخرجوه فيما خلق له ، ولم يمسكوه امساك الكافرين ، ليعلموا الناس باخراج ذلك المال ان لنا دارا سوى هذه الدار ، ومقرا غير هذا•

وكان من تمام المعجزات للنبى صلى الله عليه وسلم : أنه لما جاءهم بالهدى فلم يقبل سل السيف على الجاحد ، ليعلمه ان الذى أتبعثنى قاهر بالسيف بعد القهر بالحج •

ومما يقوى صدقه ان قيصر وكبار الملوك لم يوفقوا للايمان به لئلا يقول قائل : انما ظهر لان فلانا الملك تعصب له فتقوى به ، فبان ان أمره من انسماء لا بنصرة أهل الارض •

* وفى تفسير سورة الضحى يقول ابن هبيرة : توالى فيها قسمان ، وجوابان مثبتان ، وجوابان نافيان •

فالقسمان : (**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**)•

والجوابان النافيان (**مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى**)

والجوابان المثبتان (**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى • وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**) •

ثم قرر بنعم ثلاث ، واتبعهن بوصايا ثلاث:

كل واحدة من الوصايا شـــكر النعمة التى قوبلت بها •

فاحداهن : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ؟) وجوابها (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) •

والثانية : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ؟) فقابلها بقوله (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) وهـذا لأن السائل ضال يبغى الهدى •

والثالثة : (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ؟) فقابلها بقوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) •

وانما قال : (وما قلى) ولم يقل : وما قلاك لان القلى بغض بعد حب ، وذلك لا يجـوز على الله تعالى ، والمعنى : ما قلى أحدا قط •

ثم قال (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) ولم يقل خير على الاطلاق ، وانما المعنى خير لـك ولمن آمن بك •

وقوله (فآوى) ولم يقل : فآواك ، لانـه أراد : آوى بك الى يوم القيامة •

ويتبين لنا أثر هذه النظرات التفسـيرية فيمن جاء بعده من المفسرين بصفة عامة وبعض المعاصرين لنا بصفة خاصة •

من نظرات ابن هبيرة فى الحديث النبوى :

* يعد ابن هبيرة أحد العلماء الأجلاء الذين شرحوا الأحاديث المتفق عليها بين الامـام البخارى ومسلم ، والأحاديث التى انفرد كل منهما بها ، وكتابه « الافصاح عن المعـانى الصحاح » هو شرح لكتاب « انجمـع بين الصحيحين » للحميدى (المتوفى ٤٨٨ هـ) الذى يعد أوثق الكتب فى هذا المجال •

ولابن هبيرة استنباطات دقيقة وعميقـة من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فى الافصاح منها :

* فى قول الرسول صلى الله عليه وسـلم (اذا دخل رمضان سلسلت الشياطين) قـال ابن هبيرة : ان الشياطين للعاصى فى غـير رمضان كالمجاز يقول : سول لى ، وغـرنى• فاذا سلسل الشيطان قل عذر العاصى •

* وفى حديث عائشة رضى الله عنها (كان أكثر صوم رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى شعبان) قال ابن هبيرة :

ما أرى هذا الا على وجه الرياضـة لان الانسان اذا هجم بنفسه على أمر لم يتعوده صعب عليه ، فدرج نفسه بالصوم فى شـعبان لاجل رمضان •

* وفى قوله صلى الله عليه وسلم : (أعوذ بك من شر مالم أعمل) •

قال ابن هبيرة له معنيان :

أحدهما : ان الانسان يبلغه أن الرجل قـد عمل الشر فيرضى به أو يتمنى أن يعمل مثله ، فهذا شر مالم يعمل •

والثانى : أن الرجل قد لايشرب الخمـر ،

نظرات في التفسير وفقه الحديث

فيعجب بنفسه كيف لايشرب ، فيكون العجب بترك الذنب شر مالم يعمل .

* وفى تحديد ليلة القدر قال ابن هبيرة بعض أن عرض وجهات النظر الاخرى الصحيح عندى : ان ليلة القدر تنتقل فى أفراد العشر ، فانه حدثنى من أثق به أنه رآها فى ليلة سبع وعشرين ، وحدثنى أمير المؤمنين المقتضى لامر الله : أنه رآها . فأما أنا فكنت فى ليلة احدى وعشرين وكانت ليلة جمعة ، فواصلت انتظارها بذكر الله عز وجل ، ولم انم تلك الليلة ، فلما كان وقت السحر — وانا قائم على قدمى — رأيت فى السماء بابا مفتوحا مربعا عن اليمين القبلة ، قدرت أنه على حجرة رسول الله صلى الله على وسلم ، فبقى على حاله — وأنا أنظر اليه — نحو قراءة مائة آية ، ولم يزل حتى التفت عن يسارى الى المشرق لأنظر هل طلع الفجر ؟ فرأيت أول الفجر . فالتفت الى ذلك الباب فرأيته قد ذهب . وكان ذلك مما صدق عندى مارأيت فالظاهر من ذلك : تنقلها فى ليالى الافراد فى العشر فاذا اتفقت ليالى الجمع فى الافراد فأجدر وأخلق بكونها فيها .

واجتهاده فى تحديد ليلة القدر انفرد به ، وهو صادر عن رصد للواقع واستقراء له ، تطمئن نفوسنا اليه ، ونقول به تأييدا له .

* وذكر أبو بكر التيمى بن المرستانية (المتوفى ٥٩٩ هـ) ، فى الكتاب الذى جمعه فى مناقب الوزير وفضائله أنه سمع الوزير يقول : وقد قرىء عنده (أن رجلا قال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أيكم قال ذلك ؟ فقال الرجل أنا يارسول الله ، ولم أرد بذلك الا الخير . فقال صلى الله عليه وسلم رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها) فطفقت والجماعة عندى أفكر فى معنى تخصيص هذا العدد من الملائكة ، فنظرت فاذا حروف هذه الكلمات بضع وثلاثون حرفا اذا فكك المشدد ، ورأيت أنه من عظم ماقد ازد حمت الملائكة عليها ، بلغوا الى فك المشدد فلم يحصل لكل ملك سوى حرف واحد ، فصعد به يتقرب بحمله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د . فؤاد عبد المنعم احمد

**

معجزات متجددات

للدكتور عبد الرحمن الرفاعى

ان أشرف شىء فى هذه الحياة هو العلم ، وأكرم الناس هم العلماء ، لأنه بالعلم والعلماء سعادة البشرية جميعا ، والعلوم منقسمة الى علوم تخدم شئون الدنيا وعلوم تخدم شئون الحياة الأخرى الأبدية .

ومن يوم أن عرف الانسان الكتابة والقراءة ، وهو يدون معارفه فى كتب وصحف ليأخذ الجيل اللاحق ما وصل اليه الجيل السابق ، وهو فى كل ذلك يضيف الى التراث ما يجد من خبرات ومعلومات ويحذف ما لا يتلاءم ويتسق مع الحقائق الجديدة.

وظاهرة الاضافة والتنقيح والحذف هذه تجرى فى كل العلوم والفنون ولكافة العلماء حتى العباقرة منهم .

ولكن كتابا واحد فى التاريخ الانسانى كله مستثنى من هذه القاعدة .

لم يحدث فيه تنقيح ولا تبديل ولا اضافة ولا حذف :

لا تبديل لكلمات الله

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

مع أن من علمه للبشرية لم يتلق علما على أحد ولم يلتحق بمعهد ولا مدرسة ، بل كان فى قرية خالية من العلم تماما ، الذين يمكنهم مجرد الكتابة فيها يعدون على اصابع اليد **« وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ »**

أى لا حظ له فى القراءة ولا فى الكتابة .

« مَاكُنْتَ تَدْرِى مَاالْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ » .

وهذا الكتاب الكريم لم يقتصر على مادة متخصصة بعينها ، وانما أحاط احاطة تامة وصادقة كل الصدق بكل شىء علما .

« مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ » .

معجزات

فتكلم بعمق وصـــدق فى كل العلوم التى تتصـــل بالدنيا : من تاريخ الأمم الخالبـة « وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْـــلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » •

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ » وكذا فى علم الطب ـــ فى الفروع الدقيقـــــة منه « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْـــغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْـــغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً » •

وفى علوم الفلك والكواكب :

« وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » الخ ••

وفى علوم النبات ، والحيـوان ، والقانون والحرب والسلام ، وعلم الأخـلاق ، واللغة وحقوق الأفراد والجيران والشركاء والمعاملات بل جميع ما يتصل بشئون الانسانية فى دنياها ثم علوم الآخرة من بعث ونشر وحســـاب وما يترتب عليه •

ومع كل هذه البحار الهادرة المتدفقة ، هو يتحدى العرب وغير العرب ، فى عصره الأول وفى جميع عصور التاريخ بأن يعارضـــوه ، أو ينقضوه فى أى مادة من مواده التى تزداد اشــعاعا وضــياء كلما أضيفت الى معـارف الانســانية معلومات واختراعات ورقيا جديدا فى كل ميادن العلوم والاكتشافات •

فهل يمكن أن تجتمع كل هذه الخصـــائص والميزات فى كتاب بشرى ، أو هل اجتمعت ؟؟

سمعنا عن التوراة المحرفة ، والانجل المبدل وكتب الالحاد فى روســيا والصين ، فهل كلها أو بعضها ، أو أى كتاب فى الدنيا أو فى التاريخ يضارع هذا الكتاب العظيم بل هل يحمل معه أى دليل كا من فى ذاته يدل على صدقه كما يدل هذا القرآن المبين لماذا لانه ليس كتاب الرسول صلى الله عليه وسـلم ولكنــه كتــاب اللــه رب العالمين •

لنا نحن المسلمون أن نتباهى به ، وأن نشهره فى وجـــه كل باطل ، وأن نقيـــم به الدليل الصريح الصادق على رسالة الرسول ، وعلى وحدانية ربنا عز وجل ، وعلى أن المسلمين هم أعظم أمة على الأرض ، لأنها الأمة الوحيـــدة التى تملك ناصـــية الحق بدليل هذه المعجزة المتجددة يوما بعد يـــوم حتى نهــاية العالم وانى أنادى كل مسلم أن يقرأ القرآن ، وأن يحفظه ، وأن يستمع اليه ، وأن يعلمه أولاده لأن فيه سعادته وعزه وفخره فى الدنيــا وفى الآخرة •

لان قراءته عبادة ، واســـتماعه عبادة ، والايمان بكل ما فيه من أحكـام وشرع ووعد ووعيد نجاح وفلاح وفوز من ضــياع الدنيا والآخرة •

متجددات

ولقد اندثرت الكتـاتيب وكانت هي العماد الأساسي لتحفيظ القرآن والقراءات المتواترة وشملت قلوب المؤمنين رجفة على دستور الدنيا والآخرة ، ولكن الذي نزل الذكر له حـافظ ، فقام الأزهر الشريف بعلمائه وشيوخه الأماجد بنشر معاهد القرآن والقراءات في أنحاء هذا البلد الطيب وسارع المسلمون والاطهـار من أساتذة الجامعة والضباط والصناع الى حلق التحفيظ بالمسـاجد يحفظون كتاب ربهم ، ليتحقق عهد الله :

« **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » .

وهذا واجب على أمة الاسـلام أن يأخذوا بأيدي الضـالين الى نور الحـق وبرهان التوحيد .

ولكن توجـد في النفس بعض الخواطر والآمال :

منها : أن العالم الاسـلامي اهتز بشرا وفخرا بكتابه العظيم ، عندما قيض الله تعالى أهل الخير لتسجيل تفسير هذا القرآن الكريم بالتليفزيون بواسطة الامام الشـيخ متولى الشـعراوي ، وأفاق الناس كأنهم عرفوا القـرآن لأول مرة ، وسرى في النفـوس الاعجاب بفضيلة الامام ، ويا ليتنا نعرف أن هذا النور الفياض انما يعود الى ذات الكتاب الكريم .. لانه كـلام لله .. وياليت أهل الخير في جهاز الاعلام الذين يرجون السعادة التي لا يساويها أي عرض من أعراض الدنيا يلقون نظرة على الأزهر الشريف فسـوف يفاجـأون بعشرات الاعـلام : في التـاريخ الاسـلامي المجيـد الذي بهر الدنيـا ، وفي الحديث ، وفي الأخلاق ، وفي كل علم مفيد .

واني أدل المنتجين الـذين يحرصـون على الحصول على أكبر ربح أن يولوا وجـوههم شطر العلماء لانتاج شرائط اسلامية توزع في كافة العالم الاسلامي ، بدل هذه المسلسـلات التي تهدم ، وتجلب اللعن من الله وأهل الله .

انك ان خرجت من هذا البلد الطيـب فلن تجد مجدا تفخر غير الأزهر الشريف حامـل لواء القرآن .

واننا تطفلنا على اجتهادات الأمم الاخرى فلن نجد فيها الا مايسيء الى مشـاعرنا وطبائعنا وأخلاقنا وليس فيها غناء .

أما القرآن فيكفي أن نعرف أن كل جملـة فيه تسمى آية ، أي معجزة لسـائر البشر ، سواء أكانت آية كونية كالكـواكب والبحـار وخلق الليل والنهار أو آية خلقيـة ، أو آيـة تضبط السلوك الانساني نسأل اللـه التوفيق والهداية .

عبدالرحمن محمد الرفاعي

الإسلام

قبل الخوص فى هذا الموضوع أريد أن أبين موقع الشعر فى العصر الجاهلى، وسوف يكون هذا التبيين موجزا بحيث يعطى العنوانات الرئيسية فى هذا الجانب أما التفصيل فان مجاله البحوث التى تدور فى مجال البحث الادبى للعصر الجاهلى •

كان الجاهليون يعتزون بالشعر والشاعر ، أما اعتزازهم بالشعر فلأنه سجل تاريخهم الذى يسجل وقائعهم ، وأحداث الحياة التى تمر عليهم ، كما أنه يسجل النظم الاجتماعية التى تعارفوا عليها ، واعتبروها تراثا يعتزون به ، ويستمسكون بأصوله وقواعده • يقول الجاحظ : « كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب ، وشكل من الاشكال • وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها » (١) •

وأما اعتزازهم بالشاعر فلأنه اللسان الذى يعبر عن أمجادهم ، ويرفع عقيرته بالدفاع عنهم ، والذود عن مآثرهم ، والحث على الاستزادة من الامجاد والمآثر ، ولذا « كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون فى الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لاعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد ، أو شاعر ينبع فيهم ، أو فرس تنتج » (٢) •

ولكن الشعر — قبل ظهور الاسلام بفترة وجيزة — تحول الى نواح تدل — من الناحية الخلقية — على الانحدار بالشعر فى اتجاه يخالف الخلق السليم ، والطبع المستقيم •

فلما جاء الاسلام وجد الشعر يتربع على عرش الادب ، ولكنه رأى أن المجالات التى يطرقها الشعراء تخالف المباىء القديمة التى يدعو الناس اليها ، ليبنى المجتمع على أساس من الخلق الفاضل ، فكان لابد فى هذا المجال أن يقوم الاسلام بدور الموجه لجموح الشعر،

(١) الحيوان ٧١/١

(٢) العمدة لابن رشيق ٦٥/١

والشعر

للدكتور النبوى عبد الواحد شعلان

فيحول وجهته الى الناحية التى تخدم المبادىء الدينية ، وتقوى الخلق المستقيم فى النفوس.

وقد استجاب الكثير من الشعراء لهذا التوجيه ، وبقى منهم مجموعة ظلوا سادرين فى غيهم ، ولم يستجيبوا لداعى الدين ، وبالتالى لم يتأثروا بما رسم من أصول .

وليس أمر عدم التأثر بما رسم الاسلام مقصورا على الشعراء الذين لم يدخلوا فى الاسلام ، وانما يشملهم ويشمل غيرهم ممن أسلموا ظاهرا ، ولم يدخل الايمان فى قلوبهم.

ولما وجد الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء المكيين يقفون منه موقف العداء اتخذمنهم موقفا حاسما ، لا لأنهم يتهجمون على شخصه ، وانما لأنهم يحرضون الناس على المسلمين ، ويبعدونهم عن الدخول فى الدين ، ويتوعدون من يفكر أو يحاول التفكير فى الدخول فى هذا الدين ، وهذا هو الذى أحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم .

ويؤيد هذا الذى قلت مايروى من أن أبا عزة الجمحى كان يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأسر يوم بدر ، وجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فشكا اليه الفقر والعيال ، فرق له الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلى سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعره ، فأمسك مدة ، ثم عاد الى حالته الاولى ، فأسر يوم أحد ، فخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الاول ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، ثم قتله صبرا ، وقال : لا يلسع المؤمن من جحر مرتين (١) .

كما أنه أمر بقتل كعب بن الأشرف اليهودى، لانه شبب بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم ونساء الصحابة ، وبكى على أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش ، وهو القائل — بعد رحلة الى مكة يحرض فيها قريشا على الرسول صلى الله عليه وسلم — فى التشبيب بأم الفضل بنت الحارث (٢) :

---

(١) العمدة ٦١/١ وتاريخ الطبرى ٥٠٠/٢

(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٨/٢

الإسلام والشعر

أر أحــل أنت لــم تحلل بمنقبـة
وتارك أنت أم الفضــل بالحـرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت
من ذى القوارير والحنــاء والكتم
يرتج مابيــن كعبيهـا ومرفقهـا
اذا تأدت قيــاما ثم لــم تقـم
أشــباه أم حكيم اذ تواصــلنا
والحبل منها متين غـير منجـذم
احدى بنى عامر جن الفؤاد بهـا
ولو تشــاء شــفت كعبا من السقم
فرع النســاء وفرع القوم والدها
أهــل التحلة والايفــاء بالذمـم
لــم أر شــمسا بليل قبلها طلعت
حتى تجلت لنـا فى ليلة الظلــم

وليس معنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره الشعر ، أو لايقبل على سماعه أو لايثيب على جيده ، أو لا تتأثر نفسه بمافيه من عاطفة ، ان هذا كله لايصح أن يخطر ببال انسان ، فقد روى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به فى بواديهـا ، وتسل به الضغائن من بينها (١) كما يروى عن اسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : مر الزبير بن العوام رضى الله عنـه بمجلس لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين لما يسـمعون من شعره ، فقال : مالى أراكم غير آذنين لمـا تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسـن استماعه ويجزل عليه ثوابه ، ولايشتغل عنـه اذا أنشده (٢) •

ولمعرفة الشعراء باعجاب الرسـول صـلى الله عليه وسلم بالشعر دافعوا عنه بكل شدة ، لأنهم يعرفون أن الحق بجانبهم ، فقد روى أنه بينما كان حسان ابن ثابت ينشد الشـعر فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجـاء عمر فقال : يا حسان ، تنشد شعرك فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام !!!

فرد عليه حسان بقوله : أنشدت فيه ، وفيه من هو خير منك (٣) •

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم كـان يشترك فى الاستماع الى الشعر ويبدى رأيـه فى بعض ألفاظه ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على كعب بن مالك الانصارى وهو فى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ينشد الشعر ، فلما رآه كأنه انقبض ، فقال : ماكنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد ، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنشـد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مُقَاتَلُنَا عن جِذْمِنا كلَّ فخمة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لاتقل عن جذمنا ، ولكن قل : مقاتلنا عـن

(١ ، ٢) العمدة ١/٢٨

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ١٥ ،والعمدة ١/٢٨

ديننا (١) • فهو هنا يوجه الشاعر الى أن الدفاع أصبح مقصورا على الدين لاغير •

وهو صلى الله عليه وسلم قد استمع الى كعب بن زهير فى قصيدته (بانت سعاد) وأظهر اعجابه بها قولا وفعلا ، أما قولا فلأنه كان ينبه أصحابه الى بعض المقاطع التى ينشدها كعب ، وأما فعلا فلأنه قد خلع عليه بردته بعد الانتهاء من القصيدة (٢) • وهكذا نراه قد عفا ، وأجزل العطاء •

وأما شدة تأثر نفسه الشريفة بما فى الشعر من عاطفة فيؤيده ما يروى من أن قتيلة بنت الحارث بن النضر قالت ترثى أخاها النضر بن الحارث :

ياراكبا ان الأثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتا بأن تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة
جادت بدرتها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر ان ناديته
ان كان يسمع هالك لاينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد وأنت نسل نجيبة
فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

(١) الاغانى ٢٣٢/١٦
(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٩٩/١
والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٥٤/١

أو كنت قابل فدية فلنأتين
بأعز مايغلو لديك وينفق
والنضر أقرب من أخذت بزلة
وأحقهم ان كان عتق يعتق

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل النضر بعد أن انتهى من معركة بدر ، فلما سمع الرسول الكريم قول قتيلة السابق قال : لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته (٣)

ومن ادراك الرسول صلى الله عليه وسلم القيمة الحقيقية للشعر فى نفوس العرب اتخذ منه ومن رجاله حماة للدين يدفعون عنه المتهجمين كما يدافع المجاهدون بسيوفهم ، وكان فرسان هذه الحلبة حسان بن ثابت ، والنابغة الجعدى وكعب بن مالك ، وعبد الله ابن رواحة •

روى فى هذا الشأن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للانصار : مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان ابن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله مايسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء (٤) •

وقد عرفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه المواطن التى يستخذون منها ، فكان يصوب اليها سهام قوله ، وقد عرف القرشيون أثر توجيهات أبى بكر لحسان •

ولم يكن أثر الشعر الاسلامى فى نفوس القرشيين بأقل من أثر السيوف فى أجساد رجالهم ، فقد سجل الشعر عليهم اندحارهم يوم بدر : وفرار بعضهم خوفا من سيوف

(٣) الاغانى ١٩/١ والعمدة ٥٦/١
(٤) الاغانى ١٣٧/٤

المسلمين التى حصدتهم حصد الثمار جان قطافها : يقول حسان فى هذا الشأن مسجلا قتل أبى جهل وفرار أخيه الحارث ، وذلك فى قصيدته التى بدأها بقوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة
تسقى الضجيج ببارد بسام

وفيها يقول :

ان كنت كـاذبة الذى حدثتنى
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة ولجام
وبنوا أبيه ورهطه فى معرك
نصر الالّه به ذوى الاسلام
لولا الالّه وجريها لتركنه
جزر السباع ودسنه بحوامى

وقد كان لهذه الأبيات أثرا سىء فى نفوسهم، كما كان لها أثر سىء فى الحاق الفضيحة بهم عند جيرانهم ، فقد روى أن ابن الاشعث لما صار الى رتبيل ، تمثل رتبيل بقول : حسان ابن ثابت فى الحارث بن هشام :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة ولجام

فقال له ابن الأشعث : أو ما سمعت مارد عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وماهو ؟ فقال : قال :

الله يعلم ما تركت قتالهم
حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى ان أقاتل واحدا
أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم
طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

فقال رتبيل : يامعشر العرب ، حسنتم كل شىء حتى حسنتم الفرار • (١)

أما أثر الشعر فى مجال الدعوة الاسلامية فيتضح فى موقف قدوم وفد بنى تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا الوفد ــ شأنه كل الأعراب ــ فيه جلافة طبع وخشونة قول ، فقد طرقوا باب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينتظروا خروجه ، وفيهم نزلت آيات من سورة الحجرات ، ثم لما جلس الرسول اليهم طلبوا منه أن يأذن لخطيبهم وشاعرهم ، فأذن ، فقام عطارد ابن حاجب بنزرارة فافتخروا بقومه ،وعدد ما لهم من عزة وقوة ، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس فقام وخطب مبينا ما فضل الله به المسلمين من الدين ، كما وضح قوة المسلمين التى تأتيهم من الله ، ثم قام شاعر الوفد الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا
منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
عند النهاب وفضل العز يتبع

(١) الاغانى ١٦٩/٤ وما بعدها

الإسلام والشعر

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا
من الشواء اذا لم يؤنس الفزع
ثم ترى الناس تأتينا سراتهم
من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا
للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حى نفاخرهم
الا استفادوا وكان الرأس يقتطع
انا أبينا ولن يأبى لنا أحد
انا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يقادرنا فى ذاك يعرفنا
فيرجع القول والأخبار تستمع

فلما فرغ الزبرقان ابن بدر من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : قم ياحسان فأجب الرجل فيما قال ، فقال حسان:

ان الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

الى آخر هذه القصيدة الطويلة الرائعة التى توجد فى كتب الأدب والتاريخ (١) .

فلما سمع وفد بنى تميم خطيب الرسول وشاعره قال الأقرع بن حابس :ان هذا الرجل -يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم - لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا : وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .

وهكذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجب بالشعر الجيد ويستمع اليه ، ويثبت عليه ، ويتأثر منه .

ومن كل ما سبق تتضح الفرية التى تقول أن الاسلام قد طامن من قدر الشعر وينخدع بعض الناس حين يسمعون أصحاب هذه الفرية يحتجون بقول الله تعالى :« **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** » فهذا القول من الله عز وجل يحط من قدر الشعراء فى رأى

(١) الطبرى ١١٥/٣ وما بعدها والاغانى ١٤٨/٤

الإسلام والشعر

أصحاب هذه الفرية الضالة المضلة ، كما يحتجون أيضا بأن الله عز وجل نفى الشعر عن نبيه فى قوله تعالى « **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** » (١) .

أقول أما أصحاب هذه الدعوى فانه يكفى فى ردهم الى الصواب تذكيرهم بأن هذا جاء فى القرآن الكريم انما هو خاص بشعراء الكفار الذين وقفوا من الاسلام موقف العداء ، وكذلك الذين لم يلتزموا الجانب الأخلاقى الذى رسمه الدين ، ولو كان هؤلاء منصفين حقا لأكملوا النص القرآنى وهو : « **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** » . (٢)

ونفى الشاعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس غضا من شأن الشعر كما يزعم المضللون ، وانما لتكون المعجزة القرآنية التى بهرتهم أوقع فى نفوسهم .

أما حجة من يدعى قلة الشعر أو ضعفه فى صدور الاسلام فانه يكفى فى ردها أن يرجع أصحابها الى كتب التاريخ والأدب مثل تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير وطبقات ابن سعد والأغانى والعقد الفريد وغير ذلك كثير من الكتب التى تروى الكثرة الكثيرة من الشعر .

على أنه يمكن أن ترد قلة الشعر فى نظر هؤلاء الى قلة الفنون التى يطرقها الشعراء ، فمثلا شعر الخمر والغزل الفاضح لم يعد لها مجال فى ذلك المجتمع الذى ينبنى على الأسس الأخلاقية ، وكذلك شعر استنفار القبائل للثأر والفخر الذى يورث العداوة ويزرع الحقد كل هذا لم يعد يصلح فى مجتمع تقوم أركانه على المودة والتآلف .

النبوى عبد الواحد شعلان

---

(١) سورة يس الآية ٦٩

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

في التشريع الإسلامي

- ماء زمزم في ضوء السنة النبوية
- الأمية الفقهية وتقنين الشريعة الإسلامية
- هكذا سئل الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
- رد على كتاب (الخمر خطر محقق)

دراسة تحليلية

ماء

ماء زمزم منحة ربانية ، فيها من الغذاء والشفاء والخير والبركة ما فيها. انها المنحة التى منحها الله تعالى لاسماعيل عليه السلام فى وقت كان أشد حاجة الى الماء ٠ ومنحة لكل المسلمين الذين يردونها ويسعدون بالشرب منها ، فهى سقيا من الله تعالى ٠

فعندما ترك ابراهيم عليه السلام اسماعيل وأمه ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، فنادته أم اسماعيل قائلة :

يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شىء ؟

لقد قالت ذلك مرارا ، وهو لا يلتفت اليها ٠ فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت: اذن لا يضيعنا ٠ فلما نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها ، فانطلقت تبحث عن الماء ، فوجدت الصفا أقرب جبل اليها ،فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود ، حتى جاوزت الوادى ٠ ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات ٠ قال ابن عباس ، قال النبى صلى الله عليه وسلم :

فذلك سعى الناس بينهما ٠ فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه ــ تريد نفسها ــ ثم تسمعت أيضا ، فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث ، فاذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا ٠ وجعلت تغرف من الماء فى سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف ٠

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أولو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا » رواه البخارى لقد شربت أم اسماعيل وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة . فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله ٠

« أهل الحرم فى رعاية الله »

ويمكن أن نستنتج مما سبق : قوة ايمان السيدة هاجر . ومدى توكلها على الله سبحانه

زمزم

في السنة النبوية

في ضوء السنة النبوية

للدكتور أحمد عمر هاشم

وتعالى . واعتمادها عليه ، حيث انها عنـــدما سألت ابراهيم عليه السلام ، وعرفت أن ذلك عن أمر من الله تعالى ، أيقنت أنها وولدها لن يمسهما السوء . ولن يضيعا ، فعندما ســألت ابراهيم عليه السلام قائلة : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، عندئذ قالت : اذن لا يضيعنا •

وبهــذا الايمان القوى ، واليقين العظيم ، والتوكل على الله ، كانت حرية بما منحها الله وأهلها به أن تكون أما لنبى الله اسماعيل عليه السلام ، ولهذه الامة الكريمة •

كما يستنبط أيضا ، أنها مع ايمانها وثقتها فى الله ، واخبار ابراهيم عليه السلام لها بأن ذلك عن أمر من الله تعالى حيث اطمأنت واستبشرت فلم تخف الضياع •• مع كل هذا كانت تسعى وتبحث عن الغــوث وعن المـــاء • وباشرت الاسباب الى جانب الايمان والتوكل على الله سبحانه وتعالى ، فأخذت تسعى ســبع مرات بين الصفا والمروة •

ويتضح كذلك من قول الملك لها ــ كما جاء فى صحيح البخارى :

« لا تخافوا الضيعة فان هاهنا بيت اللــه يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن اللــه لا يضــيع أهله » •

يتضح ذلك أن الله تعالى حافظ أهل هــذا البيت ، وحافظ لبيته وحافظ لامة هــذا البيت قبلتها •• ولقــد جعله الله تعالى مثابة للناس وأمنا . وجعل من دخله كان آمنــا ، وأحاطــه بالعناية والخير ، تجبى اليه ثمرات كل شىء •

بعد ذلك ولى « اسماعيل » عليه السلام أمر البيت ، ثم وليه بعده ابنه « نابت » ثم وليه بعده « مضاض بن عمرو الجرهمى » ومن بعده الى ابنه الحارث ، ثم الى عمرو بن الحارث ، وكان مع جرهم بنو قطوراء وهما ابنــا عم •

ماء زمزم

في ضوء السنة النبوية

ورئيس جرهم مضاض ، ورئيس قطوراء السميدع وقد وقعت الحرب بينهم وانتهت وأسفرت بنصر جرهم .

ولما بغى جرهم بمكة وأكلوا مال الكعبة أخرجهم الله من البلد الحرام على أيدى بنى بكر من كنانة وغبشان من خزاعة .

وقد عرفت مكة المكرمة حتى منذ عهد الجاهلية لا يستقر فيها ظلم ولا بغى ، ولايبغى فيها أحد الا أخرجته ، ولا يريدها أو يقصدها أحد بسوء الا هلك حتى قيل :

« انها ما سميت ببكة الا أنها كانت تبك أعناق الرجال اذا أحدثوا فيها » السيرة لابن هشام .

وقال ابن هشام : أخبرنى أبو عبيدة أن بكة اسم لبطن مكة لانهم كانوا يتباكون فيها أى يزدحمون ، يعنى فى الطواف بالكعبة والدعاء والسعى بين الصفا والمروة .

ولما غلب الجراهمة على أمرهم ، وهموا بالخروج عمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى الى غزالين من ذهب ، وسيوف وأدرع فجعلها فى « زمزم » وطمها أى دفنها وسواها ، وذهب بقومه الى اليمن . وقيل : بل دفنتها السيول .

حفر زمزم :

وظلت « زمزم » منذ ذلك العهد مدفونة ومجهولة الى أن قيض اللهتعالى لها عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل ميلاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وفيما رواه ابن اسحاق ، بشأن حفر زمزم أن عبد المطلب قال : انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت ــ أى فى المنام ــ فقال : احفر طيبة « سميت بذلك لانها للطيبين والطيبات من ذرية ابراهيم » قال : قلت : وما طيبة ؟ فقال : ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال : احفر برة . قال : قلت : وما برة ؟ « وسميت بذلك لانها تفيض للابرار وتفيض عن الفجار » . قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المضنونة قال :

قلت : وما المضنونة ؟

(وسميت بذلك لأنه يضن بها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق) .

قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال :أحفر زمزم ، قال قلت : وما زمزم ؟ .

قال : لاتنزل **(أى لاينتهى ماؤها ولا يفرغ)** ولا تذم **(أى لا تكون قليلة الماء)** . تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث

والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل .

ومعنى العلامات السابقة : بين الفرث والدم التشبيه لها باللبن فهو يخرج من فرث ودم (١) . وأما الغراب الاعصم : فهو الذى فى جناحه ريشة بيضاء . وأما قرية النمل ، فقد قال عنها السهيلى

« أما قرية النمل أيضا ففيها من المشاكلة والمناسبة أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون اليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع ، وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب الى قريتها من كل جانب » .

فلما تعين لعبد المطلب موضعها ، غدا بمعوله ومسحاته وحفر هو وابنه الحارث حتى وصل الى الماء فكانت « زمزم » ، وكان عبد المطلب يسقى الحجيج من زمزم ويحمل ماءها الى عرفة .

فضائل ماء زمزم وفوائده :

* ومما ورد فى فضل ماء زمزم : ما جاء عن أنس بن مالك : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم .. » الخ الحديث رواه البخارى

(١) اخرج الأزرقى ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم ، فبينما هو على ذلك اذ نحرت بقرة عند الحزورة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت فى موضع زمزم فجزرت فى ذلك الموضع فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك .

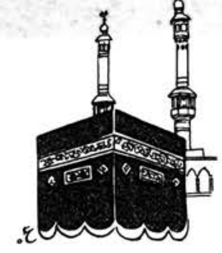

فى صحيحه . وقد علل العلماء وشراح الحديث غسل صدره الشريف بماء زمزم لفضله على جميع أنواع المياه الا الماء الذى نبع من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس من الماء الذى على وجه الارض بل هو من المعجزات .

* ومن فضائل ماء زمزم وفوائده : أنه يشبع الجائع ، ويروى الظمآن وفيه شفاء بأمر الله تعالى وارادته ففى الحديث : «زمزم طعام طعم وشفاء سقم » رواه ابن أبى شيبة والبزار من حديث أبى ذر .

وفى صحيح الامام مسلم من حديث أبى ذر «انها طعام طعم» أى مشبع ، وزاد الطيالسى من الوجه الذى أخرجه منه مسلم « وشفاء سقم » .

* ولا تقتصر فوائد الشرب من ماء زمزم على الشبع والرى والشفاء فحسب ، بل انها تشمل سائر ما يطلبه المؤمن من ربه بصدق وايمان واخلاص ، فهى تفيد فى كثرة الرزق وكثرة العلم وكل ما شرب له ، فقد جاء فى المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا : « ماء زمزم لما شرب له » واختلف فى ارساله ووصله ، وارساله أصح ، وله شاهد من حديث

جابر • وفيما رواه الدارقطنى والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتستشفى شفاك الله ، وان شربته لشبعك أشبعك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهى هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل » ورواه الحاكم وزاد فيه : « وان شربته مستعيذا أعاذك الله » قال : فكان ابن عباس اذا شرب من ماء زمزم قال : « اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » •

❋ ومن فوائده : شربه لعطش يوم القيامة، وكان عبد الله ابن المبارك اذا شرب من ماء زمزم استقبل الكعبة وقال : اللهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له » وها أنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم يشرب • رواه البيهقى باسناد صحيح •

❋ شرب ماء زمزم من السنة :

قال السائب رضى الله عنه : اشربوا من سقاية العباس فانه من السنة ، وفى الشرب منه تأس برسول الله صلى الله عليه وسلم

ويصح الشرب منه فى جميع الاحوال من قيام وقعود أو ركوب قال ابن عباس رضى الله عنهما : « سقيت رسول الله صى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم » قال عاصم : فحلف عكرمة : ما كان يومئذ الا على بعير رواه البخارى • وعند أبى داود من رواية عكرمة عن ابن عباس أنه أناخ فصلى ركعتين ، فلعل شربه من زمزم كان بعد ذلك ، ولعل عكرمة انما أنكر شربه قائما لنهيه عنه لكن ثبت عن على عند البخارى « أنه شرب قائما » فيحمل على بيان الجواز اه من فتح البارى للحافظ ابن حجر •

❋ من الصحابة من شرب زمزم فكفته عن الطعام :

ذلكم هو الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه وحديث اسلامه مذكور فى صحيح البخارى ، وأنه أقام بالمسجد ، واستغنى بزمزم عن الطعام والشراب ثلاثين من بين يوم وليلة ••• ووقع فى رواية أبى قتيبة : « فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون فى المسجد » اه من فتح البارى جـ ٧ ص ١٧٥ •

❋ من الائمة المحدثين من شرب زمزم لأجل العلم :

وذلكم هو الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر الملقب بامام الائمة المولود سنة ثلاث وعشرين ومائتين والمتوفى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة • مرآة الجنان جـ ٢ ص ٢٦٤ • لقد كان هذا الامام الجليل يحفظ فقهيات الحديث كما

يحفظ القارىء السورة .

وكان يحفظ أسانيد الاحاديث ومتونها حفظا جيدا وقال ابن حبان : لم أر مثل ابن خزيمة فى حفظ الاسناد والمتن فهو اذا قد جمع بين حفظ الاسناد والمتن وحفظ الفقهيات من الاحاديث ، وانها لمقدرة فذة استحق بها أن يلقب بامام الائمة . وقيل لابن خزيمة يوما : من أين أوتيت العلم ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لما شرب له » وانى لما شربت ماء زمزم سألت الله علما نافعا « النجوم الزاهرة » ج ٣ ص ٣١١ .

*** ومن العلماء من شرب زمزم لحوائج أخرى :**

منهم الشيخ الامام عبد الوهاب الشعرانى، فقد ذكر أنه لما حج سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، وشرب من ماء زمزم فى سبع وخمسين حاجة له ولاخوانه قال : « فقضى الله جميع ما كان منها من حوائج الدنيا ، ونرجو من كرم الله قضاء الحوائج الاخروية ، فان قضاء حوائج الدنيا عنوان للآخرة » اه من كتاب لواقع الانوار للشيخ الشعرانى ص ٢٤٢ .

* ومن ذلك ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عن نفسه ، فقال : وأنا شربته مرة ، وسألت الله وأنا فى بداية طلب الحديث أن يرزقنى الله حالة الذهبى فى حفظ الحديث ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة وأنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة فسألت رتبة أعلى منها فأرجو الله أن أنال ذلك .

* ومن ذلك — أيضا — ما نقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : شربت من ماء زمزم لثلاث : شربته للعلم ، وشربته للرمى ، فكنت أصيب عشرة عشرة ومن عشرة تسعة ، وشربته للجنة وأرجوها . من كتاب الجامع اللطيف ص ٢٦٦ للشيخ العلامة جمال الدين القرشى المكى .

*** شفاء ماء زمزم للحمى :**

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء »

وفى حديث ابن عباس : « بماء زمزم » من رواية أبى جمرة ، قال : « كنت أجالس ابن عباس بمكة فأخذتنى الحمى » وفى رواية أحمد « كنت أدفع الناس عن ابن عباس فاحتسبت أياما فقال : ما حبسك ؟ قلت الحمى ، قال : أبردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء أو بماء زمزم » شك همام كذا فى رواية البخارى من طريق عامر العقدى عن

ماء زمزم

فى ضوء

همام ، وقد تعلق به من قال بأن ذكر ماء زمزم ليس قيد الشك راويه فيه • وممن ذهب الى ذلك ابن القيم •

وتعقب بأنه وقع فى رواية أحمد عن همام : « فأبردوها بماء زمزم » ولم يشك • كـــــذا أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم من رواية عفان ، وان كان الحاكم وهم فى استدراكه • وترجم له ابن حبان بعد ايراده حـــديث ابن عمر فقال : ذكر الخبر المفسر للماء المجمــل فى الحديث الذى قبله وهو أن شـــدة الحمى تبرد بماء زمزم دون غيره من المياه وســـاق حديث ابن عباس ، وقد تعقب على تقدير أن لا شك فى ذكر ماء زمزم فيه ، بأن الخطاب لأهل مكة خاصة لتيسر ماء زمزم عندهم •• اهـ من فتح البارى جـ ١٠ ص ١٧٦ •

* ومما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى زمزم فنزعوا له دلوا ، فشرب ثم مج فى الدلو ، ثم صبه فى زمزم ، ثم قال : « لولا أن تغلبوا عليها لنزعت معــكم » رواه الطبرانى •

وفى رواية أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها ، وروى أن الذى نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب •

*** لماذا سميت بزمزم ؟**

وسميت زمزم لكثرتها ، يقـــال : ماء زمزم أى كثير ، وقيل : لاجتماعها •

وعن مجاهد : انما سميت زمزم ، لانهـــا مشتقة من الهزمة ، والهزمة بالعقب فى الارض وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع •

وقيل : لانها زمت بالتراب حين نبع المــاء لئلا يأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شىء وكذا نقل عن ابن عباس ، وقيل : ســميت بذلك لزمزمة المــاء وهو صوته قاله الحربى ، وقيل : لان الفرس كانت تحج فى الزمن الاول فتزمزم عليها •

وقال المسعودى : والزمزمة صوت تخرجـــه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء •

*** آداب الشرب من زمزم :**

يســتحب لمن أراد الشرب مــن زمزم أن يستقبل القبلة ، ويذكر اسم اللـــه ، ويتنفس ثلاثا خارج الاناء ، بأن يشرب على ثلاثمرات وأن يتضلع منها ، والتضـــلع : هو أن يشرب حتى ترتفع أضلاعه كناية عن كثرة الشرب ، وأن يحمد الله بعــد الشرب • وأن يصـــحب شربها حسن الاعتقاد فى فوائدها ومنافعهـــا باذن الله تعالى وارادته وأن يرش على البدن من ماء زمزم •

وقال سماحة الشيخ عبد اللـــه بن حميـــد

الرئيسى العام للاشراف الدينى على المسجد الحرام فى كتابه « هداية الناسك الى أهم المناسك » : « ويشرب من ماء زمزم لما أحب ويتضلع منه ويرش على بدنه وثوبه ويقول : بسم الله اللهم اجعله لنا علما نافعا ورزقا واسعا وريا وشبعا وشفاء من كل داء ،واغسل به قلبى واملأه من خشيتك . وقال ابن العربى وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمعنى العلم والرزق والشفاء لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن به مكذبا ، ولا يشربه مجربا ، فان الله مع المتوكلين وهو يفضح المجرمين .

وقال ابن عرفة : انما لم يكن عذبا ، ليكون شربه تعبدا لا تلذذا نقلا من كتاب هداية الناسك اه .

وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل : « اذا شربت من زمزم فاستقبل القبلة ، واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم » البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٤٧ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان اذا شرب من ماء زمزم قال : « اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء » وقال الخطيب فى المغنى والكمال الدميرى قال الحاكم هو صحيح الاسناد ، ثم قال رحمه الله : وينبغى أن يزاد على ذلك « وقلبا خاسعا وذرية طيبة » . قال العلماء : ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ، ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة اه . « الجامع اللطيف » للعلامة جمال الدين القرشى المكى .

*** هل يجوز نقل ماء زمزم الى البلاد ؟**

ذكر صاحب كتاب « الجامع اللطيف فى فضائل مكة وأهلها » قال : يجوز نقل ماء زمزم الى البلدان للتبرك به ، باتفاق المذاهب الاربعة بل ذلك مستحب عند الشافعية والمالكية . وقال الملا رحمه الله ـ فى المتفرقات ، من الاوسط ـ ويجوز الاغتسال والتوضؤ بماء زمزم على وجه التبرك ولا يستعمل الا على طاهر ، ويكره الاستنجاء ، ويستحب حمله الى البلاد اه .

ومما يستدل به على ذلك أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها حملت من ماء زمزم فى قوارير ، وقالت : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله فى الاداوى والقرب » أخرجه الترمذى فى جامعه .

دراسات لغوية

ماء زمـــزم في ضوء السنة المحمدية

وعن ابن عباس أن رســول الله صلى الله عليه وسلم استهدى ســهيل بن عمرو من ماء زمزم ، فبعث له براويتين . أخرجه الطبرانى بسند رجاله ثقات .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منـــه ، وأنه حنك به الحسن والحســين رضى اللـــه عنهما مع تمر العجوة .

اقتراح ...

واذا كانت فضائل ماء زمزم وفوائده بهذه المثابة ، واذا تبين لنا جواز نقله ، وأن السيدة عائشـــة رضى الله تعالى عنهـــا قد حملته فى قوارير ، وقالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله ، فهل من الممكن تعبئة بعض ماء زمزم بطرق علمية صحية ، على حسب ما يراه المسئولون ، ليعم نفعه بعض البلاد الاسلامية ليتمكن من شربه والانتفاع به من لا يســتطيع الحج والعمرة ، لمرض أو لغير ذلك من الاعذار؟

ومن الواضـــح أن ماء زمزم منحـــة ربانية ، وأن فى شربه عبادة الى جـــانب ما له من فوائد عديدة ، ولـــذا فليس فى بيعه ، ونقله الى البلاد الاسلامية مقصد من مقاصـــد التجـــارة والربح بل يكون القصد من نقله عموم الانتفاع به ابتغاء وجه الله .

وأما العائد المالى من ثمن ما يباع فمن الممكن أن يرصد لمشاريع تحفيظ القرآن الكريم والفقراء والعاملين عليـــه ، أى الذين يقومون بتعبئته ، واللـــه الموفق والهادى الى سواء السبيل .

دكتور أحمد عمر هاشم

الأمية الفقهية

وتقنين الشريعة الإسلامية

الدكتور عبد الله مبروك النجار

الشريعة الاسلامية ــ شريعة الله ــ أوحى فيها عناصر القوة والخلود لتكون منطلقا لخير البشر ومصدرا لسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ليس فيها مسلك مغلق ، ولا فكر مبهم ، ولا مبدأ ينافى العقل ، ولا قاعدة تجافى المصلحة .

وقد أودع الله أسرار شريعته فى كتابه الكريم ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أما الكتاب فقد ضمنه مبادىء التشريع الراقية، التى تستوعب كافة أوجه النشاط البشرى فى جوانبه الروحية ، والاخلاقية . والمادية، وأسلوب عربى مبين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وأما سنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى أثرت عنه فى أقواله وأفعاله وتقريراته ، فأنها تقرير للكتاب ، وتأكيد لما فيه ، وهى تتناوله بالشرح والتبيين ، فتوضح الغامض ، وتفسر المجمل وتشرح المبهم ، وتقيد المطلق وتخصص العام ، وترسم بالسلوك المحمدى

الأمية الفقهية

وتقنين الشريعة الإسلامية

المنهج الواضح لكتاب الله • فالكتاب والسنة هما جوهر الشريعة ، ومصدر احكامها ، وهما الأصل الذى يكشف عن حكم الله فى افعال عباده • والضابط الذى ينظم مسيرة البشر وفق مشيئة السماء •

الشريعة الاسلامية نظام شامل للدين والدنيا :

ولما كانت الشريعة الاسلامية هى الحلقة الاخيرة فى صلة السماء بالارض ، والغاية التى مهد لها كل الانبياء ، والدرة الخاتمة التى اكتمل بها عقد الرسالات ، فقد خصها الله بالعمومية والشمول فكانت عامة : حيث جاءت وافية بأحكام المكلفين بها ، لم تترك جانبا من الجوانب التى تهم الفرد فى حياته أو بعد مماته الابينته ، فلم تطرق الارض شريعة أكمل منها، ولا جاء رسول بمثلها ، يقول ابن القيم « حوت الشريعة الاسلامية كل ما يحتاج اليه من بعث اليهم الرسول من الانس والجن ، فى اصول الدين وفروعه ، فهى شافية لاتحوج الى سواها ، ولا يخرج فعل لمكلف عن محتواها ، كما لا يخرج حق تحتاجه الامة فى علومها واعمالها عما جاءت به » راجع اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٣٣٥ •• وكانت شاملة ، لأنها قد حوت كل ما يترتب على خصوصية الحياة من علاقات تمتد لتشمل صلة الانسان بربه ، وصلته بنفسه ، وعلاقاته مع الناس ، وتتسع لتتناول بالتفصيل أحكام كل صلة وابعاد كل علاقة ، بالقدر الذى يغطى كل جوانب الحياة الدنيا والآخرة ، بحيث لا يفلت مسلك أيا كان من الخضوع لحكم الله ، ولايتأبى فعل لعبد عن مراد الحق سبحانه ، ولا يرد عمل لمكلف مهما بلغ قدره الا وقد أظله حكم الشارع بالحل أو بالحرمة ، حتى ولو كان مثقال الذرة قال تعالى **« فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »** الزلزلة : ٧،٨

احكام الشريعة لا تقبل التبعيض ولا التجزئة:

ولهذا كان نظام الشريعة كاملا متكاملا •• وكانت أحكامها فى مجال العمل لا تقبل التبعيض ولا التجزئة ، شرعت للدين والدنيا فأقامت العبادات ، وأرست نظاما مزيدا للمعاملات ، لم تهمل الأمور اليسيرة ، وهى تتناول القضايا الخطيرة ، فهى تحث على الأخذ بمحاسن العادات والوصول بالمجتمع الى الكمال الانسانى ، وهى تصون حياة الناس من الفساد والتهريج بالمحافظة على مقوماتها ، وضروراتها الخمس ، وهى : الدين والنفس والمال والعقل والعرض ، فتلك أمور كلية لا يستقيم للحياة معنى بدونها ، كل هذا دون ارهاق وعنت ، بل مع اليسر والرحمة ، ولهذا — أيضا — كانت جديرة بأن تحكم حياة الناس الى ان يرث الله الارض ومن عليها •

الفقه الاسلامى وتطور مدلوله :

الشريعة ــ اذا ــ هى ما شرعه الله لعباده من الأحكام ، على هيئة نصوص عامة فى كتاب الله وسنة رسوله ، أما الفقه فهو كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : « معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والاباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة • فاذا استخرجت الأحكام من تلك الادلة قيل لها « فقه » •

وقد كان مدلول الفقه الاسلامى يطلق فى أول الأمر العلم بجميع الأحكام الشرعية ــ عملية وغير عملية ــ ومعرفتها معرفة تفصيلية مستمدة من الكتاب والسنة وغيرهما من الأدلة سواء ما كان منها متعلقا بالعقائد أم بالاخلاق أم بأفعال المكلفين •

ثم تخصص هذا التعميم ، بعرف الفقهاء ، واصبح مدلول الفقه مقتصرا على الجانب العملى من الأحكام الشرعية ، وهو جانب العبادات والمعاملات يقول الغزالى فى المستصفى : « الفقه عبارة عن العلم والفهم ، وقد صار يعرف العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة » وبناء على هذا العرف المخصص خرج من مدلول الفقه احكام العقائد والأخلاق وأصبح تعريفه : انه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الأدلة التفصيلية ، ويكون

معناه أخص من الشريعة لأنها تشمل كل جوانب الأحكام •

مرونة الفقه الاسلامى واستيعابه لمشاكل العصر :

والفقه الاسلامى كعلم له أصوله ، يقوم على فهم نصوص الشريعة ، فهما يقترن بالعمل والتطبيق ومواكب الحياة فى وقائعها المتجددة واحداثها المتطورة ، ولما كانت هذه الوقائع وتلك الاحداث غير متناهية ، فقد اتسمت مصادره بالمرونة والثراء ، حيث جمعت بين النقل والعقل وظهر الرأى بجانب الكتاب والسنة كدليل له ضوابطه تبنى عليه الأحكام وكان الأمر كما يقول الشهر ستانى : « نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث فى القيادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر ولا العد ، ونعلم قطعا انه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص اذا كانت متناهية • والوقائع غير متناهية • وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة نص يوضح حكمها » راجع الملل والنحل جـ ١ ص ٣٣ ، ٣٤ •

وبذلك اكتسب الفقه الاسلامى مرونة وثراء

الأمية الفقهية وتقنين الشريعة الإسلامية

وقدرة على مواجهة ما يستجد فى حياة الناس.

مفهوم الرأى واطلاقاته فى الفقه الاسلامى :

وليس المراد بالرأى — هنا — اتباع الهوى والحكم بغير ما أنزل الله بل المراد بـه لغـة العقل والتدبير ، وفى اصطلاح الفقهاء معناه أخص من ذلك ، يقول ابن القيـم : « خص الفقهاء الرأى بما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه مما تتعارض فيه الامارات » ويطلق ويراد به معنيان :

أولهما : الـرأى بمعنى الاجتهـاد ، اى استخراج الأحكام الشرعيـة من نصـوص الكتاب والسنة وهو بهذا المعنى يسمى « فقه الكتاب والسنة » .

ثانيهما : الرأى بمعنى الادلة الشرعيـة — ما عدا الكتاب والسنة — من الادلة التى تبنى عليهـا الأحـكام ، كالاجمـاع والقيـاس ، والاستحسان والمصـالح المرسـلة والعرف ، والسياسة الشرعية ، وبمقتضى هذا المعنى يقوم الرأى على فهم مقاصـد الشريعة ، وابتـداء احكامها على أصـول وقـواعد يمكن للعقـل البشرى أن يـدرك اسرارهـا ، ويجب لذلك تقصى فروع الشريعة فى كل ما يجد من أمـور الدين والدنيا ، وتوصيفها من الناحية الشرعية، واعطائها الحكم المناسب .

الفقه الاسلامى غريب بين أهله :

كان لابد من تقرير تلك الحقائق العلمية ، ونحن بصدد التعرض لواحدة من المشاكل التى تواجه المجتمع الاسلامى فى سعيه الصـادق نحو شريعة ربه ، ليستمد منها تشريعه ، وينظم على ضوئها سلوكه ، ويصنع من فقهها قانونه ، بعد أن أصبح هذا أملا غاليا وأمنية صـادقة بات كل منصف اليوم يبحث عنها .

فالأمر لم يقف عند حـد الواجب الشرعى المطلوب على سبيل الجزم والتأكيد ، والذى وصف الشارع تاركه بالكفر فى آية والظـلم فى أخرى ، والفسق فى ثالثه ، قال تعالى : « وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » المائدة آية ٤٤ ، وقال تعـالى « وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » المـائدة آية ٤٧ .

بل تعداه الى الواجب السياسى فأصـبح مطلبا شعبيا يرجوه الناس ، وتؤكده الدساتير فى عديد من البلاد العربية ، ومنها دسـتور مصر الدائم والصادر عام ١٩٧١ ، وفضلا عن ذلك فالشريعة الاسلامية هى أساس تراثنـا الحضـارى واستقلالنا الذاتى ، واستقرارنا القانونى .

ومن المفروض أن تلقى هذه الغـاية النبيلة من فقهاء الشريعة ، ما يلائمها من النشـاط ، وما يليق بها من وسائل التحقيق ، بالدراسـة المنهجية الجادة ، والعرض الدائم لرأى الفقه فيما تقتضيه التطبيق من مسائل ، بأسـلوب سهل وفكر واضح ، يقرب مسائلة للعامـة ، ويعمق دراسته للخاصة ، ليجد الرجل العادى

مسألته . والمتخصص بقيته ، وحتى تزول عن الفقه الاسلامى هذه الغربة التى يعانيها بين أهله وعشيرته •

مظاهر الأمية الفقهية فى المجتمع الاسلامى :

الامية ـ نسبة الى الأم ـ صفة تعنى عدم العلم بالقراءة والكتابة ، يقول السجستانى صاحب تفسير غريب القرآن : « كان الموصوف بها على أصل ولادته لم يتعلم شيئا » ووصفها بالفقه تخصيص يصور حالة الفقه الاسلامى فى مجتمعه ، فالناس لا يعلمون عنه شيئا ، وان شئت فقل ان علم الناس بالفقه يشوبه القصور تارة ، والتشويه أخرى ، والقلة ثالثة ، وعلى هذا النحو تتجسد القضية ، وتتحدد ابعادها فى ثلاثة مظاهر :

أولها : يقوم على نوع من التصور القاصر ، مفاده : أن محتوى الفقه الاسلامى لا يعدو أن يكون متضمنا لضروب العبادات التى يتقرب الناس بها الى ربهم ، وان معناه قاصر على أمور العقيدة وما يتصل بها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وفقط ، أما المعاملات وشئون الحياة • فلم يصل الى علم أصحاب هذا التصور بعد ، انها تدخل فى نطاق أحكامه•

ثانيها : يقوم على نوع من الفهم المشوه لحقائق الفقه الاسلامى خاصة : أن محتواه يتضمن بجانب العبادات نوعا من العقوبات ، لكنها فى نظر أصحاب هذا هذا الفهم ، عقوبات قاسية ، وجزاءات غليظة ، ذهب مع الأيام انسجامها مع الواقع ، فاذا ما وردت كلمة « الفقه الاسلامى » الى مسامعهم ، خطر فى رءوسهم الخالية ، رجم الزانى وجلد الشارب. وقطع يد السارق ، وتخيلوا أن الاسلام يترصد للناس ويتربص بالافراد ليقطع الأيدى ، ويزهق الانفس بالحجارة •

ولولا الأمية التى يعانون منها فى فهم أحكام الله ، لعلموا أن نظام التجريم والعقاب فى الفقه الاسلامى ، يقوم على دعائم قوية ترمى الى المحافظة على دين الله وارواح الناس وأموالهم وأعراضهم وعقولهم فى حدود الرحمة والعدالة ، وهو فى اطار تحقيق تلك المقاصد يقوم على موازنة دقيقة تستهدف غايتين : المنع من ارتكاب الجريمة والتقليل من توقيع العقوبة •

فى سبيل تحقيق الغاية الأولى :

أوجد الاسلام البدائل المشروعة ويسر طرق الوصول اليها ، حتى لا يستبد بريق الجريمة الأخاذ بما ركب فى النفوس الضعيفة من غرائز تستحث على ارتكابها ، وما من محرم فى الاسلام الادلة ما يقابله فى اشباع الحاجة من البديل الحلال •

يلمس هذا من يستقرىء أنواع الجرائم فى

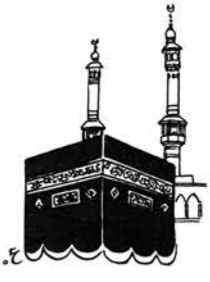

الفقه الاسلامى ، وعلى سبيل المثال ، فالحق سبحانه قبل أن يحرم الزنا أوجد له بديلا حلالا يشبع فى النفس الحاجة التى تدفعها الى ارتكاب الجريمة ، وهو النكاح ، وسهل طريق الوصول الى هذا البديل الحلال ، فما هو الا ايجاب وقبول وشاهدين ، ويتم العقد وتتحقق احكامه ، ولم يجعل الشارع من سلطان المادة• وقصر ذات اليد عائقا يمنع منه ، يقول صلى الله عليه وسلم : « التمس ولو خاتما من حديد وقال لمن أراد الزواج ولم يكن له مال ، وانما كان يحفظ بعضا من آى الذكر الحكيم : « زوجتكها بما معك من القرآن » • وهكذا أوجد الاسلام البدائل • وألغى العوائق ، وسهل طريق الحلال •

ولو أن المجتمع يفهم الاسلام فهما جيدا ، لألغى ما اختلقه البشر من مظاهر تسلط المادة فى الزواج ، والاسراف عند عقده ، فهى بعيده عن روح الشريعة الغراء وفهمها الصحيح •

وفى مجال المنع من السرقة : هيأ الاسلام فى المجتمع المناخ الصالح الذى يقتل فى النفس جرثوم الجريمة ويميت فيها النوازع الشاذة للمال الحرام • فأوجد فرص العمل الشريف ، ورعى الى السعى فى مناكب الارض بالزراعة والصناعة والتجارة ، وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى ، فسد بذلك أبواب البطالة والعوز ، وأكد حقوق الفقراء لدى الاغنياء ، لا تأكيد مَنٍّ واستجداء ، بل تأكيد حق يعضده الشرع ، وتؤازره الحرب ، وكانت حكومة أبى بكر الصديق رضى الله عنه هى أول حكومة تعلن الحرب لصالح الفقراء على من منعوا الزكاة ، كما أرسى للتكامل الاجتماعى مبادىء بلغت منتهاها . ووصل مداها الى الحد الذى جعل عمر بن عبد العزيز ينادى فى دولة الاسلام يوما من اعوزه الدين فسداد دينه على بيت مال المسلمين ، فلما سددت ديون الناس جميعا ، نادى ثانية : من كان يملك الرغبة فى الزوج • ولم يعط القدرة ، فمهره فى بيت مال المسلمين ، فسددت الديون ، وتزوج الشباب فلا جوع ولا عرى ولا حقد ، وهكذا سدت منافذ الجريمة •

وفى سبيل تحقيق الغاية الثانية :

قرر الفقه الاسلامى مبادىء دقيقة ، وضوابط أكيدة ، تمنع توقيع العقوبة على جان قد يتطرق الاحتمال الى براءته ، أو ينتاب اسناد الجريمة اليه أدنى شبهة •

تأمل قصة ماعز والغامدية اللذين ارتكبا الفاحشة ، وجاء الأول الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — مقرا بجريمته ، اربع مرات فى أربعة مجالس ، والرسول يرده ليذهب حيث لا يراه عساه يرجع عن اقراراه ، ولما رآه بعد هذا مستقرا على ما أقر به ، جعل الرسول يلقنه الرجوع ، ويطرح عليه خمس أسئلة من شأن كل واحد منها أن يفسح أمامه فرصة كاملة للعدول ، فلما أجاب عليها بما يقتضيها ،

الأمية الفقهية
وتقنين الشريعة الإسلامية

بات اسناد الجريمة اليه أمرا مؤكدا ، وأصبح تنفيذ العقوبة أمرا لازما . حينئذ أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — به ، فرجم ما عز، قالوا : ولما أحس ألم الحجارة ترك الحفرة وحاول الفرار ، فلاحقه المنقذون ، ونقلت واقعة فراره الى المبعوث رحمة للعالمين ، فقال: هلا تركتموه ليتوب فيتوب الله عليه ! ، وفي هذا الصدد قرر الفقهاء : أن المقر بالزنا اذا عدل عن اقراره قبل الحد أو فى وسطه قبل اقراره وخلى سبيله ، راجع الهداية ج ٢ ص ٩٦ •

وقد حصل مع الغامدية ما حدث لماعز ، لكنها كانت حاملا ، فأمهلها صلى الله عليه وسلم مرة حتى تضع حملها ، وثانية حتى يفطم طفلها ، فلما جاءت به ، وفى يده كسرة من خبز أقام الرسول عليها الحد •

وهكذا •• فالفقه الاسلامى لا يتصيد الناس بالعقاب كما يفهم البعض ، لأن له نظاما عقابيا متكاملا ، هذه بعض سماته ، وتلك هى مفاتيح الرحمة فيه •

ثالثها : يقوم على الفهم الواعى لمبادىء الفقه الاسلامى • والتخصص فى مختلف أبوابه وفروعه من رجال تفرغوا له وعكفوا على دراسته : هم الفقهاء والباحثون فى ميدانه العظيم ، لكن نسبتهم قليلة فى ساحة من يعنون بالفكر الاسلامى عامة ، وبالتالى فان الانتاج العلمى المتخصص والذى يقوم على الدراسة المنهجية مازال فى حاجة الى استكمال، ولازالت هناك موضوعات كثيرة ينقصها التأصيل الفقهى ، ورأى الفقهاء القاطع ، ومنها على سبيل المثال : أعمال الجمارك والسمسرة• وأنشطة البنوك ، وغير ذلك من الموضوعات التى تنظم بقوانين وضعية ، فتطبيق الشريعة الاسلامية يعنى أول ما يعنى ، ايجاد البديل الشرعى لكل هذه الموضوعات بأسلوب واضح وتفكير منظم ، حتى لايتعذر التفسير ، ويتعثر القاضى فلا يجد فى المكتبة الفقهية ما يسعفه •

الأمية الفقهية ومنهج الدعوة الحاضر :

هذه هى المشكلة • وتلك هى مظاهرها ، التى لا يجب أغفالها فى وقت بدأت النية تتجه فيه اتجاها صادقا نحو شريعة الله للاحتكام اليها ، وهذا جدير بأن يستحث كل من يملك التحدث باسم الاسلام فى أى منفذ من منافذ اعلامه ، أن يقدم للناس الجانب العملى للشريعة ، والصورة المتكاملة للفقه الاسلامى • فى عباداته ومعاملاته ، فى مرونته وشموله لكل سلوك يصدر ، ولكل فعل يحصل من أمور الدين والدنيا ، للحياة ولما بعد الحياة ، فلا يوجد عمل الا وقضى الشارع فيه بالحل أو بالحرمة•

لكن أين هذا ، وما تسمعه من الخطباء على المنابر ، وتقرؤه من موضوعات فى المجلات

الأمية الفقهية
وتقنين الشريعة الإسلامية

الاسلامية ؟ اعط سمعك لما يقال فوقها ، وقلب نظرك فيما ينشر على صفحاتها ، واصبر نفسك على ماتراه منها وتسمعه، وابحث عن موضوعات الفقه الاسلامى — وهى موضوع الساعة فلن تجد منها الا النذر اليسير .

فهل يتفق ذلك الاهمال لجانب أحكام الحياة فى شريعة الله مع منهج الدعوة اليها كما أراده الحق سبحانه ، ورسمه لسيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ذلك ما نود أن نلمسه تحليلا .

الدعوة الى الله منهج وغاية :

ان من يتأمل جوهر الدعوة الى الله على ضوء ما ورد لشأنه فى القرآن الكريم من آيات ، يدرك أنها تقوم على ركنين أساسيين : هما منهج الدعوة ، وغايتها :

أما المنهج : فهو تبليغ الرسالة ، واعلامها للناس ، كما امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، عقيدة ، وشريعة ، عبادات يتقربون بها الى ربهم . ومعاملات ينظمون بها شئون حياتهم ، وقد امر الله نبيه ان يبلغ منهج ربه كاملا ،ودون اهمال لجانب على حساب آخر فيه، وذلك فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم .

قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** » المائدة : آية ٦٧ ، وقال تعالى : « **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » النحل : آية ٤٤ ، وقال تعالى : « **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » العنكبوت : آية ١٨ .

« والمنهج هو الحد الذى ينبغى ان يقف عنده طموح أى داعية ، لأنه القدر الذى رسمه الله لنبيه . ولن يكون هناك داعية أعظم منه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** » الشورى : آية ٤٨ ، وقال تعالى : « **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » النور : آية ٥٤ ، وقال تعالى : « **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » المائدة : آية ٩٢ ، وقال تعالى : « **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » التغابن : آية ١٢ ، وقال تعالى : « **فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ** » النمل : آية ٩٢ ، وقال تعالى : « **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ** » **الغاشية:** آية ٢١ وقد فطر الله الخلق على منهج دينه القيم ، فاذا ما بلغ اليهم كاملا على نحو ما أراد الله ، أثمر واتصل نوره بالقلب ، وأضاء فيه نور الايمان ، قال تعالى : « **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** » الروم : آية ٣٠ .

أما غاية الدعوة : فهى الهداية وخلق الاعتقاد فى القلب ، وأمرهما لا يدخل تحت قدرة البشر وانما تنفرد به ارادة الخالق سبحانه . لا يشاركه فيه احد من خلقه أيا كان ، يقول الامام محمد عبده : فى تفسير قول الله تعالى : **« لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ »** الغاشية : آية ٢٢ : حدد الله الأمر الذى بعث لأجله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم . وليس فى سلطانه عليه السلام أن يخلق الاعتقاد فيهم ، ولا من المفروض عليه ان يقوم رقيبا على قلوبهم لأن الله هو المسيطر عليها ، وصاحب السلطان على ما تسر ، وهو الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال تعالى : **« وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ »** الأنفال : آية ٢٤ . وقد بين الحق سبحانه هذا المعنى لنبيه فى أكثر من آية ، قال تعالى : **« لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ . وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ »** البقرة : آية ٢٧٢ ، وقال تعالى : **« إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ »** القصص : آية ٥٦ وقال تعالى : **« إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ »** النحل : آية ٣٧ . وقال تعالى : **« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »** يونس : آية ١٠٠ ، وقال تعالى : **« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »** يونس : آية ٩٩ وقال تعالى : **« إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا »** الكهف : آية ٥٧ ، وامتن المولى على نبيه بأنه هو الذى الف بين قلوب المؤمنين وخلق فيها روح الألفة والمحبة ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يفعله حتى ولو انفق أموال الأرض جميعا ، قال تعالى : **« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ »** الأنفال : آية ٦٣ ، وقال تعالى : **« وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا »** السجدة : آية ١٣ .

تلك هى ركائز الدعوة ، وذلك هو مضمونها، ووالله لو أن القائمين على أمرها ، انتزموا حدود المنهج فأتقنوه ، عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات ، ثم قدموه للناس نظاما متكاملا للدين والدنيا ، لنجحوا فى مهمتهم ، ولأثروا عقول الناس بالفهم الصحيح للاسلام وما تحويه شريعته الغراء من مبادىء وأحكام .

أما حاجة الفقه الاسلامى ، الى مجلة راقية يختص بها ، وتنفرد بنشر أبحاثه ، وتتابع قضاياه وموضوعاته ، فى اطار من الموضوعية ، والتخصص ، فقد أصبحت ماسة .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » الأنفال: آية ٢٤ .

صدق الله العظيم .

عبد الله مبروك النجار

رد على كتاب :

الخمرة ذات

كنا نظن أن حديث الخمرة قد بلغ مداه ، فلم تعد هناك حاجة الى ايضاح مفاسدها،بعد أن شاعت أخطارها الماحقة فى تحطيم الفرد جسميا وانهيار المجتمع أخلاقيا ولكن الذين يجندون الخمرة لم ييأسوا من الدعاية لها فى منطق تأثيرى لا يواجه القارىء مواجهة سافرة ، حيث يكون الحديث خالصا للخمرة بل يأتى فى طيات أحاديث أخرى وهذا منحى خطر من مناحى التأثير النفسى ، اذ يوهم القارىء أن الكاتب لا يدعو الى شىء كريه ، وانما يذكر تجارب صحيحة ، قد آمن بنتائجها فهو يذيعها ليستفيد منها الناس ، ومن هذه التجارب المزعومة نجاح الخمرة فى تهدئة الاعصاب ووقف تصلب الشرايين وانتفاع المسنين من المعمرين بأثرها الطبى الحميد ! هكذا يزعمون !

وقد انتشر بين القراء كتاب (حياتنا بعد الخمسين) للأستاذ سلامة موسى ، وتعددت طبعاته ، وللكاتب شهرة تجعل مؤلفاته كثيرة التداول ، وقد تحدث عن أثر الخمرة فى صلاح النفس والجسم معا فى مواضع كثيرة من الكتاب ! ، لم يكتف بموضع أو موضعين بل جعل يبدىء ويعيد فى تسجيل ما يزعمه من منافع الخمرة ، وهذا التكرار الممل مما يسقط الاسلوب الكتابى لدى الناقد الادبى ، ويخيل الى أن المؤلف لا يهمه أن يوصم بالتكرار الممل فى الأسلوب ، ولكن يهمه أن يدعو الى تمجيد شراب منكر حرمه الاسلام ، فهو لايفتأ يتحدث عن أهمية الخمر ملخصا مكررا ، ومعى الطبعة الأخيرة من كتابه وقد صدرت عن دار المعارف فى سلسلة اقرأ رقم (٣٧٢) وقد تكرر بها الحديث عن جدوى الخمر فى صفحات ١٩ ،

للدكتور محمد رجب البيومي

خطر محقق

٢٣ ، ٢٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ وغيرها من الصفحات ، حتى لكأن هناك اصرارا من الكاتب على أن تكون الخمرة علاجا شافيا من الأوصاب ولو أنه اقتصر على فصل واحد يعدد فيه ما توهمه من محاسن ، لاستطاع القارىء الحصيف أن يلمح وجوه الخطل فيما يقرر ، ولكنه يكتب بأسلوب اعلامي ولو سرت مع الدقة لقلت بأسلوب تهريجي — يعتمد على الاثارة الانفعالية لاعلى الاقناع السديد — والى القارىء نماذج مما قال : جاء فى ص ٨٠ (بقيت كلمة هنا أقولها عن الخمور ، وهى أنها ضرورية لكل من جاوز الستين لأنها توسع الشرايين فى الشيخوخة ، جميع الأوربيين يشربونها ، وهم أطول أعمارا وأحسن صحة منا ، ثم هى تفكك العقد التى تحدثها مشكلات الحياة ، كما أنها تجعلنا نستغرق فى نوم عميق طول الليل نستيقظ فى صباحه ونحن منتعشون بعد الراحة) وجاء فى ص (٦٧) تكرير هذا المعنى بأفكاره دون ألفاظه ، وكان فى أحد القولين ما يغنى دون الآخر اذ لا جديد ، والتكرار معيب فى الحديث العادى فكيف فى كتاب علمى؟ وجاء فى ص (٦٣) : أن المدمنين أنفسهم لا تنقص أعمارهم عن المتنعين ، وعلى القارىء أن يتذكر معارفه وأصدقاءه ممن كانوا يشربون الخمر لكى يقف بنفسه على الحقائق • الى مثل هذا اللغو وهو كثير كثير •

وفى ص ٢٥ : أن الشاعر خليل مطران ، نحيف ضامر يتأنق كل يتأنق فى طعامه ولكنه يأكل كأنه عصفور ، وقد قال لى ذات مرة أن جملة ما يأكله فى العام كله لا يزيد على رغيفين، وهو أقل من رأيت من الناس طعاما وعشاؤه كأس من الخمر مع ما يتنقل به معها من لقيمات لذيذة •

خطر محقق

وليس المجال مجال تتبع لكل ما قال الأستاذ سلامة موسى ، ولكننا نذكر الخلاصة التى تكررت معانيها دون جديد لنجهز عليها بالدليل، ولن نذكر فى مجال التنفير ماقاله رجال الاسلام من ذوى الاختصاص لأن هؤلاء المكابرين يعدون أقوالهم دفاعا عن عقيدة يضطرون للايمان بها ، وتأييدا لكتاب يدينون بأنه جاء من عند الله ، ولو كانت لديهم ذرة من انصاف لنظروا الى القول لا الى القائل ولواجهوا الأدلة مواجهة فكرية تؤمن بالمنطق السديد : ولا تتلمس التعلات المريضة لتدحض الحق بالباطل ، أجل لن نذكر ما قاله رجال الاسلام من ذوى الاختصاص ولكننا نذكر ما قاله أفذاذ الباحثين من رجال العلم الأوربى حين واجهوا المسكرات بعامة مواجهة موضوعية فعرفوا خطرها الذريع على الأفراد والشعوب وعقدوا المؤتمرات السنوية فى أمريكا وفرنسا وبلجيكا ليتحدثوا عن مضار الخمور صحيا ونفسيا واجتماعيا ؟ وبديهى أن هؤلاء المسيحيين الكبار لن يتهموا بممالأة الاسلام ، وفى أقوالهم ما كان يجب أن يعيه مؤلف (حياتنا بعد الخمسين) لأن مثله لا يجهل من هؤلاء ؟

لقد أجرى هؤلاء الباحثون عدة تجارب على الحيوان والانسان ، وثابروا كل المثابرة على معاودة هذه التجارب ، وتكرارها ليطمئنوا الى ما لا تزيد وراءه من التحقيق وسننقل هنا بعض ما أجروه من البحوث ، وقام بتسجيله الأستاذ محمد أحمد الغمراوى فى عددى ١٠٣ ، ١٠٩ من مجلة الثقافة الصادرين فى ١٧/١٢/١٩٤٠ و ٢٨/١/١٩٤١ وللأستاذ الغمراوى مقالات أخرى شافية تكشف ما اهتدى اليه العلم فى تشخيص مضار الخمور وليتها تجمع فى كتاب .

(أ) ان الذين يقولون أن الخمرة تطيل العمر وتهدى المرض فى الشيخوخة وهو ماألح عليه الأستاذ سلامة موسى فى أكثر من موضع يجب أن يعلموا أن العلامة الأمريكى (الدكتور استوكارد نشر بحثا علميا ضمنه خلاصة تجاربه العلمية ممهدا بما بذله من الاحتياطات كى يحصل على النتائج الصحيحة ، وقد ذكر أنه أجرى بحوثا شملت (١٣٠٠) أرنب تشمل خمسة أجيال سقى نصفها الكحول وترك النصف الآخر ، فوجد الأجيال المتفرعة من أصول سليمة لم تذق الكحول قد عاشت عيشة طبيعية ، ولم يكن فى خلقة أحد منها تشويه ما) أما الأجيال التى نسلت من أصول كحولية فكانت مع قلة عدد أفرادها ضعيفة ذات تشويه واضح ، وكان التشويه أظهر منه فى كل جيل يتأخر .

(ب) ان العلامة الدكتور (برتوليه) السويسرى قد تخصص فى بحث الأثر الهادم للغدد التناسلية من جراء الكحول ، فقام بتشريح غدد المئات من الموتى ذكورا واناثا

ممن يشربون الكحول ومن يمتنعون ، فوجد انضمارا وتقلصا فى الغدد التناسلية للكحوليين وعرض النتيجة على هيئة علمية فقررت أن الغدد التناسلية أشد الأعضاء تأثرا بالكحول ، وان نسبتها فى السائل المنوى أشد ارتفاعا حتى تبلغ أحيانا ما يقرب من مثلها فى الدم ، وبناء على ذلك فان الحيوان المنوى يتأثر بالكحول ولو حدث حمل أثناء السكر ، لجاء الطفل مصابا بعاهة ظاهرة فى الجسم أو باطنه فى النفس ، وقد تتبعوا الاحصائيات المحصة فوجدوا نسبة الأغبياء فى أولاد المدمنين كثيرة جدا بالنسبة لأولاد الممتنعين ، وقد قام بهذه الاحصائيات الدقيقة أعلام كبار من رجال الطب فى مقدمتهم الدكتور الأمريكى (مكنول) وله مؤلف ضخم يجمع هذه الاحصائيات مشفوعة باستنتاجه الدقيق •

(جـ) أجرى العلامة الدكتور (باركس) تجربة على عدد من الجنود متماثلين فى العمر والبيئة والمعيشة اذ حدد لهم عملا يعملونه ، وقسمهم الى طائفتين ، طائفة أباح لها أن تشرب الخمرة أثناء النهار وطائفة حرم عليها الشراب فوجد أن الطائفة التى تشرب تنشط قليلا عند الشراب ثم يأخذها الفتور فتمضى اليوم متثاقلة أما الطائفة الأخرى فتستمر على قدر متناسب من العمل وتنتج أكثر من الطائفة الشاربة ثم رأى الدكتور أن يعكس الوضع فشرب من لم يشرب وامتنع من شرب فى يوم آخر فكانت النتيجة كالاولى ينشط الشاربون بدءا ثم يكسلون ولا ينتجون ماينتظر ويمضى الممتنعون فى عملهم الطبيعى دون مفارقة وينتجون الكثير ويأخذون أجرا أكثر لان الجزاء بقدر الانتاج ولعل الذين قرأوا كتاب الاستاذ سلامة موسى يعاودون هذه النتائج ويرجعون الى مصادرها فى أبحاث العلماء ليهتدوا الى الصواب •

ونحن نذكر أن الولايات المتحدة قد حرمت الخمرة فى الفترة ما بين سنتى ١٩١٩ ، و ١٩٣٣ للسبب الآتى ، لأن الكبار من رجال الأعمال قد لمسوا ظاهرة البطء الكسول فى الانتاج لدى من يتعاطون الخمور ، وكان المستر هنرى فورد صاحب مصانع فورد الشهيرة من أقوى المنادين بتحريم الخمر ، اذ لمس لمس العيان أن الخمر تذهب بقوى العمال ، وتراخى من نشاطهم تراخيا لا يتفق واطراد الانتاج وأنه لاعلاج للكساد الاقتصادى بغير البعد عن المسكرات بعامة والخمرة فى طليعتها ، وما كادت صيحة المستر هنرى فورد تتردد فى آفاق الولايات المتحدة حتى جاوبتها صيحات المؤيدين من أصحاب الزراعة فى الجنوب ، اذ لاحظ القائمون على استثمار الارض أن الفلاحين المدمنين يتكاسلون عن العمل تكاسلا يذهب بخير الأرض وأن حالتهم النفسية تنحدر الى هوان وضيع يهوى بالكرامة الانسانية تصرفا وسلوكا ، وقد نجحت هذه الصيحات الجادة فصدر قانون التحريم ! ولكن المتجرين بالخمور قد ألفوا العصابات السرية لتهريب الخمور كما نرى اليوم فى عصائب المخدرات فأخذت قوى الشر تجلب الخمور من أوربا وأفريقيا فى المستعمرات الكرمية ذات

الخمرة خطر محقق

المساحات الشاسعة ، لأن القائمين على الزراعة هناك قد رأوا أن يستغلوا الموقف للكسب الحرام فأكثروا من الكروم اكثارا ، وأداروا عمليات التهريب ، فشغلوا الأمن الامريكى اذ أنشئت أساطيل هائلة لا عمل لها غير توريد ما حرمه القانون حتى اضطرت الحكومة بعد أربعة عشر عاما الى تحريم التحريم ، وأظهر رجال المصانع استياءهم البالغ لما حدث ، وأنشئت الجمعيات الخيرية داعية الى الاستمرار فى مكافحة هذه السموم ومانظن أن حركة شديدة كهذه كانت بغير هدف حيوى واضح التدليل ، حتى نتجاهل الحقائق السافرة حين نعلن أن الخمر ذات نشاط وحفز واقبال .

وقد تحدث الأستاذ سلامة موسى عن الشاعر خليل مطران بما يخالف الواقع مخالفة تامة ! واذا كان حديثه عن عارفيه جميعا ينحو هذا المنحى المتجنى على الحقائق فعفاء على ماكتب فى كل مؤلفاته ! لأن أصدقاء مطران جميعا يعرفون أنه كان يشرب الخمر فى شبابه ثم أصيب بانتكاسه صحية قاسية هدته الى أن يترك الخمر بعدها ، فامتنع فى كهولته عنها امتناعا صارما ، وقال فى ذمها قصيدة شهيرة جمعت بين ما جمع من شعره فى الجزء الرابع ص ١٩٤ والديوان منتشر ذائع فليقرأ المنصفون قوله من قصيدته .

دع الخمر نصح أخٍ إنها
لتوهى القلوبَ وتُردى النُّهَى
وحيث وجدت دمارًا وبؤسا
ولم تدر مأتاهُما ظَنَّها
أما هى تلك التى أضعفت
شعوبا ، ودكّت بها مُدْنها
وكلٌ أولي العزم قد سبَّها
وما فى ذوى الحزْم من سنَّها
طلاقا لشمطاء توُهى القوى
وتثكل أمّ الوحيد ابنها
طلاقا بتاتا بلا رجعةٍ
وحسب امرىء جنةً جنها

ولعل الشاعر الكبير كان يرد على أمثال سلامة موسى حين قال :

ولا تقبلوا ترهات غواة
ترى سوءها وترى حسنها
تعظم عن سفهٍ نفعها
وترفع من صنعةٍ شانها
أليس لوفرة أرزائها
تجوّز خالقهُا لعنها

ولغير مطران فى الخمر شعر ثالب ذام ! ولاننكر أن الماجنين من الشعراء قد أسرفوا فى مديحها ! ولكننا نمنع أن تستشهد بمطران فى هذا المجال وكأنه من كبار الدعاة .

دكتور محمد رجب البيومى

هكذا سُئِلَ الرسول ﷺ في حَجَة الوداع

للدكتور مصطفى محمد أبو عمارة

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى دين الله فى مكة والمدينة ، واستغرقت دعوته ثلاثة وعشرين عاما ، لم يتمكن رسول الله خلالها من الحج سوى فى العام العاشر من الهجرة .

على خلاف بين العلماء هل حج رسول الله قبل الهجرة أم لا ؟ وقد جاء فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما الذى أخرجه مسلم وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنيين لم يحج ، ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله حاج ، فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله

.. هكذا سئل

صلى الله عليه وسلم (١) ، فلما سمع الناس باستعداد رسول الله وافاه فى الطريق خلائق لايحصون ، بلغ عددهم كما يقول أبو زرعة الرازى : مائة ألف وأربعة عشر ألف حاج ، كانوا من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، من البصر ، وأبو زرعة الرازى الذى ذكر هذا العدد يقول عنه النووى : لم يحفظ أحد من حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حفظه (٢) .

وكانت هذه الحجة الفريدة التى حجها رسول الله صلى الله عله وسلم فرصة سانحة أمام أكبر عدد من المسلمين سألوا فيها قائدهم عما يعن لهم من مشكلات ، ويستوضحون فيها أمور دينهم ، وسأعرض بعضا من تلك الأسئلة التى وجهت للرسول صلى الله عليه وسلم وأجاب عنها ، فكانت اجابته ارشادا وتوجيها للمسلمين .

*** السؤال الأول :**

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة (٣) ،نفست (٤) أسماء بنت أبى بكر وولدت محمدا فأرسلت الى الرسول تسأله : كيف تصنع ؟ فقال : اغتسلى واستثفرى (٥) بثوب وأحرمى .

فأفاد رسول الله فى اجابته : أن المرأة النفساء تغتسل للاحرام ، ويصح منها هى والحائض جميع أفعال الحج الا الطواف بالبيت .

*** السؤال الثانى :**

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال يارسول الله : مايلبس المحرم من الثياب ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا يلبس القميص ، ولا العمائم ، ولا السراويلات ، ولا البرانس ، ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين ، فليلبس خفيه وليقطعهما أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا من الثياب شيئا من زعفران أو ورس (٦) . ولا تنتقب المرأة الحرام ، ولا تلبس القفازين (٧) .**

وهذا السؤال يشعر بأنه كان فى المدينة قبل الاحرام ، ولم يعرف اسم السائل .

وقد أفاد هذا الحديث عدة محظورات من الملبس يحرم على المحرم استعمالها ، وهى ، **القميص** والمراد به كل ما يحيط بالبدن ، **والعمامة** : المراد بها كل ما يحيط بالرأس .

والسروال . معروف ، **والخف** : المراد به كل ما يستر الرجل ، **والبرانس** : المراد به كل ثوب رأسه لاصق به .

ونهى الرسول أيضا عن لبس الثياب التى يوضع عليها الطيب أثناء الاحرام ، .

وجاء النهى أيضا عن أن تلبس المرأة

---

(١) مسلم جـ٨ ص ٢٣٦ كتاب الحج باب حجة النبى .
(٢) المجموع للنووى جـ ٧ ص ١٠٥ .
(٣) اسم مكان بأطراف المدينة أحرم منه النبى .
(٤) أى جاءتها الولادة .
(٥) أى تشد فرجها بقماشة عريضة متينة وتوثق طرفيها فى شىء تشده على وسطها .

(٦) نبات أصفر طيب الرائحة يصبغ به .

نقابا ، أى لا ينبغى للمرأة أن تستر وجهها بالنقاب ، كما لا ينبغى لها أن تلبس القفازين أى (الجاونتى) فى يديها .

* **السؤال الثالث** : عن جابر رضى الله عنهما قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال : هو صيد ، ويجعل فيه كبش اذا صاده المحرم . أخرجه أبو داود فأشعر هذا الحديث أن المحرم اذا صاد الضبع أثناء احرامه لزمه ذبح كبش .

* **السؤال الرابع** : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم : فقال يارسول الله : ما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

* **السؤال الخامس** : لما انتهى الرسول من سعيه قال : لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى ليحل وليجعلها عمرة .

فقام سراقة بن مالك فقال يارسول الله : ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين ، بل لأبد أبد . فقول الرسول : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت .. الخ دليل على جواز فسخ الحج ، وقوله : **(دخلت العمرة فى الحج)** دليل على جواز فعل العمرة فى أشهر الحج ، وردا لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن العمرة فى ذى الحجة من أفجر الفجور .

* **السؤال السادس** : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ضباعة بنت الزبير أتت للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : انى أريد الحج أفأشترط ؟ فقال : نعم ، قالت كيف أقول ؟ فقال قولى : لبيك اللهم لبيك ، محلى من الأرض حيث تحبسنى .

فأفاد هذا الحديث أن الانسان الذى به علة وأراد الحج ، له أن يشترط فى احرامه أى أنه اذا اشتدت به العلة فى أى مكان من الأرض أثناء الحج له أن يتحلل من احرامه ولا اثم عليه .

* **السؤال السابع** : عن عبد الرحمن ابن يعمر أن ناسا من أهل اليمن أتوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة فسألوه : كيف الحج : فأمر مناديا فنادى : الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة . فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه . أخرجه أبو داود والترمذى .

فأفاد هذا الحديث أن من أدرك عرفة قبل طلوع فجر يوم النحر فقد أدرك الحج ، والا فاته .

* **السؤال الثامن** : عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امراة من جهينة جاءت الى

هكذا سئل

النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان امى نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفاحج عنها ؟ قال نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء . أخرجه البخارى

فأرشد هذا الحديث الى جواز الحج عن الميت ، وحج البنت عن أمها المتوفاة .

* **السؤال التاسع :** عن أبى رزين العقيلى قال : قلت يارسول الله : ان أبى شيخ كبير لايستطيع الحج والعمرة والظعن ، قال : حج عن أبيك واعتمر . أخرجه النسائى

أفاد هذا الحديث جواز النيابة فى الحج لمن فقد شرط الاستطاعة .

* **السؤال العاشر :** عن خال أبى سويد قال : لقيت النبى صلى الله عليه وسلم بين عرفة والمزدلفة ، فأخذت بخطام ناقتة ، فقلت : ما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ فقال : أما والله لئن أوجزت المسألة لقد أعظمت وطولت . أقم الصلاة المكتوبة ، وأد الزكاة المفروضة ، وحج البيت ، وما أحببت أن يفعله بك الناس فافعله بهم ، وما كرهت أن يفعله بك الناس فدع الناس منه ، خل عن خطام الناقة . ذكره الطبرى فى القرى وعزاه الى أبى ذر .

* **السؤال الحادى عشر :** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاء رجل فقال يارسول الله : لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر ، فقال اذبح ولا حرج ، ثم جاءه رجل آخر فقال يارسول الله : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى ، فقال : ارم ولا حرج ، .

قال : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء قدم ولا أخر الا قال : افعل ولا حرج .

فدل هذا الحديث على جواز التقديم والتأخير فى أعمال يوم النحر .

* **السؤال الثانى عشر :** عن أبى أمامة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الجمرة الوسطى ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر أخرجه ابن ماجه والطبرانى .

* **السؤال الثالث عشر :** عن حفصة رضى الله عنهما قالتقلت للنبى صلىالله عنيه وسلم : ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك ؟

قال : انى قلدت هديى ، ولبدت رأسى فلا أحل حتى أحل من الحج .

فدل هذا الحديث على أن القارن لا يتحلل من احرامه حتى يتحلل الحاج المفرد ، فالقارن لا يتحلل بالطواف والسعى ، بل لابد من الوقوف بعرفة والرمى والحلق والطواف تماما كما يفعل الحاج المفرد .

* **السؤال الرابع عشر** : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى ركبا بالروحاء فقال : من القوم ؟ قالوا : المسلمون ، فقالوا : من أنت ؟ قال : رسول الله ، فرفعت امرأة صبيا فقالت : ألهذا حج ؟ قال نعم ولك أجر • أخرجه مسلم

فدل هذا الجواب على جواز الحج عن الصبيان وثبوت الأجر لهم وبهم ، وكان هذا اللقاء — لقاء الركب بالرسول — ليلا ولذا لم يعرفوا الرسول ، ويحتمل أن يكون نهارا ولكنهم لم يعرفوا الرسول لحداثة اسلامهم •

* **السؤال الخامس عشر** : عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ارحم المحلقين • قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال : اللهم ارحم المحلقين • قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال : والمقصرين • أخرجه البخارى ومسلم

والشاهد فى هذا الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو للمقصرين من المحلقين •

* **السؤال السادس عشر** : عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الحج أفضل ؟ قال : العج والثج • أخرجه الترمذى وقال حسن غريب •

والعج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : اراقة الدماء •

* **السؤال السابع عشر** : بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه بين مكة والمدينة ، ولما كان بموضع يقال له القاحة ، عرض لأصحابه مشكلة صيد فاستفتوا فيها الرسول •

فعن أبى قتادة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا ، وخرجوا معه ، فصرف طائفة منهم فيهم أبو قتادة ، فقال : خذوا ساحل البحر حتى نلتقى ، فأخذوا ساحل البحر ، فلما انصرف أحرموا كلهم الا أبو قتادة لم يحرم (١) فبينما هم يسيرون اذ رأوا حمر وحشى فحمل أبو قتادة على الحمر فعقر منها أتانا (٢) فنزلوا فأكلوا من لحمها ، وقالوا : أنأكل لحم صيد ونحن محرمون ؟

---

(١) جاء فى رواية (الا أباقتادة) بالنصب لانه مستثنى من كلام تام موجب أمام الرفع فعلى اعتبار الا بمعنى لكن ، وأبو قتادة مبتدأ ، ولم يحرم خبر •

(٢) أتانا : أى أنثى •

فحملنا ما بقى من لحم الأتان ، فلما أتوا رسول الله صلى النه عليه وسلم قالوا : انا كنا قد أحرمنا وقد كان أبو قتادة لم يحرم ، فرأينا حمر وحشى فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتانا ، فنزلنا فأكلنا من لحمها ، ثم قلنا : أنأكل لحم صيد ونحن محرمون ؟ فحملنا ما بقى من لحمها ، قال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها ؟ قالوا : لا ، قال : فكلوا ما بقى من لحمها (١) • أخرجه البخارى فأرشد هذا الجواب الى أن المحرم يباح له أكل الصيد مادام لم يساعد على صيده بقول أو بفعل ، وفيه اشارة الى أن المحرم لا ينبغى له أن يشير الى الصيد يصطاده الحلال •

وهناك أسئلة كثيرة غير ما سبق ذكره أحجمنا عن ذكرها خشية السآمة فى الطول وهكذا يتبين لنا أن حجة الوداع كانت ارشادا وتوجيها للمسلمين •

أضف الى ذلك الخطبة الجامعة التى ألقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته هذه على هذا الجمع الحاشد ، سواء فى يوم عرفة ، أو فى يوم النحر ، وقد بين النبى فى هذه الخطبة عدة أمور :

أولا : حرمة الدماء والأموال والأعراض •

ثانيا : اهدار الثأر وحرمة الربا •

ثالثا : حقوق الناس : ما لهن وما عليهن •

رابعا : دعوة الى الاعتصام بالكتاب والسنة •

خامسا : اشهاد الله والناس على تبليغ الرسالة •

وهكذا أعلنت حقوق الانسان وحفظت كرامته من خلال هذه الخطبة الجامعة التى رسمت الطريق ، وحددت المعالم وبينت حدود الله •

دكتور
مصطفى محمد أبو عمارة

(١) الاصح أن هذا كان فى عمرة الحديبية •

3

من حضارة الإسلام

● الأزهر في الجزر البعيدة

● فلسفة السعادة في الإسلام

● الدين ضرورة حتمية

● الصراع الحضاري في مجال نقل العقائد والآراء

الأزهر

بعض المشاهد .. والعادات .. والتقاليد

لو يعلم الازهر الشريف ما يلقـــاه أبناؤه وممثلوه من ترحاب وتكريم وحسن استقبال فى هذه الاقطار البعيـــدة ـ الشرق الأقصى ـ لأرسل فى كل يـــوم ممثلا له ، ليلمس بيده نبضاتَ القلـــوب المفعمة بالحب والوفاء والولاء والتقدير لهذا الأزهر المعمور ، الذى لمست كـــل أقطار الدنيا فضله ودوره فى ســـبيل الحفاظ على دين الاسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولغة القـــرآن والعقيدة الحقة منذ أكثر من ألف عام .

ولعل مولانا الامام الاكبر فضيلة الدكتور شيخ الازهر ، قد لمس بيده نبضات هـــذه القلوب الحبيبة التى التقى بها فضـــيلته فى أقطار .. باكستان .. ماليزيا .. اندونيسيا وقد كان أمل مسلمى فيلبين أن يصـــل ركب فضيلته كذلك الى جنوب جزر الفيلبين .. التى أتناول ذكرها مع الاخوة القراء فى هذه السطور .. وفى سطور أخرى سبقت . وعندها تتكامل الصورة ، وتعم الفرحة مسلمى الشرق والأقصى عامة .. وبالأخص أصحاب الجراح وضحايا التعصب المسلح فى أقصى جنوب جزر الفيلبين .. ولايزال الامل يحدوهم فى أن ينالوا قسطا من عطف الأزهر الشريف مستقبلا كالذى ناله اخوتهم فى الأقاصى شعوب الدول الثلاث التى زارها فضيلة الامام الاكبر فى رحلته الاخيرة.

وقبل أن أبدأ رحلتى مع القارىء العزيز .. على صفحات مجلة الازهر .. أقـــول : اننى تركت باب التعبيرات الأدبية .. الى غيرى من الأدباء والشعراء .. وأهل الفضل فى ذلك .. كما تركت أبواب العلوم والفنون الى من هم أكفأ منى فى عرضها .. أما أنا فقد اخترت لغة

فى الجزر البعيدة

من يوميات مبعوث أزهرى

عند مسلمى الفيلبين «

بقلم إسماعيل عبده الشال

بسيطة لأنها صدرت من قلبى •• وقد احتبستها فى نفسى منذ عودتى من جزر الفيلبين عام ١٩٦٥ م •• وأردت الآن أن أفصح عنها •• علها تنير الطريق أمام مسافر •• أو دارس للمنطقة الاسلامية أو مبعوث الى هذه الاقطار البعيدة •• أو يتلقفها طالب فيلبينى •• محب لوطنه •• فتكون اشارة لهم على الطريق •• ان أرادوا اصلاح الأحوال فى بلادهم .

وما حملنى على كتابة هذه الصفحات •• الا أننى قرأت كل ماكتب عن الفيليبين •• فى الصحف •• وماكتبه الاستاذ أنيس منصور فى كتابه •• وماكتب غيره •• ولكنى وجدت أن ماعندى يعبر فى صدق •• لأننى قد عايشت المسلمين فى هذه البلاد •• ولذا كتبت عنهم •• بعد أن بذلت معهم جهدا من البلاء •• فى سبيل خلق جو أفضل •• وحياة أعز •• بذلك تكمل الصورة التى أنقلها عن مسلمى الفيلبين •• وبعدها ان قدر الله لى لقاء آخر •• سآخذ بيد القارىء فى رحلات أخرى الى جزر اندونيسيا ، وهى بلاد تحبنا ونحبها •• بعد حصولها على الاستقلال فى أعقاب حرب فلسطين •• ومن الله أستمد العون •• ومنه أطلب التوفيق ••

وهيا بنا مع يوميات مبعوث أزهرى .

ليال •• فى مانيلا •• العاصمة

كان من المقرر أن أصل مانيلا فى يوم الاثنين ٨ اكتوبر ١٩٦٢ •• حسب الخط الذى رسمته لنا شركة مصر للطيران •• وأننا سنتخلف ليلتين فى (بانكوك) للراحة •• على نفقة الشركة •• وأن مندوب الشركة فى تيلاند

● فى الجزر البعيدة

بعض المشاهد .. والعادات .. والتقاليد

« الأستاذ فوزى » سيكون فى انتظارنا ليسهل لنا كل صعب ، وسيرشدنا الموظف المصرى الى الهوتيل الذى سننزل به ليلتين ، فى بانكوك عاصمة تيلاند .. أو سيام .. أو بلد الأفيال .. وحينما هبطت بنا الطائرة فى مطار بانكوك .. سألنا عن مكتب شركة الطيران .. وعن الاستاذ فوزى .. الذى لقيناه بعد جهد .. وكان العجب أنه لايعرف عن وصولنا أى شىء .. وسرعان مازاغ منا فى هذا المطار الفسيح .. وتركنا لاندرى كيف نعمل وما حولناه من عملة لايكفينا ليلتين .. على نفقتنا .. كما أن المامى وقتها باللغة الانجليزية كان شبه معدوم .. لأننى تعلمت فقط قبل سفرى .. اللغة الأندونيسية .. موقف حرج .. فى أرض غريبة .. ولذا فضلت متابعة رحلتى الى الفيلبين .. رأسا .. وبدون راحة .. حتى لاينفد مامعى من مال .. قبل أن أصل الى مقر عملى ، استشرت راكبا مصريا كان معى منذ خرجت من القاهرة .. وساعدنى مشكورا .. فحجزت على طائرة يابانية متجهة رأسا الى مانيلا .. عن طريق هونج كونج .. مرت بنا فى أخطر منطقة للصواعق الخارقة فى الشرق الاقصى .. حتى نزلت بنا فى مطار هونج كونج .. وبعد نصف ساعة كنا فوق بحر الصين .. وعلى مشارف مطار مانيلا .. فى شمال جزر الفيلبين .. وفى الحادية عشر مساء نزلنا أرض المطار .. ولامؤنس لنا الا الله فى رحلتنا .. ونبل رسالة الازهر الشريف الى هذه الجزر .. وفى المطار تذكرت ماحذرنى منه فى القاهرة طلاب الفيلبين « يوم سفرى » فقد نصحونى أن أكون على حذر من سائقى سيارات الأجرة « وأنهم كثيرا ماسلبوا ونهبوا وأضلوا الاغراب فى متاهات مانيلا كذلك تذكرت رقم تليفون شقيق زميل الدراسة الفيلبينى — يوسف لقمان — فطلبته ليخرجنى من المطار — وبعد ساعتين أوصلنا الى هوتيل (سمبا جيتا) الشهير فى مانيلا .. قضينا فيه يوم السبت .. ويوم الاحد .. وهو يوم عطلة نهاية الاسبوع .. ولم نتمكن من الاتصال بالسفارة المصرية الا فى صباح يوم الاثنين .. وبعد ذلك تغير الحال وبدأنا نحس جمال المدينة العظيمة .

٢ — أول احتفال وطنى نشهده

قبل أن تعرف السفارة المصرية أين كنا .. حاولنا أن نخرج الى الأماكن القريبة من الفندق .. لنكتشف أين نكون الآن .. خرجنا بعد مغرب الاحد .. بالقرب من مكان الفندق فلفت نظرنا وجود احتفال شعبى كبير .. أقامته احدى الجمعيات الوطنية فى كرنفال عجيب لم نشهده من قبل .. وأزياء شعبية لم نرها فى حياتنا .. شد ذلك انتباهنا . فوقفنا نرقب حفلهم الشيق .. وما أن لمحنا القائمون على هذا الحفل الكبير .. ورأوا شكل الغربة على وجوهنا .. فألحوا علينا بأن نكون ضيوف شرف هذا الحفل .. مع أنهم لم يعرفوا عنا اكثر من أننا سواح .. أوزوار لمدينتهم .. وكان هذا أول تكريم لنا فى جزر

عند مسلمى الفيلبين..

الفيلبين .

وبعد وصول الأستاذ عبد المنعم الخضرى.. القائم بالأعمال فى السفارة المصرية فى مانيلا.. بدأنا نشعر بالراحة .. وسرعان ما خرج بنا من هذا المأزق .. وفرج عنا مشكورا ما كان قد لحق بنا من آلام السفر المتواصل .. وكم كان تعجبه للطريقة التى حضرنا بها .. وكذا سوء تصرف الشركة ومندوبها معنا فى مطار بانكوك .. ومايحدث مثل ذلك كثيرا مع غيرنا .. وما أكثر ما أهملت الشركات .. وبعض المندبين غيرنا .. فذاقوا مرارة الاسى .. فى أرض غريبة .. حينما يهملهم مندوبو شركات الطيران « وليس معهم من المال مايكفيهم » ولا من المعرفة بالبلاد التى نزلوا بهاأوتخلفوا فيها.

٣ ــ أولى المشاهد فى جزر الفيلبين

حينما التقيت فى القاهرة بطلاب الفيلبين الدارسين بالازهر .. وذلك فى مدينة البعوث الاسلامية عقب صلاة الجمعة ٥ أكتوبر ٦٢ .. وهو يوم سفرى .. كنت قد سألتهم عن أقرب مطار أنزل فيه بالنسبة لمقر عملى فى مدينة مراوى .. فلم يدلنى أحد .. لأن أكثرهم لايعرف غير طريق السفر بالبحر ، ولكنهم أشاروا على بالنزول فى مطار المحافظة المجاورة ــ كوتباتو ــ ولولا أننى سألت موظفى السفارة المصرية « فى مانيلا » والذين تكرموا بتصحيح طريق الوصول .. لدخلت فى متاهة واسعة باتساع رقعة هذه الجزر .. وفى اليوم المحدد للسفر .. صليت الفجر .. ثم حضرت

سيارة السفارة المصرية فنقلتنى الى المطار الداخلى للعاصمة .. وهناك أودعت جسدى داخل طائرة صغيرة تشبه أتوبيسا كبيرا .. وفى الجو .. ومع مشرق الشمس .. تكشف لى منظر الجزر الكثيرة المنتشرة على صفحة المحيط الهادى .. ومن نافذة الطائرة .. رأيت الأحزمة البيضاء والخضراء .. التى تحيط بالجزر .. فتفصل بين زرقة السماء وزرقة المياه .. كذلك الاعداد الهائلة من أشجار الجوز . التى تشبه النخيل فى بلادنا .. والتى كانت تقترب منا تارة ؛ كما كانت تتباعد عنا أخرى .. كلما دنت الطائرة من جبل .. أو كلما تباعدت عنه .. وأشجار الموز المتكاثفة بأعدادها الكثيرة التى تتنوع بتنوع استعمالاتها .. فمنه نوع يأكل فاكهة كالذى نأكله فى بلادنا .. ومنه مايسلق فى الماء .. وغيره ما يقلى فى الزيت .. وكذا نوع آخر

فى الجـــزر البعيــدة ....

يعتبر موزا طبيا للمرضى ، أما مناظر الأرض الزراعية .. على طريقة المصاطب الكثـــيرة لأحواض الأرز المنتشرة ، فوق سطوح الجبال « وسطوح الهضاب » والعجيب أنهم يزرعونه لاكثر من مرة فى العام الواحد .. وفى جـــزر اندونيسيا كانوا يزرعونه فى بعض المناطـــق ثلاث مرات فى العام الواحـــد ، لأن الطبيعة كانت تساعدهم وكذلك رعاية الله تعالى لـــم تنساهم .. فالأرز هو المحصول الوحيد الذى يعتمدون عليه فى غذائهم الرئيسى للوجبـــات الثلاث .. أما مناظر الشلالات الضـــخمة .. ومساقط المياه المرتفعة والمنحدرة من الجبـــال الكبيرة .. والتى تنحدر مياهها فى قوة هائلـــة «كان منظرها يتكرر بتكرار الجبال» وقد كان فى وسع أهل البلاد أن يستغلوها فى توليد طاقات كهربائية .. لانارة المدن وادارة المصانع .. كما فى شلالات مدينة اليجن .. وسرعـــان مامرت نصف مجموعة الجزر الفيلبنية « السبعة آلاف » ، حتى أصبحنا فوق شمال جـــزيرة ميندانو الكبرى .. أرض الكفاح .. وأرض الجهاد .. والتى حفظ أهلها للاسلام مجـــده فوق أرضها .. منذ وصوله اليها فى القـــرن الثـــالث عشر الميـــلادى .. وحتى الآن وصمدت الجزيرة المسلمة لمطارق الاســـتعمار الاسبانى .. واليابانى .. والأمـــريكى .. ولاتزال هذه الجزيرة تقاسى آلام التعصـــب الصليبى .. وكم تكررت فى كل يوم مـــواكب الشهداء فى أرضها .. على مرأى ومسمع .. من العالم الغربى المتحضر .. الذى تهـــزه أخبار انتحار أحد الكثالكة .. فى أيرلنـــدة الشمالية .. أو أخبار سجن أحد الصحفيين فى روسيا الشيوعية .. ولايهزهم مايجرى على أرض جزيرة ميندانو .. مما تشيب له الولدان .. وشهب الاذاعات العالمية لوصـــف ونقل مايجرى لغير المسلمين .. وتغض بصرها عمـــا يحدث من قتل .. وسحق .. للمســـلمين فى الأقليات التى يعيشون فيها مضطهدين .

٤ ــ فى مطار مدينة اليجن

بعد المشاهد الجميلة المتتالية .. لمناظـــر الجبال الخضراء .. التى كانت تتحرك عـــلى الأرض بالمئـــات .. وكذا الجزر الكثيرة التى كانت تمر تحت الطائرة الصغيرة ..وهكذا حتى وصلنا الى مطار مدينة (كاجايـــان) فى أرض سيبو .. بالقسم الاوسط من أقسام جمهورية الفيلبين الادارية الثلاثة (لوزون ــ فيسايس مندانو) والتى شهدت بطولات اسلامية ..فى الحرب المقدسة .. مع الرحالة ماجـــلان .. الذى قرأنا عنه فى كتب الجغرافية .. والـــذى كانوا يعرفوننا عن رحلته .. بأنها من العلامات الدالة على كروية الأرض ...، مع أنه كان قـــد حمل معه عددا من القساوسة .. والكهنة .. ومئات الأناجيل .. التى أحضرها معـــه .. ليلغى بها وجود القرآن الكـــريم .. وأمة الاسلام فى هذه الجزر .. والا فما معنى ماكان يقصده بذلك ؟؟؟.. مع أن المظهر الخـــارجى لرحلته كان هو البحث عن طريق جديد للتجارة .. واكتشاف جزر التوابل .. ولكن الايـــام كشفت عن السر الحقيقى للرحلة ــ التى قتل

فيها الرحالة ماجلان .. وعلى أرض جزيرة سيبو هذه ، وبيد ملك مسلم لجزيرة صغيرة .. كما ظهر الهدف الحقيقى للأسبان ، وهو .. اقامة مجموعة من المستعمرات تتبع التاج الاسبانى (١) .. وتنتشر المذهب الكاثوليكى .. وتحول المسلمين اليه .. بعد تنصيرهم فى هذه الجزر — وقد علق على ذلك .. انطونيو دى مرجا سنة ١٩٦٠ بقوله : « انه لولا وصول الأسبان .. لكان من الصعب اقتلاع الاسلام من هذه الجزر .. وقد واجه الاسبان مشاقا هائلة فى الحرب فى ميندانو وصولو » .

وقد كان الأسبان يعتبرون حربهم سنة ١٥٦٥ ضد المسلمين فى جنوب شرق آسيا جزءا من الحرب الصليبية التى شنوها قبل ذلك بسنوات ضد جنس آخر وفى مناخ آخر وفى أرض أخرى .. ولكى يظهر الأسبان ذلك الاستمرار .. وصفوا مسلمى الفيلبين بأنهم (بربر) .. (مورو) لكى يؤكدوا انتماءهم الى نفس الجنس الذى ينتمى اليه العرب .. والبربر فى شمال افريقيا .

تذكرت هذه الفقرة .. من تاريخ الاسلام فى هذه الجزر .. ونحن الآن نتوجه بالطائرة الى مطار مدينة اليجن .. فى شمال جزيرة ميندانو .. وفى المطار وجدت شرطيا يقف بجوار سيارة جب .. وما أن رآنى أنزل الى المطار ، ورآنى غريبا .. حتى اقترب منى ..

(١) أنظر .. كيف اختار الاسبان اسم فيلب الثانى ملك الاسبان وقت الغزو .. فاطلقوه على هذه الجزر — فيلبين — تيمنا باسمه — وتمسكا بتبعيتها لهم .

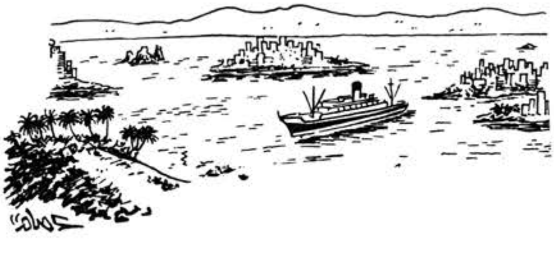

وأبرز ورقة صغيرة .. رأيت فيها اسمى .. مكتوبا بحروف لاتينية .. أشار بها الى .. فتعاملت معه بالاشارة كذلك ، وهززت رأسى .. وكأنى أقول له .. نعم .. هو أنا .. — وقد كانت السفارة المصرية قد أرسلت الى محافظ لاناو .. بموعد وصولى — أودعت جسدى وكتبى داخل هذا الجيب .. صامتا .. بدون كلام .. لأن كلانا لايفهم كلام الاخر .. وسارت السيارة فى طريق جبلى غير معبد .. الا فى المنطقة القريبة من المحافظة الاساسية لاناو .. ولولا زيارة فضيلة الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت ، والتى سبقت وصولى بعام واحد .. وكان خوف المسلمين على حياة الأمام الراحل .. وضعف صحته وتقدم سنه .. كل ذلك جعل المسلمين يجتهدون فى تعبيد هذا الطريق — مؤقتا — لمناسبة زيارة شيخ الازهر للمنطقة الاسلامية .. ولولا ذلك .. لخشيت الهاوية على نفسى .. وانقلاب الجب من قمم هذه الجبال الموصلة الى مدينة مراوى سيتى .

٥ — دعوة للقضية الفلسطينية

عقب وصولنا الى مدينة مراوى بأيام ...

بعض المشاهد ... والعادات ... والتقاليد ...

وصل الى المدينة مندوبون عن المؤتمر الاسلامى .. لتعريف المسلمين فى الفيلبين .. بما يلقاه اخوانهم عرب فلسطين على أيدى اليهود المغتصبين .. والدعوة الى مناصرة القضية الفلسطينية .. والمندوبان هما .. الأستاذ (حيدر الحسينى) .. الفلسطينى .. والاخر .. الأستاذ (انعام الله خان) . من الباكستان .. ثم وقف الاستاذ حيدر الحسينى .. يخطب فى الميدان العام بالمدينة .. فاجتمع حوله مايقرب من سبعة آلاف مواطن فيلبينى .. افترشوا أرض الميدان الفسيح .. وجلسوا منصتين .. يستمعون الى المأساة التى يحياها اخوتهم شعب فلسطين .. لاول مرة عام ١٩٦٢ .. فى قصة يائسة .. لم يعهدها تاريخ الاسلام الطويل .. الا فى موجات التتر .. التى زحفت على أرض العرب ، والاغتصاب الصليبى لبيت المقدس، وقف الرجل الفلسطينى يحكى مأساة شعب مسلم .. فقد أرضه ــ ودياره .. وأمواله .. وأصبح غريبا فى وطنه لاجئا على أرضه .. ومايلقاه شيوخه ونساؤه وأطفاله وشبابه من ظلم وقهر فاق كل تصور.. وذكر الرجل .. كيف كان بنو صهيون .. وعصابات الهاجاناه .. يتراهنون على نوعية الجنين الذى تحويه بطون الحوامل من النساء العربيات المسلمات « نظير نصف ليرة » أو حبة تفاح .. ومادلالة ذلك الا على التسلط .. والقهر .. والاستهتار بالقيم الانسانية .. عند من فقدوها .. وقد كان الألم يبدوا واضحا فى نفوس الشعب الفيلبينى ، والذى كانت الدموع تلمع فى عيونه الصغيرة .. عند سماع كل مأساة .. كما كان العويل يسمع فى أرجاء الميدان .. فرقا على ما أصاب اخوانهم عرب فلسطين .. وطوال الفترة مابين المغرب والعشاء والرجل يحكى جراح شعبه .. بينما المسلمون يولولون وينوحون .. وقد خيم الصمت على مدينة مراوى .. عاصمة لانا والجنوبى .. كما عم الحزن بيوت المسلمين .. لما سمعوه لاول مرة عن مأساة شعب فلسطين .. وكان هذا اللقاء بمثابة أول مؤتمر شعبى يعقد لشرح قضية فلسطين فى هذا الشرق البعيد ، وفى قلب جزيرة ميندانو المسلمة .. التى اصبحت فيما بعد مسرحا للمقاومة الباسلة .

من حياة المسلمين فى جزر الفيلبين وبعض عاداتهم ..

(أ) فى أفراحهم ..

كانت هناك عادة سيئة .. تسود المجتمع المسلم فى مناسبات الزواج .. فأغنياء المسلمين فى الفيلبين كانوا يتأففون من دعوة عالم أو حتى امام مسجد ليعقد عقود زواج أولادهم .. لأن ذلك كان خاصا فقط بفقراء المسلمين.. وماذلك الا للفارق الاجتماعى بين الاغنياء والفقراء ، وبين السلاطين .. والعاديين .. وتتخلص هذه الفروق فى كلمة (مراتبات) (١) تعنى الفرق بين الطبقات .. ولهذا كان الأغنياء يطلبون القاضى الكاثوليكى ليعقد عقود الزواج

(١) مراتبات . من اصل الكلمة العربية مرتبة

.. عند مسلمي الفيلبين ...

لأبنائهم ؟؟ نظرا لما تتطلبه هذه المراتبات . وهذه العنجهية الفارغة ، وقد حاول الزميل الدكتور عبد الله شحاته .. مبعوث الفيلبين الى الفيلبين فى شهر رمضان عام ٦٢ أن يصحح هذا الوضع .. أثناء زيارته للمنطقة .. غير أن الوقت لم يسعفه .. وقد حاربه علماؤهم ... واستمر تسلط هذا الفهم الخاطىء يسيطر على أذهان الأغنياء .. وشاء الله تعالى .. أن أجلس مع محافظ المدينة المسلم الحاج عبد الغفور ألنتو .. فحكى لى ذلك .. ثم حدث أن دعانى الى حفل زواج أحد أقربائه .. فى قريته .. وقد عرف أننى أثور على هذا الفهم الخاطىء .. وأريد أن أصححه .. كذلك المفهوم العجيب الذى أطلقه علماؤهم على .. المهر .. فقد أفهم أرباع العلماء .. عامة المسلمين أن الصداق (المهر) هو الصدقة .. وبذلك يوزعه ولى الأمر على العلماء والأقرباء والفقراء .. وتخرج بعد ذلك الزوجة الى منزل زوجها فقيرة .. حتى من ملابسها .. ومن حليها .. ويكون أثاث المنزل .. قدرا صغيرا .. وحصيرا من سعف أشجار الجوز ... وموقدا بدائيا بينما يشترك الجميع فى أكل صداق الزوجة الذى حوروه الى صدقة .

كان ذلك من مساوىء عادات بعض المسلمين فى مراسيم الزواج .. والذى بانتهائهم من توزيع مهور بناتهم .. كانت تنتهى مراسيم حفل الزواج .. سمع الرجل رأيى فى ذلك .. وأريته فزعى وتعجبى من كيفية خروج الصداق عن معناه .. وأعلمته أن المهر الذى جعله الله حقا للزوجة .. فى نظير تسليم نفسها الى زوجها .. واحلالها لبعلها .. والنهى قال الله عنه فى سورة النساء : (**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا . أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**) صدق الله العظيم .. ذلك فى المهر .. وهو الصداق .. الذى حور معناه علماء المسلمين .. فى بعض الأماكن .. وتجمد رأى بقية العلماء ، مجاملة أو جبنا أو خوفا من التغيير .. وحتى لايسدوا بابا من أبواب أرزاقهم .. وخوفا من زعمائهم ، ويوم أن صحبنى المحافظ .. الى قريته .. لأصحح لهم هذا الفهم .. وأدعوهم الى الحق ، سألنى ان كانت عندى شجاعة الحق .. كى أعلن لهم حكم الله فى هذا الصداق ..؟ فأجبته باستعدادى .. وسافرت معه فى سيارته عصر يوم الزواج .. لأنقذ بقية المهر الذى وزعوا نصفه صدقة قبل وصولنا .. وبقى الناس فى انتظار وصول المحافظ لتوزيع النصف الأخير من هذا المهر — كما تعودوا — وما أن وصلنا حتى أعلن لهم المحافظ .. أنه أتى بمبعوث الازهر .. وأنه لايريد أن يقرهم على خطأ تعوده .. وعليهم أن يستمعوا للاستاذ المصرى الذى جاء ليعلمهم ، فوقفت بينهم

أشرح لهم •• أن الصداق •• هو المهر •• وأنه حق للزوجة •• لا حق وليها •• ولايصح أن يوزع صدقة على أحد •• وأنه ملك للزوجة •• تشترى به أثاث بيتها •• أو أرضا لنفسها •• أو حتى حليا تتزين بها لزوجها •• أو تحفظه لنفسها •• وأنه لايحق لاحد أن يتصرف فيــه بغير رضاها •• والا تعرض لوعيد الله •• الذى ختم به الآية السابقة •• فى سورة النســاء : (**فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا •• أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**) ثم وقف المحافظ وأعلن عـــلى الحاضرين أن مابقى معه من مهر •• سيجعله تحت تصرف الزوجة •• ولمصلحتها وبين لهم •• أنه أحضر معه رجل دين من بلد الازهــر ليبين لهـــم ماخفى عنهم •• وأن عليهم أن ينصرفوا الى مساكنهم •• وبعد أن عرفوا أن المهر صار حقا للزوجة •• بدأت أرى فى عيونهم غضبا •• لما ســـمعوه منى ، وكنت ألمح فى وجوههم الاســـتعداد للنيل منى •• لأننى حرمتهم من مصدر كانوا يســتفيدون منه •• قبل ذلك •• ولما كنت أتعجل المحافظ وأطلب منه عودتى الى مقر عملى •• كنت أرى اصراره على الانتظار •• حتى يتم انصراف الحاضرين « فعلمت أنه بذلك كان يحافظ على حياتى» حتى عدت سالما فى منتصف الليل ، وأطنان الميــاه تنزل من السماء على طريق العودة •• ونجوت من خطر أكيد •• كان ينتظرنى •• جراء كلمة حق •• لم يجرؤ عليها أحـــد قبلى •• وتم سرورى حينما غيرت هذه العادة وآمـــل أن يكونوا قد تمســـكوا بها •• ونشروها •• وعلموها لمن بعدهم •

(ب) •• فى أتراحهم ••

عقب وصولى الى مدينة مـــــراوى •• استأجرت منزلا •• ومنازلهم من الخشب •• حتى لا تحدث الكوارث •• مع اقبـــال الزلازل •• فتهلك الناس ان كان من المسلح الثقيل •• كما يسهل عليهم اعادة بنائها مرة أخـــرى •• ويبنيها •• النجارون •• وهى عبارة عـــــن صناديق خشبية كبيرة •• تقام على أعمـــدة خشبية قوية وغليظة •• ويتم الصعود اليهــا عن طريق سلم خشبى خارجى •• ولم تكـــن هذه المساكن تحوى أى حجرات •• بل كــانت كلها حجرة واحدة يسكنها أكثـــر من أسرة •• ولهذا عبرت عنها ــ بالصناديق الكبـــيرة •• وأخيرا تعلموا ضرورة الفواصل لبناء الحجرات أما الفضاء الموجود أسفل هذه البيوت • فكانوا يستغلونه فى انشاء حوانيت صـــغيرة •• أو حجرات يسكنها أصحاب البيوت•• أويستعملها الأغنياء جراجات لسيارتهم الخاصــــــة •• استأجرت هذا البيت بعد أن عدلته فأصــبح شقة جميلة •• وفى احدى الأمسيات •• صعد الى صاحب المنزل ، وأخبرنى بأن شـــقيقه يحتضر •• فنزلت لأساعده وأطبب معه مريضه وأجامله •• ولم أكن أدرى أنه قد فــــارق الحياة ، الا حينما رأيتهم يشدون حبـــلا بين خشبتين •• علقوا عليه ستارة تفصل •• بينهم وبين ميتهم •• ثم بدأوا حديثا عاديا •• لا أثر

فيه لحزن على ميت •• أو لفراق رجل منهم واكثر من ذلك •• وجدتهم قد فرشوا مائدة وأعدوا عليها طعامهم وشرابهم • والتفوا حولها يأكلون ويشربون •• وكأن شيئا لم يحدث !!! فجعلت أقلب النظر فى وجوههم •• ولا أدرى •• أهى عادتهم فى أمثال ذلك ؟؟ أم أنه ايمان عميق بالقضاء الالهى ؟؟؟

صعدت الى مسكنى وأنا أفكر فيما رأيت !!! وفى الصباح الباكر فوجئت مرة أخرى بصاحب البيت يدق الباب •• قبيل الشمس •• يطلب منى انهاء موضوع أخيه ••الميت•• فاستدعيت مترجما ماهرا كان قد تعلم العامية فى مصر كأهلها — فقال ان عادتهم هنا •• أن يغسل الميت •• عالم ••!!! سبحان الله •• وكيف يطيق لغريب مثلى أن يقلب فى أجساد موتاهم فتوسلت اليهم بالبحث عن غيرى •• فأنا ضعيف عن القيام بعمل •• لايقدر عليه •• الا غسال متمرس ماهر فى تقليب أجساد الموتى ونجوت من مطب •• ماكنت أتصور أن ألقاه•• فى رحلتى •• فى وسط قوم •• كان علماؤهم يأكلون منهم كل شىء •• ويصنعون لهم كل مايطلب منهم •• ثم حضرت معهم موكب الجنازة •• التى سارت الى المقابر الشرعية القريبة من المسجد •• والتى لايميزها شىء من شجر أو حجر أو بناء أو قباب ، أرض فسيحة •• عند قدم جبل أو سطح تل •• ليس فيها من أثر القبور •• غير حجر يقف عند رأس اللحد •• يبين فقط أن هنا جسدا يرقد تحت هذا التراب •• وتمر الجنازة عادية •• الى المسجد ثم الى المقبرة •• محمولة على سرير ، والناس يمشون فى خضوع •• بعضهم يقرأ القرآن — غير أننى شاهدت جنازة •• محمولة على سرير •• وعند رأس الميت يركب معها صبى معه مصحف شريف يقرأ فيه القرآن بصوت جميل •• والناس فى سكون حتى يصلون الى المقابر — وقد وصل جارنا الى قبره فأنزلوه الى لحده •• وهالوا التراب عليه •• ثم وقف عالم يلقنه ويدعو له •• وأخيرا أحضروا له وعاء فيه ماء فنثره على القبر •• ثم بدأ أفراد أسرة الميت •• يبرزون خطابات بيضاء مغلقة ومحشوة بشىء من المال •• يوزعونها على الحاضرين •• ولما سألتهم عن سر ذلك ؟ قالوا : انهم تعودوا أن يوزعوا عند القبر بعض مال الميت ترحما عليه •• ولما أفهمتهم أن مال الميت قد انتقل بموته الى ورثته •• وأن عليهم أن يحفظوا هذا المال لأطفاله اليتامى ، فهم أولى بمال أبيهم •• وظننت أنهم قد اقتنعوا بما قلته •• لما شاهدته من عصبيتهم عند اختطاف هذه الأظرف الدسمة من أيدى الحاصلين عليها •• غير أننى وجدت أنهم قد وضعوها ثانية فى جيوبهم • بعد أن أقنعوا أنفسهم بأنهم أولى بها حتى من الرحمة لأخيهم •• أو حتى من حفظ حياة أطفاله اليتامى •

وصار ما رأيته مادة أصحح مفهومها لأبنائى طلاب معهد ميندانو العـــربى ٠٠ ورغم أن العادات التى توارثوها ٠٠ كانت متمكنة منهم الا أننى أشهد أنهم كثيرا ما تجاوبوا عنـــد الدعوة لتصحيحها ٠٠ لثقتهم بالازهـــر ٠٠ ومبعوثيه ٠٠ ويذكرن ذلك بالحرب الأهلية التى نشبت بين عمدة مدينة (جناس) وبين شـعبه فى الشاطىء المقابل لمدينة مراوى ٠٠ من جهــة البحيرة الواسعة فى الشاطىء الآخر ٠٠ الذى يبعد عن مقر عملى بحوالى ثلاث ساعات ٠٠ عبورا بزورق بخارى ٠٠ ويومهـــا طلب منى المحافظ ٠٠ أن أذهب للاصـــلاح بينهم ٠٠ ورجانى أن ألبس لذلك الزى الازهرى الرسمى ٠٠ لأنه أدعى لتسهيل مهمتى ٠٠ ويومها أبحرت لهم ٠٠ ورس الزورق بعيدا عن الشـــاطىء بحوالى سبعين مترا ٠٠ عبرتها فى الماء ٠٠ بعد أن خلعت حذائى ٠٠ وشـــمرت ثيابى الى صدرى ٠٠ وعدت وقد اصلح الله بينهـــم ، أقول ذلك ٠٠ حتى يسمعنى كل من خرج الى هذه الأماكن من بعدى٠٠ والى اللذين ينتظرون دورهم ٠٠ حتى يسعوا الى مايخلد ذكرهم فى البلاد التى يبعثون اليها ٠٠ لأن الناس هناك لاينسون جهاد الشرفاء ٠٠ فى سبيل تصحيح العقائد ٠

(ج) من حفلات تخرجهم ٠

تنتشر المدارس الاسلامية ٠٠ بانتشـــار الجزر والقرى ٠٠ وذلك لتعليم أبنائهم ديـــن الاسلام ولغة القرآن وتاريخ الامة الاسلامية ورغم أن هذه المدارس كلها تعتبر خاصـــة ٠٠ بمصاريف زهيدة ٠٠ يلجأ اليها المسلمون ٠٠ لأن المدارس الحكومية لا تفرق بين المســـلم وبين الكاثوليكى ٠٠ وكـــلاهما يلقن جـرعة مسيحية متساوية ، ولهذا ٠٠ قد يجمع أبنـــاء المسلمين بين الدراستين ٠٠ حتى لا يحرموا من مواصلة التعليم فى المدارس الحكومية ٠٠ ولايضيع دينهم الحبيب ٠٠ ويتحملوا كثـيرا منهم الجهد بين الدراستين ويتحملوا مـع ذلك القهر ٠٠ والتعسف ٠٠ والتعصب ٠٠ والشعور بأنهم من جنس أقل من غيرهم من بنى وطنهم وعلى المتخرج من المدارس الاسلامية ٠٠ التى لاتعترف بها الحكومة الفيلبينية اما أن يســعى للحصول على منحة دراسية فى البلاد العربية والاسلامية ٠٠ أو يعمل فى احدى هذه المدارس ٠٠ أو يعمل فى صناعة أو تجارة أو زراعـــة ــ ولهذا يطمع المسلمون فى أن ترعاهم الـــدول العربية والاسلامية ٠٠ حتى لايضيعوا فى دولة لاتعترف بتعليمهم الدين والعربى ٠٠ ومع أول حفل للتخرج أحضره ٠٠ وقد جاء امتحان آخر العام ٠٠ ولم أعودهم على النجاح بمثـــل ما تعودوه ٠٠ حينما يشترونه بثمن ٠٠ ظهرت النتيجة ٠٠ بنجاح سبعة ورسوب اثنين كانـــا من كبار السن ٠٠ فى امتحان شهادة الثانويـــة

عند مسلمى الفيلبين

بمعهد ميندانو العربى •• جاءنى صاحب المعهد •• وسألنى •• ماذا يفعل •؟ سـألته فى أى شىء ؟ قال فى الطالبين •• الراسبين فقلت لـه لابد من الاعادة •• قال : ستصبح فضيحة •• فقلت فماذا تقصد ؟؟ قال : لابد من ظهورهم فى موكب الاحتفـالات مع اخـوانهم •• والا سقطوا من أعين الناس •• وأخيرا رجانى •• أن أعطيهم فرصة للاحتفال مع اخـوانهم بالتخرج •• وبعدها يسـتعدون لامتحان الاعادة •• كل ذلك وهو يعلم أن شـهادات التخرج كلها تحت يدى •• وكنت أظـن ان حفلات التخرج عبارة عن توزيع الحلوى •• والمثلجات •• فى منازلهم فقط •• غـير أننى فوجئت بأن فناء المعهد الواسع قد لبس ثـوبا جميلا •• واقواس النصر •• والاعلام الملونة المرتفعة لحوالى أربعين مترا فى الجو وكأنهـا شراع السفن الجميلة الملونة بأزهى الألوان ، أما الطرقات المؤدية الى المعهد •• فقد جهزت كل أسرة بوابة رفعت عليها الاعلام الملونـة متسابقة فى ذلك •• وبدأ الجميع ينتظر يـوم حفل التخرج •• بينما قسموا فناء المعهـد بأعداد المتخرجين •• ونصب كل متخرج خيمة ملونة جميلة ، وزين المكان بالأعلام العاليـة من الحرير الملون •• والمناديل المزركشة •• وأعلام النقود الورقية والفضية •• بأعـداد جنونية •• كما زين المتخرجون بيوتهم بالأعلام الوطنية والشراع الملونة •• واشترك الجميع فى اعداد مسرح الحفل •• أمام مبنى الادارة بأعلام النقود الفضية والورقية كذلك والورود وقطع السجاد الفاخـر •• وبعض الاوانى الذهبية والفضية •• ومع بزوغ فجر يـوم احتفالهم •• تسمع دق الطبول •• فى بيـوت الخريجين •• ومع الشمس تخـرج المواكب لتدور فى طرقات المدينة •• وقد جهزت كـل أسرة خريجها بثياب زفاف حقيقة •• للأولاد وللفتيات •• افراح حقيقية ، لنوالهم قسـطا من علوم الدين •• وسط احتفالات وطنية •• ورقصات شعبية تعم المدينة وطرقاتها ويحمل كل متخرج مظلة كبير مزينة بقطع النقـود من أكبر الفئات •• وهكذا حتى يصل المـوكب الى فناء المعهد فى نهاية المطاف •• وفى عصر اليوم بينما يكون كل متخرج فى مكانه الخـاص •• وتحت خيمته المزركشة •• فى فناء المعهد •• وسط أحبابه وأفراد أسرته ينادى مدير المعهد •• فيصعد الطلاب الى كراسى معدة فـوق المنصة الجميلة •• ويحمل المدير معه •• سلة مزينة •• فيها أوراق بيضاء معقودة بحـزام أخضر •• وكأنها شهادات التخـرج •• حتى يتم اعدادها لاحقا •• وبعد توزيع المأكولات

من يوميات مبعوث أزهرى

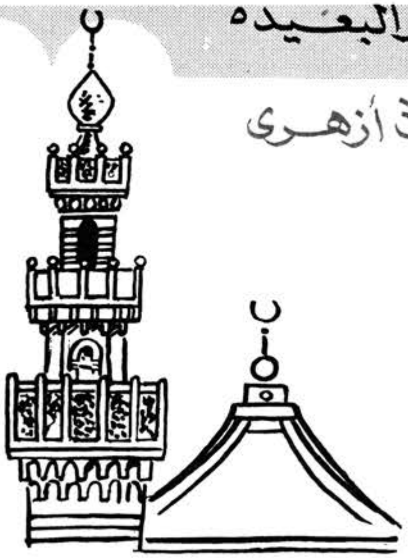

والمشروبات ينادى على كل متخرج •• فتعزف الموسيقى •• وتدق الطبول •• ويصـعد الى مكانه فى المنصة وبين يديه أطفال يرقصـون رقصات شعبية عجيبة •• حتى يصل الى مكانه فتنهال الصور الذى يأخذها عند تسلمه شهادته وهو فى ثيابه الوطنية ــ الشبيهة بثياب العرس وهكذا •• يستمر هذا الاحتفال العظيـم •• وذلك الكرنفال العجيب •• الذى يظهر أفراح المسلمين بهؤلاء المتخرجين •• من المـدارس الاسلامية •• وقد يصل سن المتخرج منهـم الى سن الاربعين والخمسين •• الا أنه التفانى فى محبة الاسلام واللغة العربية •• والعلـوم الدينية •• وبعدها من تمكن منهم بأن يصـل حبـاله بحبال الجامعـات الاسـلامية والعربية ••فى العالم العربى والاسلامى فيأتى اليها بطريق منحة دراسية •• أو يأتى اليهـا متسللا •• أو يعمل فى حرفة أخرى ان لـم يستطع الخروج من بلده •• أو يعمل معلمـا لمن يأتى بعده وهكذا تتجدد أفراحهم •• ومعها احتفالاتهم بتجدد النجاح •• وهى صور عشتها ونقلتهـا من قلب جزيرة مينـدانو •• من مدينة مراوى سيتى بجنوب الفيلبين •

ومع حلقات أخرى من حلقات :

التعريف بشعب الفيلبين المسلم ، ومع شعب اندونيسيا كذلك •• وهم الذين يتطلعون الى من يأخذ بيدهم ، ومن يساعدهم فى أن يحفظوا تراث الاسلام فى أرضهم •• التى يكتب لهم بعد الحروب الطاحنة •• والغزوات المتتاليـة على أمتهم •

والى اللقاء ان قدر الله لنا ذلك •• لنلتقى حول أخبار أشقائنا فى أطـراف الارض « فى أقصى جنوب شرق آسيا •• وادعو الله معى بأن يحفظ لهم دينهم •• وينصر كفاحهـم •• وأن يحفظ أمة الاسلام من كل كيـد وبغى » آمين •

اسماعيل عبده الشال

فلسفة السعادة في الإسلام

بقلم الدكتور سعد الدين السيد صالح

فى بداية الحديث نتساءل ما هى السعادة ؟ وكيف يمكن تحقيقها ؟ اما عن ماهية السعادة فهى من الامور التى لايمكن ان يضع لها الانسان تعريفا محددا فهى من قبيل اللامعرفات فى المنطق كالحب والكره وغيرها من الاشياء التى تعاش وتحس دون أن يمكن ضبطها بتعريف جامع مانع ٠

وأما عن كيفية تحقيق السعادة وبيان أسبابها ، فهى تختلف من انسان لآخر فكل واحد يتصور من وجهة نظر خاصة ويراها فى شىء معين ، وهى فى حقيقة الأمر قد تكون ساقطة بين وجهات النظر المختلفة ، والاشخاص لا يعرفون فكل واحد منهم يظن أن الآخر فى سعادة بينما الواقع ان كليهما محروم منها ٠

فلسفة السعادة ...

ـ **فالمحروم** من المال قد يظن ان السعادة فى امتلاك المال وجمعه وأن أصحاب الاموال هم السعداء ، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الوهم حين يصبح هو الآخر من اصحاب الاموال فتضيع منه السعادة :

ذلك أن المال قليله وكثيره قد يكون سببا من أسباب فقدان السعادة والاستقرار ، فالقليل منه لا يشفى الغليل ولا يرضى النفس ، فصاحب الالف يحاول أن يجمع بجواره الآلاف وصاحب المليون يحاول أن يجعله ملايين وكثرته لا حدود لها ، تلك هى حقيقة الانسان وقد وضحها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه « لو كان لابن آدم واديا من ذهب لتمنى ان يكون له ثان ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب » تلك حقيقة واقعية ومن هنا كان المال سببا من اسباب التوتر والقلق الدائم وعدم الاستقرار فأين السعادة فى رحابه ؟

ـ ومن وجهة النظر الثانية **نجد أن صاحب المال** قد يظن فى لحظة من لحظات التشتت ان المحرومين هم السعداء ، ظنا منه انهم يعيشون فى استقرار وأمان من التوتر الذى يسببه المال وهكذا ضاعت السعادة بين اصحاب الاموال وبين المحرومين منها •

ـ **والمريض** قد يظن ان السعادة فى الصحة وحدها بينما يتمنى الصحيح لو كان مريضا لشىء آخر يراه فى المريض هو محروم منه •

والماشى على قدميه قد يحسد راكب السيارة بينما يتمنى هذا الراكب لو استطاع ان يمشى بضع خطوات ، ولكنه لايستطيع ، بل قد يكون المشى هو علاجه من بعض الامراض ، ولكنه لا يطيقه •

وهكذا قد ينظر بعض الناس الى شخص ما على أنه مثال اعلى للسعادة ولكنهم حينما يقتربون من هذا الشخص ويعيشون حياته يجدونه فاقدا تماما لهذه السعادة بالرغم من أنه يعيش فى سعادة فى نظر الآخرين •

ـ وقد يظن بعض الناس ان السعادة فى منصب أو فى مركز اجتماعى مرموق ، ولكنه حين يصل الى مثل هذا المركز يتمنى لوعاد من حيث أتى حيث لا مسئوليات ولا مهام ، وقد يحسد بعض المغمورين ويظن أنهم فى سعادة من هموم المسئوليات •

ـ والمحرومون من الاولاد قد يظنون ان السعادة فى وجودهم ، ولكن هذا الوهم سرعان ما يتبدد حين يرزقه الله بولد قد يكون سببا فى شقائه وتعاسته لسبب أو لآخر •

واذا كان المال والبنون هم زينة الحياة الدنيا كما أخبرنا القرآن الكريم ، فانهما يكونان من أهم أسباب السعادة ، ومع ذلك وجدنا أن السعادة فى رحابهما وحدهما وهم لايمكن ان يتحقق •

واذا كان الامر كذلك فأين السعادة ؟

والحق ان كثيرا من الاتجاهات الفلسفية قد عالجت هذا الموضوع وسوف نبين وجهة نظرهم أولا ثم نوضح الحل الاسلامى لمشكلة السعادة

من واقع الفلسفة القرآنية .

ــ وقد حاولت الفلســفه **الوجودية** : أن تجيب على هذا السؤال اين السعادة ؟ فادعت ان الانسان مخلوق بائس قلق محـــروم من السعادة ، **بل هو ــ فى نظرهم ــ أقــل من** الحيوانات ، لأن الحيوان يأكل ويشرب وينام ويكون سعيدا ، ولكنه لايحتاج الى شىء أكثر من اشباع شهوات بدنه ، ولكن الانسان يخلق لنفسه دائما حاجيات جديدة لا يشبع منهـا أبدا ، ومهما وصل الى ما يريد فهو يتطلع الى المزيد ، انه‌يريد أن يصل الى اللانهاية ، ولكنه عـــلى وعى تام بتناهيه وبموته ، ومن هنا أصيب الانسان بالتوتر الدائم والقلق الرهيب الذى أفقده كل معنى من معان السعادة . ومن هنا بدأ الانسان عند الوجودن الملحده كلفز مثير للاسى والحسرة ، انه يبدو موجودا من أجل شىء لا يستطيع أبدا أن يبلغه ومن هنـا فقد كل معانى السعادة ، بل ان الانســان فى نظرهم هو احد اخطاء الطبيعة فهو مخلــوق بائس أو هو ــ كما يقول سارتر ــ ألم وعذاب لاطائل من ورائه .

واما الماركسين فقد رأت ان السعادة تكون فى اشباع شهوات الانسان البدنية وتوفير كل الحاجات المادية وحسب ، ولكنها وقعت فيمـا وقعت فيه الوجودية ، ذلك ان الماديات لاحـد لها والانسان محدود متناهى‌ومن هنا لايستطيع الوصول الى كل ما يريد مما يصـيبه بالقلق والحسرة والتوتر .

ــ وهناك حل ثالث لمشكلة السعادة اقترحه بعض المفكرين يقوم على الادعاء بأن اشـباع دافع اللانهائية عند الانسان يكون بأن يعتبر نفسه متحدا مع شىء آخر أكبر منه ــ ويوجه اخص مع المجتمع ــ ويقول هؤلاء المفكرون انه لا أهمية لكونى أتالم أو افشل أو امـــوت فالانسانية والكون سيستمران ومعنى هـــذا أنه لا أهمية لسعادة الفرد مادام المجمـــوع سيكون سعيدا .

هذه بعض الحلول لمشكلة السعادة الانسانية التى وضعها بعض الفلاسفة بمقتضى العقـل البشرى القاصر الذى لايعصمه شرع أو دين.

وسوف نحاول الآن ان نقيم هذه الحلــول لكى نصل الى الحل الاسلامى لمشكلة السعادة.

وأول ما نلاحظه على هذه الفلسفات أنهـا اعتبرت الانسان مادة وحسب ومن هنا حاولت تحقيق السعادة له من خلال اشباع شـهواته البدنية وحسب ، وبما ان الماديات لا حدود لها انتهت هذه الفلسفات الى الاخطاء التى وقعت فيها حين وصفت الانسان بالقلق والتوتر .

ذلك ان الانسان ليس مادة وحسب وانمـا هو مادة وروح ولابد من التوازن بين اشباع كلا العنصرين والاحدث الاضطراب والفســاد

فلسفة السعادة..

فى حياة الانسان ولكن هؤلاء الفلاسفة استبقوا الجانب المادى فى الانسان وتركوا الجانب الروحى ، ومن هنا وصفوا الانسان بالقلق والبؤس وأفقدوه بفلسفتهم كل معانى السعادة وهذا هو السر فى الفراغ الروحى وفى القلق النفسى الرهيب الذى شاهده فى المجتمعات الغربية والشيوعية معا •

وأما هؤلاء الذين أرادوا أن يحققوا سعادة الفرد من خلال سعادة المجموع فهم أيضا يهربون من المشكلة وبدلا من ان يحلوا لغز السعادة ، فانهم ينكرون البديهيات ، أى ينكرون حقيقة ان الانسان كفرد يرغب فى السعادة لنفسه ، وليس لأى شىء آخر •

ومن هنا يبدو لنا تهافت هذه الحلول •

وأما الحل الاسلامى لمشكلة السعادة فهو يتمثل فى فهم الانسان لمعنى وجوده وفلسفة حياته ، واذا مافهم الانسان الحكمة الحقيقية من وجوده وصل الى السعادة القصوى حتى ولو كان فى قمة الألم الظاهرى •

فالحكمة من وجود الانسان فى الدنيا ـ كما بين لنا القرآن الكريم ـ هى الابتلاء والاختبار والامتحان (**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**) (**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**) •

ومعنى هذا ان كل ما يقع فى الحياة هو ابتلاء واختبار للانسان •

ـ فالمال الذى يظن بعض الناس أنه قمة السعادة هو ابتلاء واختبار وامتحان ، فاذا ما اعطاه الله لانسان ما فهو يبتليه هل يؤدى فيه حق الله أم لا •

وان سلبه من الانسان وأعطاه الفقر فهو يختبره هل يصبر على بلاء الله أم لا •

ومن هنا لا ينبغى ان يكون وجود المال أو فقدانه سببا من اسباب السعادة أو فقدها ، لأن الامر يستوى مادام الانسان فاهما الحكمة من وجوده •

ـ والاولاد هم الآخرون ابتلاء واختبار وامتحان ، فان أعطاك الله اياهم فهو يمتحنك بهم هل تشكر الله على نعمته أم تكفر بها وان منعك اياهم فهو يبتليك هل تصبر على قضاء الله أم لا •

والصحة والعافية هى ابتلاء ، فان أُعطاك الله الصحة والسلامة فهو يبتليك هل تستعملها فيما يرضى الله أم فيما يغضبه وهل تشكره على هذه النعمة أم تكفره •

وان منعك اياها واعطاك الامراض والبلايا تصبر على بلاء الله أم لا •

وهكذا فكل مايقع فى الحياة هو ابتلاء واختبار للانسان ولا ينبغى ان يظن الانسان ان وجود اسباب السعادة من المال والبنون والصحة هى غاية فى ذاتها بحيث اذا فقدها

يصاب بالقلق والحسرة ويفقد سعادته .

كلا انها كلها اختبار وامتحان للانسان وبدون فهم هذه الحقيقة تكون مصدرا للتعاسة والقلق .

ولذلك حين نعى الى بعض الصحابة ابنه وعائله الاكبر قال : الحمد لله اللهم ان كنت قد ابتليت فى ولد فقد عافيت فى أولاد .

وقطعت قدم احد العارفين فقال الحمد لله اللهم ان كنت قد ابتليت فى عضو فقد عافيت فى اعضاء ، ومن هنا يشعر الانسان بالسعادة وهو فى قمة الالم الظاهرى .

اذا ليست السعادة فى المظاهر المادية ، وانما السعادة الحقيقية لاتكون الا فى الايمان اليقينى بقضاء الله وبالتسليم لقدره وحكمته، وفى معرفة الانسان أنه يعيش لفترة محدودة متناهية هى حياة الابتلاء وأنه سوف ينتقل حتما الى حياة الجزاء وهى الحياة الابدية التى سوف يلقى فيها السعادة الحقيقية جزاء ماقدم فى الدنيا .

واذا كان الموت فى الفلسفات الملحدة مسببا من أسباب فقدان السعادة واصابة الانسان بالتوتر الدائم ، لأنهم يعتقدون ان ما فى العالم ليس الا لغوا باطلا لا معنى له فان الموت فى الاسلام يكون سببا من اسباب السعادة لأنه ينقل الانسان من حياة متناهية محدودة لايستطيع الانسان ان يصل فيها الى كل مايريد الى حياة أبدية يصل الانسان فيها الى السعادة القصوى بل الى كل مايريد لأنها حياة لا نهائية « خالدين فيها ابدا » .

ومن هنا يرد القرآن على هؤلاء الماديين الذين حطموا سعادة الانسان فى الدنيا ولا يريدون له ان يحققها فى الآخرة ، يرد عليهم بقوله : « **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** » .

فالسعادة الحقيقية لايمكن أن تكون إلا فى رحاب الايمان بوجود الله ، وفى الالتزام بما أمر والانتهاء عما نهى ، وفى الايمان بالبعث بعد الموت ، وبمعنى آخر فالسعادة لاتكون الا يفهم الانسان لفلسفة وجوده من خلال كتاب لايضل ولايزل وهو القرآن الكريم الذى أرشد الانسان الى الحكمة من خلقه وحل لغز السعادة حلا لامعقب بعده فالمال والبنون والصحة ، والمركز المرموق وغير ذلك من اسباب السعادة الحقيقية بل لابد معها من الايمان الذى اشرنا اليه وبدون ذلك تتحول اسباب السعادة هذه الى اسباب للتوتر والقلق .

د . سعد الدين السيد صالح

الدين

هل يستطيع الانسان أن يحيا بغير عقيدة دينية ؟

وهل يكون سعيدا بهذه الحياة ؟

يجيبنا الفيلسوف الشهير كانت Kant عن هذا السؤال بقوله « لنأخذ حالة انسان فاضل يجد نفسه خاضعا لالحاح الاعتقاد بأنه لا يوجد اله ، ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة ، فكيف يقدر مصيره تقديرا مستمدا من القانون الخلقى الذى يوحى اليه العمل ؟ انه يرى أن ذلك الاعتقاد لن يجلب له أى فائدة شخصية . لا فى هذه الحياة ولا فى حياة أخرى وراء هذه الحياة ، بل انه على العكس يرى أن ارادته يمكن أن تكون باعثة على الخير حين توجه القوانين الاذلية جميع طاقاته ، فهو مجبر فى كل أفعاله .. وسيجد آخرين ممن يحيطون به يخادعون ويغدرون ويستعملون العنف والقسوة على حين يكون هو نفسه أمينا مسالما .. ولا يعدم فيمن حوله بضعة أفراد فضلاء مثله . ولكنهم يتعرضون لقسوة الطبيعة التى لا تحفل بالقيم المثالية .. وبعد هذا يتساوى الجميع ـ أشرارا وأخيارا ـ حينما يدهمهم الموت ويلقى بهم فى قبور فسيحة بلا تفرقة ، انه لن يستطيع الاستجابة للقوانين السلوكية بسبب المصير الى ظلام العدم اللانهائى ، واذا أراد أن يتجنب هذا ، وجب عليه الايمان بوجود خالق للكون هو الله .. »

كما يقدر أنه « اذا كان للوجود الانسانى قيمة فلابد أن يكون للعالم غاية .. ولابد من وجود سيد أعلى يشرع فى مملكة خلقية من الشرائع ذات الأهداف المثالية مايتسنى به تحقيق الخير الأسمى تحت رعايته . وسيطرته على الكون كله » ويقود فى بحث آخر قصور الارادة الانسانة عن تحقيق القانون الخلقى ، وأن الله وحده هو الذى تتحقق فيه الصلات المطلقة بين الارادة الالهية والقانون الخلقى .

وفى كلام » كانت « ما يغنى عن الرد على القائلين بأن القوانين الخلقية النابعة من الضميرحينما يلتزمها الانسان تغنيه عن العقيدة الدينية ، ان القوانين الخلقية لا تقوم على مجرد السلطة المقارنة لها بل تقوم على ادراك ما يصاحب تطبيقها من منفعة وما ينشأ عن تركها من أضرار ، ولكن من الذى يحدد المنافع

ضرورة حتمية

للأستاذ على عبد العظيم

ويوضح الاضرار ؟ فكم من عمل ظاهره النفع أو ظاهره الشر ولكنه ينتج عكس ما توقعناه منه وقد تكون المنفعة خاصة بالفرد ولكنها ضارة بالمجتمع ، وقد تكون منفعة وقتية يعقبها ضرر كبير — ومن العجيب أن دوركايم Durkkeim يرى فى كتابه التربية الخلقية « أن القاعدة الخلقية يجب أن يكون الباعث على احترامها واجبا دون النظر الى النتائج التى تترتب عليها ، وهذه أحلام فلاسفة لو فرضنا تحققها فى بضعة أفراد ممتازين فانه لا سبيل الى تحقيقها فى المجتمعات ، ثم لنا أن نتساءل عمن يضع لنا القوانين الخلقية ؟ ان الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس اختلفوا وسيظلون مختلفين فى تقويم الفضائل وتحديد الرذائل فبأى آرائهم نأخذ ونحن مطمئنون الى أن ما أخذناه هو الصواب ؟ ان الايمان هو الذى يعطينا هذا التحديد الدقيق .

يقول ول ديورانت Will Duront ان الشك يبعث على التوقف والضيق والايمان يدفع الى البسط والانطلاق ويحسن الشهية والدورة الدموية والواقع أن كل متشكك يشكو معدته ، وان الاعتقاد الدينى أمر طبيعى ، وهو ينشأ مباشرة من الدوافع الفطرية والعاطفية من التعطش الى حفظ الذات وبلوغ الامان والاطمئنان ، وفى بعض الاحيان يغمرنا الشكر على النعمة حتى نود أن تكون لروح العالم آذان تسمع بها آيات شكرنا »

ويقول نيتشة : « ان الطريقة التى تنقلب بها المصائب حظوظا حسنة أغرته بالاعتقاد فى الله .. ثم يقول « ان الدين لم ينزع عن الموت مافيه من ألم فحسب بل ملأ الحياة جمالا بالطقوس والبناء والنحت والنقش والدراما . لقد حول الدين مأساة الحياة الحقيرة الى رحلة شاعرية يحج فيها المرء الى نهاية شريفة وبغير الدين تصبح الحياة سخيفة » .

ان ضعف الوازع الدينى يؤدى الى انهيار خلقى يبدو واضحا فيما يعانيه العالم الآن من انهيار سلوكى نلمسه فى انتشار طوائف الخنافس والهيبيز والوجوديين وجماعات الساخطين ..

الدين

ومستعمرات العراة وانتشار المسكرات والمخدرات وتعدد حوادث الانتحار •• ومن هنا ندرك سر تساؤل توماس هاردى Thomas Hardy عن الكآبة التى أخذت فى الاستيلاء على الشعوب المتحضرة حين تخلت عن اعتقادها فى سلطة خيرة هى سلطة الدين •

ومن أهم آثار الدين أنه يبدد الاحزان ويسوق العزاء ويفتح أبواب الرجاء ويبعث فى النفوس الثقة والسكينة والاطمئنان ، وتبارك الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم والمشاهد فى حضارتنا الحديثة وتعقدها وتشابكها ومشكلاتها العديدة أنها تثير القلق النفسى وتنشره مع ما يصحبه من انهيار الاعصاب وانتشار ضغط الدم وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية •• الى غير ذلك من الامراض • ولا علاج للقلق النفسى الا فى تمكن العقيدة الدينية فى النفوس ••• وهذا ماقرره العلامة النفسى الشهير « هنرى لانك » مع أنه بدأ حياته ملحدا ولكن أحداث الحياة وما قام به من تجارب عديدة وما شاهده فى علاج مرضاه رده الى الايمان بالله وقد سجل هذا كله فى كتابه « العودة الى الايمان » قال فيه : « لقد أجريت مع معاونى عشرات الآلاف من التجارب النفسية على نحو عشرة آلاف انسان تلبية لطلب مؤسسة كارينجى التى وضعت بين أيدينا مائتى ألف دولار لاجراء هذه التجارب ، ونتيجة لهذه التجارب بدأ ادراكى لاهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الانسان ، ووجدت من نفسى استعدادا لمضاهاة تجاربى السابقة على مرضاى بالنتائج الباهرة التى انتهت اليها الاختبارات العظيمة التى توليت الاشراف عليها ، وقد استخلصت من هذه الاختبارات العديدة نتيجة هامة هى **ان كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار للعبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لايزاول أى عبادة** » •

أليس هذا مصداقا لقوله تعالى : « **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » • والاسلام يقرر الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق ويوضح التبادل القائم بين الله المهيمن على كل شىء والمؤمن المعتمد على ربه الواثق به حيث يجد فى ظله الامن والسكينة والاطمئنان ، فالمؤمن يذكر ربه فى عبادته وربه يذكره برحماته ، وهو سبحانه واص عن عباده وهم عنه راضون « **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** » والسلام الشامل قائم بين الله وعباده ، فقد اختار لهم الاسلام دينا •• والاسلام مشتق من السلام وتحية المؤمنين فيما بينهم السلام وختام صلواتهم السلام • وتحيتهم فى الجنة السلام هدية من ربهم الذى سمى نفسه بالسلام ، والمؤمن يشعر دائما أنه موضع كرامة الله وأنه خليفة الله فى أرضه وحامل أمانته بين خلقه وان جزاءه البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة كما قال سبحانه : « **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ**

ضرورة حتمية

الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » .

ولهذا يحيا المؤمن فى سلام ويلقى ربه فى سلام وهو واثق أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وهو واثق أيضا أن مع العسر يسرا ، وأنه «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا » .. فلا قلق ولا اضطراب ولا تمزق ولا انحلال ، لان رحمة الله محيطة به من حيث يدرى ولا يدرى « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » ومن ثم يطوى المؤمن حياته راضيا عن ربه مرضيا عنه منه « يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

وبعض الفلاسفة يرى فى القانون ما يغنى عن الدين لان عقابه سريع لا ينتظر بعثا ولا نشورا ولان عامة الناس يخشون العقاب المادى العاجل ولا يأبهون بالعقاب الآجل ، وأنه مادامت عين القانون ساهرة قوية فان المجتمع يستطيع أن يعيش فى أمن وسلام دون الحاجة الى دين يحميه .

والى هؤلاء نقول ان الدين يغنينا فى تطبيقه عن القانون ولا يغنينا القانون عنه بأى حال فالحاكم فى الشريعة الاسلامية يطبق القوانين مع مراعاة العدالة المطلقة فى تطبيق أحكام الحدود والمعاملات والاحوال الشخصية فى هذه الحياة ويترك عقاب الآخرة لله ، على أن الله سبحانه قد يعجل بالعقوبة فى الدنيا قبل الآخرة فان المجرمين « لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ، وَمَالَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ » .. قال تعالى : « لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ » .

ونلاحظ ان القانون لا يعاقب الا على الظواهر لانه عاجز عن علم الضمائر وقد يفلت من عقابه المجرمون اذا أحسنوا اخفاء جرائمهم ، ولكن الله الذى لاتخفى عليه خافية يأخذ كل مجرم بجريرته . فاذا أفلت من عقاب القانون فانه لا يفلت من عقاب الله « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

والقانون يعاقب ولكنه لا يكافىء ، ومن الناس من تخيفه العقوبة ومنهم من تجذبه المثوبة والله سبحانه يعاقب المسيئين ويثيب الطائعين « إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وهناك جرائم لا يعاقب عليها القانون مثل الكذب والنفاق والبخل ولكن الله توعد عليها بالعقاب لانها جرائم تلحق أشد الضرر بالافراد والجماعات . ومواد القانون قد تكون ظالمة وقد تكون ناقصة ، وقد تحمى الطائفية والعصبية العنصرية والمذهبية فى كثير من الدول وهى مع هذا غير ثابتة .. فكثيرا ما تتغير من جيل الى جيل ، ولكن الشعائر الدينية ثابتة مستقرة بما تقرره من فضائل وما تحظره من

الـــديـــن ضرورة حتمية

رذائل وهى تصلح الظواهر والضمائر وتعنى بالاجساد والارواح • والقانون يمثل سلطان الحاكم • وربما كان هذا الحاكم ظالما أو طاغية وقد يكون موضع السخط أو التشهير ، ومهما بلغت قوة الحاكم فهو محدود العمر محــدود المعرفة محدود الجاه والسلطان ، أما الــدين فيرد الامور كلها الى حاكم عادل مطلق السلطان لا يحده زمان ولا مكان •• ولا تخفى عليــه خافية ولا يعجزه شىء فى الارض ولا فى السماء وسعت رحمته كل شىء وأحاط بكل شىء علما « **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** » •

وحاكم الدولة قد يجامل ويحابى وقــــد يتعصب ، ولكن الله سبحانه لا يحـــابى ولا يتعصب والحاكم قد يحتجب عن رعيتــه وراء الاستار والاسوار وقد يحيط نفسه بالحجاب والحراس ولكن الله قريب من عباده يسـمع دعوة المؤمن اذا دعاه « **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَـــادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ** » •

ومن هنا نجــزم بأن القانون والفلســـفة والعلوم لا تستطيع أن تحل محل الدين فالدين ضرورة حتمية لكل مجتمع سواء كان متحضرا أم متخلفا فانه يغنى عن غيره ولا يغنى عنــه سواه وفى هذا يقول ماكس نوردو Max Nordeau

« **ان الاحساس الدينى أصيل فى الطبيعــة البشرية يجده الانسان غير المتحضر كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا ، وستبقى الديانات ما بقيت الانسانية • وسوف تتطور بتطورها وسوف تتجاوب دائما مع درجـــة الثقافة التى تبلغها الجماعة** » •

« ونلاحظ أن الشـــعوب الراقية علميا الآن يتعرض شبابها لألوان من التمزق والضياع لأن قلوبهم من الدين خواء ولهــــذا ترتفع فيهم نسبة الانتحار » •

ولهذا أعلن هنرى لنك بعد آلاف التجارب : « أنه لا يوجد بديل كامل يحل محـــل تلك القوة الهائلة التى يبعثها الايمان بالخـــلاق العظيم وناموسه الخلقى الالهى فى قلـــوب الناس » •

ولقد أهاب الدكتور ولسن الرئيس الاسبق للولايات بالشعب الامريكى أن يعود الى الدين قبل فوات الاوان ، وقال فى ندائه للشـــعب « اننا اذا لم ننقذ حضارتنا المادية بالروحانيات فلن نستطيع البقاء بماديتها العميـــاء ، وهى لا يمكن أن تنجو من مصيرها الرهيب الا اذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها ، ذلك هو الامر الذى يجب أن تتنافس فيه معابدنا ومنظماتنا السياسية وأصحاب رءوس أموالنا وكل فرد خائف من الله محب لبلده » •

ولقد أعلن المارشال مونتجمرى القـــــائد الانجليزى العظيم الذى غير مجرى الحــرب العالمية الثانية النداء التالى على جيشــه « ان الجيش اذا سار على غير مرضاة الله فانـــــه يسير على غير هدى ، ان خطـــر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ولهذا لا نستطيع أن ننتصر فى معركة الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شىء » هـــذا كلام مونتجمرى •

وكلنا نعرف فى مصر مدى تأثـــير النداء الربانى العظيم « الله أكبر » فى معركة العبور على الرغم من قوة العدو، وما يملكه من التحصـــينات المنيعـة والأسلحة الفتاكة •

على عبد العظيم

من حضارة الإسلام

القيادة

أمانة ورسالة

من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم

للواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

من المبادىء التى تستخلص من سنة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى القيادة واعداد القادة أن القيادة أمانة ورسالة ، وأن اعداد الرجال ليكونوا قادة من أسمى مهام القيادة ، وأن قيمة أية قيادة تقاس بمقدار ما صنعت وقدمت لأمتها من رجال صالحين لتولى القيادة .

فالقائد الذى يريده الاسلام هو القائد المعلم الذى يدرك مسئوليته نحو رجاله فيجعل على رأس اهتماماته اعدادهم للقيادة ، وتعهدهم بالتدريب والتوجيه ، ومن ذلك مثلا أن يفوض اليهم بعض السلطات والصلاحيات ويعهد اليهم ببعض المهام ، ويسند اليهم

القيادة

القيادة فى غيابه وهو مطمئن الى قدرتهم على النهوض بأعبائها ، ويتحدث عنهم ويشيد بأعمالهم ويفخر بهم •

أما القائد الذى لا يرضى عنه الاسلام فهو القائد السلبى الذى لا تصل به قدراته أو قد لا يصل ايمانه وادراكه لمسئوليته الى حد السعى الى اعداد غيره للقيادة ، فنراه لا يحفل بأكثر من تصريف الامور ، ويترك معاونيه ومرءوسيه لعوامل الصدفة فى التعليم ، وبعض القادة من هذا النمط يركز كل الامور فى يده ، ويحسب أن من صالحه أن يقال عنه ان الامور تختل لو غاب عن قيادته ، وقد ينطوى هذا السلوك على سوء النية والحقد وكراهية النجاح لغيره فيتضاعف ضرره •

الأسوة الحسنة :

أى أن القائد المسلم صاحب مدرسة ورسالة ويدرك تمام الادراك أن قيامه باعداد أجيال من القادة ، من أسمى واجباته ، وأمانة فى عنقه فنراه يقبل على أداء الواجب ، وعلى الوفاء بالامانة بكل حماسة واخلاص وحيوية دافقة •

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة ، يقول الله تعالى : « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** » •

فلقد كان عليه الصلاة والسلام هو المعلم الذى تنزل عليه الوحى برسالة الاسلام ليبلغها للناس ، وصاحب المدرسة التى تخرج فيها قادة أمم ، وعباقرة حروب ، ورجال اصلاح ، وعلماء وفلاسفة ، ورواد حضارة •

ولم يكن هذا الايجاز الرائع أمرا يسيرا أو هينا ، يكفى أن نقارن بين حال العرب قبل الاسلام وحالهم بعد الاسلام حتى ندرك السر فى ذلك التحول الكبير •

فلقد حمل الرسول صلى الله عليه وسلم الامانة وبلغ الرسالة وجاهد حق الجهاد ، فكانت مدرسته خير مدرسة وحدت بين الناس، وجمعت قلوبهم على الحق ، وقادتهم الى الخير ، وحملت مشاعل الحرية والنور والحضارة للانسانية جمعاء ، وحقق العرب بعد الاسلام فتوحات امتدت ــ فى أقل من مائة عام ــ من حدود الصين شرقا الى شاطىء الاطلسى غربا •

وقد بلغ عدد قادة الفتح الاسلامى مائتين وستة وخمسين قائدا منهم مائتان وستة عشر قائدا من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأربعون من التابعين باحسان رضوان الله عليهم أجمعين •• هؤلاء هم الذين حملوا رايات المسلمين شرقا وغربا ، وهم قادة فتح العراق والجزيرة • وقادة فتح المشرق الاسلامى وقادة فتح الأندلس والبحار •

القائد وصفات المقاتل :

وأول ما يقرره الاسلام لبناء القادة هو أن يتحلى القائد بصفات المقاتل ، فلا يقود المقاتلين الا مقاتل • وهذا ما جرت عليه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى تدريب المسلمين على الرماية وركوب الخيل والقتال بها والطعن بالرماح وغيرها من أسلحة القتال وأساليبه ، وقد ضرب عليه السلام القدوة والمثل للقائد المعلم فكان يشاركهم فى التدريب

ويقيم بينهم السباق والمنافسة فيه .

المشاركة فى التخطيط الحربى :

ومن أهم ما يفيد فى اعداد القادة اشتراكهم فى التخطيط للمعارك بالتفكير والمناقشة وابداء الرأى ، ويدخل ذلك فى نطاق مبدأ الشـــورى الذى طبقه الرسول القائد صلى اللــه عليــه وسلم خير ما يكون التطبيــق حتى قال عنــه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحـــدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول اللــه صلى الله عليه وسلم » .

ففى غزوة بدر استشار أصحابه فى مبــدأ دخول المعركة ضد قريش واستقر الرأى على قبول المعركة . وعندما وصل الجيش الى مكان المعركة نزل عليه السلام على مشورة الحباب ابن المنذر وانتقل بالجيش الى حيث أشـــار ، وفى غزوة أحد استشار أصحابه فى مبدأ البقاء فى المدينة ولقاء قريش فيها أو لقائهم خارجها، فاستقر الرأى على الخروج واستجاب عليــه الصلاة والسلام للرأى وقال لهم : « لكم النصر ما صبرتم » .

ومن أهم النتائج التى تحصل من المشاركة فى التخطيط الحربى ــ علاوة على التدريب على فن التفكير وابداء الرأى ــ تدريب القادة على المبــادأة والتصرف الســليم فى المواقف التى تواجههم دون الحاجة الى الرجوع الى القيادة العليا وخاصــة فى المواقف المفاجئــة أو التى لا تحتمل التأخير ، وذلك لان مشــاركتهم فى مرحلة التخطيط تتيح لهم معرفة واسعة بفكر القائد ونواياه وأهدافه،واحاطة وافية بجوانب الموضوع تمكنهم من اتخاذ القرار الســليم فى المواقف بهدى تفكيرهم وحده .

قيادة العمليات القتالية المحدودة :

ان تولى القيادة الفعلية يعد تتويجا للجهود التى تستهدف اعداد القادة ، وهو انتقال من المرحلة النظرية الى مرحلة التطبيق العملى ، وقد حرص الرسول القائد المعلم أن يكون ذلك تحت اشرافه وتوجيهه ، فعهد الى أصــحابه بتولى القيادة فى أشكال متعــددة من أعمــال القتال المحدودة (وهى ما يسمى بالسرايا)مثل دوريــات الاســتطلاع ودوريــات القتــال والاغارات وهى تعد مقدمة لتولى مهــام أكبر منها .

ومن خصائص هذه الاعمال أنها محــدودة الاهداف والقوة ، اذ تتراوح القوة التى تتألف منها من بضعة أفراد الى بضع مئــات ، وهى تفيد القائد من جوانب كثيرة نذكر منها دراسة طبيعة الارض والطرق واستطلاع أحوال العدو والدخول معه فى تجربة القتال الفعلى لســبر أغواره واختبار قوته وقدراته القتالية فضــلا عن تنمية الثقة بالنفس .

قيادة وحدات الجيش تحت القيــادة العليــا للرســول :

وهى صورة أخرى لمنهج الاسلام فى اعداد القادة ، فقد كان الرسول القائد عليه الصــلاة والسلام يعين أصحابه فى قيادة الوحدات التى

يتألف منها الجيش الذى يقوده بنفسه ، فمثلا فى غزوة بدر كان الجيش يتألف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين يقودها على بن أبى طالب وكتيبة الانصار ويقودها سعد بن معاذ ، وفى غزوة الفتح كان الجيش يتألف من أربعة أرتال يقودها أربعة من القادة هم الزبير بن العوام وخالد بن الوليد وسعد بن أبى عبادة وأبو عبيدة بن الجراح .

وهذا الاسلوب يفيد القادة من عدة نواح نذكر منها ما يلى :

١ ـ مباشرة القيادة الفعلية تحت اشراف القائد الاكبر والافادة من ملاحظاته وتوجيهاته .

٢ ـ اتاحة الفرصة العملية لملاحظة أسلوب القائد المعلم فى القيادة الحربية من حيث التخطيط للمعركة وادارتها والتصرف فى مواقفها ، وهى فرصة ممتازة للتعلم على الطبيعة ، واكتساب « الخبرة القتالية » فى الوقت نفسه .

والجدير بالملاحظة أن هذه « الدورة التدريبية العملية » لاعداد القادة امتدت من بداية الصراع مع الاعداء حتى نهايته فى عصر النبوة . أى أكثر من سبع سنوات ، فاننا لو راجعنا سجل الغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه (٢٨ غزوة) وأنعمنا النظر فى التوزيع الزمنى والكمى فسوف نخرج بالحقائق التالية :

السنة الثانية للهجرة : ٨ غزوات .
السنة الثالثة للهجرة : ٤ غزوات .
السنة الرابعة للهجرة : ٣ غزوات .
السنة الخامسة للهجرة : ٤ غزوات .
السنة السادسة للهجرة : ٣ غزوات .
السنة السابعة للهجرة : ٢ غزوتان .
السنة الثامنة للهجرة : ٣ غزوات .
السنة التاسعة للهجرة : ١ غزوة واحدة.

ويدل ذلك على أن الرسول صلى الله عليه وسلم باشر القيادة الحربية بنفسه طوال فترة الصراع ، بل وفى كل سنة من سنواتها بلا استثناء ، كما يدل أيضا على التركيز على قيادة أكبر عدد من هذه العمليات فى العام الاول للصراع (السنة الثانية هجرية) وهذا التركيز له دلالة لا تخفى على القائد الفطن الخبير بفنون القيادة الحربية اذ يتيح للقادة المرءوسين أوسع الفرص للتدريب فى زمن قصير .

تولى مركز القائد الثانى :

وفى بعض العمليات العسكرية كان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن يختار القائد الذى يتولى قيادتها يعيد معه « قائدا ثانيا » بل وثالثا أحيانا ليتولى القيادة اذا أصيب القائد الاصلى أو استشهد أو غاب عن المعركة لأى سبب .. ومن ذلك أنه عليه السلام عين عمير بن هشام قائدا ثانيا مع على بن أبى طالب فى قيادة كتيبة المهاجرين وحمل رايتها فى غزوة بدر ، وعين جعفر بن أبى طالب قائدا ثانيا

أمانة ورسالة

ويليه عبد الله بن رواحة مع زيد بن حارثة الكلبى الذى عينه لقيادة غزوة مؤتة .

تولى القيادة المستقلة للعمليات الكبيرة :

وتلك أرقى صور اعداد القادة .. حيث يباشر القائد مسئولية القيادة كاملة لاحدى المعارك الهامة .. وقد أتاح الرسول القائد صلى الله عليه وسلم تلك الفرصة لأصحابه فى غزوة مؤتة حين عين زيد بن حارثة الكلبى لقيادة جيش المسلمين الذى كان يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل .. وكان موقع المعركة يبعد عن المدينة أكثر من خمسمائة كيلومتر (على حدود الشام) الأمر الذى كان يترك للقائد حرية المبادرة كاملة لبعده عن مركز القيادة العليا فى المدينة

رعاية القادة الموهوبين :

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على الاشادة بمن يثبتون كفاءتهم ، وبمن تظهر مواهبهم فى القيادة الحربية بحيث تبشر بمستقبل باهر لهم ، ومن أمثلة هؤلاء خالد ابن الوليد .. فانه مما يثير العجب أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشاد بخالد بأن سماه « سيف الله » وهو مرتد على رأس جيش المسلمين منسحبا من مؤتة .. وكان المسلمون فى المدينة يتلقون العائدين بالنكير والتشهير . ويحثون فى وجوههم التراب ، ويصيحون بهم أينما وجدوهم : يافرار ! يا فرار ! .. فررتم من سبيل الله !!

ان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قد قدم بهذا صورة رفيعة لتصرف القائد الأعلى الذى يحرص على ألا يدع مثل هذا الموقف يقضى على المستقبل العسكرى لقائد لديه من الملكات والقدرات والمواهب ما يجعله كفؤا لتولى القيادة الحربية على أعلى المستويات .

فالرسول لم يواجه ذلك الموقف الذى ساد فيه الاتجاه العام « بالادانة » بالأساليب المعتادة والتى يلجأ اليها البعض والتى تتراوح بين السكوت أو التبرير أو المحاكمة — وان انطوت على ظلم — ارضاء للشعور العام .

والجدير بالذكر أن خالد بن الوليد لم يكن معينا من قبل الرسول للقيادة فى غزوة مؤتة فيقول قائل أنه ينصر قائدا هو المسئول عن اختياره .. وهو من ثم المسئول عن ارتداده أو فراره ، ولكن خالدا أختير للقيادة بالاجماع بعد استشهاد قادة الجيش الثلاثة الذين عينهم الرسول لتولى القيادة بالتعاقب .

وهكذا واجه الرسول الموقف بما لم يكن فى حساب أحد ، وبما لا يمكن أن يصل اليه فكر أعظم القادة ، فسمى خالد بن الوليد « سيف الله » .. ولا غرابة فى ذلك فالرسول هو الينبوع الفياض من تلك الفطرة العلوية التى فطرها الله لهداية الامم وقيادة الرجال ، بل لقيادة القواد الذين يروضون الامم والرجال ولقد شهد التاريخ العسكرى لخالد بن الوليد بالعبقرية العسكرية ووضعته أعماله الرائعة فى فتوحات الاسلام فى عداد القادة العظماء فى التاريخ ووجه العبقرية فيما فعل الرسول

◄

القيادة أمانه ورسالة

وفراسته وعرفانه الشامل بخصائص النفوس وسبره العميق لاغوار الطبائع والافكار ... يكمن ــ كما يقول الاستاذ العقاد ــ فى أنه صلوات الله وسلامه عليه أطلق ذلك الاسم على خالد مبكرا أثر أول معركة يشترك فيها بعد اسلامه بشهرين أو ثلاثة ، وقبل أن يقوم بأعماله الحربية البارزة فى التاريخ .

ولو أن خالدا رضى الله عنه قضى نحبه فى السنة العاشرة للهجرة أو بعد ذلك بقليل لعجب المؤرخون كيف سمى « سيف الله » ، وفيم استحق هذا اللقب الذى لا يعلوه لقب فى الاسلام ، ولكن النبى وحده . قد عرف قبل الحادية عشرة للهجرة أنه حقيق بهذا اللقب على أوفى مداه ، وسماه به قبل أن يهزم المرتدين (فى عهد أبى بكر) وقبل أن يهزم الفرس والروم .. وقبل أن يصون للاسلام جزيرة العرب ويضم اليها العراق والشام ، وهى الأعمال الجسام التى من أجلها يدعى اليوم سيف الاسلام .. وانما هو البصر العلوى الذى يلمح هذه القدرة فى معدنها حيث ينظر الناس فيرون خالدا مرتدا من غزوة مؤتة فيطلق عليه ذلك اللقب الرفيع فيحفظ له مستقبله العسكرى العظيم الذى كان جديرا به .

والواقع أن قرار خالد بعد توليه القيادة مباشرة بالانسحاب كان من وجهة نظر « فن الحرب » قرارا سليما تماما . وكان هو الحل الأمثل لتخليص جيش المسلمين من الفناء فى معركة غير متكافئة .. والمعروف أن الانسحاب يعد من أصعب العمليات العسكرية وأخطرها اذ كيف يمنع القائد جيش الاعداء من مطاردته وهو منسحب والاجهاز عليه ؟ .. ذلك هو الاختبار الحقيقى لكفاءة القائد وعبقريته الحربية . وهذا بالضبط ما أظهره خالد ابن الوليد ، فقد صمد فى المعركة حتى المساء . ثم بدل مواقف الجيش تحت الليل .. فنقل الميمنة الى الميسرة ، ونقل الميسرة الى الميمنة وجعل المؤخرة فى وضع المقدمة والمقدمة فى موضع المؤخرة ، ورصد من خلف الجيش على طائفة يثيرون الغبار ويكثرون الجلبة عند طلوع الصباح ، فلما طلع الصباح على الفريقين اذا بالأعداء من طوائف الغسانيين والروم يرون قبالتهم وجوها غير الوجوه .. وأعلاما غير الاعلام .. واذا بالجلبة مع هذا الاختلاف فى الوجوه والاعلام توهمهم أن مددا جديدا أقبل على جيش المسلمين ، وكانوا قد ذاقوا منهم أمر المذاق بغير مدد وهم مفاجأون فكيف يكون حالهم وقد أتاهم المدد ؟

وهكذا .. وبهذه الخطة البارعة فى خداع الاعداء استطاع خالد أن ينجو بالجيش من المطاردة ويخلصه من الفناء.

لواء : محمد جمال الدين محفوظ

الصراع الحضارى

فى مجال

نقل العقائد والآراء

بقلم دكتور مصطفى غلوش

ان منهج الاسلام فى الجـــانب « الاعــلامى » يظهر فى منهج «التبليغ» ونقل « الدعوة » المراد اعتقادها • وقد وضح ذلك فى منهج الرسل والأنبيــاء • وتجلى فى (دعوة) خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

ومن هنـــا وجب علينـــا أن نلفت النظر الى (مناهج) نقل العقائد والآراء من حضارة الى أخرى • ومن مجتمع الى مجتمع • بل ومن (عقيدة) الى مناخ (عقيدة) منافسة • حتى يتسنى للمشتغل بحركة الصراع العقــائدى والمذهبى : أن ينتخب ما ينفعه منـــه • وأن يلتفت الى : ما يصادمه • فيقاومه • أو يظاهر عليــه •

ويكفينا فى هذا المضمار أن نســتحضر قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه • عندما وصف له رجل من رعيته فى مجــال (المباهاة) بأخلاقه : هذا رجل لا يعرف الشر • فقال عمر رضى الله عنه : ذاك أحرى أن يقع فيه •

معنى انتقال العقيدة والرأى : ــ

مما لاشك فيه أن لكل حضارة انســـانية

الصراع الحضاري ...

خصائصها التى تتميز بها عن غيرها (١) وتبدو هذه الخصائص فى صورة المعتقدات الخاصة • والتراث القومى والفنون والآداب وشتى مناحى المعرفة العلمية والثقافية •

ونحن نتفق مع من يذهب الى : أن الفكر الانسانى متصل الحلقات (٢) فهذا ــ عندما ــ يزيد معنى : استمرار النبوات • وضوحا • والذى يعنينا هنا : أن من هذه الخصائص ما تعتقده الحضارات (سرا) تحرص عليه • فلا تزيعه ولا تفشيه (٣) •

ومنها ما تتصور أنه يحقق لها (الريادة) والزعامة الحضارية • فنخرج منه بالقدر الذى يرشحها لهذه الزعامة (٤) •

ومنها ما تعتبر أن نشره فى الحضارات الأخرى • يحقق لها روح التبعية والالتقاء لأغراض اقتصادية بحته • (٥) •

ونود الاشارة هنا الى أن هذا الانتقال• اذا كان خاصا بالفكر العقائدى أو الثقافى • فاننا لا يمكننا أن نجرى عليه (قواعد) الانتقال الحضارية التى يمكن أن نلاحظ بالنسبة للعلوم الطبيعية أو الفنون الأخرى (التشكيلية) • التى يمكن (حسها)• اذ مدار البحث المادى جلى وتغيره ظاهر •

وعليه : فالانتقال الحضارى المحسوس والمحدود بقوانين المادة كالعمارة والرسم ••• الخ • يمكننا أن نحدد : متى انتقلت ؟ وكيف •• ؟ •ودواعى الانتقال وهيئته ومناشطه •• الخ • فقد أتاح لنا (تاريخ العلوم) امكانية تتبع هذا الانتقال بدقة وتفصيل • فمثلا : نستطيع أن نلم اليوم بتفصيل : كيف نشأ علم (الجبر) ومتى وأين •• ودور كل حضارة فى تطوره •

واذا راعينا ذلك : فاننى أعتقد أن هذا (يكاد) يكون مستحيلا فى الجانب الفكرى للعقائد الحضارية •

لأن محاولة فصل العصور العقائدية والثقافية على نحو محدود ومفصل لا يمكن أن يتاح لنا • بسبب : تغلغل العقائد والآراء والمذاهب فى العواطف والصدور على صورة لا يمكن رؤية حركتها المباشرة على النحو الذى يتيح لنا رؤية(بناء) تبدو فيه العمارة (الفارسية) • مثلا •

ومن هنا فانه اعلاء منا لمنهج التصادق العلمى • فان حديثنا عن الحضارات الفكرية العقائدية وحركة انتقالها • لا يمكن أن يكون

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٣٠ من ك (فجر الاسلام) د/احمد أمين .

(٢) راجع ص ٢٢ جـ ١ من ك (نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام/د/على سامى النشار الطبعة السابقة ــ دار المعارف .

(٣) لوحظ ذلك قديما عند (الفراعنة) وعلومهم السرية . وحديثا : فى حفاظ الدول الكبرى على اسرار القنبلة الذرية واخواتها .

(٤) كما نلاحظه فى عصرنا الحالى من تمركز حركات التبشير المسيحية حول موارد الثروات الطبيعية من معادن ومناجم فى أفريقيا وغيرها .

(٥) وقد لوحظ ذلك فى حركات النشر الماركسى التى تقوم به الدول الشيوعية .

الا بطريق « التقريب » •حيث أن هذا — كما نعتقد — صار (خصيصة) لهذا الاتصال الحضارى •

سمات فارقة بين نقل العلوم والعقائد : —

تتسم الحركة الحضارية التى ترتبط بالفنون والعلوم المحسة • وكل (فن) يلتقط بالحس بالسمات الآتية : —

١ — ضبط حركة الانتقال وتأصيل عصرها وتاريخها ورعايتها •

٢ — سرعة الانتقال • لاعتمادها على المشاهد •

٣ — الخضوع للذوق العام الفطرى فى انقبول والرفض • وحاجة الانسان لهذه الحضارة فى أمور الحياة المختلفة •

٤ — يحرك الرغبة فى (نقلها) الاطلاع عليها وعلى تقدمها فتشرئب النفس الى الاستفادة منها فى موطن حضارة المطلع عليها •

أما فيما يختص بالحضارة الفكرية والقضايا العقائدية • فان الأمر يبدو مختلفا • لأن تحديد العصور الفكرية والعقائدية أمر (صعب)• لاستقبال (العقائد) بمنهج العاطفة والوجدان والعقل •• فلا نستطيع اخضاعها لنفس الأقيسة والمعايير التى تتحكم فى الحضارة المادية • ولذلك تتسم بالسمات الآتية : —

١ — صعوبة ضبط عصر انتقالها والتاريخ المحدود لها •

فى مجال نقل العقائد والآراء ...

٢ — صعوبة الانتقال بين الحضارات لاحتياجها الى (مجهود) فى الاقناع والتلقى • واصطناع الدعاه والتلاميذ والمعجبين •

ويقول الدكتور محمد البهى فى هذا العدد :

والجماعة الانسانية لا تنتقل من ظاهرة الى : نقيضها فجأة • وبالأخص فى المظاهر العقلية • بل من بين انظاهرة السابقة لجماعة (،) والأخرى اللاحقة لها : تدخل الجماعة — الحضارية — من حال • تختلف من القرب والبعد من أخرى الظاهرتين • وتكون هذه الحال (المردودة) أشبه بحال الانتقال) (١) •

كيفية انتقال العقائد : —

ونحن هنا لن نساير حركة الانتقال فى عمومه الحضارى • بل سنحاول الاشارة الى : كيفية انتقال العقائد والآراء الفكرية من حضارة الى أخرى • ووسائل هذه العقائد فى انتقالها • والدوافع التى لوحظت محركة لهذا الانتقال •

وسندرك بعد الفراغ من اتمام ما نود سوقه فى هذا الشأن — وقد يطول — أننا

---

(١) أنظر ص ٧٢ من ك (الجانب الالهى) د/محمد البهى ط ٤ .

لو تتبعنا انتقال أى (عقيـــدة) أو (فكرة) فســـنجدها نقلت (بقـوانين) النقــل التى سنذكرها وأحب التنبيه عــنى أننى أعنى هنـا بالنقل •• فالنقل العمد الذى يفصح عن (نية) النقلة •• فالنقل (العفوى) رغم تقـــديرنا لدوره • فاننا فقــط ــ نركز على التنبيـــه فيما يختص بخط (النقل) العمدى •

صعــوبة نعترف بها : ــ

اذا تمهد هذا كلــه • وكنا نتمنى أن نثرى هذه المقدمة لحاجتنا الى عناصرها فيما بعــد • ولكننا نكتفى بهذا • حتى لاتحــول (المقال) الى (بحث) تخصصى • مكانه غـــير هــذه الصفحات •

فاننا نسأل أنفسنا : كيف تنقـــل العقائد والآراء من حضارة الى حضارة •

وكيف ينهج (الناقل) فى نقله : الطـــريق الذى يوصله ؟

وهل لابد للعقيدة أو الفكرة المنقولة : عقلية كانت أو أسطورية من (ناقل) يتطلع بمهمـــة (النقل) • أم أن الامر قد يحدث بتلقائـــية (عفوية) غير مقصودة لذاتها ؟ •

ونعترف : أننا اذا حاولنا الاجابة عن هــذا التساؤل فاننا لا ندعى أننا سندلى بجـــواب (حاســم) فى هذا الشــأن •• وان كان ذلك لا يحملنا على الاغضاء عــن الجــواب • فقد نكون بذلك من الممهدين لاثراء المكتبة العربيـــة فى هذا المجال بعدما اشتد ظمؤها •• ولعـــل ذلك يرجـــع الى أن الكثير (يثبط) الهمم من دراسة (عمومية) هذا المنهج • اذ البـــدرات التى انتثرت على هيئة تقويم (لدعوة) معينة (قوم) مخصوصين بخصوص (عقيدة) بالذات لا تكفى فى (سبر) حركة العقـــائد والآراء والمذاهب حضاريا •

ويقول الدكتور أحمد فـــؤاد الاهوانى فى تصوير هذه الصعوبة •

لعل أصعب مايواجهه الباحث فى تاريخ أمة ــ حضارة ــ هو : تاريخ عقلها فى نشـــوئه وارتقائه • وتاريخ دينها وما دخلــه من آراء ومذاهب •• أما الفكرة • فاذا حاولت أن تعرف كيف نبتت ؟ •• وكيف تمت ؟ •• وما العوامل فى ايجادها ؟ وما العناصر التى غذتهـــا ؟ •• وما الطوارىء التى طرأت عليها فعدلتهـــا أو صـــقلتها ؟ •• أعياك ذلك •• وبلـــغ منك فى استخراجه الجهد ••(١)

كيف يكون النقل ؟

نحن نتصور أن العقائد مطلقـــا (تنقل) باحدى الكيفيات الآتية :

أولا : البث العمدى للعقيدة •

ثانيا : النقل العفوى •

أولا : البث للعقيدة بطريق العمد :

نلاحظ أنه عندما تريد حضارة أن (تنقل)

(١) راجع ص ٢ من مقدمته على الجزء الرابع من ك (ظهور الاسلام) لاحمد أمين .

في مجال
نقل العقائد والآراء

عقيدتها الى حضارة أخرى .. فانها تلجأ فى سبيل ذلك الى أن تنشر وتبث (العقيدة) فى الحضارة الأخرى .

ومن طرائف النفس البشرية هنا .. أنها بالرغم من حبها لذاتها فلا تسعد النفس للمشاركة فى مسكن أو مأكل أو جاه أو مال وقد يشد الانسان فى هذه الدائرة الى كثير من المفاسد والاوضار الاجتماعية .. فيظهر الشح والأثرة والانانية والظلم والسلب .. الخ .

ولكن مقعد الطرافة هنا .. أن هذا الانسان يجب أن يشارك من كل البشر فى (عقيدة) التى يعتقدها .. ويسعد لذلك أيما سعادة .

وبهذه (الخصلة) النفسية .. نجد الانسان فى حضارته يتحرك لينشر عقيدته أيا كان لونها أو وصفها أو قربها أو بعدها عن (الوحى) . وغالبا : لا يرى فى عقيدته ـ خاصة اذا كانت مرتبطةبالدين عنده ـ جانب الباطل ان احتوته .

ورحلة الانسان فى (بث) عقيدته ونشرها . طويلة حتى لا يكاد يخلو عصر من عصور البشرية من (محاولة) لهذا البث العقائدى . ومازال يحفظ لنا تاريخ الانسان نشاطه فى هذا (النقل) . وكيف كان يتحين الفرصة أثناء حركته (للرعى) أو الهجرات الموسمية .. الخ ..

النقل البثى بطريق الآداب :

بل قد وصلنا كيف كان (بث) العقدى متصلا حتى لقد شاهدنا (قوما) يجيدون لغة وتقاليد وعادات الحضارات الاخرى .. وينقلون اليها بطريقة (هادئة) دون أن يفصحوا عن نيتهم . ويجلسون فى نوادى القوم ونجعتهم .. ويسوغون الافكار والآراء فى قوالب معينة .. وحتى تبدو وكأنها غير مقصودة .. فتنتسل (العقيدة) المراد نشرها ، فى طيات القصيدة أو القصة أو الأسطورة . الى المحيط الحضارى المستهدف . فتحدث أثرها وتؤتى ثمارها .

فــرق هام :

وهذا الطريق الذى يقصده (ناقل) العقيدة يختلف عن طريق (السرية) وعن طريق (الدعوة) .

اذ النقل السرى : لا يظهر فيه الناقل على أى صورة .. بل يظهررجاله وتلاميذه ودعاته.

أما (البث) : فان الناقل هو الذى يظهر ويعلن عقيدته فى قوالب (مستترة) .. بحيث لا تبدو فى قوله أو أسلوبه (البثى) .

وأما الدعوة للعقيدة : فتمتاز بالافصاح والاعلان عن العقيدة التى يراد نقلها الى الحضارة الاخرى .. وأبرز مثال لذلك . هو : دعوات الرسل والأنبياء .. فانهم يجاهرون بها .. داعين الى اعتقادها .

الصـــراع الحضـــارى
فى مجـــال نقـــل العقـائد والآداء

علاقة النقل بالسياسة :

وقد تتعلق (الدعوة) بالسياسة •• فنجـــد بعض الحكام والاباطـــرة •• يوجهون دعاتهم لنشر (عقائد دينية) • التى قد تكون ســـببا فى توطيد الحكم السياسى لهؤلاء •• كما لوحظ فى فكرة (الحق الالهى) فى الحكم •• الـــخ •

علاقة ناقل الحق بالجهر :

ومما يلفت نظرنا : أن نقل العقـــائد الى الحضارات الاخرى ــ خاصة الدينى منها ــ لا تأخذ شكل (الدعوة) فى الاغلب الا اذا كانت تحتوى على (الحق) •• فتواجه الحضـــارة الاخرى فى قوة وجلاء •• معلنة قصدها ولـــو تعرضت للاضطهاد والتنكيل •• وقد تبدى هذا جليا فى (دعوات) الانبياء • ودعاة الاصلاح المخلصين •

أما اذا أحس الداعى أن ما يريد نقله ••• يحتوى على (فاسد) فانه (ينفر) من (العلن) ويلجأ الى طريق (البث) فى صوره المختلفة •

وستظهر هذه الصورعند حديثنا عن : وسائل الانتقال فى مقال آت ان شاء الله تعالى) •

ثانيا : النقل العفـــوى :

فى هذا المضمار لا نستطيع اغفال (نقـــل) يتم بلا عمد •• وانما بتلقائية وعفوية •

وخير مثال على هذا النوع : ما فعله التجار المسلمون مع (الهند) التى تعبد (الاوثان) • أنهم لم يتعمدوا نقل الاسلام لهـــذه البقاع • فانما أظهروا (سلوكا) أمينا •• وصدقا ••• فتعجب الهنود ولما سألوهم عن علة هـــذا •• أخبروهم : أن دينهم (الاســـــلام) يأمرهم بذلك •

وهكذا دخل الاسلام هذه المناطق تلقائيا •

كما أنه قد يخالط رجل رجلا فى ســـــفر أو غيره •• فتنتقل (الفكرة) من أحدهما للآخر • بلا اعمال أو تدبير •

يتبـــع

دكتور مصطفى غلوش

دور الأزهر القيادى وشعوب العالم

مازلت جامعة الازهر تجــذب اليها الكثيرين خاصة فى هذه الفترة من حياة العالم اذ يفد اليها العلماء المتخصصــون ليديروا مع أساتذة الازهر النــدوات العلمية والحوار الفكرى حول أهم قضايا العالم المعاصر ·

وقد اجتمعت فى كلية أصول الدين بالقاهرة هذه الندوة التى ضمت بعض اساتذة جامعــة الازهر وبعض الباحثين فى مركز بحوث فبراير ٧٤ للبحوث والتسجيل بروما ·

وبناء على توجيهات الســيد الاســتاذ الدكتور/محمد الطيب النجار رئيس جامعــة الازهر ، وانطلاقا من دور الازهر القيادى لكل شعوب العــالم ، أجتمعت اللجنة المكونة من بعض أساتذة جامعة الازهر والوفد الممثــل لمركز بحوث فبراير ٧٤ الايطالى فى الساعــة الحادية عشرة صباح يوم السبت٢٢/٨/١٩٨١ الموافق٢٢ منشوال ١٤٠١ هـ بكلية أصول الدين

وتكونت اللجنة الممثلة للجامعة من :

١ ــ السيد الاستاذ الدكتور/محمد السعيد عبد ربه ــ عميد كلية الشريعة والقانــون ــ بالقاهرة
٢ ــ السيد الاستاذ الدكتور/عبد الرحمــن الكردى ــ عميد كلية اللغة العربية ــ بالقاهرة
٣ ــ السيد الدكتور/عبد المعطى بيومى ــ وكيل كلية أصول الدين ــ بالقاهرة
٣ ــ السيد الدكتور/عمارة نجيب ــ الاستاذ المساعد بكلية اصول الدين بالقاهرة
٥ ــ السيد الدكتور/ضياء الكــردى ــ الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين
٦ ــ السيد الدكتور/أحمد عمر هاشــم ــ الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

٧ ــ **السيد الدكتور/عبد الموجود محمــد عبد اللطيف ــ** المدرس بكلية اصول الدين ــ بالقاهرة
٨ ــ **السيد الدكتور/محمد على السماحى ــ** المدرس بكلية اصول الدين ــ بالقاهرة
٩ ــ **السيد الدكتــور/أحمــــد أحمـــد أبو السعادات ــ** المدرس بكلية اصول الديــن ــ بالقاهرة

ومثل الجانب الايطالى وفد مكون من أربعة افراد وهم :

السيدة رئيسة الوفد ، السكرتير العــــام للمركز ، وعضو متخصص فى دراسة تـــاريخ الاديان وعضوان آخران ، وقد قام بسكرتارية الاجتماع وبالترجمة من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية والعكس « السيد محمد كامــل عبد الرحمن » من ادارة العلاقات الثقافيــة بالجامعة .

وقد بدأ الاجتماع بالشكر المتبادل بيـــن الجانبين وبترحيب جامعة الازهر واستعدادها لمناقشة كل من يتعلق بالاديان ، ثم بدأ الجانب الايطالى فى توجيه الاسئلة على النحو التالى :

(س) ما أثر الاسلام فى التحول الاجتماعى ؟

وتولى الاجابة عن هذا السؤال الســيد الدكتور/عبد المعطى بيومى وكيل كلية اصول الدين قال :

من المعلوم ان الاســلام دين مرن ، جاء بقواعد كلية لاتفترض شيئا محددا فى الفنون أو المجتمع أو فى النواحى الاجتماعية ، وانما اشترط ان تكون هذه التقاليد أو العلــوم أو الفنون دائرة فى فلك الخالق ومرتبطة به وان تمكن الانسان من تعمير الارض وتعمير الارض عبادة ، وكل ما يساعد على تعميرها ويجعلهـا أكثر رفاهية هو فى صالح الاسلام وهذا من ناحية العلوم .

أما من ناحية التقاليد الاجتماعية فالاسلام يضع اساسا لها وهى أن تكون دائرة فى الناحية التى تحفظ للانسان انسانيته وتميزه كأشرف المخلوقات ، وأى تقليد يرفع من شأن الانسان يوافق عليه الاسلام وأى تقليد يخل بكرامــة الرجل أو المرأة لا يوافق عليه الاســلام ، فالاسلام اذن يشجع التحول الاجتمــاعى فى مجال التقاليد طالما كانت هذه التقاليد تحتــرم حرية الانسان وكرامته .

أما بالنسبة للفنون الشعبية : فالاسلام أيضا يعطى هذه الفنون الحرية فى أن تعبر عـــن تطلعات الشعوب وآمالها وآلامها طالما كــانت

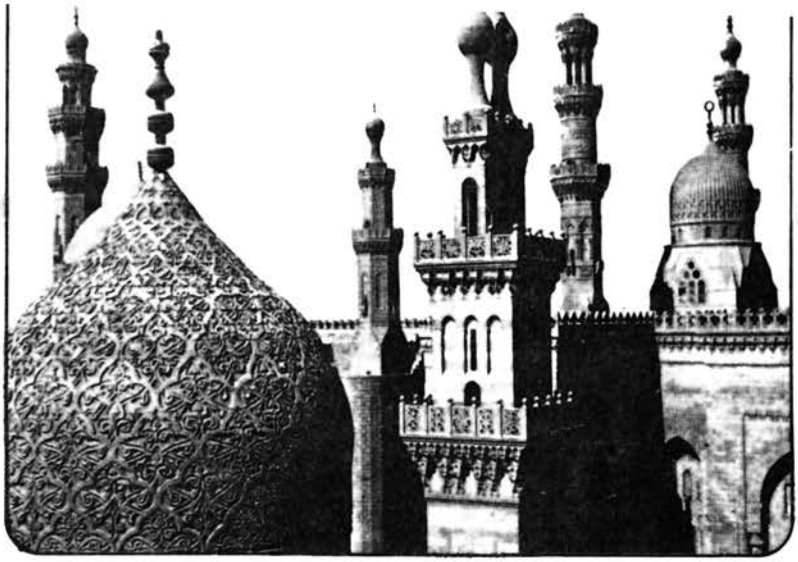

ملتزمة بالاخلاق والقيم التى جاء بها الاسلام وبالنسبة للتطور الاجتماعى فالاسلام لايفترض نظاما اساسيا معينا انما يقيم نظام المجتمع على ثلاثة أسس هى : العدالة ، الشورى ، المساواة .

فاذا توفرت هذه الاسس الثلاثة كان للمجتمع أن يتخذ أى شكل من أشكال النظم .

ويلاحظ ان المساواة هنا تعنى المساواة فى الحقوق والواجبات والمساواة فى تطبيق القانون الاسلامى العام .

كما أن الاسلام يشجع التحول الاجتماعى باستمرار الى الافضل فى اطار شرائع الاسلام وهى الايمان بالله والتزام الاحكام والالتزام بكل مايحفظ على الناس دينهم وهى الدين ، النفس ، العرض ، العقل ، والمال .

وهذا كله فى صالح التقدم البشرى ولا يقيد حرية الانسان .

ثم اثار اعضاء الوفد نقطة اخرى وهى :

أنه فى العلوم الانسانية يوجد جدل كبير جدا عن مشاكل العلاقة بين الدين والعالم الحديث فمنذ آلاف السنين قال كثير من الأوربيين أنهم يساندون النظرية التى تقول أن أمام التكنولوجيا إلتى تقوم عليها الحضارة الغربية فان تدين الانسان سوف يختفى من وقت لآخر وفى السنوات الاخيرة ظهرت ابحاث ودراسات برهنت العكس ، وفى ايطاليا ثبت ان الحضارة الحديثة لم تدمر أسس الاديان ولكن على العكس زاد انتشار الدين لان الحضارة الحديثة لم تقوى على اجابة كل الحلول لمشاكل الانسان لذلك فان الحضارة الحديثة لاتستطيع

دور الأزهر القيادى وشعوب العالم

ان تعطى السعادة الكاملة للانسان ولكنها تستطيع ان تعطيه فقط الوسائل والادوات لاتكنولوجيا ، وتعطيه أيضا رفاهية معينة ولكنها لاتستطيع ان تحل مشاكل الانسان الروح . لذلك ففى كل انحاء العالم زاد انتشار الدين والعبادة .

وكان تعليق اساتذة الازهر على هذا :

ان الاسلام يساعد فى حل مشكلات الانسان وايجاد الحلول الدائمة لها ، من القاعدة العريضة التى بناها وعلى هذا ، فان الحضارة الحديثة تزيد فى ايمان المؤمن لانه لاينظر للحضارة الحديثة على أنها ستحل مشكلاته حيث ان الاسلام قد حلها والدين غير منفصل وانما يضع الاسلام حلا للمشاكل الاجتماعية وعلى هذا ليس لدى الاسلام مانع فى تطور الحضارة بل ان قوة ايمان المؤمن تزيد عن طريق العلم الحديث ، ولكن الحضارة الحديثة التى ليس لديها قواعد ثابته كالاسلام لن تحل المشاكل الاجتماعية للانسان وهناك تحفظ وحيد للاسلام على التكنولوجيا المدمرة فى مجال الحرب ، فالاسلام لايشجع انتاج الاسلحة النووية التى لاتفرق بين محارب وغير محارب لان فلسفة الاسلام فى الحرب الايكون هناك مساس بالعزل من السلاح، أو المنشئات المدنية أوالاقتصادية وكان الرسول عليه السلام يوصى اصحابه الا يمسوا شجرة أو أى شىء آمن ، والاسلام أيضا ربط بين الدين والعلم فلا توجد فجوة بين الاسلام والحضارة الحديثة .

ثم كان سؤال آخر من الوفد الايطالى عن انتشار الاسلام فى أنحاء العالم وكيفية اتصال الاسلام بذوى اللغات المختلفة والشعوب المسلمة غير العربية .

وتولى السيد الاستاذ الدكتور/عبد الرحمن الكردى ــ عميد كلية اللغة العربية الاجابة . فقال سيادته :

الاسلام دين عام لكل الشعوب ، لانه جاء بما يناسب العقل البشرى . ويقوم على اساس عقلى بحت فى اثبات وجود الله ، وهذا هو اساس الايمان . وعلى هذا فلا تقف اللغة عثرة فى ايصال الدين لاى مجتمع بشرى ، وان

الرسول عليه السلام أمر اصحابه بتعلم لغات الشعوب الاخرى لنقل الاسلام اليها •

وحاليا ينتشر الاسلام بدعاته الذين يجيدون اللغات الاجنبية المختلفة ويذهبون الى الدول الاخرى كما ان المراكز الاسلامية المنتشرة فى جميع انحاء العالم بها دعاة يوضحون الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ، هذا الى جانب الكتب التى تقوم بترجمتها الدوائر العلمية لشرح الاسلام والاسلام لايفرق فى التعامل بين جنس وآخر أو طبقة وآخرى وانما الكل سواسية فى نظر الاسلام وهذه الدول الاجنبية ترسل طلبة ليدرسوا الاسلام بالازهر الشريف وجامعته العريقة •

وليس لدى الاسلام مانع من اجراء الحوار مع أى ثقافة لان اساسه العقل ويحترم التفكير العقلى السليم وقائم على أسس عقلية فى اثبات وجود الله وصفاته الوحدانية •

ثم تحدث احد اعضاء الوفد الايطالى فقال:

الاسلام منذ البداية عنصر أساسى للانسان، يوجه حياته الاجتماعية ، وهو دائما يزود العلوم ، واساس أيضا فى عملية الاقتصاد • وعلى هذا فشخصية الاسلام شخصية ايجابية ولذلك فهو يأخذ كثير من نشاط الرسول عليه السلام ، ودعوته عالمية للتحدث للجنس البشرى كله فكيف ينظر الاسلام الى الوحدة والاخوة فى كل مكان •

وتولى السيد الدكتور/ضياء الكردى الاستاذ المساعد بأصول الدين ــ الاجابة •

فقال : ينظر الاسلام الى الوحدة والاخوة على اساس العدالة المطلقة بين جميع الدول والالوان وأهل الكتاب بلا تفرقة •

وهذه هى دعوة القرآن الكريم • وعلى هذا تتحقق الاخوة بين طبقات المجتمع الاسلامى كما هو مشاهد منه •

وفى القرآن الكريم :

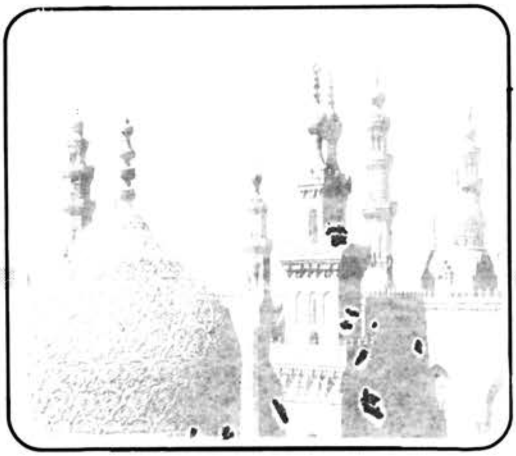

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

وفى الحديث : « **الناس سواسية كأسنان المشط** » .

« لا فضل لعجمى على عربى الا بالتقوى ».

ثم وجه السيد الدكتور/ضياء الكردى سؤالا للوفد الايطالى عن مصدر الالزام لديهم ؟

وكانت اجابة الوفد الايطالى :

نود أن نبدأ القول بالمصادر المختلفة للالزام :

أولا ـ كوننا مواطنين ايطاليين .

ثانيا ـ كوننا كاثوليك .

ولذلك يجب القول أنه فى المجتمع الغربى وبخاصة فى ايطاليا ـ توجد فروق بين منظمات الدولة ومنظمات الكنيسة ، ومنظمات الكنيسة تعتمد على (العهد الجديد) وكمواطنين ايطاليين مطلوب منا ان نعمل ونحترم الدستور الايطالى الذى له مبدءان هما .

المساواة والديمقراطية . وكمواطنين ايطاليين يطلب منا تحقيق هذين الامرين ، وهذا هو عملنا الذى يجب ان نجيب به كمواطنين ايطاليين .

والنقطة الثانية : كوننا كاثوليك مطلوب منا ان نتبع مثال المسيح ونكمل عمله ، عمله الذى حللته الاحداث التاريخية وأظهرت أنه مات من أجل البشرية وعمله ظاهر لكل قانون بشرى وأنه وراء القانون البشرى .

ويقال فى (العهد الجديد) **أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله** .

ونحن مطلوب منا ان نكمل عمل السيد المسيح وننتظر النهاية .

سؤال آخر لجامعة الازهر :

هل اذا تغير الزام الدولة (والدستور قابل للتغيير) يتغير تبعا لذلك الالزام الدينى ؟

وكانت اجابة الوفد الايطالى :

أنه خلال التاريخ وفى آلاف السنين الماضية

دور الأزهر القيادى وشعوب العالم

تغير الدستور وتغيرت الدولة كثيرا . ولكن الالزام الدينى للكنيسة ظل كما هو ، واذا كان قانون الدولة ضد الزام الكاثوليك فان الزام الكاثوليك جاء قبل الدولة ومثال لذلك ان أول المسيحيين الذين نسميهم شهداء ماتوا لانهم واجهوا بايمانهم طغيان الدولة الرومانية التى كان لديها آلهة كثيرين والذين طلبوا من المسحيين أن يعبدوا الامبراطورية • وهذه حقيقة موجودة فى (العهد الجديد) لان الحكام الرومانيين ارادوا ان يخدعو وان يضللوا المسيحيين •

والخلاصة أن المسيحيين فى العالم ولكنهم ليسوا فوق العالم •

ثم سؤال آخر لجامعة الازهر عن سبب تسمية هذا المركز الايطالى بمركز (بحوث فبراير ٧٤) •

وكانت الاجابة على النحو التالى :

ان اسم مركزنا هو اسم شهر فى العام وفى هذا الشهر تجمع آلاف من الناس فى روما ذات يوم وتناولوا الاشياء السيئة الموجودة فى روما كالفقر والبطالة وعدم المساواة وكانت هذه المرة الاولى لالاف الاقطار المختلفة ووجهات النظر ان تناقش فى مؤتمر عام ، ومن هذا المؤتمر ولدت سياسات وأنشطة كثيرة ، وكان رد الفعل هو انشاء هذا المركز من اجل تحسين أحوالنا باستخدام العلم ثم بدأنا فى الانتشار فى العالم ثم قدم الوفد الايطالى رسالة مكتوبة لاساتذة جامعة الازهر وهذه ترجمتها •

فى اطار التعاون بين مركز بحوث فبراير ٧٤ الايطالى وجامعة الازهر فان اهتمامنا هو دراسة وبحث الاديان والتحول الاجتماعى •

وفيما يخص الاسلام ، فأنه يبدو لنا طرح موضوعان يمكن مناقشتها فى المناسبات المختلفة •

١ ــ الاسلام والتجديد : ويعنى ذلك دراسات حول العلاقة بين الاسلام والقيم

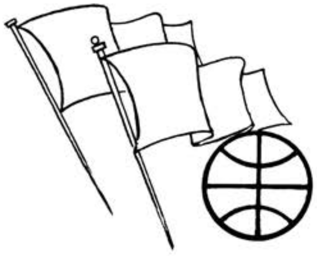

الدينية والقيم الناتجه من التكنولوجيا الغربية دراسات حول العلاقة بين الدين والحيـــاة الاجتماعية وبصفة خاصة مشاكل القانـــون والاقتصاد والاتصال ·

٢ ــ الاسلام ومشاكل التطور فى العالم ، وبصفة خاصة انتشار الاســـلام ، تطــور النظريات ، صورة الاسلام فى الدول غـــير العربية ·

ونعتقد ان كل هذا يمكن تحقيقه عن طريق:

١ ــ لقاءات مع الاســـاتذة والمحاضرين ومجموعات من الطلبة ·

٢ ــ تبادل المعلومات ولقاءات مع كلية من الكليات الجديدة كالهندسة والاقتصاد والتجارة وكليات أخرى ·

٣ ــ مقابلات مع اساتذة أو أى تعاون آخر مع مركزنا ·

٤ ــ امكانية عقد مؤتمر قبل نهاية سبتمبر عن الدين والتحول الاجتماعى ·

٥ ــ حلقات دراسية ، مؤتمرات ، دراسات عامة وابحاث مع اساتذة الجامعة وتعقـــد فى أماكن مختلفة ·

٦ ــ تبادل المنح الدراسية ·

ونعتقد ان النتيجة الاساسية سوف تكــون معرفة أحسن وأعمق للاسلام فى الغرب ·

ونشكركم على حسن تعاونكم ··

أعلام الإسلام

- فقه الإمام البخاري

- شخصية في سطور خالد بن الوليد

فقه الإمام

المحدثون والفقه في عصر البخاري وشيوخه

في ذلك العصر كثر تدوين الحديث والأثر في بلدان الاسلام ، وكتابة الصحف والنسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية الا كان لهم تدوين أو صحيفة أو نسخة .

فطاف من أدرك من عظمائهم ذلك الزمان — بلاد الحجاز والشام ، والعراق ، ومصر ، واليمن ، وخراسان ، وجمعوا الكتب وتتبعوا النسخ ، وأمعنوا في غريب الحديث ، ونوادر الأثر فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث ، والآثار ما لم يجتمع لأحد قبلهم ، وخلص اليهم عن طريق الحديث شيء كثير حتى كان يكثر من الأحاديث مائه طريق فما فوقها .

فكشف بعض الطرق ما استتر في بعضها الآخر ، وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستنباط وأمكن لهم النظر في المتابعات والشواهد ، وظهر عليهم أحاديث كثيرة لم تظهر على أهل الفتوى من قبل ، قال الشافعي، لأحمد ، أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا ، فاذا كان خبر صحيح فأعلموني ، حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا — حكاه بن الهمام . وذلك بأنه كم من حديث صحيح لا يرويه الا أهل بلد خاصة كأفراد الشاميين والعراقيين أو أهل بيت خاصة ، كنسخة »بريد عن أبي برده عن أبي موسى : فمثل هذه الأحاديث يغفل عنهاعامة أهل الفتوى .

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين وكان الرجل فيما قبلهم لا يتمكن من جمع حديث بلده وأصحابه ، وأمعنت هذه الطبقة في هذا الفن ، وجعلوه شيئا مستقلا بالتدوين والبحث وناظروا في الحكم بالصحة والانقطاع على من سبقهم ،

(محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة)
أبو نعيم بن حماد الخزاعى

البخارى

للدكتور الحسينى هاشم

فقد كان سفيان ووكيع وأمثالهما ، يجتهدون غاية الاجتهاد ، فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل الا من دون ألف حديث ، كما ذكر أبو داود السجستانى فى رسالة الى أهل مكة .

وكان أهل هذه الطبقة يروون دون ألف حديث فما يقرب منها ، بل صح عن البخارى أنه اختصر حديثه من ستة آلاف حديث .

وعن أبى داود أنه اختصر سننه من خمسة آلاف حديث ، وجعل أحمد مسنده ميزانا يعرف به حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فما وجد فيه ، ولو بطريق منه — فله أصل ، والا فلا أصل له ، فكان هؤلاء ، عبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، ومسدد ، وهناء ، وأحمد بن حنبل ، واسحق بن راهويه ، والفضل ابن دكين ، وعلى بن المدينى وأقرانهم ، وهذه الطبقة ، هى الطراز الأول من طبقات المحدثين ، رجع المحققون منهم بعد أحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الأحاديث الى الفقه وأحكامه .

منهج المحدثين فى استنباط الأحكام

لم يكن فى ذلك العصر من الرأى أن يجتمع على تقليد رجل ممن مضى : مع ما يروون من الأحاديث والآثار والمناقشة فى كل مذهب من تلك المذاهب ، فأخذوا يتتبعون أحاديث النبى (صلى الله عليه وسلم) وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين ، على قواعد أحكموها فى نفوسهم .

قال الدهلوى : وأنا أبينها لك فى كلمات يسيرة ، كان اذا وجد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه الى غيره .

واذا كان القرآن محتملا لوجوه ، فالسنة قاضية عليه ، فاذا لم يجدوا فى كتاب الله ، أخذوا سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سواء كان مستفيضا دائرا بين الفقهاء ، أو لم يعملوا به ، ومتى كان فى المسألة حديث ، فلا يتتبع فيها خلاف أثر من الآثار ، ولا اجتهاد أحد من المجتهدين •

واذا فرغوا جهدهم ، فى تتبع الأحاديث ، ولم يجدوا فى المسألة حديثا أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ، ولا يتقيدون بقوم دون قوم ، ولا ببلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم •

فان اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شىء فهو المقنع ، وان اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم ، وأورعهم ، أو أكثرهم ضبطا ، أو ما اشتهر عنهم • فان وجدوا شيئا يستوى فيه قولان ، فهى مسألة ذات قولين ، فان عجزوا عن ذلك أيضا تأملوا فى عمومات الكتاب والسنة وايماءاتهما وحملوا نظير المسألة عليها فى الجوانب اذا كانتا متقاربتين بادىء الرأى ، لا يعتمدون فى ذلك على قواعد الأصول ، ولكن على ما يخلص الى الفهم ، ويثلج به الصدر ، كما أنه ليس ميزان التوتر عدد الرواة ، ولا حالهم ، ولكن اليقين الذى يعقبه فى قلوب الناس — كما كان الحال عند الصحابة — وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل تصر يحاتهم — عن ميمن بن مهران قال : كان بو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك الأمر سنة قضى بها ، فان أحياه خرج فسأل المسلمين ، وقال : أتانى كذا وكذا ،فهل علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قضى فى ذلك القضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه قضاء فيقول أبو بكر : « الحمدلله الذى جعل فينا من يحفظ سنة نبينا فان أعياه أن يجد فيه من سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به • وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جاء لك شىء فى كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتك عنه الرجال . فان جاءك ما ليس فى كتاب الله فانظر سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاقض به ، فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ، ولم يكن فيه سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ، ولم يكن فيه سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يتكلم فيه أحد قبلك ، فاختر

أى الأمرين شئت ، ان شئت أن تجتهد برأيك ، ثم تقدم فتقدم ، وان شئت تتأخر فتأخر ، ولا أرى التأخير الا خيرا لك ».

وبالجملة ، فلما مهدوا الفقه على هذه القواعد ، فلم تكن مسألة من المسائل التى تكلم فيها من قبلهم ، والتى وقعت فى زمانهم ، الا وجدوا فيها حديثا مرفوعا متصلا أو مرسلا أو موقوفا صحيحا أو حسنا أو صالحا للاعتبار أو وجدوا أثرا من آثار الشيخين (أبو بكر وعمر) أو سائر الخلفاء وقضاة الأنصار، وفقهاء البلدان ، أو استنباطا من عموم أو ايماء أو اقتضاء فيسر الله لهم العمل بالسنة على هذا الوجه .

وكان أعظمهم شأنا ، وأوسعهم رواية ، وأعرفهم للحديث مرتبة ، وأعمقهم فقها (أحمد ابن محمد بن حنبل ، ثم اسحق بن راهويه ، وهما من أساتذة البخارى ومعاصريه ، وكان ترتيب الفقه على هذا الوجه يتوقف على جمع شىء كثير من الأحاديث والآثار حتى سئل أحمد ، يكفى الرجل مائة ألف حديث يفتى ؟ قال : لا حتى خمسمائه ألف حديث قال : (أرجو . مراده الافتاء على هذا الاصل ، ثم أنشأ الله تعالى قرنا آخر ، فرأوا أصحابهم قد كفوهم مئونة جمع الأحاديث ، وتمهيد الفقه على أصلهم ، فتفرغوا لفنون أخرى كتمييز الحديث الصحيح المجمع عليه بين كبراء أهل الحديث كزيد بن هرون ، ويحيى بن سعيد القطان وأحمد واسحق وأضرابهم .

وكجمع أحاديث الفقه ، التى بنى عليها فقهاء الأمصار وعلماء البلدان مذاهبهم .

وقد حكم على كل حديث بما يستحقه . وكالشاذة من الأحاديث التى لم يرووها . أو طرقها التى لم يخرج من جهتها الأوائل مما فيه اتصال أو علو سند ، أو رواية فقيه عن فقيه ، أو حافظ عن حافظ ، ونحو ذلك من المطالب العلمية ، وهؤلاء : البخارى ومسلم وأبو داود ، وعبده بن حميد والدارمى ، وابن ماجه وأبو يعلى والترمذى ، والنسانى ، والدار قطنى ، والحاكم والبيهقى والخطيب والديلمى ، وابن عبد البر وامثالهم .

وكان أوسعهم علما ، وأنفعهم تصنيفا ، وأوسعهم ذكرا رجال أربعة :

البخارى ، مسلم ، أبو داود السجستانى ، أبو عيسى الترمذى).

ـ أولهم أبو عبد الله البخارى ، وكان غرضه تجريد الأحاديث الصحاح المستفيضة المتصلة من غيرها ، واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها ، فصنف « جامعه الصحيح .. ووفى بما شرط قال الدهلوى : وبلغنا أن رجلا من الصالحين رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى منامه ، وهو يقول : (مالك اشتغلت بفقه محمد بن أوزلس وتركت كتابى ؟

قال : يارسول الله ، وماكتابك ؟

قال : صحيح البخارى) ولعمرى أنه نال من الشهرة والقبول درجة لا يرام فوقها .

دكتور : الحسينى هاشم

شخصية في سطور

خالد سيف

* هــو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبــد الله ابن عمرو بن مخــزوم أبو ســليمان وقيــل أبو الوليد القرش المخزومى ٠

* كان خالد موصوفا فى قومه بالشجاعة : مقدما عندهم فى الحروب عارفا بأصول الحرب حسن الطبع عنفوان الشجاعة أحـــد بالشدة متسرع الى العاقبة :

وقد حضر بدر وأحد والخندق مع المشركين ضد المسلمين ٠

* اختلف المؤرخون فى وقت دخول خالد الاسلام فقــال بعضهم أنه أســلم سنة ٨ هـ ثمان للهجرة وقال بعضهم ســنة ٥ هـ خمس وقال بعضهم سنة ٧ هـ سبع وهو الصــحيح ٠ فقد كان اسلامه بعد غزوة الحديبية وكانت فى ذى القعدة سنة ٦ ست هجرية ٠

* لما أسلم خالد أرسله الرســول صــلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤته لغزو الروم وفى هــذه الغــزوة استشـــهد زيد وكان أمير الجيش ثم أخــذ الراية بعــده جعفربن أبى طـــالب فاســتشهد أيضــا ثم أخــذ الراية بعده عبد الله ابن رواحه فاستشهد أيضا ثم اتفق المسلمون على دفع الــراية الى خالد ابن الوليد فأخذها وقاتل بها حتى اندق فى يده سبعة أسياف ثممازال يدافع القومحتىانحازوا عنه ثم عاد بجيش المسلمين وفى هذه الغزوة ســماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله (سيف الله) ٠

* وقد شهد خالد بن الوليد منح مكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره يومئــذ ان يدخل من اسفل مكة من الليط ومعه اسلم وغفار ومزينة وصهينة وقبائل انعرب ٠

* وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو العرب حول مكة الى الاسلام ٠

* حضر خالد بن الوليد غزوة حنين مــع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان على مقدمه الرسول ٠ وجرح خالد يومئذ فعاده رســول الله صلى الله عليه وســلم ونفث فى جــرحه فبرىء ٠

* حضر خالد بن الوليد حروب الــردة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنـــه وأبلى فيها بلاء حسنا فحارب طليحة وانتصر عليــه وحارب ام زمل من بنى فزاره فقتلت وتفرق جمعها وحارب مسيلمة وقضى عليه وأتباعه ٠

الله
بن الوليد

بقلم سعيد عبد الحي

* أمره أبو بكر الصديق بالتوجه الى العراق وهناك كانت وقعة الحفير قرب خليج البصرة أول وقعة لخالد فى العراق وكان اسم صاحبها هرمز وقد انتصر فيها خالد على الفرس ولما انهزم هرمز أرسل الى كسرى ملك الفرس فأمده بجيش عظيم بقيادة قارن والتقى المدد بجيش هرمز فاجتمعوا فى الثنى وهو اسم نهر وسار اليه خالد وقاتلهم وهزمهم .

*** ثم قصد خالد بعد ذلك الحيرة وصالحه اهلها بعد مناوشات خفيفة وفتحها فى شهر ربيع الأول سنة ١٢ اثنى عشر من الهجرة ثم سار خالد الى دومة الجندل ثم كانت وقعة الحصيد والخنافس ومضيح البر شاء وغيرها .**

* بعث ابى بكر الصديق رضى الله عنه كتابا الى خالد بن الوليد ان يتوجه الى الشام واستخلف خالد المثنى بن حارثة الشيبانى وقال له (ارجع رحمك الله الى سلطانك غير مقصر ولا وان) وعندما اجتمع المسلمون فى اليرموك كان عددهم سبعة وعشرين الفا منهم الف صحابى وكان الروم فى مائة الف وفى رواية انهم كانوا فى مائتى ألف .

*** وعندما تهيأ المسلمون للقاء العدو قام خالد فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « هذا يوم من أيام الله لاينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ، لاتقاتلوا قوما على نظام وتعبيه وأنتم متساندون ، فان ذلك لايحل ولا ينبغى وان من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون انه رأى من واليكم ومحبته » قالوا هات فما الرأى : فأشار عليهم بأن يتناوبوا الأمارة العامة .**

* توفى خالد بن الوليد فى حمص بالشام وكان قد اتخذها مقرا له بعد أن أتم فتوحه فى العراق والشام وتوفى سنة ٢١ احدى وعشرين هجرية فى خلافة عمر .

*** ولما حضرت خالد الوفاه قال « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وهاأنا أموت على فراشى كما يموت الغير فلا نامت اعين الجبناء ، وما من عمل ارجى من لا اله الا الله وأنا مترّس بها » .**

رحم الله خالد ورضى عليه

طرائف

تفسير دقيق

قال تعالى : « يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ » ·

ويقول فى تفسيرها بعضهم : إنما خص هذه الأعضاء دون غيرها بالذكر ، لأن السائل اذا سأل البخيل ، زوى عنه وجهه ، فان ألح عليه أزور عنه بشق جنبه الذى يليه ، فان ألح ولاه ظهره ·

عدة فى الدين والدنيا

قال على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ :

عليكم باقتناء الاخوان فهم عدة فى الدين والدنيا ، ألا ترى الى قول الله ــ عز وجل ــ حكاية عن أهل النار فى النار **« فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ »** ·

إن زاد برك على برهم

قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يا معن ! قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : انك لجلد ، قال : على أعدائك ، قال : وان فيك لبقية ، قال : هى لك يا أمير المؤمنين ، قال : فاى الدولتين أحب اليك ؟ هذه أم دولة بنى أمية ؟ ، قال ذلك اليك يا أمير المؤمنين ، ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الى ·

إذا استطعت

كتب رجل الى ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ يسأله عن العلم فأجابه : ان العلم أكثر من أن أكتب به إليك ، ولكن اذا استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين ، خفيف الظهر من دمائهم ، خميص البطن من أموالهم ، لازما لجماعتهم فافعل ·

في مواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أجوبة حكيمة

قال رجل ليحيى بن أكثم : أيها القاضى كم آكل ؟

قال : فوق الجوع ودون الشبع .

قال : فكم أضحك ؟ قال : حتى يسفر وجهك ، ولا يعلو صوتك .

قال : فكم أبكى ؟ ، قال : لا تمل البكاء من خشية الله ــ تعالى ــ .

قال : فكم أخفى عملى ؟ قال : ما استطعت .

قال : فكم أظهر منه ؟ قال : ما يقتدى بك فى البر ، ويؤمن عليك قول الناس .

علاقة المحبة

علاقة المحبــة اتبــاع المحبــوب فى الامر والنهى ، قال بعضهم :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صــادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيـــع

هـــذه الدنيا

عن على ــ كرم الله وجهــه ــ قال : انمــا الدنيــا مطعــوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم .

فأشرف المطعوم : العسل وهو مذقة ذباب !

وأشرف المشروب : الماء ويســتوى فيه البر والفاجر !

وأشرف الملبوس : الحـــرير وهو نسيج دودة !

وأشرف المشموم : المسك وهــو دم حيوان !

دعاء

« اللهم انى أعوذ بك من شر الخلق ، وهم الرزق ، وســوء الخلق .

الإسلام يتحدى

التعريف بالمؤلف : ـ

من هؤلاء القلة « وحيد الدين خان » الذى يدخل اسمه لأول مرة حقل اللغة العربية بنشر ذلك الكتاب « الاسلام يتحدى » وان كان لاسمه رنين مدو فى شبه القارة الهندية ، باعتباره ثالث اثنين ، يتولون قضية الاسلام المعاصر فى وجه الزحف الفكرى .

أبو الاعلى المودودى ، وأبو الحسن الندوى ووحيد الدين خان ، وحسبنا أن نقرأ هذا الكتاب الجديد لندرك أنه يمثل عقلا وثقافة ومنهجا ، يختلف بها مؤلفه عن جميع من عرفنا من الكتاب المعاصرين : ـ

منهج المؤلف فى تأليف كتابه : ـ

قسم المؤلف كتابه الى تسعة أبواب تضمنت ١٦٣ صفحة غير الفهارس والغلاف الداخلى للكتاب .

وقد استخدم المخرج كافة وسائل الابراز على الغلاف الخارجى للكتاب لجذب انتباه القارىء .

وهذه هى الطبعة السادسة لهذا الكتاب وقد نفذت الطبعات الخمس السابقة وقد قام بترجمته الى العربية « ظفر الاسلام خان » .

ويثبت المؤلف بكتابه المنهج الذى اتبعه فى تأليف الكتاب اذ يقول : ـ

ان الطريقة التى اتبعتها فى تأليف « كتاب الاسلام يتحدى » ذات وجهين : ـ

فكرية ، وتجريبية ، وبعبارة أخرى :فلسفية وعملية ، ان صح التعبير وقد راعى المؤلف الطريقة الثانية وهى التجريبية أو العلمية .

ويستطرد المؤلف معللا اتباعه هذا المنهج اذ يقول : ـ

ان مكتبتنا تزخر بمجلدات ضخمة من الكتب التى وضعت على المنهج الاول :

على حين يوجد نقص شديد فى الكتب من المنهج الثانى .

ويقول المؤلف :

عرض وتقديم حمدى الليثى

مدخل علمى إلى الايمان

تأليف وحيد الدين خان

أننى أشعر بأن المضمار الفسيح الذى هيأته الدراسات العلمية الحديثة لاثبات الدين، هو تصديق لما جاء فى القرآن ، فى سورة النمل « **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** » •

عرض لمحتويات الكتاب

الدين ومشكلات الحضارة

هذا هو الباب الثامن من كتاب الاسلام يتحدى •

يقول المؤلف : ــ

من الحقائق المعروفة لرجال القانون أن الدساتير الرائجة فى هذا العصر تفقد أية أسس علمية أو نظرية تجيز بقاءها ويرى الاستاذ « فولر » Fullar أن « القانون لم يكشف عن نفسه بعد ! » •

ويستطرد المؤلف قائلا :

لقد وضعت كتب لا حصر لها حول هذا الموضوع بالذات وبذلت عقول جبارة من علمائنا أوقاتها فى سبيل البحث عن مقومات القانون وكما يقول محرر « موسوعة تسامبرز » لقد أعطى القانون أهمية علم هام ، حتى رفع من شأنه الى أقصى الحدود ولكن كل هذه الجهود لم توفق فى الحصول على صورة متفق عليها من القانون • وقد تشعبت بهم السبل ؛ حتى قال خبير فى التشريع : « لو طلبت من عشرة خبراء أن يعرفوا القانون فعليك أن تستعد لسماع أحد عشر جوابا ! » وقد انقسم خبراء التشريع الى مدارس فكرية كثيرةويرجع السبب وراء هذا الاختلاف بين خبراء التشريع فهو عدم توصلهم الى أساس صحيح يمكن اقامة صرح التشريع عليه • أنهم يجدون أن القيم التى يحاولون جمعها فى هيكل الدستور

الى الايمان ...

يستحيل وضعها فى ميزان واحد ومثل رجل القانون فى محاولته هذه كمثل الرجل الذى يزن مجموعة من الضفادع بمجموعة أخرى مماثلة ، فكلما وضع مجموعة فى كفة وجد أن ضفادع الكفة الثانية قد وثبت الى الماء مرة أخرى !

ومن ثم باءت كل الجهود ــ التى استهدفت الحصول على الدستور المثالى ــ بالفشل الذريع .

ويعبر الاستاذ « وفريدمان » عن هذه المشكلة قائلا « وأنها الحقيقة : أن الحضارة الغربية لم تجد حلا لهذه المشكلة غير أن تتنزلق من وقت لآخر . من نهاية الى نهاية أخرى » .

المرأة والمجتمع :

يقول المؤلف بالباب الثامن :

ان الاسلام لا ينظر الى المرأة والرجل نظرة واحدة ، فهو يحرم العلاقات الحرة بينهما ــ وقد أخذ العلماء عند بدء العصر العلمى يسخرون من هذه القوانين وأطلقوا عليها : « مخلفات العصر الجاهلى » وقالوا بشدة : أن الرجل والمرأة متساويان ، ويرثان النسل الانسانى بطريقة متساوية ، ولسوف تكون جريمة كبرى لو أقمنا العقبات فى طريق علاقتهما الحرة .

وقد أنتجت هذه الفكرة مجتمعا جديدا فى الغرب ، بيد أن التجارب الطويلة المريرة التى مرت بها الانسانية بعد هذه الاباحة هى أقصى ما عاناه البشر فقد ثبت بعد هذه التجارب أن المرأة والرجل لا يتساويا فطريا ولا طبيعيا ، وأى مجتمع يقوم على أساس مساواتهما سوف يسبب خرابا ودماء عظيمين للحضارة البشرية .

(أ) ان أول حقيقة فى هذا الامر هى أن الرجل والمرأة يختلفان كل الاختلاف فى نوعية كفاءاتهما الطبيعية واعتبارهما متساويين انما هو مخالفة كبرى لقوانين الطبيعة فى حد ذاتها .

(ب) لقد أباح مشرع الاسلام « تعدد الزوجات » وأثيرت ضجة كبرى ضد هذا التشريع وأطلق عليه ــ هو الآخر ــ أنه « تذكار العصر الجاهلى » ولكن جاءت التجارب العملية لتثبت أنه كان تشويها مناسبا للطبيعة الانسانية لان سد باب تعدد الزوجات انما هو فتح لعشرات الابواب الفاجرة ، غير الشرعية .

ويستطرد المؤلف قائلا : ــ

وسوف أشير هنا الى النشرة الاحصائية التى نشرتها هيئة الامم المتحدة فى عام ١٩٥٩ لقد أثبتت هذه النشرة بالارقام والاحصائيات: أن العالم يواجه الآن مشكلة « الحرام أكثر من الحلال » شأن المواليد ! وجاء فى هذه الاحصائية أن نسبة الاطفال غير الشرعيين

"الإسلام يتحدى"

قد ارتفعت الى ستين فى المائة • وأما فى بعض البلاد وعلى سبيل المثال « بناما » فقد جاوزت هذه النسبة الخمسة والسبعين فى المائة ، أى أن ثلاثة عن طريق الحرام من كل أربعة مواليد! وأرفع نسبة لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين موجودة فى أمريكا اللاتينية •

وتثبت هذه النشرة أيضا أن نسبة الاطفال غير الشرعيين تصل الى « العدم » فى البلدان الاسلامية وتقول النشرة : أن نسبة هؤلاء الاطفال أقل من واحد فى المائة فى جمهورية مصر العربية مع أنها أكثر البلاد الاسلامية تأثرا بالحضارة الغربية فما السبب التى تحمى الدول الاسلامية من هذه البلية ؟

يقول محررو هذه النشرة الاحصائية : أن البلدان الاسلامية محفوظة من هذا الوباء لأنها تتبع نظام « تعدد الزوجات » لقد استطاع هذا القانون الالهى الحكيم أن يحمى بلادنا الاسلامية من كارثة محققة فى هذا العصر •

ويشتمل الكتاب على الابواب التالية :

الباب الاول قضية معارضى الدين •

الباب الثانى نقد قضية معارضى الدين •

الباب الثالث طريق الاستدلال العلمى •

الباب الرابع الطبيعة تشهد بوجود الله •

الباب الخامس دليل الآخرة•

الباب السادس اثبات الرسالة •

الباب السابع القرآن صوت الله •

الباب الثامن الدين ومشكلات الحضارة •

الباب التاسع الحياة التى ننشدها •

ونختم هذا العرض بما ختم به المؤلف كتابه يقول (كريس موريسون) رئيس أكاديمية نيويورك سابقا •

« ان الاحتشام ، والاحترام ، والسخاء ، وعظمة الاخلاق ، والقيم والمشاعر السامية ، وكل ما يمكن اعتباره « نفحات الهية » لا يمكن الحصول عليها من طريق الالحاد •

« فالالحاد نوع من الانانية ، حيث يجلس الانسان على كرسى الله » •

« لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين » •

« سوف يتحول النظام الى فوضى » •

« سوف ينعدم التوازن ، وضبط النفس ، والتمسك » •

« سوف يتفشى الشر فى كل مكان » •

« انها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله » •

هذا وجزى الله المؤلف عن الاسلام خيرا وتقبله من الصالحين •

حمدى الليثى

■ عرض وتحليل

الاقتصاد

المنهج والتطبيق :

الحمد لله رب العالمين جعل لنا الاسلام شرعة ومنهاجا ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين جاءنا بالهدى سراجا وهاجا ، أما بعد :

فالكتاب الذى نعرض ونحلل مادته اليوم ، هو كتاب مفيد وفريد .. لأنه كتاب يتحدث عن **العدل الالٓهى فى الاقتصاد الاسلامى ..**

ويضم الكتاب — على قلة عدد صفحاته — عددا من الموضوعات والمباحث المهمة ، ففى مقدمته يتحدث كاتبه عن **رسالة العدل الآلهى الى الناس أجمعين** مستهديا بقوله تعالى فى سورة الحديد :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ » ..

سورة الحديد ٥٧ : ٢٥

— ويوضح لنا أن القسط هو العدل ، ومنه (العدل الاقتصادى) المضبوط بهداية السماء « كتابا وضميرا » وبالمقاييس العادلة التى تدخل فى طاقة الناس بحسب عصرهم وعلومهم .

وأما الناس : فيشمل : المتدين منهم (مسلما — أو نصرانيا — أو يهوديا) — كما يشمل الحائر الذى لم يهتد الى الدين الصحيح بعد .

***

— ثم يتحدث عن رسالة العدل الاقتصادى .. وأنه شرع من أجل كل (الناس) فى كل زمان ومكان ، مستهديا بقوله تعالى فى سورة الشعراء :

« أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

سورة الشعراء ٢٦ : ١٨١ — ١٨٣

ويوضح لنا مفهوم « البخس » بأنه انقاص القيم عن حقها الآلهى ماديا أو معنويا ، وأن

لكتاب :

الإسلامى

قرآنى .. نبوى .. متجدد

بقلم الأستاذ
أحمد اسماعيل يحيى

تأليف الأستاذ زيدان ابو المكارم حسن من علماء الأزهر

الوزن بالقسطاس المستقيم .. يعنى أننا لو وضعنا المبيع فى احدى كفتى ميزان القيمة العادلة — سواء كان هذا المبيع سلعة أو خدمة ، فيجب أن يكون مساويا لما فى كفة الميزان الأخرى من ثمن — سواء كان الثمن ذهبا أو غيره .

***

— أما المبحث الذى اختار له المؤلف عنوان : « **بناء الاقتصاد الاسلامى** » والذى **تتضمنه الصفحات من ٧ — ٤٦** فيضم البحث الذى تقدم به المؤلف الى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى .. ويشير فيه المؤلف الى الصراع الاقتصادى فى العصر الحديث ، وأنه بعد الحرب العالمية الثانية كان الصراع فى أوربا ، وأمريكا دائرا بين الشرق والغرب على الصعيدين العقائدى ، والاقتصادى ، ويتبعها الجانب السياسى .. وأن هذا الصراع قد تحرك الى سائر أمم العالم ، فمنها ما خضع للشرق ، ومنها ما خضع للغرب .. ومنها ما لا يزال يصارع متمسكا شخصيته وقيمه المتميزة — يعنى يهم العرب والمسلمين — الذين يرفضون فى اباء أن يذوبوا فى أحد الاتجاهين ، لأن لديهم شعورا قويا بشخصية أمتهم بين الأمم ، وشخصية عقيدتهم بين العقائد ، وأن لهاتين الشخصيتين

أثرهما فى الاقتصاد •• **ويشرح لنا الأستاذ الشيخ زيدان أبو المكـارم حسـن : كيف أن (المادية الاقتصـادية) قد تسربت الى أوربا وأمريكا من الفكر اليهودى فى فترة مبكرة قبل القرن العشرين !؟ وأما فى هذا القـرن الأخير فقد سيطرت الصهيونية على الاقتصـــاد فى أوربا وأمريكا** بلؤم وخبث أخضـــع كليهما فى الشرق والغرب الى شىء واحد هو : (فائض القيمة) ! ؟ •

***

ويتساءل المؤلف : ما موقف الاســلام من فائض القيمة ؟ وينبهنا ــ فى أسـلوب تربوى رفيع ــ الى ضرورة البحث عن اجابة علميــة سليمة لهذا السؤال المهم •• ويلفت الأنظـار الى أن أكثر الباحثين فى الاقتصاد الاســلامى يلتمسون تحديد معالم الاقتصاد الاسلامى من مصادر أربعة هى : ــ

ــ النصوص القرآنية والنبوية •

ــ ما دونه أئمة الفقــة الاســلامى ، ومن تابعهم من المقلدين •

ــ ما وصل اليه وطبقه الخلفـاء ، والحكام المسلمون ، من تنظيمات اقتصادية •

ــ ما وصل اليه الفــكر الاســـلامى فى التاريخ ، والفلسفة ، وألوان المعرفة الانسانية فى هذا الشأن •

ــ ويشير المؤلف الى خطأ هــذا المنهــج ، وأنه لا يصح الاعتماد فى مجال اســتخلاص الأصول الحقيقية للاقتصاد الاسلامى الا على المصدر الأول فقط ، وهو (المنهج القــرآنى النبوى) اذ هو الميزان الذى توزن به المصادر الأخرى فما وافقه منها فهو اسلامى مستقيم، وما خالفه فهو خطأ ، أو انحــراف لا يمثــل الاسلام الصحيح !!؟ •

ــ ولا يتعجل المؤلف فى الاجابة على موقف الاسلام من (فائض القيمة) قبل أن يعرض علينا الأساس (الآلهى) للاقتصـــاد قبــل الاسلام فى كلمات قليلة مفيدة ، فيقول : ــ

ــ ان الله عز وجل قد وضع أساس الحياة الانسانية من قبل الاسلام فى رسالة كل رسول ونبى منذ الأزمان السحيقة كما قال فى سورة الحــديد :

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) •

الحديد ٥٧ : ٢٥

ويضرب لنا المثل على أن العدل هو الغـاية الأولى وأن المرشـــد اليــه هــو الكتـــاب والميزان ، برسالة سيدنا شعيب عليه السلام ، اذ هو فى الحق رسول الاقتصاد الآلهى من بين الأنبياء جميعا •

قال تعالى فى سورة هود :

الإسلامي

« وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ، وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

هود ١١ : ٨٤ — ٨٥

وهكذا بعد أن دعا شعيب الى عبادة الله وتوحيده نراه قد اتجه الى اصلاح الاقتصاد باقامته على ضابطين هما : (ايفاء الكيل والميزان بالعدل) و (الامتناع عن بخس أشياء الناس) .

وبذلك جعلنا المؤلف نرى بوضوح أن العدل يستخدم الوسائل العلمية لقياس الأشياء من الناحية المادية وأنه يحرم البخس .. والبخس هو انقاص فى القيمة يتحقق به زيادة يأخذها طرف من آخر بغير حق .. وذلك هو الربا فى الاسلام .. وهو الذى يسمى بالاصطلاح الحديث : (فائض القيمة) .. ولا جدال بنص الآية السابقة أن (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام لا وجود فيه لفائض القيمة لأن الاقتصاد الالهى يحرم البخس .

ويستطرد المؤلف مدللا على صحة استنتاجاته ببراهين قوية علمية سليمة ، ثم يعرض لنا فى سهولة وبساطة ثلاثة أنواع للقيمة هى : —

— القيمة الظالمة .
— القيمة المبخوسة (المظلومة) .
— القيمة العادلة .

— والقيمتان : الأولى والثانية : هما الوسيلتان اللتان يتذرع بهما المستغلون وسارقوا الجهود لاغتصاب الحقوق واهدار قيمة العمل .

وأما (القيمة العادلة) فانها تمثل (العدل الاقتصادى) .. وهذا العدل الاقتصادى هو أساس الهى جاء الاسلام ليثبته ويطبقه .. ونحن نجد ذلك مقررا فى القرآن الكريم ففى سورة المطففين يقول تعالى : —

« وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ » . « ٨٣ : ١ — ٧ » .

ويقول تعالى فى سورة الأنعام :

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » ..

الى قولــه تعالى : لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

« ٦ : ١٥١ — ١٥٣ » .

***

وهكذا يخرج علينا المؤلف بالحقيقة الناصعة ، فيقرر أن فائض القيمة : هو الربا ، وأن نصوص القرآن والسنة ترفض رفضا قاطعا أن تقر فائض القيمة ، لأنه زيادة ظالمة وربا محرم .

ويذكرنا الآيات التى تحرم جميع أنواع الربا قليله وكثيره ما كان أضعافا مضاعفة ، وما كان أقل من ذلك .. وأن الأساس الشرعى فى المعاملات هو (تساوى القيمة المالية) لكل من البدلين اللذين وقعت عليهما المعاملات .

وأما الزيادة على القدر المتساوى بين البدلين فهى ربا حرام لا يجوز قبوله ، وأن عقاب المصر على الربا — حيث يرفض التوبة ورد الزيادة — يصل الى محاربته ، فتصادر أمواله ، وان امتنع يعاقب بالقتل ، ان لم يندفع الا بذلك .

— ثم يسوق المؤلف النصوص النبوية التى تحرم الربا (١) ويقرر أن السنة النبوية حرمت أنواعا من المعاملات التى كانت معروفة فى التجارة والمبادلات ، وهى المعاملات التى كانت منحرفة عن القيمة العادلة وواقعة فى الربا (أى فائض القيمة) .

— ومن هذه المعاملات التى حرمتها الأحاديث النبوية :

١ — الغش : باظهار الجيد واخفاء الفاسد الردىء .

٢ — الاحتكار : لانه افتعال ظروف غير طبيعية لرفع الاثمان أو خفضها .

---

(١) فى صفحة ٣٥ من الكتاب ذكر المؤلف حديثا نبويا : عن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم — قال : (الربا ثلاثة وسبعون بابا ، ايسرها مثل ان ينكح الرجل أمه ، وان اربى الربا : عرض الرجل المسلم) رواه ابن ماجه مختصرا والحاكم بتمامه وصححه .

الإســـــلامى

٣ ـ تلقى الركبان : لأن الشراء من الريفى، أو البدوى قبل أن يدخل الســـوق ويعـرف الأسعار : يبخسه حقه ويمكن (السمسار) من فائض القيمة وهوربا .

٤ ـ بيع المضطر : لأنه يبخس القيمة على البائع .

٥ ـ النجش : لأن التظاهر بالشراء بقيمة أعلى من الحقيقة يوقع المشـــترين الحقيقيين ويغرر بهم .

٦ ـ بيع الغرر : لما فيــه من الجهـــالة ، وفقدان وسائل التقدير الصـحيح ، ولابد من العلم الصحيح للوصول الى التقدير الصحيح.

٧ ـ بيع العينة : لأنه يـؤدى الى الربـا بالخداع والاحتيال .

٨ ـ بيع الدابة المصراة : التى تحلب أياما لأنه تغرير وخداع يزيد فى القيمة بغير حق .

٩ ـ بيع ما لم يقبض : لما ينشأ عن ذلك من تنازع واحتكار وبخس للقيمة .

ـ وواضح مما ذكر هنا وغيره أن الهدف من التحريم هو منع الربا الذى ينشأ عن الاخلال بحق (القيمة العادلة) ومعنى ذلك محـاربة (فائض القيمة) لاقامة (العدل الالهى) .

ـ ويقرر المـؤلف أن الاســلام يمتاز على غيره بأن المذهب الاسلامى يقوم على أساس العدل الاقتصادى ، ويحرم فائض القيمـة ، ويكرم العمل .. وأن من التخريف العلمى أن يقال : ان أنواع الاقتصاد تنحصر فى مذهبين تتفـرع منهمـا جميـع المـذاهب ، وهمـا (الرأسمالية والشيوعية) .

***

وفى خاتمة البحث يتساءل المؤلف :

وما السبيل الى تنفيذ (المنهج القـرآنى . النبوى ، المتجدد) فى الاقتصـــاد فى العصر الحاضر ؟؟ .

ـ لكنه لا يتركنا بعد السؤال ســـاهرين حائرين ، بل يقـول : ان تطبيـــق العـدل الاقتصادى يقتضى من الناس ما يلى : ـ

١ ـ أن يســود العـدل كـل التصرفات الاقتصادية وذلك يستلزم تعبئة كل وسـائل

الاقتصـــــاد

التغيير الاجتماعى من تربية منزلية ومدرسية وجامعية ، ومن توعية عن طريق كل وسائل الاعلام والوعظ لتصل الى كل فرد فى كل مجال وأن نستخدم كل وسائل التغيير الحكومى من تخطيط وسياسة وقانون ومراقبة ، فضلا عن الوصول بأفراد المجتمع الى ضمير اجتماعى يقظ يدرك الانحراف ويتعاون بسرعة على كشفه وتعديله نحو الاستقامة .

٢ ــ أن يقوم العلم بواجبه فى خدمة أجهزة العدل لينال كل فرد حقه فى : (قيمة العمل الذى ينهض به ــ حقه فى الثروة (الطبيعية العامة للأرض التى تمثل رقعة وطنه باعتبار هذه الثروة العامة حقا لجميع المواطنين بالتساوى) .

٣ ــ أن يكون للعقوبات والتشريع دور قوى فى ضرب المخالفين ليكون القانون حارسا للعدل الاقتصادى .

٤ ــ أن يقوم بالتنفيذ جيل عالم بالمعاملات ، تربى على العدل والنزاهة والأمانة .

٥ ــ ضرب كل أنواع التلاعب بالقيم ــ الظاهر منها والخفى ــ الوطنى والقومى والعالمى .

ــ والكتاب كما رأينا ــ ليس مجرد توضيح للمنهج القرآنى النبوى ، وانما هو صرخة اصلاح لخير كل الناس ــ ففى مبحث ثالث

يضع المؤلف **أمامنا تقريره الذى قدمه الى وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر** العربية بشأن مادار فى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى الذى عقد فى مكة المكرمة **فى الفترة من ٢١/٢٦ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ٢١/٢٦ فبراير ١٩٧٦ م** ــ بناء على توصية من كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك عبد العزيز .. وهو المؤتمر الذى أسهم فيه الكاتب ببحوثه وتوصياته ، من بين سبع وعشرين من الأساتذة العلماء والخبراء أبناء مصر .

***

وكان الغرض من هذا التقرير هو دراسته وتوجيهه الى الجهات المختصة ، بهدف الاستفادة مما جاء به من أفكار وتوصيات : تخدم العملية التعليمية .

وقد ضمن الكاتب تقريره نقاطا عديدة مهمة أبرزها : تلخيصه لتوصيات لجان المؤتمر ، والبحث المقدم من المؤلف .

وقد كان من أهم توصيات ومقترحات لجان المؤتمر : ما نلخصه للقارىء فيما يلى : ــ

١ ــ التوصية بترسيخ مفاهيم الاسلام الاقتصادية التى ترتكز على الاعتقاد بأن الكون لله ، وأن المال مال الله ، وأن الانسان مستخلف على ما تحت يده من نعم الله ، وأن الملكية الخاصة ــ التى أقرها الاسلام ــ

مقيدة بوسائل الكسب المشروعه ، والانفـــاق المشروع ، وأداء حق المال ، وأن الاقتصـــاد الاسلامى يحقق التوازن والتكافل •

٢ ــ التوصية بوضـــع معجم لمصـــطلحات الاقتصاد الاســـلامى بكل اللغــات ، وحصر المراجع والموضـــوعات ، والاجتهـــادات التى نغذى الاقتصاد الاسلامى •

٣ ــ الاستفادة من وسائل التحليل العلمى الرياضى فى دراسة الاقتصاد الاسلامى •

٤ ــ التوصـــية بضرورة تدريس الفقـــــه الاسلامى فى المعاملات وأصوله بالجامعات •

٥ ــ دعوة الحكومات الاســـلامية الى دعم البنوك الاسلامية القائمـــة ونشر فكـــــرتها وتوسيع نطاقها والعناية بتدريب العاملين فيها على أسس علمية اسلامية •

***

٦ ــ تأكد فرضية الزكـــاة والاهتمـــام بها كأداة اقتصـــادية تحقـــق العـــدل والتكـــافل الاجتماعى •

٧ ــ عمل مسح شامل للخبرات فى مجـــال الاقتصاد الاسلامى ، وتشجيع هذه الخبرات على الاســـهام فى البحث العلمى بالـــــدول الاســـلامية •

ــ كذلك فقد تضمن تقرير الأستاذ الشيخ زيدان أبو المكارم حسن عدة ملاحظات جديرة بالعناية والدراســـــة والتطبيـــق تجيب على السؤال الذى يحير شباب المسلمين وهو : ــ

ما بال بلادنا متخلفة فقيرة ضعيفة برغم أن عقيدتنا صحيحة وأن نبينا هو خاتم الأنبياء؟؟

وما بال بلاد غيرنا متقدمة قويـــة برغم أن بعض هذه البلاد تنكر الأديان وتحاربها ! ؟

ــ ومن هنـــا كانت توصـــيات الشـــــيخ أبو المكارم بأن الاجابة على السؤال تقتضى من المسئولين عن التربية ألا يتركوا الشباب نهبا للحيرة وأن يفتح أمامهم سبيل التفكير العلمى السليم ليصلوا الى الحق فى قضية الاقتصاد ، وتعليمهم أن الاقتصاد الاسلامى هو اقتصاد له شخصيته المتميزة يقوم على العدل للنـــاس جميعا وأنه فى حاجة الى الاعتراف به وبمبادئه وأصوله وفروعه وتطبيقاته !؟

وينادى المؤلف •• بأن تقرر وزارة التربية والتعليم على طلابها مادة (التربية الاقتصادية) فى مناهج الدراسة بكافة مراحلها •• وأن تكون من المواد الفعالة التى تؤثر على سلوك الأجيال الجديدة لتستخرج للوطن من شبابنا جيـــــلا يقدس العمل ويحتقر الكسب الانتهازى الطفيلى ولا يتعامل بالربا المحرم ولا يســـعى اليه •• وأن تسلك الوزارة فى سبيل تحقيق هذا الهدف كل الطرق بشكل متكامل وعلمى وفعال •

وننتقل بالقارىء مع المؤلف لنجده فى المبحث الرابع من كتابة يضع بين أيدينا المنهج الصحيح للوصول الى الأحكام الصحيحة •• وأن مـــن

الاقتصاد الإسلامي

الضرورى أن نتفق على الأصول قبل أن تضيع منا فى زحام المجتهدين بحثا عن اصدار الاحكام على الفروع الاقتصادية (فى الانتاج والتوزيع والاستهلاك والتخطيط والادارة والمحاسبة •• الخ) وأنه قد سار شوطا طويلا مهد به الطريق لفهم معنى الاقتصاد فى الاسلام أوضحها فى خطته فى بحوث الاقتصاد الاسلامى فى مؤلفاته ومن بينها : (كتاب بناء الاقتصاد فى الاسلام ١٩٥٩ م — مذهب ابن عباس فى الربا ١٩٧٣ م — علم العدل الاقتصادى ١٩٧٤ م — الاقتصاد الاسلامى المنهج والتطبيق ١٩٧٧) وفيها جميعا يصر الكاتب على أن المنهج الصحيح هو المنهج القرآنى النبوى مع ضرورة النظر بعين التقدير لما فى مراجع (الفقه الاسلامى) من خير وفير وعلم غزير لدراستها والاستفادة بها •• والمؤلف يرى من واجبه فى هذا المبحث أن يدعو المفكرين والباحثين الى المنهج الصحيح •• وها هو قد بلغ ، وهو لا يترفع عن سماع النصيحة من القادرين عليها •• فهو يود أن تعم الهداية الالهية وأن ينتشر العدل الاقتصادى وأن ننتفع بنور الهداية القرآنية والنبوية فى كل ناحية من حياتنا •

وفى المبحث الخامس يذكر لنا المؤلف موقف الفقهاء المسلمين من قضية الاقتصاد ويطرح على الصفحات تلك المناقشة التى وقعت فى الجلسة التمهيدية بأمانة ، ويثير قضية خطيرة يقول فيها « ان جميع الفقهاء الاسلامين قد أخطأوا فى تطبيق النصوص القرآنية والنبوية فى شئون المعاملات والاقتصاد •• وقد عارضه فى ذلك عالمان أحدهما سعودى والآخر مصرى » ••

لكن المؤلف يتقدم الى المؤتمر باقتراح أن يبحث فقهاء المسلمين : معنى الربا فى القرآن والسنة حتى يقدموا تعريفا جامعا مانعا له ضوابط واضحة تبين الحلال والحرام حتى يتمكن الاقتصاديون الفنيون أن يضعوا حلول المشكلات الاقتصادية لبلاد المسلمين فى دائرة الحلال •• ، وان كان المؤلف يقف الى جانب من يقول بعجز الاقتصاديين وحدهم عن حل المشاكل ••

ثم يتحدث المؤلف معقبا على رأى أثير فى المؤتمر بخصوص الزكاة وأنها أداة اقتصادية غير الضرائب وأنها تمتاز عن الضرائب بأنها عبادة لها ثواب بينما الضرائب أمر دنيوى وليس عبادة •• والمؤلف يعارض ذلك فيقول ان الذى يدفع الزكاة جبرا بدون نية ليس له

ثواب أما من يعطى ماله قاصدا به اعزاز الاسلام تحت أى اسم فانه يعبد ربه ، وعمله عبادة بغير شك ••

ويعود المؤلف فينادى بضرورة تقوية المركز الاقتصادى للمسلمين ، وأن يكون هناك فترة انتقالية مما نحن عليه الآن فى سلوكنا الاقتصادى الى ما يجب أن نكون عليه وفقا المنهج القرآنى النبوى فى الاقتصاد الاسلامى •• وأن تحظى هذه الفترة الانتقالية بعناية الجميع •

ولا يفوته فى نهاية المبحث أن يضع بين أيدى الباحثين بعض الأصول الأساسية التى تجب مراعاتها •• كما يذكر عددا من النصائح والتوصيات للباحثين والاقتصاديين الفنيين ؟؟

***

وفى المبحث السادس : يتحدث المؤلف عن **المؤتمر العلمى السنوى الاول للاقتصاديين المصريين** الذى قررت اقامته **الجمعية العمومية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع بالقاهرة خلال شهر مارس ١٩٧٦ م وقد لاحظ المؤلف أن** المنطلقات العقائدية للباحثين كانت محصورة فى مذهبين هما **الرأسمالية والاشتراكية وما تفرع منهما من مسميات ••**

ويحرض المؤلف الجهات المسئولة بالأزهر لتلقى بدلوها ليكون للمذهب الاسلامى سهم صائب فى مثل هذه البحوث التى تعرض فى مثل هذه المؤتمرات •• وأن هذا العمل هو **فرض عين على علماء الأزهر** ، ومنهم كفايات علمية وفقهية كبيرة •

أما الاقتصاديون الفنيون فيدعوهم المؤلف باسم العلم الصحيح أن يكون المذهب الاسلامى بين ما يدرسون وألا تقتصر دراساتهم على المذهبين الرأسمالى والشيوعى فقط •• والا يستغرقهم الجانب المادى دون أن يكون للجانب المعنوى نصيب ، وأنه لابد من العناية بالاقتصاد الاسلامى الذى يحقق العدل •

***

وفى المبحث السابع والاخير يحدثنا المؤلف عن التفوق الاقتصادى •• من يخطط له ؟ ومن ينفذه ؟؟

ثم يدعو الى رسم استراتيجية حضارية شاملة ، ووضعها موضع التنفيذ بالعمل المخلص الجماعى المنسق ، وهى دعوة يتفق فيها المؤلف مع بعض المفكرين المخلصين من الاقتصاديين الفنيين والخبراء •

وتنتهى سطورا آخر صفحات الكتاب والمؤلف لايزال ينادى فى اصرار أن تقدم للناس قوانين الاقتصاد الآلهى . وأن يكون المذهب الاسلامى مذهبا معترفا به عند الاقتصاديين ــ شأن المذهب الرأسمالى ، والمذهب الشيوعى ــ وأن تنال هذه المذاهب حقها العادل من الدراسة ، والموازنة والنقد •• ليتوصلوا الى الحق والعدل ؟؟

أحمد اسماعيل يحيى

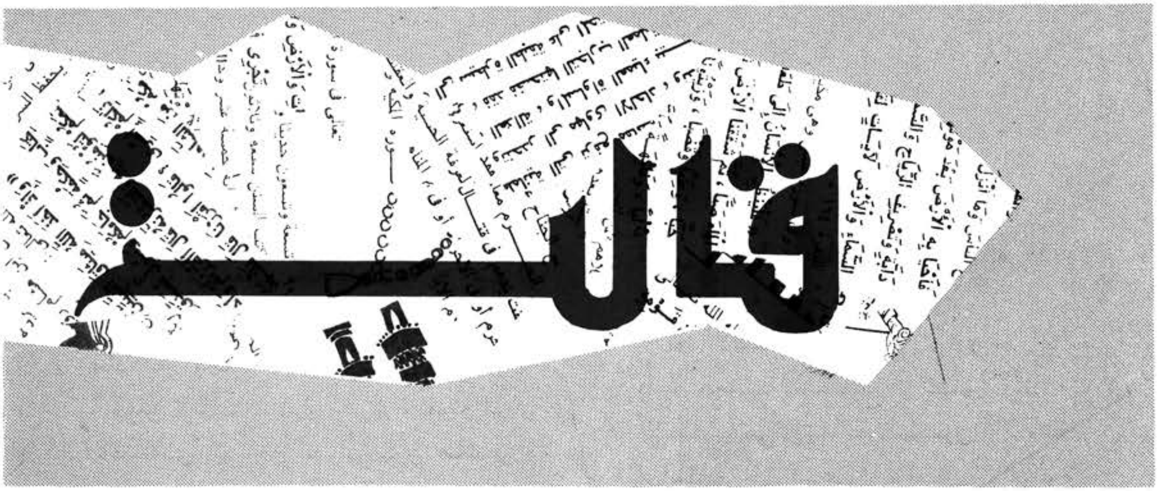

النهوض بالدعوة الإسلامية

*** أجرت جريده اللواء الاسلامى فى عددها الاول يوم ٥ رمضــان ١٤٠١ هـ حديثا مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى . تطرقت فيه الى الحــديث عن الدعــوة الاسلامية وكيفيــة النهوض بهــا فقال فضيلته :**

ان الاسلام دين متحرك ، ولا يحــده مكان واحد . وقد عرف المسلمون هــذه الحقيقة فى دينهم منذ أن بدأت مسيرة الاســلام . ولذلك فان الدعــوة الاســلامية أثرت فى ســيرهم ومسالكهم .

ربمــا لم يكونوا عارفين بلغــات النــاس واختلاف ألسنتهم ، ولذلك لم ينقلوا تعــاليم الاسلام الى هذه اللغات المختلفة .. لكن هناك لغة عالمية معروفة أتقنهــا المســلمون الاوائل اتقانا بالغا . هى لغة الاخلاق .. فان المسلمين الاوائل عرضوا الاسلام على مختلف الشعوب من خلال حكم عادل ، ومعاملة طيبة ، وعطــاء مبذول ، ورحمة واســعة .. ومن هنــا انتشر الاسلام وتفتحت القلوب له . وعرف ذلك كثير من كتاب الغرب المنصفين .

تقديم عاطف زهران

ومع تجدد الحضارة البشرية واتساع نطاق الصلات العالمية ، ينبغى أن تأخذ الدعوة الاسلامية أساليب جديدة • وهذه الاساليب يجب أن تعرف طبيعتها مع طبيعة التقدم العالمى الكبير الذى وصلنا اليه الآن •

لقد اختصرت المسافات والازمنة فى هذا العصر • وذلك يجعلنا نفكر تفكيرا جادا فى أن تكون دعايتنا عن الاسلام قائمة على الحقائق، وعلى النماذج الرفيعة للانسانية الرقيقة •

ويجب تيسير تعليم اللغة العربية ، ونقل الآخرين الى منابعنا التقليدية الاسلامية الاصيلة لكى يروا ما عندنا •

ان علماء الاسلام والمسئولين عن الدعوة اليه مكلفون لعدة أمور لكى تنجح دعوتهم •

الامر الاول : أمر ايجابى يعتمد على كشف النقاب عن تعاليم الاسلام من مصادرها الصحيحة •

والامر الثانى : الرد بحكمة وهوادة على الاكاذيب والمفتريات التى أطلقها أعداء الاسلام ضده ، وملأت الآفاق بدخان لا أصل له •

قالت

المسلمون والحضارات المعاصرة

*** حول هذا العنوان كتب سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى مقالا مطولا بصحيفة الرائد الهندية الصادرة فى ١٣ شعبان سنة ١٤٠١ هـ نقتطف منه مايلى :**

ان قضية الاقتباس من حضارة سابقة أو معاصرة والاستفادة منها • ليست قضية غريبة فهناك حضارات فى كل زمان تقوم وتزدهر تسنح لأمم وشعوب بتنظيم الحياة ، وتذليل عقباتها ، ثم تأتى أمم ومجتمعات فتستفيد من هذه التجارب ، وتقتبس من هذه المنجزات والمعطيات للعلم البشرى •

ولكن هذا الاقتباس يحتاج الى عناصر وركائز بدونها يتحول هذا الاقتباس سريعا الى موقف التقليد الخانع والتطبيق المطلق •

من أهم هذه العناصر الاعتزاز بالدين • والاعتداد بالشخصية • وأن يكون هذا المقتبس فخورا بها عاضا عليها بالنواجز • لا يعدل برسالته رسالة ، ولا بشخصيته شخصية •

فالشريعة السمحة لا تمنعنا من الاقتباس من الحضارات •• من مرافق الحياة مما نحتاج اليه من علوم وحكم وآداب • ولكنها قضية الاقتباس لا قضية التقليد والتطبيق •

وان لكل أمة قامة وقيمة •• فليكن لباسنا مطابقا لقامتنا وقيمتنا • نأخذ الحضارة الغربية فنصهرها صهرا جديدا فى بوتقتنا • ونبعد عنها عناصر المادية وعناصر اللا دينية وعناصر الشهوانية ، وعناصر الانانية ، ونخضعها لأغراضنا ولمدنياتنا وبرسالتنا •• وهذا هو الاقتباس الكريم • وهذا مافعله الصحابة رضى الله عنهم فى القليل الذى اقتبسوه من الحضارة الرومية والحضارة الايرانية •

وهناك نوع آخر من مواقف الأمم من الحضارات الأخرى •• هو موقف التقليد الخانع •• والتطبيق الذى لا اختيار فيه ولا ابتكار •

وهذا هو مصطفى كمال أتاتورك قائد تركيا يقول عنه مترجم حياته :

« ان مصطفى كمال كان يعبد الاله الجديد (الحضارة الحديثة) بحماس •• ولهفة • وكان له عابدا وفيا •• وقد نشر هذه الكلمة (الحضارة) من أقصى البلاد الى أقصاها » •

ان مركزنا ليس مركز المقلدين • ولكنه مركز القادة •• يجب أن نكون روادا فنأخذ مالابد منه من الحضارة الغربية ، ولكن نصبغها بالصبغة الاسلامية الجميلة ، الفاضلة الكريمة المتزنة •

ان الانسان يحن لان يرى هذه الحضارة الاسلامية ويعيشها ، ولكن لا يجدها متميزة ملموسة فى بلد اسلامى • الا بقايا من الحضارة الاسلامية بقيت كآثار تاريخية •

الصحف

الحدود الاسلامية هدية الله إلى البشرية

*** كتب الاستاذ على القاضى مقالا تحت هذا العنوان بمجلة (الضياء) التى تصدر فى دبى فى العدد العاشر نقتطف منه بعض فقراته :**

يتهم الغربيون الحدود فى الاسلام بأنها لا تراعى أحوال المجرم النفسية ، وأن المجرم مريض يحتاج الى علاج لا الى عقوبة • وهذا كلام ليس له ضابط •• وقد جربوا ألوانا من العلاج الذى يقولون به فلم يندهم شيئا ••• وازدادت الجرائم ولا تزال تزداد فى كل مجتمع من المجتمعات المتحضرة •

والحدود الاسلامية هى علاج حقيقى للمنحرف •• حقيقة أنها عقاب قاس •• ولكنه عقاب لجرم قاس أيضا •

وهو علاج ناجح ومفيد للشخص نفسه •• كبتر الجزء المريض من جسم الانسان فبالرغم من قسوته فهو الرحمة بعينها لانها ستبقى على الكل سليما يؤدى رسالته فى الحياة • والذى لا يصلح فيه الا هذا لابد من بتره فذلك خير له وللمجتمع •

ولقد راعى الاسلام شخصية المجرم فأعفى غير المسئول من العقاب كالمجنون والمضطر وما الى ذلك •• فالزانى المحصن عقوبته الرجم وغير المحصن عقوبته الجلد •• وهكذا •

وقد سد الاسلام بذلك أبوابا كثيرة من الفساد لم تستطع المجتمعات المتحضرة ايقاف تيارها •

فقد بلغ عدد الفتيات اللاتى اغتصبن فى أمريكا خلال عام ١٩٧٥ م ٥٥ ألف فتاة طبقا للتقريرات الرسمية • والتقريرات غيرالرسمية ترفع هذا العدد الى ثلاثة أضعاف •

وهذا مما جعل مؤتمرمكافحة الجريمة المنعقد فى جامعة دمشق عام ١٩٧٢ م يقرر أن :

(التشريع الاسلامى هو أجدى تشريع فى مكافحة الجريمة ـ وأن المؤتمر يهيب بالدول أن تقترب تشريعاتها من التشريع الاسلامى لمكافحة الجريمة) •

وحين تطبق الحدود الاسلامية ، ونسد المنافذ أمام الشفاعة والمحسوبية • فاننا نكون بذلك قد أقمنا سورا منيعا لا يفكر فى اقتحامه الا صنف شاذ التكوين من البشر أو شاذ الدوافع ـ وهم قلة ـ وحينئذ تقوم الحدود بعلاجهم العلاج المناسب لجرائمهم •

المملكة العربية السعودية

✱ تبرعت هيئة صندوق التضامن الاسلامى بمبلغ عشرة آلاف دولار لمنظمة الاغاثة الاسلامية العالمية برابطة العالم الاسلامى وقد بعثت الهيئة شيكا بالمبلغ الى معالى الأمين العام للرابطة الذى أعرب عن شكره وتقديره لصندوق التضامن على تبرعه الكريم ..

الكويت

✱ أصدر وزير التربية الكويتى قرارا باستخدام قسم الارشاد الدينى لطلبة المنح الدراسية بادارة التعليم الدينى تتحدد اختصاصاته على النحو التالى :

١ ــ العمل على تعميق الوعى الدينى الصحيح لطلبة المنح وذلك بتشجيعهم على القراءات الدينية المثمرة وحفزهم على الاستمرار فيها .

٢ ــ توجيه وارشاد طلبة المنح الى السلوك الذى يتفق مع الدين الاسلامى الحنيف وتأكيد هذا السلوك فى حياتهم العامة .

٣ ــ دراسة ما قد يكون هناك من ظواهر سلوكية وعقائدية لا تتفق مع الدين الاسلامى والعمل على تقويمها واقتراح العلاج اللازم .

٤ ــ دعم وتقوية العلاقات بين طلبة المنح والانشطة الدينية بما يحقق التماسك بالقيم والسلوك الدينى السليم .

الأقطار العربية المصدرة للنفط

✱طالب الدكتور عدنان مصطفى الامين العام المساعد لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (الاوبك) ببدء التحرك العربى لحيازة التقنية النووية تمهيدا لاستغلالها فى تلبية الطلب المستقبلى على الطاقة فى الوطن العربى .

الإسلام

وقال فى ورقة العمل التى تقدم بها الى المؤتمر العربى الرابع للثروة المعدنية ان أى قرار يتخذ بشأن استغلال الطاقة النووية لابد له ان يستند الى المعرفة التامة بمقدار وفرة مصادر الوقود النووية ازاء برامج عمل المفاعلات النووية المقرر تشغيلها لتوليد الطاقة المطلوبة وحث الدكتور مصطفى المنظمة العربية للثروة المعدنية ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط على التعاون لتحقيق رؤية عامة لمصادر اليورانيوم العربية •

وأشار الى وجود جهود جادة ومنهجية لاستكشاف تقييم وجود اليورانيوم فى مناطق محدودة هى الجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال ومصر وفى العام الماضى تم توقيع عقود عديدة لاستكشاف الاورانيوم فى السعودية والسودان والاردن •

وتذكر ورقة العمل ان مجمل الاحتياطى العربى المؤكد لاوكسيد اليورانيوم يقدر بحوالى ستين ألف طن الا ان استخلاص اليورانيوم من الفوسفات الذى دخل فى حيز الاستغلال الاقتصادى يرفع الكميات الممكن استخلاصها كنتاج ثانوى من الفوسفات الرسوبى العربى الى ٣ر٦ ملايين طن •

وقد أوصى المؤتمر العربى الرابع للثروة المعدنية الذى اختتم مؤخرا باجراء دراسات مبدئية لجدوى اقامة مشاريع عربية مشتركة فى مجالات التحرى والتنقيب عن توضعات اليورانيوم واستغلاله من مصادره المؤكدة حاليا واستخلاص واستثمار اليورانيوم كناتج ثانوى من حامض الفوسفوريك المصنع من خامات الفوسفات فى الاقطار العربية •

باريس

*** عقدت فى مقر منظمة اليونسكو بباريس ندوة عن « الاسلام والفلسفة والعلوم » وذلك**

أخبار العالم الإسلامى

ضمن مشاركة منظمة اليونسكو فى الاحتفال بذكرى العالم العربى ابن سيناء ٠ واستمرت الندوة ثلاثة أيام لبحث ثلاثة أيام لبحث ثلاثة موضوعات رئيسية هى : الاسلام ونهضة العلوم العقلية من علوم وفلسفة ، والثانى ، تأثير الفلسفة الاسلامية على الفكر العلمى الانسانى ٠ والثالث : ابن سيناء والفكر المعاصر ٠

رومانيا

* طلب الدكتور « انج اون » سفير رومانيا بالقاهرة من وزارة الأوقاف المساهمة فى الرعاية الدينية والثقافية لنحو نصف مليون مسلم يقيمون فى رومانيا ٠ وصرح الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة بأن السفير طلب أن تشترك مصر فى معرض الحضارة الاسلامية الذى تقيمه رومانيا فى نهاية العام الحالى ٠

جامايكا

* انطلاقا من أهداف رابطة العالم الاسلامى وحرصها على تقصى الحقائق عن احوال المسلمين فى مختلف أقطار العالم وبخاصة الاقليات والجاليات الاسلامية التى تعيش فى الجزر والمناطق النائية فقد قام الدكتور علاء الدين خروفة مدير المكتب بزيارة خاصة الى المسلمين فى كل من جامايكا وجزر البهاما الواقعة فى البحر الكاريبى والمحيط الاطلسى فى أمريكا الوسطى وذلك بناء على توجيهات معالى الشيخ محمد على الحركان الامين العام لرابطة العالم الاسلامى ٠

وقد قام مدير المكتب بجولة استغرقت أسبوعا اجتمع خلالها بالجاليات الاسلامية فى المدن الرئيسية فى جامايكا وهى مدينة كينغستون العاصمة ومدينة اسبان ومدينة بورت ماريا ٠

كما زار الأماكن التى يتخذها المسلمون كمساجد أو دور للعبادة وخاصة مسجد الرحمن فى مدينة اسبان ومسجد الأكرام فى مدينة بورت ماريا وقد ألقى مدير المكتب خطبة

الجمعة وبعض المحاضرات الدينيــة ثم وقف على أحوال المسلمين والمصاعب التى يواجهونها فى نشر الدعوة بسبب قلة وجود المســاجد والأئمــة والدعــاة والمعلمين لتثقيف ابنــاء الجاليات فى تلك البلاد .

كما وقف على ما يتحملــه المســلمون من مشاق فى سبل العيش الضــنك ورغم قلتهم فانهم يتصدون للتيارات المعادية للاســلام وخاصة يقفون بصلابة امام حملات التبشــير النصرانى والفئات المرتدة كالاحمدية والبهائية والقاديانية وفى زيارته الواقعة الى الشــمال الشرقى من الكاريبى فى المحيط الاطلسى وجد جالية الاسلامية تقوم بنشر الدعوة فى الجزيرة ولهم دار يتخذونها مركزا لاجتماعاتهم واقامة شعائرهم الدينية .

وقد رفع مدير المكتب تقريرا عن زيارته هذه لمعالى الشيخ محمد على الحركان ضمنه نتائج جــولته واتصــالاته بالمسلمين واحتياجاتهم وخاصة بناء المساجد وتوفير الدعاة .

باريس

*** معجزات القرآن على مر العصور هــو موضوع المعرض الذى تقيمه حاليــا منظمــة اليونسكو فى العاصمة الفرنسية .. وتتصــدر المعروضات مخطوطة للقرآن الكــريم قــام بنسخها الخطاط العراقى ابن البواب فى سنة ٣٩٠ هـ كما يتضــمن المعرض ١١٥ مخطــوطة اسلامية من مصر والمغرب والاندلس وتركيا وإيران والهند والصين .**

وابو الحسن على ابن البواب خطاط عربى مشــهور توفى فى ٤١٣ هجرية حفظ القــرآن ونسخه بيده ٦٤ مرة احداها بالخط الريحــانى اهداها للســلطان ســليم الأول الى جــامع « لالالى » بالآستانة .

أخبار الأزهر

جلسة طارئة لبحث
وسائل نشر الدعوة الإسلامية

* عقد فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر اجتماعا طارئا بمكتبه فى منتصف الشهر الماضى وحضره كبار المسئولين بالازهر والاوقاف ومدير الوعظ بالازهر وتناول الاجتماع بحث وسائل التعاون بين وزارة الاوقاف والازهر فى نشر الدعوة الاسلامية . وقد تم الاتفاق على النقاط الآتية : شغل الاماكن الشاغرة فى ٦٣ مسجدا بمختلف أنحاء الجمهورية من السادة الوعاظ فوق عملهم الاصلى . وذلك لآداء خطبة الجمعة ودرس بعد صلاة الجمعة وبعد صلاة العصر من يوم الاثنين من كل أسبوع .

أبدى الازهر استعداده فى المشاركة مع وزارة الاوقاف فى نشر الدعوة الاسلامية .

توجه تطيمات الى أصحاب الفضيلة مديرى الوعظ والمناطق الازهرية بالتعاون مع مديرى مديريات الاوقاف بشأن انتداب العدد المطلوب لاداء خطبة الجمعة والدروس الدينية بعد الصلاة .

يكون هذا الندب مستمرا بصفة دائمة مع متابعة من يقع عليه الندب لآداء العمل .

يقوم مجمع البحوث الاسلامية بابلاغ مناطق الوعظ والمناطق التعليمية فى أنحاء الجمهورية بضرورة التعاون مع السادة مديرى مديريات الاوقاف فى ملء المساجد الشاغرة .

بالنسبة للمناطق التى ليس بها مناطق وعظ ينتدب لها من القاهرة معمنح من ينتدب لها بدل سفر يصرف من وزارة الاوقاف فوق المكافئة المقررة لآداء الخطبة والدرس .

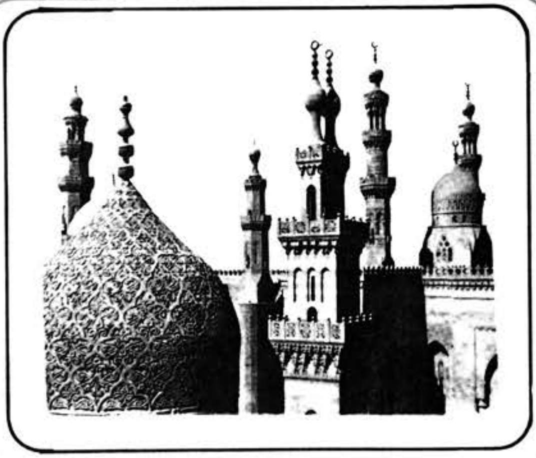

إعداد

الأستاذ الشافعى عبد الراضى

إجتماعات العيد الألفى للأزهر

* تواصل اللجنة التحضيرية للاحتفال بالعيد الالفى للازهر اجتماعاتها الاسبوعية برئاسة فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر وقد ناقشت اللجنة خلال الاسابيع الماضية عدة موضوعات من أهمها اعداد المدعوين للمشاركة فى الاحتفال واقامتهم واعاشتهم ٠

واتفقت اللجنةعلى أنتكون الاعداد ٢٠٠ من كبار الشخصيات الممثلة فى رؤساء الجامعات الاسلامية ووزراء الاوقاف على مستوى الدول الاسلامية ، ١٥٠٠ من خريجى الازهر الذين ذهبوا الى بلادهم وبعضهم الذين يعملون فى مناصب مرموقة ٠

و ٢٠٠٠ من شباب جامعة الازهر منهم حوالى ٥٠٠ فتاه ، ١٠٠٠ من شباب جامعات مصر بمعدل ١٠٠ شاب من كل جامعة ٠

هذا ومن المقرر أن تنتهى اللجنة فى القريب العاجل الى الاتفاق على أماكن اقامة هؤلاء الضيوف وتوفير وسائل المواصلات اللازمة لهم ٠

ومن المنتظر أن تشترك المدن الجامعية بجامعتى القاهرة وعين شمس مع جامعة الازهر وبيوت الشباب بالقاهرة فى عملية الاقامة للضيوف ٠

مجمع البحوث الإسلامية يجتمع للنظر فى الاحتفالات بالعيد الألفى للأزهر

* عقد مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالازهر اجتماعه الدورى خلال الشهر الماضى برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر وذلك للنظر فى الاحتفالات بالعيد الالفى للازهر • وما الذى يجب على السادة أعضاء المجمع أن يقدموه فى هذه المناسبة الفاضلة •

وقد قدم الاعضاء حوالى ٤٠ موضوعا للمناقشة لاختيار الموضوع المناسب للعيد الالفى للازهر وأختير من بين هذه الموضوعات موضوع « الازهر ورسالته » •

على أن يكون هذا البحث من حق الباحثين فى مصر وخارجها على مستوى دول العالم الاسلامى • هذا ومن المقرر أن يعرض هذا البحث فى مؤتمر الابحاث العلمية والتراث خلال الاحتفال فى شهر رمضان القادم •

قوافل علماء الأزهر تجوب أنحاء الجمهورية

* **بتوجيه من فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر يجوب علماء الازهر ووعاظه برئاسة فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية •**

يجوب أنحاء الجمهورية لتبصير الناس بأحوال دينهم وازالة الشوائب التى قد تحول بين الفهم الصحيح للدعوة الاسلامية وتوضيح الاهداف النبيلة التى يدعو اليها الاسلام من اصلاح المجتمع واسعاد البشر •

مليون جنيه نفقات طبع كتب التراث

* **عقدت اللجنة المنبثقة عن اللجنة التحضيرية للاحتفال بالعيد الالفى للازهر برئاسة فضيلة الاستاذ حلمى محمود الامين العام للمجلس الاعلى للازهر وقدمت هذه اللجنة تصورا عاما لميزانية الاحتفال ومن أهم هذه الاعتمادات المقترحة • اعتماد مليون جنيه نفقات طبع كتب التراث الاسلامى •**

وسوف تعرض هذه التصورات على اللجنة العليا لتعطى قرارها النهائى فى ذلك •

الإستفتاء على إجراءات مبادئ الوحدة الوطنية

*** أدلى فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر بصوته فى الاستفتاء على اجراءات مبادىء الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى وذلك أمام لجنته الانتخابية بقسم شرطة النزهة بمصر الجديدة.**

وقد أدلى فضيلة الامام الاكبر بكلمة للصحفيين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الواقع الحفاظ على الوحدة الوطنية لأى أمة انما هو حفاظ على كيانها وذاتها فليست هناك أمة تخلو منوحدتها الوطنية أو تهتز فيها أركان العلاقة الوثيقة بين أفرادها وهيئاتها ثم تكون محتفظة بمقومات الامة .

الامة انما تعنى تماسكا وتلاحما وترابطا بين أفرادها وهيئاتها وجماعاتها ومؤسساتها كلها حتى يمكن أن يقال أنها أمة . والمولى عز وجل حينما خاطب المؤمنين انما خاطبهم بقوله : **« ان هذه أمتكم أمة واحدة »** .

اذن الامة من أخص خصائصها الوحدة ولا كيان لها الا بوحدتها . وما يعتريها من هزات أو ما الى ذلك هى أمور طارئة على كيان الامة . وعلى الامة اذا صحت وثاقتها وتراصت قوائمها وصلحت عناصرها أن تدفع عن ذاتها وعن كيانها كل هذه العوامل التى تهدد وحدتها أو تحاول أن تقضى على روابطها أو تحاول أن تقضى على تماسكها وصلابتها .

ثم قال فضيلته : ان لكل أمة هدف ولكل أمة حضارة .. ولكل أمة قيم ولابد من طبيعة البشرية أن يكون هناك تحديات لهذه الاهداف وتحديات لهذه القيم . ومحاولة لفض هذه الحضارة لتقوم مقامها حضارة أخرى .

اذن لابد من أن تكون الامة متماسكة أمام هذه التحديات لكى تقوى عليها وتحافظ على كيانها ..

هكذا يكتب

الحج

تحت هذا العنوان كتب القارىء على محمد من أبناء الدقهلية يقول :

الحج ركن من أركان الاسلام الخمس التى حدثنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نص الحديث الشريف يتضح لنا أن الحج هو الركن الاخير للاسلام ومقرون بالاستطاعة والاستطاعة هنا بكل ما تؤديه من معنى أى الاستطاعة المادية والجسمانية وما الى غير ذلك ، وأيضا الاستطاعة الايمانية لان المسلم عندما تنضج ثمرة اسلامه ولا ينقصها الا الحج سوف يعود من أداء هذه الفريضة كيوم ولدته أمه خاليا من الذنوب والآثام والكبائر وكل ما يغضب الله عز وجل وتجده تطبق الحديث الشريف القائل (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

فيجب على كل حاج لبيت الله الحرام أن يصبح بعد حجه مثالا للرجل المسلم الذى يطبق على نفسه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يكون قدوة لغيره من المسلمين وفى الوقت نفسه يستفيد من أداء الفريضة وينال ثوابها ويمنح فضلها وتؤدى هى فى حياته دورها بأن تكفه عن كل ما يغضب المولى عز وجل وتدفع به الى كل ما هو خير وصلاح

القراء

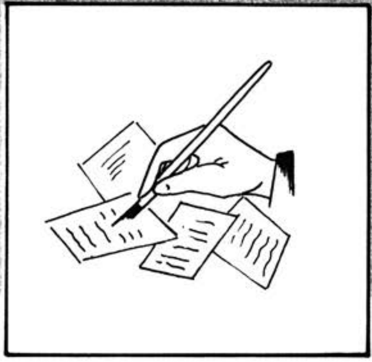

وأثره فى النفوس

لدينه قبل دنياه . وكثير من الذين أدوا فريضة الحج ولم ينال أحد منهم سواء الذهاب والعودة بل انه أصبح بعد حجه رجل له نظرة خاصة به فى المجتمع سواء كانت هذه النظرة فى صالحه أو ضده وهنا لنا وقفة نقول فيها لابد على الحاج أن يتذكر دائما تلبيته ونطقه « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك الى آخرها » ومعنى التلبية أن الانسان لبى نداء ربه بألا يعود الى ذنب أبدا أو كبيرة من الكبائر فلا ينس عهده مع ربه ويتذكر دائما كل ما مر به خلال أدائه الفريضة من زيارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسعيا بين الصفاء والمروة والطواف ليدفعه تذكره عن فعل المنكر وكل ما يغضب الله الكريم وأخيرا رزقنا الله واياكم أداء الفريضة ووفق المسلمين العائدين من الحج للعمل بما يرضى الله العظيم آمين يارب العالمين .

اعداد : عبد العزيز أحمد جيره

الأزهر

فى عيده الألفى

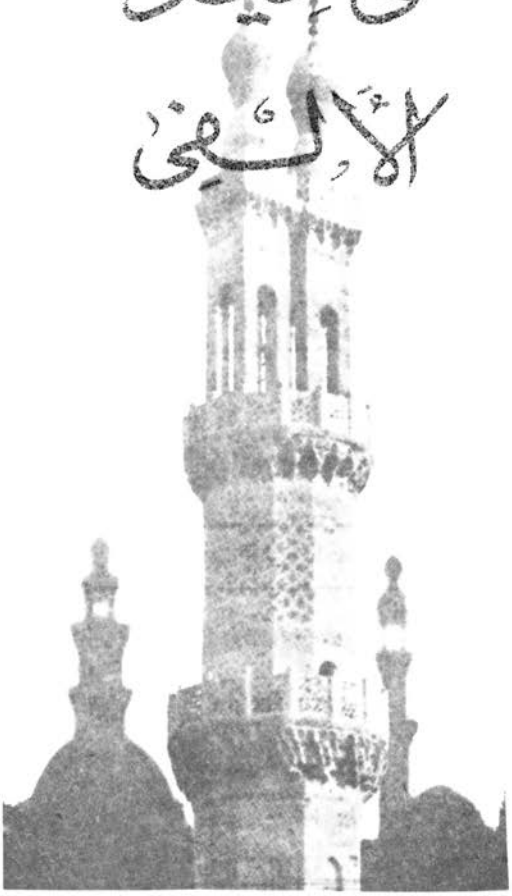

ألفا من الأعـــوام !! حى الأزهرا
شق الظـــــلام بنوره إذ نورا
وعلت مصـــابيح الهدى بمآذنه
هتفت تنادى المسلمين « الأكبرا »
يا « مســلمون » الله أكبر من هنا
من أرض مصر«الأزهر»تعلو الذرى
نجم الهدى فى أرض مكة اذ بدى
يدعو القلوبلتستقيم على البرى(١)
والركب يحبوا فللمدينة يقصـــد
ركب المســـيرة بالهدى قد بشرا
علم ونور يحـــدوان مســـيرة
قد قادها حـــق وعدل فى الورى
هذا النبى « محمد » نور الهــدى
صــلوا عليه وســلموا تبق العرى
هذى المدينة قـــد علتها الأنجم
صحب النبى يعلمون الأصـــفرا
فرض الصـــلاة لربهم حتى الزكاة
حتى المنام على اليمين ليشـــكرا
حتى السلام على العدا ان سلموا
فى حكمة تحدوا النداء الأزهرا (٢)

---

(١) التراب ـ ويقصد هنا وجه الارض
(٢) الابيض المستنير (صفة)

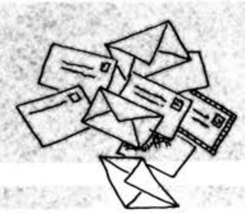

القراء

قصيدة شعرية : عبد الباسط سعيد مصطفى

ذاك السـبيل على المدى فتتابعا
سـلف يسـلم للخـلائف أنهـرا
تجرى العلـوم مثـابة فى قلبه
تهدى النفوس سبيلها تهدى الورى
لكن وفى ظلم الشـقاق الكافر
فى غرة ، ظن العـدو لنكفرا
غرس الشكوك فى علمنا وعلومنـا
حتى « القرآن » الأسلم قد حورا
اذ بالعنـاية من الـه حـافظ
قد ألهمتنا بقلب مصر الأزهر » (١)
حرس على الاسلام من أعدائـه
قبس مضىء قد هدى من فى السرى
شرق وغرب قد تجمـع علمـه
فى مجمع ـ يحوى المعارف ـ أزهرا
واليوم يصـحو مجـدنا من كبوة
هزت كيـان العالم والأشـهرا
واليـوم يحـدو ركبنـا فى عـزة
دين ودنيا أيقظـا من فى الثرى
يا أزهرا أربأ بنفسـك معلنـا
سيف العلوم تجـاهد كل الفرى

انبذ خيـانة من يثبـط جهدنا
ويميت فينـا فكرنا والأنـورا (٢)
علم على الأكـوان قد رام العلا
ذاك الفتى من جد فى خـير الورى
فى صدره يحوى العلـوم النافعة
فى سـعيه ، هدى الاله لينشرا
يا من غفا عن واجب لا يرعـوى
نادى منادٍ للعـلا هيا أكبـرا
يا من تنصـل من علـوم الأزهر
من دفنها قم فاحيهـا هيا انشرا
طيب الكلام من اللسـان الذاكر
يا من سـها عـن ربه هيا انكـرا
والركب يسـعى للأمام مكلـلا
بعزيمـة من ديننا فقـم وانثرا
يا أزهرا دع من يخون الواجبـا
ثم استقم ، وانبذ خلافا سـافرا
ياأزهرا، ياقلعـة قم شـامخا
دع من يعـادى ديننـا والفجرا
ما حـل علم من علـومك واديا
الا وكان اليـابس قـد اشـجرا
عَزْمَ الرجال الشامخين الحـوم
لا تركنوا : قومـوا فحيوا الأزهرا

(١) اسم الازهر الشريف

(٢) العلم الهادى

كتب الأخ ــ عبد اللــــه على الموافى ــ المالحة ــ المنصورة

يسرنى أن أكتب لسيادتكم هذه الرســالة راجيا أن أعبر عن اعجابى الشـديد وتقديرى الذى لا تفى الكلمات به لما تجنيــه من ثمـار طيبة عظيمة من مجلتنا الجامعة ولا أسـتطيع أن أصف فرحتى لحظة حصولى على عدد منها أول كل شهر عربى ٠

وأدعو الله عز وجل أن يجزل لسـيادتكم وجميع العاملين بالمجلة الثواب على هذا الجهد الطيب المبارك وأن يوفقكم الى كـل عمل ينمى قواعد الدين فى قلوب المؤمنين ٠

* نشكرك يا أخ عبـد الله على هذا الشعور الطيب نحو مجلتنا ونسأل اللــه أن يوفقــك ويوفقنا لخـدمة الـدين ٠ وستجد الاجابة عن سـؤالك فى مجـلة رسالة الأزهر الملحق الأسبوعى للمجـلة فى باب مشكلات وحلـول فهو البـاب الخاص بالأسئلة والرد عليها ٠

كتب الأخ ــ جـابوربس عبد القـادر ــ الجزائر

تحية ملؤها العطر والفرحة والسلام الكامل الذى يحتوى على كل معنى الصداقة والأخوة بعد سلام الله عليكم ورحماته وبركاته ٠

لقد طالعت مجلة الأزهر وقد نالت اعجابى لما فيها من علم لذا أطلب من سيادتكم اشتراكى فى المجلة وكيفية الاشتراك وقـدره عـن سنة كاملة ٠

● نشـكرك يا أخ جـابو على هذه الكلمات التى تعبر عن صـدقك نحـو مجلتنا ٠

وبالنسبة لطلب اشتراككم فى المجـلة فعليكم الاتصال بقسـم الاشتراكات فى جريدة الأخبار ٠ وعنـوانه ٠ جـريدة الأخبار ــ القاهرة ــ ٦ أ شارع الصحافة فهو الذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته ٠

وقيمة الاشتراك عن سنة كاملة هــو (٣٫٣٠٠) ثلاثة جنيهات وثلاثمائه مليم

كتب الأخ مدحت رمضان ثابت ــ مدرسـة أسيوط الاسلامية الاعدادية ــ أسيوط

من قلب أسيوط أرسل التهانى والشـــكر العميق وأنى أكتب الرسالة لأعبر فيهــا عــن اعجابى لمجلة الازهــر مجلة كــل المسـلمين فهى حقا المنارة التى يطل عليها الانسان المسلم لما فيها من فوائد دينيه وخلقيه لصالح الاسلام والمسلمين وكذلك فقد أعجبنى التطور الهـائل الذى دخل عــلى هــذه المجـلة من ناحيـة الموضوعات ومن ناحية تغطيتها بصورة حسنه تستحق الشكر العميق والثناء الوفـير تحيـة اعجاب لمجلتكم الغراء (الازهر) أختتم كلمتى على أن يوفقنا ويوفقكم الله لما فيــه الخـير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

● نشـكرك يا أخ مدحت على هــذه الكلمــات الصــادقة وعــلى اعجابك بمجلتنا ونسأل الله أن يوفقــك فى دراستك لتصل الى ما تتمناة وسترى تطورا أكبر من ذلك فى المجـلة قريبـا ان شاء الله ٠

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
• كلمة التحرير	٢٠٥٧
• حديث الشهر	
للدكتــور عبد المعطى محمد بيــومى	٢٠٥٨

دراسات قرآنية

• ترتيب القرآن	
بقلم رشدى محمد ابراهيم	٢٠٦٦
• نظرات ابن هبيرة فى التفسير والحديث	
للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمــد	٢٠٧٠
• معجزات متجددات	
بقلم طبيب عبد الرحمن الرفاعى	٢٠٧٥
• الاسلام والشعر	
للدكتور النبوى عبد الواحد شــعلان	٢٠٧٨

فى التشريع الاسلامى

• ماء زمزم فى ضوء السنة النبوية	
للدكتور أحمد عمر هاشم	٢٠٨٦
• الأمية الفقهية وتقنين الشريعة الاسلامية	
للدكتور عبد الله مبروك النجار	٢٠٩٥
• رد على كتاب « الخمرة » ذات خطر محقق	
للدكتور محمد رجب البيــومى	٢١٠٤
• هكذا سئل الرسول صلى الله عليه وسلم	
للدكتور مصطفى محمد أبو عمارة	٢١٠٩

فى حضـــارة الاسلام

• الأزهر فى الجزر البعيدة	
للأستاذ اسماعيل عبده الشـــال	٢١١٦
• فلسفة السعادة فى الاسلام	
للدكتور سعد الدين السيد صـــالح	٢١٢٩

فهرس العدد

[ختم المكتبة الأزهرية]

الموضوع — الصفحة

- **الدين ضرورة حتمية**
  للأستاذ / على عبد العظيم ٢١٣٤
- **القيادة أمانة ورسالة**
  للواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ ٢١٣٩
- **الصراع الحضارى فى مجال نقل العقائد والآراء**
  للدكتور مصطفى غلوش ٢١٤٥
- **دور الأزهر القيادى وشعوب العالم** ٢١٥١

أعـلام الاسـلام

- **فقه الامام البخارى**
  للدكتـور الحسـينى هاشم ٢١٦٠
- **شخصية فى سطور**
  بقلم سـعيد عبد الحى ٢١٦٤
- **طرائف ومواقف**
  للأسـتاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢١٦٦
- **كتاب الشهر**
  عرض وتقديم الأستاذ حمدى الليثى ٢١٦٨
- **نظرة فى كتاب الاقتصاد الاسلامى**
  بقلم الأسـتاذ / أحمد اسـماعيل يحيى ٢١٧٢
- **قالت الصحف**
  اعداد الأستاذ / عاطف زهران ٢١٨٢
- **أخبار العالم الاسلامى**
  للأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح ٢١٨٦
- **أخبار الأزهر**
  اعداد الأستاذ / الشـافعى عبد الراضى ٢١٩٠
- **هكذا يكتب القراء**
  اعداد الأستاذ / عبد العزيز أحمد جيره ٢١٩٤
- **ردود على القراء**
  اعداد الأستاذ / عبد الفتاح السـيد عبد السلام . . ٢١٩٨

طبع بمطابع روز اليوسف